Fahmī, Maḥmūd

الجـــــزء الرابــع

من البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الاوائل والاواخر

al-Baḥr al-zākhir

تأليف

الهمام البارع والعالم النافع المرحوم محمود فهمى المهندس
المتوفى بجزيرة سيلان فى شهر ذى الحجة سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام

الطبعة الاولى
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٣
هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحادى والعشرون

﴿تاريخ انكلتره﴾

﴿الباب الاول﴾

﴿من الازمان القديمة الى سلطنة ألفريد الاول الملقب بالاكبر﴾

موقع بريطانيا الكبرى الجغرافى ـ معلومية بريطانيا عند الفنيقيين ـ نزول القيصر يوليوس فى بريطانيا ـ أقواله على البريطانيين ـ مبادى تغلب كاوديوس على بريطانيا ـ كاركطا كوس ـ ترتيب بريطانيا الجنوبية فى صورة اقليم رومانى ـ قيام لوندره وتقدمها ـ التغلب على جزيرة انكليزيا وانقراض الدروديين ـ ثورة بوديسيه ـ خراب لوندره ـ غلبة اغريكولا ـ مبادى الحضارة فى بريطانيا ـ السدود أو الاسوار الرومانية ـ غلبة سفروس ـ كاروصيوس ـ انسحاب العساكر الرومانية ـ اغارات البقطيين والاسكوطلنديين ـ دخول الديانة المسيحية ـ اغارة الجرمانيين ـ الانكليز والصكصونيون ـ تأسيس المملكة الطوطونيقية فى انكلتره ـ حكومة السبعة ملوك ـ الملك أرثر ـ نزول سنت أوغسطين فى نواحى كنط ـ دخول الصكصونيين فى الديانة المسيحية ـ سلطنة الملك عوفا ـ تقدم صكصونية الغربية ـ صيرورة اغبرت ملك عموم انكلتره ـ حرب مع الدانيمارقيين ـ صيرورة ألفريد ملكا

جزيرة بريطانيا الكبرى واقعة فى البحر المحيط الاطلنطيقى الشمالى ومحدودة من جهة الشمال بالبحر المحيط الاطلنطيقى ومن جهة الشرق ببحر الشمال ومن جهة الجنوب بالخليج الانكليزى ومن جهة الغرب بالمحيط الاطلنطيقى وبحر ارلنده ولا يعلم الا قليلا فيما يتعلق بتاريخ الجزائر البريطانية قبل نزول الرومانيين فيها تحت قيادة القيصر يوليوس فى سنة ٥٥ قبل التاريخ المسيحى وقيل ان اريستوط الجريقى من أهل القرن الرابع قبل الميلاد أول من ذكر هذه الجزائر بالاسم فاطلق على انكلتره واسكوطلنده اسم (البون) ومعناه الجزيرة البيضاء وارلنده اسم عبرى ومعناه الغربية وكانت انكلتره واسكوطلنده يعرفان أيضا باسم بريطانيا وهى لفظة مشتقة من اسم (بروطوس) الذى كان حاكما فيها وأصل سكان هذه الجزائر من السلط وكانوا مقسومين الى فرعين الغيل والصيمرى فاما ذرارى الغيل فهى القاطنة الآن فى ارلنده وفى أرض الجبل من اسكوطلنده وذرارى الصيمرى موجودة فى جبال الويلس وكانت هذه الامة مقسومة الى عدة قبائل كل قبيلة تحت سلطة رئيس مستقل وكان سكان الجهات الجنوبية أكثر حضارة من الكل فكانوا يزرعون الاراضى ويصنعون الاقمشه وأما القبائل الداخلة فكانت عيشتهم على اللبن واللحم ويسترون أنفسهم بجلود الحيوانات التى يقتلونها فى الصيد ويطلون أجسامهم بصبغة من اللون الازرق يستخرجونها من عصير نباتات موجودة عندهم وكانت مساكنهم مؤلفة من عدة أخصاص وعشش مجموعة بجانب بعضها فى داخل الغابات محاطة بسور من جذوع الاشجار خيفة من هجوم الحيوانات المفترسة وكانوا شجعانا فى الحروب وأقوياء فى الجسم وأسلحتهم الحراب والسكاكين والسيوف وتروس صغيرة وكانوا يحاربون فى عربات مسلحة بمناجل متصلة بمحاور العربات وكان معظم أراضى الجزيرة مغطى بأو رمانات وآجام وبعض جهات مغطاة بالمياه الراكدة والمستنقعات وهى الآن أرض مزارع

وما كانت التجارة مجهولة عند سكان بريطانيا الجنوبية فانه قبل ميلاد المسيح بمدة طويلة وصل ملاحو الفنيقيين من مستعمراتهم فى اسبانيا وافريقه الى هذه الجزائر من أجل تجارة القصدير أو الصفيح وكانوا يطلقون عليها اسم جزيرة الصفيح واتجر أهل بريطانيا أيضا مع سكان الغلية وكانت تصديراتهم التجارية الاصلية القصدير والحديد والذهب والنحاس والكلاب والجلود والرقيق ومدخولاتهم الملح والنحاس الاصفر وأوانى الفخار

ديانة البريطانيين

وكانت ديانة البريطانيين عقيدة وثنية تعرف بالعقيدة الدرودية ولفظة درود جريقية معناها بلوطة لان شعائر ديانتهم كانت تقام تحت شجر البلوط وتعرف كهانهم باسم درودين فكانوا مشرعين ومعلمين للاطفال وهم الذين يسنون القوانين ويضعون الاحكام وكان لهم سلطة كبيرة على الامة وكانت عقيدتهم تناسخ الارواح وانتقالها من بعد الموت الى جسم آخر وكان عندهم خشوع كبير للآلهة وشفقة عظيمة بالناس وكانوا يقربون فى محاريبهم قربانا من النوع البشرى ويضعونهم فى أقفاص واسعة مصنوعة من الاشجار ويجمعون الحطب ويحرقونهم به وكان الذين يقربونهم بهذه الحالة من الذين اكتسبوا الجرائم أو الذين أسروا فى الحروب وكان لكهان الدروديين شعائر جليلة لشجر البلوط وثمره فكان فى مدة ادراك ثمر البلوط يجمع رئيس الكهنة كافة العشيرة فى أول يوم من سنتهم الجديدة وهو شهر مارث الآن ويصعد على الشجرة ويقطع مع الاحتفال العظيم ثمر البلوط بمنجل من ذهب ويقربون بقرتين بيضاوين فى هذا الوقت ويقيمون شعائر الصلاة والدعوات

للآلهة طالبين نجاح هذه الاثمار فى علاج الامراض والسموم ولذلك نجد طريقة زينة المساكن والبيوت الموجود عليها الانكليز الآن فى عوائد زينة أماكنهم باثمار شجر البلوط وكل نبات أخضر وصلت اليهم من ذلك العهد وآثار الخربات الموجودة فى جهات متعددة من انكلتره يستدل من رؤيتها أنها بقايا معابد الدروديين

عصر الرومانيون

وفى سنة ٥٥ قبل الميلاد عزم يوليوس قيصر قائد قوى العساكر الرومانية فى الغلية (فرانسا) على السعى فى التغلب على بريطانيا فأقلع عابرا بوغاز (الدوفر) مع ١٢,٠٠٠ عسكرى ونزل بالقرب من (ديل) فاجتمع البريطانيون على الساحل وقاوموا فوافوا أشد مقاومة ومن بعد محاربة شديدة أخلوا للرومانيين طريقا فأخذ عليهم القيصر مواثيق الطاعة ثم رجع الى الغلية ثم عاد فى سنة ٥٤ قبل الميلاد مع ٣٠,٠٠٠ عسكرى و ٢,٠٠٠ خيال وطرد البريطانيين وكانوا تحت قيادة (كاسيفيلوفوس) رأس قبيلة (الطرينوبنطيين) عابرين نهر التيمس ومن بعد خيبة هجوم البريطانيين على المعسكر الرومانى الموجود على الساحل عقدوا صلحا مع القيصر فقرر عليهم خراجا واستلم ضيافته ورجع بعساكره الى الغلية لكنه ما قوى فتوحاته فى كل من المرتين وما رتب محافظين من عساكره فى الجزيرة بل نظر أهل كنط ووصف حضارتهم وتمدنهم فى بريطانيا فقط وقال ان أهل بريطانيا كثير والعدد والاهالى مستحوذون على أملاك واسعة وثروة شاسعة فى المواشى واستمرت بريطانيا خالصة من تداخل الرومانيين سبعا وتسعين سنة وفى هذه المدة كان أوغسطوس (أوقطافيانوس) ومن بعده من الامبراطورات على رغبة فى التغلب على بريطانيا وجمع أحدهم المسمى (كاليجولا) جيشا على ساحل الغلية وبدل أن يعبر الخليج ويتغلب على الجزيرة تصور اجراء الحرب على الساحل وأمر عساكره بجمع المحار والقوقع تذكارا لنصرتهم على البحر المحيط

كلوديوس

وفى سلطنة (كلوديوس) شرعت رومة فى اضافة بريطانيا لممالكها وأرسل الامبراطور كلوديوس فى سنة ٤٣ بعد الميلاد قائدا اسمه عولوس (بلوطوس) فعبر الخليج مع جيش مؤلف من أربع فرق ونزل على ساحل كنط وطرد البريطانيين عابرين نهر التيمس وزحف نحو المخاضات السفلى لهذا النهر وعبره خلفهم عنوة ومن بعد قليل لحقه الامبراطور كلوديوس نفسه وتغلب (كلوديوس) على صكصونية الشرقية وطرينوبنط وهرطفوردشير فى مدة قليلة وأخذ قلعة (كاملودونوم) المسماة الآن (كولشيستر) وجعلها مقر الحكومة الرومانية وتم كل هذا فى ستة عشر يوما ثم عاد كلوديوس الى رومة وعهد زمام حكومة الجهة التى وقع التغلب عليها من الجزيرة الى بلوطيوس وفسباسيان فاخضع فسباسيان الجهات الغربية من الجزيرة لحد صكصونية الشرقية وسقرن وتقلد زمام رياسة البريطانيين رئيس اسمه (كركطاكوس) بضع سنين والتجأ أخيرا على التقهقر الى الويلس وضم قواه الى أهل الاقليم المسمى الآن اقليم صيلورس وأخذ له موقعا حصينا على جبل فى (شروبشير) فزحف عليه (عوسطوروس اسكاپوله) خليفة بلوطيوس وهزم قواه وتغلب على موقعه فهرب (كركطاكوس) والتجأ الى امرأة أبيه (كارطسمنده) ملكة (البريغنطيين) فدلت عليه الرومانيين فأسروه وحملوه الى رومة فلما رأى هذا الرئيس المدينة المفتخرة التى شيدها قياصرة الرومانيين أظهر ما فى ضميره من استغرابه من هيئة المدينة وظرافتها وقال أيطمع سيد مدينة مثل هذه فى أخصاص حقيرة مثل أخصاص بريطانيا فاندهش كلوديوس من مقالته ووقع عنده موقع القبول والاستحسان وما أخذه

الغضب

الغضب من جسارته فى أقواله وبدل أن يفعل به ما يفعله الرومانيون فى أسراهم أطلقه وأخلى سبيله ومن بعد هزيمة (كركطا كوس) رتب الرومانيون القسم الجنوبى من جزيرة بريطانيا من ابتداء نهر الاسطور الى حد صكصونية الشرقية ونهر سقرن أونهر الوى اقليما واحدا وكانت ناحية هذا الاقليم مملكة رغنى المستقلة وما امتدت عليها المملكة الرومانية وكانت فى وسط صكصونية الجنوبية وخلف نهر الاسطور المملكة الوطنية لنهر عيسينى وصارت كاملودونوم (كلوسيستر) التى كان جعلها الرومانيون مقر اعسكر يامركزا للحكومة الرومانية وترتبت سكك المواصلات مباشرة من هذه المدينة الى داخل البلاد وكانت لوندينوم أولندن أول مدائن الدرجة الاولى المشهورة فى بريطانيا فما حصنها الرومانيون وما كانت تحت أيديهم بل تحت أيدى الوطنيين وصارت فى أقرب وقت مركزا جامعا للتجارات عظيمة وأخذت هذه التجارة أيضا فى التقدم بين أهل بريطانيا وأهل أرض القارة فكانت مدخولات لندن وواردتها الواردة لها من مشغولات بلجيقه ومدائن نهر الرن يجرى توزيعها فى كافة جهات الجزيرة وكانت صادراتها أصناف الحبوب والمواشى والرقيق وكانت السكك المنشأة قبل دخول الرومانيين فى المملكة واصلة من (ريشبروغ) والدوفر الى (سيطون) وبرنكاستر الى نهر السقرن ونهر العوز الشمالى وكان مبدأ هذه السكك خارجا من لوندره وخضع وسط الجزيرة على التدريج للجيوش الرومانية وفى هذا الوقت انتشرت الحضارة والمدنية وترتبت أربع فرق عسكرية رومانية فى بريطانيا وكانت الفرقة الثانية تحت قيادة فسباسيان فاخضعت الجهة الجنوبية وعسكرت فى (كارلون) على نهر (العوسك) والتاسعة معدة للمحافظة على نهر عيسينى فى (برنكاستر) والعشرون فى شيستر محافظين فيها على (البريغنطين) وكانوا باقين على استقلاليتهم فى الجهة الشمالية واشتغلت الفرقة الرابعة عشر بعمل الفتوحات على نهر (عوردوفيس) فى جهة الويلس الشمالى وفى سنة ٦١ بعد الميلاد عزم (وطينوس لينو بوس) القائد الرومانى فى بريطانيا على اخضاع جزيرة مونه أو انكليزية المركز الاكبر للدروديين والفارين من البريطانيين فعبر عساكر المشاة البوغاز الفاصل لهذه الجزيرة من البر الاصلى فى قوارب صغيرة وأما الخيالة فانهم عبروه على ظهور خيولهم واجتهد البريطانيون فى صد الرومانيين من وصولهم الى الجزيرة المقدسة وحفظ المحاربون الساحل مع الشدة واقتحم القسس والنساء مع عساكرهم وفى أيديهم مشاعل من نار نافشين شعورهم صارخين باصوات مهولة وسب زائد على الرومانيين ففزع الرومانيون من هول الاصوات المخيفة المرعبة ووقع فيهم الفشل فجمعهم سوطينوس وصفهم للهجوم وهزم البريطانيين شرهزيمة وأحرق الدروديين بالنار التى أججوها لاحراق أسرى الرومانيين بها وخرب الغابات المقدسة وهدم المحاريب والمذابر التى كانت منشأة فيها

وكان سوطينوس ظن فى نفسه أنه بهذه الضربة القوية التى خلع بها ديانة البريطانيين أخضعهم لطاعة الحكم الرومانى وكان ظنه على غير طائل فانه فى مدة غيابه فى جزيرة انكليزية قام البريطانيون فى ثورة فى البر الاصيل وساقتهم بوديسيه ملكة عيسينى وكان ضباط الرومانيين فضحوا ابنتها وضربوها نفسها بالنبابيت وأغاروا على الرومانيين من كل جانب وجعلوا أنفسهم أسيادا على كثير من الجهات ثم بعد هذا هددوا لوندره فاسرع سوطينوس لمساعدة خلاصها ثم رأى أنه من الضرورى للسلامة العمومية تركها للعدو وبما أن لوندره ما كانت محصنة وقعت فى أيدى البريطانيين فى الحال فحرقوها وصيروها آكاما من الرماد وذبحوا أهلها الذين ما كان لهم طاقة على الهرب وما ظهر من البريطانيين

أدنى رحمة فى هذا الحرب وقتلوا من الرومانيين والاغراب نحو من ٧٠،٠٠٠ نفس فى هذه الواقعة وفى سنة ٦٢ بعد الميلاد هزم سوطينوس جيش البريطانيين بالكلية فى واقعة كبيرة قتل فيها على ما قيل نحو من ٨٠،٠٠٠ نفس ولما رأت بوديسيه أن القبض عليها الابد منه قتلت نفسها بتعاطيها السم ولما عرف الامبراطور (نيرو) ماوقع من الفظاعة وعدم عود النظام والامن فى الجزيرة عزل سوطينوس فى الحال وفى سنة ٧١ بعد الميلاد عين فسباسيان بمعرفته (سيراليس) فى قيادة الجيش فوسع الممالك الرومانية بما أجراه من الفتوحات وفى سنة ٧٨ بعد الميلاد تعين (يوليوس اغريكولا) حاكما فى الجزيرة فحكم فيها سبع سنوات فكان أحسن قائد ماتعين فى بريطانيا نظيره من قبل فانه فى ظرف السنتين الاولتين من حكمه تغلب على كافة المملكة لحد نهر الطيد وفى سنة ٨١ بعد الميلاد مد فتوحاته الى نهر فريط فورط أو نهر الاسقوط ونهر الكليد وفى سنة ٨٢ بعد الميلاد أنشأ صفا من القلاع بين النهرين المذكورين وأغار من هذا الخط اغارتين على كاليدونيه (اسكوطلنده) وهزم قوة جسيمة من الاسكوطلنديين تحت ذيول جبال غرامبيا وما اكتفى اغريكولا بما فعله من ارغامه البريطانيين على الطاعة له بل اجتهد فى تمدنهم وحضارتهم فادخل بينهم القوانين والعوائد الرومانية وتعليمهم الكتابة والقراءة والعلوم وحضهم على قبول عيشة المتغلبين عليهم والاقتداء بهم فمن ثم تأسست المدائن وأنشئت الطرق فى المملكة ولما وجد أهل بريطانيا عدم طاقتهم على مقاومة القوى الرومانية رضوا بسلطنة أسيادهم واشتركوا معهم شيأ فشيأ فى عشيتهم وصاروا قسما من أقسام المملكة الرومانية الشاسعة واستمرت بريطانيا فى الهدو وما وقع من أهلها أدنى سعى بأى حركة كانت فى ربح الحكم الرومانى فطمع الاسكوطلنديون بما حصل من النجاح والتقدم فى الاقليم الرومانى وأوقعوا فيه الفزع ووجهوا اغاراتهم عليه وأفسدوا فيه وما زالوا الى زمن الامبراطور (هادريان) الذى زار الجزيرة وأنشأ سدا قويا من تراب بين نهر الطين ونهر (صلوى فريط) عرف بسد (هادريان) وآثاره موجودة تعرف بسد البقطيين وفى سنة ١٤٠ بعد الميلاد فى مدة سلطنة (انطونينوس بيوس) أنشأ (لوليوس عوربيكوس) سدا آخر بين نهر فريط فورط ونهر الكليد فى طول الخط الاول الذى كانت فيه قلاع اغريكولا عرف بسد انطونينوس والآن يعرف بخندق غراهام ومع هذا فان هذه السدود ما حصل منها فائدة فى صد اغارات القبائل الاسكوطلنديه وتوقيف تخريباتهم وآل أمر هؤلاء المتوحشين الى حالة مفزعة حتى التزم القائد الرومانى شراء نفسه من اغاراتهم واستغاث فى هذا الوقت بالامبراطور سفريوس فى الحضور بنفسه فى بريطانيا فمع أن سفريوس كان طاعنا فى السن فانه أسرع فى التوجه الى بريطانيا فى سنة ٢٠٨ بعد الميلاد من أجل عقاب الاسكوطلنديين على ما فعلوه من اغاراتهم على الاقليم الرومانى وزحف من وسط الاورمانات الكثيفة الى الاقاليم الشمالية وهزم الجبليين فى واقعة وما زال حتى وصل الى الطرف الشمالى من الجزيرة فمع انه خسر فى هذه الغارة نحو من ٥٠،٠٠٠ نفس من عساكره لكنه أرغم الاسكوطلنديين على الدخول فى معاهدة تعهدوا فيها بقطع غاراتهم فى داخل بريطانيا وتنازلوا للامبراطور عن قسم عظيم من أرضهم وأمر سفريوس بترميم سد (هادريان) وتحصينه فمن ثم أطلق عليه اسم سد الامبراطور سفريوس ومن بعد قليل مات سفريوس فى مدينة (ابوراكم) وهى الآن يورق فى سنة ٢١١ بعد الميلاد

تعيين أغريكولا حاكما

ثم

ثم فى القرن الثالث أغار على بريطانيا عدو جديد وهم لصوص الصكصونيين وكانوا وصلوا اليها من سواحل جرمانيا وتولد من نزولهم على الساحل الشرقى من جزيرة ارتبا كات فى داخل المملكة ودمار فى بلادها فعين الامبراطوران دوقلطيان ومكسميليان من طرفهما حاكما وعهدا له زمام محافظة الساحل من اغارات هؤلاء اللصوص فمن ثم عرف باسم كونت محافظ الساحل الصكصونى وكان أول حاكم تعين لهذه الوظيفة (كاروصيوس) فى سنة ٢٨٦ بعد الميلاد ولما اشتهر عليه أخذ الرشوة من اللصوص وخشى عواقب العقاب جعل نفسه امبراطور بريطانيا وأرغم الامبراطور مكسميليان على اشتراكه معه فى المملكة الرومانية وحكم بريطانيا وساس أعمالها بحالة عظيمة حتى قتله وزيره (علكطوس) فى سنة ٢٩٣ بعد الميلاد وتلقب علكطوس باللقب الامبراطورى وحكم بريطانيا الى حد سنة ٢٩٦ بعد الميلاد حتى هزمه جيش أرسله عليه الامبراطور (قنسطنطيوس) وقتل فى هذه الواقعة وأعاد قنسطنطيوس بريطانيا الى السلطنة الرومانية وتزوج هذا الامبراطور سيدة بريطانية اسمها هيلانه ومات فى مدينة يورقه فى سنة ٣٠٦ بعد الميلاد وخلفه فى المملكة ابنه قنسطنطين الملقب بالاكبر ومن بعد موت قنسطنطيوس تلبك القسم الشمالى من بريطانيا ثانيا بغارات الامة الكلادونية وكان يطلق عليها فى هذا الوقت اسم البقط أو الاسكوط أى سكان اسكوطلنده فكان البقط من ذرية الكلادونيين سكان الاراضى الواطية فى اسكوطلنده والاسكوط أمة انتقلت اليها من جزيرة ارلنده وقطنوا الاراضى الجبلية فى اسكوطلنده وزحف هؤلاء القبائل المتوحشة على بريطانيا حتى وصلوا الى لوندره فطردوا على أعقابهم الى بلادهم وحارب واحد من قواد الرومانيين اسمه مكسيموس البقطيين والاسكوطيين محاربة شديدة وبذل نفسه فى طردهم من بريطانيا وجعل نفسه امبراطورها مؤملا صيرورته سيدا على النصف الغربى من المملكة الرومانية فانهزم وقتل فى سنة ٣٨٨ بعد الميلاد وكثير من البريطانيين الذين ساقهم معه تحت بيرقه استوطنوا قسما من الغلية عرف باسم ارموريقه (بريطانى) وانتهز البقط والاسكوط الفرصة فى مدة غياب العساكر مع مكسيموس فى سنة ٣٩٦ بعد الميلاد وجددوا غاراتهم فأرسل الامبراطور (هونوريوس) القائد الفارس اسطليخو فطردهم ووطد الامن فى المملكة ومن ابتداء سلطنة قنسطنطيوس لحد الآن انتشرت الحضارة مع العجلة فى أنحاء المملكة واستوطنها الكثير من الرومانيين وانتشر اللسان اللاتينى بين أهل البلاد

وفى نحو هذا الوقت أغار الغوطيون والامم المتبربرة من الاقسام والجهات المتوسطة من أوروبا على المملكة الرومانية فمن ثم التزمت على سحب عساكرها من بريطانيا من أجل المدافعة عن ايطاليا ومن ثم أقال هونوريوس البريطانيين من بيعتهم وطلب عساكره فى سنة ٤١٠ بعد الميلاد للمحاربة مع علريك ملك الغوطيين ومن ثم لما تركت بريطانيا من دون محافظة هجم عليها أعداؤها القديمة البقط والاسكوط فالتزموا رفع شكواهم لرومة من أجل مساعدتهم فأرسلت رومة فى سنة ٤١٨ بعد الميلاد فرقة من العساكر طردوا العدو وأصلحوا الاسوار الشمالية وعلموا الامة البريطانية استعمال السلاح والمحافظة على بلادهم وسافروا اسفرهم الذى لا رجعة بعده الى رومة فى سنة ٤٢٦ بعد الميلاد فجدد المتوحشون الشماليون فى الحال اغاراتهم فى بريطانيا وغرق البريطانيون فى خسارة جديدة وزادت مصائبهم فاستغاثوا فى سنة ٤٤٦ برومة فى مساعدتهم وكان (عطيوس) فى هذا الوقت حاكم رومة فحمل اليه سفراء البريطانيين ونوابهم عريضة أهل بلادهم مذكور فيها نعى وعويل

البريطانيين وذكر المؤرخون أن العريضة كانت حاوية لهذه الالفاظ (المتوحشون طردونا الى داخل البحر فقذفنا البحر مرة ثانية الى المتوحشين ونحن الآن فى حيرة شديدة بين الهلاك بالسيف والغرق فى أمواج البحر) ومع هذا فان عطيوس ما كان فيه طاقة على ارسال مساعدة للبريطانيين بسبب شدة محارباته مع عطيلة كما ذكرناه فى تاريخ رومة وفى مدة الحكومة الرومانية دخلت الديانة المسيحية فى بريطانيا ولا يعلم التاريخ الحقيقى لوقوع هذه الحادثة الا أن المؤكد أن الديانة المسيحية غرست فى بريطانيا فى ظرف الثلاثة قرون التى مضت من ميلاد المسيح ولا يعلم بالتأكيد من المتسبب فى غرسها فالظاهر أن الكثيرين من المسيحيين الذين حل بهم الظلم والجور فى أرض القارة التجؤا الى بريطانيا والذين أسرهم الرومانيون فى مدة الحروب دخلوا فى الديانة المسيحية فى مدة أسرهم وصاروا عساكر مسيحيين فى الجيوش الرومانية الموجودة فى بريطانيا وفى اخر القرن الثانى كثرت الكنائس المسيحية فى بريطانيا وكانت موجودة بالخصوص فى الجهات الجنوبية والغربية من انكلترة واسكوطلنده ووقع عليها الظلم الشديد فى مدة سلطنة الامبراطور دوقلطيان حتى طردوا المسيحيين من كافة جنوب انكلترة الى جهاتها الشمالية والى اسكوطلنده

دخول الديانة المسيحية فى بريطانيا

وقسم الرومانيون بريطانيا الى ستة أقاليم أو مديريات (١) بريطانيا الاولى وهى الاراضى الواقعة فى جنوب نهر التيمس والخليج الانكليزى (٢) بريطانيا الثانية وهى الويلس والكونتات الموجودة فى الحدود فى غرب نهر سفرن ونهر الدى (٣) فلافيه قيصريه وهى الاراضى الواقعة من ابتداء نهر التيمس الى نهر الهمبر والمرسى (٤) مكسيمة قيصرية من الهمبر الى سد هادريان على نهر الطين (٥) فلنطيه من نهر الطين الى سد أنطونين (٦) فسباسيانه فى شمال سد أنطونين وما تغلب الرومانيون على اقليم فسباسيانه وكان فى كل اقليم حاكم مخصوص وعلى الكل حاكم نائب تحت ادارة عامل الغلية وكان فى الجزيرة ٢٠,٠٠٠ عسكرى تحت قيادة ثلاثة قواد يعرفون بكونت بريطانيا ودوق بريطانيا وكونت الساحل الصكصونى

وفى الوقت الذى تخلى فيه عطيوس عن مساعدة البريطانيين وصل الى السواحل الجنوبية ثلاث سفن مشحونة بلصوص من الصكصونيين تحت قيادة أخوين اثنين حنغيسط وحورصة وكان هؤلاء اللصوص عراض الاجسام زرق العيون ذوى شعور صفر متسلحين بسيوف طويلة ومزاريق وحرب ومن اعتقادهم فى دينهم كانوا أشداء فى الحروب والوقائع وكانوا يعتقدون أن الموت فى الحروب يقربهم زلفى الى (وودن) اله الحرب ويشربون معه الخمر فى جماجم أعدائهم وكانت مساكنهم واقعة على سواحل جرمانيا بين دانيمارقه ونهر الرين وفى هذا الوقت كان الحاكم فى بريطانيا ملك وطنى من أهل بريطانيا اسمه (فورطيغرن) فتساعدبهم على البقط والاسكوط وكان نزولهم فى نواحى (عبسفليط) على ساحل كنط فى سنة ٤٤٩ بعد الميلاد فطردوا مع الظفر أعداء فورطيغرن وأخذوا مكافأة على أداء خدمتهم جزيرة طانيط ولا تعلم حقيقة قصة الاستيطان الاولى للصكصونيين فى بريطانيا وانما قال بعض المؤرخين ان فورطيغرن ولع بحب (رونية) بنت حنغيسط ووعد أباها باعطائه مملكة كنط على شرط زواجها وقال آخرون ان حنغيسط وأخاه حورصه أعجبهما جمال المملكة وظرفها فحولا أسلحتهما على البريطانيين وتغلبا على كنط ومن بعد مضى قرن ونصف من هذه الحادثة وردت أفواج أخرى جديدة من ساحل جرمانيا الى بريطانيا واتخذوا لهم مواطن على السواحل الشرقية

والجنوبية

والجنوبيـة وعلى قواعـد الانهر فكانوا ثلاث قبائل الجنس الانكليزى وهـم الشتلنديون والانكليز والصكصونيون ثم تلقبوا بعـد زمن وجودهـم فى هـذه الاراضى باسم انجلوصكصونى واسم انكليز وفى ظرف قرن ونصف من بعـد ورود الصكصونيين فى المرة الاولى قامت السبع ممالك الآتية تحت حكومات مستقلة كل واحدة على حدتها (أولا) ـ مملكة كنط أسسها حنغيسط فى سنة ٤٥٧ بعد الميلاد (ثانيا) ـ سوسكس أى صكصونية القبلية تشمل سوسكس وسورى أسسها (عيلا) فى سنة ٤٩٠ بعـد الميـلاد (ثالثا) ـ ويسكس أى صكصونيـة الغربيـة تشمل الكونتات الواقعة فى غرب سوسكس وفى جنوب نهر التيمس ماعدا كورنوال أسسها (صرديق) فى سنة ٤١٩ بعـد الميلاد (رابعا) ـ اسكس أى صكصونية الشرقية تشمل صكصونية الشرقيـة وصكصونية الوسطى أسسها (عرصنوين) فى سنة ٥٢٧ بعد الميلاد (خامسا) ـ عمبريا الشمـالية من شمال نهر عمبر الى نهر الفورط أسسها (عيدا) فى سنة ٥٤٧ بعد الميلاد (سادسا) ـ انغليا الشرقية تشمل نورفلك ـ وسوفلك ـ وكامبريدج أسسها (عوفا) فى سنة ٥٧٥ بعد الميلاد (سابعا) ـ مرسيه تشتمل على الكونتات المتوسطة أسسها (كريده) فى سنة ٥٨٢ بعد الميلاد

واستمرت المهاجرات جارية من السـواحل الجرمانية الى بريطانيا لحـد غلاق القرن السادس من التاريخ المسيحى فأما (الشتلنديون) فانهم ماتركوا وراء ظهورهم شيأ تذكارا الفتوحاتهم وأما الانكليز فانهم وضعوا على المملكة اسم انكلتره أو انجلند أى أرض الانكليز ومازالت الامة الانكليزية متمسكة بانها قسم من الجنس الصكصونى وتولد من اختـلاف اللغات الجرمانية لسان جديد فى الجزيرة عرف باللسان الانكليزى الصكصونى وكان الصكصونيون مثل الفاتحين الطوطونيقية أهل عتو وشدة بأس فكانوا لا يعرفون الحضارة ولا يراعون شـيأ من تمدن رومة وصـنائعها وعلومهـا ومعارفها وماقبلوا الدخول فى الديانة المسيحية مثـل الغوطيين بل داوموا عاكفين على عقائدهم الوثنية وقتلوا وأسروا وفتكوا فى البريطانيين الصـلط الذين قاوموهـم وطردوهم الى جبال الويلس ودمروا أنواع التمدن والحضارة التى نشرها الرومانيون فى الجزيرة ومحوها عن آخرها وكذا العوائد المدنيـة والاعمـال القانونيـة والمحاكم العدلية وألقاب الشرف وهيئات الادارات والمصالح وصور التآلف والعمـران وأنواع الجمعيات والشركات والحقوق الداخليـة المنزليـة فى طرائق الزواج والشهادات والمواريث زالت جميعها وانقرض دابرها وصار لافـرق بين الشريف والوضيع ووقع الحكم على الحر والعبـد حسب نص العوائد الجارية عند رعاة الجرمانيين واصوصهم وانقرضت العلوم والصنائع والدخول فى الديانة المسيحية التى كان عليها الرومانيون فى العصر السابق بسبب وقوع هذا الاختلال العام وحافظ الجرمانيون على هيئة لسانهم وصار هو المستعمل فى الجزيرة

ثم انه على حسب نصوص الروايات كانت أول مملكة طوطونيقيـة قامت فى الجزيرة هى مملكة كنط وتأسست من بعـدها الممالك الاخر كما سبق ترتيبها وأسماء مؤسسيها وتاريخ مـدة تأسيسها وعرفت هـذه الممالك بحكومات السبعة ملوك فكان هـذا الاسم خطأ بسبب أنه ما كان يوجد فى وقت من الاوقات سبع ممالك منتظمة مرتبة بل كانت على الدوام فى محاربات ليس مع الويلسيين فقط بل مع بعضها أيضا فكان تعـداد كل مملكة يزيد أو يقـل فى حالة ما اذا حاز أحد الملوك النصر على أقرانه واذا حكمهم لقبوه بلقب (طاغيـة بريطانيا) وداوم البريطانيون على المحاربة مع الصكصونيـين بالشدة

من أجل أملاكهم والذين ما قبلوا الدخول فى طاعة الصكصونيين طردوا الى الجهة الغربية من الجزيرة ونواحى الويلس فأسسوا فى تلك الجهات ممالك واستقلوا بأمرهم فيها وفى أثناء هذه المحاربات مع صرديق مؤسس مملكة صكصونية الغربية اكتسب الملك الانكليزى (ارثر) شهرته وغنت الشعراء باعماله واشتهرت حكاياته وصفاته فى الحكايات الشعرية زيادة عن القصص التاريخية فكان يجمع شجعانه حوله فى عاصمته (كاملوط) ويبرز لميدان الحروب واستمر أربعا وعشرين سنة فى محاربات من أجل المدافعة عن مملكته وكسر الصكصونيين فى اثنتى عشرة واقعة وقيل انه انجرح فى حرب مع ابن أخيه وكان عصى عليه فمات ودفن فى (غلاسطونبورى) فى سنة ٥٤٢ بعد الميلاد وأشهر حادثة فى التاريخ الانكليزى فى القرن السادس دخول صكصونى كنط فى الديانة المسيحية وكانوا كماذكرنا أهل أوثان يعبدون (أودين ـ وطور) متمسكين بعوائد آبائهم الجرمانيين وكان جوريجورى الاكبر رأى بعض الغلمان ذوى الجمال البارع والشعور الطويلة المسبلة من نواحى (يورقه) فى سوق الرقيق فى رومة فرغب فى دخول الصكصونيين فى الديانة المسيحية ولما جلس على كرسى البابا وية أرسل الى انكلتره شرذمة من المبعوثين تحت قيادة راهب رومانى اسمه أوغسطين (تلقب بعد ذلك بالتقديس) من أجل خطابة الانجيل بين الصكصونيين فنزل أوغسطين فى كنط فى سنة ٥٩٧ بعد الميلاد مع أربعين راهبا معه وكان فى هذا الوقت ملك كنط اسمه (عثلبرت) أقوى الملوك شوكة فى انكلتره الجنوبية ومتزوجا (برثة) ابنة (شاريبرت) ملك باريس وكانت مسيحية فقوبل أوغسطين ورفقاؤه باحسن مقابلة خصوصا بواسطة سلطة برثة زوجة الملك واستعد عثلبرت لسماع خطابة أوغسطين وأصحابه ولما خاف من أن هؤلاء الرهبان ربما يتقوا عليه بسحرهم قابلهم فى الخلاء فى جزيرة (طانيط) معتقدا فى نفسه أن أعمال السحر لايقع منها أدنى تأثير تحت حرارة أشعة الشمس ولما سمع خطابتهم أمر باستعداد محل لهم فى عاصمته مدينة (كانتربورى) وفى مدة قليلة أذعن لدلائل أوغسطين وحضن الديانة المسيحية وتعمد وتبعه الكثير من قومه وصار أوغسطين أسقف العاصمة وكنيستها العظمى أم الكنائس الانكليزية ووقع الاصلاح فيها عدة مرار وأدخل أوغسطين شروط الصلاة الرومانية وقواعدها باللغة اللاتينية التى كانت غير معروفة فى انكلتره

وفى القرن السابع تقدمت الديانة المسيحية تقدما زائدا فى انكلتره ومن بعد مدة ارتد أهل كنط ورجعوا للديانة الوثنية بسبب ارتداد (عيدبالد) وكان تزوج حماته وكان هذا الزواج محرما عند الكنيسة غير أنه بواسطة اجتهادات (لورانطيوس) خليفة أوغسطين طلق حماته من عصمته وارتد عن الديانة الوثنية وعاد الى الكنيسة ومعه كامل أمته

وفى سنة ٦١٧ بعد الميلاد جلس (عدوين) على تخت عمبريا الشمالية وصار أعظم ملك فى بريطانيا وتزوج (عثلبرغ) بنت عثلبرت صاحب كنط وكانت على الديانة المسيحية فذهب معها الى ديوان زوجها قسيس اسمه (يولينوس) فنجحت الملكة والقسيس (يولينوس) فى ادخال عدوين فى الديانة المسيحية وتعمد عدوين فى كنيسة أسسها فى يورقه ثم انه من بعد مماته ارتد عدد عظيم من رعيته الى الديانة الوثنية وابتدأ تنصر المملكة ثانيا بمعرفة (عوصوالد) الذى جلس على التخت فى سنة ٦٣٤ بعد الميلاد

وفى

وفى سنة ٦٨٥ بعد الميلاد تعين (كوثبرت) راهبا من عمبريا الشمالية أسقفا فى (لنديسفارن) فعكف على الخطابة والوعظ فى القرى وبين عوام الامة خصوصا القاطنين فى الجهات القاصية التى يصعب الوصول اليها وماقدر المبعوثون على التوجه اليها وانتشرت الديانة المسيحية من كنط وعمبريا الشمالية على التدريج الى الجهات الاخرى من انكلتره

وفى غلاق القرن الثامن كانت عمبريا الشمالية ومرسية وصكصونية الغربية هى الثلاث ممالك الباقية فقط ووقع بين عمبريا الشمالية ومرسية عدة حروب طويلة سافكة حازت فيها مرسية أخيرا النصر والسيادة وفى مدة هذه الحروب كان الملك المرسيانى المشهور هو عوفا المهول الفظيع فاخضع كافة الممالك تحت حكمه ماعدا صكصونية الغربية وأنشأ خندقا عميقا من نهر الدى الى فم نهر الوى من أجل مقاومة غارات الويلس كان معروفا باسمه مدة طويلة وكانت سلطنته من سنة ٧٥٧ بعد الميلاد الى سنة ٧٩٦ وأمر بقتل ملك المجيليا الشرقية وأضاف هذه المملكة الى ممالكه وكان صديقا لشرلمانيه ومحالفا له وأرسل لشرلمانيه على حسب طلبه القسيس (علكوين) وكان مشهورا بمعارفه فصار هذا القسيس عند شرلمانيه من أعز أصدقائه والمعتمد عليه عنده سنين عديدة وكان استاذه فى العلوم والمعارف ومع هذا فكان عوفا رجلا جبارا خائنا ماكرا وكان له مقاصد فى تأييد أعماله فى الدنيا فسلك من أجل تكفير مافعله من السيآت مسلك التواضع والخشوع وجعل ديوانه مأوى القسس والخرافات وأعطى عشر مدخوله للكنيسة وأنعم بالهبات الوافرة على كنيسة (هيرفورد) وسافر لزيارة رومة وبشوكته وكثرة أمواله استحصل على رخصة البراءة والغفران من البابا ولاجل زيادة ميل وتعطف البابا عليه عهد على نفسه دفع هبة سنوية من أجل المساعدة على انشاء مدرسة انكليزية فى رومة وضرب من أجل تيسر الحصول على هذا المبلغ عوائد على منازل السكن (بنى واحد على كل بيت مدخوله ثلاثون بنس فى السنة الواحدة) وجبيت هذه العوائد من مساكن انكلتره وأطلق عليها العوام اسم بنى بطرس ومع أنها كانت تدفع عطية ومنحة فى الاول غير أن البابا فى رومة طلبها بعد هذا بصفة خراج مضروب على المملكة لدار القسوسية المقدسة

ومن بعد موت عوفا فى سنة ٧٩٦ بعد الميلاد استمرت شوكة مرسية مدة قليلة من الزمن فى زمن سلطنة ابنه (صنولف) ثم كسفت شوكتها وسعادتها من خيام عليها اضياء ومجد المملكة الصكصونية الباقية وهى مملكة صكصونية الغربية وذلك أنه فى سنة ٨٠٢ بعد الميلاد جلس اغبرت على تخت صكصونية الغربية وكان برنساصرف عدة من السنين فى فرانسا فى ديوان شرلمانيه وتعلم من هذا الفارس العظيم فنون الحرب والحكومة ثم دعى لتخت صكصونية الغربية وفى مدة سلطنته صارت صكصونية الغربية المملكة الرئيسة التى لامنازع لها عند الامة الانكليزية واستحصلت الممالك الصغيرة مع الممنونية حمايته من مرسية وخضعت لسيادته وتغلب على عمبريا الشمالية من دون وقوع محاربات واشتغلت مرسية بمحاربات شديدة من أجل بقاء شوكتها وسلطنتها وفى سنة ٨٢٧ بعد الميلاد أرغمت على الانقياد لصكصونية الغربية ومع أنها استمرت نصف قرن مجرية أعمالها بملوكها الا أنهم كانوا عبيدا لملك صكصونية الغربية ومن ثم انضمت الممالك الصكصونية فى انكلتره وصارت فى جامعة واحدة تحت حكومة (اغبرت) وانقطع دابر مدة حكومة الملوك السبعة ومن بعد أن فتح اغبرت مرسية أرغم سكان الويلس على الاعتراف بسيادته وصارت عموم الامة

الملك عوفا

الملك اغبرت

الصلطية الموجودة فى جنوب نهر (الدى) وكذا كافة الامة الصكصونية عبيد اله ثم وقفت سيادته بغارة الدانيمارقيين وكان هؤلاء الحربيون من جنس واحد مع الصكصونيين ومشابهين لهم فى الصفات والعوائد وكان قوادهم معروفين باسم ملوك البحر وكانت سفائنهم منقوشة على هيئة الافاعى الكبيرة وعلى أعلامهم شكل غراب وأسلحتهم مقصورة على البلط والدرق والمطارق أى الدبابيس وكانوا يعبدون أودين وطور وكانت عندهم العداوة الكبرى للصكصونيين بسبب دخولهم فى الديانة المسيحية فمن ثم كانوا يقتلون أهل كل جهة نزلوا فيها ويحرقون مساكنها ويهدمون كنائسها ومن المحتمل أن نزولهم الاول كان فى سنة ٧٨٧ بعد الميلاد فى مدة سلطنة عوفا وكانت جهة نزولهم فى الابتداء فى نواحى (الديفون ـ وكورنوال) وفيهما قابلهم البريطانيون بالرحب والسعة ضد أعدائهم المشتركة الصكصونيين وأخيرا هزمهم اغبرت فى سنة ٨٣٥ بعد الميلاد فى واقعة دموية فى نواحى الكورنوال ومات اغبرت فى سنة ٨٣٨ بعد الميلاد وخلفه ابنه (عثلوولف) على تخت

عثلوولف

صكصونية الغربية وخلف من زوجته الاولى (عوسبرغه) أربعة أولاد كلهم جلسوا على التخت فى وقت دورهم وقيل انه كان تربى تربية الرهبان فى دير وذهب فى آخر أيامه الى رومة للزيارة مصحوبا بولده الاصغر ألفريد وعند عوده من طريق فرانسا تزوج (يوديثه) ابنة الملك شارلس الاصلع وكان عمرها اثنتى عشرة سنة وفى نحو هذا الوقت منح عشر خراج الارض للمقاصد الديانية وكانت سلطنته مرتبكة باستمرار الدانيمارقيين على نهبهم وسلبهم فى طول مدة هذه السلطنة وبعودهم فى المملكة فى كل سنة فتولد من ذلك الضرر والاذى وتحمل العناء لاهل المملكة وأخيرا غيروا عادة سلبهم واستوطنوا جزيرة (طانيط) وأقاموا فيها مواطن ومساكن لقضاء فصل الشتاء ثم جددوا الحرب فى فصل الربيع القابل وحرقوا مدينتى لوندره وكانتربورى فهزمهم عثلوولف فى سنة ٨٥١ بعد الميلاد هزيمة كبيرة غير أنهم داوموا على شقاوتهم وسلبهم مع ماوقع عليهم من المصائب ومن بعد موت عثلوولف تزوجت (يوديثه) زوجته ابنه عثلبالد ربيبها ثم طلقها رغم أنفه فعادت الى فرانسا وتزوجت بالدوين صاحب فلندره فكانت جدة ماطيلده زوجة غليوم الفاتح وكان مجىء الدانيمارقيين فى الابتداء من أجل النهب والغارة ولما قطنوا فى جزيرة طانيط أنذروا الناس بقصودهم فى تشكيل مستعمرات ومواطن على أرض انكلتره ومات عثلوولف فى سنة ٨٥٨ بعد الميلاد

عثلبالد

فجلس ابنه (عثلبالد) على تخت صكصونية الغربية وسمح لاخيه (عثلبرت) بحكم الباقى من المملكة وكان عثلبالد فاجرا جلب على نفسه غضب قومه بتزوجه امرأة أبيه ثم مات فى سنة ٨٦٠ بعد الميلاد وخلفه أخوه عثلبرت فى سنة ٨٦٠ فتسلطن خمس سنوات وكانت كلها فى حروب مع الدانيمارقيين ومات عثلبرت فى سنة ٨٦٦ بعد الميلاد وخلفه أخوه (عثلريد الاول) وجلس على تخته وفى هذه السلطنة كان المقصد عند الدانيمارقيين الغلبة على انكلتره مع الشدة فتغلبوا على (عمبريا الشمالية ـ ومرسية ـ وانجيليا الشرقية) وجعلوا أنفسهم فى سنة ٨٦٦ بعد الميلاد أسياد هذه الممالك فى ظرف خمس سنوات وقتلوا (عدموند) ملك انجيليا الشرقية ثم انفجر الدانيمارقيون فى صكصونية الغربية فالتقاهم عثلريد وأخوه (الفريد) فى سنة ٨٧١ بعد الميلاد فى واقعة بعد واقعة وكان الظفر بين الحزبين وفى واقعة حصلت فى (مرطون) انجرح عثلريد جرحا بليغا ومات فى تلك السنة وترك أخاه الفريد ملك انكلتره والله أعلم

عثلبرت

عثلريد الاول

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من جلوس الفريد الاكبر الى الفتح النورمانى ﴾

تغلب الدانيماركيين على انكلتره ـ غوثروم ـ هرب الفريد واختفاؤه ـ مخاطراته ـ عود ألفريد الى الحرب ـ هزيمته الدانيماركيين فى عدنغطون ـ دخولهم فى الديانة المسيحية ـ الاستيطان مع الدانيماركيين ـ بناء ألفريد مدينة لوندرة مرة ثانية ـ ترتيبه قوة عسكرية ـ صفة ألفريد ـ قانونه الداخلى ـ أصل القانون العام ـ تدبيره فى أعماله ـ تأسيسه المدرسة الجامعة فى أوكسفورد ـ علاقاته الخارجية ـ موت ألفريد ـ سلطنة ذريته ـ دخول مذهب الرهبانية فى انكلتره ـ القديس دنسطان ـ عدوى وعلغيفا ـ صيرورة ادغار ملكا ـ ادوارد الشهيد ـ عثلريد غير العاقل ـ تغلب الدانيين أو الدانيماركيين على انكلتره ـ سلطنتا صوين وكانوط ـ هارديكانوط ـ سلطنة أدوارد المعترف ـ صيرورة هارولد ملكا ـ هزيمة الدانيماركيين ـ اغارة غيليوم صاحب نورمندى على انكلتره ـ واقعة هاستنغ ـ قتل هارولد

لما جلس الفريد على تخت أخيه فى سنة ٨٧١ بعد الميلاد كان له من العمر اثنتان وعشرون سنة ووجد أن الدانيماركيين تغلبوا على نصف مملكته فحاربهم محاربة شديدة البأس مدة السبع سنين الاولى من سلطنته وفى سنة ٨٧٨ بعد الميلاد أغاروا على صكصونية الغربية تحت قيادة (غوثروم) قائدهم فالتقاهم الفريد ونال عليهم بعض المظفرات الا أن قواهم كانت كل يوم فى ازدياد حتى تغلبوا على (شبندهام) مركز ألفريد ولما رأى ألفريد كثرة القوى التى أحاطت به تنازل عن ملكه وهرب فى صورة فلاح الى مستنقعات (سمرسيطشير) ولبث مدة من الزمن فى بيت رجل راع كلفه برعاية أبقاره وما كان لامرأة الراعى معلومية بحالة الملك ضيفها فأمرته يوما من الايام وهو قاعد بجانب النار يصلح قوسه ونشابه بحفظ فطير كانت تقليبه على النار وقد ذهبت لقضاء أشغال أخرى فى البيت وكان ألفريد مشتغل البال والفكر فى شأن نفسه فنسى ما أمرته به امرأة الراعى فلما رجعت ووجدت فطيرها أحرقته النار وبختبه جدا على عدم التفاته وقالت له بصوت عال أنت مهمل فى كل شئ حتى فى الذى ستأكله ما أهملك من ولد ولما رأى ألفريد حركة عدوه أخذت فى البطء جمع سرا بعض أتباعه وتقهقر فى جزيرة سعتها نحو فدانين فى وسط مستنقع مكون من مياه راكدة من نهرى الطوب وباريط من أعمال (سمرسيطشير) فأنشأ فيها مساكن أخصاص لاتباعه وكان لها مسالك مجهولة لايمكن الوصول اليها ومحفوظة بالطبع بالمياه الراكدة والاورمانات الموجودة حولها فأطلق على هذه الجزيرة اسم (اثلنى) وصار يخرج منها مع أتباعه ويغير على العدو وعاش فيها على ما كان يكتسبه من عدوه ثم عزم من بعد هذا على مبارزة العدو وضربه ضربة يستقبل بها بلاده الا أنه رأى من قبل أن يخاطر فى هذا الامر الذى ربما تكون عاقبته مشؤمة عليه أن يكشف بنفسه معسكر العدو فاختفى فى هيئة رجل آلاتى ودخل فى معسكر الدانيماركيين ولبث يغنى ويضرب على عوده عندهم فرحبوا به وأكرموه حتى أوصلوه الى خيمة (غوثروم) قائدهم فلبث فيها بضع أيام وعرف كافة ما عليه المعسكر من الاحوال من عدم المحافظة وقلة المؤنة والنهب الفظيع الواقع منهم ثم عاد وأرسل رسله الى رعاياه الاكثر

سلطنة الفريد الاكبر

خضوعاله وطلبهم في وقت معلوم للغارة على العدو وتحرير بلادهم وعين محل اجتماعهم في (بريكسطون) في أطراف غابة (صلوود) فهرع الانكليز اجابة لطلب ملكهم الى المحل المعلوم في اليوم المعين مع غاية الرغبة والشوق من بعد ماقنطوا من حريتهم ورضوا برقهم فساقهم الى (عدنغطون) وكان فيها معسكر الدانيمارقيين فوقع عند الدانيمارقيين الاستغراب من رؤيتهم جيشا انكليزيا مع أنهم كانوا يعتقدون أنهم أخضعوا الانكليز وكانت زيادة استغرابهم من سماعهم أن ألفريد في رأس هذا الجيش فحاصل منهم وقت الهجوم الامدافعة قليلة ثم ولوا الادبار ومن خلفهم القتل والاسر وهرب مابقي من الجيش الدانيمارقي مع قائدهم غوثروم الى معسكرهم فحاصرهم فيه ألفريد أربعة عشر يوما وضيق عليهم حتى قلت من عندهم الذخائر والمؤن ووقع فيهم الجوع وأرغموا على التسليم بأي حالة كانت فعقد ألفريد معاهدة مع غوثروم في سنة ٨٨٠ بعد الميلاد بها ترك الدانيمارقيون صكصونية الغربية وقسما من مرسية واقعا في الجهة الجنوبية الغربية من الطريق (الواطليني) ودخل رؤساؤهم في الديانة المسيحية وتعمد (غوثروم) في هذه السنة واشتغل ألفريد في معمدة غوثروم في جرن المعمودية وصار اشبيناله واستلم الدانيمارقيون بصفة أنهم عبيد للملك صكصونية الغربية انجليا الشرقية وقسما من صكصونية الشرقية ومرسية وأطلق على هذه الجهة اسم البلاد الدانيمارقية ولهم آثار باقية لحد الآن موجودة في القرى والبلدان وامتزج الدم الانكليزي بالدم الدانيمارقي وأعاد ألفريد بناء لوندره والمدائن الاخرى التي كان الدانيمارقيون خربوها وفي مدة سني السلم قوى ألفريد مملكته بادخاله في المملكة الطريقة العسكرية وبتشكيل قوة أسطول بحرية من أجل ملتقى ملوك البحر عند هجومهم واغاراتهم ومن بعد هذا ماكان للدانيمارقيين أمل في انتصارهم عليه وفي نحو غلاق سلطنته أي في سنة ٨٩٣ بعد الميلاد قام قائد آخر اسمه (هاسطنغ) وجاء ومعه ٣٣٠ سفينة واجتهد في أن وضع قدمه في الجزيرة ومضى عليه ثلاث سنوات في شن غارات وخراب في الجهة الجنوبية ونجح ألفريد في طرده أخيرا الى بلاده ومابقي من مدة سلطنته كان أمنا واستتباب راحة

وحاز ألفريد أجل الفضائل التي اقب بالاكبر وكانت مدة حياته في كد وتعب فيما تعود منه المنفعة والصلاح على رعيته وماوجد اسم في تاريخ السابقين يعادله فكان رجلا فارسا حربيا وتربى في رومة وعرف طريقة سلطنة القانون والنظام الذي عليه مدار سعادة الامة الواحدة فلما تغلب على الدانيمارقيين شرع في المحافظة على مملكته فسن القوانين وحدد الحدود والادارات العدلية والاحكام الفاصلة وألف قانونه الداخلي من القانون (الموسوي) والقوانين الانكليزية القديمة وأضاف اليها قليلا من القوانين من نفسه على حسب حالته الراهنة وقال انه لا نعرف كيفية قبولها عند الذين يأتون من بعده وكان قانونه يطلق عليه اسم القانون العام وأنشأ أسطولا عظيما من السفن الحربية وبذل مجهوده في احياء السلطة البحرية القديمة الانكليزية وأمر رجاله البحرية بالتجول في البحر واجتهد في سياحات استكشافية في الجهات الشمالية وأغدق بالهبات الوافرة على الكنائس والديورة واجتهد في علو شأن التعليم فيما بين رعيته فأنشأ المدارس في جهات مملكته وشيد مدرسة المعارف في أوكسفورد وأدخل كافة صنائع المشغولات من كل جنس في مملكته وحث عليها وكافأ المخترعين والمصلحين في أشغالهم مكافآت وافرة ووجدت التجارة فيه لنفسها محبا صادقا وما أهمل طريقة وجب عليه

اجراؤها

اجراؤها الا أجراها فى التعليم والتهذيب وتربية الاحساسات والادراكات أو أى مادة يعود منها الاصلاح على مملكته وساعد الفقراء مساعدات كبيرة وخصص سبع ايراده لبقاء كثير من الشغالة استخدمهم فى بناء المدائن الخربة والقلاع والسرايات والمعابد وأرسل رسلا الى البابا وبطريق أورشليم والى الهند بصدقات للكنائس المسيحية الموجودة فيها التى تأسست بمعرفة القديس توما و (بارطلمى) وغيرهما من المبعوثين فكانت هذه أول المعاملات بين انكلترة والهند وكان ألفريد أنموذجا عظيما لقومه فى كافة الاشياء وكان مرعيا عند الاغراب فضلا عن رعيته أنه الملك الاكبر من بعد شرلمانيه الذى كان ظهر فى قارة أوروبا من عدة عصور مضت وكان أعقل وأحسن واحد تزينت به صحف التواريخ السنوية عند أى أمة كانت

سلطنة ادوارد

ومات ألفريد الاكبر فى سنة ٩٠١ بعد الميلاد وخلفه ابنه (ادوارد) البكرى فكان معادلا لأباه فى الفروسية الا أنه كان أقل درجة منه فى العلوم الادبية ووقعت المنازعة فى جلوسه على التخت من ابن عمه (عثلوالد) بن عثلريد الاول وذلك أنه اتحد مع الدانيمارقيين الموجودين فى عمبريا الشمالية وانجيليا الشرقية وأهاج حربا على ادوارد فقتل عثلوالد فى هذا الحرب وخرجت عمبريا الشمالية وانجيليا الشرقية وصكصونيه الشرقية من يد الدانيمارقيين وهنأت الامة ادوارد ورحبوا به من أجل انه هو المخلص لهم وصار ملك عموم انكلتره الواقعة فى جنوب (الهمبر) وأول ملك صكصونى لقب بملك انكلتره وقرر ملوك الويلس وعمبريا الشمالية و (سطرط كليد) واسكوطلنده سلطنته واختاروه سيدا لهم فكان خضوع اسكوطلنده فى هذه الحالة أقبح خضوع لانه من عهد ادوارد الى حد القرن الرابع عشر صارت اسكوطلنده مرعية على الدوام بانها مملكة تحت الرق الانكليزى ومات ادوارد فى سنة ٩٢٥ بعد

سلطنة عثلسطان

الميلاد وخلفه ابنه (عثلسطان) على الكرسى وانتخبته الامة ملكا فتمم أشغال أبيه وجعل عمبريا الشمالية قسما من مملكته وزوج واحدة من أخواته الى (سيطريق) برنس عمبريا الشمالية وصيره ملكا عليها وأخذ عليه عهد الطاعة فى استحواذه على مملكة (برنيسيه) من نهر الطيس الى مدينة (ايدنبورغ) ولما مات سيطريق أضاف عثلسطان هاتين المملكتين الى ممالكه وهرب ولدا سيطريق احدهما هرب الى ارلنده فقابله الدانيمارقيون مع السرور وهرب الآخر غوثريث الى قنسطنطين ملك اسكوطلنده وظهرت بعد سنين دلائل هروبهما وذلك أنه فى سنة ٩٣٤ بعد الميلاد أنشب قنسطنطين ووارثه (أوغينوس) ملك (كمبرلند) حربا على انكلتره فانهزما وأرغما على الاعتراف بسيادة عثلسطان ثم بعد هذا وجه الملك التفاته الى الجهات الخارجة ودخل فى أمر ابن أخته لويز بن شارلس البسيط وساعده فى الغارات التى وقعت عليه من صهريه (أوطو) صاحب جرمانيا و (هيو) ملك باريس وفى أثناء هذه الحركة قامت الممالك الاسكوطلندية فى ثورة وتشكلت ثورة مهولة على عثلسطان رأسها (عنلاف) ابن (غوثريث) الذى هرب الى اسكوطلنده وقنسطنطين و (عووين) وعدة ملوك من الدانيمارقيين من ارلنده وكان مقصدهم قيام الدولة الدانيمارقية مرة ثانية فى عمبريا الشمالية فأوقع عليهم عثلسطان هزيمة فاصلة فى واقعة (برانبورغ) فى سنة ٩٣٧ وكان هذا الملك غيورا فى أمر الديانة وحريصا على انتشار التجارة وصدر منه أمر بترجمة التوراة الى اللسان الانكليزى الصكصونى ووضع فى كل كنيسة نسخة منها ومنح لقب رتبة (الطان) على كل تاجر يسافر فى مركبه ثلاث مرات ومات عثلسطان سنة ٩٤٠ بعد الميلاد وهو أول من لقب نفسه بامبراطور بريطانيا وسار على

منواله خلفاؤه من بعده كي يكونوا أسياد عموم الجزيرة ومستقلين عن الامبراطورات الجرمانية

سلطنة عدموند الاول
وخلف عثلسطان (عدموند الاول) الملقب بالسامى بن ادوارد البكرى فالغى عدموند مملكة سطرطكليد ومنح بالقسم الاعظم منها (كبرلند – وغالوى) على ملك اسكوطلنده بصفة التزام وقتل عدموند وهو على مائدة العشاء بمعرفة لص فى سنة ٩٤٦ بعد الميلاد

سلطنة عدريد
ثم انتخب (عدريد) بن ادوارد البكرى ملكا بسبب ما كان عليه أولاد عدموند من عدم الارشاد للحكم فاجتهد الدانيمارقيون مرة ثانية فى القيام فى ثورة فى عمبريا الشمالية فحطم عدريد فى الحال هذه الثورة ورتب محافظين فى المدائن الاصلية الموجودة فى المملكة وكان المستشار الاكبر للملك رجلا قسيسا اسمه (دنسطان) فرغب هذا القسيس فى ادخال تغييرات فى الكنيسة كانت سببا فى قيام المعارضات عليه ومن ثم انقسم خدمة الدين الى حزبين دينى وغير دينى فالحزب الدينى مؤلف من خدمة الدين الساكنين فى محلات دورة وكنائس مشيدة لهم وغير الدينى مؤلف من العائشين على المنافع الدنيوية ومن قسس فى وظائف كنائسية وعزم دنسطان على ادخال مذهب الرهبانية بين خدمة الدين واجتهد فى ابعاد خدمة الدين الدنيوية من الكنائس الكبرى وأمهات الكنائس فتوقفت أعماله مدة من الزمن بموت عدريد فى سنة ٩٥٥ بعد الميلاد

سلطنة عدوى
وجلس (عدوى) الجميل بن عدموند الاول على التخت ملكا من بعد موت عدريد فعارض دنسطان فى المواد الكنائسية وولد من تزوجه بواحدة من أقاربه اسمها (علغيفا) مشاحنة جهرا بين دنسطان وبين الملك وفى يوم تتويج (عدوى) قام من على طربيزة فسحة التتويج وتوجه الى محل زوجته وحماته فأسرع خلفه دنسطان وعودو أسقف (كانتربورى) ولعنا الملكة وأرغما الملك على العود الى الطربيزة فنفى عدوى القسيس دنسطان ونجح عودو فى فراق علغيفا من زوجها ومن بعد أن أحرق وجهها وأفسد جمالها أرسلها منفية من انكلترا الى ارلانده وعند عودها من ارلانده من بعد مضى قليل قابلها جواسيس عودو فى الطريق فقطعوا شرايين سيقانها وقتلوها وقام معاضدو دنسطان وعودو فى نواحى مرسية وعمبريا الشمالية وثاروا بأهل هذه البلاد فى ثورات على عدوى وانتخبوا أخاه ادغار ملكا عليهم ودعوا دنسطان من منفاه وأرغموا عدوى فى سنة ٩٥٧ بعد الميلاد على أن يكون لنفسه الاراضى الواقعة فى جنوب نهر التميس ثم أعقب هذه الحوادث موت الملك من بعد مضى قليل

سلطنة ادغار
وانضمت المملكة ثانيا تحت حكم ادغار فى سنة ٩٥٨ بعد الميلاد وجلس ادغار على كرسى المملكة من دون منازع وكانت مدة سلطنته عشرين سنة خالية من الارتباكات وعين دنسطان أسقف كانتربورى من بعد موت الاسقف عودو وساعد أعماله مع العنف على حزب القسس الدنيوية وفى مدة هذه السلطنة وصلت الدولة الاكصونية فى انكلتره الى أقصى درجات الارتقاء واعترف الويلس واسكوطلنده بسيادة ادغار ودولته ولما صرح للدانيمارقيين بامتياز تشريعهم قوانين لانفسهم ماوقع منهم أدنى مقاومة لحكمه وكان يتوجه سنويا فى سائر أنحاء المملكة لرؤية أعمال الحقوق العدلية والسير على مقتضى القوانين الشرعية وبينما كان فى زيارة (شيستر) اذ رأى المملكة ملآنة بالذئاب الكاسرة فرتب على أهل الويلس كل سنة ٣٠٠ رأس ذئب فى نظير الخراج المعتاد المطلوب منهم سنويا وعفا عن الكثير من أهل الجرائم فى نظير تدميرهم هذا الحيوان المفترس وغيره من الحيوانات الوحشية الاخرى وأصدر أمرا فى اصلاح

الموازين

الموازين والمكاييل وصيرورتها على قرار ثابت وزاد فى فلاح انكلتره بربط علاقات ودية تجارية مع الممالك الاجنبية وقوى الاسطول البحرى لاجل حفظ المملكة من طوارئ غارات تأتى لها من طريق البحر وكان أغوذجا للظرافة والاخلاق السمحة وصار دنسطان وحزبه فى مدة سلطنته ينشرون عقائدهم بالقوة جبرا وألزمت الكنيسة خدمة الدين بالرهبانية وأدخلت فى الوظائف الرهبان وطردتها القسس المتزوجون وأخرجوا من وظائفهم وأظهر ادغار نفسه فى هذا الامر وقواه ولما كان مداوما على السلم مع الرهبان كانت سلطنته أسعد السلطنات التى رأيناها فى التاريخ الانكليزى فى تلك المدة ومات فى سنة ٩٧٥ بعد الميلاد تاركا ولدين ادوارد وعثلريد

سلطنة ادوارد الشهيد

وجلس ادوارد الملقب بالشهيد على التخت بواسطة نفوذ دنسطان مع أنه كان موجودا حزب قوى مع ابن ألفريده زوجة أبيه وكانت سلطنته قصيرة وذلك أنه فى حالة ما كان فى الصيد بالقرب من قلعة (كورفى) زار امرأة أبيه وطلب وهو راكب على حصانه شرابا وفى حالة شربه كاس الخمر أشارت بضربه من الخلف بخنجر فضربه واحد من خدمها فمات بعد ذلك بقليل وبسبب اغداقه على الرهبان بخيراته أطلقوا عليه اسم الشهيد وصار معروفا فى التاريخ بادوارد الشهيد وكانت سلطنته أربع سنوات خالية من الحوادث

سلطنة عثلريد الثانى

ثم صار (عثلريد الثانى) الملقب بغير الحاضر ملكا عند وفاة أخيه فى سنة ٩٧٩ بعد الميلاد وكان عمره عشر سنوات فى وقت جلوسه على الكرسى وفى مدة التسع سنين الاولى من سلطنته حجر عليه دنسطان وحدد له حدودا وقوى مجلس النيابة عليه ومن بعد موت هذا القسيس فى سنة ٩٨٨ بعد الميلاد ترك (عثلريد) نفسه فى يد أقبح المتقربين منه فما كانوا كفؤا لاشغال المملكة سوى أن قادوه للنهب والخطف وكان عاجز الرأى جبانا أحمق حازمين بد مستشاريه لقب غير العاقل أو غير الحاضر وفى السنة الثانية من سلطنته أى فى سنة ٩٨٠ بعد الميلاد جدد الدانيمارقيون غاراتهم تحت قيادة (صوين) صاحب دانيمارقه و(عولاف) صاحب نرويج وكان تولد من كثرة وجود الوظائف الكنائسية فى السلطنة السابقة ضعف ايراد المملكة فى النقود والانفس وضعفت حكومة (عثلريد) بالكلية وصار لا طاقة لها على مقاومة المغيرين عليها وكثرت الاختلاسات جدا من الاشراف حتى ضعف أمر الانكليز ثم فى سنة ٩٩١ بعد الميلاد رأى الملك أن أحسن الطرق له فى سلامة المملكة من هؤلاء اللصوص هو شراؤهم والنقود التى جمعت لذلك تيسر الحصول عليها من جهات الدانيمارقيين بضرب عوائد قيمتها اثناعشر بنسا على كل فدان من الارض وجبيت فى الابتداء بشأن خفر السواحل من اغارات الدانيمارقيين واستمرت هذه الضريبة الى سلطنة هنرى الثانى ثم ألغيت أخيرا وتولد من دفع النقود اغارات جديدة وأخيرا عزم عثلريد على خلاص المملكة من هؤلاء الاعداء بوقوع مذبحة عمومية فى يوم عيد القديس (برايس) الواقع فى ١٣ نوفمبر سنة ١٠٠٢ بعد الميلاد من بعد أن دفع لهم خراجا أول مرة ١٦٠٠٠ ليره وثانى مرة ٢٤٠٠٠ ليره وكان من ضمن مقتولى هذه المذبحة (غنهيلد) أخت صوين وزوجها وأولادها فحلف صوين ليأخذن بالثأر فوصل على الفور الى انكلتره فى قوة عظيمة وجاء من بعده مباشرة ارل (توركيل) بقوى من طرف ملوك البحر وملك دانيمارقه وأغار على المملكة وأوقع فيها الخراب وقتل الدانيمارقيون (الفيغ) أسقف (كانتربورى) فاشترى عثلريد من أعدائه سلامة بلاده مرتين بدفع مبالغ من النقود لهم ثم ان صوين اصطحب بابنه وعبر البحر فى أسطول حامل للقوى الدانيمارقية بقصد التغلب على

الجزيرة فنزل فيها فى سنة ١٠١٣ بعد الميلاد وأقلع عزاكبه فى نهر الهمبر فتغلب على اقليم الهمبر بمساعدة الامة الدانيمارقية الموجودة فى جهة شمال النهر ثم انتقل الى الجهة الجنوبية وتغلب على كافة المملكة وجعل نفسه ملكا عليها وذلك أن الانكليز كانوا غضبوا من عثلريد من عدم تدبيره فى الحكومة فانضمت عبريا الشمالية ومرسيه الى (صوين) وخضع له أيضا ويطان صكصونية الغربية

الملك صوين

وهرب عثلريد الى نورمندى مع عائلته وفى سنة ١٠١٤ بعد الميلاد مات صوين وبموته أعلن الاسطول الدانيمارقى ابنه كانوط بأن يكون ملكا وكان شابا عمره تسع عشرة سنة ففصل مجلس الويطان الحكم فى طلبه عثلريد وعوده للتخت على شرط جودة الاحكام ومن ثم التزم كانوط على ترك المملكة الا أنه قطع أيدى وأنوف وآذان الرهائن الصكصونية الموجودين عنده انتقاما فى ذلك وفى سنة ١٠١٥ بعد الميلاد عاد مع أسطول كبير وخرب القسم الجنوبى من الجزيرة وتيسر له الحصول على كافة المملكة مع ما كان من المقاومات التى وقعت له ماعدا لونذره وبمجرد اغارته على هذه المدينة مات عثلريد سنة ١٠١٦ بعد الميلاد

سلطنة عدموند

وتقرر ابنه (عدموند جنب الحديد) ملكا بمعرفة أهل مدينة لونذره لكن من حيث ان كانوط كان متوليا على القسم الباقى من المملكة قدم مجلس الويطان التاج له فى مدينة عبطون الجنوبية فعول عدموند على المحاربة حتى يموت من أجل خلاص تاج أجداده وفى ظرف سبعة شهور حارب ست وقعات دموية مع كانوط وفى الواقعة الاخيرة التى وقعت فى (عصاندون) كان الدانيمارقيون هم المنصورون خصوصا بما وقع من الخيانة لصهر عدموند وهو (عدريق) ومات هذا القائد الشريف الصكصونى والسيف فى يده ولما ضعف حال عدموند أسرع فى جمع جيش آخر حول بيرقه فتبعه كانوط الى أرض غلوسيستر وفى هذه الجهة تقابل الملكان مع بعضهما فى جزيرة عوالنى فى ميامنهر سفرن وعقد المجلسا اتفاقيه على قسمة المملكة بينهما فخص عدموند عموم انكلتره الواقعة فى جنوب نهر التميس مع انجليا الشرقية وصكصونية الشرقية ولونذره ومابقى من المملكة أخذه كانوط فى سنة ١٠١٦ بعد الميلاد ومات عدموند فى هذه السنة فى لونذره وما علم سبب موته أكان طبيعيا أو غيلة وانضمت كافة المملكة تحت سلطنة كانوط وترك عدموند ولدين صغيرين ادوارد وعدموند

سلطنة كانوط

ومن بعد موت (عدموند جنب الحديد) جمع كانوط مجلس الويطان فى لونذره وادعى أن تخت انكلتره من حقوقه فانتخبوه ملكا فى سنة ١٠١٧ بعد الميلاد وشرع فى مشروع آخر هو خلاص نفسه من أعدائه لان اخوة عدموند الثلاثة وهم عدوى وادوارد وألفريد كانوا أشد خطرا فى وقوع الارتباكات وعدم الراحة فى المملكة فاما عدوى وكان محبوبا عند الامة فانه قتل غيلة بأمر كانوط وأرغم الاثنان الاخران على الهرب الى نورمندى وتزوج كانوط فى السنة الاولى من سلطنته عمته أرملة عثلريد غير العاقل وتفكر كانوط فى ازالة ولدى عدموند جنب الحديد من طريقه فأرسلهما الى أسويج ومنها الى هنكاريا

وقسم كانوط انكلتره الى أربعة أقسام خصص لنفسه منها صكصونية الغربية وعين ارلات على الثلاثة الاقسام الباقية وكان من ضمن هؤلاء الارلات جودوين ارل كنط المشهور وقال بعض الكتاب ان جودوين كان ابن رجل جلف صكصونى حازشوكة رئيس دانيمارقى فى مدة حروب (عدموند جنب الحديد) وصار جودوين من المتقدمين جدا عند كانوط وكان بالفعل هو الرجل

الحاكم

الحاكم فى انكلتره ولما وطد كانوط نفسه على التخت بقتله كل من يتوهم وصول الضرر منه طرد العساكر الدانيمارقية وخصص لنفسه ٣٠٠٠ نفس من أجل خفارته وحكم المملكة على مقتضى نص القوانين الصكصونية واجتهد فى تدمير الاحساسات الطيبة وطرائق الوداد بين الدانيمارقيين والصكصونيين وتغلب على نرويج وأسويج بمساعدة رعاياه من الانكليز وأدى له (مالكولم) ملك اسكوطلنده رسوم الاحترام وكان له غيرة كبيرة على أمور الديانة المسيحية فى آخر حياته فزار رومة وأغدق بعطاياه على الرهبان وعمر الكنائس وصرف الكثير من النقود على اللوازم الدينية وقيل انه كان السبب فى دخول الديانة المسيحية فى دانيمارقه وذكر أن حواشيه قالوا له يوما من الايام على سبيل التملق انه بلغ السعادة الكبرى حتى لو أمر البحر بشئ لاطاع أمره ولاجل توبيخهم على ماوقع منهم من الجنون جلس يوما من الايام على شاطئ البحر بالقرب من (سوثمبطون) وأمر الامواج بالتباعد عنه وانتظر حتى عاد مد البحر عليه وأحاطت مياه البحر بكرسيه فذكر الذين تملقوا له وقال لهم ان قوته ليست شيأ فى جانب قوة من اذا قال للشئ كن فيكون ومات كانوط فى سنة ١٠٣٥ بعد الميلاد وكان خلف من زوجته الاولى ولدين (صوين وحارولد) ومن زوجته الثانية (عمه) ولده (حارديكانوط ـ وابنته غنهيلده) وعند موته كان صوين حاكما فى نرويج وحارديكانوط فى دانيمارقه وحارولد فى انكلتره

فلما مات كانوط طلب (حارولد) تخت انكلتره وعضده الحزب الدانيمارقى مع القوة وطلبت (عمه) والارل جودوين ورؤساء صكصونية الغربية التخت (لحارديكانوط) على حسب اتفاق كانوط مع (عمه) فى وقت تزوجه بها مع أن هذا البرنس ما كان فى عروقه أدنى نقطة دم من الدم الانكليزى لكن لمنع وقوع حرب داخلى قسم مجلس الويطان المملكة بين الطالبين وتسلطن حارولد فى شمال نهر التميس وحارديكانوط فى جنوبه وصرف حارديكانوط زمنه فى دانيمارقه وناب عنه فى تدبير المملكة أمه والارل جودوين فانتهز فى هذا الوقت (ادوارد ـ وألفريد) ولدا اثلريد غير العاقل فرصة تقسيم المملكة وسعيا فى عود تخت أبيهما ثم التزما على القهقرة الى نورمندى ثم عاد ألفريد الصغير على الفور فوقع فى يد حارولد فقتله أشنع قتلة فى عيلى ووقعت الشبهة فى الارل جودوين بانه كان له يد فى هذه الجريمة ولما تأخر حضور حارديكانوط فى انكلتره خلعه مجلس الويطان وانتخب حارولد فى سنة ١٠٣٧ بعد الميلاد فنفى حارولد فى الحال (عمه) من المملكة فتوجهت الى ديوان بالدوين صاحب فلندره ومات حارولد فى سنة ١٠٤٠ بعد الميلاد فى أوكسفورد من دون خلف يخلفه فى تخته وكان حارديكانوط مع أمه فى فلندره يستعدان للغارة على انكلتره فوردت لهما أخبار موت حارولد وقدم له مجلس الويطان التخت فأقلع مباشرة الى (سندويتش) من أعمال كنط وتقرر ملك انكلتره فاثقل الضرائب على رعاياه وكان سلا باظالما وأمر باخراج رمة حارولد وقطع رأسه ورماه فى نهر التميس ثم استخرجت الرمة من النهر فى السر ودفنت فى مقبرة الامة الدانيمارقية فى لوندره خارج السور واتهم الارل جودوين بانه كان له يد فى قتل ألفريد فخوكم وعفى عنه الا أنه لاجل رضا الملك عليه أهدى له مركبا مفتخرة بمقدم ومؤخر من الذهب مطقمة بثمانية من منتخبى الفرسان جميعهم مطقمون بالطقومة الجميلة المحلاة بالذهب والفضة ثم تولد من الضرائب الثقيلة التى ضربها حارديكانوط على رعاياه عصيان شديد فى كافة أقسام المملكة وطردوا من مدينة (ورسيستر) جباة الاموال وقتلوهم فانتقم الملك من أهل المدينة بحرقها

سلطنتا حارولد وحارديكانوط

الجزيرة فنزل فيها في سنة ١٠١٣ بعد الميلاد وأقلع بمراكبه في نهر الهمبر فتغلب على
بمساعدة الامة الدانيمارقية الموجودة في جهة شمال النهر ثم انتقل الى الجهة الجنوبية
كافة المملكة وجعل نفسه ملكا عليها وذلك أن الانكليز كانوا غضبوا من عثلريد من عسف

الملك صوين

الحكومة فانضمت عبريا الشمالية ومرسيه الى (صوين) وخضع له أيضا ويطان صكصون
وهرب عثلريد الى نورمندى مع عائلته وفي سنة ١٠١٤ بعد الميلاد مات صوين و
الاسطول الدانيمارقي ابنه كانوط بأن يكون ملكا وكان شابا عمره تسع عشرة سنة ففصل مجلس
الحكم في طلبه عثلريد وعوده للتخت على شرط جودة الاحكام ومن ثم التزم كانوط على ترك
الا أنه قطع أيدي وأنوف وآذان الرهائن الصكصونية الموجودين عنده انتقاما في ذلك وفي سنة
بعد الميلاد عاد مع أسطول كبير وخرب القسم الجنوبي من الجزيرة وتيسر له الحصول على كافة
مع ما كان من المقاومات التي وقعت له ماعدا لونده وبمجرد اغارته على هذه المدينة مات عثل
١٠١٦ بعد الميلاد

سلطنة عدموند

وتقرر ابنه (عدموند جنب الحديد) ملكا بمعرفة أهل مدينة لوندره ولكن من حيث ان كانو
متوليا على القسم الباقي من المملكة قدم مجلس الويطان التاج له في مدينة سبطون الجنوبية
عدموند على المحاربة حتى يموت من أجل خلاص تاج أجداده وفي ظرف سبعة شهور حارب
وقعات دموية مع كانوط وفي الواقعة الاخيرة التي وقعت في (عصاندون) كان الدانيمارقيون
المنصورون خصوصا بما وقع من الخيانة لصهر عدموند وهو (عدريق) ومات هذا القائد الشر
الصكصوني والسيف في يده ولما ضعف حال عدموند أسرع في جمع جيش آخر حول بيرقه فتبعه
كانوط الى أرض غلوسيستر وفي هذه الجهة تقابل الملكان مع بعضهما في جزيرة عواني في مياه
سفرن وعقد المجلس اتفاقا فيه على قسمة المملكة بينهما فخص عدموند عموم انكلترة الواقعة في جنو
نهر التميس مع انجليا الشرقية وصكصونية الشرقية ولوندره ومابقي من المملكة أخذه كانوط
سنة ١٠١٦ بعد الميلاد ومات عدموند في هذه السنة في لوندره وما علم سبب موته أكان طبيعيا أو غير
وانضمت كافة المملكة تحت سلطنة كانوط وترك عدموند ولدين صغيرين ادوارد وعدموند

سلطنة كانوط

ومن بعد موت (عدموند جنب الحديد) جمع كانوط مجلس الويطان في لوندره وادعى أن تخت انكلترة
من حقوقه فانتخبوه ملكا في سنة ١٠١٧ بعد الميلاد وشرع في مشروع آخر هو خلاص نفسه من
أعدائه لان اخوة عدموند الثلاثة وهم عدوى وادوارد وألفريد كانوا أشد خطرا في وقوع
الارتباكات وعدم الراحة في المملكة فاما عدوى وكان محبوبا عند الامة فانه قتل غيلة بأمر كانوط
وأرغم الاثنان الآخران على الهرب الى نورمندى وتزوج كانوط في السنة الاولى من سلطنته عمته أرملة
عثلريد غير العاقل وتفكر كانوط في ازالة ولدى عدموند جنب الحديد من طريقه فأرسلهما الى أسوج
ومنها الى هنكاريا

وقسم كانوط انكلترة الى أربعة أقسام خصص لنفسه منها صكصونية الغربية وعين ارلات على
الثلاثة الاقسام الباقية وكان من ضمن هؤلاء الارلات جودوين ارل كنط المشهور وقال بعض
الكتاب ان جودوين كان ابن رجل جلف صكصوني حاز شوكة رئيس دانيماركي في مدة حروب
(عدموند جنب الحديد) وصار جودوين من المتقدمين جدا عند كانوط وكان بالفعل هو الرجل

[illegible]

... أنهد [illegible]

... فى جو [illegible]

... كانت فى [illegible]

... فى عود تحت [illegible]

... نقلها أشنع [illegible]

... ور طو ديكا [illegible]

... اروالى الملك [illegible]

... ١٠٤٠ بعد [illegible]

... بستغانات [illegible]

... مباشرة الحـ(ـ [illegible]

... لا طالما وأصحا[illegible]

... ودفنت فى مقبرة [illegible]

... فى قتل ألفر [illegible]

... من الذهب [illegible]

... والفضة [illegible]

... الملكة [illegible]

وخراب المملكة ثم مات فى سنة ١٠٤٢ وكان موته عند رعاياه من أعظم الايام وأجلها فرحا وانقرضت بموته سلسلة كانوط وقبل موته بيرهة كان أرسل لاخيه ادوارد من أبيه بالحضور من نورمندى بقصد استخلافه على التخت حيث كان لاخلف له ثم انه من بعد موت حارديكانوط مباشرة صار انتخاب (ادوارد الثالث) ابن عثلريد غير العاقل ملكا فى سنة ١٠٤٢ بعد الميلاد ومن حيث ان السلسلة الدانيمارقية صارت مكروهة جدا عند الامة بسبب سوء سلوك أولاد كانوط طلبت الامة ملكا انكليزى الدم وكان ادوارد الابن الثانى لعثلريد هو البرنس الانكليزى الدم الموجود فى هذا الوقت وكان جعل انكلتره دارا لاقامته من عهد تولية أخيه لابيه حارديكانوط المملكة وكان ابن عدموند جنب الحديد المستحق لتاج انكلتره بواسطة حقوق نسبته للملوكية منفيا خارج المملكة وما كان فى فكر أحد فظهرت مقاومة خفيفة نحو ادوارد لجهة صوين صاحب دانيمارقه غير أن صوت الارل جودوين نجح فى كونه أجلس على التخت السلسلة الملوكية من بيت صرديق

سلطنة ادوارد الثالث

وكان عمر ادوارد وقت جلوسه على التخت نحو أربعين سنة وقضى من حياته سبعا وعشرين سنة فى نورمندى فكانت عوائده ولسانه نورمانية وقيل انه فى مدة سلطنته شرعت نورمندى فى الغلبة على انكلتره وتم هذا على يد الدوق غيليوم فلما جلس ادوارد على التخت هرع أصحابه فى الوفود على انكلتره بالعدد الكثير فاغناهم باغداقه عليهم بعطايا الاراضى وتوظيفهم فى المصالح العالية فى المملكة وجعل الاساقفة من القسس النورمندية وحكم البارونات النورمندية فى المملكة بصفة ارلات وترتب خفر الملك من العساكر النورمندية وصار اللسان الفرنساوى والعوائد الفرنساوية هى المتسلطنة فى الديوان الانكليزى ومن ثم استعدت أرض انكلتره واستحضرت لوضع أقدام غيليوم النورمندى فيها (وتزوج) ادوارد عديثه ابنة الارل جودوين ومن ثم زادت شوكة هذا الامير الكبير وحكم هذا الارل المهول صكصونية الغربية وصكصونية الجنوبية وكنط وكان ابنه صوين حاكما فى غلوسيستر والكونتات المجاورة لها وكان ابنه حارولد حاكما فى انجيليا الشرقية وكان القسم الشمالى من مرسية والكونتات الشمالية تحت حكم ارل (ليوفريق - وصيوارد) على التعاقب فقامت الغيرة فى قلوب هؤلاء الارلات أرباب الشوكة القوية من اغداق الملك على النورمنديين وكذا كان يوجد حزب صكصونى قوى مضاد لادوارد فى أعماله هذه وظهر للملك أن الامة على غير رغبة من توجيه التفاته للنورمنديين وظهرت دلائل ذلك فى سنة ١٠٥١ بعد الميلاد عندما قدم عوسطاس كونت بولونية صهر الملك لزيارة ادوارد فى غلوسيستر وعاد مسافرا الى بلاده فلما ورد عوسطاس وأصحابه مدينة الدوفر طلبوا طعاما ومأوى كأنهم فى أرض أعدائهم فقام أهل المدينة عليهم بالسلاح ومن بعد أن قتل من الفريقين ناس كثيرون ترك الكونت النورمانى المدينة ورجع الى ديوان الملك وقص عليه قصته كما يشاء وبما أن مدينة الدوفر تحت أحكام الارل جودوين صدرت له أوامر الملك بعقاب أهل المدينة فى نظير وقاحتهم مع صديق الملك وقريبه فرفض الارل قبول أوامر الملك وطلب أن عوسطاس وأصحابه يلزم محاكمتهم على سوء سلوكهم مع أهل الدوفر وقوى جودوين طلبه باستعداد قوة عسكرية وهدد الملك بهياج حرب عليه فتداخل فى هذه المسئلة (صيوارد - وليوفريق) وحثوا الارل جودوين على صرف النظر عن هذه التهديدات وفى أثناء مداولاتهم وقعت بينهم مشاحنات حتى تحولت المسئلة على مجلس الويطان وفى أثناء ذلك تخلى أصدقاء جودوين من معاضدتهم له ونفى الارل الكبير وأولاده من المملكة

وكذا

وكذا طردت ابنة الارل وهى عديثه من سراى الملك أيضا وحبست فى دير فى (ويرويل) فتولد من نفى القائد المذكور ونى انتصار الحزب النورمندى وقسموا الشرف والوظائف والمصالح فيما بينهم وفى هذا الوقت زار الدوق غيليوم صاحب نورمندى ادوارد فى لوندره فوجد فى كل جهة شوكة نورمانية كافية لان تزيد فى صدره اشتعال نار الآمال فى صيرورة هذه المملكة يوما من الايام تحت حكمه

ثم تولد من انتشار السلطة النورمندية فى المملكة حض الامة الانكليزية على عود قائدهم الارل جودوين المدافع عنهم وأرسلوا له رسلا الى فلندره يحثونه على الحضور اليهم فأعرض جودوين للملك يلتمس منه الصلح فكان على غير طائل فنزل فى فصل صيف سنة ١٠٥٢ بعد الميلاد على الساحل الجنوبى ولاقاه معظم الامة مع الترحاب فصالحه ادوارد محايدة فى عدم وقوع حرب داخلى وعاد الارل وأولاده لاملاكهم وكذا عادت الست عديثه من ويرويل الى سراى زوجها ونفوا واقوادا الحزب النورمندى الذى كان سببا فى وقوع هذه المصائب والذين سمح لهم بالبقاء فى المملكة هم الذين رغب الملك فى بقائهم وعلى صداقة له ولرعيته ومات جودوين فى السنة التالية وخلفه ابنه حارولد فى وظيفته ومن بعد موت صيوارد فى سنة ١٠٥٥ بعد الميلاد تعين (طوسطيغ) أخو حارولد ارل عمبريا الشمالية وكان القسم الاخير من هذه السلطنة مرتبكا بغارات الويلس تحت قيادة الملك (غريفيد) فزحف حارولد على الويلس وأخضع أمة هذه الجهة ثم وقع فى الجهة الشمالية ارتباكات تولدت من الاهالى من عدم تدبير حكم طوسطيغ واتحد أهل عمبريا الشمالية مع أهل مرسية وهددوا ادوارد بالحرب ان أصر على دوام حكم طوسطيغ عليهم فأشار حارولد على الملك بالتسليم فى طلباتهم وقرر اختيارهم فى (موركار) حفيد (ليوفريق) صاحب مرسية فى أن يكون ارلا عليهم فمن ثم نذر طوسطيغ لينتقمن من أخيه فى نظير فعلته هذه وتوجه الى فلندره وبما أن ادوارد كان خالى الذرية تفكر الناس فى شأن وراثة التخت وصار العزم على ارسال رسول الى هنكاريا لادوارد بن عدموند جنب الحديد وكان ترك انكلتره فى سنة ١٠١٧ بعد الميلاد خائفا من كانوط فعاد ومعه زوجته وثلاثة أولاد (ادغار — ومرغريطه — وكريسطينه) فمات من بعد وصوله بقليل فى سنة ١٠٥٧ بعد الميلاد ومات ادوارد فى سنة ١٠٦٦ بعد الميلاد ودفن فى كنيسة (وستمنستر) وقدس الرهبان رمته وكان ضعيف الرأى الا أنه كان صوفيا ولقبه البابا اسكندر الثالث فى سنة ١١٦٣ بعد الميلاد بلقب المعترف وأوصى قبل موته بأن حارولد يكون الخليفة على الكرسى من بعده وقيل انه فى مدة سلطنته كانت مركب حارولد غرقت فى ساحل نورمندى فأرسل أسيرا الى مدينة روان فقيل ان غيليوم استحلفه على معاضدة طلبه تخت انكلتره وكان يوجد فى ادوارد صفات عظيمة محبوبة منها أنه كان محبا للسلم عدوا للشدة والظلم واجتهد فى تخفيف الاحكام غير أنه كان من أهل الخرافات صوفيا ليس أهلا لحكومة أمة مثل الامة الانكليزية

سلطنة حارولد الثانى

وبمجرد وضع جسم ادوارد فى القبر أعلن حارولد بن الارل جودوين بملوكيته فى وسط محفل كبير من الاشراف والامراء وأهل مدينة لوندره فنظف الديوان من مأمورى الاغراب الذين كانوا مقربين عند ادوارد غير أنه سمح لهم بالبقاء فى المملكة والتمتع بأملاكهم ومع هذا فكان يوجد للتخت طالبان آخران هما (ادغار) حفيد عدموند جنب الحديد (وغيليوم) دوق نورمندى الابن الغير شرعى لروبرت الشيطان وابن عم ادوارد المعترف فأما ادغار فكان صبيا عمره عشر سنوات فصرف النظر عن حقوقه

وأما غليوم فما كان الخلاص منه سهلا فقيل ان ادوارد كان عهد له الخلافة من بعده وان حارولد عهد له بيمين فى معاضدة حقه للتخت الانكليزى فان كان هذا حقا فان ادوارد أعطى ما لا يملكه فان توجيه التاج ليس محصورا فى أمر الملك بل أمره معهود للمجلس المشكل من الامة وأن يمين حارولد كان من خوفه لما وقع فى خرابيش غليوم وعزم غليوم على أن يحارب من أجل ما يدعيه أنه حقه فارتبكت عموم نورمندى وقامت فيها الاستعدادات ووفد على غليوم المخاطرون من كل جهة من الشمال والجنوب ومن شواطئ نهر الرين ومن خلف جبال الالب ووعد غليوم هؤلاء العساكر بالاراضى العظيمة والقينات الصكسونية الجميلة ووعدوا بالقصور والمدائن والانعام والمواشى ومن ثم جمع غليوم فى أقرب وقت ٦٠٠٠٠ نفس من العساكر من أجل فتح انكلترة وأسطولا مؤلفا من ٨٠٠ سفينة واستحصل على اثبات اليمين الزور على حارولد من البابا اسكندر الثانى وصدق البابا على اغارة غليوم على انكلترة وأرسل له البابا منشورا مختوما وعلما مقدسا وكان أول ملازم فى الديوان النورمندى فى رووان (طوسطيغ) أخو حارولد وكان غليوم وطوسطيغ متزوجين ابنتى بالدووين كونت فلندره فقدم طوسطيغ خدماته لغليوم فجهزه ببضع سفن فأقلع بها الى الساحل الجنوبى من انكلترة وأوقع فيه الخراب واجتهد فى النزول فى عمبريا الشمالية ولما خاب فى ذلك استحصل على مساعدة (حاردراده) ملك نرويج وأقلع طوسطيغ وملك نرويج مع ٣٠٠ سفينة فى نهر الهمبر وهزما ارلى (عدوين - وموركار) وتغلبا على يورقه وكان حارولد فى الجهة الجنوبية مستعدا للمحافظة من اغارة غليوم فوصلت اليه أخبار ما وقع من الارتباكات فى الجهة الشمالية فسار على الفور الى الجهات الشمالية وهزم الجيش النرويجى فى واقعة قنطرة (اسطامفورد) فى ٢٥ سبتمبر وقدم حارولد لاخيه طوسطيغ ارلية عمبريا الشمالية لو رجع عن الحرب فقال طوسطيغ للرسول هل حليفى الشريف (حاردراده) قبل هذا وصرخ فى الرسول وقال ارجع وقل للملك حارولد يستعد للقتال فالتحم الجيشان مرة ثانية فى القتال فقتل فى هذه الواقعة حاردراده وطوسطيغ وزهرة الجيش النرويجى ومارجع من الثلثمائة سفينة الا ثلاث وعشرون سفينة فقط ومن بعد مضى ثلاثة أيام نزل النورمانيون فى (بريفنسى) من أعمال صكسونية الجنوبية وزحفوا على الفور نحو (هاستنغ) وكان حارولد فى هذا الوقت جالسا على مائدة دعوة أمر بها فى يورقه فرحا بنصرته فوصلت اليه أخبار الغارة فأسرع فى الحال الى الجهة الجنوبية فى رأس جيش أقل عددا من جيش الواقعة الاخيرة من هروب العساكر وضعفت قواه جدا عند وصوله لوندره بارساله أسطولا مؤلفا من ٧٠٠ سفينة من أجل قطع خط رجعة النورمانيين ووصل حارولد جبل سنلاق على مسافة تسعة أميال من هاستنغ فى ١٣ اقطوبر وعزم فيه على انتظار هجوم العدو وانقضى غالب اليوم فى مخابرات ورفض حارولد التنازل عن التاج أو فصل الحرب بأى حالة كانت الا بالسيف وقضى النورمانيون ليلهم فى العبادة والامور الدينية والانكليز فى أفراحهم وسكرهم وفى صباح يوم ١٤ اقطوبر ظهر الجيشان أمام بعضهما على جبلين متقابلين بينهما واد خفيف الميل وكان الانكليز على السفح المرتفع وما كان عند الانكليز نبالة ولا خيالة وكانوا معتمدين على أسلحتهم المقصورة على البلط فقط وحافظين مواجهتهم بخنادق وشرمبولات من وصول العدو اليها وكانت قوة الجيش النورمانى مقصورة على خيالته ونبالته وفى الساعة التاسعة صباحا اقتحم النورمانيون

الحرب صارخين الله المساعد لنا فأجابتهم صفوف الانكليز بصوت الصليب المقدّس والله أكبر واجتهد الرومانيون ست ساعات فى خرق الجيش الصكصونى فكانوا على غير طائل وعالجوا المرة بعد المرة فى التغلب على الجبل فما كان لهم من طاقة ثم وقع الارتباك على حين غفلة فى الجيش النورمانى وانتشرت الاشاعات بان الدوق غيليوم قتل وضاع كل شئ فزعق غيليوم وقال أنا حى وأنا الغالب بعون الله ورمى غيليوم خودته ومزق برقعه وصد الخيالة من الهرب وأعاد الواقعة فى الحال وأمر النبالة بضرب نبالهم فى العالى حتى تسقط عمودية أو رأسية على أعدائهم وأمر الخيالة بكونهم يظهرون القهقرة حتى يخرج الانكليز من موقعهم فكانت هذه الآراء هى الناجحة وذلك أن الصكصونيين اقتحموا من السفح خلف خيالة النورمانيين فارتدوا عليهم وقطعوهم قطعا وفى هذا الوقت أصيب حارولد فى الواقعة بسهم انغرس فى عينه اليسرى وفى ظرف مدة قليلة قتل أخواه بجانبه وانكسر الانكليز وتشتتوا من موت قوادهم فى الاورمانات الموجودة خلفهم ووقفوا فيها مدة لعلهم يستردون ما فقد منهم وفرح النورمانيون بنصرتهم وقتل تحت الدوق غيليوم ثلاثة خيول وفى صباح اليوم الثانى فى وقت التعداد وجد الغائب ١٥,٠٠٠ نفس

ومازالت قوة انكلترة باقية من دون وقوع الغلبة عليها غير أنه لم يوجد قائد لهذه القوة وتولد من موت حارولد وكبار أشراف الجهة الجنوبية فصل عاقبة المملكة ومن ثم كانت واقعة سنلاق سببا فى استلام غيليوم قضيب المملكة ودفنت رمة حارولد فى دير (ولطام) وكان بناه وزخرفه وبنى غيليوم بعد ذلك كنيسة فى محل الواقعة بالقرب من هاستنغ ورتب فيها الرهبان من أجل الدعاء والصلاة على أرواح المقتولين ثم تتوج غيليوم ملكا فى كنيسة وستمنستر فى سنة ١٠٦٦ بعد الميلاد وانقرض بدخول غيليوم دوق نورمندى فى انكلترة ملوك الصكصونيين وكان الصكصونيون فى وقت دخولهم الجزيرة أهل أصنام يعتقدون أزلية الروح والعقاب فى الآخرة ويعتقدون أن لهم جنة يسمونها (ولهلا) يجتمع بعد موتهم فى ميادينها الشجعان منهم فى ولائم من لحم الخنزير ويشربون الاشربة فى جماجم أعدائهم وأما أهل الخوف الذين لم يموتوا فى ميادين الحروب فانهم يذهبون الى دار العذاب المعروفة عندهم باسم (نيفلهيم) وكان لهم آلهة عديدة أكبرها الاله عودين وتخصص كل يوم من أيام الاسبوع لاله من الآلهة وقد ذكرنا سابقا وصول المبعوثين المسيحيين من رومة الى انكلترة فى سنة ٥٩٧ بعد الميلاد ففى أقل من ١٠٠ سنة من ابتداء هذا التاريخ دخل صكصونيو انكلترة فى الديانة المسيحية وترتبت الاسقفيات وتوظفت القسس وانفصل عشر الايراد الداخل من الاراضى للمواد الديانية فكان منقسما الى أربعة أقسام الاول على ذمة بناء الكنائس والثانى لمساعدة الفقراء والثالث للاساقفة والرابع لخدمة الدين ومن بعد دخول الديانة المسيحية فى انكلترة عمت فيها الرهبانية غير أن قيام أحكامها كان فى عصر دنسطان وكان أدخل تغييرات كبيرة فى المواد الديانية الكنائسية

وأما أحكام وقوانين الصكصونيين فكان الملك رأس الامة وكان ينتخب فى الاصل بصفة قاعد لبعض مشروعات مهمة ثم استحوذ على الشوكة الملوكية مع توالى الزمن وبما أن الملك كان رأس الامة كان له الشوكة فى طلب عقد مجلس ملى كبير يدعى بمجلس الويطان ومباشرة أعماله وله الحق فى توظيف كافة الحكام العمومية وهبة الاراضى والاورمانات وضرب الضرائب وكانت وظيفة الملك

انتخابية لا وراثية غير أن حكم الانتخاب كان مقصورا على العائلة الملوكية وكان يطلق على زوجة الملك اسم (ملكة) ومن بعد الجريمة التى وقعت من (عيدبورغه) زوجة ملك صكصونية الغربية فى سمها الملك زوجها أطلق عليها من هذا الوقت اسم ست أو سيده وبعد الملك فى الرتبة كانت الارلات الذين يحكمون الاقاليم باسم ملكهم ويسوقون الى الحروب أهالى أقاليمهم ومن وظيفة الارل أن يجلس مع الاسقف فى محكمة القسم وينفذ الاحكام العدلية وكان من تحت رتبة الارل رتبتان أخريان وهما رتبة (الطان) ورتبة (الكيورل) فأما الطانيون فكانوا أرباب الاراضى وكان مخصصا لكل واحد من الطانيين على الاقل ٦٠٠ فدان انكليزى وأما الكيورل فهم المزارعون أى كل من ملك أقل من ٦٠٠ فدان ولهم الحق فى لبس الشعور الطويلة وحمل السلاح لاجل تميزهم عن طائفة الرقيق وكان الرقيق أقل طائفة وهم ذرارى الذين غلب الصكصونيون على أمرهم من البريطانيين وأخذوهم أسرى فى الحروب وأرباب الجرائم الذين ما كان فيهم طاقة على دفع الغرامات أو الديات التى كانت ضربت عليهم من أجل ما ثبت عليهم من جرائم القتل أو غيره والفقراء الذين أحوجتهم حالة الفقر والجوع الى بيع أنفسهم للغير من أجل المساعدة على عيشتهم وكانت تسرق الاحرار فى العصور الاخيرة الصكصونية وتباع بصفة الرقيق وكان يجرى بيع الرقيق والارض والانعام سوية ويعطونهم أحيانا البائع الشئ بدل النقود والثمن العادى للرقيق الواحد كان يعادل ثمن الثور الواحد أربع مرات واذا رغب السيد فى عتق عبده سلمه فى يده سيفا أو حربة وأمره بالتوجه الى حيث يشاء وان وقع الحر فى الرق رمى سيفه أو حربته جهرة وجثا أمام سيده على ركبتيه واستلم الفاس وتعهد بخدمته لسيده وفى أول الفتح النورمانى كان الموجود فى انكلتره من طائفة الرقيق ٢٥,٠٠٠ نفس

وأما الويطان فكان هو المجلس الاكبر للامة أو مجلس الاعيان وكان ينعقد فى احدى المدائن الملوكية مؤلفا من الملك وكبار الاشراف والاساقفة والقسس وكبار الطانيين معادلا لهيئة صورة البرلمان الانكليزى الموجود فى لوندره فى الوقت الحالى وما كانت أعضاء هذا المجلس بطريق الانتخاب بل بالاستحقاق وكان من خصائصه سن القوانين وضرب الضرائب وعقد الصلح وانتخاب الملك وتعيين الاساقفة وهبة الاراضى وكان بصفة محكمة كبرى تستأنف فيه كافة الدعاوى والقضايا التى ترد اليه من محاكم الجهات والله أعلم بمراده

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من غليوم الفاتح الى ادوارد الاول ﴾

صيرورة غليوم دوق نورمندى ملك انكلتره ـ دخول طريقة الالتزامات فى انكلتره ـ ثورة الانكليز ـ اخمادها بواسطة غليوم ـ تغلب غليوم على انكلتره الشمالية ـ خضوع الكنيسة الانكليزية ـ دفاتر التاريخ أوال ولد ـ صفة غليوم الفاتح ـ موته ـ صيرورة غليوم الاحمر ملكا ـ سلطنته الجورية ـ موته ـ ضبط هنرى الاول المملكة ـ رخصة الحرية ـ سلطنته الشديدة ـ توطينه مستعمرة من الفلمنكيين فى الويلس ـ موت هنرى ـ الامبراطوره ماطيلده ـ ضبط اصطفان صاحب بلوا زالتاج الانكليزى ـ حرب مع اسكوطلنده ـ فصل المشاحنة بين اصطفان وماطيلده

ـ صيرورة هنرى الثانى ملكا ـ شوكته ـ عود النظام فى المملكة ـ ارتباكاته الداخلية ـ قوانين كلارندون ـ قتل توما باكت ـ تغلب الانكليز على ارلنده ـ عصيان أولاد هنرى ـ توبة هنرى وتكفيره فى مزار توما باكت ـ تغلبه على اسكوطلنده ـ موت هنرى ـ صيرورة ريشارد قلب الاسد ملكا ـ التحاقه بحرب الصليب ـ أسره فى أوستريا وقت عوده الى بلاده ـ البرنس يوحنا ـ خلاص ريشارد من أسره ـ موته ـ صيرورة يوحنا ملكا ـ مشاحنته مع فرانسا ـ قتل البرنس ارثر ـ ضياع نورمندى من انكلتره ـ منازعة يوحنا مع البابا ـ اصطفان لنغطون ـ توقيع الحجر الكنائسى على يوحنا ـ خضوعه للبابا ـ صيرورة انكلترا ملتزما من طرف دار القسوسية ـ حرب مع البارونات ـ رخصة الحرية ـ الغارة الفرنساوية ـ موت يوحنا ـ صيرورة هنرى الثالث ملكا ـ سلطنته ـ شروط أوكسفورد ـ فصل المنازعة بين الملك والبارونات ـ طلب ارل ليسيستر مجلس برلمان ـ قيام مجلس العوام ـ هزم البرنس ادوارد ليسيستر فى افرشام ـ موت هنرى الثالث

(الملوك النورمانيه)

ثم انه من بعد واقعة هاستنغ تقهقر الصكصونيون الى لونده فانعقد مجلس الويطان وانتخب (ادغار اثلنغ) ملكا غير أنه ذاع الشقاق والضعف بينهم وكان الحسد الواقع بين الجهات الشمالية والجنوبية شديدا جدا ومتسلطنا بين أهلها من القدم وخرج (عدوين ـ وموركار) أقوى ارلات الجهات الجنوبية من لونده وتركا أهل صكصونية الجنوبية يدبرون أمرهم بنفسهم وفى أثناء ذلك قطع غيليوم اليأس وغضب من سلوك مجلس الويطان فدمر الكونتات الجنوبيه وزحف عابرا نهر التميس ونصب معسكره فى نواحى (بركستيد) قاصدا بذلك قطع مواصلات لونده من الجهة الشمالية وزحفت الخيالة النورمانية حتى وصلت أسوار لونده ومنعت كل مدخول اليها من المؤنة وغيرها وفى هذا الوقت ما كان قائد متدرب بين الصكصونيين الا (اسطيغند) أسقف كانتربورى فانه كان رجلا صاحب شهامة غير أنه كان قليل الشوكة وتولد من عدم الغيرة والحماس وعدم القائد الموافق ومن وجود العدو المنصور بجانب أسوار المدينة ووجود القحط داخل أسوارها خضوع الصكصونيين فانتظر نواب من كبار الاشراف وأهل مدينة لونده تحت رياسة (ادغار اثلنغ) والاسقف اسطيغند المنصور غيليوم فى مدينة بركستيد وقدموا له تاج انكلتره وأدوا له رسوم الاحترام بصفة أنه ملكهم فوعدهم غيليوم أيضا من جهته بمراعاة قوانينهم وتقرير حريتهم القديمة على ما كانت عليه ومن هذا الوقت صارت معارضة الفاتح ومقاومته معدودة من الخيانة واختير يوم عيد للتتويج فأحاطت العساكر بالدوق وسار الى كنيسة وستمنستر وفيها ادهن وتتوج ملكا بمعرفة الفريد أسقف يورك واتفق أنه حصل فى هذا اليوم مذبحة أظلم منها يوم السرور هذا وذلك أنه عندما سئل الصكصونيون هل يرغبون أن يكون دوق نورمندى ملكهم أولا فاخطأت أصوات قبول الرضا خيالة النورمانيين وظنوا أنها أصوات حرب وخروج عن الطاعة فأوقع النورمانيون بالمتفرجين الذين جاؤا من دون سلاح وقطعوهم وحرقوا المساكن المجاورة للكنيسة ونهبوا المدينة ففزع غيليوم فى داخل الكنيسة من صراخ المقتولين وأجرى تتويجه بغاية السرعة وبهذه الحالة جلس دوق نورمندى على الكرسى الانكليزى غير أنه مضت عدة سنين ولم تقرر سلطنته على عموم انكلتره

سلطنة غيليوم الفاتح

وشرع غيليوم مدة سلطنته فى جلب محبة الانكليز اليه فقرر مواد الزواج بين أهل بلاده ورعاياه الجديدة واجتهد فى حكمهم على مقتضى نص القوانين الصكصونية القديمة وكافأ أصحابه وأقطعهم الالتزامات من الاراضى التابعة للحكومة والاراضى التى تجردت منها عائلة حارولد وكفاهم أمرهم من دون أن يقع منهم أدنى نهب من أراضى رعيته وأرسل الارلات الشمالية تقار بر طاعتهم وعاد النظام واستتب الامن ومن بعد ما حصن غيليوم مدينتى لوندره والدوفر وبعض جهات مهمة رجع الى نورمندى فى سنة ١٠٦٧ بعد الميلاد مصحوبا باكابر الاشراف الانكليزية منهم (ادغار اثلنغ) (وعدوين) و (موركار) و (الاسقف اسطيغند) وعهد زمام الحكومة فى مدة غيابه الى أخيه الغير الشقيق (عودو) أسقف بايوكس و (غيليوم فيطز عوسبرن) فما كان عندهما أدنى حزم مثل ما كان عليه غيليوم وعمت وقاحتهما وسلبهما وظلمهما باصناف العسكرية الموجودة تحت ادارتهما فنهبت المنازل وفضحت النساء وعلوا فى طغيانهم وعاملوا السكان الموجودين فى المملكة معاملة الامة المغلوب على أمرها فأعقب هذه الاحوال ثوران ووقع الصراخ فى جهات المملكة بقطع دابر النورمانيين فلما وصلت أخبار هذه الثورات الى غيليوم أسرع فى العود من نورمندى فى ٣ ديسمبر سنة ١٠٦٧ بعد الميلاد عازما على حطم الامة الانكليزية بأشد الاعمال فأخضع (عكسطير - وأوكسفورد - ووارويك - ودربى - ونوطنغهام - ولنكولن) وأقام قلاعا حصينة من أجل توطيد طاعة تلك الجهات وشحنها بالمحافظين وأجرى الجيش النورمندى مثل هذه الاعمال على حدود الويلس ثم زحف غيليوم نحو الجهة الشمالية وهزم أهل عمبريا الشمالية على شواطئ نهر الهمبر وتغلب على مدينة يورقه وهرب كبار الاشراف الى ديوان مالكولم صاحب اسكوطلنده لسلامة أنفسهم وتعالى النورمانيون بظفرهم وأسرعوا فى التوجه الى دورهام فقطعوا عن آخرهم فى الليلة الاولى من وصولهم وفى نفس هذه وصل أولاد حارولد من ارلنده ودعوا أهل قدم الديفون للقيام بالسلاح الا أن هذا القيام ما حصل منه فائدة

وفى سنة ١٠٦٩ بعد الميلاد أقلع أسطول دانيمارقى مؤلف من ٢٤٠ سفينة فى نهر الهمبر من أجل مساعدة أهل عمبريا الشمالية وجاء الاشراف المنفيون ومحالفوهم من أهل اسكوطلنده من الجهة الشمالية واتحدت القوتان وتغلبوا على يورقه وقتلوا كل من كان فيها من محافظى النورمانيين فزحف غيليوم ثانيا الى الجهات الشمالية وانتقم من أهل هذه الجهة انتقاما شديدا فخرب بعساكره الاراضى الواقعة بين نهر الهمبر ونهر الطين وحرق القرى والمزارع والمحصولات وقتل فلاحى البلاد وصارت الارض فى طول ستين ميلا صحراء خالية عن الاهل والنبات وتسلطن القحط تسع سنوات فى أنحاء هذه الجهة حتى هلك الذين نجوا من السيف وأما الاقسام الاخر من انكلتره فان المقاومات ما زالت مستمرة فيها وكانت نتائج هذه الثورات انتهاز فرصة للفاتح فى ضبط أراضى العاصين والانعام بها على أهل بلاده والتجأ شجعان الانكليز الى الاورمانات وصاروا يغيرون فجأة على المحاربين لهم ونصب (هروارد) من أرباب الاملاك الصكصونية معسكرا التجاء للفارين فى جزيرة (عيلى) والتحق به (اسطيغند - وموركار) وغيرهما وفاز بالنصر من هذه الجهة على جميع النورمانيين الموجودين حوله وبواسطة رهبان جزيرة عيلى وما فعلوه من الخيانة وصل غيليوم الى هذا المعسكر وكسره من طريق من وسط المستنقعات وهرب هروارد وداوم مع عساكره فى الكشف على الاغارة على أعدائه حتى

قدم

قدم له النورمانيون شروط صلح حسبما يختار وفى آخر أمره صار صديقاً مدة حياته فلما ذبحه من النورمانيين
وقال أحد شعراء النورمانيين لو كان فى انكلتره ثلاثة مثله لما كان لغيليوم طاقة على الوصول
الى انكلتره ولو عاش (هروارد) لطرد النورمانيين منها وحبس (موركار) والقواد الآخرين الباقين على
قيد الحياة من العسكر الانجليزى مدة حياتهم ولما أخمد غيليوم هذه القلاقل وجه التفاته نحو
مالكولم صاحب اسكوطلنده فزحف بجيشه على اسكوطلنده قاصداً عقاب الملك من أجل
فعلته التى فعلها فى مساعدته الصكصونيين ولما وصل غيليوم الى شواطئ نهر الطاى أرسل له
مالكولم بطاعته فى سنة ١٠٧٢ بعد الميلاد وفى نفس هذه السنة تنازل ادغار عن دعواه فى طلب
التخت الانكليزى على شرط احترامه عند غيليوم وصار ادغار من هذا الوقت مع الفاتح صديقين
محبين ولما خلص غيليوم من كافة الثورات واستتب الامن عزم فى سنة ١٠٧٣ بعد الميلاد
على التوجه الى زيارة نورمندى وأقلع اليها فوقعت ثورة فى مدة غيابه تحت رياسة القواد النورمانية
من أجل تقسيم المملكة فيما بينهم فأفشى (والطفولد) بن صيوارد ارل عمبر يا الشمالية القديمة
سر هذه الثورة الى غيليوم بما أنه كان مغموراً فى كرمه فخطمت هذه الثورة على الأثر ثم اتهم والطفولد
بعد ذلك فى أنه كان له يد فى الثورة وقطعت رأسه فى (ونشيستر) من بعد سجنه سنة فى سنة ١٠٧٥
بعد الميلاد وما وقع فى مدة سلطنة غيليوم سفك دم مثل هذا الا هذه المرة ومن المحتمل أن غيليوم
خاف منه بسبب محبة الامة له ولما مات محب الوطن الاخير شهيداً لبث الامن فى انكلتره فى المدة
الباقية من سلطنة غيليوم مدة ست عشرة سنة وحكم الملك المملكة بيد قوية وعين فى كل قسم
من أقسام المملكة اثنى عشر نفساً من أجل تشريع قوانين الانكليز واستحسان بنودها وعهد
شغل الاقاليم لبسد حكام ومأمورين من ديوانه وعرض كافة الاعمال عليه بمعرفة رئيس كتاب ديوانه
الملوكى وأطلق عليه اسم كاتب السر أو نائب الملك ومستشاره وصد عنف البارونات بتحويله
الدعاوى الكبيرة من بعد المداولة فيها فى محاكم الاقاليم الى ديوانه من أجل توقيع الاحكام العادلة
على الامة الانكليزية والنورمندية بحالة واحدة وقانون واحد لا فرق فيه بين الامتين وفى
سنة ١٠٨٦ بعد الميلاد أخذ على مالكى الاراضى من الامة الانكليزية يمين الطاعة وعهد البيعة
فى ديوانه الكبير فى (سلسبورى) وأن ينظروا له بصفة أنه أول سيد لهم فتولد من هذا المحافظة
على انكلتره على التدريج من وقوعها صيداً للبارونات كما وقع فى جهات أخرى وحافظ أيضاً على
صيرورة الكنيسة تحت أحكامه وما قبل طاعتها للباپا مع أنه ما سبقه أحد قبله فى هذا الفعل من ملوك
الانكليز وما سمح بوقوع الحجر الكنائسى على أحد من عبيده ولا تجريده من صالحات الكنيسة من
دون رخصة منه وفى سنة ١٠٧٠ بعد الميلاد عين (لنفرنك) أحد العلماء المشهورين اللومباردية
أسقفاً فى كنيسة كانتربورى فأدخل على التدريج فى مصالح الاسقفيات الاغراب وزينهم فى كافة
المصالح الديانية وجعلهم يؤدون له رسوم الاحترام على أرضهم مثل ما تفعل البارونات عند الملك
ووظف خدمة الدين فى المصالح الكنائسية الخاصة بهم وسمح لهم بالجلوس فى المحاكم المعتادة مع الارلات
ومأمورى الاحكام وفى مدة حكومة لنفرنك العظيمة تحسن أمر خدمة الدين والرهبان وخلص لنفرنك
المملكة مما كان حائقاً بها من الذل الحاصل من البارونات وابتدأ فى تشييد الكنائس الكبيرة
النورمندية فى هذا العصر وبذل لنفرنك والملك مجهودهما فى منع تجارة الرقيق القبيحة فى بريستول

ثم أدخل غليوم فى انكلتره طريقة الالتزامات فكان لهذه الطريقة السلطة العظيمة فى انكلتره فى التألف والعمران وامتدت الى حد سلطنة شارلس الثانى وذلك أن غليوم أعلن بصفة أنه الفاتح للمملكة أن له الحق فى أن يهب الاراضى التى تغلب عليها لمن شاء من رعيته على شرط المساعدة من الموهوب له فى الخدمة العسكرية والنقود المالية وأطلق على هذه الاراضى الموهوبة اسم التزام أو اقطاع وعلى الواهب اسم مولى والموهوب له اسم تابع فالتابع تحت حماية ورعاية المولى وعلى العبد حماية سيده وعائلته ويؤدى ما يلزم له من الخدمات ومن ثم صار البارونات الملتزمون نوابا عن مواليهم فى أرضهم وعائشين مثل ملوك صغيرة يهبون من أراضيهم لعبيد تحت أيديهم على نص الشروط المأخوذة عليهم من مولاهم الملك الواهب لهم الاراضى المستحوذين عليها فمن هنا كانت توجد عقدة اتصال فى خدمة الملك وهو على تخته بالأحرار الخاضعين له فى أراضيهم وكان براعى فى وقت هبة الارض لأى انسان ثلاث فرائض أصلية الاحترام والطاعة والتقليد فأما الاحترام فهو وجود خدمة خاضعة واحترام يجرى أداؤه من العبد للمولى وذلك ان العبد يجثو على ركبتيه أمام مولاه موميا برأسه الى أسفل واضعا يديه بين يدى مولاه وأما الطاعة فهى اعطاء يمين أكيد بخدمته لمولاه وأما التقليد فهو صيرورة دوام التابع مستحوذا على ما تحت يده من الالتزام وأما الخدمات المفروضة على العبد الواجب أداؤها للمولى فهى أولا ــ الخدمة العسكرية وهى الزام العبد بملازمة مولاه أربعين يوما فى الحرب فى كل سنة عند الطلب ثانيا ــ الاعانة وهى دفع مبالغ من النقود تدفع للمولى فى أسباب ثلاثة (١) صيرورة ابنه البكرى فارسا (٢) زواج ابنه البكرى (٣) الفداء عن نفسه فى حالة ما يقع أسيرا ثالثا ــ الاسعافات وهى نقود تدفع من طرف الوارث فى استحواذه على الاقطاع رابعا ــ الامساك الابتدائى وهو اسعاف اضافى مقصور على دفع نقود ايراد سنة خامسا ــ الغرامات وهى نقود تدفع للملك من أجل بعده عن أخذ الالتزام سادسا ــ انتقال الالتزام بان يكون للمولى حق فى عود الالتزام الى شخصه عند انقراض الوارثين أو اذا وقع من العبد خيانة سابعا ــ الوصاية وهى أن يكون للمولى حق فى ضبط أراضى الوارث القاصر والمحافظة عليه والتصرف فى الايراد الوارد من الالتزام ثامنا ــ الزواج للمولى الحق فى الحكم بالزواج والتزوج على غير رضا منه مؤد الى غرامة جسيمة

وفى سنة ١٠٨٥ بعد الميلاد صدر أمر غليوم بأخذ مساحة أراضى المملكة وأرسل مبعوثين من أجل معرفة اتساع الاراضى فى كل اقليم وبيان صفتها وقيمتها وعدد سكانها من الاحرار والرقيق وكان هذا فى الحقيقة مشروعا عظيما الا أن الامة راعته بعين الغضب ورأوا أن ذلك وسيلة لزيادة ضرب الضرائب عليهم وأطلق على الدفاتر التى سجلت فيها هذه الاعمال اسم دفاتر التاريخ أو الرول ومن بعد أن أخضع غليوم كافة الصكصونيين اضطربت سلطنته فى انكلتره من سلوك أولاده وذلك أنه من قبل واقعة هاستنغ كان غليوم عين ابنه البكرى روبرت الخليفة من بعده لو مات فى الحرب وكان عمر (روبرت) فى هذا الوقت اثنتى عشرة سنة فلما ترعرع ما ظهرت عليه النجابة والفلاح الموافقان لان يكون حاكما فانه كان فى نفسه قصيرا سمينا فظا قصير الساقين حتى سماه أبوه أبو سيقان قصيرة وكان فى نفسه كسلان ما عنده أدنى التفات الى شرفه وكان عند اخوته مهزأ يضحكون منه فهزؤا به ذات يوم ورشوه بالماء وسخروا منه فهاجت حميته وقام فيهم بسيفه وأراد قتلهم وما نجوا منه الا بشق الانفس وتمكنت بينهم العداوة وزادت المنازعات بين هؤلاء الاخوة من ظنهم أن غليوم عازم على ابطال

الوراثة وقام البارونات النورمنديه وجعلوا روبرت آلة لهم وحضوه على أن يطلب من أبيه استقلالية نفسه بحكومة (نورمندى - والمين) فرفض أبوه الطلب فمن ثم أهاج روبرت حربا على أبيه واجتهد فى الغارة على (روان) عاصمة نورمندى ولما خاب فى ذلك أخذ من ملك فرانسا قلعة (غربروا) الموجودة فى الحدود فكان يغير منها على ممالك أبيه فحاصر هذه القلعة جيش مؤلف من النورمنديين والانكليز فى سنة ١٠٧٩ بعد الميلاد وفى أثناء هجوم غليوم جرح روبرت أباه فدخلت الملكة ماطيلدة مع الاشراف فى منع هذا الحرب الغير الجائز ووقع الصلح بين الاب والابن فى الحال وفى سنة ١٠٨٧ بعد الميلاد هاج حرب بين غليوم وفيليب الاول ملك فرانسا وهجم غليوم على مدينة (منطيس) ونهبها وحرقها ثم ركب غليوم ودار حول المدينة فداس حصانه بغتة على رماد ملتهب بالنيران فنفر الحصان فوقع غليوم من سرجه وأعقب هذه الواقعة حمى كانت نتيجتها وفاته فى ٩ سبتمبر سنة ١٠٨٧ بعد أن بلغ من العمر ستين سنة وفى السنة الحادية والعشرين من سلطنته أوصى وهو على فراش موته بنورمندى لروبرت وأن يكون غليوم خليفته فى انكلتره لعلمه أن روبرت لا يوافق أحكام انكلتره

وكان غليوم شريرا وقائدا كبيرا حتى انقضى أجله وكانت شدة عقله تعادل قوة جسمه وكان شجاعا مثل الاسد سريع العمل سخيا عند الحاجة شديدا وحشيا وقت الطلب وما تيسر له الحصول على معرفة اللسان الانكليزى مع أنه بذل ما فى طاقته فى تعلمه وحافظت ماطيلده زوجته ابنة بالدوين صاحب فلندره على محبتها له الى آخر حياته وصرف آخر سنى عمره فى نورمندى وقد ذكرنا تفاصيل الوقائع بينه وبين ملك فرانسا فى تاريخ فرانسا وخلف من زوجته ماطيلده روبرت دوق نورمندى وريشارد الذى مات فى الغلبة الجديدة وغليوم وهنرى تعاقبا التخت الانكليزى وعدليده تزوجت كونت بلوا وعدة بنات أخر

ثم تولد من نتائج الفتح النورمندى لانكلتره دخول عائلة جديدة فيها وأشراف ولسان وقوانين وعوائد جديدة وتجريد أشراف الصكصونيين من أراضيهم وصار قواد النورمنديين أشراف وبارونات انكلتره واتسعت طريقة الالتزام وبها صارت كافة الاراضى تحت يد الملك يهب منها ما يشاء لمن اختاره وتوظف النورمانيون فى المصالح العالية فى الكنائس والديورة وصرف النظر عن الكتب القديمة الانكليزية المخصوصة بالديانة وعوائدها وتولد من كثرة وجود خدمة الدين الاغراب فى المملكة زيادة نفوذ سلطة البابا وشوكته وتحولت كافة الاشغال والقوانين الى اللسان الفرنساوى النورمندى ولزم الحال لكثرة وجود التراجمة بين القضاة والحكام والامة الانكليزية واستمر وجود هذا الجنس الفاتح ما ينوف عن قرنين فتولد من ذلك جسم ولغة مختلطان وجلب النورمانيون معهم الحضارة العالية والتمدنات العصرية الغالية وأوصلوا انكلتره لمعارض القارة ومن كثرة محبتهم للفنون والصنائع والفروسية كانت الفائدة العظيمة للحواس العقلية والآلات الادراكية والشجاعة والفروسية عند الامة الصكصونية وفى مدة قليلة أزهرت فى الامة الانكليزية المعارف فى فن العمارات والصنائع والاختراعات والفروسية والعلم والآداب السياسية

سلطنة غليوم الثانى

ومن بعد موت الفاتح غليوم أسرع ابنه الثانى غليوم وحضر عند (النفرنك) بجواب مختوم بختم أبيه من أجل صيرورته ملك انكلتره وكان غليوم رجلا قوى البأس بوجه أحمر وشعر أصفر وبسبب حمرة

وجهه وذقنه اقب بالاحمر وكان خاضعا لابيه ومعادلا له فى الشجاعة غير أنه كان على غير ادارة وسياسة لقومه وكان على اعتناء قليل بالقوانين والديانة فكانت حياته مقبوحة وكان لنفرنك استاذه فتوجه حالا فى كنيسة وستمنستر فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٠٨٧ بعد الميلاد باقب غيليوم الثانى الاحمر خوفا من أن روبرت ربما يعلن بطلب التاج وكان فى قلب عود و أسقف بايوكس غيرة شديدة من نفوذ لنفرنك فانتهز الفرصة فى وقوع مشاحنة من أجل الوراثة وهيج أكابر الاشراف فقاموا فى ثورة من أجل روبرت فاستغاث غيليوم بالامة الانكليزية فى مساعدته ووعدهم بعود ما فقدوه من حقوقهم وأخذ بمساعدتهم الثورة من قبل عبور (روبرت) الخليج وأخذ عودو أسيرا فى وقت التغلب على (برفنسي) ثم عفا الملك عنه وعهد اليه المداولة الحربية مع محصورى محافظى (روشيستر) فنكث عهده وانضم ثانيا مع العصاة ولما وقعت الغلبة على المدينة تذكر الانكليز فظاعة حكومة عودو فى مدة حياة الفاتح وتذامروا على قتله فخرج بنفوذ النورمنديين ونسى غيليوم مواعيده التى واعدها الانكليز لكنه مانسى بطشه بروبرت فمن ثم أغار على نورمندى وبخيانة البارونات تغلب على نصف قلاع هذه الدوقية فداوم روبرت على الحروب حتى تعب البارونات منه وعقد الصلح بين الاخوين على شرط أن يكون لكل واحد منهما ما تحت يده حتى القلاع النورمندية التى تغلب عليها غيليوم وأن تعود أملاك أصدقاء روبرت اليهم كما كانت وان مات أحدهما من دون خلف تنضم انكلتره ونورمندى تحت يد الموجود منهما على قيد الحياة واتفق الاثنان على محاصرة أخيهما هنرى الصغير فى قلعة فى جبال سنت ميخايل على مسافة من حدود نورمندى فحاصراه وانجبر هنرى على التسليم وجال فى الارض من دون نقود ولا طعام ولا ملجأ يلتجئ اليه مصمما على الانتقام من الذين سلبوا قلعته منه وما حفظ غيليوم وعده لروبرت بل هيج فى سنة ١٠٩٤ بعد الميلاد حربا على أخيه ومن بعد مضى سنتين أى فى سنة ١٠٩٦ بعد الميلاد وقع الصراخ بحمل السلاح فى كافة أنحاء أوروبا من أجل اعادة القبر الشريف فى أورشليم من أيدى المسلمين فالتهبت نار الحمية والغيرة فى قلب روبرت بصدد ذلك وقدم مدينة نورمندى رهنا تحت يد غيليوم على مبلغ ١٠,٠٠٠ مارك ليستعين بها للحرب المقدس فقبل غيليوم هذا الرهن مع الانشراح وتوجه روبرت الى الارض المقدسة بصفة عسكرى فى حرب الصليب

وانتهز (مالكولم) صاحب اسكوطلنده غياب غيليوم فى نورمندى وكان متزوجا أخت ادغار اثلنغ وملاذ دوانه بمنفى النورمانيين والانكليز وأغار فى سنة ١٠٩١ بعد الميلاد على الكونتات الشمالية ثم انتهت الحرب بخضوع مالكولم وأدائه الاحترام لغيليوم ثم تولد من غرس مستعمرة انكليزية فى (كارليسل) سبب جديد فى وقوع مشاحنة بين الملكين ومن ثم أغار مالكولم على عمبريا الشمالية فانقض عليه (ارل موبرى) وقتله وما كان غيليوم على نجاح تام فى حروبه مع أهل الويلس وكانوا متعودين على الغارة والسلب فى حدود الكونتات وعند قرب الجيش الانكليزى يتقهقرون الى جبالهم فكانت حروب غيليوم معهم فى جبالهم عائدة عليه بالخسائر فانجبر على تقوية قلاعه فى الحدود وصد أهل الويلس عن اغاراتهم على أملاكه

وكان أكبر مستشارى غيليوم فى مبادى سلطنته الاسقف (لنفرنك) ولما مات لنفرنك سنة ١٠٨٩ بعد الميلاد ازداد طمع وفظاعة غيليوم ووجد لنفسه مستشارا جديدا (رالف فلمبارد) وهو رجل

قسيس نورمندى كان سكن انكلترة فى عهد (ادوارد المعترف) فأشار على الملك بان يجعل الاسقفيات التزامات معتادة محاولة بحيث يمكنه ايجابها أو ابقاؤها كيف شاء فكانت نتيجة هذه الشورى أنه بمجرد موت الاسقف استمرت وظيفته خالية عدة سنين يدخل ايرادها فى جيب الملك واستمرت أسقفية كانتربورى خالية أربع سنوات ثم تعين (عنسلم) لهذه الوظيفة فرفض قبولها وقال ان مثله ومثل غيليوم فى الحكم كمثل نعجة ضعيفة مع ثور وحشى ثم قبلها على غير رغبة منه من بعد موت لنفرنك وكان يؤمل فيه دفع مبالغ كبيرة لخزينة الملك وكان (رالف) مشهورا بالخبث اخترع طرائق جمة غير عادلة فى ملء خزائن الملك بالنقود فجلب على نفسه لعن الغنى والفقير وتشكلت ثورة من أجل قتله فجاء منها بالبرطيل وصرف النقود واستلم زمام أسقفية دورهام مكافأة على ما أداه من الخدمات عند الملك

وفى ٢ أغسطس سنة ١١٠٠ بعد الميلاد بينما كان غيليوم فى الصيد فى الغابة الجديدة اذ أصابته نبلة من شخص مجهول فقتلته وفى مساء هذا اليوم وجد أحد الفحامين جسمه ملقى فى الغابة فحمله فى عربته الى (ونشيستر) واعتقد الناس فى هذا الوقت أن القاتل له هو الفارس (والطيرطيربل) خلف يمينا أنه برأ نفسه من قتله وكان البرنس هنرى موجودا فى الغابة فى هذا اليوم فظن الناس الا أن هنرى هو الذى قتل أخاه ومع ذلك فان حياة غيليوم كانت مشؤمة على الامة فلا راعى أحد موته ولا زار قبره

سلطنة هنرى الاول

وبمجرد ما سمع هنرى الابن الاصغر للفاتح بموت أخيه غيليوم توجه فى الحال الى مدينة (ونشيستر) وطلب الخزائن الملوكية وكان أخوه الكبير روبرت فى حرب الصليب فمن ثم ما كان يوجد فى المملكة معارض له فى طلب التخت وبما أن رئيس الاساقفة (عنسلم) كان منفيا فى أرض القارة توجه أسقف لوندره رسميا من بعد موت غيليوم الاحمر بثلاثة أيام وعول هنرى فى أول شغل أجراه على أن يحوز لنفسه الجم الغفير من الاصدقاء على قدر امكانه قبل عود أخيه من حرب الصليب فأغدق على خدمة الدين وأدخلهم فى الوظائف الخالية ومنح العطايا على الامراء والاشراف ولاجل ارضاء الطوائف وعدهم بالاصلاح وعود قوانين ادوارد المعترف ولاجل توطيد معروف الامة الانكليزية تزوج ماطيلده ابنة مالكولم صاحب اسكوطلنده وابنة أخت (ادغار اتلنغ) ثم أعاده هنرى عنسلم من دار منفاه وبذل طاقته فى اكتساب التفات الامة الانكليزية اليه ولما عاد روبرت من حرب الصليب وجد أنه ضاع حقه فى التاج الانكليزى فاستعد فى الحال لعبور الخليج ووصل الى (بورطسموث) فى سنة ١١٠١ بعد الميلاد فوجد الآن هنرى ماقدمته يداه من معروف الامة الانكليزية وذلك أنه فى حالة ما كان الجم الغفير من أشراف النورمنديين مع روبرت اصطفت الامة الانكليزية حول الملك واستمر الجيشان فى مواجهة بعضهما عدة أيام ولما أشرفت الحالة على وقوع حرب يتولد منها ادمار السيادة النورمندية فى المملكة دخل عنسلم وبعض البارونات وحثوا البرنسين على ازالة الخلاف الواقع بينهما وعقدوا فى هذا الوقت معاهدة اتفقوا فيها على بقاء هنرى فى مملكة انكلترة وتكون نورمندى لاخيه مع مبلغ ٣٠٠٠ مارك يصرف اليه سنويا قيمة راتب له ولما عاد روبرت الى دوقيته انتهز هنرى فرصة عقاب محبى أخيه مع ما كان عليه من المعاهدة فرجع روبرت ثانيا الى انكلترة وأنذر الملك بما حصل منه من نقض المعاهدة ثم رأى أن حياته على خطر مادام فى انكلترة فتنازل

عن راتبه وأسرع فى الخروج ناجيا بنفسه

ثم تولد من رخاوة روبرت واعتكافه على الموبقات وسوء الادارة وقوع الارتباكات فى ديوان نورمندى فقيل انهم نهبوا روبرت وسلبوه حتى احتاج للقوت الضرورى ولزم الفراش بسبب عدم وجود ملبوس يلبسه ولما وقعت حكومة الدوقية فى الارتباكات دعا البارونات النورمندية الملك هنرى فى سنة ١١٠٤ بعد الميلاد من أجل اصلاح حالة الدوقية فتوجه الملك فى السنة التالية فى رأس جيش عابرا الخليج ونزل فى نورمندى وطلب أن يتنازل الدوق عن حكومة الدوقية ويأخذ فى نظيره مبلغا من النقود مدة لا تماله فرفض روبرت هذا الطلب فكان سببا فى هياج حرب فى سنة ١١٠٦ بعد الميلاد وفى واقعة وقعت فى (طنخبرى) وقع روبرت فى يد أخيه فأرسله الى انكلتره وسجنه فى قلعة كارديف حتى مات فيها سنة ١١٣٥ بعد الميلاد وما كان هنرى استحوذ على نورمندى تماما فان غليوم بن روبرت ما أهمل فى طلب حقوقه ولا حقوق ما حصل لابيه من الضرر وكان له معاضدون أشداء مثل ملك فرانسا وارل فلندره وارل انجو فأما ارل انجو فانه نكث معاضدته له بزواج ابنته لغليوم بن هنرى وأغار ملك فرانسا ومحالفوه على دوقية نورمندى وحاربهم ملك الانكليز محاربة شديدة فى واقعة وقعت بينهم فى (برنفيل) فى سنة ١١١٩ بعد الميلاد انتصر فيها هنرى وهرب ابن أخيه مع غاية المشقة وقضى الملك السنة التالية فى تقوية موقعه فى نورمندى ووطد وراثة ابنه من بعده وما كان له غيره وكان عمر ابنه فى هذا الوقت ثمان عشرة سنة ولما فصل هنرى كافة المسائل فى نورمندى واستتب الأمن عزم هو والبرنس غليوم ابنه على العود الى انكلتره فى سنة ١١٢٠ بعد الميلاد فنزل البرنس فى سفينة اسمها (البيضاء) رئيسها قبودان اسمه (فيطز اصطفان) ابن رجل كان رئيس مركب غليوم الفاتح فى وقت اغارته على انكلتره ثم ان جميع السفن أقلعت فى وقت الصباح الا السفينة البيضاء فانها لسكر بحريتها تعطلت لوقت المساء ثم ابتدأت فى السير بحالة سريعة ومن عدم التفات القبودان والبحارة الذين كانوا على درجة شديدة من السكر ومن شدة الظلام التطمت فى صخرة على مسافة من (علدرنى) فانزلوا منها قاربا صغيرا نزل فيه البرنس وبعض الامراء من هذه المركب الغرقانة فسمع البرنس صراخ أخته فرجع لخلاصها فنط الكثير من المركب فى القارب فغرقوا جميعا وما نجا منهم الا اثنان وهما الرئيس (فيطز اصطفان) وجلاد نورمندى ولما عرف الرئيس غرق برنسه قذف بنفسه فى البحر وهلك ونجا الجلاد ليقص القصص على أهله فغضب على ذلك عدة أيام وما تجاسر أحد على اعطاء خبر للملك ثم وردت رقعة ليد الملك تنعى له عاقبة السفينة البيضاء ومن كان فيها ففزع الملك من هذه الاخبار ونعى نفسه على فقد الوارث له ولما قرعت هذه الاخبار مسامع ابن روبرت الذى كان فى هذا الوقت كونت فلندره تخيل له عود حقوقه غير أنه ما حصل له مساعدة فى بلوغ مقصوده وفى سنة ١١٢٨ انجرح جرحا مهلكا فى واقعة مع ماركيز الالساس أمام أبواب مدينة علوسب فمات منه

وقد ذكرنا أنه فى وقت جلوس هنرى على كرسى انكلتره كان رئيس الاساقفة (عنسلم) منفيا فى فرانسا فلما طلبه الملك أعاده الى وظيفته فى كانتربورى وطلب منه أداء رسوم الاحترام على منوال عوائد الملتزمين من أجل الاراضى المربوطة على قسوسيته وله تقليد الوظائف مثل العادة الجارية من قبل فكانت العادة أن الاسقف مثل البارون يؤدى رسوم الاحترام من أجل التزامه الاراضى التى يستلمها

بأن

بأن يجثوا أمام الملك و يضع الملك فى يديه الخاتم والعكاز دلالة على الوظيفة والاستحواذ على امتلاك الاراضى و يجرى معه مثل ما يجرى فى اعطاء السلاح للعسكرى الموجرفين ثم صيرت هذه العوائد للملك رأس الكنيسة فمنع البابا جريجورى السابع فى سنة ١٠٧٤ بعد الميلاد هذه العادة وأعلن باستقلال الكنيسة من تحت حكم المملكة ومن أجل ذلك رفض عنسلم أداء رسوم الاحترام للملك واستلامه أدنى تقليد منه طاعة لامر البابا ووقع بينه وبين هنرى مشاحنات ومنازعات طويلة انتهت بقبول هنرى تنازله عن حق تقليد الوظائف بالخاتم والعكاز واتفق مع البابا أن الاساقفة والقسس يؤدون رسوم الاحترام بشأن الاراضى المربوطة على قسوسياتهم فكان هذا سببا فى عدم تولية الملك وظائف الاساقفة والقسس واستقلالية الكنيسة وعظمت شوكة البابا فى المملكة ومن بعد غرق البرنس غيليوم طلب هنرى توطيد التاج لابنته الوحيدة (ماطيلده) وكانت متزوجة بالامبراطور هنرى الخامس صاحب جرمانيا ومن بعد موت زوجها عادت فى سنة ١١٢٦ بعد الميلاد لبيت أبيها من دون ذرية وحلف البارونات فى مجلس حافل على المحافظة على حقوقها وكان ابن عمتها (اصطفان ارل بلواز) حاضرا فى المجلس وأول من أخذ عليه عهد الطاعة وفى السنة التالية تزوجت (غيوفرى) الابن الكبير لارل انجو وعاش هنرى حتى خلفت منه ثلاثة أطفال وفى أول ديسمبر سنة ١١٣٥ بعد الميلاد مات هنرى فى جهة كنيسة سنت دانيس فنقل جسده الى انكلتره ودفن هناك وكانت زوجته الاولى ماطيلده ماتت من قبله فى سنة ١١١٨ بعد الميلاد وخلف منها غيليوم الغريق وماطيلده وتزوج من بعد موتها (عديله) ابنة دوق لوفين فما خلف منها ذرية وكان هنرى هو الولد الوحيد من أولاد الفاتح الذى ولد فى انكلتره وكان جميل الصورة ثابت العزم أسمر السحنة تام الخلقة عالى الجبهة لا يعرف العفو أهل رياء وتصنع طماعا حريصا غيورا شهوانى النفس حاز الدرجة العالية فى السلطنة وكان يرغب فى زيادة العلو غير أنه أصلح الادارات العدلية ومنع رخص الامتيازات للمدائن وعاقب اللصوص جزاء على ما كانوا يفعلون ونشر الامن فى انكلتره ومن ثم نال المعاضدة من الامة الانكليزية قلبا ولسانا وكانت عاقبته محمودة عندهم وتذكاره جليلا مع ما كانوا عليه فى مدته من تحملهم أثقال الاحمال الصعبة الواقعة على ظهورهم من الضرائب وعدم ثقته بهم حتى منع توظيف أى رجل انكليزى فى وظائف حكومته

وفى مدة سلطنته فى سنة ١١٠٥ بعد الميلاد غرس مستعمرة من الفلمنكيين كان طردهم طوفان المياه من أرضهم وأسكنهم فى (هفرفوردوست) من أعمال (پامبروك) وكانوا فى حدود الويلس فازدادوا بسرعة فى العدد والثروة وعكفوا على زراعة الاراضى ومشغولات الاصواف ومع أن ملوك الويلس اجتهدوا فى طردهم من هذه الجهة لكنهم ظفروا بالمحافظة على ما تحت أيديهم رغم أنوف هؤلاء الملوك وكان غيليوم الفاتح وابنه غيليوم الاحمر اجتهدا فى بقاء الويلس داخل حدود بلادهم ومنعهم من الاغارة على كونتات المملكة بتشييدهما قلاعا قوية فى الحدود للمحافظة على البلاد غير أن سياسة هنرى فى غرسه سكانا أقوياء أهل شغل وكد فى الاعمال الصعبة فى حدود المملكة كانت أقوى وأتقن وتولد منها سد عظيم فى هذه الجهة منع غارات أهل الويلس على المملكة وقرر هنرى معايير المكاييل والموازين ودفع الضرائب نقودا بدل أصناف وفى سنة ١١١٨ بعد الميلاد ترتبت الطائفة الديانية من فرسان الهيكل فى مدينة أورشليم من أجل المحافظة على الزوار فى الطريق وفى سنة ١١٢٤ بعد

الميلاد ترتبت فرسان دار الشفاء فى المدينــة المذكورة من أجل ملاحظة المرضى من الزوار ثم صاروا حزبين حربيين تحت اسم الفارس القديس يوحنا فانتشرت هذه الطائفة فى كافة أنحاء أوروبا من بعد تغلب المسلمين على فلسطين واستوطنوا قبرص ثم رودس ثم مالطه ثم انقرضوا عن آخرهم

سلطنة اصطفان

ومن بعــد موت هنرى جاءت مدة مقدارها تسع عشرة سنة أى من سنة ١١٣٥ الى سنة ١١٥٤ بعد الميــلاد مشحونة بسفك الدماء والمقاطعات والعنف مارأت انكلتره مثلها وما ترى بعدها نظيرها وذلك أن (اصطفان) ارل بلوا وكونت بولونية ابن عديلة ابنة غيليوم الفاتح كان جلبه خاله هنرى الفقيــد فى انكلتره فى صــغر سنه وعامله بالاحسان فمع انه حلف فى المجلس الحافــل مع البارونات الاخر على المحافظة على حقوق ابنة خاله (ماطيلده) غير أنه أسرع من جانب فرش موت هنرى وتوجه الى انكلتره وطلب التخت لنفســه وتتوج فى شهر ديسمبر ســنة ١١٣٥ بعد الميــلاد فى مدينة لوندره من بعد موت خاله ببضع أسابيع وكان يوجــد فى شأن لزوم تتويجه عدة أسباب أشهرها أن البارونات فى نورمندى كانوا على كراهــة شــديدة من (غيوفرى) زوج ماطيلده ارل انجو والذين فى انكلتره يكرهون حكم امرأة عليهــم ويرغبون أن يحكمهــم رجــل عسكرى له طاقــة على اخماد الثورات التى تأتى عقب موت هــنرى ويكون رئيس أشرافــه فى وقت وقوع كرب أو خطب جسيم وغــير هذا فان اصطفان كان محبوبا معززا عنــد البارونات وبذل أخوه هــنرى أسقف (ونشيستر) مجهوده مع خــدمة الدين فى مساعدته وتعهد اصطفان من أجــل توطيد تختــه بدوام المحافظة على حقوق الكنيسة ومنحها امتيازات جــديدة ورخص للبارونات ببناء قــلاع فى أراضيهم وتعهد لهم بمراعاة القوانين القديمة والعوائد الطيبة العظيمة التى كانت جارية فى مدة أسلافه وقبل ملك فرانسا أيضا أداء رسوم الاحــترام له على نورمندى وأرســل البابا تصديقا على انتخاب الامة وخيرتها واستعد العساكر الاجرية المؤلفة من الفلمنكيين والبريطانيين المســتأجرين للمحاربة معــه وأغار غيوفرى ارل انجو على نورمندى فى مرضا مزوجتــه فانهزم وخسر ورجع على أعقابه واستمرت الدوقيــة عدة سنين ممزقة بما فيها من الاحزاب وأخيرا تقررت فيها حقوق ماطيلده

وفى سنة ١١٣٦ بعد الميلاد قام داود ملك اسكوطلنده خال ماطيلده وحمل السلاح وحارب من أجل اثبات أمرها ولما تذكر يمين احــترامه أغار على الكونتات الشمــالية فصرفه اصطفان عنها بكونه وهب له ســيادة (هنطنغدون) وقلعة (كارليسل) فاستغاثت به ماطيلده مرة ثانية فى حضانة أمرها وحضه البارونات الانكلــيزية والنورمندية الذين هربوا الى أرض السهل فى اسكوطلنده من شــدة حكم اصطفان على خلع هذا الغاصب فجمع فى سنة ١١٣٨ بعد الميلاد قوة كبيرة من قبائل الاراضى الجبلية وتساعد بالجموع الكثيرة من مستأجرى الانكلــيز والنورمانيين وزحف فى غاراته حتى وصل نواحى يورقــه فكان فيها الهول الاكبر والضرر الاحمر وكان معظم جيشــه مؤلفا من وحوش الرجال فنهبوا الكنائس وحرقوا البــلاد وقتــلوا الرجال والاطفال وساقوا النــساء مثــل الانعام وفعلوا بهن أقبح المعاملات البربرية وتقهقر وامثــل الجبناء بمجرد زحــف اصطفان عليهــم وصار لا طاقة له على السير خلفهــم فى وسط مفازات قفرة يحتاج فيها المؤنة وذخائر وعاد الى ما جاء فرجع الاسكوطلنديون ثانيا فعول البارونات والوجوه الموجودون فى الجهات على المحاربة من أجــل المحافظة على ســلامة أنفسهم وطلب (طرسطان) أسقف يورقــه الناس من كافة الاسقفيات باشارة الصليب ودعاهــم

للاجتماع

للاجتماع على حماية بلادهم وتقابل الجيشان فى سنة ١١٣٨ بعد الميلاد بالقرب من (علرطون) الشمالية ولاجل ارشاد فلاحى الانكليز علقت الثلاثة بيارق المقدسة الكصونية على صارى مركب وفوق البيارق صورة صلب المسيح وتحته صندوق من الفضة فيه البرشام المقدس فأغاروا على الاسكوطلنديين اغارة سافكة وفى مدة قليلة قتلوا منهم نحو امن ١٢٠٠٠ قتيل وعرفت هذه الواقعة بواقعة البيرق ثم عقد الصلح فى سنة ١١٤٠ بعد الميلاد ووقع الاتفاق على أن البرنس هنرى بن داود يتولى عبريا الشمالية فى صورة التزام ماعدا قلعتى (بامبوروغ ـ ونيوكاستل) وتعطى الاسكوطلنديون رهائن على بقاء الصلح

ومن بعد واقعة البيرق بقليل اشتبك أصطفان مع روجر فى مشاحنة وكان روجر أسقف سلسبورى وعائلته أشد قوة وبأسا واتجه نفوذ الكنيسة نحو (روجر) حتى ان هنرى أسقف (ونشيستر) أخا اصطفان قاومه فى منازعته مع روجر وكان فى هذا الوقت نائب البابا وكان روجر من المعاضدين فى الابتداء لاصطفان وكان السبب فى ذلك أن اصطفان فعل فعل المجانين فى سنة ١١٣٩ بعد الميلاد وشرع البارونات فى وقوع الهياج والشغب وزادوا فيه نخاف الاساقفة على أملاكهم وأرواحهم وشرعوا فى تحصين قلاعهم وخشى اصطفان أن ينضموا الى ماطيلده فقبض على جماعة منهم ومن ضمنهم روجر قاضى القضاة أعز أصدقائه وكان ابن روجر كاتب أسرار الملك وابن أخيه أسقف عيلى مأمور الخزينة ووضع روجر فى الحديد وهدده بشنق ابنه مالم يتنازلوا عن قلاعهم ثم اعتزل الاسقف روجر وخسر اصطفان أعز أصدقائه الاكثر نفعا له ومن ابتداء هذا الوقت انتهى أمر القوانين والنظام وصارت الحكومة فوضى وكان أصدقاء ماطيلده منتظرين هذه الفرصة حتى يقوموا بالسلاح فجمع روبرت ارل غلوسيستر وهو أخ غير شقيق لماطيلده جيشا فى نورمندى واصطحب باخته ونزل فى سنة ١١٣٩ بعد الميلاد فى مينة (بورطسموث) فكان هذا مبدأ حرب داخلى عنيف وتوالت الوقائع بعضها وراء بعض ومن المستحيل شرحها وبيان تفاصيلها واستمر هذا الحرب ثمان سنوات متوالية وكان روبرت ارل غلوسيستر لما نزل فى المينة ترك أخته ماطيلده فى قلعة (أرنديل) فزحف عليها أصطفان للقبض على ماطيلده فخدعه أخوه هنرى وتركها فالتحقت بأخيها روبرت وكانت هذه الحروب سببا فى الخراب بسبب كثرة جموع العساكر الاجرية الموجودة فى كل من الحزبين وأوقع الاغراب أنواع العذاب على أعدائهم وما كانوا محافظين الا على ثروة أنفسهم والنهب واستلم واحد من هؤلاء المجازفين من الملك قلعة (ريفير) وضبطها لنفسه وأجرى غاراته منها لنفسه وأسر الناس وقتلهم ومن السعادة ختام وحشيته وفظائعه بأخذه أسيرا فى أثناء الهجوم على قلعة (مارلبروغ) وصلبه وقبض على اصطفان فى واقعة وقعت فى (لنكولن) فى سنة ١١٤١ بعد الميلاد وسجن فى قلعة (بريستول) فانعقد مجلس حافل فى مدينة ونشيستر أعلن فيه بان ماطيلده ملكة انكلتره ودخلت مدينة لونده ره فى هذه السنة فكانت عبوسة الوجه شامخة الانفة والعظمة حتى ان أهل لونده ره قاموا عليها وما وقع تتويجها فهيجت زوجة أصطفان الباسلة وهى ماطيلده صاحبة بولونية أهل مدينة لونده ره فى ارسال ألف فارس من أجل حصار مدينة ونشيستر فنهبوا المدينة وأسروا ارل غلوسيستر وفدوا به أصطفان ولما خلص أصطفان حاصر ماطيلده فى قلعة أوكسفورد سنة ١١٤٢ بعد الميلاد وضيق عليها حتى انها هربت فى الليل عابرة المفازات المغطاة بالثلج فى

ملابس بيض ثم قضت خمس سنوات حاكمة انكلترة الغربية واصطفان فى انكلترة الشرقية ولما مات روبرت ارل (هرفورد) وآخرون من كبار المعاضدين لها اعتزلت وتوجهت الى نورمندى فى سنة ١١٤٧ بعد الميلاد ومازال عدم الامن موجودا فى المملكة لان الحروب والمنازعات كانت جارية بين البارونات مع بعضهم وكانت كل قلعة مملكة فى حد ذاتها يضرب سيدها النقود بنفسه ويشرع القوانين وينهب ماحوله من الاراضى والبلاد وكبسوا على الناس المساكين المهانين الساكنين فى الارض بالعنف والشدة فى بناء القلاع وذكر فى سفر الحوادث والتسجيلات السنوية أنه لما تم بناء القلاع شحنها البارونات بالاشرار فكانوا يأخذون الذين يظنون أن عندهم أمتعة ونقودا بالليل والنهار ويشغلون الرجال والنساء ثم يطرحونهم فى السجون من أجل الذهب والفضة ويوقعون عليهم مالا يطيقون من العذاب ومات ألوف الالوف من الجوع وشدة الضنك ولا يمكن لواصف وصف الاوجاع والاكدار والعناء التى حاقت بالمساكين سكان الارض واستمر ذلك تسع عشرة شتوية واصطفان ملك ثم أخذ فى الزيادة جدا ومن ثم عدم القمح العزيز واللحم والجبن والزبد من الارض وبعد هذا ماتركوا كنيسة ولا مقبرة الا أخذوا كافة مافيها واحرقوها وخلت الارض من مزارع القمح لانها كلها صارت خرابا بلقعا وفى سنة ١١٥٠ بعد الميلاد لما صار انتخاب بابا جديد فى رومة عين رئيس الاساقفة (طيوبالد) فى كانتربورى وكان رجلا على سياسة وذوق كبير من أن يكون نائبه فى المملكة فطلب اصطفان منه أن يجعل ابنه الكبير وارثا للتخت من بعده فما قبل ورفض طلبه وشدد (طيوبالد) على اصطفان فى تقرير التخت من بعد موته لابن ماطيلده وقال للملك لا حق له فى تسليم التخت من بعد موته لابنه وكان هنرى ابن ماطيلده بلغ مبلغ الرجال وصار له طاقة على المحافظة على حقوقه وانه عند موت أبيه فى سنة ١١٥١ بعد الميلاد صار دوق نورمندى - وارل انجو - ومين - وطورنيه وزادت قوته بتزوجه فى السنة التالية (عليئور) مطلقة لويز السابع ملك فرانسا فنزل فى سنة ١١٥٣ بعد الميلاد بجيشه طالبا حقوق أمه فى التخت فتقابل جيشه مع جيش اصطفان فى نواحى (والنغفورد) الا أنه ما وقع حرب لان كلا منهما كل وتعب من الحروب وفى هذا الوقت مات أيضا (عوسطاس) ابن الملك ومابقى لاصطفان شئ يحارب من أجله فاتفق على عقد صلح وحصل الوعد بان اصطفان يدوم على لبس التاج الى انقضاء حياته وتؤدى البارونات رسوم الاحترام لهنرى بصفة أنه ولى العهد ومن بعد مضى سنة من عقد هذه المعاهدة مات اصطفان فى سنة ١١٥٤ بعد الميلاد فى شهر أقطوبر وكان اصطفان جميل الصورة قويا نشيطا فى أشغاله شجاعا مخلصا منشئا سخيا تزوج ماطيلده ابنة عوسطاس كونت بولونيه وماتت فى سنة ١١٥٣ بعد الميلاد وولد له منها عوسطاس وغليوم ومريم وتزوجت مريم بكونت فلندره وفى مدة هذه السلطنة أنشئت قلاع كثيرة بلغ عددها من ١٢٦ قلعة الى ١١٤٥ قلعة

(ملوك البلانطجينيت)
(أى أصحاب المقشة)
سلطنة هنرى الثانى

وكان هنرى الثانى ابن ماطيلده وغيوفرى ارل انجو أول سلسلة الملوك أصحاب المقشة وسبب تلقيب العائلة بهذا اللقب ان الارل الاول فى انجو المؤسس لهذا البيت وهو الجد الاكبر لهنرى كان من عادته أن يلبس على طاقيته ضغثا من عيدان السمار على هيئة المقشة فمن ثم لقب بابو مقشة والعائلة بأصحاب المقشة وجلس على تخت انكلترة وعمره احدى وعشرون سنة وكان حائزا من السابق قوة عظيمة وشوكة جسيمة مع الفوز العظيم فانه ورث من أمه نورمندى واستحوذ من أبيه على (انجو - ومين - وطورينه)

وطورينه) وبتزوجه عليئور أضاف لاملاكه الاخرى كافة أقاليم فرانسا الممتدة من نهر لواره الى جبال البرنات ومن بعد مضى بضع سنين تزوج ابنه غيوفرى ابنة دوق بريطانى وما كان له غيرها فادخل هنرى اقاليم بريطانى أيضا تحت تمكينه ومن ثم صار نحو نصف فرانسا تحت حكمه وبواسطته انتقلت انكلتره لبيت انجو وكانت سلطنته أجل سلطنة وأعظمها فى تاريخ الانكليز ومع أنه كان تابعا الملك فرانسا فى الالتزام الا أنه كان أقوى شوكة منه ومن توابعه لو اتحدوا وشرع هنرى فى سلطنته بخلاص المملكة من كافة الاغراب الاجرية الذين كانوا جاؤا اليها فى الحرب الداخلى الذى سبق القول عليه وأضعف شوكة الاشراف وأمر بهدم القلاع والحصون العديدة التى أنشئت فى عصر سلطنة اصطفان وأعاد النظام فى المملكة بكونه عين مبعوثين من طرفه لادارة الاحكام ونشر قوانين العدل واستحوذ على ميل الامة قلبا ولسانا بمنحه رخص امتيازات لكثير من المدائن والقرى الكبيرة

وكان أكبر مستشارى هنرى الثانى فى مدة الست سنوات الاولى من سلطنته (توما بكت) ابن رجل غنى من تجار لوندره ومن نسل النورمانيين وكان أبوه تقلد مشيخة مدينة لوندره وولد توما ابنه البكرى فى سنة ١١١٨ بعد الميلاد فتهذب توما فى الابتداء فى دير (مرطون) من أعمال سورى ثم من بعده فى باريس ثم دخل فى خدمة (طيوبالد) رئيس أساقفة كانتربورى فاستحوذ بنجابته وجودة عقله على وظيفة شماس فى كانتربورى وبارشاد (طيوبالد) تعين بكت نائبا للملك هنرى فى جميع أمور المملكة وصار فى درجة عالية جدا وزاد بواسطته نفوذ الكنيسة ولما مات طيوبالد فى سنة ١١٦٢ بعد الميلاد عين هنرى صاحبه الاسقف (توماس بكت) رئيس أساقفة كانتربورى فعندها ترك بكت ما كان عليه من الابهة والرفاهية وحض من الزهد وعكف نفسه على واجبات وظيفته المقدسة واستعفى من النيابة فغضب هنرى من هذه الاحوال وكان الفاتح (غيليوم) صرح بمحاكمة خدمة الدين من أجل ذنوبهم أمام محاكم الكنيسة فعزم الآن هنرى على وضعهم تحت القانون المدنى ورغما عن معارضة رئيس الاساقفة جمع هنرى فى أن عقد فى سنة ١١٦٤ بعد الميلاد مجلسا حافلا فى (كلاريندون) تقرر فيه حقوق الكنيسة والمملكة فى ست عشرة مادة سميت بقوانين كلاريندون (ومنها) أن القسس لا يلزم من الآن فصاعدا حمايتهم والمدافعة عنهم فيما يكتسبونه من الذنوب من طرف المحاكم الكنائسية (ومنها) أن خدمة الدين المتوظفين فى وظائف المملكة لا يخرجون منها من دون رخصة من الملك (ومنها) أن العوام لا يحاكمون فى محاكم الاسقفيات (ومنها) أنه لا يجرى توقيع الحجر الكنائسى على رعايا وملتزمى الملك ولا على عقاراتهم وأملاكهم وأرضهم من دون رضا من الملك (ومنها) أن يكون استئناف قضايا المحاكم الروحانية فى ديوان الملك (ومنها) أن كبار خدمة الدين الذين يستولون على أراض من الملك يؤدون له رسوم حقوقها وعاداتها الالتزامية (ومنها) أن الاراضى التى يصير انتقالها للملك لا يلزم المحافظة عليها بطريق أنها مدافن أو مقابر (ومنها) أن الوظائف العالية فى الكنيسة يجب انتخاب أربابها فى كنيسة الملك مع رضاه وأداء رسوم الاحترام له فى مدة التقليد (ومنها) أنه لا تجب الزراعة فى أرض من طرف خدمة الدين من دون رضا سيدهم فرفض البابا قبول هذه القوانين ونظرا لشدة غضب هنرى على بكت رئيس الاساقفة انجبر بكت على الهرب الى فرانسا ووضع نفسه تحت حماية لويس السابع واستمر بكت منفيا ست سنوات وفى سنة ١١٧٠ بعد الميلاد عندما رغب هنرى فى تنصيب ابنه البكرى هنرى على التخت توجه فى الحال أعلن كل من بكت

والبابا اسكندر الثالث أن رئيس أساقفة كانتربورى هو الذى يكون له الحق بمفرده فى تتويج ملوك الانكليز ونظرا لذلك تفاقم النزاع بين هنرى الثانى ورئيس الاساقفة لكن بعد زمن قصير خشية من استمرار عداوة البابا أو لتوسط لويس السابع ملك فرانسا سمح هنرى لبكت بالرجوع الى انكلتره فعاد رئيس الاساقفة بحالة العتو والفظاظة وبمجرد وصوله أعلن بانه أحضر معه حكم الحجر الكنائسى الصادر من البابا ضد رئيس أساقفة يورقه وقسيسين آخرين من الذين كان لهم يد فى تتويج هنرى (الملك الصغير) فلما بلغ الملك هذا الخبر زاد به الغضب وأخذته الحدة وصرخ قائلا أفلا يوجد فى مملكتى شخص يخلصنى من هذا القسيس دنىء الاصل فخرج أربعة فوارس من حاشيته من نورمندى وتوجهوا الى انكلتره وذهبوا الى كانتربورى وقتلوا رئيس الاساقفة أمام محراب الكنيسة فى ٢٩ ديسمبر سنة ١١٧٠ بعد الميلاد وبهذا مات أحد فحول انكلتره المشهورين وما كانت استحوذت على نظيره من قبل فكان قسيسا على غاية من الشماخة والجسارة لا ينثنى له عزم ولا يتضعضع له أمر وكان فيه الكفاءة لازالة المطامع والنجاسات المخفية تحت طهارة الديانة والمكنونة فى صدور أربابها من خدمة الدين وغيرهم وكان مرغوب هنرى القبض على بكت فقط فلما وردت اليه أخبار قتله أفزعته وأقام الحجة على براءته من قتله وقبل البابا يمينه الا أن قتل بكت كان أردأ شىء على هنرى فانه لاجل غفران الالفاظ التى خرجت من فمه وتولد منها القتل أزال كافة المواد المتسبب منها عداوة الكنيسة وفى سنة ١١٧٣ قدس البابا جسم بكت بصفة ولى وشهيد واستمر قبره عدة أعوام مرعيا عند الناس بالتقديس وكان يزوره سنويا ألوف من العالم

وكان فتح ارلنده فى مدة هذه السلطنة من أشهر الحوادث وذلك أن تلك الجزيرة وان كانت معروفة عند الرومانيين غير أنهم ما بذلوا جهدهم فى اضافتها لممالكهم وفى نحو منتصف القرن الخامس من التاريخ المسيحى شرع القديس (پاطريق) فى خطابة الديانة المسيحية بها ونجح فى قطع دابر الديانة الدرودية منها واشتهرت ارلنده فى عصر الصكصونيين بانها دار علومهم ومركز دراستهم الدينية وعرفت عندهم بجزيرة القديسين ثم أغار الدانيمارقيون عليها الا انه ما تولد من غارتهم تغيير شىء فى حالتها وسكن الدانيمارقيون بعض المدن مثل (دبلين) و(واطرفورد) وغيرهما وبلغت هذه المدائن فى عصر هنرى الثانى علو الدرجة ومع أن الوطنيين كانوا متمسكين بالديانة المسيحية غير أنهم كانوا أهل خشونة وهمجية فكانوا يلبسون شعورا طويلة مسبلة على أكتافهم وعباآت من جلد الغنم مزينة بالوان مختلفة ويمشون وفى أيديهم فؤس الشغل ومساكنهم من أخصاص مصنوعة من الخشب ووفد كبيرهم على الديوان الانكليزى زائرا له فما كان له قدرة على النوم على الفراش وكان عند الانكليز انموذجا لاهل بلاده

وكان غليوم الفاتح له رغبة شديدة فى توجيه جيوشه على ارلنده لو عاش زمنا طويلا وكان لصوص ارلنده يغيرون فى غالب أوقاتهم على السواحل الانكليزية ويأخذون الكثير من الاسرى ويبيعونهم بيع الرقيق وفى سنة ١١٥٤ بعد الميلاد طلب من البابا ادريان الرابع (وكان أول رجل انكليزى تولى البابوية) أن يمنح ارلنده على التاج الانكليزى فأجاب البابا هذا الطلب على شرط أن ملك الانكليز يضرب ضريبة على وطنى الجزيرة عن كل بيت بنى واحد سنويا للدار القسوسية المقدسة ويبطل ما هو واقع من المفاسد ومع هذا فانه ما كان من السهل الاستحواذ على المملكة فمضت عدة سنين ولم

ينفذ

ينفذ هذا المشروع الى أن هاجت المنازعات بين الملوك الوطنية في الجزيرة فتولد منها فرصة ما كان يرجوه ملك الانكليز من قبل بمدة طويلة وكانت ارلنده مقسومة في ذلك الوقت الى خمس ممالك أصلية وهي (عولسطير - ولنسطير - وكانوط - ومونسطير - وميط) وكل منها محكوم بملك من أهلها وعلى الكل رئيس واحد ملقب بملك الحرب ثم ان (درموط) ملك لنسطير استحوذ على زوجة (عورورك) ملك (ايطريم) فتغلب ملك كانوط على أملاكه وطرده منها فوفد (درموط) على هنري الثاني وعرض عليه انسطير بصفة التزام انكليزي لو ساعده الملك في ارجاعها اليه فرخص هنري لأيّ واحد من رعاياه له رغبة في التوجه مع درموط فتقدم (سطرنغبو) ارل بامبروك خدمته في هذه المادة على شرط تزوجه (عيفه) ابنة درموط ومهرها وراثة لنسطير وانضم الى حملته أيضا ثلاثة من الشجعان الجسورين (روبرت فيطز اصطفان - وموريس فيطز غيرالد - وموريس برندرغاسط) وفي سنة ١١٦٩ بعد الميلاد نزل فيطز اصطفان بالقرب من ويكسفورد بقوة مؤلفة من ٤٠٠ نفس والتحق به على الفور قوة مؤلفة من ٥٠٠ نفس تحت قيادة (درموط) فسلمت المدينة وأعاد لدرموط مملكته وفي السنة التالية نزل (سطرنغبو) في الجزيرة في رأس قوة مؤلفة من ١٢٠٠ نفس وتغلب عنوة على (وطرفورد - ودبلين) وصار (سطرنغبو) ملك لنسطير من دون رخصة من هنري ولما رأى أن لا طاقة له على محافظة مركزه من حملات الوطنيين عليه أسرع الى انكلتره وعهد تسليم دبلين وكافة الجهات الحصينة للملك ويستلم الاقليم في صورة اقطاع للتاج الانكليزي فسافر هنري والارل الى ارلنده من مرساة (ميلفورد) في اسطول مؤلف من ٤٠٠ سفينة ونزلوا بالقرب من (وطرفورد) في شهر اقطوبر سنة ١١٧١ بعد الميلاد فأرسل كافة الملوك الارلندية لهنري بطاعتهم في دبلين من أجل أراضيهم ماعدا جهات عولسطير واستمرت قوانين ارلنده وعوائدها على ما كانت عليه من دون تغيير ماعدا المستعمرات الانكليزية وهي (دبلين - وميط - ولنسطير) وصارت المحافظة على هذه الاراضي بصف من قلاع مصنوعة من شرمبولات فكان الحكم الانكليزي خلف هذه القلاع اسما فقط ثم عاد هنري الى انكلتره في ابريل سنة ١١٧٢ بعد الميلاد ومعه لقب لورد ارلنده

ثم لما كان القسم الاعظم من أراضي فرانسا في حوزة ملك انكلتره كانت سياسة ملك فرانسا مقصورة على تهييج شقاق في عائلة هنري قاصدا اضعاف قوته فقوّى أولاد ملك الانكليز وهم (هنري - وريشارد - وغيوفري) وحرضهم على أن يطلبوا من أبيهم جهات لانفسهم من ممالكه وهدده بهياج الحرب عليه في حالة ما اذا رفض طلبهم وانضمت (عالينور) زوجة الملك هنري مع ملك اسكوطلنده في هذه الدسيسة واستعد الكثير من الاشراف في انكلتره ونورمندى لحمل السلاح في وجه ملكهم فأعقب هذه الحادثة هياج حروب انتصر فيها هنري في كل من جهتي فرانسا وانكلتره ومن بعد أن أرغم الملك لو يزعلى القهقرة امتلأ جسمه بالاحزان من قبح سير أولاده فكفر عما وقع منه من الجرائم على قبر بكت في فصل صيف سنة ١١٧٤ بعد الميلاد ومشى حافيا على أقدامه الى مزار الشهيد وسمح لرهبان الدير بضربه بالمقشات وفي هذا اليوم كانت الغارة على غيلوم الاسد ملك اسكوطلنده في (علنويك) وقبض عليه فكانت هزيمة الاسكوطلنديين ختام الحرب وانعقد الصلح في سبتمبر سنة ١١٧٤ بعد الميلاد وأدى غيليوم الاسد رسوم الاحترام على مملكته للملك هنري ثم هاج الحرب ثانيا

فی سنة ١١٨٣ بعد المیلاد بین الملك هنری وأولاده وفی وسط هذا الحرب أصیب البرنس هنری بحمى وأحس بقرب أجله فاستغاث بابيه فی زیارته له والعفو عنه فيما فعله فأرسل له الملك ختمه بالعفو عنه الا أنه خشى الخيانة فحفظه بعيدا عن فراش موته واصطلح غيوفری مع أبيه ثم مات بعد ثلاث سنوات وأما ریشارد ابنه الثالث فانه اتحد مع ملك فرانسا فی حرب علی أبيه وأرغم أباه علی عقد صلح مهين فی سنة ١١٨٩ بعد المیلاد ثم من بعدها أمر الملك بتحریر قائمة باسماء البارونات الذین كانوا اتحدوا مع ریشارد ابنه علیه ولما عرضت هذه القائمة لدیه فأول ما وقع بصره علیها رأى فيها ابنه الاصغر یوحنا الذی كان يميل بمحبته اليه ويثق به فقال يكفينی رؤيتی هذا الاسم ومن ثم تراكمت علیه الغموم والاحزان فتولد منها داء عضال كان سببا فی انقضاء أجله فی قلعة شینون فی نورمندی فی ٦ یولیه سنة ١١٨٩ بعد المیلاد وكان هنری متوسط القامة يشبه غيليوم الفاتح وكان علی شهرة عظيمة صاحب شهامة واقدام وحزم وتدبير الا أنه كان كثير الاحزان سیئ البخت من جهة عائلته وأزهرت انكلتره تحت أحكامه وأصلح الاحكام العدلية والقوانين الداخلية وما عاش من أولاده الخمسة وهم غيليوم (وهنری ـ وغيوفری ـ وریشارد ـ ویوحنا) الا الاخیران وخلف ثلاث بنات منهن مود تزوجت هنری دوق صكصونية فكان ابنها غیلیوم أول دوق فی برونسويك ومنه تناسلت أجداد العائلة الملوكية الحالية فی انكلتره

وفی سنة ١١٧٦ بعد المیلاد قسم المملكة الی ست كور وعين فی كل كورة ستة من القضاة وزادت أعمال التجارة فی مدة هذه السلطنة وجلب الصليبيون محصولات الشرق الی الغرب مثل أصناف البهار والجواهر والاقمشة الثمينة والذهب وأرسلت الی لوندره وفی سنة ١١٧٧ بعد المیلاد دخل استعمال الزجاج فی الشبابيك فی جهات مخصوصة وصارت لوندره عاصمة المملكة بدل ونشيستر وكانت ونشيستر تدمرت من الحروب الداخلية التی كانت قائمة فی السلطنة السابقة

سلطنة ریشارد الاول

ومن بعد موت هنری خلفه ابنه الثانی ریشارد الاول الملقب بقلب الاسد وكان سابقا دوقا كيطانيا وتتوج فی وستمنستر فی ٣ سبتمبر سنة ١١٨٩ بعد المیلاد وتولد من نظره لجثة أبيه فی حال مروره علی كنيسة (فونتفرود) الحسرة علی عصيانه وظهر علیه الحزن ومنع الاحتفالات القديمة التی كانت تجری فی وقت التتويج فكان فی ذلك الفائدة العظمى لانكلتره فانه أبعد الذین ساعدوه علی العصيان علی أبيه وأبقی فی المصالح الوزراء الذین كانوا صادقين فی خدمة أبيه وجعلهم نوابه وفی مبدا سلطنته حصل لليهود الضرر الاكبر وذلك أن هذه الطائفة وان كانت علی طريقة غير معادلة للطريقة التی عليها الامة فی العدل والاحكام ومعاملتهم بصفة أنهم أغراب عن المملكة لكنهم نموا وزادوا فی الثروة حتی صارت الامة تقترض منهم فی انكلتره وكان الكبير والصغير والقاصی والدانی يراعی هذه الطائفة مع الخوف وشدة الكراهة ونقلت حكايات قطاعة اليهود وعنفهم باولاد المسيح من واحد الی آخر وتولد منها قيام الحدة والشراسة فی عقول أهل الصليب حتی ساقتهم الی الجهات الاجنبية زاحفين علی المسلمين وكانت أيضا سببا فی هياج الكراهة لطائفة اليهود الموجودين فی انكلتره واتفق أنه فی يوم تتويج الملك (ریشارد) توجه بعض اليهود الی الكنيسة ومعهم هدايا نفيسة للملك قاصدين بها التفاته اليهم فأوقع العوام بهم وطردوهم وقتلوا البعض منهم فی محل الواقعة وأغاروا علی اليهود الموجودين فی المدينة ونهبوهم وحرقوهم بالحياة ودمروا مساكنهم واستمر أهل هذه الثورة المزعجة

يوما في هياج على اليهود وما جوزي أحد منهم على ارتكاب هذه الجرائم وانتشرت فظائعهم في المملكة وحصلت مقتلة مهولة مزعجة في يورقه وذلك أن خمسمائة من اليهود المحوسين التجؤا الى قلعة حصرهم فيها أهل المدينة فقدموا اليهم نقودا لنجاة أنفسهم فهاج غالب أهل المدينة وتذامروا على قتلهم ولما وجد اليهود أنه لا مفر من هلاكهم ذبح كل رجل متزوج منهم امرأته وأولاده ثم قتل نفسه بنفسه وجمع الموجودون منهم على قيد الحياة أموالهم وأنفسهم وأضرموا النار في المساكن والمباني الموجودة في القلعة فهلكوا فيها بأنفسهم وأموالهم وأعقب هذه المصائب غرامات ضربها الملك على كافة الامة وما نجا منها الا أتباعه

وكان ريشارد الاول على رغبة زائدة في اكتسابه الفخر في حروب الارض المقدسة فشرع بعد تتويجه في جمع النقود اللازمة له وباع أرض التاج ورتب الشرف والوظائف وتنازل عن حق سيادة تاج اسكوطلنده بمبلغ ١٠,٠٠٠ مارك وباع وظيفة نيابة المملكة لغيليوم لنغكامب أسقف علي بمبلغ ٣,٠٠٠ مارك وما خجل الملك من هذه الفعال وقال انه يرغب في بيع لوندره لو وجد لها مشتريا ولما جمع مبلغا جسيما أقلع من مينة الدوفر وترك المملكة تحت نيابة لنغكامب وانضم الى فيليب أغسطس صاحب فرانسا في جهة (فيزلي) على حدود بورغندى فبلغت قواهما نحوا من ١٠٠,٠٠٠ مقاتل وفي سنة ١١٩٠ بعد الميلاد سافر الملكان من مرسيليا وتوجها الى سيسيليا وقضيا فيها فصل الشتاء وفيها وقع بين فيليب وريشارد منازعة شديدة بسبب ما وقع من الانكليز من نهبهم مدينة (مسينه) انتقاما منهم في نظير عدم قبول الملك (طانكريد) رد صداق أخت ريشارد يوحانه أرملة الملك السابق ثم ترك ريشارد سيسيليا وتعطل سيره الى الارض المقدسة في جزيرة قبرص بسبب أن اسحق ملك الجزيرة كان حبس بعض أهل الصليب الذين غرقت مراكبهم على سواحل الجزيرة فلبث ريشارد فيها حتى تغلب عليها وعاقب ملكها وتزوج أيضا (برنغاريه) ابنة ملك نقاره وكان صحبه من سيسيليا ووصل ملك الانكليز الى عكا بعد اثني عشر شهرا من سفره من انكلتره وكان الصليبيون مجتهدين في حصار عكا من مدة سنتين وقتل منهم تحت أسوارها ما ينوف عن ٢٠٠,٠٠٠ نفس وكان السلطان يوسف صلاح الدين سلطان مصر وسوريا مراقبا حركة المحصورين في الجبال المجاورة للمدينة وكان يسقط في غالب أوقاته بحملاته على الصليبيين من هذه الجهات عند سنوح الفرصة له وأوقع الرعب والدمار في جهات الساحل المجاور لمدينة عكا فلما وصل ريشارد عكا تقوى المسيحيون وعادت اليهم أرواحهم وانتصر ريشارد على المصاعب الموجودة أمامه وبحزمه وشجاعته تغلب على المدينة في ثلاثة شهور وعقد صلاح الدين معه هدنة وانسحب من أمام عكا مع قواه

وعاد فيليب ملك فرانسا من بعد الغلبة على عكا معتلا بعدم صحته وأكد لريشارد محبته وسلامة قلبه بيمين حلفه له وترك فرقة من جيشه تحت قيادة ريشارد وخضعت عساكر الصليب لملك الانكليز بسبب ما رأوا فيه من الشجاعة والسخاء وحسن الاخلاق معهم لكنه كان مكروها عند برنسات الصليب بسبب شماخته عليهم وما سامحه (ليوبولد) دوق أوستريا من بعد أن مزق علمه ورماه من فوق باب عكا وما نسي له هذه الاهانة وتولد من سفر فيليب اضمحلال جيش الصليب وكسر قوته فسار ريشارد على الساحل قاصدا أورشليم في رأس ٣٠,٠٠٠ مقاتل وما راعى صلاح الدين الهدنة بل تبعه في حركته وضيق عليه طريق سيره وما خلص الجيش المسيحي من الدمار في نواحي عسقلان ويافا الا بحزم رأي

ريشارد وشجاعته ومع ما وقع له من المصائب والمقاومات فانه وصل الى مرأى من أورشليم الا أن جيشه صار فى غاية القلة بسبب ما وقع فيه من الامراض والهرب والقتل فى الوقائع التى انتصر فيها حتى وصل بالقرب من أورشليم ووجد أن الغارة على أورشليم لا تمكن فانسحب بقوته الى ساحل البحر ومن بعد أن صد اجتهادات وغارات المسلمين فى هلاكه عقد هدنة مع صلاح الدين لثلاث سنوات وقع الاتفاق فيها على أن الزوار مسموح لهم فى زيارة أورشليم من غير ضرر ثم من بعد عقد الهدنة وصلت أخبار من انكلترة الى ريشارد بما وقع فيها من الارتباكات فالتزم على العود بسرعة الى مملكته فى سنة ١١٩٢ بعد الميلاد وما وضع قدمه أبدا فى المدينة المقدسة وفى مدة غياب ريشارد فى حرب الصليب ارتبكت حكومة انكلترة ووقع فيها الفشل من سوء تدبير (غليوم لنغكامب) النائب فعزله البارونات وأجلسوا يوحنا أخا الملك وقلدوه زمام الحكومة وأغواه فيليب بمكره على أن يسعى فى ضبط التخت لنفسه و بلغت هذه الاخبار مسامع ريشارد فى فلسطين فاستعد للعود الى مملكته مع الملكة زوجته وخدمه وفى اكتوبر سنة ١١٩٢ بعد الميلاد وقع عاصف شديد فى مدة السفر على أسطوله ففصل منه سفينته ورماها على ساحل البحر الادرياطيق وغرقت فى ساحل عمطرياو بسبب علمه بعداوة جرمانيا له التى تولدت من مشاحنته مع (ليوبولد أوستريا) اختفى هو وأصحابه فى صفة زوار مجتهدين فى عبورهم الى بلادهم من وسط أراضى جرمانيا فوصل ريشارد على اسم هيو التاجر المشهور الى ضواحى فيانة فتعب من السفر والتزم الراحة برهة من الزمن فاشيعت أخبار نزوله فى أنحاء الدوقية وظهرت علامات وجوده فى سوق فيانة مع خادم له يشترى مؤنة بنقود أجنبية ووقعت الشبهة فى الخادم وضبط ومن ثم انكشف المحل المختبأ فيه ريشارد فأسره دوق أوستريا وسلمه لامبراطور جرمانيا هنرى السادس وأخذ فى نظير ذلك مبلغ ٦٠,٠٠٠ ليره فسجنه الامبراطور أربعة عشر شهرا فى قلعة فى الطيرول ثم عرف محل سجنه على التدريج ومع أن أخاه يوحنا وفيليب ملك فرانسا ادسا الدسائس فى دوام سجنه الا أن الامبراطور أطلق سبيله سنة ١١٩٤ بعد الميلاد على فداء يدفعه مقداره ١٠٠,٠٠٠ مارك من بعد أن جلبه أمام مجلس أوستريا وحاكمه فى تهمة قتل (كونراد) ماركيز منظفرات أحد رجال الصليبيين فأبطل ريشارد مع السهولة هذه التهمة وهدد البابا الامبراطور بوضع الحجر الكنائسى عليه واشتعل الغضب فى وجوه البرنسات الجرمانية فالتزم بالافراج عنه على دفع المبلغ المتقدم وصارت اجابته من رعايا الملك ودفع للامبراطور ولما خلص ريشارد وصلت أخبار خلاصه الى أخيه يوحنا من طرف ملك فرانسا منذرا له بقوله خذ الحذر لنفسك و بعود ريشارد خابت عزائم يوحنا ومع هذا فان ريشارد ما قابل أخاه بسوء وكان المجلس جرده من أملاكه وقلاعه بسبب ما كان عليه من قبيح السلوك فى حق أخيه فسامحه وتداخلت بينهما أمه عليه نور واصطلحا وصرف ما بقى من سنى هذه السلطنة فى حروب لا ثمرة فيها مع فرانسا فان فيليب استحوذ على بعض قلاع من نورمندى فى مدة غياب ريشارد فى حرب الصليب ولما تمم ريشارد أشغاله فى انكلترة عبر الخليج سنة ١١٩٨ بعد الميلاد وأرغم ملك فرانسا على تنازله عن هذه القلاع ودام الحرب بين الملكين بحركة بطيئة من قلة وجود النقود ومن بعد أن هزم ريشارد الفرنساوية فى نواحى غيسور عقد هدنة مع فيليب ومن بعد عقد هذه الهدنة بثلاثة شهور لاقى ريشارد موته فى منازعة صغيرة وقعت بينه وبين واحد من أتباعه وذلك أن (فيدومار) و يسكونت ليموغ من أعمال (كالوز) وجد كنزا فى أرض

املاكه

أملاكه فطلب ريشارد هذا الكنز لنفسه ولما رفض (فيدومار) طلبه حصره ريشارد فى قلعة كالوز وركب يوما وطاف باسوار القلعة فأصابه سهم فى سو رها من يد أحد العساكر كان سببا فى فقد حياة الملك فى ٦ ابريل سنة ١١٩٩ بعد الميلاد ولما حصل التغلب على القلعة صار القبض على العسكرى الذى ضرب السهم وكان اسمه (غوردون) وجىء به أمام الملك وهو راقد على فراشه قبل موته فلما رآه الملك سأله عن سبب جراءته على قتله فقال انك قتلت أبى وأخوى فسامحه وأمر له بمائة شلن لكن لم ينفذ هذا الامر بل عذب وصلب ودفن ريشارد تحت أقدام أبيه فى كنيسة (فونتفرود) وكانت سلطنته عشر سنوات لكنه مالبث فى انكلتره منها الاستة شهور وما كان عنده أدنى رائحة من الانكليز بل كان فرنساويا مولدا وتهذيبا وكان شجاعا باسلا صاحب قيادة فى الحروب وحاز قوة كبيرة فى جسمه وتحمل المشاق وصبر على مقاساة الاهوال وورث الشدة والعنف وسوء الاخلاق من أبيه وكان متكبرا جبارا وحشيا جائرا طماعا الا أنه كان مخلصا سليم النية والعاقبة كريما مفضا لاصدقاء فارسا محبا للشمر وعادات الحرب مع الصبر محبا للافتخار والصيت وكان عنده التفات قليل لجهة الانكليز وكان يعاملهم بالقسوة والاستبداد لكنه كان عندهم شجاع الاشعار وفارس الروايات الانكليزية وذكره وشهرته ممجدة عند الامة الانكليزية وماخلف من زوجته برنغارية صاحبة نفاره

سلطنة يوحنا

ومن بعد موت ريشارد تتوج أخوه يوحنا دوق (مورطانيه) أصغر أولاد هنرى الثانى ملكا فى وستمنستر فى ٢٦ مايو سنة ١١٩٩ بعد الميلاد وكان عاجز الرأى جبانا وحشيا ليس كفؤا للاحكام وكانت مدة سلطنته من المصائب والآفات على انكلتره وكان يوجد للتخت طالب آخر وهو ارثر دوق بريطانى ابن غيوفرى الاخ الكبير ليوحنا وكان عمر ارثر فى هذا الوقت اثنتى عشرة سنة ولما مات ريشارد قام بارونات (نورمندى – ومين – وطورنيه) وجعلوا ارثر سيدهم وحضن فيليب صاحب فرانسا أمره وطلب من أجله الاملاك الانكليزية التابعة للتاج الموجودة فى أرض القارة ثم ارتشى فيليب ليتخلى عن أمر ارثر وصار ارثر صديق عمه لحظة من الزمن فى أثنائها طلق يوحنا زوجته الاولى يوحانه حفيدة روبرت غلوسيستر المشهور وتزوج (ازابلا انغوليم) وكانت مخطوبة لارل مارش فتولد له من ذلك عدو مهول فى أرض فرانسا وكان فيليب يشتهى أن يرى يوما ينتهز فيه الفرصة فى وقوع منازعة مع يوحنا فحضه ارل مارش على تجديد العداوة معه وفى هذا الوقت التحق ارثر بفيليب فوقع ارثر أسيرا فى حرب كان مقاما للتغلب على قلعة ميرابو بالقرب من بواطيير كانت مقيمة فيها أم يوحنا فى سنة ١٢٠٤ وسجن سجنا شديدا فى قلعة روان مدة من الزمن وخفى من هذا الوقت أمره وقال قائل ان يوحنا عبر السين فى ليلة مظلمة فى قارب ومعه اثنان من الجلادين فجلبوا ارثر فى القارب وقتلوه بالخناجر ورموه فى النهر وهذا القول لانجزم بصحته بل نقول ان المعتمد أنه لم يره أحد من بعد سجنه ومع هذا فان دوان فرانسا تحقق جريمة يوحنا فى قتله فطلبه فيليب من أجل المحاوبة فى ديوان فرانسا أمام أعيانه فى شأن ماجنته يده فما التفت يوحنا لهذا الطلب فحكم ديوان فرانسا عليه بالجريمة وأعلن بتجريده من كافة التزاماته فى فرانسا ووقعت الاملاك الانكليزية وما يتبعها فى قبضة ملك فرانسا ماعدا جهة غينيه (الآن غسكونيه) وقطعة من بواطو وجزائر الخليج وتولد من هذه الخسائر التى وقعت ليوحنا فوائد عظيمة لانكلتره فان ملوكها لما تجردوا من أملاكهم الموجودة فى أرض القارة التزموا على حصر التفاتهم لها ومن ثم صاروا رجالا انكليزية وصار لاحكم للسيرفسات

الفرنساويه فى أرض انكلتره وصار والاطاقة لهم على العيشــة فى محاربات خارج انكلتره بمصاريف منها وجعلوا أما واهم وأحبابهم بين الامة الانكليزية

وعنــدما انغلق هــذا الحرب اشتبك يوحنا فى منازعــة مع البابا أنوسنت الثــالث وذلك أنه لما مات (هوبرت) رئيس أساقفــة كانتربورى انتخب الرهبان فى السر فى سنة ١٢٠٥ بعد الميلاد كبيرهم ليكون خليفــة هوبرت وأرسـلوه الى رومة ليأتى بالتصــديق على انتخابهــم من البابا أنوسنت وكان أنوسنت رجلا صاحب حزم غيورا فى حكومته مشهورا فى شوكته فلما بلغ يوحنا ما فعل الرهبان أمرهم بانتخاب صديقه (يوحناغرى) أسقف نوروتش لوظيفة كانتربورى وأرسـله أيضا الى رومة فصرف أنوسنت النظر عن هــذين الاثنين وأمر ستة من الرهبان كانوا توجهوا الى رومة للمداولة معه فى شأن هــذه المســئلة بانتخاب (اصطفان لنغطون) كردينال انكليزى كان فى ذلك الوقت فى رومة وكان رجلا على حالة طيبة واستقامة عظيمة وأعلن البابا رهبان كانتربورى بانتخابه رئيس الاساقفة بنفسه وهو اصــطفان لنغطون فاتفق الرهبــان على قبولهــم أمر البابا وكتب أنوسنت جوابا للملك يعلمــه بانتخابه رئيس الاساقفــة الجديد فكانت هذه الاخبار صدمة على قلب يوحنا فامتلأ بالغضب وحلف أن لنغطون لا يضع قدمه فى بلاده وأرسـل قوة متسلحة الى كانتربورى فــدخلوا الكنيســة شاهرين سيوفهم وطردوا منها الرهبان ولبس أنوسنت طقم حربه المعتاد وهــدد المملكة بوضعها تحت الحجر الكنائسى مالم يسـلم الملك فى تنفيذ أمره فى الوقت فلما كان فى تهديده بالحجر من فائدة فأعلن بالحجر على المملكة فى ســنة ١٢٠٧ وكان متيقظا جدا من كراهــة الاشراف للملك فعزم على أن يسير معه مع العنف واستمرت المملكة ست سـنوات تحت الحجر محرومة من شــعائرها الدينية وفى هذه المــدة أغلقت الكنائس وانقطع ضرب النواقيس وأغلقت أبواب المقابر ودفنت الموتى فى الاراضى الغيــر معدة للدفن من دون صــلاة ومنعت كافة الشعائر المسيحيــة ما عدا المعمــدة على الاطفال وكانت الامة غير راضية بهذه الاحوال أما يوحنا فما كان على خاطره شئ من هذا وانتقم لنفسه بكونه ضبط أمتعة الاساقفــة وخدمة الدين وصرف النقود فى حروب أجراها فى ارلنــده واسكوطلنده والويلس وحصــل له النصر فى تلك الجهات وفى سنة ١٢٠٩ جعل غيليوم ملك اسكوطلنده يؤدى له رسوم الاحترامات وألزمه بدفع غرامة مقــدارها ١٥٠٠٠ مارك وصار ليوحنا شوكة قوية حتى انه ألزم خدمة الدين بعدم مراعاتهم هــذا الحجر وأمر مأمورى الاحكام بنهب وطرد خدمة الدين الذين اتبعوا أمر البابا من المملكة ولما داوم يوحنا على الخــلاف فى أمر الحجر الكنائسى أصــدر البابا فى ســنة ١٢١٢ بعد الميلاد منشورا بوضع الحجر الكنائسى عليــه وأمر رعاياه ببراءتهم من بيعتهم وطاعتهم له وأعلن بخلو تخته وقوى فيليب ملك فرانسا وقدم له التاج الانكليزى فأخذ فيليب فى الاستعداد للغارة على انكلــتره ومع أن يوحنا كان تحت قيادته ٦٠٠٠٠ مقاتل الا أنه ظن فى نفســه أنه لا اعتمــاد عليهــم وفزع من تجهــيزات فيليب ملك فرانسا واجتهــد أسطول الخمس مينات الانكليزى فى حرق مدينة (ريب) وبعض جهات أخرى فى الســاحــل الشمــالى من فرانسا الا أنه ما كان فيــه طاقة لصد اغارات فيليب فلما خار يوحنا وضعفت عزائمه أرسل رسولا الى رومة بالنيابة عن نفسه يقدم خضوعه للبابا فأرسل البابا فى الحال مندوبا من طرفه اسمه (بندولف) الى انكلتره من أجل اصلاح الارتباكات الواقعــة فيها مع الملك فتقابل مع الملك بالقرب من الدوفر وقلع الملك تاجه ووضــعه تحت أقــدام

(بندولف)

(بندولف) فى سنة ١٢١٣ بعد الميلاد ومارضى بقبول لنغطون فسلم هوتاجه ثم استلمه منه ثانيا بصفة أنه عبد تابع للباباووقع على قرار سمح فيه للبابا بمملكة انكلتره وارلنده وأخذهما لنفسه بصفة أنهما مقاطعتان من طرف دار القسوسية المقدسة ويدفع لها مبلغا سنويا مقداره ١٠٠٠ مارك فتولد من فعله هذا حروب طويلة بين البابات وملوك الانكليز امتدت زيادة عن ثلاثمائة سنة وبقبوله لنغطون جلب على نفسه ارتباكات وشدة نفور وعلى مقتضى هذه الشروط المهينة أبطل البابا الحجر الكنائسى الذى أوقعه على المملكة وتوجه بندولف الى فرانسا من طرف البابا وأوقف مشروعات فيليب فى الاغارة على انكلتره بما أنها صارت مقتطعة لدار القسوسية فى رومة وبما أن ملك فرانسا صرف مصاريف جمة فى استعداده لهذه الغارة تنفيذا لامر البابا وكان مشروع هذه الغارة غير مقبول عند واحد من محالفى فيليب كبار الشوكة وهو ارل فلندره فلم يساعد فيليب أدنى مساعدة فأشاع فيليب أنه متوجه لهذه الغارة ووجه جيوشه على بلاد ارل فلندره وجاس فيها وخربها حتى وصل الى أسوار غنط فأرسل يوحنا أسطولا لمساعدة الارل فاز نصرة عظيمة على الفرنساوية فى سنة ١٢١٣ وبهذا حفظت فلندره استقلاليتها وتقوى ملك الانكليز بهذه النصرة وأغار على فرانسا من الجهة الغربية وأغار قسم من قوامع محالفيه وهما ارل فلندره وأوطوامبراطور جرمانيا على الجهة الشمالية فكانت هزيمة الكل فى سنة ١٢١٤ بعد الميلاد فى نواحى (بوفين) ختام يوحنا عقد هدنة لمدة خمس سنوات دفع من أجلها ٦٠,٠٠٠ مارك وعاد الى انكلتره مقطوع الأمل ولما عاد يوحنا الى انكلتره وجد المملكة تقريبا فى حالة عصيان عليه لان أحكامه كانت جائرة من الابتداء فانه فسخ القوانين وتعدى على حقوق الاشراف وعامل الامة باشق المعاملات وأذاق اليهود ظلمه وعم النفور سائر أطراف المملكة وداخلها حتى صار البارونات والامة فى جامعة واحدة عليه وتولد من أعماله أيضا أن رئيس الاساقفة لنغطون والكنيسة الانكليزية دخلوا فى أمر عام مع البارونات وكان لنغطون فى الحقيقة رأس الحركة فانه شكل اتحاد اصلاح فى الحكومة وأزال العيوب المتولد منها الضرر على الكنيسة والامة بكونه طلب تحت علة العبادة التئام مجلس مؤلف من الاساقفة والاشراف فى (سنت عدموندسبورى) فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٢١٤ وأوضح اصطفان لنغطون منحة الحرية التى كانت صدرت من هنرى الاول فعول المجلس على أن يجعلها أساسا لطلباته فى رفع المظالم والتعديات والجور الواقع عليهم وعلى الامة من الملك وحلفوا يمينا مؤكدة بخلع طاعتهم له ان لم يجبهم فى طلباتهم وحرروا فى مجالس أخرى عقدوها من بعد هذا المجلس رخصة حرية وحددوا يوما معلوما يقدمونها فيه للملك ولا بد من توقيعه عليها ثم اجتمع البارونات فى لوندره فى اليوم المعلوم وقدموها له وطلبوا منه التوقيع عليها فطلب منهم يوحنا المهلة ووعدهم بالمجاوبة عليها فى يوم عيد الفصح القابل وفى هذه المدة استغاث بالبابا فقواه على عدم قبوله طلباتهم فمن ثم رفض الملك طلباتهم وقال انهم على هذا يمكنهم طلب تاجى فداوم الاشراف على عزمهم مع شدة الغضب وحلف الملك انه لا يقبل شيأ يتولد منه الرق والاهانة فهيج البارونات فى الحال حربا على الملك وتغلبوا على لوندره مع ما كان من أمر البابا ليوحنا بمقاومتهم فتولد من ضياع لوندره عود يوحنا العقله ورأى أنه لا فائدة فى مقاومتهم فالتقى معهم فى مجلس عقدوه فى ١٥ يونيه سنة ١٢١٥ بعد الميلاد فى (رونيميد) مرج فسيح بين (وندسور — وعسطين) والتزم يوحنا على توقيعه على الرخصة المتضمنة طلباتهم ومن ثم

رخصة الحرّية الانكليزية

استحوذوا على رخصة حرية كبيرة حفظت الى الابد تأبيد الحرية الانكليزية

وكانت هذه الرخصة مكتوبة باللسان اللاتيني ومازالت محفوظة فى دار الآثار القديمة فى لوندره لحد الآن وهى مشتملة على ثلاث وستين مادة تختص بالكنائس والبارونات والتجار وأحرار الامة عموما وطدت للكنائس امتيازاتها وحرية انتخابها وزال حصرا استئناف الانتخاب فى رومة وعدلت الغرامات التى كانت واقعة على خدمة الدين والجور الذى كان واقعا على البارونات والضرائب والاعانات التى كان الملك يضربها عليهم من تلقاء نفسه وصار لامساعدة عليهم للملك الا فى ثلاثة أحوال فى مدة أسره ورفعة ابنه البكرى وزواج ابنته الكبرى ووطدت هذه المنحة للوندرة والمدائن الاخرى الامتيازات فى حرية التجارة وأنه لا يجوز حبس الرجل الحائز درجة الحرية ولا فقد حريته ولا عوائده ولا وقوع أى عقاب عليه مالم تتوقع عليه أحكام أعيانه أو قانون المملكة ولا تباع هذه الحقوق ولا تجحد ولا يتأخر اجراؤها وان كل انسان يسافر من المملكة ويعود اليها كما يشاء ويختار ويحول تعديل الضرائب والاعانات على مجلس كبير مؤلف من الاساقفة ورؤسائهم ورؤساء الديورة والكونتات والبارونات تناقش فيه عن الاشغال اللازمة للمملكة وأزالت هذه المنحة شدة التأكيد الواقع من الحكومة فى ضبط أراضى الاشراف وغيرهم بطريق الاستبداد وكانت المدائن والقرى الكبيرة مسموح لها بالمحافظة على حريتها القديمة وحقوق امتيازاتها وحرية عوائدها ولا يطلب منها مساعدات الا من بعد رضا المجلس الكبير ولا تلتزم المدائن بعمل قناطر أو جسور أو طرق الا على مقتضى العوائد القديمة وتوزع أمتعة وأساسات كل رجل حر من بعد موته على ورثته بوصية منه وان مات على غير وصية تحصر مخلفاته فى ورثته ولا يجوز لحاكم من حكام الحكومة أخذ حصان أو أخشاب أو شئ من جهة من دون رضا مالكها وأن تكون محاكم العدل عامة لا تابعة ولا مقصورة فى أعمالها على شخص ما وأن تكون مفتوحة لكل انسان له دعوى يدخل فيها ولا يجوز بيع العدل ولا يسمح بعدم قبوله ولا الاهمال فيه وتعمل التفتيشات اللازمة عليه سنويا وتعقد محاكم الادارة الصغيرة ومحاكم الكونتات ومجالس الاحكام العدلية فى الاوقات المعينة لها وفى الجهات المشيدة فيها ولا تمنع الحكام من اقامتهم قضايا أو شكوى على الحكومة ولا يلزم محاكمة أى انسان بمجرد الاشاعة أو الشبهة الا على حسب منطق شهود عادلة شرعية ويجب اعادة حقوق الذين أصيبوا بالضرر فى هذه السلطنة أو فى السلطنتين السابقتين وعود أملاكهم وما خسروه وأن يكون الحكم على أى انسان حر بدفعه غرامة حسب ما يقع منه من الجريمة ولا غرامة عليه فى حالة العسر ولا يحكم على المزارعين وأهل الريف بأى غرامة تقع عليهم بتجريدهم من عرباتهم أو محاريثهم أو آلاتهم الزراعية ووقع يوحنا على هذه المنحة قهرا عنه عازما على فسخ موادها والعمل على غير مقتضاها

ومن بعد انفضاض هذا المجلس توجه الى جزيرة ويط ونذر على نفسه الانتقام من البارونات العاصية عليه فأرسل رسلا فى الوقت الى الجهات الخارجة لجمع جيش بالاجرة وأرسل رسولا الى البابا يعتذر له فى الزامه بالتوقيع على المنحة فأعلن البابا بالغاء هذا القرار وعدم اعتماده بما أن المملكة تابعة له وتحت أمره ووفد على يوحنا أمر البابا مهددا له بالحجر الكنائسى لو راعى هذه الرخصة وهدد البارونات أيضا بمثله لو وقع منهم هذا الطلب مرة أخرى فصرف البارونات النظر عن تهديده وشرعوا فى تقوية أمر الرخصة فأصدر البابا أمره بوضع الحجر الكنائسى عليهم فرفض قبوله رئيس الاساقفة

(اصطفان)

(اصطفان لنغطون) فأوقفه الباباعن وظيفته ووفد على يوحنا جموع المجازفين والشجعان من أرض الفارقو وصارله طاقة بهم على مبارزة رعاياه فخرب أرض البارونات وحرق القلاع والمدائن والقرى وعم دماره هذا الطاغية كل جهة فى المملكة ولما قطع البارونات يأسهم منه قدموا تاج مملكتهم الى لويز الابن الكبير لملك فرانسا لان البارونات ما كان فيهم طاقة لمقاومته وما كان لهم قائد فيه صلاحية كافية لاجراء الاعمال مع التوازن فى الوقائع المنظومة الواقعة من العساكر الملوكية وكانوا عقدوا محالفة مع اسكندر الثانى ملك اسكوطلنده فأرغم يوحنا اسكندر على عدم الخروج من حدود مملكته وكان لويز بن فيليب متزوجا بابنة أخ يوحنا (كسطيله البيضاء) حفيدة هنرى الثانى ولما قدم أشراف انكلتره تاجهم له دعوه للحضور فى طلب التاج فقبل لويز الدعوة وحضر فى انكلتره فى مايه سنة ١٢١٦ بعد الميلاد وقوبل فى لوندره بمزيد الاحتفال فوقعت الغيرة فى قلوب بعض البارونات مما حصل من الاحتفال فسحبوا أنفسهم من مساعدة لويز فمن ثم ضعف جيش لويز وفى أثناء ذلك سار الملك يوحنا من الجهة الشمالية لمقابلة خصمه ففى أثناء عبوره من (الوش) قام عليه مد البحر فأغرق متاعه وكنوزه وتاجه فاشتد به الحزن وقطع الامل من نفسه وأصابه حمى كانت سببا فى فقد حياته فى ١٨ أقطوبر سنة ١٢١٦ بعد الميلاد فى قلعة نيوارك

وفى وقت موت يوحنا كانت العائلة الملوكية فى غلوسيستر وكان ابنه البكرى هنرى صبيا عمره تسع سنوات فتتوج مباشرة فى هذه المدينة وتعين غيليوم ارل بامبروك محافظ المملكة وكان أول شغل أجراه هذا النائب هو الشروع فى جمعه لنحو الملك البارونات الانكليزية الشاردة المعاضدة للويز برنس فرانسا ومن أجل هذا جمع مجلسا حافلا فى (بريستول) وقرر فيه اثبات رخصة الحرية وفى هذا الوقت كان لويز مستحوذا على لوندره والكونتات الجنوبية غير أنه تولد له من تعصب أهل بلاده وموت يوحنا وحسن سلوك ارل بامبروك تباعد الكثير من معاضديه الانكليز عنه وتوجههم مع هنرى وفى سنة ١٢١٧ بعد الميلاد هجم بامبروك على القرى الفرنساوية تحت قيادة لويز فى (لنكولن) وهزمها وعرفت هذه الواقعة بحسنات لنكولن بسبب ما حازه المنصورون من الغنائم فى هذه الواقعة وتقهقر لويز الى لوندره وحصره فيها القوى الانكليزية وفى هذا الوقت هزم اسطول الخمس مينات الانكليزى تحت رياسة (هوبرت دوبورغ) اسطولا فرنساويا على مسافة من الدوفر كان مشحونا بتقوية وامداد للعاصمة فمن بعد هذه الهزيمة سلم لويز أمره للنائب وعاد الى فرانسا فى سبتمبر سنة ١٢١٧ بعد الميلاد ثم مات ارل بامبروك فى السنة الثالثة من نيابته وتعين (بطرس دوروش) أسقف ونشيستر وصيا على الملك الشاب و(هوبرت دوبورغ) محافظ المملكة فهاجت المشاحنات بين البطلين واستمرت الحالة حتى تولد منها ارتباك فى حكومة المملكة ولما بلغ الملك سبع عشرة سنة بطلت وصاية (دوروش) وصار (دوبورغ) صديق هنرى وأكبر مستشاريه فغضب الاسقف على فقده نفوذه وتوجه زائرا للارض المقدسة واستمر دوبورغ فى وظيفة محافظة المملكة ثمان سنوات باشر فيها أشغال المملكة ودبر أمورها على غاية من الثبات والشدة وأعلن برشد هنرى فى سنة ١٢٢٧ بعد الميلاد ودام (هوبرت دوبورغ) على وظيفته فى صفة نائب ومن بعد مضى ثلاث سنوات حل الملك حملة على فرانسا كانت على غير ثمرة وتولد منها الطعن فى حق (دوبورغ) وعاد (بطرس دوروش) من زيارته فى هذا الوقت الى انكلتره فقابله هنرى بحل الاحضان وظهر لدوبورغ أن نيابته على شرف السقوط عيانا وانتظر سوء

سلطنة هنرى الثالث

عاقبة ظلمه وسوء تدبيره وعنفه فى الحكومة والطعن فيه لخيبة الحملة الفرنساوية مع كراهة دوروش له وطلب منه تأدية حساب المبالغ التى صرفت فى مدته فى المصلحة واتهم بعدة جرائم فى حق الملك فلما تحقق دو بورغ أن موته لابد من وقوعه هرب الى كنيسة بواسار ثم أمر الملك بأخذه منها رغم أنفه ومن بعد تنقله من سجن الى سجن هرب ناجيا بنفسه الى الويلس وفى سنة ١٢٣٤ عفا هنرى عنه فصرف مابقى من حياته فى عزلة فى أملاكه

ولما عقد لويز الصلح مع ارل بامبروك فى لوندره وتوجه الى فرانسا بذل جهوده مع أبيه فى عود أملاك الفرنساوية التى خسرها يوحنا الا انه ماحصلت ثمرة من ذلك لكن لما صار لويز ملك فرانسا فى سنة ١٢٢٣ بعد الميلاد نشر صورة الحكم الذى كان توقع من أبيه فى حق الملك يوحنا واستحوذ على جهة كبيرة من أقاليم بواطو وغينيه وكانت تابعة للتاج الانكليزى ومن ثم استحصل هنرى على صدور أمر المجلس فى جمع مبلغ جسيم على شرط اثبات رخصة الحرية فى سنة ١٢٢٥ بعد الميلاد وأرسلت حملة الى غينيه فخابت فى اعادة الاقليم وفى سنة ١٢٣٠ تقلد هنرى زمام قيادة جيشه وساقه حتى وصل (سنت مالو) وبدل أن ينشب حربا صرف زمنه فى مشروعات لافائدة فيها وأخيرا عقد هدنة ورجع الى انكلتره فكان هذا الحرب الذى تولد منه الطعن فى حق (هوبرت دو بورغ) ومن بعد مضى اثنتى عشرة سنة تجدد الحرب مع فرانسا بسبب ماوقع من أم هنرى فانها تزوجت محبوبها القديم كونت دولامارش ووقع بين هذا الكونت وبين ملك فرانسا منازعات وعهد الكونت لهنرى مساعدته فى عود بواطو فنزل ملك الانكليز فى رأس قوة انكليزية بالقرب من مصب نهر غارونه والتقاه لويز بجموعه وهزمه فى واقعتى (طلبورغ - وسنطونغ) فى سنة ١٢٤٢ بعد الميلاد فالتزم هنرى على عقد هدنة ثم عقد الصلح فى سنة ١٢٥٩ بعد الميلاد تنازلت فيها انكلتره عن دعواها فى (نورمندى - وانجو - ومين - وبواطو) وأخذت بدلا من ذلك (ليموسين - وبيريغورد - وكيرسى)

وكانت المنازعات فى مدة هذه السلطنة مستمرة مع الويلس الذين داوموا على غاراتهم المعتادة على حدود الكونتات وأرسل الانكليز فى مقابلة هذه الغارات قوى من العساكر من أجل تخريب أراضيهم فأما الجهات الجبلية فما كان للعساكر الانكليزية طاقة على الاغارة عليها فلم يحصل فيها شئ من الفساد وأما الاراضى السهلة فانها كانت ميادين الغارات وكذا كان بين انكلتره واسكوطلنده عدة منازعات من أجل الكونتات الشمالية الانكليزية ومن أجل أداء رسوم الاحترام من طرف ملك اسكوطلنده الا أنه ماوقع حرب فى مدة هذه السلطنة الطويلة بين انكلتره واسكوطلنده وتقوت رباطات المحبة بين المملكتين بزواج متصل مزدوج وهو زواج اسكندر الثانى بيوحانه أخت هنرى وتزوج اسكندر الثالث مرغريطه ابنة هنرى

ومع أن هنرى صدق على اثبات رخصة الحرية مرارا عديدة الا انه رأى أن هذه الرخصة فيها اجحاف بحقوق الملك ففسخ موادها وراعى البارونات الانكليزية بعين الريب وعدم الثقة بهم وجعلهم أهل عناد وأرباب فساد ومالهم رغبة الا فى ضعف شوكته الملوكية فتولد مما وقع فى أفكاره أن أنعم بالتفاتاته على الكثير من الاغراب الذين وفدوا على انكلتره من نواحى بواطو بعدما تقلد (بطرس دوروش) زمام الحكومة مرة ثانية ولما بلغ عمر هنرى تسعا وعشرين سنة تزوج (عالينود) ابنة كونت بروفنسه برنسيسة بارعة فى الجمال لكنها خابت فى احرازها محبة قومها بسبب ما كانت عليه من

محبتها

محبتها للاغراب وكانت جلبت معها الكثير من أهل بلادها فى داخل المملكة فاغدق الملك على الذين أتوا مع زوجته وعلى البواطيين من أجل خاطر (بطرس دوروش) بالاحسانات وجعلهم المعتمدين عنده وحازوا الرتب العالية فى الديوان الانكليزى وتزوجوا باغنى بنات المملكة الوارثات للاراضى الخصبة وورد ستات من بروفنسة تزوجن أيضا بالاغنياء من المحافظين على ذات الملك وانفسخت قواعد رخصة الحرية تحت مشورة هؤلاء الاغراب وكانوا لا ينقادون لطلبهم فى المحاكم العدلية من أجل قضايا بمقامة عليهم فيها ويقولون جهرة ماذا تفعل فينا قوانين انكلترة فاننا لا نلتفت اليها وافتقرت انكلترة واضمحلت حالتها وصارت عرضة للخطف لكونها تابعة للبابا وطمع الاغراب فيها من كثرة مصاريف الملك وكان الملك يجتهد فى استحواذه ثانيا على أملاكه فى فرانسا فلاجل تيسره على حصول مصاريف لمثل هذه الاجراآت التزم على طلب مجلس مؤلف من الارلات والبارونات والاساقفة فكانت هذه هى المرة الاولى التى أطلق فيها على هذا المجلس اسم برلمان فنحه الاشراف فى هذا المجلس النقود اللازمة مع الكراهة وحضوه فى كل مرة على أن يرخص لهم فى تعيين قاض ونائب ومأمور مالية للنظر فى المصاريف الجارية فوعدهم مرارا عديدة بايفاء مطلوبهم ووقع على اثبات رخصة الحرية ست مرات وما مرت سنة الا وكانت أصعب من سالفتها فى طلب النقود وثقلت الاحوال على البارونات حتى رأوا أنه لا بد لهم من توقيفهم النهر الجارى فى بلع هذه النقود وزيادة اغداق الملك على الاغراب فاجتهد كل من (غروستيت) أسقف لنكولن و (عدموندريتش) رئيس أسقف كانتربورى وأخو الملك ريشارد (ارل كورنوال) وبذلوا مجهودهم فى عود صلاح الحكومة على منوال طيب وكان الرئيس الكبير للبارونات (سيمون دومنطفورط) ارل ليسيستر زوج عليونور أخت الملك ومع أن سيمون كان أبواه غريبين الا أن جدته كانت انكليزية الاصل وكان هو محبا صادقا لانكلترة فبذل سيمون طاقته فى توقيف سوء ادارة الملك فكان على غير طائل ولبثت الحالة اثنتين وعشرين سنة تنتقل من حالة رديئة الى حالة أردأ ثم مات عدموندريتش رئيس أساقفة كانتربورى فى سنة ١٢٤٠ بعد الميلاد فوظف الملك شخصا اسمه (بونيفاس) من صافوا عم الملكة رئيس أساقفة كانتربورى وفى سنة ١٢٥٣ بعد الميلاد مات أيضا (غروستيت) من بعد أن كتب قائمة بالاعمال الواقعة منها المصائب على انكلترة وحلف سيمون يمينا على مدافعته عن العدل والحق حتى يموت فى طلبه ووفى الارل سيمون بقوله ومن بعد مضى بضع سنين قامت عواصف الزوبعة وذلك أنه فى سنة ١٢٥٤ بعد الميلاد عول البابا انوسنت الرابع على طرد كونراد امبراطور جرمانيا من سيسيليا وقدم تاج سيسيليا لهنرى من أجل ابنه الثانى عدموند فقبله هنرى مع الجنون التام وكان عمر ابنه فى هذا الوقت تسع سنوات ومع أن انوسنت مات فى هذا الوقت الا أن البابا اسكندر الرابع الذى خلفه هيج حربا على كونراد باسم هنرى وعلى مصاريف من طرفه وفى سنة ١٢٥٧ بعد الميلاد اعترف الملك لبرلمانه بانه مطلوب منه للبابا مبلغ ١٣٥,٠٠٠ مارك أو ٩٠,٠٠٠ ليره مستحق الدفع اليه فغضب الاشراف من هذه الطلبات وتذكروا ما كان عليه آباؤهم فى مدة سلطنة يوحنا وعقدوا مجلسا حافلا تحت قيادة سيمون فى وستمنستر لابسين دروعهم وطلبوا عرض ما هو واقع على الامة من المصائب وفى ١١ يونيه سنة ١٢٥٨ بعد الميلاد توجهوا الى البرلمان فى أوكسفورد على جودة من التطقيم وصمموا على تعيين أربعة وعشرين شخصا من البارونات اثنا عشر منهم يجرى انتخابهم بمعرفتهم واثنا عشر بمعرفة الملك وأن يكونوا فى صفة لجنة

من عمل الاصلاحات اللازمة للحكومة وعمل التغييرات اللازمة فيما يعود منه النفع على المملكة وراحة أهلها فقررت هذه اللجنة مواد عرفت بمواد أوكسفورد وهى أولا عقد البرلمان فى كل سنة ثلاث مرات ثانيا عود رجال الانكليز الى محافظة القلاع ثالثا أن يكون للملك مجلس خصوصى للمداولة معه فى الاعمال رابعا ان القاضى والنائب ومأمور المالية الذين يصير تعيينهم يقدمون حساب المصاريف للمجلس الخصوصى فى آخر كل سنة خامسا تعيين أربع عمد فى كل جهة من جهات المملكة يجرى انتخابهم بمعرفة الاحرار من أرباب الاملاك ينوبون عن أهل الجهة فى عرض ماهو واقع من الاذى فى الجهة الواحدة للبرلمان سادسا يجرى انتخاب مأمورى الاحكام سنويا بمعرفة الاحرار أرباب الاملاك سابعا لا يكون لغريب من أتباع الملك وارث فى المملكة ولا تعهد القلاع لمحافظتهم وما اكتفى الاشراف بهذه التغييرات المهمة بل انتخبوا اثنى عشر من أعضائهم وشكلوهم فى صورة مجلس ثابت من أجل المداومة على استمرار الحكومة فى قالب عظيم الا أن هؤلاء الاعضاء بدل أن يتداولوا فى منافع الحكومة والامة اغتصبوا الشوكة الملوكية والتفتوا الى مايعود منه اتساع الثروة على أهلهم فهاجت المشاحنات بينهم وبين الملك وصار الحرب الداخلى على شرف الوقوع وجعلت الهيئة الجديدة الملك عبدا فى أيديهم فقامت الامة الانكليزية على حكومة الاعيان الجديدة واجتمعت لمساعدة حكومة الملك حتى صار لهنرى طاقة على الخروج لميدان الحرب مع قوة كبيرة وعقد البارونات محالفة مع أهل الويلس وحازوا بعض الفوائد على الملك حتى صار الحزبان أخيرا فى موازنة واحدة واتفق كل منهما على فصل الخلاف الواقع بينهما بمعرفة لويز الطيب ملك فرانسا والانقياد لحكمه فكان الحكم الفاصل الذى حكم به لويز هو أنه يلزم أن تعاد للملك الحقوق والاستحواذات التى كان حائزها وسلبتها البارونات منه بالقوة بغير وجه شرعى وأثبت فى هذا الوقت أنه من حقوق الامة اصدار عفو عام عما مضى من العداوات وأعلن بان ما حكم به من الحكم ما قصد به انحطاط الامتيازات والحرية المتمتع بها الامة الانكليزية فى أى رخصة منحتها الحكومة لها فقبل الملك هذا الحكم العادل ورفضه البارونات وهاج الحرب الداخلى ثانيا واستعد الحزبان للحرب فكان سيمون قائد عساكر البارونات نهزم الملك فى واقعة فى نواحى لوس فى ١٤ مايو سنة ١٢٦٤ بعد الميلاد فى صكصونية الجنوبية وقبض على ابنه الكبير (ادوارد) وأخيه (ريشارد) وبهذه الهزيمة التزم الملك على التسليم وأوقف الحرب لمدة ما واشتغل سيمون فى ادارة المملكة باسم الملك وعومل بأجل الاحترامات الا أنه مازال أسيرا فى قبضة سيمون واجتهد النائب الباباوى فى حض الارل على خلاص الملك فما كان فى اجتهاده فائدة وأصدر البابا منشورا بتوقيع الحجر الكنائسى على البارونات فلما ورد فى نواحى الدوفر قبض عليه أهل هذه الجهة ورموه فى البحر وفسخ سيمون فى أعماله تقريبا كافة البنود المذكورة فى رخصة الحرية الاصلية فراعى الاشراف سلوكه بعين الجور واستشعر سيمون فى نفسه أنه لا طاقة له على المداومة على الاشغال فى هذا الموقع الصعب وظهر له جليا ولكل انسان أنه اما أن يتنازل عما هو فيه بالصعوبة أو يقبض على التاج وكذا اشتبه الناس فيه بانه مجتهد فى القبض على التاج وكانت الملكة موجودة فى فرانسا من أجل جمع جيش من المستأجرين لمساعدة زوجها وزاد البابا فى سعيه فى توطيد الملك وكان السبب الاقوى عند الارل سيمون محبته عند الامة فكان لهذه تأثير عظيم فى تقويته على مصادمة شدة رومة وسلطة قسيسها وعول على زيادة هذه المحبة بكونه طلب فى ٢٠ ينا ير

سنة

سنة ١٢٦٥ بعد الميلاد عقد برلمان فى لوندره باسم الملك اشتهر فى التاريخ الانكليزى من ابتداء هذا الوقت باسم مجلس العوام مضافا الى المجلس الكبير المؤلف من الارلات والبارونات و رؤساء الاساقفة والاساقفة وطلب اثنين من أكابر كل اقليم واثنين من كل مدينة وكل قرية فجلس جميعهم فى قاعة واحدة واستمر هذا المجلس على أشغاله الى سلطنة ادوارد الثالث حتى ان نواب الامة انفصلوا فى مجلس على حدتهم وأطلق عليهم اسم مجلس المبعوثان وشكل البارونات أو الاشراف مجلسا اخر على حدته أطلق عليه مجلس الاعيان ولما أحكم سيمون مجلس البرلمان على حسب رغبته شرع فى سن قوانين من أجل زيادة سلطنته أرعب بها طوائف الامة وأزال بها محبته من قلوبهم ووقعت الغيرة فى قلوب البارونات الباقين من جهة سيمون وفى هذا الوقت أخذ حزب الملك فى الزيادة وهرب البرنس ادوارد من الخفر الموكل بالمحافظة عليه ووجد لنفسه قوة كافية من الحزب الملوكى مستعدة لاثبات أمره فجعل نفسه فى رأس هذه القوة والتقى بجيش ارل ليسيستر فى (أفشام) فى ٤ أغسطس سنة ١٢٦٥ بعد الميلاد فوضع البارونات الملك فى الصف الاول من صفوف عساكرهم قاصدين بذلك قتله بواسطة أعدائهم فلما اقتحم أعداؤهم الهجوم صرخ الملك وقال ها أنا هنرى ملككم فمن ثم نجا بحياته وهرب البارونات العاصية وقتل الابن الكبير (المطفورط) وكان ذلك ختام الحرب الداخلى

وثبت التاج على رأس هنرى من بعد واقعة أفشام وانتهز البرنس ادوارد فرصة استتاب الراحة فى المملكة ووقوع الامن وسافر الى حرب الصليب فى الارض المقدسة مصحوبا بزوجته علينور وفى مدة غيابه مات أبوه فى ١٤ نوفمبر سنة ١٢٧٢ بعد الميلاد وانتخب ادوارد الغائب ملكا

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من جلوس ادوارد الاول الى موت هنرى السابع ﴾

صيرورة ادوارد الاول ملكا – صفته – اخماد ثورة الويلس – ولادة البرنس الاول للويلس – جعل ادوارد يوحنا باليول ملك اسكوطلنده – اخماد ثورة الاسكوطلنديين والغاء تاجهم – صيرورة غيليوم ولاس رأسا لقيام ثورة فى اسكوطلنده – القبض عليه وقطع رأسه – روبرت بروس – صيرورته ملكا – موت ادوارد الاول – ادوارد الثانى – الاقرار على الرخصة واثباتها – بطرس غافسطون – زواج ادوارد – ادارة الحكومة بالبارونات – واقعة بانوكبورن – وجود ادوارد بروس فى ارلنده – هيوالدسپنسر – عصيان البرونات – دسائس الملكة ازابلا فى حق زوجها – قتل الملك – ادوارد الثالث – تقليد روجر مورطيمر والملكة ازابلا النيابة – تقليد ادوارد زمام الحكومة – قطع رقبة مورطيمر – طلب ادوارد التاج الفرنساوى – حرب مع اسكوطلنده – مبادى حرب المائة سنة – النصرة البحرية فى سلويس – واقعة كرسى – تسليم كاليس – الطاعون الاسود – واقعة بواطى – البرنس الاسود – القبض على الملك يوحنا ملك الفرنساوية – موت البرنس الاسود والملك ادوارد – ريشارد الثانى – عصيان واط طيلر – سلطنة ريشارد الضعيفة – موت الملكة عانى – زواج الملك برنسيسة فرنساوية – عصيان هنرى بولنغبروك – صيرورته ملكا بلقب هنرى الرابع – القانون البرامونيرانى – يوحنا ويكليف – أول توراة انكليزية – بزوغ الاصلاح الانجيلى – موت ريشارد الثانى – مقاومة الاشراف للملك – المنازعات مع الويلس – هزيمة

الاسكوطلنديين ـ ثورة هاطسپور ـ موت هنرى ـ الظلم الذى وقع على اللولارديين ـ أول شهيد انكليزى ـ صيرورة هنرى الخامس ملكا ـ موت لورد كوبهام شهيدا ـ تجديد هنرى الحرب مع فرانسا ـ التغلب على هارفلور ـ واقعة اغينكورط ـ صيرورة هنرى نائب فرانسا ـ موته ـ طرد الانكليز من فرانسا ـ هنرى السادس ـ النيابة ـ زواج الملك ـ قتل دوق سوفلك ـ عصيان جاك كاد ـ حروب الورد ـ القبض على الملك ـ جلوس دوق يورق على التخت باسم ادوارد الرابع ـ واقعة طوطون ـ زواج الملك ـ الوودڤيل ـ عصيان ارل واروبك ـ قتل البرنس ادوارد ـ موت هنرى السادس ـ خيبة الغارة فى فرانسا ـ موت ادوارد الرابع ـ قتل دوق غلوسيستر أولاد ادوارد الرابع وصيرورته ملكا باسم ريشارد الثالث ـ طلب ارل ريشموند التاج ـ هزيمة ريشارد فى بوسورث ـ صيرورة هنرى السابع ملكا ـ زواجه ـ سلبه وخطفه ـ الحملة الفرنساوية ـ پركن واربك ـ موت برنس الويلس ـ أمپسون ودادلى ـ موت الملك

سلطنة ادوارد الاول

كان ادوارد الاول الملقب بطويل الساقين الابن الكبير لهنرى الثالث فى الارض المقدسة فى الوقت الذى مات فيه أبوه فقرر المجلس الملوكى جلوسه على التخت فلما عاد فى سنة ١٢٧٤ بعد الميلاد تتوج مع ملكته فى وستمنستر بحضور اسكندر الثالث صاحب اسكوطلنده ومجلس البرلمان

وكان ادوارد الاول رجلا انكليزيا فى الحقيقة وأول ملك ذى شوكة جلس على التخت الانكليزى وكان طويل القامة جميل الصورة مهيبا صاحب عزم واقدام ومهارة فى الفروسية حازم الرأى ذا نشاط فى أشغاله قامت شوكة التاج فى يده مع الثبات والاحكام وكان سياسيا وعسكريا شديدا فى أحكامه الا أن هذه الشدة كانت تصل فى بعض الاحيان الى القسوة والجبروت فمن بعد جلوسه بقليل انتدب لاخماد ثورة الويلسيين فقهرهم على الخضوع الا أنه فى سنة ١٢٨٢ بعد الميلاد قاموا فى ثورة أخرى تحت قيادة برنسهم (للويلين) وأخيه داود فاخمدت الثورة وقتل (للويلين) وأخذ داود أسيرا وقطعت رأسه فمن ثم ضم ادوارد الويلس الى انكلتره وعندما خلف ابنه البكرى ادوارد فى ٢٥ ابريل سنة ١٢٨٤ بعد الميلاد لقبه باسم (برنس الويلس) أى ولى العهد وصار يعطى هذا اللقب من ابتداء هذا الوقت لكل ولد بكرى يولد للملوك الانكليزية

ثم بعد هذه هاجت الارتباكات بين انكلتره واسكوطلنده وسببه أنه لما مات اسكندر الثالث ملك اسكوطلنده فى سنة ١٢٨٦ بعد الميلاد وماتت وارثته الوحيدة مرغريطه زوجة ملك نرويج قبل تتويجها ملكة اسكوطلنده وقعت وراثة التاج فى منازعات وأخيرا ثبتت لاثنين من ثلاثين طالبين له وهما (يوحنا باليول ـ وروبرت بروس) وكانا من النسل النورمانى فخول برلمان اسكوطلنده فصل هذه المادة على ادوارد خشية من وقوع حرب داخلى فسار ملك الانكليز الى الجهة الشمالية وطلب البرلمان الاسكوطلندى وكل من ادعى شيئا من وراثة التاج أمامه فى نورهام فى ١٠ مايو سنة ١٢٩١ بعد الميلاد ولما قبض ادوارد بهذه المثابة على رؤس الامة الاسكوطلندية ونال منهم الاعتراف بحقه فى فصل المشاحنة بانه السيد الاكبر لاسكوطلنده فصل المسئلة لجهة (باليول) الذى أدى رسوم الاحترام له وجلس باليول ملكا على اسكوطلنده ومن بعد مضى قليل خلع باليول ناف تبعيته لانكلتره وتحالف مع فرانسا وأنشب حربا على انكلتره فسار ادوارد فى الحال الى الجهة الشمالية وهزم الجيش

الاسكوطلندى فى (دونبار) وخلع باليول وسجنه سنتين فى برج لونده ثم رخص له بالعزلة عن اسكوطلنده وتوجهه الى نورمندى وعهد أزمة حكومة اسكوطلنده على ارل (سورّى) ونقلت شعائر السلطنة والحجر الكبير الذى كانت ملوك الاسكوطلنديين يتتوجون عليه الى لونده وكان هذا الحجر مرعى الاحترام من أزمان قديمة مضت عند الاسكوطلنديين ويعتقدون أنه كان أحد الحجارة التى وضع رأسه عليها يعقوب عليه السلام فى بيت ايل وأنه مادام موجودا فى مملكتهم فالسلطنة محصورة فى أهل المملكة وهو لحد الآن موجود فى كنيسة وستمنستر مجعولا كرسيا تتوج عليه ملوك انكلتره فرأى الاسكوطلنديون أنه من بعد أخذ هذا الحجر ما بقى لملوكهم سلطنة فى اسكوطلنده فظهر حقيقة نبئهم هذا فى وقت تتويج (جمس الاول) وافتكر ادوارد فى نفسه أنه فتح اسكوطلنده كما فتح الويلس غير أنه ما كان على علم من طبيعة الامة التى فعل معها هذه الافعال فان شهامتها هاجت حتى وصلت الى أكبر درجة من أجل ضياع حريتها وطلبوا (غيليوم ولاس) من دار نفيه فأقام بيرق العصيان وهرعت الامة الاسكوطلندية تحته وهجم على محافظى الانكليز وطرد العامل الانكليزى (ارل سورى) وهزم الجيش الانكليزى فى واقعة حصلت فى (سطيرلنغ) فى سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد ولما تقوى محافظو الانكليز التزم ارل سورّى بالرجعة من اسكوطلنده عابرا حدودها وكان ادوارد فى ذلك الوقت فى فلندره مساعدا لاهلها على فيليب الرابع ملك فرانسا فانه كان ضبط الاصواف الانكليزية فى مين الفلمنك فلما وردت اليه الاخبار عاد مسرعا الى انكلتره وجمع قواه وهزم الاسكوطلنديين فى واقعة فالكيرك فى ٢٢ يونيه سنة ١٢٩٨ بعد الميلاد وأوقع فيهم خسارة مقدارها ٣٠,٠٠٠ نفس وهرب ولاس وأتباعه الى الجبال فاستمروا باقين فيها بضع سنين ملازمين على شن الغارات على الجيش الانكليزى الا أنهم ما كان لهم طاقة على اجراء حرب فاصل وأخيرا اعقد أشراف الاسكوطلنديين صلحا مع الملك ادوارد واستنكف ولاس من الدخول فى طاعة فاتح بلاده وأخيرا وقع فى قبضة ادوارد فأرسله الى لونده وقطعت رأسه فى (الطيبورن) فى ٢٤ أغسطس سنة ١٣٠٥ بعد الميلاد ورعاه أهل بلاده أنه مات شهيد حريتهم وكان ذكره محترما عند الاسكوطلنديين ولقبوه بالشجاع الوطنى واتفق انه وقع فى السنة التى جاءت عقب السنة التى تعين فيها باليول للتخت الاسكوطلندى منازعة بين بعض الانكليز والبحرية النورمندية بالقرب من بايون تولد منها حرب مع فرانسا وقتل فى هذه المنازعة واحد من البحرية النورمندية فأخذ أهل بلاده بثاره وقبضوا على بعض بحرية من مركب انكليزى وشنقوهم فى صارى المركب مع عدة كلاب فاعتدت بحرية الخمس مينات أسطولا مؤلفا من ثمانين سفينة وأرسلوا فى طلب الفرنساوية للمبارزة والحرب معهم فى وسيع البحر فساق الفرنساوية عليهم مائتى شراع لمطاردتهم فى البحر غير أنه ما رجع من المائتين واحدة تقص ما وقع للآخرين من أسباب الهزيمة فتولد من هذه الخسارة الغضب الاكبر عند فيليب ملك فرانسا وطلب فى سنة ١٢٩٣ بعد الميلاد ادوارد بصفة أنه دوق اكيطانيه للحضور أمامه للمجاوبة عن هذه المادة فأرسل الملك ادوارد أخاه عدموند من أجل فصل هذه المادة فسلم من جنونه دوقية غيينه أو غسكونيه لفيليب وكانت هى الملك الانكليزى الباقى فى فرانسا ووعد فيليب بعودها من بعد مضى أربعين يوما ولما انقضت هذه المدة رفض فيليب عودها وأعلن بحرمان دوقهامنها بسبب عدم حضور دوق اكيطانيه للمجاوبة فى وقت طلبه للحضور الى الديوان الفرنساوى فاستعد ادوارد فى الحال للحرب مع فرانسا ولاجل تيسره على

مبالغ لهذا الحرب طلب من خدمة الدين والعوام نقودا زيادة عما يستحق طلبه منهم وضرب عوائد ثقيلة على الاصواف وجباها من دون مداولة مع المجلس وأرسل جيشا انكليزيا الى غسكونيه واستعد (ادوارد) نفسه فى حركة متابعته للجيش فبلغه أن باليول عقد معاهدة سرية مع ملك فرانسا وخلع طاعته ونكث بيعته ومن بعد أن فصل ادوارد المسئلة الاسكوطلندية سافر فى رأس جيشه الى فلندره وأرسل قوة أخرى الى غسكونيه فى سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد فرفض بعض القواد الانكليزية صحبته معه فى هذه الحملة بسبب جبايته أموالا جمعها مخالف للقانون وأرغموه على اثبات الرخصة الكبرى وأضافوا اليها بعض بنود تحفظ للامة حقوقها فى المستقبل من عدم ضرب عوائد عليها الا برضا البرلمان

ثم خاب الجيش الذى أرسل الى غسكونيه فى عودها ثانيا ووصلت الاخبار الى ادوارد بنجاح ولاس فى اسكوطلنده فاشتهى ختام الحرب وعقد صلحا مع فرانسا سنة ١٢٩٨ بعد الميلاد بتداخل البابا بونيفاس وتقوى هذا الصلح بزواج مزدوج فتزوج ادوارد مرغريطه أخت فيليب وكانت زوجته ماتت من قبل ووقع الاتفاق على أن برنس الويلس يتزوج ازابلا ابنة فيليب وعادت غسكونيه الى الانكليز فى سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد

ثم انه من بعد موت (غيليوم ولاس) ما تيسر لادوارد اخماد الارتباكات فى اسكوطلنده فان أهلها كانوا فى شدة الضيق من خضوعهم للانكليز وانما كانوا على سكوت من شدة تأثير القوة العظيمة الواقعة عليهم من الانكليز ولبث ادوارد ثمان سنين من بعد واقعة فالكيرك مجتهدا فى جمع الاسكوطلنديين والانكليز فى جامعة واحدة فكان اجتهاده على غير طائل وكان الاشراف مداومين على العصيان تحت قيادة شخص اسمه (يوحنا كومين) ابن أخى باليول ثم وقع بينهم الصلح فى سنة ١٣٠٤ وفى غضون هذا كان ترعرع فى ديوان ادوارد شاب شجاع اسمه (روبرت بروس) ارل كاريك وحفيد روبرت بروس الذى طلب التاج فى سنة ١٢٩١ فاضمر روبرت المذكور فى نفسه على تحرير بلاده وأسر أمره الى يوحنا كومين صاحب بادنوخ ونائب العداوة لبيت باليول فوافق كومين فى الابتداء على رأى بروس ثم أفشاه الى ادوارد فسمع واحد من أصدقاء بروس فى الديوان الانكليزى ما سيقع من الخطر على صاحبه ولما لم يكن له جسارة فى توصيل هذا الخبر لبروس بنفسه أرسل له كيسا من الذهب وزوج مهاميز ففسر الاسكوطلندى بذكائه انذار صديقه له وفاز بالنجاة بنفسه وأسرع فى التوجه الى (دومفرى) من أعمال (انندال) مركز مصالح عائلته فوجد من طالع سعادته شرذمة من أشراف الاسكوطلنديين مجتمعين فيها ومن ضمنهم (يوحنا كومين) فاستغاث بهم بروس للانضمام معه فى السعى من أجل تحرير بلادهم من رق الانكليز فعارضه فى ذلك كومين فانتظره حتى ترك محل الجمعية ودخل فى كنيسة (غرى فريار) واقتحم عليه فيها وذبحه ونادى على الاسكوطلنديين بالاجتماع تحت بيرقه وتتوج ملكا بمعرفة أسقف سنت اندريو فى (أسقون) فاشتد بادوارد الغضب الزائد من أجل موت كومين واستعد لاخماد ثورة الاسكوطلنديين لكنه لما وجد نفسه طاعنا فى السن ضعيف البنية لا طاقة له على الخروج لميدان الحرب بنفسه عهد زمام قيادة جيشه لابنه (ادوارد) ولى العهد ففتح الحرب بعنف وشدة وأوقع فى البلاد الدمار حتى التزم أبوه على توقيف حركته وعين بدله (عميرد وفالنس) فطرد بروس وأتباعه من جهة الى أخرى وهزمهم فى واقعة حصلت فى (مثفن) من أعمال برتشير ومع ما حصل من هزيمة بروس فانه نال

بعض

بعض المظفرات حتى ألزم الملك ادوارد على البروز لميدان الحرب بنفسه وزحف من كارليسل فى أول يوليه سنة ١٣٠٧ بعد الميلاد فكان هذا الزحف محتما على قضاء حياته فمات فى بورغ على نهر الساند مذموما ممقوتا من جيرانه محترما ممجدا عند قومه وعهد لابنه وخليفته من بعده فى وقت الغرغرة مداومته على الحرب مع الاسكوطلنديين حتى يخضعوا خضوعا تاما وفى مدة سلطنة ادوارد صدرت لائحة تقضى بعدم منح أراض لارباب الديانة من دون تصديق من الملك وتأسس منها مجالس للوردات والعوام وحصل لليهود ضيم شديد وتحملوا عناء لاطاقة لهم به من الظلم الفاحش وطردوا من كافة جهات المملكة فى سنة ١٢٩٠ وما عادوا اليها الا فى مدة الجمهورية وحل محلهم فى قرض النقود تجار من الايطاليانيين واستجدت فى هذه السلطنة طواحين الهواء والمرآة الزجاج ودخل الورق فى المملكة من جهات الشرق واخترع أحد الرهبان الانكليزية الساعة الدقاقة وما كان يوجد فى المملكة الا اثنتان منها فى مدة هذه السلطنة واحدة فى كنيسة وستمنستر وأخرى فى كانتربورى وتشيدت تجارة فحم بين لوندره ونيوكاستل غير أنه منع استعمال هذا المعدن فى السنة التالية بسبب كراهة دخانه

سلطنة ادوارد الثانى

وكان ادوارد الثانى الملقب بالكيرنارفونى (اسم المحل الذى ولد فيه) عمره ثلاث وعشرون سنة فى وقت موت أبيه وابتداء سلطنته فى سنة ١٣٠٧ فكان أول أعماله أن خالف وصايا أبيه بمداومة حربه على الاسكوطلنديين فأبطل الحرب وفرق الجيش ودفن أبوه فى وستمنستر وأغضب أشراف قومه وأظهر من نفسه عدم رضاه بجلوسه على تخته فشرعوا فى عدم مراعاة الحكومة الملوكية وفعلوا كل كريهة وصار الملك المنحوس تحت سلطة ونفوذ الشياطين المتقربين منه فكانوا اسبابا فى خرابه وكان أول هؤلاء الشياطين رجل غسكونى اسمه (بطرس غافسطون) أصله من عائلة شريفة وكان ظريف الطبع اصطحب مع ادوارد من صغره وسلك به أقبح المسالك والخبائث حتى ان ادوارد الاول من بعد أن بذل جهده فى منع ابنه عن مثل هذه الافعال الذميمة ورأى منه المداومة عليها مع غافسطون التزم على نفى غافسطون المذكور وقبل موته حلف ابنه قسما مؤكدا على أنه لا يعيد غافسطون لكنه بعد جلوسه على التخت نكث يمينه وأرسل فى الوقت فى طلب غافسطون وأعاده الى انكلتره وخلع عليه أجل وظائف الشرف والسمو فى ديوانه وجعله (ارل كورنوال) وزوجه ابنة أخيه فاشتد غضب الاشراف من هذه الفعال وما تحملوا وقاحة هذا النديم

ولما توجه ادوارد الى فرانسا فى مبادى سنة ١٣٠٨ من أجل زواج البرنسيسة ازابلا ابنة فيليب الجميل صاحب فرانسا وكانت مخطوبة له من سنة ١٢٩٩ بعد الميلاد عين نديمه غافسطون نائبا بدله فى مدة غيابه عن المملكة فاشتعلت بوقاحته نيران الغضب فى صدور البارونات وصمموا على طرده من المملكة ولما عاد الملك من فرانسا رغبت الملكة الجديدة فى نفوذ حكمها على زوجها ووقع فى قلبها الغيرة من نفوذ غافسطون عليه فانضمت الى الحزب القائم عليه ومن بعد تتويج الملك بقليل طلب منه البارونات طرد غافسطون ونفيه من المملكة فرضى بذلك ادوارد مع الكراهة وبدل أن ينفيه من جهات المملكة أرسله نائبا عنه فى ارلنده وسار معه وقت سفره حتى وصل (بريستول) مودعا له وأنعم عليه باقطاعات جديدة فى انكلتره وغسكونيه وكان غافسطون شجاعا شهما وما كان مجردا عن الذكاء فان ادارته وأحكامه فى ارلنده كانت جميعها مع الملايمة التامة وحسن السير فى الادارات ولما رغب

ادوارد فى عودنديمه ثانيا الى عربكة العداوة مع البارونات بخضوعه لهم واستحصل من البابا على كفارة اليمين الذى كان حلفه لابيه بعدم عود غافسطون الى انكلتره وأعاد نديمه اليه ثانيا فمن سوء طالعه أنه داوم على السلوك الذى كان سالكا فيه من قبل حتى وصلت النتيجة الى قيام ثورة جديدة وفى سنة ١٣١٠ عين البرلمان من أجل صدّ شوكة نديم الملك وجعل الحكومة على منوال عظيم لجنة مؤلفة من احدى وعشرين من الاعيان لاجل مباشرة أعمال البيت الملوكى وأرغم البرلمان الملك على التنازل عن الحكومة لمدة سنة فأصدرت هذه اللجنة عدة أعمال بعضها نافع ومستحق الثناء لانها كانت سببا فى تقليل الشوكة الاستبدادية للحكومة وصار نفى غافسطون من المملكة مع أن ادوارد تذلل عند البارونات فى بقائه وتوجه غافسطون الى فلندرمو فى أقل من سنة نقل الملك ديوان حكومته الى يورقه وأعاد نديمه كما كان فعزم البارونات فى هذا الوقت على عمل فاصل لهذه المادة من جهة النديم المذكور وقاموا بالسلاح تحت قيادة (توما أرل لنكستر) ابن عم الملك وتغلبوا على قلعة (سكاربوروغ) وكان غافسطون فيها فقبضوا عليه وأرسلوه الى قلعة (واروبك) وقطعوا رأسه فيها فى ١٩ يونيه سنة ١٣١٢ فغضب ادوارد من أجل موت نديمه وحلف ليأخذن بثأره ممن قتله لكنه ما كان فيه قوة على نفاذ يمينه وأعاد رباط العلاقات مع البارونات وعاد الامن واستتباب الراحة فى المملكة

وفى أثناء المنازعات التى كانت جارية بين ادوارد الثانى وباروناته أقام (الملك روبرت بروس) دعائم تقدمات مصالحه وصار سيد كافة اسكوطلنده ومابقى للانكليز فى اسكوطلنده الاقلعة سطيرلنغ حاصرها (ادوارد بروس) أخو روبرت وضيق عليها فسار ادوارد ملك الانكليز لخلاصها مع جيش مؤلف من ١٠٠,٠٠٠ نفس ودخل اسكوطلنده وكان ادوارد بروس مع جيش مؤلف من ٣٠,٠٠٠ نفس معسكر فى موقع حصين فى (بانوكبورن) على مسافة ميلين من قلعة سطيرلنغ وحصنه بخنادق وحفائر سترها بالاعشاب والخضرة فلما وصل الملك ادوارد بجيشه الى هذا المحل هجم على الجيش الاسكوطلندى فى ٢٤ يونيه سنة ١٣١٤ بعد الميلاد فحصل لجيشه الفشل والارتباك حتى ولوا الادبار وأسرعوا فى الفرار مع خسارة مقدارها ٣٠,٠٠٠ نفس وهرب الملك ادوارد الى دونبار فتبعه بعض خيالة الاسكوطلنديين ورجع الى انكلتره من هذه المدينة من طريق البحر وكانت مصيبة كبرى على الانكليز وتغلب الاسكوطلنديون على المعسكر الانكليزى بما كان فيه من الاموال والذخائر وماسمع بهزيمة وقعت للانكليز مثلها من عهد واقعة هاستنغ وتمكنت بروس على تخت اسكوطلنده وصيرت المملكة مستقلة والكونتات الشمالية تحت قبضة الفاتحين مدة طويلة بعد اغارة روبرت عليها وخرابها وقتل أهلها

ولما تقوى بروس بما حازه من النصر على الانكليز فى اسكوطلنده عزم على اغتصاب ارلنده من الانكليز فأرسل أخاه ادوارد الى تلك الجزيرة وكان (عونيل) ورؤساء آخرون من وجوه (عولسطير) قدموا لادوارد أخى بروس التاج الارلندى ففى سنة ١٣١٥ بعد الميلاد نزل ادوارد فى عولسطير ومن بعد أن حاز بعض المظفرات فى الجزيرة تتوج ملك ارلنده فى مدينة (كاريكفرغوس) فاتحد الانكليز مع مخالفيهم واجتهدوا اجتهادا شديدا وهزموا ادوارد هزيمة حاطمة فى (اثرى) فى ١٠ أغسطس سنة ١٣١٦ وفى سنة ١٣١٨ قتل ادوارد بروس فى واقعة وقعت بالقرب من (دوندالك) وعادت السيادة الانكليزية فى ارلنده كما كانت

ومن

ومن بعد واقعة (بانوكبورن) تقلد حزب ارل لنكستر زمام الشوكة الرئيسة في انكلتره وأما ادوارد فانه أنزل نفسه لنديم جديد آخر اسمه (هيو الدسبنسر) شاب ظريف انكليزي شريف المولد من عائلة معتبرة الا انه كان في كافة أعماله مثل (غافسطون) غير أن أباه المسمى أيضا ادوارد كان الملك غمره بجوده وخيره وكان صاحب فطنة وذكاء طاعنا في السن سليم القلب صالحا أن يكون نائبا لمثل ادوارد الملك فتولد من هذا الكرم الذي أغدق به الملك على (الدسبنسرين) هياج ثورة أخرى من البارونات الذين حملوا السلاح تحت قيادة الارلين (هيرفورد) و (لنكستر) فانكسروا في واقعة قرية القنطرة وقتل (هيرفورد) في الواقعة ووقع القبض على (لنكستر) وقطعت رأسه في قلعة (بونطفراكط) سنة ١٣٢٢ بعد الميلاد وصار القبض أيضا على (روجر مورطيمر) من أشداء رجال الويلس وكان محبوبا عند الملكة وحكم عليه بالموت لانه كان من رجال هذا الحزب فصار تخفيف حكم الموت بحبسه في البرج وفي هذه الاثناء انتهز شارلس الرابع صاحب فرانسا سنوح الفرصة في أثناء الارتباكات في انكلتره وعزم على التغلب على الاملاك الانكليزية الموجودة في فرانسا وكان (ادوارد) حاز السيادة من نصرته على حزب لنكستر وزادت شوكة الدسبنسرين عما كانت قبل فأمر (ادوارد) بتوجه زوجته ازابلا الى باريس لاصلاح هذه المسائل مع أخيها فأغوت زوجها على تنازله عن دوقية غيينه لابنهما الكبير وكان في الوقت صبيا عمره ثلاث عشرة سنة وارساله الى فرانسا لتأدية رسوم الاحترام من أجل الدوقية وكانت هذه الحيلة دسيسة منها في خلع زوجها ولما وصلت الملكة الى باريس وجدت عدة من بارونات الحزب النكستري ومن ضمن هؤلاء البارونات محبوبها (روجر مورطيمر) وكان هرب من سجن البرج في سنة ١٣٢٥ وبدل أن تجتهد ازابلا في الصلح دست الدسائس في خلع زوجها وساعدها أخوها شارلس ملك فرانسا بالمال والرجال وفي سنة ١٣٢٦ بعد الميلاد جمعت قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ نفس من الاغراب وانضم اليها البارونات النافرة ونزلت بهذه القوة في سوفلك من أعمال انكلتره فترك الملك أصحابه وأصدقاءه فالتزم على الهرب من لوندره والالتجاء الى مستنقعات الويلس وتغلب عساكر الملكة على (بريستول) وصار القبض على الدسبنسر الكبير الحاكم فيها وكان عمره تسعين سنة وقتل شر قتلة ثم صار القبض على ابنه أيضا ومن بعد محاكمة سخرية في (هيرفورد) شنق فوق مشنقة ارتفاعها خمسون قدما وترك ادوارد في هذا الوقت بمفرده ولما خاب في قيامه مع الويلس أقلع الى ارلنده فرمته الرياح ثانيا الى الويلس بسبب أنها كانت جارية مخالفة لسير مركبه وكشف أعداؤه محله وأرسلوه مأسورا مسجونا في قلعة (كنيلورث) ومن ثم طلبت الملكة برلمانا باسم زوجها تقرر فيه خلع الملك بسبب عدم موافقته للاحكام وفي ٧ يناير سنة ١٣٢٧ بعد الميلاد أرسل البرلمان نوابا يجبرون الملك على تنازله عن تاجه لابنه وأمر بسلطنة ولي العهد بدلا عنه فلما بلغ الملكة التي هي أصل المفاسد والقبائح في انحطاط قدر زوجها أخبار خلعه سكبت عبرات الكهانة والنفاق أمام ولدها وامتلأ جسم ابنها بالاسف وحلف انه لا يرضى بتجريد أبيه من تاجه فمن ثم تنازل ادوارد عن التاج وكانت سلطنته انتهت رسميا من قبل وأخذ الملك من قلعة الى قلعة أي الى كورف ثم الى بريستول ثم أخيرا الى قلعة (بركلي) ووقع عليه العنف وشدة المضايقة ولما لم يحصل موته من هذه المعاملات المهينة عولت الملكة ومورطيمر على قتله وفي ليلة من الليالي فزع الناعون في قلعة (بركلي) من نومهم من خبط مهول جهة الملك وفي الصباح وجدوه قتيلا من دون وجود أدنى اشارة موت عليه في ٢١ سبتمبر سنة ١٣٢٧

بعد الميلاد وما سأل أحد عن أسباب موته ودفن فى غلوسيستر وكانت جريمة ادوارد هى عدم مراعاته جلالة موقعه فقط غير أنه لما كان الاشراف الذين قلدهم زمام واجبات الحكومة هم السبب الحقيقى فى جلب الاهوال والمصائب فى المملكة وكانت سببا فى عجز وعناء الامة فكان من الواجب على الملك توجيه المسؤلية عليهم وفى مدة هذه السلطنة وقع الجور على فرسان الهيكل أو طائفة عساكر الرهبان الذين قام أمرهم فى مبادى الحروب الصليبية فى أورشليم وسلمت أملاكهم وأراضيهم فى سنة ١٣١٢ لطائفة القديس يوحنا أو فرسان دار الشفا فى أورشليم وتعين بيت فرسان الهيكل فى لوندره لطلبة القوانين وعقدت أول معاهدة تجارية بين انكلتره وفنيزه وصار تشغيل الورق من رث الاقمشة والشراميط وقيل ان هذا الاختراع اخترعه الصينيون فى سنة ١٧٠ قبل الميلاد وأنشئت دار المعارف فى دبلين فى هذه السلطنة

سلطنة ادوارد الثالث

وأعلن ادوارد الثالث الابن الكبير لادوارد الثانى بكونه ملكا من بعد خلع أبيه غير أنه لما كان عمره فى هذا الوقت أربع عشرة سنة عين مجلس البرلمان مجلس نيابة عنه وتعين ارل لنكستر وصيا عليه الا أن الشوكة الحقيقية للحكومة كانت فى أيدى ازابلا ومورطيمر وانتهز الاسكوطلنديون الفرصة فى مدة الاختلالات الواقعة فى انكلتره وأغاروا على الكونتات الشمالية فاصطحب ادوارد بجيش وزحف على الاسكوطلنديين فرجع هاربا بنفسه مع شدة المضايقة من خيالة الاسكوطلنديين له وتقهقر الاسكوطلنديون عابرين الحدود مع السلامة ثم بعد ذلك عقدوا شروط صلحهم فى مارث سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد وتقرر فى هذه المعاهدة استقلالية اسكوطلنده وطلبوا اخلاص أسراهم من الانكليز وتنازل انكلتره عما تدعيه من سيادتها على اسكوطلنده واعادة الشعائر السلطانية القديمة وكان الذى أشار بعقد هذا الصلح المهين مورطيمر فجلب على نفسه بذلك نظر الاشراف له بعين الغضب وكرهه أيضا البارونات من شدة عجبه وكبريائه وتسببه فى قتل ارل كنط عم الملك من بعد أن اتهمه فى شبهة خلعه وفى سنة ١٣٣٠ بعد الميلاد تسبب فى سجن ارل لنكستر واتهمه فى دسيسة وجار بظلمه وسوء تدبيره على كثير من كبار المملكة وحاز (مورطيمر) بهذه المظفرات الشوكة العظمى واليد الطولى فى حكومة المملكة زيادة عن الاول ولقب نفسه بارل مارش وعاش عيشة رغدا سلطانية ولما بلغ عمر ادوارد ثمان عشرة سنة عول على رجح حكومة مورطيمر واستلم زمام الحكومة فى يده وذكر آراء تعويله لعدة من الاشراف وعين لهم قلعة نوطنغهام للقبض على نفس مورطيمر فيها وكان مقيما فيها على الدوام وكانت أبواب القلعة محكمة الحفر دائما ولا يمكن لاحد الدخول فيها لكن تيسر الدخول فى القلعة من سرداب تحت الارض وصار القبض على مورطيمر وأرسل الى السجن وطلب ادوارد التئام البرلمان وحكم على مورطيمر بالاعدام بسبب اغتصابه الشوكة الملوكية فصلب فى (طيبورن) فى نوفمبر سنة ١٣٣٠ بعد الميلاد وصرفت ازابلا ما بقى من حياتها فى سجن مكرم فى قلعة (ريزنغ)

ولما استحصل ادوارد على زمام قيادة الاعمال فى يده كان أول سعى أجراه توجه التفاته نحو اسكوطلنده وكان بروس الاكبر مات وخلفه ابنه داود الثانى على التخت وكان صبيا عمره سبع سنوات وكان وقع الاتفاق فى المعاهدة التى عقدت مع اسكوطلنده من قبل موت بروس أنه يجب عود الاشراف الانكليزية لاملاكهم الموجودة فى اسكوطلنده فما تيسر الحصول على وفاء هذا الشرط فقوى الانكليز النافرون ادوارد باليول بن باليول على الاجتهاد فى أخذ التاج الاسكوطلندى فمن ثم تغلب

ادوارد

ادوارد باليول بقوة قدرها ٣٠٠٠٠ نفس على التخت فى مدة أقل من شهر الا انه من سوء تدبيره أبعد عن نفسه الانكليز الذين كانوا معاضدين له بسرعة فمن ثم صار طرده عن التخت فى الشهر الثانى عابرا حدود اسكوطلنده فتوجه الى ادوارد وعهد له اعترافه بالسيادة الالتزامية الانكليزية فساعده ادوارد على مقصوده وفى حالة ما كان ملك الانكليز محاصرا قلعة (برويك) مفتاح اسكوطلنده انهزم الاسكوطلنديون هزيمة شديدة فى جبل (حاليدون) فى سنة ١٣٣٣ وذبح فى هذه الهزيمة نائب المملكة وتقرر أمر باليول فى الملك على التخت والتزم الملك داود على الهرب الى فرانسا وأضيفت كافة الكونتات الجنوبية الشرقية الى انكلترة من ابتداء مدينة (ايدنبورغ) الى الحدود الاصلية وأدى باليول رسوم الاحترام لملك الانكليز من أجل تاجه وحلف الكثير من أشراف الاسكوطلنديين بطاعتهم لادوارد فتولد من التنازل عن الكونتات لانكلترة شدة كراهة الاسكوطلنديين لباليول وطردوه من المملكة رغما عن مساعدة ملك الانكليز له وأعادوا (داود الثانى) بمساعدة فرانسا ووجهت فرانسا التفاتها اليهم فالتزم ملك الانكليز على العود الى اسكوطلنده من أجل حطم الاسكوطلنديين وعود باليول ولما صار لا طاقة للاسكوطلنديين على مقاومة ادوارد فى الاراضى السهلة تقهقروا الى الاراضى العالية واستمروا فى هذه الجهات ألد الاعداء الى باليول الغاصب وسيده ملك الانكليز ثم أعادوا (داود) فى سنة ١٣٤١ ومن طالع سعدهم أن ملك الانكليز وجه التفاته نحو فرانسا وخلصت اسكوطلنده من تداخل انكلترة

وذلك أن شارلس الرابع ملك فرانسا مات فى سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد من دون عقب يرثه فى تخته فطلب ادوارد تخت فرانسا لنفسه من حق أمه ازابلا أخت الملك شارلس الميت وابنه فيليب الجميل فما أجيب طلبه ومنحت النيابة على فيليب كونت فلواز الذى صار بعد مضى شهرين ملكا باسم فيليب السادس وسبب عدم اجابة طلب ادوارد للتاج الفرنساوى وان كان أقرب لشارلس الرابع هو أن القانون الصاليقى المقرر العمل عليه فى وراثة التخت الملوكى فى فرانسا لا يرخص لطائفة النساء وراثة التخت فمن ثم سلم ادوارد فى هذه المسئلة وأدى رسوم الاحترام لفيليب فى سنة ١٣٢٩ بعد الميلاد من أجل أراضى غيينه فتولد من المساعدات التى أجراها فيليب صاحب فرانسا للاسكوطلنديين من أجل مقاومتهم ادوارد ملك انكلترة عداوة كبيرة فى قلب هذا الملك فمن ثم قابل الكونت روبرت صاحب ارطواز وألد الاعداء لفيليب بأجل مقابلة وأعظم احتفال وكان هرب الى انكلترة فى سنة ١٣٣٣ بعد الميلاد واجتهد فيليب فى الزام (ادوارد) بطرد الكونت روبرت من بلاده ولما خاب فى سعيه أوقع المظالم القبيحة والجور الشديد على دوقية (ادوارد) غيينه وفى سنة ١٣٣٦ أشكل ملك الفرنساوية المسئلة جدا وطلب من ادوارد طلبا ثقيلا وألزمه باحد أمرين اما تسليم كونت ارطواز واما تجريده من دوقية غيينه فشرع ادوارد حالا فى الاستعدادات اللازمة للحرب وعلى حسب ما أشار عليه الفلمنكيون من تجديده مطلب التاج الفرنساوى لقب نفسه بملك فرانسا وأطلق على الحرب الذى هاج بعد ذلك بين انكلترة وفرانسا اسم حرب المائة سنة لانه ما وقعت وقائع فاصلة فى هذه المدة وكان ابتداء المبارزات فى هذا الحرب من جهة الفلمنكيين فى سنة ١٣٣٩ بعد الميلاد غير أنها كانت قليلة النجاح وفى سنة ١٣٤٠ بعد الميلاد هجم اسطول انكليزى على اسطول كبير فرنساوى على مسافة من (سلويس) فخسر الفرنساوية نحو ٢٣٠ سفينة من ٤٠٠ سفينة و ٣٠٠٠٠ نفس وقدرت خسارة الانكليز الى

٤٠٠٠ نفس فقط ثم ابتدأ ادوارد فى حرب آخر على أرض القارة مع جيش كبير من الاجرية فكان على غير ثمرة وانتهى بهدنة لمدة سنتين وفى فصل خريف سنة ١٣٤٢ بعد الميلاد جدد ادوارد الحرب من جهة بريطانى وكانت هذه الدوقية فى مباغضة مع ملك فرانسا فكان هذا الحرب مثل سابقه وصار اجراؤه من دون فائدة الى حد سنة ١٣٤٦ بعد الميلاد حتى ان الانكليز حازوا النصرتين العظيمتين الاولين اللتين خيم ظلال مجدهما وشهرتهما على سلطنته وذلك انه فى هذه السنة أقلع ادوارد من عمبطون الجنوبية بجيش مؤلف من ٣٠,٠٠٠ نفس ونزل فى رأس هوغ فى نورمندى من دون أن يلقى أدنى مقاومة ثم زحف تقريبا الى أبواب باريس وخرب أراضى نورمندى ثم تبع فى سيره نحو فلندره وخلفه العساكر الفرنساوية وعبر نهر السوم بالقرب من (ابيويل) مواجها الشرذمة من خيالة الفرنساوية وأخذ له موقعا بالقرب من قرية (كريسى) وانتظر فيه حضور العدو وقسم جيشه المؤلف من ٣٠,٠٠٠ نفس الى ثلاث حذاآت فكان الحذاء الاول تحت قيادة ابنه ولى العهد وكان عمره فى هذا الوقت ست عشرة سنة والثالث تحت قيادة نفسه وجاء الفرنساوية فى جيش كثيف مؤلف من ١٢٠,٠٠٠ نفس ومع أنهم جاؤا على غاية من التعب من سرعة السير لكنهم اقتحموا الهجوم فى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وكان فى مقدمتهم ١٥,٠٠٠ نفس من نبالة الجنويز جلبهم ملك الفرنساوية من ايطاليا المحاربة مع نبالة الانكليز ومن قبل انتشاب الواقعة قامت عاصفة شديدة برعد ومطر على ميدان الواقعة ولما انكشف الجو وراق الوقت استعد الجنويزيون لضرب نبالهم فكانت خيوط أقواسهم مبتلة فما كان لهم من طاقة على رمى نبلة واحدة من نبالهم وأما نبالة الانكليز فكانوا حافظين أقواسهم فى صناديق وعاب مدة سقوط الامطار ومن ثم كانت خيوط أقواسهم جافة ولما قرب الجنويز منهم أرسلوا عليهم نبالا شديدة مثل المطر ولما صار لا طاقة للجنويز على الثبات أمام نبالة الانكليز ولوا ظهورهم وهم والفشل فغضب ملك الفرنساوية من هرب نبالته وزعق على رجاله وعساكره المتسلحين اقتلوا هؤلاء الاشرار فأجاب العساكر أمره وأوقعوا بالايطاليانيين وانقرض دابر نبالة الجنويز بواسطة اخوانهم وساق ولى العهد الشاب رجاله وحمل معهم ولما ضايقه العدو أرسل لابيه فى طلب الامداد والمساعدة وكان الملك مراقبا حركة الواقعة من فوق طاحونة هواء بالقرب من الميدان فأجاب الملك لاداعى للغلام يحفظ مهاميزه واجعلوا هذا اليوم له فتولد من هذا الجواب وقوع الغيرة والشجاعة فى قلوب العساكر الانكليزية واقتحموا القتال وطردوا الفرنساوية مشتتين فى الفلوات على رؤسهم واصطادوهم وقتلوهم من دون رحمة حتى دخل الظلام وعاد الانكليز من تعقبهم الفرنساوية واستقبل ادوارد ابنه بعلامات الاحتضان عند وصوله الى المعسكر وصار البرنس الشاب من هذا الوقت هو المرعب للفرنساوية ولقبوه بالبرنس الاسود بسبب أن الطقم الذى كان لابسه أسود اللون فى هذا اليوم وكانت واقعة كريسى من أكبر المصائب على الفرنساوية فانهم خسروا فيها ١١ برنس و ١٢٠٠ فارس من أمرائهم وما ينوف عن ٣٠,٠٠٠ نفس من العساكر وكانت فى ٢٦ أغسطس سنة ١٣٤٦ بعد الميلاد وكان من ضمن المقتولين فى ميدان المعركة يوحنا ملك بوهيمية الاعمى وكان أصر على دخوله فى الواقعة وأمر بربط سروع أعنته فى حصانين من خيول فوارسه فأخذ ولى العهد سلبه وكافة ملبوسه ومن بعد ختام الواقعة سار (ادوارد) على كاليس وحاصرها براو بحرا وفى أثناء ذلك انتهز داود بروس الفرصة وكان بالبول طرده من تخت اسكوطلنده مرة أخرى

واغار

وأغار على انكلتره فى مدة غياب ادوارد بصفة أنه حليف لفرانسا وكان داود فى رأس جيش مؤلف من ٥٠٫٠٠٠ نفس وخرب البلاد والاراضى حتى وصل الى مدينة دورهام فالتقته الملكة (فيليبه) فى مفرق (نيفيل) فى ١٢ اقطوبر سنة ١٣٤٦ بعد الميلاد مع الشهامة بجيش مؤلف من ١٢٫٠٠٠ وقلدت زمام قيادته الى اللورد برسى فأوقع على الاسكوطلنديين هزيمة فاصلة وأخذ داود أسيرا وحبسه فى برج لوندره ثم خلص من سجنه بدفع فداء مقداره ١٠٠٫٠٠٠ مارك واستمر (ادوارد) محاصرا قلعة كاليس أحد عشر شهرا ثم ان أهل المدينة وان كانوا فى شدة الدفاع عن مدينتهم مع الشجاعة الا أن وقوع الجوع والقحط فيهم أرغمهم على فتح أبوابها للملك الانكليز فى سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد فغضب ادوارد جدا من أهل المدينة من أجل مقاومتهم له وأمر بان ستة رجال من أكابرهم يأتون له بمفاتيح المدينة حفاة والحبال فى أعناقهم فقام واحد من أغنياء المدينة اسمه (عوسطاس دوسنت بطرس) واختار لنفسه هذا الذل وتبعه على منواله خمسة آخرون من أقرانه فتوجهوا وجثوا أمام الملك وسلموه مفاتيح المدينة وطلبوا منه العفو فعض ادوارد على أسنانه من شدة غيظه وطلب الجلاد ليقضى شغله فجثت الملكة على ركبتيها أمام الملك وسألته خلاصهم فقبل ادوارد طلبها وأفرج عنهم وأمر باخراج الوطنيين من المدينة وأسكنها رعاياه من الانكليز واستحوذوا على أملاكها وصارت احدى المراسى المهمة المشهورة فى بيع البضائع الفلمنكية والانكليزية واستمرت تحت الحكم الانكليزى ماينوف عن قرنين ومن بعد أن تغلب ادوارد على كاليس عقدت هدنة بين فرانسا وانكلتره كانت مدتها عشرة شهور وطالت مدتها بسبب ماوقع من الوباء المسمى بالطاعون الاسود فان هذا الوباء المفزع كان أول ظهوره فى شمال آسيا ثم انتشر على قارة أوروبا فاهلك ثلث سكان كل جهة كان يحل بها وهلك فى هذا الوباء من نفس لوندره ٥٠٫٠٠٠ نفس من أهلها وفى سنة ١٣٥٥ بعد الميلاد انتهت مدة الهدنة وتجددت الفرنساوية الحرب مع الشدة زيادة عن الاول وكانت حالة فرانسا فى هذا الوقت صالحة لفوز ونجاح الجيوش الانكليزية فان فيليب السادس مات وخلفه ابنه يوحنا على التخت وهيج شارلس ملك نفار وأحزاب المملكة على بعضها حتى صارت فرانسا عاجزة تقريبا عن مقاومتها لاى غارة تقع عليها فزحف ادوارد من كاليس مع البرنس الاسود ونهب جنوب فرانسا وعادا لمقرهما مثقلين بأحمال الغنائم وفى السنة التالية تشجع البرنس الاسود بظفراته الاولية ودخل فى قلب فرانسا مع قوة قليلة مؤلفة من ١٢٫٠٠٠ نفس كان ثلثاها من العساكر الانكليزية فقط وعند عوده الى غسكونيه أدركه الملك يوحنا بالقرب من بواطى مع جيش مؤلف من ٦٠٫٠٠٠ نفس وهذا الجيش وان كان كثير العدد جدا عن قوته الا أن فارس كربى رفض قبول تسليمه للملك واتخذ لنفسه موقعا بذكاء عقله لايمكن الملك أن يقرب منه الا من درب ضيق جدا فاصطفت فرقة من النبالة الانكليزية فوق جهتى هذا الدرب ولما زحف الفرنساوية من هذا الدرب الضيق نزلت عليهم سهام الانكليز مثل المطر فانسد طريق الدرب من قتلاهم وما بقى رجع القهقرى كابسين على بعضهم وتم النصر للانكليز فى ١٩ سبتمبر سنة ١٣٥٦ بعد الميلاد وأخذ البرنس الاسود الملك يوحنا أسيرا وكانت واقعة بواطى احدى الوقائع المشهورة فى التواريخ الحربية وقام الملك يوحنا فى سرايته صافوا فى لوندره وعومل بأجل الاحترامات وأحسن الالتفاتات ووقع على شروط معاهدة مع ادوارد عهد فيها بعود الاملاك فى فرانسا التى كانت تحت يد هنرى الثانى من دون أداء رسوم الاحترامات غير أن أشراف

الفرنساويه رفضوا قبول هذا الصلح المهين فمن ثم أغار (ادوارد) مرة ثانية على فرانسا وأوقع الخراب على المملكة حتى وصل الى أسوار مدينة باريس فتولد من هذا المخابرة جديدة وعقدت معاهدة فى بريطانى أطلق عليها اسم معاهدة بريطانى أو الصلح الكبير تنازل فيه ادوارد عن طلباته فى تاج فرانسا وعن أقاليم (نورمندى – ومين – وطورنيه – وانجو) وأخذ بدلا عن ذلك من دون أداء احترام أقاليم بواطى وغينيه مع جهات أخرى فى تلك الجهة وقلعة كاليس وثلاث ملايين كراون من الذهب بقيمة ١,٥٠٠,٠٠٠ ليره فداء لخلاص الملك فى ٨ مايو سنة ١٣٦٠ بعد الميلاد ومن بعد مضى ثلاث سنوات خاب الملك يوحنا فى جبايته الفداء فعاد الى انكلتره محل أسره ولبث فى سراية صافوا فأصيب فيها بمرض شديد فمات وعهدت حكومة الاقاليم الانكليزية فى فرانسا الى البرنس الاسود ففى ساعة منحوسة سار مع جيش الى كسطيلة من أعمال اسبانيا من أجل عود (بطرو) الجبار وفى سنة ١٣٦٧ بعد الميلاد توج النصر جيشه كما هى عادته غير أن (بطرو) رفع قبول دفع مصاريف الحملة فالتزم على أن يجبيه من رعاياه الفرنساويه فاستغاث أهل غسكونية بشارلس صاحب فرانسا فى مساعدتهم ضد هذه الجباية فطلب شارلس البرنس الاسود للحضور الى باريس على خلاف معاهدة بريطانى فجاوب بعدم امكان حضوره الا اذا كان فى رأس ٦٠٠٠٠ نفس مقاتل ومن ثم تجددا الحرب مع فرانسا فأصاب البرنس الاسود ضعف فى صحته فالتزم على تسليم قيادته وأخذ أمر الانكليز فى الضعف ومن بعد سفره الى لوندره فى سنة ١٣٧٦ سار الفرنساويه من فتح الى فتح حتى ما بقى من عموم الاملاك الانكليزية فى فرانسا الا (بوردو – وبايون – وكاليس) ومات البرنس الاسود فى هذه السنة من بعد مرض شديد فى السنة السادسة والاربعين من عمره فنعته عموم الامة بسبب ما كان عليه من الفضائل الجليلة وما عاش (ادوارد) من بعد موت ولده المحبوب بل مات أيضا فى السنة التالية أى فى ٢١ يونيه سنة ١٣٧٧ بعد الميلاد فى مدينة (شين) على نهر التيمس بالقرب من ريشموند من بعد أن تسلطن خمسين سنة وكان ادوارد ملكا شجاعا عاقلا محبوبا ساقه طمعه وشهامته الحربية الى حروب غير عادلة الا أن انكلتره تمتعت جدا بالراحة فى مدة سلطنته زيادة عن السلطنات السالفة وتولد من الحرب الفرنساوى حصول الشهامة والميل الى اتحاد الاجناس المختلفة المتشكل منها سكان انكلتره فان النورمانيين والاصكسونيين وأهل الويلس كانوا متحدين فى حرب كل من واقعتى كريسى وبواطى وكان ادوارد فى مخابرة على الدوام مع برلمانه ومشاورة أربابه على المسائل المهمة فمن ثم صار له أهمية عظيمة فى المملكة

وخلف ادوارد من زوجته فيليبه ستة ذكور وخمس بنات وكان أشهر أولاده وأجلهم مقدارا (البرنس الاسود – وليونل دوق كلرنس – ويوحنا غنط دوق لنكستر – وعدموند دوق يورقه – وتوماس دوق غلوسيستر)

وفى هذه السلطنة صدرت لائحة اسمها قانون الشروط تقضى بعدم قبول أى قسيس أو واحد من خدمة الدين الاغراب يعينه البابا من طرفه فى أى وظيفة فى انكلتره وفى سنة ١٣٤٤ صار اصلاح هذه اللائحة نوعا وضم اليها منع طلب الاستئناف من دواوين الملك الى ديوان البابا وفى سنة ١٣٥٢ صدرت لائحة أيضا تقضى بوقوع الجرائم على ثلاثة أولها نشر الفتن على قتل الملك ثانيها هياج حرب على الملك ثالثها مساعدة الاعداء الاجنبية على الملك وأطلق على هذه اللائحة

اسم

اسم لائحة الخيانات وفى هذه السلطنة أيضا انفصل أعضاء مجلس العوام أو المبعوثان فى قاعة واحدة على حدتهم من مجلس الاعيان أو اللوردات وانتخبوا لهم متكلما أو رئيسا وأزهر فى هذه السلطنة أيضا يوحنا ويكليف الملقب بكوكب صبح الاصلاح وأخذت التجارة فى الزيادة وكان الصوف المادة الرئيسة فى التصديرات التجارية وألغى اللسان الفرنساوى من محاكم القوانين الانكليزية فى سنة ١٣٦٢ بعد الميلاد

سلطنة ريشارد الثانى

ومن بعد موت ادوارد الثالث جلس (ريشارد الثانى) الابن الوحيد لادوارد البرنس الاسود على تخت جده فى سنة ١٣٧٧ بعد الميلاد وكان عمره فى هذا الوقت احدى عشرة سنة وكان يوم تتويجه يوما مشهودا زيادة عن العادة الجارية فى تتويج الملوك السالفة وزينت فيه شوارع لوندره وانحصرت الحكومة فى مجلس نيابة مخصوص أخرج منه أعمامه ومع هذا كان لهم شدة نفوذ فى الاعمال العمومية ومازال الحرب فى فرانسا جاريا كما كان فمن أجل تيسر الحصول على مصاريفه ضربت على الرؤس على كل ذكر وأنثى فى المملكة زاد سنه عن خمس عشرة سنة فكان ذلك غير موافق لحالة الفقراء لانه ما حصل النظر فى الفرق بين الفقير والغنى فعم النفور وتولد من الطريقة الصعبة الحاصلة فى جباية الضرائب ثوران الامة النافرة ولاشك أن حالة الفقراء فى هذا الوقت كانت من أقبح الاحوال وكانت مصائبهم كثيرة وما كانوا ينتظرون الا سنوح فرصة ليقوموا فى ثورة فكان أول ثورة وقعت فى أعمال كنط وذلك أن أحد جباة الاموال توجه الى رجل فلاح اسمه (واط طيلر) فى (دارفورط) وسب ابنته وفضحها فقام أبوها وضربه ضربة قضى بها على حياته أمام منزله ودعا المتفرجين لمباشرة العمل فى الانتقام من ظالميهم فقام أهل كنط بالسلاح وقام الاشرار والفقراء من (نورفلك ـ وسوفلك ـ وصكصونية الجنوبية والشرقية) وأهالى الكونتات الاخرى الى حد نهر الهمبر ومن قبل أن تأخذ الحكومة خبرا بادنى شئ من هذا الخطر كان الثائرون على طريقهم نحو لوندره تحت قيادة (واط طيلر ـ وجاك أسطرو) وغيرهما من مقبوحى الاسماء واجتمعوا فى الميدان الاسود بالقرب من العاصمة فى عدد مؤلف من ١٠٠,٠٠٠ نفس وهيج (يوحنا بال) قسيس من المقبوحين فيهم الغضب والحماقة ووقف على علية فى وسطهم ينشد لهم هذه الاشعار

وقت ما كان آدم يعزق * وحوا من وراء تقيس   قولوا لنا يا ناس * وقتها من كان الرئيس

فكانت هذه القيامة ثورة الفقراء على الاغنياء فاقتحموا المدينة وهدموا الكثير من المبانى العمومية وعلى الخصوص سراية صافوا وبيت يوحنا غنط وكسروا الباب الجديد وأخرجوا المسجونين واغتصبوا طريقهم الى البرج وقتلوا أسقف كانتربورى ووزير المالية وقطعوا رأس كل من وقع فى أيديهم من الاغنياء ونهبوا المساكن ومخازن التجارة فى ١٢ يونيه سنة ١٣٨١ بعد الميلاد وفى هذه الحالة المهولة أظهر (ريشارد) ذكاء عقله وقابل قسما منهم فى نواحى (ميل اند) ووعدهم بنجح طلباتهم وكانت مقصورة على الغاء العبودية وتقليل ايجار الاراضى بواقع كل فدان أربعة بنس والبيع والشراء مع الحرية التامة فى الاسواق وأيام المواسم وفى أسواق المدائن وصدور عفو عام عما مضى ثم انسحب الثائرون الى بلادهم وفى اليوم الثانى قابل واط طيلر الملك فى ١٥ يونيه سنة ١٣٨١ فى رأس قوة مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ نفس فى ميدان (سميث) وسلك مسلك الفظاظة ولعب بسيفه أمام الملك واجتهد فى القبض على سرع لجام حصان الملك فغضب (غليلوم والوورث) والى لوندره غضبا شديدا وطعن طيلر بسيفه طعنة خرق بها زوره وتمم أعوان الملك قتله فصرخ رجال طيلر وقالوا

القتل القتل الموت مات رئيسنا واستعدوا الاخذ الثار من الملك وأعوانه فصرخ في وسطهم ريشارد وقال أنا رئيسكم فان كنتم غضبتم على قتل رئيسكم فانا رئيسكم وملككم اتبعوني فساروا وراءه في هدو حتى وصل بهم الى (عسلنغطون) وفي هذا المحل اجتمع عليه عساكر مفاسمح لاحد من العساكر بالدخول في مسئلتهم ولما رأى زعماء الثورة أنهم صاروا في حالة تحت عفو الملك جثوا على ركبهم وطلبوا العفو فعفا عنهم ريشارد وكتب لهم رخصا بما وعدهم به وتوجهوا الى بلادهم مجبورين من طرف مليكهم ومن ثم انتهت حركة الثورة في لوندره الا أنه فقد كثير من الانفس ووقعت تلفيات جسيمة في الكونتات البعيدة في مدة الخمسة عشر يوما التي كانت باقية من الشهر فسار الملك في رأس جيش كبير في أعمال كنط وصكصونية الشرقية وقبض على (يوحنا بال - وجاك اسطرو) ومائة نفس آخرين وقتلوا جميعا وفي ثلاثة أسابيع ألغيت الرخص ونكثت المواعيد وقتل من الثائرين ماينوف عن ١٥٠٠ نفس ولما وقع من ريشارد الجسارة في ميدان سميث انتظر فيه الامة سلطنة عظيمة الا انه لما تقدم في السن عكف على اللذات وظهر عليه عدم موافقته للسلطنة وخابت آمال رعيته فيه وفي سنة ١٣٨٢ بعد الميلاد أي بعد الثورة بسنة تزوج بالبرنسيسة عاني صاحبة بوهيمية وتلقبت بالملكة عاني الطيبة واتفق أنه سمع في هذا الوقت الدمدمة الاولية التي نتجت عن العواصف والرعود الدينية التي كانت انتشرت من مدة قرن ونصف وتزلزلت منها أرض القارة في أوروبا والجزائر البريطانية وصار اللسان الانكليزي مستعملا في دائرة الافكار وحاكم (شوسر) وطرزه في هيئة سجعات موزونة ورأى آخرون أن هذا اللسان موافق لأغراض علم الفلسفة العالية والديانة وما كانت الامة الانكليزية في هدو من رؤيتها العيوب الموجودة في الكنيسة ونقائص الدولة البابوية وكان البرلمان أعلن في السلطنة السابقة بعدم أداء رسوم الاحترام المفروضة على الملوك الانكليزية للبابا من عهد أيام الملك يوحنا وكان من الذين خطبوا فوق منابر الوعظ بحرية الامة الانكليزية واستقلالها وبعدها عن دار القسوسية في رومة والذين رفضوا الكنيسة كما هي عليه الآن الحكيم (يوحنا ويكليف) وكان عالما مدرسا في درجة سامية في مدرسة المعارف في أوكسفورد وكان هو و (شوسر) متمتعين بوداد يوحنا غنط عم الملك وكان ويكليف تلميذ الشهير (براد وردين) وشرب غبا مثله من سلسبيل حقيقة التوراة واشترك في المباحثات والمناقضات التي ظهرت في عصره وكان صوته متجها على الدوام نحو الاصلاح والسعاية التي وقعت في الغاء قوانين لائحة الجرائم والقوانين (البرامونيرانيه) القاضية بتجريد كل من قبل منشورا من جهة البابا عن أملاكه ونفيه من الارض واشتهر ويكليف وذاع صيته ومافعل أحد زيادة عما فعله ويكليف في تيسر الحصول على تحرير وعتق الامة الانكليزية من قبضة البابا وغيره وما عادله أحد في التوجه لمدينة بورغه لمقابلة البابا جريجوري الحادي عشر وعمل معه الاصلاحات اللازمة المختصة بالكنيسة ولما عاد من ارساليته توظف قسيسا في (عوبسط) من أعمال (ورسيستر) وأعطيت له وظيفة قلاية (لوطيرورث) وفي سنة ١٣٧٧ بعد الميلاد طلبه (كورتني) أسقف لوندره في مجلس عقده في كنيسة (القديس بول) من أجل المباحثة في أقواله فأطاع ويكليف الطلب وتوجه الى المجلس مصحوبا بصديقه يوحنا غنط ففقد هذا الرجل الكهل صبره واشتد الكلام بينه وبين الاسقف وأظهر عليه شدته وعنفه وانقضى المجلس بحالة ارتباك مهولة وفي السنة التالية ظهرت التوراة الانكليزية تأليف ويكليف وكانت نتيجتها شغل

حتى وكلف فى عدة سنين مضت ثم عقد مجلس فى لوندره سنة ١٣٨١ بعد الميلاد أعلنت أقواله فيه بأنها مبتدعة وفى سنة ١٣٨٢ طلبه كورتنى أسقف لوندره فى مجلس عقده فى أوكسفورد فحضر ويكليف فى المجلس وأحضر معه اعترافه باللسان الانكليزى واللاتينى وما فتح فى هذا المجلس أشغال ومداولات جديدة ولما اعترت هذا المصلح الامراض وأخذت صحته فى الهزال اعتزل فى قلايته فى (لوطيرورث) وصرف فيها السنتين الاخيرتين من حياته تحت رعاية صاحب الشوكة صديقه (يوحنا غنط) ثم مات بداء الفالج أمام محراب القلاية فى آخر يوم من أيام سنة ١٣٨٤ بعد الميلاد وكان من أكبر تلامذته المجتهدين الملكة عانى الطيبة وبنفوذها وسلطتها وجدت مؤلفات هذا المصلح طريقا لوصولها الى بوهيمية فأزهرت بعد زمن وحصل منها التقدم الزائد فى المواد الديانية فى جهة بوهيمية زيادة عن جهة انكلترة وكانت آراء ويكليف مرجحة فى الجملة عند الحكيم مارتين لوتير صاحب الاصلاح الانجيلى

وفى سنة ١٣٨٥ بعد الميلاد عقد الاسكوطلنديون معاهدة مع فرانسا وأغاروا على انكلترة فسار ريشارد الى اسكوطلنده وحرق ايدنبورغ وبعض مدائن أخرى ومع أنه كان تحت قيادته نحو من ٦٠٠٠٠ نفس الا أنه ما وقع منه ما يعود بالنفع وعاد مسرعا الى لهوه ولعبه واستمرت الحروب بضع سنين فى جهات الحدود ثم تولد من وقوع سبب زهيد بين أتباع دغلاس الاسكوطلندى وأتباع (برسى) صاحب عبريا الشمالية محاربة بينهم فى نواحى (عوطربورن) فى سنة ١٣٨٨ بعد الميلاد أسر فيها الشاب برسى وقتل دغلاس وما عرف النصر لأيهما ثم تولد من رخاوة ريشارد واعتكافه على اللعب باخلائه نفور عظيم فانتهز عمه (توماس دوق غلوسيستر) الفرصة فى هذا الوقت وجعل نفسه رأس وتعلقه الحكومة وبنفوذه صدر أمر البرلمان الملقب (بالبرلمان المدهش أو عديم الرحمة) بقتل اثنين من ندماء الملك فى سنة ١٣٨٨ بعد الميلاد فتقلد ريشارد فى السنة التالية زمام حكومته فى يديه وطرد من مجلسه الخصوصى كل من كان معارضا لاقواله واستمرت الاعمال سائرة بضع سنين فى هدو وبما أنه كان يوجد نفور كثير بسبب ما هو حاصل من الملك من محبته للهذيان واللعب اجتهد ريشارد وعزم على قطع دابر مدمة الاشراف وتذمرهم باجراآت وأعمال شاقة فأمر بالقبض على عمه دوق غلوسيستر على حين غفلة وأرسله الى قلعة كاليس وقتل فيها خفية وغرم بعض الرؤساء وسجن بعضهم وقتل البعض ونفى (توماس ارنديل) رئيس أساقفة كانتربورى وما بقى فى المملكة من كبار أعدائه الا اثنان من دون عقاب وهما ابن عمه (هيرفورد) ابن دوق لنكستر و (دوق نورفلك) فوقع لهما من العقاب فى بعض الايام مثل ما وقع للذين قبلهم وذلك أن نورفلك اتهمه هيرفورد بأقوال تخل بشرف الملك فأنكر نورفلك ما اتهمه به هيرفورد ودعاه لحرب الدويل ولما خرج الاثنان فى الميدان منعهما الملك عن هذا الفعل ونفى هيرفورد لمدة عشر سنوات ونورفلك لمدة حياته ومن ثم خلص ريشارد نفسه من أعدائه وحكم المملكة حكم ملك مطلق الاستبداد فكان مقصوده قانونه وحكومته غير عادلة غير أنه ما كان لاحد طاقة على قول شئ مخالف لافعاله وكان الغضب عاما قد أخذ محلا عميقا فى الصدور

ولما صار نفى دوق هيرفورد قال الملك انه يلزم أن يستحوذ على ملك أبيه ولما مات دوق لنكستر فى سنة ١٣٩٩ بعد الميلاد نكث ريشارد وعده وضبط الاملاك فتضرر هيرفورد من هذا الفعل الغير المنصف

وصار من بعد موت أبيه دوق لنكستر فنزل فى (رافنسپور) من أعمال يورك مع ستين شخصا على زعم أنه جاء لطلب حقوقه فقط وفى حالة سيره نحو الجهة الجنوبية كانت ترد اليه قوى جديدة كل يوم حتى وصل لوندره ومعه ما ينوف عن ٦٠٬٠٠٠ نفس وكان ريشارد فى هذا الوقت غائبا فى ارلنده ولا علم له بما هو جار من الاعمال ولما وصلت اليه الاخبار أسرع فى العود بقوة من عسكره ثم تركوه فى الطريق ولما وجد نفسه منفردا توجه مستخفيا الى (قلعة كونوى) وسلم نفسه فى هذه القلعة الى ارل عبريا الشمالية فأوصله مع غاية الاحتقار الى لوندره فالتأم البرلمان فى الحال وأصدر لائحة بخلعه بسبب ما وقع منه من الظلم وسوء الحكم وفى هذا الوقت قام دوق لنكستر وقال أنا هنرى لنكستر أطلب مملكة انكلتره بصفة أنى من ذرية السلسلة المتسلسلة من الملك هنرى الثالث فقبل البرلمان فى الحال طلبه واستقبله المجلسان باسم هنرى الرابع ملك انكلتره فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٣٩٩ بعد الميلاد ومن ثم انخرم قانون الوراثة الملوكية لان حق وراثة التاج من بعد ريشارد كانت لذرية ليونل دوق كلرنس الابن الثالث لهنرى الثالث فتولد من هذا الفسخ حروب طويلة أطلق عليها اسم حروب الورد ووضع الملك المخلوع فى قلعة (پونطيفرا كط) حتى مات فى سنة ١٤٠٠ بعد الميلاد وتولد من صفة ريشارد وطبيعته عدم موافقته للاحكام وكان يشابه ادوارد الثانى فى سيره وأخلاقه وسوء عاقبته وتزوج مرتين الاولى بعانى صاحبة بوهيمية والثانية بازابلا ابنة شارلس السادس صاحب فرانسا وما أعقب ذرية

وفى هذه السلطنة صدرت لائحة قانون مهمة فى ذاتها مضعفة نوع الشوكة البابا فى انكلتره وصدرت هذه اللائحة فى سنة ١٣٩٣ بعد الميلاد وأطلق عليها اسم القانون (البرامونيرانى) وكان قاضيا بنفى وتجريد كل أحد أدخل سلطة أجنبية فى الارض أو أطاع أى أمر يصدر من البابا فى الحقوق المتعلقة بالملك

(بيت انكستر) سلطنة هنرى الرابع

وكان مولد هنرى الرابع ابن يوحنا غنط دوق لنكستر فى سنة ١٣٦٦ بعد الميلاد فيكون عمره اذا ثلاثا وثلاثين سنة وكان حق التاج بالنسبة للسلالة مستحقا (لعدموند مورطيمر) ارل مارش من نسل (ليونل دوق كلرنس) الابن الثالث لادوارد الثالث وكان يوحنا غنط هو الابن الرابع ومن اللازم تذكار هذه الحادثة لانه سيؤل منها فيما بعد حروب داخلية اسمها حروب الورد ولما صار لارل مارش سبع سنوات من عمره صرف النظر عن طلباته وحافظ عليه هنرى حفظا مكرما فى قلعة (وندسور) ومع أن هنرى نجح فى صعوده على التخت الا أن موقعه كان غير آمن فى الابتداء فان الكثير من الاشراف ما كان لهم رغبة فى تغيير هيئة الحكومة وما قبل الكثير من الملوك الاجنبية الاعتراف بلقب أخذ غصبا ثم أفشيت دسائس النافرين من الاشراف الى الملك وقطعت رقاب أرباب هذه الفتن ومن حيث ان روبرت صاحب اسكوطلنده رفض مثل الملوك الاقرار على حقوق هنرى للتخت زحف عليه هنرى فى رأس جيش الى الليث ففرغت منه المؤنة والتزم على القهقرة فتولد من هذه الحملة احياء العداوة القديمة عند لوردات الحدود وفى سنة ١٤٠٢ بعد الميلاد ساق الارل دغلاس قوة قدرها ١٠٬٠٠٠ من الاسكوطلنديين وعبر حدود انكلتره مغيرا عليها فالتقاه هنرى برسى ابن ارل عبريا الشمالية فى جبل (حوميلدون) فقتل ٨٠٠ من عساكره وأسر (دغلاس) وعدة من أشراف الاسكوطلنديين فأمر ملك الانكليز بان البرسيين لا يأخذون فداء من أسراهم فتولد من هذا الامر

النفور الشديد عند هذه العائلة بما أنه مخالف لحقوقهم حسب قوانين الحروب فى ذلك العصر
ثم انه تولد من اغتصاب هنرى الحكومة تقوية الويلس فى القيام والخروج عن الطاعة وذلك أن (عون
غلندور) حفيد (للويلين) آخر أمراء الويلس كان فى خدمة ريشارد الثانى ولما خلع سيده انسحب
الى الويلس ووقع بينه و بين لورد (غرى روثين) مشاحنة وكان روثين ضبط أملاكه فأرسل هنرى السير
(عدموند مورطيمر) عم ارل مارش من أجل مساعدة لورد غرى فاتحد أهل الويلس مع (غلندور)
وأسروا (مورطيمر - وغرى) وخلعوا طاعة الحكومة الانكليزية مرة ثانية فى سنة ١٤٠٢ بعد
الميلاد ثم وردت التقوية لقائد الويلس من عائلة البرسيين من أجل مقاومة هنرى بسبب ما حل
بهم من الغضب المتعلق بشأن فداء الاسكوطلنديين وزاد غضبهم أيضا من عدم قبول هنرى خلاص
قريبهم مورطيمر وعقد ارل عمبريا الشمالية اتحادا مع قائد الويلس دخل فيه ابن الارل وأخو ارل
ورسيستر ودغلاس الاسكوطلندى فى ٢٣ يوليه سنة ١٤٠٣ بعد الميلاد وقصدوا الانضمام مع
(غلندور) وساروا على الملك عدوهم المشترك فأصاب برسى الكبير مرض على حين غفلة منعه من
التوجه مع الجيش وسار حوطسبور مع ١٢٫٠٠٠ مقاتل فهجم عليه الملك فى نواحى (شروسبورغ)
من قبل أن تعبر عساكر (غلندور) نهر سفرن فكانت واقعة سافكة وحارب كل من الحزبين مع شدة
البسالة وكان موت حوطسبور فى معمعة الواقعة فاصلا لطالع سعادة اليوم وكان فيه النصر للحزب
الملوكى وكانت الخسارات جسيمة فى كل من الطرفين ومات فى ميدان الواقعة ثلث عساكر العصاة
ووقع (ورسيستر - ودغلاس) فى الاسر فقتل ورسيستر فى شروسبورغ وأما دغلاس فان الملك عامله
بالاحترام وفى هذه الواقعة أظهر هنرى الصغير ولى العهد شجاعته وظهرت عليه النجابة والفروسية
حتى اشتهر بها فيما بعد وطلب ارل عمبريا الشمالية للمحاكمة من أجل اشتراكه فى هذا الاتحاد ثم وقع
العفو عنه من بعد المحاكمة واستمر أهل الويلس فى مدافعتهم ولو أرسل عليهم جيوش عديدة الى حد
السلطنة القابلة وما حصلت نتيجة من صدور العفو عن ارل عمبريا الشمالية فى ارتباط علاقته بالملك
فانه من بعد مضى سنتين دخل فى اتحاد آخر مع ارل نوطنغهام واسكروب رئيس أساقفة يورقه فلما
خاب فى مشروعه هرب فى اسكوطلنده وأخذ القائدان الاخيران وقطعت رأسهما فى سنة ١٤٠٥
بعد الميلاد وفى هذه السنة حاز هنرى مزية على الاسكوطلنديين بكونه ضبط البرنس جمس بن روبرت
الثالث وهو فى طريق سفره الى فرانسا
ومن بعد أن أقام ارل عمبريا الشمالية زمنا فى صفة منفى فى اسكوطلنده أغار على الكونتات الشمالية
من أجل عود أملاكه فانهزم وقتل فى سنة ١٤٠٨
وتولد من خلع ريشارد الغضب الشديد عند حميه ملك فرانسا ورأى أن هدنته مع انكلترا انقضى
أجلها وطلب صداق ايزابلا أرملة ريشارد فغالط هنرى فى ذلك وجعله من أصل فداء الملك يوحنا
الذى أسر فى واقعة يواطى ثم انه وان لم يقع اعلان حرب رسمى بين المملكتين لكن وقعت الحروب بين
الاساطيل فى البحر وخربوا السواحل فى كل من الجهتين وتولد من عدم سعادة حكومة فرانسا فوائد
جليلة لهنرى فان شارلس السادس كان سيئ الادارة مزق المملكة باعماله الى حزبين عدوين وهما
بيت أورليان وبيت بوربون وبمساعدة هنرى كل واحد من هذين الحزبين فى نوبته بعهود عظيمة استحوذ
على كل من اكيطانيه ويواطى وانغوليم وكان سلوك الشاب هنرى ولى العهد منبع الحزن على أبيه

وهو وان ظهرت عليه النجابة وجودة الاخلاق الا أنه ضل بالمفسدين أرباب الخبائث الذين اصطحبوا به ولما جلب واحد من هؤلاء المفسدين الى المحاكمة في المحكمة من أجل سلوكه في مواد الشوران جاء البرنس الشاب الى المحكمة بقصد تخويف القاضي (السير غليوم غسكوني) وانتهت المحاكمة بحبس المجرم ولما صدر حكم الحبس سحب البرنس سيفه مع شدة الغضب على القاضي فأرسل القاضي البرنس المجرم الى الحبس بسبب انتهاكه حرمة القوانين فقبل البرنس حكم القاضي مع الاحترام وعامل القاضي بعد ذلك باحسن المعاملات من أجل جسارته على عدم خرق القوانين وما عاش هنري من بعد هذه الواقعة فانه أصيب بداء النقطة ومات في وستمنستر في ٢٠ مارث سنة ١٤١٣

وفي أواخر هذه السلطنة ومبادي السلطنة التالية لها ازداد عدد أتباع ويكليف وتلامذته زيادة كبيرة حتى تولد من كثرتهم فزع الكنيسة وارتباك الحكومة وصاروا منبعا للقلاقل في المملكة وما كانوا معروفين باسم (الويكليفيين) بل باسم (اللولارديين) وهو اسم جرماني الاصل معناه الغناء الرقيق أو الترتيل العذب ويقال انه كان يوجد جمعية من اللولارديين في مدينة انطورب في سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد لها عوائد وصفات خاصة بها كان هذا الاسم لقبا عليها بسبب أن أشغال تلك الجمعية كانت مخصوصة بالغناء والترنيم في الجنازات ومحال الدفن فاستعمل هذا الاسم على طريق الهجو والذم ولقب به الناس أتباع ويكليف ثم ظهر هذا الاسم في اسكوطلنده فكان لولاردي مدينة (كيل) عرضة للظلم في القرن السادس عشر وكان اللولارديون عرضوا عريضة لمجلس البرلمان في مدة سلطنة ريشارد في سنة ١٣٩٤ يهجون فيها الكنيسة بلسان حاد وذكروا فيها أن الكنيسة مأكلة لأكول دنيوي وخرج القسس عن طريق المسيح وطرق رسله وان مذهب الرهبانية أصل للفساد والاعتقاد في الحلول هو عين الكفر وأقاموا الحجة القطعية على بطلان التعويذات والرقى وما عليه القسس من النعيم ورفاهية العيش في الحياة الدنيوية وتوظيف القسس في المصالح الدنيوية والصلاة على الاموات والزيارات والاعتراف الاذني ونذور الطهارة فكان كل هذا سببا في وقوع ارتباكات سياسية وقعت في نحو غلاق سلطنة ريشارد ثم أطفئت هذه المناقضات الدينية ولما جلس هنري الرابع تغيرت الاحوال وذلك أن هنري كان ارثودوكسي تحت طاعة القسس فمن ثم عقدوا مجالس في سنة ١٣٩٩ وفي سنة ١٤٠١ بعد الميلاد شددوا فيها باعانة الملك لهم في أخذ الاحتياطات اللازمة وصدور القوانين الشديدة التي يتيسر بها قمع طائفة اللولارديين ثم اعترف القسس في السنة الاخيرة من سلطنة هنري بعدم طاقتهم على فعل شيء مع هذه الطائفة من دون تداخل الشوكة الملوكية وحرروا عريضة رسمية يطلبون فيها اعانة الملك في اخماد البدع فسلم مجلس العوام أو المبعوثان ومجلس الاعيان لهم في ذلك فكانت رخصة مجرمة خصوصية في سلطنة هنري الرابع وذكر في لائحة نظام السنة مادة مخصوصة في شأن البدع والمبتدعين على حسب رغبة أساقفة المجلس فقوت تلك المادة الاساقفة على ضبط كل انسان يخطب في جهة من دون رخصة وضبط كل مبتدع فيسجن ثلاثة شهور ثم يحاكم في هذه المدة على ما وقع منه فان وجد مجرما فاما أن يغرم أو يسجن وان رفض قبول التوبة والارتداد سلم الى الحكام وأحرق فكان ذلك سببا في دخول جزاء الموت بالحرق من أجل المواد الديانية في قانون انكلتره وتقوى هذا القانون في هذا الوقت بحرق (غليوم سوطر) أحد قسس مدينة لوندره وكان ارتد عن دين اللولارديين ثم دخل فيه ثانيا فكان أول شهيد لولاردي ثم ارتقى الدين اللولاردي في انكلتره الى أعلى الدرجات بدخول

(يوحنا أولد كاستل) فيه ولما جلس هنرى الخامس بعد موت أبيه هنرى الرابع خلص (ارنديل) من سجنه وصار وزيرا أول عند الملك ورئيس أساقفة كانتربورى وهى وظيفته الاولى وما كان فى أفكار هذا الوزير الاغرض واحد يجرى به وهو قطع دابر الدين اللولاردى وكان وجود هذا الدين وعلو درجته أصعب شئ عليه فكان أول ضحايا (ارنديل) هو (يوحنا أولد كاستل) وكان فارسا فى أرض هيرفورد له عقارات واسعة وكانت كثرة أمواله من زوجته وارثة (بارونيه كوبهام) من أعمال كنط فمن بعد تزوجه طلب فى مجلس اللوردات بصفة أنه لورد كوبهام وكان من المعلوم أن لورد كوبهام صديق اللولارديين وكان ارنديل فى سنة ١٤١٠ أوقف قسيس كوبهام عن وظيفته بسبب عدم استقامته فى الخدمات الديانية وقالوا للملك ان أولد كاستل مبتدع فاجتهد الملك فى عوده الى مذهب الارثودكسية فكان سعيه على غير طائل فقبض عليه فى هذا الوقت رئيس الاساقفة بنفسه فهرب الى قلعته (كولنغ) ولم يقبل طاعته لارنديل فطلبه ثانيا وثالثا فرفض طلبه فجاب الى المحاكمة من قلعته عنوة وقرر (أولد كاستل) اعتقاده وما هو عليه من الدين فما كان مبتدعا بل كان مراوغا فضايقه ارنديل وشدد عليه فى اعطاء آخر أقواله فى الحلول والاعتراف الاذنى فما اعترف بهما فامهله المجلس يومين من أجل توقيعه واقراره على بعض مسائل وآراء فرفض قبول التوقيع عليها فصدر الحكم عليه بأنه مرتد عن دينه وسجن فى البرج ورخص له مدة أربعين يوما ليرجع فيها عما هو عليه من البدع فمن قبل مضى الاربعين يوما هرب من السجن وحل الارتباك الاكبر وهاج الناس وانتشرت اشاعات رديئة وترتبت ثورة جسيمة قيل انها كانت مؤلفة من ١٠٠,٠٠٠ من اللولارديين وسارت هذه الثورة على لوندره فغلقت أبواب المدينة أمامهم وقتلوا ثلاثة وسبعين نفسا منهم اشتبهوا فيهم ثم تشتت أمر هذه الثورة ونودى على أولد كاستل أنه خارج عن الدين وجعلت مكافأة كبيرة على قطع رأسه فحصل منه بعض حركات فى سنة ١٤١٥ ثم تولد فى قلبه الخوف وأخيرا قبض عليه وحوكم وصدر الحكم بحرقه بصفة أنه رجل خائن خارج عن طريق الدين وحرق فى ميدان سنت غيلس فى شهر ديسمبر سنة ١٤١٧ بعد الميلاد فكانت هذه ضربة قوية ما شفى منها اللولارديون قط واشتهر أولد كاستل بشيئين بأنه كان أول منشئ وأول شهيد بين الامة الانكليزية .

سلطنة هنرى الخامس

وبعد جلوس هنرى الخامس الابن الكبير لهنرى الرابع على التخت بقليل حصل الشروع فى الحرب مع فرانسا وأجرى بنشاط لقصد معلوم وذلك أن هنرى انتهز فى سنة ١٤١٥ بعد الميلاد فرصة اضمحلال فرانسا بسبب عجز شارلس السادس والعداوة الواقعة بين حزب الاورليانيين والبورغنديين وجدد طلب ملوك الانكليز للتاج الفرنساوى وأيضا طلب أن يتزوج بالبرنسيسه كترينه ابنة شارلس فلما رفضت طلباته أقام الحرب كما ذكرنا أما تفاصيل الحرب فهى موضحة فى تاريخ فرانسا فى هذا الوقت ثم ان هنرى تغلب على (هرفلور) فى سبتمبر وهزم جيش فرنساوى كثير العدد فى (اغنكورط) فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٤١٥ وفى يوليه سنة ١٤١٧ بعد الميلاد أغار على فرانسا مرة أخرى وتغلب على قسم عظيم فى نورمندى عندما كانت الفرنساوية انقسمت فى منازعاتهم وفى يناير سنة ١٤١٩ تغلب على (روان) وشيد ديوانه هناك وفى مايو سنة ١٤٢٠ عقدت معاهدة فى (طرويه) بمعرفة ازابلا ملكة فرانسا ودوق بورغندى اللذين قبضا على نفوذ الملك المعتوه مع هنرى وبها أخذ ملك فرانسا حيث كان من مقتضاها ان هنرى يكون هو النائب فى الحالة الراهنة ويخلف شارلس السادس على التخت

بعد موته ومن بعد مضى بضع أيام تزوج هنرى بكاترينه ورفض ولى عهد فرانسا الابن الكبير لشارلس السادس هذه المعاهدة المهينة وعلى ذلك صار أساللحزب الفرنساوى على ملك الانكليز فكان هنرى سيدا على نحو كامل فرانسا من جهة شمال نهر لواره وكانت قوة ولى العهد فى الجهة الجنوبية من هذا النهر وماعاش هنرى زمنا طويلا ليتمتع بهذا الفوز العظيم بل مات فى ٣١ أغسطس سنة ١٤٢٢ بعد الميلاد فى (فنسين) بالقرب من باريس وأرسلت جثته الى انكلتره ودفن فى كنيسة وستمنستر ومن بعد موته بقليل تزوجت أرملته عمدة من عمد الويلس اسمه (عون طودور) وخلفت منه ولدين كان أكبرهما عدموند ارل ريشموند أبو هنرى السابع وفى مدة هذه السلطنة وضعت أساسات العمارة البحرية وما كان للانكليز لحد هذا الوقت عمارة بحرية وتوزع تشغيل السفن على الخمس مينات والمدائن الاخرى البحرية وأخذ أيضا مراكب من الرعية وأنشأ هنرى لنفسه سفنا واستمرت هذه العادة جارية من بعده عند كل من يتسلطن فى انكلتره حتى استحوذت انكلتره على أسطول لنفسها وجعلت زمام قيادته تحت يد الحكومة

سلطنة هنرى السادس

وكان مولد هنرى السادس الطفل الوحيد لهنرى الخامس فى (وندسور) وكان سنه وقت موت أبيه تسعة أشهر فقط فعين البرلمان مجلس نيابة مؤلف من عشرين عضوا لمباشرة أعمال المملكة وعهدت نيابة فرانسا الى دوق بدفورد ومن بعد مضى بضع أسابيع من موت هنرى الخامس مات أيضا شارلس السادس صاحب فرانسا فأعلن بان هنرى الصغير هو ملك فرانسا تطبيقا لنص شروط معاهدة طربوه وقد ذكرنا فى تاريخ فرانسا حوادث طرد الانكليز عن فرانسا وعود المملكة الى شارلس السابع وفى أواخر سنة ١٤٥٣ بعد الميلاد ما بقى للانكليز ملك فى فرانسا الا مدينة كاليس ومن ثم انتهى حرب المائة سنة من بعد أن تكلف كثيرا من الانفس والاموال على كل من المملكتين وفى مدة صغر الملك كان موجودا فى انكلتره منازعة مستمرة من أجل النيابة بين كل من (همفرى) عم الملك دوق غلوسيستر والكردينال (بوفورط) ففى سنة ١٤٤٥ بعد الميلاد تزوج الملك مرغريطه ابنة رينى صاحب انجو وصار التنازل عن اقليمى (انجو ـ ومين) الى أب مرغريطه نظرا لهذا الزواج فكانت هذه العطية على غير رضا الامة الانكليزية وكان هنرى كلما دخل فى درجة الرجولية يظهر عليه ضعف عقله وعدم موافقته للحكومة فمن أجل هذا صارت زوجته ومستشارها المحبوب (غيليوم دولا پول) دوق سوفلك حاكما المملكة فى الحقيقة وصار دوق سوفلك الذى كان أصلا لزواج الملك بمرغريطة المستشار الاكبر عند الملك الا انه كان مكروها عند الامة بسبب اشتراكه فى ضياع الاملاك الفرنساوية الانكليزية ووقعت عليه الشبهة بانه كانت له اليد الكبرى فى قتل غلوسيستر الذى كان فى سنة ١٤٤٧ فأوقفه البرلمان عن وظيفته فى سنة ١٤٥٠ بعد الميلاد من أجل خيانته الكبيرة الا أنه لاجل خلاصه من القتل أمر الملك بنفيه لمدة خمس سنوات ومع هذا فكان أعداؤه شديدى البأس فعولوا على عدم نجاته وأحيطت المركب التى كان فيها متوجها الى كاليس بالقرب من قلعة الدوفر بحرية أرسلت لهذا الصدد وأخذوه فى مركبهم وقوبل فى قلعة الدوفر مقابلة الخائن ومن بعد محاكمة فى صورة مسخرة وضعوه فى قارب وقطعوا رأسه ورموا جسمه فى البحر وما انتطح فى ذلك قرنان وكان مثل هذه الجريمة دلالة على عدم النظام فى المملكة وسوء مشروع الرجال ثم وقعت اشاعة فى كنط بان الملك أخذ فى الاستعداد لمعاقبة أهل هذا الاقليم بسبب أنهم أعدوا المركب التى توجهت خلف دوق سوفلك وقبض بحريتها عليه فانفجرت ثورة فى الحال تحت قيادة (جاك كاد) رجل ارلندى تلقب بلقب

يوحنا

يوحنا مورطيمر وعوّل حسب ماسوّلت له نفسه بأنه ابن يوحنا مورطيمر الذى صدر عليه حكم البرلمان بقتله وقطعت رقبته فى مبادى هذه السلطنة من دون محاكمة أو اقامة دليل بل بمجرد تهمة فى خيانة كبيرة وكان يوحنا محبوبا جدا عند أهل كنط وصار (كاد) المذكور على اسمه فى قوة كبيرة بلغت عشرين ألف نفس وتوجه بهم الى لوندره وعسكر فى المرج الاسود ومن بعد أن هزم القوى الملوكية عند (السبع بلوطات) دخل لوندره مظفرا وضبط فى الابتداء أتباعه وسيرهم على طريق تظام عظيم الاانه فى اليوم الثالث تولد من نهبهم بعض منازل الاغنياء قيام أهل لوندره وطردوا العصاة من المدينة وساقوا وراءهم بالقتل والذبح ووقع الوعد لاهل كنط بالعفو العام فانسحبوا الى روشيستر ومنها تفرقوا الى بلادهم فى سنة ١٤٥٠ بعد الميلاد ثم نكث العفو وقبض على كادوهوناج بنفسه وقتل فى بستان بالقرب (من ليويس) من أعمال الصكصونيه الجنوبية وقطعت رأسه وعلقت على قنطرة لوندره

ومن بعد اخماد ثورة كاد تقلد دوق (سمرسيط) حفيد يوحنا غنط زمام رياسة الحكومة وكان فى السابق حاكم نورمندى الاأن ضياع هذا الاقليم صيره مكروها عند الامة الانكليزية وبما أن هنرى ماخلف ولدا ووارثا وكانت حكومته غير مرضية عند القسم الاعظم من الامة اتجه التفات الامة الى نحو ريشارد دوق يورقه بن عانى وارثة بيت ليونل دوق كلرنس وكان فى هذا الوقت ريشارد عاملا فى ارلنده فلما بلغه ارتقاء (سمرسيط) سار الى لوندره فى رأس قوة مؤلفة من ١٠,٠٠٠ نفس وطلب خلع الوزير من سودده وشوكته لخلاف اجتهاده ومن بعد سجن دوق يورقه بمدة قليلة ترخص له بالاعتزال فى قلعته فى (ويغمور) على حدود الويلس فى سنة ١٤٥٢ بعد الميلاد وفى السنة التالية وضعت الملكة ولدا ذكرا سموه باسم ادوارد وبعد ذلك بقليل أصيب الملك بداء الجنون وكان حزب يورقه قويا جدا فى ضبط الحكومة وبعث سمرسيط الى سجن البرج وتعين ريشارد دوق يورقه محافظ المملكة بامر من البرلمان فى سنة ١٤٥٤ بعد الميلاد ولما شفى هنرى من جنونه فى السنة التالية وقع تغيير أيضا فى الحكومة وعزل دوق يورقه من محافظته وخلص سمرسيط من سجن البرج وأعاده لمركزه الاول فجمع دوق يورقه جيشا وعزم على خلع سمرسيط الاانه ماأظهر طلبه للتخت وفى هذا الوقت ابتدأ الحرب المعروف بحرب الورد واستمر هذا الحرب قائما ثلاثين سنة ووقع فيها اثنتاعشرة واقعة سافكة وقتل فيها ثمانون برنسا من الدم الملوكى وانقطع دابر الاشراف القديمة تقريبا وكانت علامة الحزب اليورقى وردة بيضاء وعلامة حزب بيت لنكستر وردة حمراء ومن هنا اشتق اسم الحرب وكانت أول واقعة وقعت فى (سنت البانس) فى ٢٣ مايو سنة ١٤٥٥ بعد الميلاد قتل فيها سمرسيط وأخذ الملك أسيرا وتولد من موت سمرسيط زوال الشقاق ولما أصيب هنرى بالمرض ثانيا تعين دوق يورقه نائب المملكة ومحافظها

وفى سنة ١٤٥٦ عادت للملك صحته واستلم زمام حكومته واستمر الحزبان المتباغضان سنتين ظاهرا عليهما المحبة والوداد لبعضهما وكان أكبر معاضدى (ريشارد) دوق يورقه ارل سلسبورى وابنه ارل واروبك ثم وقعت منازعة بين أحد حواشى الملك وأحد أتباع (ارل واروبك) تولد منها حرب مهول بين الحزبين وظن ارل واروبك أن حياته على خطر فهرب الى كاليس وصار الحاكم عليها ثم ان اليورقيين والنكستريين قاموا بالسلاح على بعضهم وابتدؤا فى الحرب الداخلى مع الشدة فانهزم النكستريون فى واقعة فى (مرج بلور) من أعمال (سطافورد) وخسروا قائدهم (لورد عودلى) فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٤٥٩

ومن بعدشهر حاز النكستريون نصرة عظيمة فى (لودلو) بواسطة خلل وقع فى معسكر مارشال اليورقيين فمن ثم توجه ريشارد الى ارلنده وفى السنة التالية قام اليورقيون أيضا بالسلاح تحت قيادة ارل واروبك وهزموا القوى الملوكية فى عمبطون الشمالية فى ١٠ يوليو سنة ١٤٦٠ بعد الميلاد وأخذوا الملك أسيرا وهربت الملكة وابنها فى اسكوطلنده فطلب ريشارد فى هذه الحالة جهرة التاج بسبب حق تناسله فأقر البرلمان طلبه ووقع الاتفاق على انه يستخلف على التخت من بعد موت هنرى فغضبت مرغريطه وقامت فيها الشهامة عندما بلغها أن ابنها صار اخراجه من وراثة التخت فجمعت جيشا وسارت به نحو الجهة الجنوبية وهزمت اليورقيين فى ٣١ ديسمبر سنة ١٤٦٠ بعد الميلاد فى (ميدان واق) وقتل ريشارد دوق يورقه فى هذه الواقعة وقطعت رأسه وزينت بتاج من الورق ونصبت على أسوار يورقه وقتل لورد كليفورد ابنه الثانى دوق (راطلند) شاب عمره سبع عشرة سنة فى ثأر موت أبيه وكان أبوه قتل فى واقعة سنت البانس وأخذ أيضا ارل سلسبورى أبو ريشارد المقتول أسيرا وقطعت رأسه فى (پونطفراكط) وتولد من هذه الهزيمة صيرورة اليورقيين مثل المجانين وحضر أمر الدوق المقتول ابنه الكبير (ادوارد ارل مارش) وهزم النكستريين فى ٢ فبراير سنة ١٤٦١ بعد الميلاد فى واقعة وقعت فى مفرق مورطيمر فى أرض هرفورد وفى هذه الواقعة أخذ عون طودور الذى تزوج أرملة هنرى الخامس أسيرا وقطعت رأسه فى نظير ما ارتكبت من الاثم فى واقعة ميدان واق وفى ١٧ فبراير سنة ١٤٦١ بعد الميلاد انتصرت مرغريطه على اليورقيين فى واقعة سنت البانس الثانيه وخلصت الملك منهم وكان الشاب دوق يورقه سار من الجهة الغربية فى قوة كبيرة فالتزمت على القهقرة نحو الجهة الشمالية وقابل أهل لوندره الدوق مع التهليل والفرح وقدم طلباته للتخت فى حضور الاعيان والاساقفة والتبعة فى ٣ مارس سنة ١٤٦١ فأعلنوا بملوكيته بلقب ادوارد الرابع ومن ثم انقرضت عائلة بيت لنكستر من بعد سلطنة لبثت اثنتين وستين سنة وعاش هنرى السادس بعد ذلك عشر سنوات وكان عاجزا جسما وعقلا عن ضبط زمام الحكومة الا انه كان حليما أهل عفو واليه ينسب انشاء مدرسة عطون ومدرسة الملك وكامبريدج وخلف من زوجته مرغريطه ولدا واحدا اسمه ادوارد تزوج بعانى ابنة ارل واروبك

وفى مدة سلطنة ملوك البيت النكسترى زادت شوكة البرلمان واستمرت الشوكة العظمى تحت أيدى الاعيان الأن حق طلب النقود وغيرها كان مخصوصا بمجلس المبعوثان فمن ثم كان لهم شوكة قوية أيضا وفى هذه السلطنة تقدمت العلوم والصنائع وابتدأت صناعة الزجاج فى انكلترة فى سنة ١٤٥٦ بعد الميلاد

(بيت يورقه)
سلطنة ادوارد الرابع

وكان عمر ادوارد الرابع عشرين سنة فى وقت مانادى عليه حزبه بالملوكية ومازال باقيا عليه أشغال كثيرة يجريها من قبل تمام استحواذه على التاج لان الجهات الشمالية كانت باقية على عهد هنرى ووعده وأرسل (ارل واروبك) فى رأس جيش مؤلف من ٤٩,٠٠٠ نفس على مرغريطه وكان عندها قوة مؤلفة من ٦٠,٠٠٠ نفس فى أرض يورقه وتقابل الجيشان فى طوطون ووقع فى هذا المحل واقعة شديدة كانت نتيجتها الهزيمة الكاملة على النكستريين فى ٢٩ مارث سنة ١٤٦١ بعد الميلاد وقتل فيها ٣٨,٠٠٠ نفس وهربت مرغريطه وهنرى الى اسكوطلنده وعاد ادوارد الى لوندره وطلب عقد برلمان من أجل فصل مادة الحكومة فقرر هذا المجلس حق ادوارد للتخت وأصدر لائحة بحكم العقاب على هنرى السادس والملكة مرغريطه والبرنس ادوارد ثم توجهت الملكة

مرغريطه

مرغريطه الى فرانسا من أجل مساعدتها وعادت بقوة من العساكر فى سنة ١٤٦٤ بعد الميلاد وانضم الى هذه القوة المتشتتون من النكستريين فانهزموا فى واقعتين احداهما وقعت فى (حدغلى مور) فى ٢٥ ابريل والاخرى فى (هكسهام) فى ١٥ مايو بواسطة اليورقيين وهربت مرغريطه وابنها فى داخل الاورمانات وبشفقة وقعت فى قلوب اللصوص من أجلها أوصلوها الى ساحل البحر ونزلت فى مركب ونجت بنفسها الى فلندره وما كان هنرى على سعادة من طالعه فانه قضى اثنى عشر شهرا مختفيا فى لنكشير ثم ظهر أمره وقبض عليه وأرسل الى حبس البرج

وكان الكثير من نجاح ادوارد منسوبا الى صاحب البأس (ارل واريك) الا أن الملك فعل فعلة فى سنة ١٤٦٤ بعد الميلاد غضب منها الارل غضبا شديدا وأدته الحالة الى خلعه وذلك ان ادوارد تزوج سرا الست اليزابث غرى أرملة واحد من الفرسان مات فى صف البيت النكسترى فى واقعة (سنت البانس) الثانية وسبب تزوجه بها أنه ورد بغتة على بيت أبيها (ريشارد ودفيل) عند مجيئه من الصيد فانبهر من رؤية جمالها فقدم لها اشتراكها معه فى التخت وعقد الزواج فى الوقت الذى كان الارل متوجها فيه الى فرانسا على حسب طلب ادوارد من أجل عقد زواج ادوارد على برنسيسة صافوا وما اشتهر هذا الزواج الامن بعد مضى عدة أشهر فازداد غضب ارل واريك على ادوارد ولما رأى انه حل محله فى الديوان عائلة الملكة وأصدقاؤها واغدق الملك عليهم بالانعامات الجليلة حملته شماخته على العصيان جهرة على الملك ووقعت الغيرة فى قلوب كثير من الاشراف بما حصل من وجود شوكة جديدة فى الديوان وعاضدوا (واريك) وانضم اليهم أيضا الاخ الثانى للملك (دوق كلرنس) وكان زوج ازابلا البنت الكبيرة لارل واريك وانفجرت ثورة فى أعمال يورقه ولنكولن فى سنة ١٤٦٩ بعد الميلاد وانهزمت العساكر الملوكية فى (ادغيكوط) وأسر فيها أبو الملكة وأخوها وقطعت رأسهما وفى السنة التالية أعلن بأن (واريك - وكلرنس) من الخائنين فهربا الى فرانسا والتقيا مع مرغريطة انجوفى ديوان لويز الحادى عشر فتعاهدا معها وطدا هذا العهد بزواج البرنس ادوارد بعانى ابنة واريك الثانية ومن بعد أن قضى واريك خمسة أشهر فى فرانسا ساعده لويز ونزل مع قوة قليلة من العسكر فى (دارطموث) وبسبب ما كان عليه من القبول عند الامة الانكليزية وصل عدد جيشه فى بضع أيام الى ٦٠٠٠٠ نفس فأخذ ادوارد مركبا من لين من أعمال نورفلك وأقلع الى فلندره ومن ثم صار ارل واريك فى ظرف أحد عشر يوما من بعد نزوله سيد المملكة وفى ٥ اكتوبر سنة ١٤٧٠ بعد الميلاد أخرج الارل من سجن البرج هنرى السادس وأجلسه على التخت وأطلق على الارل اسم صانع الملوك وفى أول السنة التالية انعقد البرلمان وعهدت نيابة المملكة لارل واريك وكلرنس حتى يبلغ البرنس ادوارد أشده واذا مات هذا البرنس من دون عقب يكون كلرنس الخليفة من بعده على التخت ثم ان هنرى من بعد جلوسه على التخت ما تمتع به طويلا بل فى أقل من ستة أشهر نزل ادوارد الرابع فى (رافنسبورغ) من أعمال يورقه بقوة مؤلفة من نحو ٢٠٠٠ نفس كان ساعده بها عديله دوق بورغندى واجتمع حوله أحباب الوردة البيضاء وزحف الى الجهة الجنوبية ودخل لوندره من دون أن يلقى كيدا وأرسل هنرى السابع ثانيا الى البرج وأخذ (واريك) لنفسه موقعا فى (بارنيط) من أعمال صكصونية الوسطى وانتظر فيه هجوم ادوارد عليه وقبل الواقعة بليلة ترك كلرنس حماه وانسل مع قوة مقدارها ١٢٠٠٠ نفس وتوجه لمعسكر أخيه وفى ١١ ابريل سنة ١٤٧١ بعد الميلاد وقعت واقعة بارنيط فكانت ضربة

شديدة على قلوب الانكستريين قتل فيها وارويك فى معمعة القتال ومانجامن أشراف حزب وارويك الامن كان طويل العمر وفى يوم هذه الهزيمة نزلت مرغريطه فى رأس قوة قليلة من العساكر الفرنساوية فى نواحى مصب نهر الوى فلما بلغها أخبار هزيمة بارنيط أسرعت فى السير الى حدود الويلس وجمع ارل بامبروك فى حدود الويلس جيشا لمساعدتها ومع هذا فانها انهزمت فى يوم ٤ مايو سنة ١٤٧١ بعد الميلاد فى واقعة حصلت بينها وبين ادوارد فى (طوكسبورغ) وأخذ ادوارد مرغريطه وابنها فى الاسر وأرسلا الى خيمة ادوارد واجتمع فى هذه الخيمة رؤساء الحزب اليورقى فسأل الملك مع قلة الادب البرنس الشاب عن الكيفية التى بها تجاسر وأغار على ممالكه فأجابه الشاب مع العظمة بانه جاء فى طلب ما يرثه فى الوقت الحالى واستحوذ هو عليه فمن أجل هذا ضربه ادوارد مع جبانته فى وجهه بشراب يده الحديد وقضى على موته دوق غلوسيستر وكلارنس بخناجرهم وعاد الملك متوجا بالنصر الى لوندره وأمر بحبس مرغريطه فى البرج فلبثت فيه أربع سنوات حتى فداها ملك فرانسا لويز الحادى عشر ومن بعد واقعة (طوكسبورغ) ببضع أيام مات هنرى السادس فى البرج ولم تعلم أسباب موته الآن المشهور عند عموم الناس ان دوق غلوسيستر أخا الملك قتله بيده ولما وطد ادوارد شوكته فى مملكته رغب فى عود الاملاك الانكليزية فى فرانسا وعقد معاهدة مع دوق بورغندى من أجل الاغارة على فرانسا من جهة بورغندى ومنح له البرلمان باغلبية الاصوات مطالبه من النقود والذخائر غير انه لما كان هذا المنح غير كاف لمشروعه اخترع طريقة جديدة فى جمع النقود وطلب أغنياء رعاياه عنده وطلب منهم هدايا من النقود أطلق عليها اسم الهدايا الحرة ولما استعد ادوارد فى كافة أشغاله توجه الى فرانسا فوجد دوق بورغندى امالا طاقة له على مساعدته أولم يرغب فى ذلك فمن ثم رحب برسول ملك فرانسا وأكرمه وقتما وصل اليه فى عقد شروط صلح وفى ٢٩ أغسطس سنة ١٤٧٥ بعد الميلاد تقابل الملكان مقابلة رسمية فى (بيكيغنى) على نهر السوم ووقعا على معاهدة غير مرضية عندهما وكانت شروط هذه المعاهدة أولا ـ أن لويز يدفع لادوارد مبلغ ٧٥,٠٠٠ كراون معجلا وغرامة حربية قدرها ٥٠,٠٠٠ كراون ثانيا ـ زواج ولى عهد فرانسا باليزابث ابنة ادوارد ثالثا ـ دفع ٥٠,٠٠٠ كراون فداء مرغريطة انجو وكان البند الاخير أعظم قدرا فى المعاهدة لانه به حازت مرغريطه حريتها والافراج عنها من سجنها وبما أنها الآن صارت خالية من الولد الذى كانت المحاربة من أجله صرفت الخمس سنوات الباقية من حياتها فى عزلة وتولد من معاهدة بيكيغنى النفور وعدم الرضا على ادوارد فى انكلتره فصرف ادوارد هذا النفور بكونه قلل المصاريف الجارية من طرف الامة فى مصالح الحكومة وكانت السنو الاخيرة من سلطنته ملطخة بالاكدار بما وقع من قتل أخيه كلارنس فانه ما نسى خيانته التى وقعت منه فى مساعدة ارل وارويك (صانع الملوك) وكذا أبغضته الملكة بغضا شديدا ووقع بينه وبين أخيه دوق غلوسيستر مشاحنة فمن ثم ما كان لكلارنس طاقة على سلامة حياته من الاعداء شديدى البأس القائمين عليه فأرسله ادوارد الى حبس البرج وحكم عليه مجلس الاعيان بالموت وأشيعت الاخبار فى ذلك الوقت بانه صار اغراقه فى خابية ملآنة بالخمر فى سنة ١٤٧٨ بعد الميلاد ثم ان لويز ملك فرانسا نكث شروط معاهدة (بيكيغنى) ورجع عن تزويج ولى العهد بابنة ادوارد وزوجه بعانى ابنة الامبراطور مكسميليان حفيدة دوق بورغندى فاستعد (ادوارد) فى الحال للحرب مع فرانسا غير انه مات وسط استعداده فى ٩ ابريل سنة ١٤٨٣ وكان شجاعا نشيطا

الا

الا انه كان جبارا معتكفا على اللهو واللذات والآثام فكانت سببا فى قصر عمره وتشويه ذاته وسلطنته من بعد أن كان جميل الصورة محبوبا عند الامة الانكليزية وكان أولاده من زوجته (ازابلا) ابنة ريشارد ودفيل (ادوارد) وصار ملكا من بعده — وريشارد دوق يورقه — واليزابث تزوجت هنرى السابع وأربع بنات أخر وفى هذه السلطنة دخلت آلات الطبع فى انكلتره وذلك أن (غيليوم كاكسطون) من تجار الانكليز كان قاطنا فى هولنده وتعلم فيها فن الطبع فكان أول من أنشأ مطبعة فى وستمنستر ودخل فن الطبع فى اسكوطلنده فى سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد وفى ارلنده سنة ١٥٥١ بعد الميلاد وكذا صار ترتيب البريد فى هذه السلطنة بين لوندره واسكوطلنده وترتبت محطات الخيول على مسافة عشرين ميلا من بعضها وكانت أيضا مدة اختراع الساعات بواسطة صانع جرمانى والعود بواسطة رجل ايطاليانى

ومن بعد موت ادوارد الرابع خلفه ابنه ادوارد الخامس البكرى وكان عمره اثنتى عشرة سنة وكان مقيما فى قلعة لودلو تحت محافظة خاله (ارل ريفرس) فسار ريفرس الى لوندره مع الشاب الكفيل عليه فقابله فى الطريق (ريشارد دوق غلوسيستر) وكان أخوه عينه نائب المملكة ثم ان ريشارد تساعد بأعداء أحزاب ودفيل واستحوذ على الملك الشاب وأرسل ريفرس وأحبابه بصفة محبوسين فى قلعة (يونطفراكط) ولما أخذت الملكة أم الملك أخبار هذه المحنة هربت الى وستمنستر مع بناتها وابنها الثانى دوق يورقه ودخل غلوسيستر لوندره وأدى احترام المسخرة للشاب ادوارد ثم أرسله الى حبس البرج وأتبعه بأخيه الاصغر وحصل للمجلس العمى من خداع الدوق وعينه محافظ المملكة فاستمر مدة ناجحا فى أمره وظهرت دلائل رغبته فى التخت فكان أول طريقة صمم على اجرائها خلاصه من الذين يمكنهم معارضة مشروعاته فأزال فى الحال المسجونين فى (يونطفراكط) من طريقه ثم شرع فى طلب رئيس المجلس فوعده دوق بكنغهام بمساعدته ثم ان ريشارد أزال من سكنه بطريق القتل لورد (هاسطنغ) الذى كان صديقا للبرنسات الصغار ثم أظهر ما كان مخبأ من أغراضه وأمر أحد الخطباء بأن يدخل فى عقول أهل لوندره حال خطابته فى كنيسة (سنت بول) أن ادوارد الرابع كان زواجه (باليزابث غرى) غير شرعى ومن ثم كانت أولاده منها أولاد زنا ومن بعد مضى يومين خطب بكنغهام بذلك للامة فسكت أهل المدينة وما تلفظ أحد منهم بلفظة ورشا (ريشارد) بعض الناس فصاحوا فى وسط الازدحام أطال الله حياة الملك ريشارد وفى اليوم الثانى اصطحب بكنغهام باللوردو الى لوندره وانتظروا خروج المحافظ وقدموا له التاج باسم الامة ومن بعد تردد غير قلبى قبل التاج فى ٢٦ يونيه سنة ١٤٨٣ بعد الميلاد وبهذا انقضت سلطنة ادوارد القصيرة من بعد أحد عشر أسبوعا وما وقع تتويجه

وتتوج ريشارد عم ادوارد الخامس مع زوجته غانى ابنة (ارل وارويك) فى كنيسة وستمنستر من بعد مضى خمسة عشر يوما من قبول التاج فكان أول أعماله تقوية مركزه ببذل الخيرات ورتب الشرف على الذين ساعدوه فى اغتصابه التخت من ابن أخيه فساح فى المملكة ولما وصل يورقه تتوج فيها مرة أخرى وفى مدة سياحته وقعت مقتلة شنيعة فى البرج ختمت على جبهة هذا الملك بأنه أخبث وأحقر بنى الانسان وذلك أنه لاجل أن يجعل تخته فى حالة كاملة من الامن أرسل من طرفه (جمس طيريل) مأمور اصطبلات خيوله من وارويك الى لوندره بجواب من عنده الى (براكنبورى) محافظ البرج يأمره فيه باعطاء مفاتيح القلعة ليلة واحدة الى يد المبعوث من طرفه فأطاع محافظ البرج الامر ودخل طيريل

سلطنة ادوارد الخامس

سلطنة ريشارد الثالث

فى ايـلة حالكة مع ثلاثة من الجلادين قاعـة نوم البرنـسين المظلومين فقتلوهما وكفنوهمـا فى ثياب نومهما ودفنوهما تحت ذيل السلم فى نقرة عميقة وردموها بالاحجار وفى سنة ١٦٧٤ بعد الميلاد وقع الكشف عن عظام الشابين فى أثناء اجراء ترميمات فى بيت السـلم فى البرج الابيض فأخذت العظام ودفنت فى كنيسة وستمنستر بأمر من شارلس الثانى بما أنها عظام ادوارد الخامس وأخيه دوق يورك ومن المعلوم أن تختا أخذ بالعنف وسفك الدماء لابد من سقوطه وذلك أنه تولد من جرائم ريشارد وقبيح أفعاله انضمام الكثير من اليورقيين الى أحزاب البيت النكسترى حتى ان صديقه بكنغهام تخلى عنه ودخـل فى دس الدسائس مع الآخرين على هلاكه وتعاهـد اليورقيون والنكستريون فى السر على خلع هذا الطاغية الغاصب وتداخلوا فى تأييد ارتباطهم ببعضهم بعقد زواج ومواصلات بين البيوت المتباغضة وكان الشخص الاجل المحبوب فى حزب لنكستر هو (هنرى ارل ريشموند) من نسل حنا غنط من جهة أمه ابنة (كاترينه سونبفورد) وكان من جهة أبيـه حفيد (عون طودور) وكاترينه أرملة هنرى الخامس وقرر الثائرون على كونه يتزوج باليزابث البنت الكبيرة لادوارد الرابع ومن ثم تنضم الاحزاب المتباغضة وصار توصـيل الدسيسة فى السر لرؤساء البيتين فقبلوا كل شئ وقع فيها مع الفرح التام وكان ارل ريشموند فى هذا الوقت منفيا فى ديوان بريطانى فأرسل له الثائرون مبالغ من النقود لجمع جيش للاغارة وأما بكنغهام وكان معتمدا على سرعة حضور الارل فانه أقام بيرق العصيان فى جهـة الويلس فاتفق فى هـذا الوقت سقوط أمطار غزيرة انتفخ منها نهر سفرن وتكسرت القناطر وصار النهر غـير قابل للعبور عليه فتفاءل أتباع بكنغهام واعتقدوا أن طوفان المياه فأل ردىء عليهم فانسلوا منه والتزم هو على الالتجاء فى بيت رجل خادم من العائلات القـديمة ومن دناءة هـذا الخادم أنه كشف أمره ودل عليـه فقبض عليه وأرسل الى الملك فى سلسبورى فأمر بقتله فى الحال فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٤٨٣ بعد الميلاد وفى أثناء ذلك كان ارل ريشموند أقلع من مينة (سنت مالو) مع ٥,٠٠٠ نفس فعاقته الرياح ووصـل الى سواحـل انكلترة فى وقت متأخر فرأى فى هذا الوقت انه ملزم بالعود الى بريطانى ثم تولد من خيبة هذه الدسيسة تقوية مركز ريشارد فطلب عقد برلمان يقرر فيه سلطنته وحقه للتخت ولاجل ميل الامة وانعطافها نحوه أصدر بعض قوانين مقبولة خصوصا قانون التقدمات أو الهـدايا وعول على زواج ابنـه بالبرنسيسة اليزابث فمات البرنس فجأة فوقف مقصود الملك فخطر له أن يتزوج بها ثم عول على أنه يخلص من زوجته عانى بواسطة السم لينفذ غرضـه ثم حاد عن هذا الزواج الذى لا تجوزه الشريعة وأشاروا عليه بالالتفات لمجارى حالة الاعمال الطبيعية

وتولد من الاقرار الذى كان ريشارد عزم عليـه مع ابنة أخيـه سرعة حركات ارل ريشموند وسافر من مينة (هارفلور) مع جيش مؤلف من ٦,٠٠٠ نفس ونزل فى (ميلفورد هافن) وما كان لريشارد علم بالجهة التى سينزل فيها عدوه فأخذ له موقعا فى نوطنغهام والتقى الجيشان فى (بوسورث) من أعمال ليسستر ولما وقع الحرب ترك لورد استانلى (مع قوة قدرها ٧,٠٠٠) الملك وتوجـه مع ريشموند فعاد هـذا بالنصر على أعـداء ريشموند فلما رأى ريشارد أن مركزه مقطوع الأمـل وكشف محل عـدوه فى ميدان الواقعة انقض عليـه راغبا قتله وقتل كل من قابله فى طريقه حتى وصـل الى الارل فالتحمت به قوة كبيرة وقتلوه والسيف فى يده ووجدوا تاجه مرميا فى عوسجة فأخذه غليوم استانلى ووضـعه على رأس الارل المنصور والعساكر يصرخون أطال الله بقاء الملك هنرى ثم حمل ريشارد الى

ليسستر

ليستر ودفن فى كنيسة غرى وكانت واقعة بوسورث فى ٢ أغسطس سنة ١٤٨٥ بعد الميلاد آخر حرب الورد وفى ميدان هذه الواقعة مات آخر ملك من سلسلة الملوك أصحاب القشة وكانت صفة ريشارد الثالث صفة من أخذت أملاكه منه ومن ثم لاريب أنه كان مجردا عن حزم الرأى والشجاعة والبصارة وكان طمعه لاحد له ولا وصف لعنفه وشدة جبروته وقال بعضهم انه كان بشع الذات والصفات قصير القامة قبيح الصورة أحدب وقال آخرون ان أحد كتفيه كان أقصر بقليل من الكتف الآخر وماخلف ذرية من زوجته وذكر أنه قتل فى حرب الورد الذى لبث ثلاثين سنة ١٠٠,٠٠٠ نفس من الامة الانكليزية وهدم الكثير من القرى والكنائس

(بيت طودور)
سلطنة هنرى السابع

وكان ابتداء تاريخ القرون الاخيرة من تتويج هنرى السابع وتولد من انتشار المعارف بواسطة المطابع استغراب سرعة تقدم الفوائد والآداب والعلوم والصنائع ومن استتباب الأمن الذى أعقب الحروب الداخلية سنوح فرص كبيرة فى تقدم جمعيات النآلف والعمران والافكار الديانية التى رفعت انكلترا الى أعلى الدرجات بين العالم الارضى

وقوبل هنرى السابع فى ميدان (بوسورث) بغاية الترحاب من أحبابه بصفة ملك وكان عمره فى هذا الوقت ثلاثين سنة وماكان له استحقاق فى الحقيقة فى التاج لان نسبته من حنا غنط من بنته مرغريطه ابنة حنا بوفورط دوق سمرسيط كانت نسبة غير شرعية ومن المحقق أنه صدر أمر من البرلمان بأن أولاد حنا غنط من (كاترينه سونيفورد) بكونهم شرعيين فى مدة سلطنة ريشارد الثانى لكنه ذكر فى هذا الامر مادة مخصوصة باخراجهم من وراثة التخت فمن ثم كان الوارث الشرعى للتاج من النسل الوارث هو (ادوارد وارويك) بن (جورج دوق كارنس) وكان ادوارد هذا فى ذلك الوقت عمره خمس عشرة سنة وكان مقيما فى (شريف حوطون) من أعمال يورقه فاستحوذ هنرى فى الحال على هذا الشاب عدوه وأرسله الى حبس البرج وعوّل على كونه يعلن بتغلبه على التاج بطريق الفتح فصده عن هذا المشروع أحبابه وأعداؤه فأسس مشروعه الثالث على أن يتزوج اليزابث يورقه ابنة ادوارد الرابع ومن أجل أن يتيسر على الحصول على ذلك سعى فى اتحاد حزبى اليورقيين والنكستريين وجعهما فى جامعة واحدة وقرر البرلمان فى جلسته انه بالنسبة لوقوع هذا الزواج وجب حصر تاج انكلترا فيه وفى وارثيه من بعده غير أنه ماوقع تتويجه بعد الزواج بل قبله فى كنيسة وستمنستر وفى ٣٠ اقطوبر سنة ١٤٨٥ بعد الميلاد انتخب مستشاريه اثنين من خدمة الدين (يوحنا مورطون - وريشارد فوكس) وكانا شاركاه فى مصائبه وماوقع له من النحوسات ووظف فوكس أسقف عكسطير ومورطون رئيس أساقفة كانتربورى وفى ١٨ ينايرسنة ١٤٨٦ بعد الميلاد تزوج هنرى اليزابث فوقع الاحتفال بالزواج واشتهرت أفراحه زيادة عن احتفال يوم تتويجه ولما رأى هنرى عين الغباوة من اليورقيين استحصل فى هذه السنة من البابا انوسنت الثامن على أمر قاطع بتأييد لقبه للتاج ثم ان هنرى ما أخفى كراهته اليورقيين فشرع فى معاملتهم مع البرود وأجج نار البغضا بين الاحزاب القديمة للوردة البيضا والحمراء وفى أثناء ما كان الملك فى سياحته فى يورقه قام (لورد لوفيل) وآخرون من أشراف اليورقيين فى ثورة على حين غفلة فى ضواحى (ريبون) ثم أطفئت هذه الثورة وهرب لوفيل الى مرغريطه فى فلندره وكانت مرغريطه دوقة بورغندى أخت ادوارد الرابع فكانت مأمنا وملجأ فى مدة هذه السلطنة لكافة أصدقاء يورقه وصار القبض على

(سطافورد الكبير) وقتل وفى هذه السنة حصل اجتهاد مهول فى قلب حكومة الملك وذلك أننا ذكرنا فيما سبق أن وارث البيت اليورقى الشاب (ارل واروبك) محبوس فى البرج فاستحصل واحد من قسس أوكسفورد اسمه سيمون على شاب ذا نه مثل ارل واروبك ونصبه لاعداء اليورقيين وهم النكستريون وكان هذا الشاب اسمه سيمنل ابن رجل خباز وعمره خمس عشرة سنة ومن بعد أن علم القسيس هذا الشاب مايلزم اجراؤه أخذه الى دبلين فى ارلنده ودخل به فى صفة أنه الشاب ارل واروبك وأنه هرب من حبس البرج وكان فى هذا الوقت ريشارد دوق يورقه وابنه جورج دوق كلرنس عاملين فى ارلنده واليورقيون محبوبون فيها فقبلوا حكاية هرب وارث العائلة اليورقية بالفرح الكبير وقابل نائب الجزيرة (ارل كيلدار) سيمنل بغاية الاحترام ورضى أهل مدينة دبلين جميعا بقبوله وأعلنوه ملكا باسم ادوارد السادس فى ٢ مايو سنة ١٤٨٧ بعد الميلاد ففزع هنرى من هذه الحركة وأخرج (ارل واروبك) من البرج وأمر بطوفانه فى شوارع لوندره كى يراه الناس وأشار عليه الاعيان والاساقفة بصدور عفو عام عما مضى من العداوات ومع هذا فانه جرد أرملة ادوارد الرابع من أراضيها وأرسلها مع المحافظة عليها الى (برموندسى) وتم أمر هذه الحادثة فى انكلتره لكن فى ارلنده كانت قوة سيمنل الكذاب آخذة يوميا فى الزيادة ثم هرب يوحنا ارل لنكولن ابن دوق سوفلك من الزابث ابنة ادوارد الرابع الكبيرة الى عمته دوقة بورغندى وحضها على اسعاف الدسيسة فى ارلنده فأرسلت معه ومع لوفيل قوة مؤلفة من ٢٠٠٠ نفس من المستأجرين الى دبلين وعزموا على الاغارة على انكلتره من جهة ارلنده وكان هنرى مع جيشه فى قلعة (كنيلورث) فوردت اليه الاخبار بأن أعداءه نزلوا فى (فورنيس) من أعمال لنكشير وزحفوا منها الى داخل المملكة قاصدين العساكر الملوكية العصاة فى (سطوك) بالقرب من نيوارك وفى ١٦ يونيه سنة ١٤٨٧ بعد الميلاد وقعت الواقعة مع الشدة بين الطرفين وكانت نتيجتها النصر لهنرى وهلك ارل لنكولن مع ٤٠٠٠ نفس من أتباعه فى ميدان الواقعة وهرب لوفيل وصار القبض على سيمنل وأستاذه ورمى القسيس فى سجن شديد وزال غضب الملك عن سيمنل وجعل مرمطونا فى مطبخ الملك ثم تعين فى وظيفة تربية الصقورة والبزاة

ثم تولد من هذه الثورة حض هنرى على ربط علاقة محبة اليورقيين ومع أن الملكة كانت تزوجت بهنرى من منذ سنتين الا أنه ماوقع احتفال تتويجها فتتوجت فى هذا الوقت مع الابهة واحتلت أعلى درجات السمو من بعد اطفاء ما كان حاصلا من العداوة والبغضاء

وكان هنرى حريصا جدا على عدم وقوع هياج أدنى حركة تكون سببا فى تعكير أحوال السلم الا أن سير الاعمال فى فرانسا ألزمه على الدخول فى حرب فيها مهما كان على غير رغبة منه وكانت بريطانى هى الميدان الاكبر فى فرانسا الذى كان باقيا على استقلاليته ولما رغب شارلس الثامن ملك فرانسا فى اضافة هذه الدوقية لتاجه سنحت له بعض الفرص بسبب وقوع اختلالات فى هذا الاقليم فأغار عليه فى سنة ١٤٨٨ بعد الميلاد فاستغاث الدوق الكهل الذى كان أوى هنرى السابع بمساعدة انكلتره فأرسلت انكلتره قوة قليلة مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس الا أنه ماحصل منها الا منفعة قليلة ومات دوق بريطانى فى هذا الوقت تاركا الدوقية لابنته عانى وعمرها اثنتا عشرة سنة وكانت مخطوبة الى مكسيمليان ملك الرومانيين بوكالة هنرى ففرض ملك فرانسا هذا الاتفاق وأحاط مدينة رينيس بجيش كبير وكانت الدوقة مقيمة فيها وقال يلزم أن تختار واحدة من اثنتين اما أن تكون زوجة له واما أن تكون أسيرته

فاختارت أن تكون زوجته ومن ثم أضيفت بريطانى فى آخر الامر الى التاج الفرنساوى فى سنة ١٤٩١ بعد الميلاد ففزع هنرى من حالة هذا الزواج وهدد شارلس بالحرب وتقوت الامة الانكليزية فى طلب الاغارة على فرانسا وصرخوا بأعلى أصواتهم مضادين لقبح سلوك ملك فرانسا فعول هنرى على مل صناديقه بنقود سمح له البرلمان بجمعها أصوب له من كونه يصرفها فى حروب وقدمت له التقدمات وجمعت ضرائب على خلاف قواعد القانون وسار الملك الى فرانسا مع جيش كبير عازما على فتح تلك المملكة وزعم أنه حاصر بولونية وعرف الفرنساوية من قصده أن خروجه لا تسده الا بالنقود ولا يضيع كبرياؤه وتعصبه الابهى فعقدت معاهدة صلحية فى سنة ١٤٩٢ بعد الميلاد تقرر فيها دفع ١٤٩،٠٠٠ ليرة لهنرى على شرط انسحابه من المملكة بقواه فتولد من هذا الصلح الغضب الاكبر فى انكلتره وتضررت الامة من كون الملك جعل ما أخذه منهم من النقود وسيلة فى الاستحواذ على جمع أكثر منه من العدو

وفى أثناء ما كانت المشاحنة جارية مع فرانسا ظهر كذاب آخر مدع للتخت مقلق لراحة سلطنة هنرى وذلك أنه أشيع من مدة طويلة فى الخارج بان (ريشارد دوق يورقه) أخو ادوارد الخامس هرب من حبس البرج فانتهز الفرصة أعداء الملك فى وقت هذه الاشاعة وجلبوا شابا اسمه (بركن واربيك) ابن رجل تاجر من أهل طورنى مشابه بالكلية لدوق يورقه فنزل فى (كورك) وقوبل فيها مع غاية الحمية والمحبة بصفة أنه ريشارد أو مقشة وكانت الحالة واضحة فى وقوع حرب بين انكلتره وفرانسا فدعا شارلس الثامن الكذاب الى باريس بقصد ايقاع الفزع فى قلوب أعدائه ولما وقع الصلح فى (اسطابليس) خرج واربيك من باريس والتجأ الى مرغريطة فى بورغندى وصدقته على أنه ابن أخيها ودعت له حزب الوردة البيضاء فى انكلتره وعاملته معاملة برنس فاستعد اليورقيون فى ثورة فى انكلتره واستمرت المخابرات جارية مدة ثلاث سنوات بين زعماء اليورقيين وديوان بورغندى واعتقد اليورقيون أن دوق يورقه موجود على قيد الحياة وفزع هنرى فزعا شديدا فنشر جواسيس فى انكلتره ولوندره وجهات انكلتره فأخبروه بانتشار الثورة فاجتهد هنرى أولا فى اطفاء هذه الثورة مع الذكاء وسلك مسلكا مع روبرت كليفورد أحد الثائرين حتى أخرجه من الثورة وأصدر عفوا عاما عن كل من سار على منواله وبواسطة كليفورد وقع الكشف على كثير من معاضدى واربيك فى انكلتره فقتلوا جميعا وكان من ضمن هؤلاء غيليوم استانلى اللورد النائب وكان خلص الملك فى واقعة (بوسورث) فانه قال واثقا بكليفورد انه لو تحقق أن الشاب الموجود فى فلندره هو ابن الملك ادوارد حقيقة لا يقيم السلاح مطلقا فى وجهه ثم تولد من قتل استانلى وآخرين ضده قيام الثائرين حتى ان بركن التزم على فعل شئ من أجل المحافظة على توابع حزبه وعزم على النزول فى كنط نخاب فى مشروعه وهزمت أتباعه مع خسارات جسيمة ووقع القبض على بعضهم وقتلوا فى الحال وفى سنة ١٤٩٥ بعد الميلاد توجه واربيك الى ارلنده واجتهد فى التغلب على مدينة (واطرفورد) غير أن نائب الجزيرة ساس الحكومة وأصلحها حتى ان واربيك ما وجد لنفسه معاضدين فى ارلنده الا قليلا فالتزم على التوجه الى فلندره وكان نائب ارلنده فى هذا الوقت (ادوارد يوننغ) فصدر فى مدة نيابته قانون عرف باسم قانون يوننغ قاض بأنه لا يجوز ادخال لائحة فى البرلمان الارلندى ما لم يعرض ابتداء على المجلس الانكليزى ويقع التصديق عليه فتولد من هذا القانون تقوية شوكة هنرى فى ارلنده

ثم ان وار بيك التزم على ترك فلنـدره بسبب أن هنرى انتقم من أهلها فى نظـير مساعدتهـم له بكونه نقل أسواق الاقمشة الانكليزية من (انطو ربب) الى كاليس وطرد التجار الفلمنكيين من انكلتره ولاجل مداركة ماوقع من خسائر التجارة التزمت مرغريطه بورغندى على الاشتراك مع الحاميةله وفى سنة ١٤٩٦ بعد الميلاد دزار وار بيك مرة ثانيـة نواحى كورك نخاب أمله من قيام الامة معـه فسافر الى اسكوطلنـده فقابله فيها جمس الرابع ملكها بغاية الاحتفال وزوجـه ستا من الدم الملوكى اسمها (كاترينه غوردون) ابنة (ارل هنطلى) وجـاء مغـيرا على الكونتات الشمالية من انكلتره مرضاة لوار بيك ومع هـذا فانه ماوقع الالتفات من أحـد من رجال الانكليز لمن أغار عليهم ومن بعد دمار الجهـة التى أغاروا عليها انسحب الاسكوطلنـديون الى بلادهـم فتولد من هـذا التعدى أن طلب هنرى من رعاياه مطاليب من النقود ورخص له البرلمان بذلك غير أن أهل الكورنوال رفضوا دفع ماخصهم بما أنه غـير ضرورى وطلبه غير عدل ومن ثم قاموا بالسلاح وقصدوا لوندره وانضم اليهم فى طريقهـم (لورد عودلى) وآخرون من الدرجات الواطيـة ولما وصلوا الى المرج الاسود هجمت عليهم القوى الملوكية بغتـة من الأمام والخلف وأوقعوا فيهم الفشـل وقتلوا قوادهم وفى أثناء ذلك أغار الاسكوطلنديون مرة ثانية على الكونتات الشمالية فصدتهم قوة انكليزية وأرغموهم على القهقرة وعقد الصلح ولما ضاع هذا المأوى من وار بيك رحل الى ارلنده ومنها أقلع الى كورنوال ونزل فى (حوان وايطسند) وسار الى بودمين فاجتمع تحت بيرقه قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ نفس وقابلوه بصفة ريشارد الرابع ثم حاصر عكسطير فى رأس قوة قدرها ٦٠٠٠ نفس ولما قربت منه العساكر الملوكية رفع الحصار وقصد نحو طونطون ولما قطع اليأس مما كان يأمله هرب ملتجئا الى دير (بوليو) من أعمال همبشير وأما أتباعه فانهم رموا أنفسهم تحت عفو الملك فشنق البعض وغرم البعض وطرد البعض الى بلادهم ثم سلم وار بيك نفسه على وعد عفو الملك عنه فحمل الى لوندره فى صفة منصور يضحكون عليه فاعترف بكذبه واشتهر أمره عند الامة وسجن سجنا مكرما وأرسلت زوجته الى سراية الملكة وصارت من أتباعها ثم ان وار بيك اجتهـد فى الهرب فوضع فى آلة العذاب وأرسـل الى سجن البرج فوقع فى الحبس مع ابن دوق كلرنس فصارا حبيبـين وسـعيا فى خـلاص أنفسهـما من الاسر فانكشـف أمرهما وصلب وار بيك فى الطيبورن وأما ارل وار ويك آخر الوارثين من بيت أصحاب المقشة فانه من بعد أن ذاق آلام عذاب حبس غـير منصف خمس عشرة سنة قطعت رأسه على تل البرج فى ٢٨ نوفمبر سـنة ١٤٩٩ بعد الميلاد وكان آخر ماوقع له لطخة سوداء قبيحة فى صحيفة هنرى السابع وكان ظهر كذاب ثالث قبل ذلك بقليـل فرغب هنرى فى خلاص نفسـه من الارل وذلك أن قسيسا من أهل كنط أغوى ابن رجل جزمانى ولقبه بلقب ارل وار ويك فقتل الولد وحبس القسيس مدة حياته فكان لهذه الدسيسـة تأثير على ختام عاقبة المنحوس وارث البيت التابع لاصحاب المقشة

ولما انقضى أمر الثورات عكف هنرى نفسه على زواج أولاده لجمع ثروة ودا وعمل ثلاثة أفراح كان لها شأن مهم فأما الاول فكان زواج البرنس ارثر ابنـه البكرى بكاترينه ارغون فى نوفمبر سنة ١٥٠١ بعد الميلاد ومن بعد مضى سـتة أشهر مات البرنس وسنه خمس عشرة سنة فرغب هنرى فى المحافظة على المحالفة الاسبانية ومارغب فى ضياع مهر كاترينه وكان مقداره ٢٠٠,٠٠٠ كراون وبرخصة من البابا خطبها لابنه الثانى هنرى وكان عمره احدى عشرة سنة فكان هذا الزواج سببا فى وقوع منازعة كبيرة

فى

فى السلطنة القابلة
وفى السنة التالية أى فى سنة ١٥٠٣ بعد الميلاد كان زواج ابنة الملك الكبيرة مرغريطه بجمس الرابع صاحب اسكوطلنده فتولد من هذا الزواج اتحاد تاجى انكلتره واسكوطلنده وفى وسط هذه الافراح ماتت الملكة زوجة هنرى فحزنت الامة حزنا شديدا عليها وزاد حرص هنرى على النقود مع وجود السلم وفلاح المملكة وكان كلما زاد فى العمر زاد فى حب الدرهم وما ترك فرصة وما أهمل حادثة ضرب فيها غرامات ثقيلة على رعاياه خارقة للقانون وكان مستشاره فى هذه المادة اثنين من المشرعين هما (أمبسون ـ ودادلى) ورقاهما الى درجة البارونات فى ديوان المالية فخرما القوانين وسلكا ما يشتهيانه فى أعمالهما ونشرا الجواسيس فى جهات المملكة لاعطاء الاخبار باسماء الذين لا يراعون السير على مقتضى الاوامر الصادرة منهما وضربا غرامات ثقيلة على كل انسان مهما كانت درجة اعتباره وفى يوم من الايام كان (ارل اوكسفورد) دعا الملك الى ضيافة احتفل له فيها وجمع كثيرا من حواشيه بقصد تقديم الاحترامات للملك وفى يوم سفر الملك من عنده ذكر الارل بالقانون الجديد القاضى بعدم جمع حواشى وخدم وغرم الشريف الذى صنع له الوليمة مبلغ ١٠,٠٠٠ ليره
ومات هنرى السابع فى سرايته فى ريشموند فى ٢٥ ابريل سنة ١٥٠٩ بعد الميلاد ودفن فى كنيسة وستمنستر وكان أولاد هنرى هم (ارثر) مات قبله و (هنرى) صار ملكا و (مرغريطه) تزوجت جمس الرابع صاحب اسكوطلنده و (مريم) تزوجت أولا دلويز الثانى عشر صاحب فرانسا ثم (برندون دوق سوفلك) من بعده
واشتهرت سلطنة هنرى بنجاح الاستكشافات البحرية فان (كريستوف كلب) رجل بحرى من أهل جنوه كشف جزائر بهامه فى سنة ١٤٩٢ بعد الميلاد وكان من سوء البخت حرمان هنرى من اشتراكه فى هذه السياحة وكان كريستوف كلب أرسل أخاه بارثلمى الى انكلتره فى سنة ١٤٨٩ بعد الميلاد بخرائط ورخص بقصد الحصول على مساعدة الملك فى أغراض سياحته فقابله الملك بالترحاب الا أنه عند عوده من أجل طلب أخيه الى الديوان الانكليزى أخذه اللصوص وفى أثناء ذلك وطد كلب مساعدة فرديننند وازابلا وسافر مع أسطول صغير اسبانى فى سياحة كبيرة بصدد الاستكشافات ثم بعد ذلك ساعد هنرى القبودان (سبسطيان كابوط) من أهل فنيزه كان مقيما فى بريستول وكان أول من كشف البر الاصيل فى أمريقه الشمالية من الاراضى الموجودة حديثا الى (فلوريده) سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد وفى هذه السنة طاف رجل بورتغالى اسمه (فاسكو دى غمه) رأس عشم الخير ومن ثم فتح طريقا جديدا للهند الشرقى وكشف (أمريقوس فسبوكسيوس) من أهل فلورنسه سواحل أمريقه الجنوبية وأطلق على الدنيا الجديدة اسمه وأمر هنرى بانشاء مركب حربى بعنبرين حمولة ١٠٠٠ طونولاته تكلفت ١٤٠٠٠ ليره والله أعلم

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ من جلوس هنرى الثامن الى موت اليزابث والاصلاح الانجيلى ﴾

صيرورة هنرى الثامن ملكا ـ قصاص أمبسون ودادلى ـ حرب مع فرانسا ـ واقعة المهاميز ـ هزيمة جمس الرابع صاحب اسكوطلنده فى فلودن ـ زيارة هنرى لفرنسيس الاول ملك فرانسا ـ

ميدان الملابس الذهبية ـ صيرورة هنرى حليف الامبراطور شارلس الخامس ـ الكردينال ولسى ـ خديعته بالامبراطور ـ ارتياب هنرى فى زواجه كاترينه ـ ولعه بعشق عانى بولين ـ طلبه من البابا رخصة التسريح ـ محاكمة الملكة كاترينه ـ سقوط ولسى ـ ارغام هنرى على اكرام المصلحين ـ كرانمير ـ مشورته للملك ـ تسليم هنرى مسئلة زواجه لعلماء عصره ـ صيرورة كرومويل وزيرا أول ـ زواج الملك بعانى بولين ـ توقيع الحجر الكنائسى عليه ـ راهبة كنط ـ قتل توماس مور ـ اتحاد هنرى مع أرباب الاصلاح ـ صدور أوامره بترجمة التوراة الى اللسان الانكليزى ـ قتل الملكة عانى ـ زواج هنرى بوحانه سيمور ـ مولد ادوارد السادس ـ ارتباط علاقة الملك مع البرنسيسة مريم ـ الحج المبرور والثناء المشكور ـ كبس هنرى على الديوره ـ قبضه على كنوز وخزائن المزارات ـ غضب البابا ـ الست مواد ـ زواج هنرى بعانى كليف ـ طردها ـ سقوط كرومويل ـ زواج الملك بكاترينه هوارد ـ ارسالها للقتل ـ عود الاعمال ـ زواج هنرى بكاترينه بار ـ حمايته كرانمير ـ حرب مع اسكوطلنده ـ موت هنرى ـ انضمام الويلس الى انكلتره ـ صيرورة ادوارد السادس ملكا ـ نيابة سمرسيط ـ تقدم الاصلاح الانجيلى ـ نهب وسلب سمرسيط ـ سقوطه ـ نيابة نورثمبرلند ـ سلوك الملك فى تغيير عود الخلافة ـ موت ادوارد السادس ـ اعلان نورثمبرلند بملوكية الست بوحانه غرى ـ معاضدة الامة البرنسيسة مريم ـ سجن الست بوحانه غرى ـ جلوس مريم على التخت ـ قتل نورثمبرلند ـ عصيان وبياط ـ قتل الست بوحانه غرى ـ زواج مريم بفيليب صاحب اسبانيا ـ عدم قبوله الديانة البروتستانتية ـ ظلم البروتستانت ـ الشهداء ـ حرق كرانمير ـ عود فيليب الى اسبانيا ـ ضياع قلعة كاليس ـ موت مريم ـ اعلان اليزابث بأنها ملكة ـ عود أشغال الاصلاح ـ المتطهرون ـ صفة اليزابث ـ صلح مع فرانسا ـ مريم صاحبة اسكوطلنده ـ العدو الاكبر لاليزابث ـ طرد الفرنساوية من اسكوطلنده ـ عود مريم الى اسكوطلنده ـ زواجها بدارنلى ـ قتل دارنلى ـ حرب داخلى فى اسكوطلنده ـ هرب مريم الى انكلتره ـ سجنها ـ دسائس الكاتوليك ـ مذبحة سنت بارثلمى ـ مساعدة اليزابث بروتستانت القاره ـ ثورة بابنغطون ـ قتل مريم ـ الارمادا البحرية الاسبانية هزيمتها ودمارها ـ ارل صكه ونيه الشرقية ـ عصيانه وقتله ـ موت اليزابث

سلطنة هنرى الثامن

كان عمر هنرى الثامن وقت جلوسه على التخت ١٨ سنة وجمع فى ذاته المطالب العدوانية لبيتى يورك ولنكستر وأهاب الامة به وظنوا فيه سلطنة آمنة ومن جماله وحسن طبائعه وكماله صار معززا عند الامة ومن بعد جلوسه بقليل تزوج كاترينه أرملة أخيه ارثر وكان أول الاعمال التى أجراها فى السلطنة حبس أمبسون ودادلى على ما جنياه من الظلم فى السلطنة السابقة واتهموهما بخيانات ظهرت عليهما وقتلا فوق تل البرج

ومن بعد مضى سنتين أو ثلاثة فى أمن تداخل فرديننـد صاحب اسبانيا مع هنرى وأغواه على الانضمام معه فى حرب على فرانسا وكان البابا يوليوس الثانى وفرديننـد صاحب اسبانيا ومكسميليان صاحب جرمانيا عقدوا اتحادا فى سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد من أجل استرداد بعض أراض كان الفنيزيون أخذوها من أملاك الكنيسة ولما نجحوا فى عود هذه الاراضى شكلوا اتحادا آخر دخل

فيه

فيه القنيزيون بقصد اخراج الفرنساوية من ايطاليا ودعوا هنرى للانضمام معهم وأن يطلب فى هذا الوقت من لويز الثانى عشر ملك فرانسا تسليم اقليم غسكونيه فمن كثرة ما كان عليه هنرى من الرغبة فى أن ينال فخر العسكرية أعلن حربا على لويز فى سنة ١٥١٢ بعد الميلاد وأرسل جيشا الى اسبانيا من أجل الاغارة على الجهة الجنوبية من فرانسا فاستعمل فرديناند هذا الجيش فى فتح مملكة نفاره لنفسه ولما وجد القائد الانكليزى أن فرديناند غشه رجع بجيشه الى انكلتره ولما استحصل هنرى على مبلغ جسيم من النقود فى سنة ١٥١٣ أقلع الى كاليس فى رأس قوة مؤلفة من ٢٥،٠٠٠ مقاتل وانضم اليه فيها مكسيمليان امبراطور جرمانيا فى صفة عامل تحت قيادته وحاصر مدينة (طيرونه) واستمر الحصار عليها شهرين وفى هذه المدة وقع للفرنساوية واقعة مشؤمة وذلك أن فرقة من خيالة الفرنساوية مؤلفة من ١٠،٠٠٠ نفس كانت توجهت لخلاص (طيرونه) فهجم عليها بعض من خيالة الانكليز والجرمانيين فى نواحى (غينغاط) فانهزم الفرنساوية ومن كثرة ضربهم خيولهم بالمهاميز أثناء فرارهم أطلق على هذه الواقعة (واقعة المهاميز) ومن بعد التغلب على طيرونه أخذت أيضا طورنى ولما حل فصل الشتاء عاد هنرى مع معظم جيشه الى انكلتره مظفرا

وفى أثناء هذه الحروب فى فرانسا أغار جمس الرابع صاحب اسكوطلنده على انكلتره بصفة انه حليف لفرانسا فهزمه جيش انكليزى تحت قيادة ارل سورى فى ميدان فلودين وحل بالاسكوطلنديين شر المصائب وقتل فى هذه الواقعة جمس الرابع وزهرة أشراف الاسكوطلنديين وكوفئ ارل سورى برتبة دوق نورفلك نظير ما أداه من هذه المظفرة العظيمة وفى السنة التالية تخلى محالفو هنرى عنه فعقد صلحا مع فرانسا واتفق لويز فى معاهدة هذا الصلح بأن طورنى تبقى تحت أيدى انكلتره ويدفع لهنرى ١،٠٠٠،٠٠٠ كراون ويتزوج بمريم أخت هنرى ثم انه من بعد الزواج بثلاثة شهور مات لويز وصارت أرملته الشابة من بعد موته زوجة لشارلس برندون دوق سوفلك وكان أحد كبار مستشارى هنرى فى هذا الوقت (توماس ولسى) رئيس اكليروس لنكولن قيل انه كان ابن رجل قصاب ولد فى ابسويج سنة ١٤٧١ ومهما كان أصله فان ذكاءه وقريحته أوصلته الى أعلى درجات الكمال وكان تربى فى مدرسة فى (أوكسفورد) وأحرز السبق فى العلوم والمعارف وأخذ شهادة معلوميته وعمره أربع عشرة سنة ومن بعد أن تمم تعليم أولاد المار كيز دورسيط توظف بمعرفة المار كيز قسيسا فى كنيسة (ليمنغطون) ثم تعين من بعدها فى كنيسة كاليس فجذب ذكاؤه التفات هنرى السابع اليه وكافأه على خدمات سرية أجراها له بتوظيفه فى رياسة اكليروس لنكولن ثم أدخله (فوكس) أسقف ونشيستر فى ديوان هنرى الثامن فنال بنباهته التفات الملك وحاز أعلى الرتب وفى مدة قليلة صار الوزير الوحيد للملك وانشرح صدر هنرى من وجود وزير مساعد له على تصوراته ومايختاره فجعله أسقف يورقه ونائب انكلتره ورقاه البابا ليو العاشر الى رتبة كردينال فى سنة ١٥١٥ بعد الميلاد ومن بعد مضى ثلاث سنين تعين نائب البابا فى انكلتره فكانت أبهته وفخامته لاحصر لها وكان خدمه مؤلفا من ٨٠٠ نفس وكانت ملابسه مخيشة بالذهب والفضة وفى يوم عيد من الاعياد احتفل باقامة الصلاة مع الابهة مثل ما يعمل عند البابا فكانت هذه الاعمال مقبولة عند الملك وعند الامة التى ارتقى بينهم الى هذه الدرجة ووجده أهل الآداب والعلماء محبا سخيا فكان كل طالب علم لا يخيب من مساعدة ولسى له وزيادة عن مدافعته لاهل العلم كان أيضا مكبا على ادارة العدل فهذه كانت

هزيمة جمس الرابع

صفة الرجل الذى قضى احدى وعشرين سنة محتلا أرقى الدرجات فى السياسات الانكليزية ومدبر أعمال أوروبا تقريبا ثم ان (فرنسيس الاول) ملك فرانسا خليفة لويز رغب فى توجيه جيوشه على ايطاليا ومن ثم قصد ابقاء السلم مع انكلتره فاستحوذ على التفات ولسى بطريق التملق وارسال الهدايا وبهذه الوسائل عقد معاهدة مع هنرى وقع الاتفاق عليها على تسليم طورنى لفرانسا ولما مات مكسميليان امبراطور جرمانيا سنة ١٥١٩ طلب كل من حفيده شارلس ملك اسبانيا وفرنسيس التاج الامبراطورى ولما انفصل الانتخاب لجهة شارلس خشى فرنسيس سطوة عدوه وقوى محالفته مع انكلتره وكان شارلس حاكم اسبانيا وأوستريا ونابولى والاقاليم الواطية وما كان من الامم الا فرانسا وانكلتره الذين لهم الطاقة على المحاربة معه فكان اتحاد هذين الامتين مع بعضهما أشق ما يكون عليه وكان فرنسيس يراعى شوكة شارلس مع الخوف فمن ثم زاد ديوان (ولسى) على أمل مساعدة ملك الانكليز ودعا ملك الانكليز للمقابلة معه فى فرانسا غير أنه من قبل سفر هنرى وصل شارلس زائرا انكلتره واجتهد فى انفصال ولسى من فرنسيس ووعده بوظيفة البابا وية وكانت وظيفة البابا وية عند ولسى الطمع الاكبر فبذل جهده فى اجراء ما يلزم للامبراطور من أشغاله مؤملا الحصول على هذه الوظيفة ولما سافر شارلس من انكلتره عبر هنرى الخليج الى كاليس ومعه ملكته وكافة أمرائه فى سنة ١٥٢٠ بعد الميلاد وكانت المقابلة بين ملكى انكلتره وفرانسا فى ميدان بين (غينه وعردريس) ومن هيئة ملاعب المسابقات ومد موائد الكرامات التى عملت فى الميدان عرف المحل باسم (ميدان الملابس الذهبية) وانتهت المقابلة على أن لاشئ ومن بعد أن ترك هنرى الملك فرنسيس زار شارلس فى غرافلين وجدد الامبراطور وعده لولسى باعطائه هدايا نفيسة ومن بعد مضى سنتين من حادثة ميدان الملابس الذهبية هاج الحرب بين شارلس وفرنسيس ووصل الامبراطور ثانيا الى انكلتره من أجل توطيد مساعدة هنرى له وفى أثناء هذه الزيارة أعلنت انكلتره حربا على فرانسا وصار ارسال جيش تحت قيادة ارل سورى فى سنة ١٥٢٢ لتخريب الجهة الشمالية من فرانسا وفى السنة التالية دهم جيش آخر انكليزى المملكة حتى وصل فى غاراته الى ضواحى باريس الا أن هذه الغارات ما كان فيها ثمرة نظرا للاحتياج للنقود والمصاريف وما كان البرلمان التأم من مدة سبع سنوات الا أن هنرى فى أثناء هذه المدة كان مستعملا جباية النقود بصفة تقدمات وهدايا غير قانونية ولما انعقد البرلمان سار ولسى مع كثير من الاشراف والاساقفة ودخل مجلس المبعوثان وطلب لاستاذه الملك رخصة ٨٠٠،٠٠٠ ليره ومع أن رئيس المجلس (توماس مور) ساعد فى الطلب الا أن المجلس ما أقر الا نصف الطلب باغلبية الاصوات ورغب الكردينال فى اقامة الدليل على أصل هذا الطلب وحاج محاجة كبيرة فأخبره المجلس مع الاحترام أن قانون المجلس لا يجوز المحاجة فيه الا بين أربابه فقط فتهور الملك من استقلالية مجلس المبعوثان ورخص فى عدم التئام المجلس لمدة سبع سنوات أخرى

ومن بعد هذه أخذت الصحبة التى كانت بين ولسى والامبراطور فى البرود لانه خاب مرتين فى تيسر الحصول على وظيفة البابا وية لان البابا (ليو العاشر) مات فى سنة ١٥٢١ وكذا مات ادريان الرابع فى سنة ١٥٢٣ ولما حصل انتخاب كليمنت السابع رأى ولسى أن شارلس ما عانده وعد فى مساعدته على احتلاله كرسى البابا وية فمن ثم عقد النية على فصل هنرى من الامبراطور وبعقد معاهدة مع فرانسا وفى سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد هزم الجيش الامبراطورى فرنسيس فى واقعة باوية فى ايطاليا

وأخذ أسيرا ووقع الخلاف فى الحال بين انكلترة وجرمانيا وفسخ هنرى المعاهدة وعقد معاهدة مع أم فرنسيس من أجل خلاص ابنها وخلص ملك الفرنساوية فى السنة التالية وشرع فى الحرب مع الامبراطور ثانيا على الفور وفى سنة ١٥٢٧ بعد الميلاد أغارت القوى الامبراطورية على رومة وأسروا البابا ونهبوا المدينة فمن ثم عقدت معاهدة جديدة بين هنرى وفرنسيس من أجل طرد الجرمانيين من ايطاليا بالكلية وخلاص البابا

ثم ابتدأت الاحوال فى دورها على محور غير موافق بالكلية لمصالح هنرى الثامن وذلك ان أباه كان خطب له وهو ابن ثنتى عشرة سنة (كاترينه اراغون) أرملة أخيه وما كان لهنرى فى مبادى أمره رغبة أبدا فى هذا الزواج ثم وقع تغيير بعد ذلك فى حواسه مراعاة لخاطر البرنسيسة وتزوج بها فى السنة الاولى من سلطنته فعارضته الامة فى زواجه هذا قائلين انه لا يجوز زواج اثنين قريبين فى الاهلية مع بعضهما ومن بعد جلوس الملك أعلن أسقف ورهام وآخرون من أعضاء المجلس الخصوصى بعدم قبول الزواج فلما أراد هنرى عقد زواج ابنته مريم على شارلس صاحب اسبانيا عارض أهل كسطيلة فى الزواج وقالوا ان مريم ليست ابنة شرعية ثم لما فتحت المخابرات بعد هذا مع فرانسا فى شأن عقد زواج مريم على فرنسيس دوق أورليان أحيا السفير الفرنساوى المناقضات المتقدمة فارتبك هنرى فى أمره وارتاب من زواجه بكاترينه ومن بعد زواج لبث ثمان عشرة سنة التمس من البابا رخصة طلاقه الملكة من بعد أن لبث ثلاث سنوات مرتبكا بالاوهام والارتياب فى زواجه بارملة أخيه ورأى أنه بلغ نصف عمره من دون أن يخلف منها ولدا يخلفه على تخته ورأى أن كافة أولاده منها ماتوا ما عدا ابنته مريم فانها بقيت على قيد الحياة وتفكر فى نفسه أن هذه مصيبة نزلت عليه من السماء عقابا له على ما جناه من هذا الزواج الغير شرعى وتفكر أيضا فى الارتباكات التى تقع من أجل خلافة التخت وتقلبه وراحته وكانت كاترينه امرأة ذات كمال واحترام خاضعة لزوجها وكان لهنرى علة أخرى فى الطلاق وذلك أن الشابة الجميلة الست (عانى بولين) حفيدة دوق نورفلك كانت وصلت الى سراية الملك وصارت خادمة لتشريفة الملكة فرآها الملك فولع بها وصار على رغبة تامة فى الحصول على رخصة طلاق كاترينه فطلب من رئيس أساقفة كانتربورى المداولة فى ذلك فقرر رئيس الاساقفة مع عموم أساقفة المملكة ما عدا (فيشر) أسقف روشيستر بخطوطهم وأختامهم أن زواج الملك بكاترينه غير شرعى وأثبت ولسى أيضا وهم الملك وارتيابه فى زواجه هذا ثم كف هنرى عن كل شئ مع الملكة ما عدا المعاملات الرسمية وصار صديقا لها مدة من الزمن ثم تحرك عليه عشق (عانى بولين) وعزم على أن يتخذها زوجة له وطلب فى سنة ١٥٢٧ من البابا كليمنت السابع رخصة الطلاق فكان البابا مائلا بالكلية مع هنرى وله رغبة فى منحه طلبه غير أنه كان يوجد مصاعب عديدة فى الطريق الموصل لهذا الغرض وذلك أن البابا كان أسيرا فى أيدى شارلس الخامس ابن أخى كاترينه فكان يخشى عداوة آسره لو منح الطلاق ويخشى من ملك الانكليز لو رفض الطلب ثم من بعد أن تردد البابا فى أمره كثيرا ولبث هنرى منتظرا نحو خمس سنوات أرسل من طرف البابا فى ٣١ مايه سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد الكردينال (كمبيجيو) ليجتمع مع ولسى فى مجلس فى لوندره ويفحصا فى مسئلة هذا الزواج الغير الشرعى وصار طلب الملك والملكة أمام هذه المحكمة وحضرا بأنفسهما أمامها وأجاب الملك عن كل شئ طلب منه وأما الملكة فانها ما قطعت أمل مساعدتها بابن أخيها وبدل أن تجاوب عما يطلب منها رمت نفسها على أقدام زوجها وسألته خاضعة أن

لا يفضحها بجريمة الزنا وأن لا يجعل أولادها أولاد زنا وذكره بما كان بينهما من الحب والصداقة فى مدة العشرين سنة ولما رأت أن خضوعها لا ثمرة فيه سلمت أمرها للبابا ورفضت قبول حكم المحكمة والمجاوبة فيها وخرجت منها وما عادت اليها مرة أخرى وتوقفت مسئلة الفحص لمدة شهرين وكان الملك ينتظر كل يوم فصل المسئلة لجهته حتى عيل صبره هو و (ولسى) من هذا التأخير وحصل عندهما الغضب الشديد وفى حالة ما كانا على شرف الانتظار صدرت الاوامر من البابا بتحويل مسئلة الفحص الى رومة والمداولة فيها فى ديوان البابا فظهر لهنرى جليا أن البابا مستخف به ومستعد لجعله فى مرضاة الامبراطور شارلس ووقع غضب الملك على رأس ولسى ومع ان ولسى بذل مجهوده فى فصل المسئلة على حسب رغبة سيده غير أن الذم والقدح فى خيبتها وقع على أكتافه وصار ولسى هدفا للبطش والانتقام فجرده الملك فى الحال من وظيفة الحجابة وأمره باخلاء محل يورقه وهو سراية كان شيدها فى لوندره وصارت فيما بعد المقر الملوكى تحت اسم (الدار البيضاء) وضبطت أمتعته وأثاثاته وأمره بالاعتزال الى (عشير) بالقرب من محكمة همبطون واجتمع البرلمان وأصدر فى حقه عقاب الغرامات والحبس بسبب فسخه القانون (البرامونيرانى) بكونه قبل أوامر البابا فعفا عنه هنرى وأمره بالاعتزال فى قلايته فى يورقه وتركه كافة من كان ينتظر رعايته وكرمه ماعدا (توماس كروميل) وانتهز أعداؤه الفرصة وكان أشدهم عائى بولين وسلكوا مسلك دماره وفى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد اتهموه بخيانة جسيمة ووقع القبض عليه بمعرفة ارل نورثمبرلند فى أسقفية يورقه وفى أثناء سفره الى لوندره أصيب بداء عضال مات منه فى كنيسة ليسيستر وكانت آخر أقواله (لو كنت خدمت ربى بعقل وادراك كما خدمت ملكى ما عاقبنى على شيبتى هذه)

ثم ان سقوط ولسى ما كان فقط الشئ المهم الذى نتج من رفض البابا اجابة رغبة هنرى فى طلاق زوجته لاننا نظرنا انه فى أيام ويكليف كانت حركة الاصلاح جارية بتقويتها بحالة السكون فى انكلترة وفى هذه السلطنة ازداد عدد الذين كانوا قابضين على الشرائع المصلحة وحصل من وجود الاصلاح فى جرمانيا من الحركات الديانية المجتمعة فى السويس وفرانسا تأثير شديد فى انكلترة وكان هنرى الثامن فى أوائل سنى سلطنته كتب كتابا ضد شرائع مارتين لوثير وعلى ذلك كافأه البابا بلقب «حامى الدين» الا انه ازداد بسرعة عدد المصلحين حتى تكون منهم حزب قوى ومع أنه ما كان من أفكار هنرى دمار كنيسة رومة وكان لآخر درجة محبا صادقا لجميع شرائع الديانة الكاثوليكية وكان يصعب عليه جدا أن يكسر سلطة رومة ويقطع العلاقة بين انكلترة والكرسى البابوى وقليل الميل للاصلاح الا انه انتهز فرصة حركة الاصلاح لغرض شهوانى محض ورغما عنه انحاز لجهة المصلحين واشترك معهم فى نجاح الاصلاح وفوزه

ومع أن هنرى الثامن كان على غضب شديد من سلوك البابا فى قضيته الا أنه مازال على أمل من أن البابا يبت الحكم فى أمر قضيته له وفى أثناء ما كانت هذه المسائل جارية فى مجارى الشك والريب وصل الى مسامع الملك أخبار فصل هذه المشكلة فتلقاها مع الفرح وكان سبب ورود هذه الاخبار اليه أن الحكيم (توماس كرانمير) من أهل مدرسة المسيح فى كامبريدج كان فى مساء ليلة فى جمعية مع اثنين من وزراء الملك فتكلموا فى مسئلة الطلاق فأشار كرانمير بان مسئلة الطلاق يجب تحويلها على مجالس المعارف فى أوروبا وينظروا هل يجوز لرجل زواج أرملة أخيه أولا فلما وصلت هذه الاشارة الى مسامع

الملك قال من هو هـذا الحكيم كرانمير وأين هو أنا أتكلم معـه فى شأن الزواج أرسلوا له وائتونى به حالا فانى أرى أن هذا الرجل حاز الحق على حسب ماسمعت وكان كرانمير قال لو قرر علماء أوروبا مايراه الملك من راحة نفسـه فان البابا يشـق عليه رفض مايعرضه عليـه هنرى الموقع عليـه بأختامهم وأرسـل السؤال الى علماء أوروبا حسبما أشار بذلك كرانمـير فقـرروا بأغلبيـة الآراء ما كان على مرغوب الملك فظهر فى هذا الوقت طالع سعد كرانمير وفى سنة ١٥٣٣ صار رئيس أساقفة كانتربورى وورد اليه اعتماد البابا فى تأييده فى وظيفته ولما أحكم هنرى مسئلة الطلاق جدد طلبه عند البابا وكان كليمنت مازال على خوف من الامبراطور شارلس فرفض اعطاء آخر حكم وطلب حضور هنرى فى رومة وفى هذا الوقت كانت شوكة ولسى انتقلت ليد (توماس كرومويل) وكان خدم الكردينال ولسى مع الصداقة فاعتمده هنرى فى أموره أيضا وجعله وزير خارجيته بسبب ما كان عليه من المهارة والجسارة وحزم الرأى وهنرى فى حاجة لمثل هذا النحرير البارع فى وقت اختلافه مع البابا فلما رأى كرومويل بعين الحقيقة أنه لا يرجى أدنى فائدة من البابا أشار على الملك بأن يعلن لنفسه بأنه رأس الكنيسة فى ممالكه فأسرع هنرى فى هـذا الشـغل حسبما أشار عليه به وزيره فقام القسس والاساقفة والرهبان مضادين لهذا الامر فشكل هنرى مجلس نيابة كبير ضدهم فلم يخضعوا لهذه المحكمة النيابية وفسخوا القانون البراموانيرانى وجعلوا أنفسهم عرضة لما يصـدر عليهم من الجزاء وصمم هنرى على سير هذا القانون على رقابهم وأما خدمة الدين الذين عرفوا بأنه لا فائدة فى معارضـة الاحكام المطلقة التى يرغب الملك فى صدورها بأى دليل أو حجة فانهم عقدوا اصطلاحا معه ودفعوا غرامة مقدارها ١١٨،٨٤٠ ليره وتقرر بان الملك هو الرأس الاكبر لكنيسـة انكلتره وقسيسها والمدافع عنها ولاجـل عدم نسيان سلطة الملك على الكنيسـة فى المستقبل التزم مجلس القسس والاساقفة وخدمة الدين على كتابة قرار مآله أن الملك هو الحامى والمدافع والرأس الاكبر للكنيسة وخدمة الدين فى انكلتره حسبما تجوزه شريعة المسيح وكان هذا فى سنة ١٥٣١ بعد الميلاد ومن ثم ضرب هنرى الضربة الاخيرة التى قطعت حبل المواصلة بين الكنيسـة الانكليزية ورومة ورمى أساسات استقلالية كنيسة مملكته من يد شوكة البابا وفى سنة ١٥٣٢ بعد الميلاد صدر أمر من البرلمان بمنع المبالغ الجسيمة التى كانت تدفع سنويا من طرف الاساقفة ورؤساء الاساقفة للبابا فى نظير نياباتهم وصارت تدفع هذه المبالغ فى المستقبل لمصالح الملك وصـدر أمر من البرلمان سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد بمنع كل قضية تقع فى انكلتره وعدم وصولها ليد البابا أو استئنافها فى ديوانه فتولد من ذلك أن (توماس مور) أمهر رجال الانكليز قدم استعفاءه من وظيفتـه وكان متمسكا بالديانة الكاثوليكية فقبـل هنرى استعفاءه مع الاسف بما كان يعتمده فيه من أموره وأنذرت هذه الاعمـال البابا بالخطر الذى حل به حتى انه سعى بكل اجتهاده فى مسئلة الطلاق وكان يعلم جيدا أن سيره على غـير عدل وحق فى رفضه طلب هنرى الا أنه ما كان عنده طاقة يطفئ بها غضب الامبراطور شارلس وعول هنرى على عدم الصبر زيادة عما مضى وفى سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد تزوج سرا (عانى بولين) وفى هذه السنة فتح رئيس الاساقفة كرانمير محكمته وأعلن بفسخ زواج هنرى بكاترينه ومن بعد ذلك بقليل تتوجت عانى بولين ملكة وصرفت كاترينه ثلاث سنوات كانت باقية من حياتها فى عيشة اعتزالية وماقبلت مع الشدة عدم تنازلها عن لقب ملكة أو تعترف بفسخ زواجها وماتت فى سنة ١٥٣٦ بعد الميلاد

ولما وصل الى البابا أخبار زواج هنري هدده بوضع الحجر الكنائسي عليه ان لم يطرد عاني بولين فقابل الملك تهديد البابا بالاحتقار فألزم الكردينالات البابا وحرضوه على اجراء آخر أعماله ضد هنري فأصدر البابا منشورا بعدم بطلان زواج هنري بكاترينه وأعلن بفسخ زواجه بعاني بولين وشدد البابا في وضع الحجر الكنائسي على هنري حتى تعود المواد الى أصلها ومن بعد مضى قليل تداخل فرنسيس الاول صاحب فرانسا وسعى في الاصلاح بين هنري والبابا ولما خاب في سعيه سلك كلمنت مسلك الشدة والعنف ضد هنري فتولد من توقيع الحجر الكنائسي على هنري قيام الغضب الشديد في الامة الانكليزية وصارت المملكة رجلا واحدا وتكاثف الهياج ووقعت المداولة مع خدمة الدين في مجلس صار عقده فقرروا أن أسقف رومة لا قانون له ولا شيء عنده يجعل له السيادة في مملكة انكلترة زيادة عن أي أسقف أجنبي وبهذا أعلنت كنيسة انكلترة في مجالسها القانوني الكنائسي باستقلاليتها من الحكومة الباباوية ثم ما بقي الا الفصل في مسئلة من يكون رأس الكنيسة الانكليزية فانفصل هذا الامر بواسطة البرلمان في سنة ١٥٣٤ بعد الميلاد بصدور قانون اسمه قانون السيادة تقرر فيه أن الملك هو الرأس الاكبر في الارض لكنيسة انكلترة

ثم ان كنيسة انكلترة وان كانت أثبتت استقلاليتها الا أنه ما حصل تغيير في عقائدها فان هنري ما زال مضاد المصلحين وافتخر بصحة مواده الديانية وغضب الكثير من صدور قانون السيادة ومن ضمن الذين رفضوا قبول هذا القانون (توماس مور وفيشر أسقف روشيستر) وكذا ما أقروا على خروج البرنسيسة مريم من التخت والتاج فسجن (مور وفيشر) في سجن البرج وفي سنة ١٥٣٥ هاج الرهبان وصرخوا بأصواتهم معارضين هذا القانون بما أنهم تبع البابا وظهر الكثير منهم في ثورة على خطر وظهر في كنط بنت اسمها (اليزابث بارطون) نصف مهذبة كانت معدة لمداواة اختناق الرحم وكان من عاداتها أنها تلقي على الناس حكايات غريبة فاعتقد فيها المجانين من الناس بان حكاياتها الهامات ربانية فاطلقوا عليها اسم قينة كنط الولية وعلمها القسس النافرون أن تتكلم بكلام مخالف للعقائد الجديدة التي أخذت لها طريقا في المملكة وفي حق زواج الملك والحكومة ثم ما حصل من كلامها أدنى تأثير وأخيرا قتلت هي ومن أغراها وصمم الملك على ضرب الحزب الروماني ضربة فاصلة فأمر بصدور حكم القتل على (مور وفيشر) نظير خيانات جسيمة وقعت منهما وقتلا في هذه السنة وكان فيشر ترقى بمعرفة البابا الى رتبة الكردينال وهو في السجن ولما وصلت أخبار قتله في رومة وضع البابا (بول الثالث) الحجر الكنائسي على هنري وأعلن بتجريده من تاجه وجعل المملكة تحت هذا الحجر فأشار توماس كروميل وكرانمر على الملك بتوجيه التفاته للمصلحين فما نال منهم قليلا ولا كثيرا وأما دوق نورفلك ورؤساء آخرون من الحزب الكاثوليكي فانهم اجتهدوا في تقوية خضوع الملك وتمسكه بالدين الكاثوليكي وعدم فصل الكنيسة الانكليزية من الكنيسة الرومانية في العقائد الديانية فكان اجتهادهم ضد قوة فعالة لها تأثير زائد عما في ضميرهم وذلك أن التوراة كانت وصلت الى انكلترة وحصل من قراءتها ودراستها تأثير عام في قلوب الناس وفي سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد كان (غليوم طيندال) ترجم هذا الكتاب المقدس الى اللسان الانكليزي ونشره في الاقاليم الواطية من أوروبا فمنع دخوله في انكلترة تحت عقابات شديدة الا أن الطلب له كان أقوى وأكثر فدخلت التوراة ودرست رغما عما انتشر من القوانين الشديدة في حق قراءتها وظهرت الادلة على أن الامة الانكليزية طرحوا

وراء ظهورهم العقائد الكردينالية للدين الرومانى الكاثوليكى وهى مسئلة الحلول وفوواعقيدة تطهير الدين وقتل الكثير من الشهداء وختموا معارضاتهم بدمائهم وهلاك أنفسهم وعاقب هنرى الذين فضلوا تحت سيادة البابا مضادين أشغاله بالموت وكذا الذين جحدوا عقائد الكنيسة الرومانية ومازال على كراهة شديدة للعقائد اللوثيريانيه ووصل مصلحو الانكليز الى طريقة فى مذهب الديانية أرقى من المذهب الذى وصل اليه لوثير ووضعوا عقائد كنيستهم فى درجة أعلى من عقائده ولما رأى كرانمير رئيس أساقفة كانتربورى تأثير قراءة الكتب المقدسة على مطالعيها استحصل فى سنة ١٥٣٦ بعد الميلاد على قرار من المجلسين يطلب من الملك صدور أمر بترجمة الكتب المقدسة بواسطة جمعية تعين من علماء الرجال بمعرفة الملك وتوزع على الامة فعاضدته فى هذا الامر الملكة (عانى - وكروموبل) بحمية شديدة وكانت نتيجة هذه الحالة أن صدق الملك على ترجمة التوراة وكان (يلس كوفردال) ترجمها من قبل وطبعت فى مدينة زوريخ من أعمال السويس وأمر الملك بوضع التوراة كاملة باللسان الانكليزى واللاتينى فى أعظم محل يختار فى داخل مصلحة الكنيسة وفى كل دير وقلاية وكافة جهات الاسقفيات وعلى كل انسان قراءتها فكان ذلك مكسبا وفائدة جليلة للمصلحين فى سنة ١٥٣٦ بعد الميلاد

ثم بعد هذه حصلت حركة مهولة فى انكلتره وذلك أن محلات الديورة والكنائس كانت عديدة كثيرة الاموال وكانت مرتعا للقسس والرهبان ومركزقوية النفوذ عند الكاثوليك وكان دوام وجودها مكروها عند البروتستانت فاغوى (كروموبل) الملك هنرى على الكبس على الديورة والصوامع اذ أنها معاقل للحكومة البابا وية وملأ صناديقه من كنوزها فعين لجنة للفحص فى الديورة فقدمت تقريرها بان هذه الجهات مأوى للعيوب والجرائم فقرر البرلمان باغلبية الاصوات فى سنة ١٥٣٦ بضبط كافة الديورة التى مدخولها أقل من ٢٠٠ ليره سنويا ومن بعد مضى ثلاث سنوات ضبطت كافة الديورة التى مدخولها سنويا يزيد عن ذلك فكان الذى صار ضبطه جميعا ٣٢١٩ من الديورة ومحلات العبادة كان مقدار مدخولها سنويا ١٦١٠٠٠ ليره ورتب بجزء من هذا المبلغ ست أسقفيات ثم أصيب المصلحون بمصيبة شديدة وذلك أن الملكة (عانى بولين) قتلت من بعد مضى ثلاث سنوات من زواجها وكانت مائلة الى عقائد المصلحين وبذلت طاقتها مع الملك فى الالتفات اليهم ولما انقطع أمل هنرى من أن يخلف منها ولدا ذكرا بردت محبته من جهتها وكان أعداؤها مراقبين على الدوام دمارها فبذلوا مجهودهم فى توسيعهم الخرق بين الملك والملكة ونجحوا فى أشغالهم وحضوا الملك على تصديق أقوالهم بان زوجته ليست على صداقته وبما أن هنرى كان فى هذا الوقت مغرما بحب واحدة من حواشى تشريفات الملكة فما وقع عنده أدنى تردد فى ارسال زوجته الى حبس البرج وحول محاكمتها على مجلس من الاعيان وباقامة براهين قبيحة عليها صدر حكم المجلس بقتلها وقطعت رأسها فى البرج الاخضر فى ١٧ مايو سنة ١٥٣٦ وما وقع من كرانمير أدنى مدافعة عن حقها وقال هيوم ان براءة هذه الملكة المسكينة لا يمكن القول بها فى هذه المسئلة لان هنرى فى شدة غضبه ما كان له دراية بالعاشق لها ولا بالمتهم فى محبتها ومع أنه نسب هذه الجريمة لاخيها وأربعة أشخاص آخرين معه الا انه ما قدر على اثبات دليل على واحد منهم سيما وهو متغص من زوجته راغبا فى ازالتها من طريقه كى يتوصل بذلك الى معشوقته يوحانه سيمور فانه تزوج بها فى اليوم التالى ليوم قتل (عانى بولين) وأعلن البرلمان بأن زواج عانى بولين غير شرعى وابنتها اليزابث من هنرى غير شرعية وكانت (يوحانه سيمور) ابنة رجل من عمد (ولطشير)

ولما وصل الى البابا أخبار زواج هنرى هدده بوضع الحجر الكنائسى عليه ا
الملك تهديد البابا بالاحتقار فألزم الكردينالات البابا وحرضوه على اجراء آخر
البابا منشورا بعدم بطلان زواج هنرى بكاترينه وأعلن بفسخ زواجه بعانى
الحجر الكنائسى على هنرى حتى تعود المواد الى أصلها ومن بعد مضى قليل
صاحب فرانسا وسعى فى الاصلاح بين هنرى والبابا ولما خاب فى سعيه سلا
والعنف ضد هنرى فتولد من توقيع الحجر الكنائسى على هنرى قيام الغضب الش
وصارت المملكة رجلا واحدا وتكاثف الهياج ووقعت المداولة مع خدمة الدين
فقرروا أن أسقف رومة لا قانون له ولا شئ عنده يجعل له السيادة فى مملكة ا
أسقف أجنبى وبهذا أعلنت كنيسة انكلتره فى مجالسها القانونى الكنائسى باستقلا
البابا وية ثم ما بقى الا الفصل فى مسئلة من يكون رأس الكنيسة الانكليزية فانفصل
البرلمان فى سنة ١٥٣٤ بعد الميلاد بصدور قانون اسمه قانون السيادة تقرر فيه أ
الاكبر فى الارض لكنيسة انكلتره
ثم ان كنيسة انكلتره وان كانت أثبتت استقلاليتها الا أنه ما حصل تغيير فى عقائدها
مضاد للمصلحين وافتخر بصحة مواده الديانية وغضب الكثير من صدور قانون السيادة و
رفضوا قبول هذا القانون (توماس مور ـ وفيشر أسقف روشيستر) وكذا ما أقروا
البرنسيسة مريم من التخت والتاج فسجن (مور ـ وفيشر) فى سجن البرج وفى سنة ١٥٣٥
وصرخوا بأصواتهم معارضين هذا القانون بما أنهم تبع البابا وظهر الكثير منهم فى ثورة
وظهر فى كنط بنت اسمها (اليزابت بارطون) نصف مهذبة كانت معدة لمداواة اختناق الرحم
من عاداتها أنها تلقى على الناس حكايات غريبة فاعتقد فيها المجانين من الناس بان حكاياتها
ربانية فاطلقوا عليها اسم قينة كنط الولية وعلمها القسس النافرون أن تتكلم بكلام مخالف لله
الجديدة التى أخذت لها طريقا فى المملكة وفى حق زواج الملك والحكومة ثم ما حصل من كلامها
تأثير وأخيرا قتلت هى ومن أغراها وصمم الملك على ضرب الحزب الرومانى ضربة فاصلة فأمر بصدور
حكم القتل على (مور ـ وفيشر) نظير خيانات جسيمة وقعت منهما وقتلا فى هذه السنة وكان فيشر
ترقى بمعرفة البابا الى رتبة الكردينال وهو فى السجن ولما وصلت أخبار قتله فى رومة وضع البابا (بول
الثالث) الحجر الكنائسى على هنرى وأعلن بتجريده من تاجه وجعل المملكة تحت هذا الحجر فأشار
توماس كرومويل وكرانميل على الملك بتوجه التفاته للمصلحين فنال منهم قليلا ولا كثيرا وأما دوق
نورفلك ورؤساء آخرون من الحزب الكاثوليكى فانهم اجتهدوا فى تقوية خضوع الملك وتمسكه بالدين
الكاثوليكى وعدم فصل الكنيسة الانكليزية من الكنيسة الرومانية فى العقائد الديانية فكان
اجتهادهم ضد قوة فعالة لها تأثير زائد عما فى ضميرهم وذلك أن التوراة كانت وصلت الى انكلتره
وحصل من قراءتها ودراستها تأثير عام فى قلوب الناس وفى سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد كان (غيليوم
طيندال) ترجم هذا الكتاب المقدس الى اللسان الانكليزى ونشره فى الاقاليم الواطية من أوروبا فمنع
دخوله فى انكلتره تحت عقابات شديدة الا أن الطلب له كان أقوى وأكثر فدخلت التوراة ودرست
رغما عما نشر من القوانين الشديدة فى حق قراءتها وظهرت الادلة على أن الامة الانكليزية طرحوا

ورراء

اب مختلفة فى كافة أنحاء الارض أمر
د وقرر قانون الست مواد وعرف من
.. يدة الحلول (٣) ان هذا العشاء
.ز واج القسس غير قانونى أو شرعى
(٦) دوام الاعتراف الاذنى فاما
. الاخر فكان بضبط الاملاك
.ا القانون ضربة شديدة على
. أودعوا فى السجون وسجن
. وسياتهم ولاجل زيادة
. على تنفيذ القانون
. فى منزله وبين عائلته
ر) أشار كرومويل
هذا الزواج وذلك
.وص للهجوم
و يكون صدا
.وق كايفس
دة حمقاء
. أشغاله
حها
..
.

تخلفت له فى السنة التالية ولدا اسمه ادوارد ومن بعده مضى بضع أيام ماتت فى سنة ١٥٣٧ بعد الميلاد وتولد من قتل عانى بولين ارتباط العلاقات بين الملك وابنته الكبيرة البرنسيسة مريم فطلب منها الاقرار على سيادته وأن زواج أمها بصفة غير شرعية وكان عمر البنت فى هذا الوقت عشرين سنة صاحبة شهامة كبيرة فصعب عليها ذلك لكنها متيقنة أن سلامتها متوقفة على قبولها ذلك فكتبت له مكتوبا بقبولها طلبه فحظيت عنده بأجل الاحترام

ثم انه تولد من الكبس على الديورة نفور كبير وصل الى أعلى درجة خصوصا فى الجهات الشمالية من انكلتره فان الرهبان الخالين من المساكن صاروا رحالين نزالين من مدينة الى مدينة ومن قرية الى أخرى فأسف الناس على حالتهم وخشوا من تغيير يقع فى مستقبل حالتهم وقالوا انه من بعد أخذ أملاك الكنيسة ما بقى الا ضياع دين آبائهم فتشكل حزب باوى جسيم على أنه يوقف حركة المصلحين بقوة السلاح وقامت ثورة فى نواحى (لنكولن) غير أنه صار اخمادها على الفور ثم قامت أخرى مهولة فى أعمال يورقه تحت قيادة رجل عمده اسمه (عسكى) فى رأس ٤٠،٠٠٠ نفس وتغلب على يورقه وقلعة (يونطفراكط) وانضم رئيس أساقفة يورقه وعدة من الاشراف الى هذه الحركة فى سنة ١٥٣٧ بعد الميلاد وعرفت بالحج المبرور والثناء المشكور فان القسس لبسوا أجل ملبوسهم وساروا فى المواجهة حاملين الصلبان وبيارق مقدسة مخيشا عليها بعض سجعات مقدسة وكان القصد من هذه الثورة طرد المجلس الموجود تحت رياسة الملك وعود الشوكة البابا ويه واخماد البدع فانحطمت هذه الثورة وقتل (عسكى) وكثير من رؤساء أتباعه ثم شرع هنرى فى تخريب المزارات القديمة المقدسة وكانت أموالها لا تحصى فلا الذهب الذى أخذه هنرى من مزار بكت فى كانتربورى صندوقين كبيرين حملهما ثمانية رجال شدادا وما سلب هنرى مزار بكت فقط بل بخسه وقال انه ما كان قديسا بل مات عاصيا خائنا فتولد من هذا الفعل قيام البابا (بول الثالث) محتدا بالغضب وأوقع الحجر الكنائسى على هنرى وجرده من تاجه ووضع المملكة تحت الحجر وأبرأ رعاياه من طاعتهم له ودعا البابا أهل انكلتره وأشرافها لقيامهم على الملك بالسلاح وأعلن بخبثه وحض كافة ملوك الممالك المسيحية وبرنساتها الخاضعين لدار الرسالة البطرسية بتهييج الحرب عليه والقبض على كل من يقع فى أيديهم من رعاياه وصيرورتهم أرقاء لهم فاما فى انكلتره فان هذا السعى ما وقع منه أدنى تأثير لان المصلحين كانوا فى قوة كبيرة وشوكة الملك كانت أيضا جسيمة لكن ما وقع من شدة القيام والاهوال التى تولدت من الكبس على الديورة الصغيرة والكبيرة ما سمع للحزب الكاثوليكى فى نجاحه لو قام فى هذا الوقت فى ثورة وكانت انكلتره ذات بأس شديد على كل دولة أجنبية ترغب الدخول معها فى أى حرب اما على أرضها أو على أرض غيرها وكذا ضاعت قوة شهامة البابا فى عيون ملوك الممالك المسيحية وكان الكردينال (رغينالد بول) حفيد جورج دوق كلرنس وقريب هنرى مقيما خارج المملكة فى هذا الوقت فبذل ما فى طاقته فى حض البرنسات الاجنبية على هياج حرب على انكلتره فكان حضه على غير طائل ولما أشيعت الاخبار ووقع الكشف على مخابرات دسائس خيانية من (لورد مونطاغ) أخو دوق كلرنس المتقدم ذكره وأمه الطاعنة فى السن (مرغريطه) كونتة سلسبورى آخر سلالة بيت أبى مقشه وبعض آخرين وقع القبض عليهم جميعا وقطعت رؤسهم

ثم ان هنرى وان وصل الى هذه الغاية المتقدمة لكنه ما زال متمسكا مع الصداقة بالدين الكاثوليكى

فلاجل انتهاء هذه المشاحنات الديانيــة التى قام فى شأنها أحزاب مختلفة فى كافة أنحاء الارض أمر
هنرى باجتماع مجلس البرلمان فى سنة ١٥٣٩ بعد الميلاد وقرر قانون الست مواد وعرف من
شدته باسم القانون الدموى وكانت مواده الستة هى (١) عقيدة الحلول (٢) ان هذا العشاء
الربانى أى الخبز والخمر غير جائز فى كل من الصنفين (٣) ان عدم زواج القسس غير قانونى أو شرعى
(٤) وجوب نذور الصدقات (٥) عدم الجهر بصلاة القداس (٦) دوام الاعتراف الاذنى فاما
فسخ المادة الاولى فكان العقاب فيه الموت بالحرق وأما الخمس مواد الاخر فكان بضبط الاملاك
فى أول مرة تقع من فاسخها وعقاب الموت فى الثانيــة فكان صدور هذا القانون ضربة شديدة على
حزب المصلحين فى المملكة وفى مدة قليلة وقع القبض على ٥٠٠ نفس وأودعوا فى السجون وسجن
الاسقف (لاطمير) والاسقف (شاكسطون) وأرغما على الاستعفا من قسوسياتهم ولاجل زيادة
شوكة الملك فى هذه الايام المشكلة أصدر البرلمان المذكور لائحة تقوى الملك على تنفيذ القانون
فصار هنرى بذلك مستبدا فى أموره ورخص هنرى لكل رب منزل بأن يكون عنده فى منزله وبين عائلته
الترجمة الجديدة من التوراة ثم انه من بعد مضى ثلاث سنوات من موت (يوحانه سيمور) أشار كرومويل
على الملك بكونه يتزوج زوجة أخرى من بروتستانتى جرمانيا وكان يوجد عدة أسباب لهذا الزواج وذلك
أن شوكة رومة كانت فى شغل كبير من أجل حطم الاصلاح وكانت انكلتره المطلب المخصوص للهجوم
فزواج الملك ببرنسيسة جرمانية بروتستانتية ربما يتولد منه اتحاد ضد مرغوب البابا ويكون صدا
للحزب الذى نجح فى انكلتره فى قانون الست مواد وقدم كرومويل صورة تقاطيع عانى ابنة الدوق كليفس
فأقر عليها وأمر بجلبها الى انكلتره ليتزوج بها ولما رآها الملك خاب ما رآه فى صفتها ووجدها بليدة حمقاء
ليس فيها جاذبية لنفسه وقال انهم ما أرسلوا له الا فرساً فلمنكية وكظم الملك غيظه قبل تنفيذ أشغاله
خشية من قيام البرنسات الجرمانية البروتستانتية بالسلاح مع عدوه الامبراطور شارلس وتزوج بها
فى ٦ ينايرسنة ١٥٤٠ بعد الميلاد ثم ان هنرى ما قدر على كتم بغضه لعانى وغلب عليه حماقته
وغضبه على وزيره الذى كان سببا فى هذا الزواج وصار (كرومويل) مبغوضا فى كل جهة فكان
قدماء الاشراف ينظرون فيه الكبرياء والعظمة عليهم وكرهه خدمة الدين من أجل اغوائه الملك فى
سلب الديورة وقدح فى حقه حزب البروتستانت بسبب معاضدته فى صدور قانون الست مواد فانتهز
أعداؤه فرصة غضب الملك عليه واستحصلوا على رخصة القبض عليه متهما بجريمة كبيرة فوقع
القبض عليه وأرسل الى البرج وصدر الحكم بقتله وقطعت رأسه فى ٢٨ يوليه سنة ١٥٤٠ بعد
الميلاد فكانت هذه الواقعة نصرة أخرى لاعداء المصلحين وأخذت الاحتياطات اللازمة فى الوقت فى
فسخ المحالفة مع البرنسات البروتستانتيه فى جرمانيا بطلاق (عانى كليفس) وتيسر الحصول على رخصة
الطلاق بسبب انه كان على غير مرغوب الملك ورضيت عانى بالاقامة فى انكلتره ورتب لها معاشا سنويا
قيمته ٣,٠٠٠ ليره وأقامت فيها حتى ماتت فى سنة ١٥٥٧ بعد الميلاد

ومن بعد موت كرومويل أسرع هنرى فى تزوجه بزوجته الخامسة (كاترينه هوارد) ابنة أخى
دوق نورفلك فاصيب هنرى بقطعة من العذاب بما أجراه فى حق زوجاته من الافعال القبيحة وذلك
أنه من بعد مضى ماينوف عن سنة من زواجه بكاترينه وجدها امرأة مشهورة بالفجور وكثر ورود
أخبار فجورها عليه حتى قامت فى رأسه الغيرة وعزم على البطش بها وتبدل حبه لها بالكراهة وذاقت

كاترينه ماذاقته عانى بولين فى ١٢ فبرايرسنة ١٥٤٢ وقتل الكثير من الذين كانوا مغرمين بعشقها ومن بعدموت كرومويل وزواج الملك بكاترينه هوارد عاد الكاثوليك للشوكة غير أنهم ما تجاسروا على أن يسلكوا المسلك الذى كانوا عازمين عليه من عود الديانة الرومانية خوفا من أن نفوذهم عند الملك ربما يضيع لوحصل منهم أدنى هياج فمن ثم داوموا على المحافظة على تأييد نفوذهم عليه بصفة أنهم مؤمنون بالتحليل وقووا قانون المواد الستة مع الشدة وفى ١٢ يونيه سنة ١٥٤٣ تزوج هنرى بزوجته الاخيرة (كاترينه بار) أرملة (لورد لاطيمير) فكانت حائزة للفضائل ماهرة تمكنت سلطتها عليه حتى مات وفى هذه السنة بطلت الرخصة العمومية المتعلقة بقراءة التوراة غير أنه يجوز للطوائف العالية والتجار وأرباب البيوت الكبيرة قراءتها ومحرم قراءتها على العوام فساعدت كاترينه بار حزب المصلحين فى السر وهذبت البرنس ادوارد والبرنسيسة ازابلا على العقائد البروتستانتية التى كانت هى عليها وكانت العبادات والصلوات لحد هذا الوقت قائمة فى الكنائس باللسان اللاتينى مع أنها كانت مترجمة باللسان الانكليزى ولما رأى (غاردنير) أسقف ونشيستر ميل الملكة الى الحزب البروتستانتى اجتهد مع الحزب الكاثوليكى فى اجراء الاعمال القاضية بهلاكها وفازوا بقتل (عانى اسكيو) واحدة من خدم الملكة من بعد أن عذبوها العذاب الشديد فى أخذهم منها أقوالا تكون سببا فى هلاك الملكة وما استحصلوا من اجتهادهم على طائل فوقع الغيظ فى قلوبهم ووجهوا غضبهم على كرانمير وأعرضوا لهنرى بان القسس والعلماء من رجاله أفسدوا المملكة بالبدع الحاصلة منهم فى الدين وسألوه جلب كرانمير الى حبس البرج وكان هنرى يجل كرانمير ويحترمه وكان معه على صداقة تامة فقال (لغاردنير) وأتباعه صراحة اسلكوا مسلكا آخر بعيدا عن رئيس الاساقفة كرانمير وصدهم مع تقطيب الوجه بكونهم لا يقيمون يدا فى أمر القسيس وقال لهم انه عدل صادق متبع للحق نابذ للباطل فمن هذا الوقت خلصت الملكة وكرانمير من كيد الرومانيين ودسائسهم

وكان هنرى مجتهدا من بضع سنين فى صيرورة مملكة اسكوطلنده فى ارتباط واحد مع انكلتره الا أنه من عهد وقوع المنافسة مع رومة اشتغل أصدقاء البابا بدس الدسائس ووقوع القلاقل فى انكلتره وقوى جمس الخامس صاحب اسكوطلنده ابن أخت هنرى وكان كاثوليكى الدين ومحالفا للبابا رعاياه على الاغارة على انكلتره فمن ثم أعلن هنرى حربا على اسكوطلنده وفى حالة اقامة الجيش الانكليزى فى برويك دخل قوة مؤلفة من ١٠,٠٠٠ نفس من الاسكوطلنديين فى كمبرلند فهزمها قوة من الانكليز مؤلفة من ٥٠٠ نفس بالقرب من سلوى فى سنة ١٥٤٢ بعد الميلاد وهرب الاسكوطلنديون الى بلادهم فازداد بجمس الزعل من هذه الهزيمة حتى اعتزل بنفسه عن الناس ومات من شدة الحزن ومن بعد موته بقليل وضعت زوجته طفلة فرغب هنرى فى زواج ابنه ادوارد بهذه البرنسيسة التى اشتهرت فيما بعد باسم مريم ملكة اسكوطلنده غير أن الحزب البابوى فى أسكوطلنده رفض قبول هذا الزواج وعقدوا محالفة مع ملك فرانسا فعول هنرى على تقوية طلبه وأرسل جيشا الى أسكوطلنده تحت قيادة ارل (هيرطفورد) أخو الملكة (يوحانه سيمور) فخرب المملكة ونهب ايدنبورغ وانتقم من فرانسا باشعال حرب عليها وتغلب على بولونيه فى سنة ١٥٤٤ من بعد حصار قصير واستمر الحرب سنتين من دون حصول نتائج مفيدة ثم عقد الصلح فى سنة ١٥٤٦ بعد الميلاد ووقع الاتفاق فيه على أن هنرى يعيد بولونية الى فرانسا بعد مضى ثمان سنوات ويأخذ فى نظير ذلك مبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ كراون وكذا عقدت

اسكوطلنده

أسكوطلنده معاهدة مع انكلتره وكان حرب الاحزاب الديانى مستمرا فى المملكة كما كان عليه فى الاصل غير أنه فى السنة الاخيرة من حياة هنرى وقع تغيير موافق لحزب حركة الاصلاح وذلك أنه فى سنة ١٥٤٦ قدم الملك انضمامه مع البرنسات اللوثيريانية فى اتحاد تدافعى وتعرضى عرف بالاتحاد المسيحى وأوعز رئيس الاساقفة كرانمير الى الغاء صلاة القداس ورأى أحزاب الانكليز الكاثوليكية ميل الملك الى تقدم الحزب البروتستانتى فدسوا الدسائس من أجل عود الشوكة البابا وية وكان نظر هؤلاء الاحزاب واقعا فى عائلة دوق نورفلك فاشتغل ارل سورى ابن الدوق بدس الدسائس من أجل أن يتحصل لعائلته على سيادة الشوكة فى انكلتره من بعد موت الملك فوضع على ترسه علامة الوارث للتخت من بعد الملك ومن ثم صار لاعدائه طاقة فى كونهم يتهمونه بان غرضه التخت والتاج فأمر الملك بالقبض على الاب والابن وحكم على الابن الشاب بالقتل من أجل هذه الخيانة وقتل فى ١٩ ينايرسنة ١٥٤٧ بعد الميلاد وحكم على دوق نورفلك أيضا بالاعدام لاشتراكه فى مشروع ابنه الا أنه قبل انفاذ حكم القتل عليه مات الملك هنرى الثامن فى ٢٨ ينايرسنة ١٥٤٧ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن نحوا من ثمان وثلاثين سنة وبلغ من العمر ستاوخمسين سنة ودفن فى كنيسة (سنت جيورج) فى (وندسور) وكان أوصى بالتخت فى حال حياته لابنه ادوارد ثم لمريم ثم لاليزابث وعند انقطاع الخلف لوارث أخته مريم وكانت متزوجة بدوق سوفلك وفى مدة سلطنة هنرى زاد عدد أعضاء مجلس المبعوثان جدا بسبب كثرة مازاد الملك فيه من أجل معاضدة أعماله وجعله آلة فى يده يستعين بها على انقياد وخضوع مجلس الاعيان وفى سنة ١٥٣٦ انضم اقليم الويلس واتحد مع انكلتره وأرسل نوابا من طرفه الى البرلمان وفى سنة ١٥٤٢ صارت ارلنده مملكة وفى وقت جلوس هنرى على التخت كانت حكومته ممتدة على ميناها البحرية وكونتاتها الشرقية فقط ومابقى من الجزيرة كان تحت حكم ستين رئيسا من الارلنديين وثلاثين من ذرية الانكليز فانتصر هنرى على هؤلاء الرؤساء وأغواهم على الانقياد والاقرار بسيادته فى المواد الداخلية والروحانية وهذا الملك مرعى بأنه المؤسس للعمارة البحرية الملوكية وفى مدة سلطنته كان اختراع البنادق وحلت محل القوس والنشاب وترتبت مصالح المواليد والمتوفين والزواج بمعرفة كروموبل

سلطنة ادوارد السادس

وخلف هنرى ابنه الاصغر (ادوارد السادس) وكان شابا يبلغ من العمر عشر سنوات وتربى على عقائد الاصلاح فتعين (ارل هيرطفورد) أخو الملكة يوحانه سيمور محافظ المملكة وترقى الى رتبة دوق (سمرسيط) فكان رجلا سلابا طماعا غير أنه كان محبوبا جدا عند العوام وكانت أول أشغاله هو قهر الاسكوطلنديين على تنفيذ معاهدة الزواج بين ادوارد السادس ومريم استيوارت فمن ثم أغار على اسكوطلنده من أجل هذا الغرض وهزم الاسكوطلنديين فى نواحى (پنكى) فى سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد ومع أنه لم ينجح فى تنفيذ المعاهدة الا أنه باجرا آته اكتسب شهرة عظيمة فى انكلتره وفى السنة القابلة أصلح الاسكوطلنديون المسئلة بارسالهم ملكتهم مريم الى فرانسا حيث تزوجت بولى عهد فرانسا وأسرع المحافظ فى العود من اسكوطلنده الى انكلتره من أجل اخماد دسائس وقعت من أخيه (لورد سيمور) اميرال انكلتره وكان تزوج (كاترينه بار) أرملة هنرى الثامن وكان أشد طمعا وأقبح من أخيه المحافظ فحسد هذا الرجل الجليل نعمة أخيه ودس الدسائس فى قلب حكومته ومن بعد موت زوجته كاترينه بار عرض فى زواج البرنسسة اليزابث وكان عمرها فى هذا الوقت ست عشرة سنة ثم

[illegible] فى [illegible] وجراءه فقطعت رأسه فوق تل [illegible] ٢٠ [illegible] سنة ١٥٤٩ بعد الميلاد

[illegible] الكنيسة الانكليزية ومن المعلوم أن المحافظ له رغبة [illegible] في [illegible] المذين ضغط عليهم هنرى الثامن من أجل [illegible] واتحد الناس فى كثير من الجهات وتطفوا الكنائس [illegible] من دون أن ينتظروا تعليمات من المتقلدين زمام [illegible] سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد صدر أمر من الحكومة بتطهير الكنائس ورمى [illegible] الموجودة فى الشبابيك وبياض حيطان الكنائس [illegible] فى حق الاولياء والقديسين وعينت الحكومة لجنة [illegible] فى شأن [illegible] وتنفذ مفعول القانون الصادر من [illegible] منها أمر من الزوم ووضع توراة كبيرة باللسان [illegible] الانجيل وقيام العبادة والصلاة فى الكنائس باللسان [illegible] فى الكنائس باللسان الانكليزى من أجل تقوية [illegible] للملكة ولما اجتمع البرلمان ألغى قوانين [illegible] وقانون الست مواد الذى صدر فى مدة [illegible] فى الكنائس كتابا جديدا فى الصلاة [illegible] فى سنة ١٥٤٩ بعد الميلاد وفى [illegible] أصدر من طرفه عرف بقانون [illegible] مشتملة على عقائد الكنيسة [illegible] ثم فى هذا الوقت [illegible] الى أيامنا [illegible]

غض[illegible]
منهم فى [illegible]
صداقة تام[illegible]
وصدهم مع تق[illegible]
نابذ للباطل فمن هد[illegible]
وكان هنرى مجتهدا مـ[illegible]
عهد وقوع المنافسة مع
جمس الخامس صاحب اسك[illegible]
الاغارة على انكلترة فمن ثم أعلن
دخل قوة مؤلفة من ١٠,٠٠٠ [illegible]
من ٥٠٠ نفس بالقرب من سلوى [illegible]
فازداد جمس الزعل من هذه الهزيمة [illegible]
بقليل ووضعت زوجته طفلة فرغب هنرى
باسم مريم ملكة اسكوطلنده غير أن الحزب [illegible]
محالفة مع ملك فرانسا فعول هنرى على تقوية [illegible]
(هيرطفورد) أخو الملكة (يوحانه سيمور) فخرب [illegible]
حرب عليها وتغلب على بولونيه فى سنة ١٥٤٤ من [illegible]
حصول نتائج مفيدة ثم عقد الصلح فى سنة ١٥٤٦ بعد [illegible]
لونية الى فرانسا بعد مضى ثمان سنوات ويأخذ فى نظير ذلك مبلغ

من الاشغال التى كان تعيشهم منها وزاد الضرر من كثرة عدد الاحرار الذين أخرجوا من دوائر الاشغال الالتزامية وصاروا خالين من الاشغال ومن ثم انخفضت أسعار الايجارات وصارت الحالة أقبح من انحطاط أسعار النقود وزيادة أسعار الغلال وتعسر وجود الخبز وجمع أرباب الاراضى كثيرا من العوام وأصلحوا الاورمانات فى صفة حدائق وأحاطوها بزربيات وسياج وعملوا فيها أخصاصا وجعلوها مراعى لمواشيهم وصدر من الحكومة قوانين تقضى باغاثة الفقراء وخلاصهم من الجوع فكانت على غير طائل وتولد من حب المكاسب طرق كثيرة فى عدم قبول القوانين الصادرة من الحكومة بعدم زيادة الاسعار وامتلائت القرى والسكك بالعائلات التى طردت من أشغالها وآلت بهم الاحوال الى السؤال واستغاث كثير من المزارعين فى رعاية الحكومة لهم بسبب ماعندهم من كثرة الاطفال الباكين من الجوع من بعد أن كانوا فى أماكن عظيمة فما كان من سبيل فى خلاصهم وكان يوجد فى الازمان الاولية للفقراء والسياحين كنائس وديورة تخلصهم من جوعهم وتؤويهم اليها لكن لاوجود لها فى هذا الوقت بسبب ماحصل من دمارها فى السلطنة السابقة فلم يكن لهؤلاء المساكين طريق الا الشحاذة من محل الى آخر وهذه الطريقة غير مصرح بها من الحكومة فأصدرت الحكومة منشورا لاجل انقراض دابر الشحاذين الذين ملؤا أرض المملكة وكانت هذه المنشورات شديدة فى أعمالها قاضية بان كل من سأل من دون رخصة يضرب أو يكوى بحاوير من نار أو تقطع أذنه ويصير رقيقا مدة حياته أو يشنق ووقع هذا العقاب بالفعل على كثير من المجرمين وكان هذا الاجرام سببا فى قيام أعداء المصلحين فان كثيرا من الرهبان الذين لامأوى لهم حضوا الامة على التفاتهم الى هذه التغييرات التى حصلت فى الديانة وكانت السبب الاكبر فى صيرورة حالتهم الى ماهم عليه من الفقر فاشتعلت نيران الثورات بسرعة فى جهات عديدة من المملكة الا أنها كانت أشد وقعا وخطرا فى نواحى (كورنوال ـ ديفونشير ـ ونورفلك) وظهر فى كورنوال وديفونشير ١٠٫٠٠٠ نفس تحت السلاح وطلبوا [illegible] الدين القديم وقطع دابر الدين البروتستانتى بالسيف والنار فارسل فى سنة ١٥٤٩ لورد روسيل [illegible] ومن بعد محاربة شديدة تشتت الثائرون بخسارات جسيمة وقتل زعماء الثورة فى لوندره مع الكثير من الطوائف الدنيئة بقانون مخصوص وكان قيام الثورة فى نورفلك أشد فان شخصا اسمه كيط أغنياء المزارعين شيد لنفسه معسكرا فوق جبل (حوشهيلد) بالقرب من (نورويتش) وجمع حوله [illegible] من المزار[illegible] كان كيط المذكور يجلس كل يوم تحت ظل شجرة بلوط من مفاوز هذه الجهة العدل [illegible] عدا الجهات على غياث الفقراء ثم طلب عصاة نورفلك قطع دابر الجين [illegible] اصل منها الاذى فى المملكة فأغار عليهم ارل واروبك فى قوة نفس [illegible] نفس فى ميدان الواقعة وشنق كيط فى قلعة نورويتش [illegible] منها الارتبا كات أساسا فى تعيين عمال بوظيفة

[illegible] كون عدوا للملك

[illegible] المحافظ وكانت حكومة انكلتره [illegible] امتياز من الملك لزيادة شوكته [illegible] رفقائه الموجودين معه [illegible] انه كان مساعدا

وقفت دسائسه ومشروعات طمعه وصدر فى حقه منشور بفساده وجرائمه فقطعت رأسه فوق تل البرج فى ٢٠ مارث سنة ١٥٤٩ بعد الميلاد

وفى هذه السلطنة ظهر تقدم اصلاح الكنيسة الانكليزية ومن المعلوم أن المحافظ له رغبة شديدة فى تقدم هذه الحركة وكان ارتقاؤه فى الوظيفة اشارة للذين ضغط عليهم هنرى الثامن من أجل عدم خطابتهم ضد العيوب الواقعة من الكنيسة واتحد الناس فى كثير من الجهات وتطفوا الكنائس من الاشياء التى يظنون انها من المواد المحرمة من دون أن ينتظروا تعليمات من المتقلدين زمام الاحكام وفى مبادى سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد صدر أمر من الحكومة بتطهير الكنائس ورمى التماثيل الموجودة فيها واآلة القبايح وهى الزجاج الموجودة فى الشبابيك وبياض حيطان الكنائس والديورة وازالة الكتابة الانجيلية الخرافية فى حق الاولياء والقديسين وعينت الحكومة لجنة للتفتيش فى المصالح الكنائسية وتقدم تقاريرها فى شأن الديانة وتنفيذ مفعول القانون الصادر من المجلس وصدر أمر آخر من المجلس مشتمل على بعض مواد منها أنه من اللزوم وضع توراة كبيرة باللسان الانكليزى فى كل كنيسة ونسخة أيضا من الاناجيل وتقام العبادة والصلاة فى الكنائس باللسان الانكليزى وكتب كرانمير اثنى عشرة خطبة تخطب فى الكنائس باللسان الانكليزى من أجل تقوية مادة الاصلاح فقبلت هذه التغييرات فى معظم جهات المملكة ولما اجتمع البرلمان ألغى قوانين هنرى الرابع وهنرى الخامس التى صدرت فى حق اللولارديين وقانون الست مواد الذى صدر فى مدة سلطنة هنرى الثامن ثم تألفت لجنة مشكلة من الاسافقة قررت فى الكنائس كتابا جديدا فى الصلاة عرف باسم الكتاب الاول للصلاة تأليف كرانمير وكانت مبادى نشره فى سنة ١٥٤٩ بعد الميلاد وفى هذا الوقت قوى البرلمان على استعمال هذا الكتاب فى الصلاة بأمر أصدره من طرفه عرف بقانون التعديل وفى سنة ١٥٥١ بعد الميلاد تقرر اثنتان وأربعون مادة ديانية مشتملة على عقائد الكنيسة الانكليزية وصار تنقيح الكتاب الاول فى الصلاة فى السنة التالية وصدر قانون تعديل ثان فى هذا الوقت أيضا وهذه التغييرات الكبيرة التى حصلت فى الكنيسة الانكليزية واستمر العمل جاريا عليها الى أيامنا هذه صار اجراؤها تحت مناظرة رئيس الاساقفة (كرانمير) وريدلى أسقف لوندره وما انفصلت وقائع الجور الديانى مع شغل الاصلاح وما وقعت الاباحة فى سير العقائد فى أى جهة بل صدرت الأوامر المشددة على العمل بالكتاب الاول فى الصلاة على عموم الناس والذين يضادون هذا الكتاب يعاملون بصفة أنهم مرتدون ويعاقبون على مقتضى نص القوانين المقررة فى مخالفة الدين ومن أجل هذا صار حرق (يوحنا بوخير) من أهل كنط وآخر اسمه دوباريس (من الدانش) أو الفلمنك

ثم تولد من الاصلاحات الديانية فى هذه السلطنة غضب زائد فى كثير من جهات المملكة وكان الكثير من الناس دخل فى شغل الاصلاح حبا فى غاياتهم وحافظوا على مكاسبهم زيادة عن حقيقة دخولهم فى الدين فتولد من سلبهم قيام كثير من أعدائهم غير انه كانت توجد أسباب أخرى تولد منها هياج الامة وذلك أنه كان موجودا جميعة تألف تغيير جارية خطوة بخطوة ومع تقدم حركة الاصلاح نشأت من تكسير المادة الالتزامية ووقع بين أرباب الاراضى والمزارعين اختلافات فى الرأى وفى حقوق الملكية وتولد من غلو أثمان الاصواف ورخص أثمان الاغنام اغواء أرباب الاراضى على أيلولة أراضيهم التى كانت قابلة للزراعة والحراثة الى أراضى كلاومرعى للاغنام وجمعوا عدة فلاحات فى واحدة فمن ثم حرم الشغالون

من

من الاشغال التى كان تعيشهم منها وزاد الضرر من كثرة عدد الاحرار الذين أخرجوا من دوائر الاشغال الالتزامية وصاروا خالين من الاشغال ومن ثم انخفضت أسعار الايجارات وصارت الحالة أقبح من انحطاط أسعار النقود وزيادة أسعار الغلال وتعسر وجود الخبز وجمع أرباب الاراضى كثيرا من العوام وأصلحوا الاورمانات فى صفة حدائق وأحاطوها بزربيات وسياج وعملوا فيها أخصاصا وجعلوها مراعى لمواشيهم وصدر من الحكومة قوانين تقضى باغاثة الفقراء وخلاصهم من الجوع فكانت على غير طائل وتولد من حب المكاسب طرق كثيرة فى عدم قبول القوانين الصادرة من الحكومة بعدم زيادة الاسعار وامتلأت القرى والسكك بالعائلات التى طردت من أشغالها وآلت بهم الاحوال الى السؤال واستغاث كثير من المزارعين فى رعاية الحكومة لهم بسبب ماعندهم من كثرة الاطفال الباكين من الجوع من بعد أن كانوا فى أماكن عظيمة فما كان من سبيل فى خلاصهم وكان يوجد فى الازمان الاولية للفقراء والسياحين كنائس وديورة تخلصهم من جوعهم وتؤويهم اليها لكن لاوجود لها فى هذا الوقت بسبب ماحصل من دمارها فى السلطنة السابقة فلم يكن لهؤلاء المساكين طريق الا الشحاذة من محل الى آخر وهذه الطريقة غير مصرح بها من الحكومة فأصدرت الحكومة منشورا لاجل انقراض دابر الشحاذين الذين ملؤا أرض المملكة وكانت هذه المنشورات شديدة فى أعمالها قاضية بان كل من سأل من دون رخصة يضرب أو يكوى بمحاور من نار أو تقطع أذنه ويصير رقيقا مدة حياته أو يشنق ووقع هذا العقاب بالفعل على كثير من المجرمين وكان هذا الاجرام سببا فى قيام أعداء المصلحين فان كثيرا من الرهبان الذين لامأوى لهم حضوا الامة على التفاتهم الى هذه التغييرات التى حصلت فى الديانة وكانت السبب الاكبر فى صيرورة حالتهم الى ماهم عليه من الفقر فاشتعلت نيران الثورات بسرعة فى جهات عديدة من المملكة الا أنها كانت أشد وقعا وخطرا فى نواحى (كورنوال ـ وديقونشير ـ ونورفلك) وظهر فى كورنوال وديقونشير ١٠٫٠٠٠ نفس تحت السلاح وطلبوا عود الدين القديم وقطع دابر الدين البروتستانتى بالسيف والنار فأرسل فى سنة ١٥٤٩ لورد روسيل عليهم ومن بعد محاربة شديدة نشتت الثائرون بخسارات جسيمة وقتل زعماء الثورة فى لوندره مع الكثير من الطوائف الدينية بقانون مخصوص وكان قيام الثورة فى نورفلك أشد فان شخصا اسمه كيط من أغنياء المزارعين شيد لنفسه معسكرا فوق جبل (حوشهيلد) بالقرب من (نورويتش) وجمع حوله ١٦٫٠٠٠ من المزارعين وكان كيط المذكور يجلس كل يوم تحت ظل شجرة بلوط من مفاوز هذه الجهة ويقيم قانون العدل بينهم ويحض عمد الجهات على غياث الفقراء ثم طلب عصاة نورفلك قطع دابر الاصلاح والمصلحين وازالة الاحوال الحاصل منها الاذى فى المملكة فأغار عليهم ارل وارويك فى قوة مؤلفة من ٦٫٠٠٠ نفس وقتل منهم ٢٫٠٠٠ نفس فى ميدان الواقعة وشنق كيط فى قلعة نورويتش وطفئت الثورات بالكلية فى سنة ١٥٤٩ فكانت هذه الارتباكات أساسا فى تعيين عمال بوظيفة نواب فى الكونتات بأوامر ومعهم رجال يزحفون بهم على من يكون عدوا للملك

ثم ان جميع ماوقع من الارتباكات فى المملكة آل سوء أمره على رأس المحافظ وكانت حكومة انكلتره صعبة وكان للمحافظ أولا كثير من الاعداء المضادين له وكان استحصل على امتياز من الملك لزيادة شوكته بالنسبة لما كان فيه من الطمع فمن ثم فعل كثيرا من الاشياء من دون المداولة مع رفقائه الموجودين معه فى المجلس فراعاه الاشراف القديمة مراعاة انه حاز الكبرياء والعظمة وكرهوه بسبب انه كان مساعدا

للفقراء في وقوع المصائب على الاغنياء وكرهه حزب الكنيسة الرومانية بسبب حميته في أشغال المصلحين وقبحه الكثير من الناس في قتله أخاه (لوردسيمور) وتولد من السراية الفخيمة التي شيدها في لوندره غيرة الاشراف منه ووقوع الحقد في قلوب الامة ولاجل تيسره على الحصول على المهمات والزمن الكافي ابنائها هدم كنيستين وثلاثة مساكن أساقفة والديورة التي كانت تابعة لتلك المساكن وأخذ أنقاضها وأدخلها في عمارة السراية وكانت أعماله الخارجية غير ناجحة فانه صار طرد محافظي الانكليز من قلعتي (بروغطي ـ وهادنغطون) من أعمال اسكوطلنده وصار الفرنساوية على شرف التغلب على بولونيه وكان ألد أعداء سمرسيط في مجلس النيابة (دادلي) ارل وارويك وكان ترقى الى رتبة ويسكونت ليسل في مدة هنري الثامن ثم تعين في مجلس النيابة وحاز لقب ارل وارويك في وقت جلوس ادوارد السابع وظهر من ارل وارويك واخرين من المجلس نفورهم من حكومة المحافظ وشرعوا في الاستقلال على حدتهم من حكومته فغضب سمرسيط من هذا الفعل واتهم المجلس بالخيانة وعزم على عود حكومة البابا واستغاث بالامة في مساعدته على المحافظة على التاج وأخذ الملك الشاب تحت كينه من سراية همبطون الى وندسور ولما خاب سعيه في قيام الامة من أجل مساعدته التزم على تسليم نفسه لما رغبه المجلس فأرسله المجلس لحبس البرج في نظير اغتصابه سلطة الملك ثم اعترف سمرسيط أمام المجلس وهو جاث على ركبتيه بالجرائم التي توجهت عليه فجرده البرلمان من وظائفه وصدر عليه حكم غرامة مقدارها ٢٠٠٠ ليره في اقطوبرسنة ١٥٤٩ بعد الميلاد تدفع هذه الغرامة من طرفه سنويا الا انه بواسطة شفقة الملك خلصه من دفع هذا المبلغ وأعاده لحريته ومن بعد قليل عاد الى المجلس كما كان وأظهر ارتباط علاقاته مع خصمه أرل وارويك حتى زوج ابنته للابن الكبير لهذا الارل ولما سقط دوق سمرسيط صار دوق وارويك هو الرجل الرئيس في مجلس النيابة فما اكتفى بهذا المركز بل ساقه طمعه الى الحصول على ارلية (نورثمبرلند) فاستحصل عليها مع لقب دوق وكان عشمه في أشياء أخرى ينجح فيها غير أنه رأى أن سمرسيط السد المانع لمطامعه فعزم على ازالته من طريقه وكان سمرسيط مستيقظا لما في ضمير نورثمبرلند فدس الدسائس في زوال حكومته فاكتشف نورثمبرلند على دسائسه فأمر بالقبض عليه واتهمه بثورة في القبض على الملك بدسائس في فقد حياة بعض أعضاء المجلس وحكم عليه بضبط أملاكه وقطعت رأسه في ٢٢ ينايرسنة ١٥٥٢ بعد الميلاد وحزن عليه عوام الامة ثم صارت رياسة الحكومة في أيدي نورثمبرلند فاظهر للملك الشاب محبته بظهور غيرته وحمايته للاصلاح ولما أخذت صحة ادوارد في الضعف ابتدأ نوثمبرلند في أن يحصل على التاج لعائلته فزوج ابنه الرابع (لوردغيلفورد دادلي) بالست (يوحانه غري) ابنة (مركيزه دورسيط) وحفيدة هنري السابع وعلما أنه كان يعرف جيدا محبة ادوارد للاصلاح شرع في المحافظة على سلامة نفسه لو خلفته أخته مريم على التخت وكانت مشهورة بانها متمسكة جدا بالدين الروماني وحض الملك على كونه يصرف النظر عن حقوق مريم وكذا حقوق اليزابث ويخرج كلتا الاثنتين من وراثة التخت ويوصي بالتاج من بعد موته الى الست يوحانه غري فرضي الملك بهذا الرأى وأمر القضاة بتحرير وصايا بنتيجة هذه المسئلة فترددوا أولا في اتمام هذا الشغل فهددهم نورثمبرلند وتم أمر الملك ووقع على الوصاية رؤس الاشراف في (غرليونتش) وأضافوا اسم كرانمير في آخر الاسماء ومن بعد هذه الحادثة ثقل المرض على ادوارد ومات في (غرليونتش) في ٦ يوليه سنة ١٥٥٣ بعد الميلاد وكان موته مصيبة كبرى على انكلتره

فان

فان القليل من الشبان كانوا مشهورين بالحكم على أمم كبيرة غير أنهم ما تركوا وراءهم شيأ من الخيرات والفضائل وأنه ما وجد في تاريخ الانكليز أحد من ملوكهم أذكى وأظرف من ادوارد السادس قد أخذ الاصلاح في مدته حده ومع أن الحزب الكاثوليكي كان قويا الا أنه كان بعيدا من آماله وعود ديانته مرة أخرى ولو عاش ادوارد لانقطعت المناقشات وانفصل حكم المسئلة التي تم فصلها في مدة سلطنة أخته اليزابث من دون وقوع قلاقل وسفك دماء في مدة سلطنة أخته مريم ومن بعد موت ادوارد السادس أعلن نورثمبرلند بجلوس الست يوحانه غري البنت الكبرى (لماركيز دورسيط) الذي ترقى أخيرا الى رتبة دوق سوفلك وكان عمرها ست عشرة سنة وكانت نبيهة ولها معلومية تامة باللغة الجريقية واللاتينية وكانت تقية محبوبة حائزة للفضائل وتولد لها من وصول أخبار جلوسها على التخت الحزن الشديد وكان لبسها التاج في الحقيقة على غير رغبة منها بسبب طمع حماها ولقبت بلقب ملكة اثنى عشر يوما وفي أثناء هذه المدة هربت مريم ابنة (كاترينه أراغون) من العساكر الذين أرسلوا بمعرفة نورثمبرلند للقبض عليها وقوبلت مع الاجلال باشراف سوفلك وأحاط بها الرجال فسار دوق نورثمبرلند الى سوفلك في رأس قوم مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس فهرب غالب هذه القوم منه في طريق سيره وضعف حاله والتزم على القهقرة وقوبل جلوس مريم في كل جهة مع الفرح واتجهت أصوات المجلس الذي كان وقع على ورقة الوصاية التي أوصى بها ادوارد السادس نحوها وسار على منوال أرباب المجلس أهل لوندره ووقع القبض على نورثمبرلند وأرسل الى البرج مع (دوق سوفلك — وغيلفورد دادلي — والست يوحانه غري) وآخرين فأما نورثمبرلند فقطعت رقبته وأما سوفلك فحصل العفو عنه وصار حبس الست يوحانه غري وزوجها حبسا شديدا تحت حكم الموت ودخلت مريم لوندره مظفرة ومعها عاني كليفس مطلقة أبيها والبرنسيسة اليزابث في ٣ أغسطس سنة ١٥٥٣ بعد الميلاد

وكان اليوم الذي جلست فيه (مريم طودور) على كرسي المملكة يوما مظلما على انكلتره لان مريم كانت أمل الكاثوليك كما كان ادوارد وكما تكون اليزابث أمل البروتستانت فانه في مدة سلطنة أخيها دامت مريم على تمسك ثابت بالدين الكاثوليكي وكان يوم جلوسها من أصعب الايام تولد منه الغاء أعمال أخيها وعزمت على عود الديانة الكاثوليكية وعاد (غاردنر) أسقف ونشيستر (وبونير) أسقف لوندره وآخرين من الاساقفة كانوا عزلوا من وظائفهم في السلطنة السابقة الى محلات قسوسياتهم ووقع القبض من جهة أخرى على (هولغات) رئيس أساقفة يورقه (وكوفردال) أسقف عكسطير (ولاطيمر) أسقف ورسيستر وأودعوا في السجن وتقوى خدمة الدين عموما على احياء صلاة القداس وكافة شعائر الديانة القديمة من دون انتظار لأمر العقائد الغريبة التي وجدت لها ملجأ في انكلتره في السلطنة السابقة صدر في حقها أمر بالخروج من المملكة ومع أنه صار حض كرانمير على الهرب من الضرر الذي سيحل به الا أنه رفض أن يترك مركزه ومن بعد مضى بضع أسابيع وقع القبض عليه وأرسل الى سجن البرج متهوما في خيانة جسيمة غير أنه ما توقع عليه عقاب الموت ثم انعقد البرلمان باحتفال زائد بصلاة القداس باللاتيني احتقارا للقانون ثم صدق هذا المجلس على زواج هنرى الثامن بكاترينه أراغون وأبطل صورة الطلاق التي حررها كرانمير وألغيت اللوائح التي صدرت في حق الديانة في السلطنة السابقة وعادت هيئة الديانة على ما كانت عليه في السنة الاخيرة من سلطنة هنرى الثامن وعاد في السنة التالية الكردينال بول الى انكلتره بصفة نائب البابا وطلب من البرلمان ربط علاقاته

سلطنة مريم الاولى

مع البابا فقرر التماسا طلب فيه العفو عما جنته الامة من الخطا وترجى قبولهم مرة ثانية فى ضمن تبعة الكنيسة الرومانية وقدم غاردنر هذا الالتماس الى الكردينال وجثا البرلمان فى الدار البيضاء على ركبتيه وتلقى من بول كلمات العفو والعود ثانيا الى ثدى الكنيسة الرومانية فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٥٥٤ بعد الميلاد وسلمت الملكة النائب أراضى الكنيسة التى كان استحوذ عليها التاج غير أن البابا سمح للاشراف بوضع يدهم على الاراضى التى أخذوها فى مدة السلطنتين السالفتين

وبمجرد ما سمع الامبراطور شارلس بجلوس مريم على التخت عرض عليها أن يزوجها ابنه فيليب وكان أصغر من الملكة باحدى عشرة سنة الا أن فرق السن ما كان مانعا من الزواج وتولد من أخبار محالفة هذا الزواج مع حكومة اسبانيا غضب شديد عند كافة الامة الانكليزية وفزع بروتستانت انكلتره من احياء صلاة القداس ثم رأوا أن فى تزوج مثل هذه الملكة بهذا البرنس تعصبا فى الديانة الكاثوليكية فى ممالك أوروبا وخرابا على أنفسهم وخاف مجلس الاعيان والمبعوثان من استقلال الامة وافتكر الاعضاء أن انكلتره تحت ادارة ملك اسبانيا ربما تصير قسما من المملكة المذكورة فمن ثم أنذروا الملكة بهذا فكان منهم على غير طائل وتعلق قلبها بالزواج وعزم فيليب عليه وصارت الثورات على شرف الحصول لمنع هذا الزواج بقوة السلاح ومن غيرة الفرنساوية من زيادة الشوكة الاسبانية قووا الثائرين بمواعيد المساعدة وجمع (توماس وياط) الرجال فى نواحى كنط و (بطرس كارو) فى ديفونشير ودوق سوفلك فى الكونتات المتوسطة فأما (كارو ـ وسوفلك) فانهما خابا فى أعمالهما من أول مرة وأما وياط فان سعيه كان ناجحا فى الاول واجتمع حوله فى روشيستر من ارعو كنط وجاؤا الى بيرقه أفواجا فسار اليهم دوق نورفلك فى رأس قوة من المتدربين من أهل لوندره فهربوا منه والتحقوا بالعصاة واغتصب ويا ط طريقه الى لوندره ولما رأى أتباعه أن الاشراف على حدة من هذه الحركة انسلوا منه على التدريج وصار القبض عليه بالقرب من هيكل بار وقطعت رأسه وانحطمت ثورته وتكلفت هذه الثورة فقد حياة الست يوحانه غرى وزوجها وكانت جريمة دوق سوفلك مرعية بأنها عذر عظيم فى خلاصه الارض من واحدة دعيت لان تكون ملكة وقتلت الست يوحانه وزوجها فى داخل البرج فأما ادلى فانه ذاق القتل أولا وحمل جسمه مضمخا بالدماء أمام زوجته الشابة وهى متوجهة للقتل وذاق أبوها أيضا عاقبة أمره وقتل من بعدها وأرسلت الملكة الى السجن كثيرا من الاشراف المتهمين بالنفور وكذا كانت حياة البرنسيسة اليزابث على خطر فان السفير الاسبانى والاسقف غاردنر حض كل منهما الملكة على قتلها ثم أرسلت الى البرج ولما لم يوجد عليها أثر دخول فى الثورة الاخيرة نقلت الى (وودسطوك) أشبه بمحل سجن

وفى ٦ مارث سنة ١٥٥٤ تزوجت الملكة بفيليب صاحب اسبانيا وفى ٢٠ يوليه نزل فيليب فى مينة نوثمبطون مع حاشية فخيمة مؤلفة من كبار الاسبانيين ولوردات بورغندى وأربعة آلاف نفس متسلحين وقابل الملكة فى ونشيستر وعقد غاردنر احتفال الزواج فكان زواجا مشؤما وما تولد منه ارتبا كات فظيعة فى انكلتره وكان فيليب بارد الطبع متكبرا وكانت مريم محتاجة لان تكون حائزة صفات الجاذبية الطبيعية حتى نالت محبة فيليب لها وجذبت قلبه اليها فتركت دواوينها ومحل حكومتها وتباعدت عن كل لورد انكليزى ماعدا غاردنر وانتقل الملك والملكة فى سراية همبطون وصارت محل خلوتهما وغلقت أبواب السراية وما سمح لاحد بالدخول فيها الا اذا أوضح عن سبب زيارته

وما

وما كانت هذه الخلوة ومثل هذه الشكوك موجودة من قبل فى السرايات الانكليزية وكأنه ما كان زواج فى انكلتره وصار المنظور أن فيليب جلب معه عواصف و زوابع مشحونة بقتام من الاتربة والرمال ثم من بعد هذا اعقد مجلس البرلمان وحضر فيه كل من مريم وفيليب والاسقف پول وقرروا ما سبق من فسخ القوانين القديمة وعود الديانة الرومانية التى سبق الكلام عليها وفى اليوم الثانى من عقد البرلمان جلس الملك والملكة على التخت الملوكى فى الدار البيضاء وجلس پول بالقرب منهما لانه كان برنسا من الدم و برنس الكنيسة أيضا وحضر أمامهم مجلس البرلمان مؤلفا من الاعيان والمبعوثان متضرعين لهم فى شفاعة اللوردا الكردينال بقبولهم فى حوزة الكنيسة مرة ثانية وقدموا التماسهم بشأنه فقام الكردينال خطيبا فيهم وتلقوا منه كلمات العفو والرحمة وقال لهم ان كافة المملكة خالصة من تهمة جرائم البدع ومن أحكام العقوبات التى كانت وقعت عليها ثم توجه المجلس الى الكنيسة وضربت فيها ألحان طيدوم وكانت هذه نتيجة ربط العلاقات مع الكنيسة الكاثوليكية التى وقعت من سلطنة كبيرة فيها شجاعة كافية وقوة وافية للانفصال منها والبعد عنها وكانت هذه أكبر حادثة وقعت فى هذا الوقت فى المملكة المسيحية وانتشرت أخبار هذه الحادثة مع البشر والسرور فى جهات أوروبا الكاثوليكية فعملوا الاحتفال العيدى الثانى من أجل ارتداد انكلتره الى الديانة النصرانية الكاثوليكية مع الطنطنة ثم عول الاسقف غاردنر والاسقف بونير على قطع دابر البدع بطريق الحرق وفى مبادى سنة ١٥٥٥ بعد الميلاد ابتدأ الجور على المصلحين فكان أول المقتولين (هوپر) أسقف غلوسيستر (وروجر) راتب كنيسة القديس سنت پول (وسوندرس) خورى الهلوس (وطيلور) خورى كنيسة هادلى فى سوفلك فى سنة ١٥٥٥ ومن ثم ابتدأ الشغل العنيف واستمر فى طول مدة هذه السلطنة حتى هلكت مريم وكان بونير أسقف لوندره هو الآلة الرئيسة المستعملة فى هذا الحرب الصليبى ولقب بما جناه من الفظاعة باسم بونير السفاح وأما ريدلى أسقف لوندره ولاطيمر أسقف ورسيستر سابقا فانهما احرقا سوية فى أوكسفورد فى اكتوبر سنة ١٥٥٥ ثم صار حرق كرانمير رئيس الاساقفة فى أوكسفورد فى ٢١ مارث سنة ١٥٥٦ بعد الميلاد وفى مدة الثلاث سنوات التى وقع فيها شدة الظلم أى من ابتداء شهر فبراير سنة ١٥٥٥ بعد الميلاد الى شهر سبتمبر سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد ذاق ألم الموت بالحرق نحو من ٣٠٠ نفس رجال ونساء وأطفال ومن الاسف أن يقال انه فى اليوم الذى أحرق فيه كرانمير فى أوكسفورد تعين پول رئيس أساقفة كانتربورى وما حصل لمريم أدنى سعادة من حرقها رعاياها فانها صارت بهذا أقبح امرأة سفيهة فاجرة وما مضت مدة حتى اجتمع الامة على بغضها وغشت نفسها ورعاياها بما كانت ترجوه من محبة زوج زاد غضبه من رؤيتها وكره عشرتها فان فيليب مالبث سنة فى انكلتره من بعد زواجه بمريم فانه كره البلاد و بغضته الامة ومن ثم كان على فرح زائد من ترك انكلتره والارتحال منها عائدا الى بلاده ومن بعد سفره من انكلتره بقليل تنازل الامبراطور شارلس الخامس عن تخته وصار فيليب ملك اسبانيا بلقب فيليب الثانى ومن بعد مضى سنتين أى فى سنة ١٥٥٧ بعد الميلاد عاد الى انكلتره من أجل اغواء الملكة على الانضمام معه فى حرب على فرانسا فرغبت فى مساعدته ومن ثم هيجت حربا على فرانسا كانت نتيجته نصرة فاصلة على الفرنساوية فى (سنت كنطين) وفى شهر أغسطس سنة ١٥٥٧ بعد الميلاد هجم دوق غيز بغتة فى فصل الشتاء على قلعة كالدس وتغلب عليها من بعد حصار لبث ثمانية أيام فتولد من

سقوط كاليس ووقوع الحزن على قلب مريم ومن ثم أخذت صحتها فى الانحطاط وتركها زوجها وبغضها رعاياها حتى ماتت من حمى شديدة ودفنت فى كنيسة وستمنستر فى نوفمبر سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد من دون خلف يخلفها وتركت عند الامة تذكارا لا يموت وهو اسم مريم السفاحة وفى يوم موتها مات أيضا الكردينال بول قريبها وهلك غاردنر قبلهما فى سنة ١٥٥٥ والله يؤتى ملكه من يشاء وهو الفعال لما يريد وفى مدة هذه السلطنة ربطت أول علاقات تجارية مع روسيا وفى سنة ١٥٥٥ كان ظهور عربات البريد فى انكلترة

سلطنة اليزابث

وخلفت اليزابث ابنة (عانى بولين) أخت مريم على التخت الانكليزى وكانت مقيمة فى (هاطفيلد) وقت موت مريم فى حرية نفسها اسما مسجونة فعلا فكان يوم جلوسها يوما مشهودا قوبلت فيه بأعظم السرور وجاوب ضرب النواقيس بعضها بعضا من منارات الكنائس وانتشرت الافراح واحتفل الناس بعضهم فى هذا اليوم المشهود وكان على الكاثوليك يوما منكودا الا انه ما زال يوجد فى طريقها مصاعب وذلك أن حزب القسس لعلمهم بميلها لحركة الاصلاح نظروا بعين القبول لطلبات الملكة مريم صاحبة اسكوطلنده ورفض البابا قبول الاقرار على لقبها ودرجتها وانتظر فيليب صاحب اسبانيا أن تسير على مرغوبه وسلك أيضا ملك الفرنساوية مسلكا مضادا لطلباتها وأغوى مريم صاحبة اسكوطلنده على حمل السلاح وتلقبها بملكة انكلترة وفزع رئيس أساقفة يورك من عقائدها الديانية وما قبل عقد احتفال تتويجها فتحول زمام احتفال التتويج على أسقف كارليسل فى ١٣ يناير سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد فكان أول أعمال اليزابث أن أبقت فى خدمتها الكثير من أعضاء الحكومة السابقة وأضافت اليهم آخرين على حسب ما رأته من واقع الحالة وأعادت المنفيين وأفرجت عن المسجونين فى خصوص الديانة وأصدرت أمرا بتحريم الخطابة من دون رخصة واجتماع المحافل وصرحت بان الدعاء العام المسمى ليتانيه وصلاة الرب والعقائد والاناجيل تكون باللسان الانكليزى ولما انعقد البرلمان فى مبادى سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد عادت سيادة التاج وانتقلت المواد الديانية الى الحالة التى كانت عليها فى مدة سلطنة ادوارد السابع وصار تنقيح كتاب الصلاة الثانى لادوارد ونشر وحصل اختصار الاثنين والاربعين مادة الديانية فى تسع وثلاثين ونشر كتاب ثان فى الوعظ وفى سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد صدر منشور يقوى العمل على كتاب الصلاة الانكليزية أطلق عليه اسم قانون التعديل وتشكلت لجنة عالية تشتغل بالمواد الكنائسية وتقرر فى قانون التعديل تحريم العبادات التى ليست مطابقة للصلاة العمومية فى كنيسة انكلترة تحت عقاب ضبط الامتعة فى أول مرة والحبس سنة فى المرة الثانية والحبس مؤبدا فى الثالثة وضربت غرامة شلن واحد على كل من لم يتوجه الى الكنيسة الرسمية فى يوم الاحد أو فى أيام المواسم ومن ثم صار الاصلاح ثانيا فى قانون انكلترة واندثرت أشغال مريم وبول وانتشرت الرهبان والراهبات مرة أخرى ورميت صور تصليب المسيح من الكنائس وتكسرت صور مريم ويوسف النجار واشتعلت نيران حرائق الزينة والالعاب فى جهة (سميثفيلد) وفى مفارق الطرق والشوارع مثل ما كانت فى الايام القديمة فى عصر كرومويل وكانت هذه هى الحالة التى تلقى فيها أهل المدائن العامرة الاصلاح وكذا مدائن المين البحرية والمدائن الكبيرة الا أنه ما زال الضلال مخيما على قلوب نحو نصف الامة لاسيما فى الارياف فانهم متمسكون بما كان عليه آباؤهم وما كان وقوع هذه التغييرات بسهولة

فان

فان خدمة الدين أقاموا الحجة على قانون سيادة التاج واجتهد الاساقفة فى مجلس الاعيان على مضادته بقدر طاقتهم وعارضوا فى الدين الاصلاحى مع ما كان عليه من درجة التمكن فى كافة الجهات ورفض الاساقفة ماعدا الاسقف (لانداف) يمين البيعة لاليزابث فصار بتجريدهم من أسقفياتهم وهربوا من المملكة وأما الاصاغر من خدمة الدين وكان عددهم نحوا من ١٠٠٠٠ نفس فان الذين رفضوا منهم قبول نظام الاحوال الجديدة ١٨٠ نفس فقط ومن ضمنهم خمسة من أساقفة ادوارد كانوا نفوا من المملكة فى مدة ظلم مريم ورجع أربعة منهم كان من ضمنهم المحترم (ميلس كوفردال) صار أسقف كنيسة كانتربورى ودخل الباقى فى الوظائف الخالية وحل محل الذين تجردوا من وظائفهم أساقفة آخرون وفى ظرف احدى عشرة سنة تقابل أصدقاء الاصلاح وأعداؤه سوية فى محل عبادة عام وبناء مقدس واحد لكنه فى سنة ١٥٧٠ بعد الميلاد وضع البابا بيوس الخامس الحجر الكنائسى على اليزابث وخرج المتمسكون بالمذهب الرومانى من الكنيسة الانكليزية وشكلوا حزب شقاق وتخاصم مشهور واشتهروا باسم الرومان كاثوليك وأطلق على الكنيسة الانكليزية اسم بروتستانت من أجل عدم طاعتها للبابا واستمر الرومان كاثوليك فى شقاق زائد مع البروتستانت تولد منه للحكومة قيام ثورات فى ابطالها وجلبوا على أنفسهم شدة المعاملة وسوموا سوء العذاب وقتل منهم نحو من ٢٠٠ نفس فى مدة سلطنة اليزابث من أجل ما وقع منهم من الخيانات

وما كان الحزب الذى تولد منه ارتباك الكنيسة الاهلية أتباع البابا فقط فانه فى مدة جور مريم هرب نحو من ٨٠٠ نفس الى جرمانيا وبلاد السويس ودرسوا عقائد المصلحين الاغراب وعرفوها حق معرفتها وتمسكوا بها وفى وقت جلوس اليزابث عادوا الى انكلتره فكانوا منبعا أيضا القلاقل وارتباكات فى الكنيسة الانكليزية وعارضوا أعمال الكنيسة بكل شدة وأرادوا إدخال اصلاح آخر فيها بعدم قبولهم لبس القسيس حلة بيضاء والجثى على الركب فى وقت تناول العشاء الربانى وغناء التصليب فى وقت المعمودية واستعمال الداية أو الاشبين واعطاء الخاتم فى الزواج وتوظيف الاساقفة فى الحكومة وتلطيخ الشبابيك وآلات المغانى والترتيل أو الغناء وقرروا أن المقصود من أعمالهم دخول العبادة فى هيئة نقية طاهرة ومن هذا عرفوا باسم المتطهرين وفى سنة ١٥٦٦ بعد الميلاد ابتدؤا فى اخفاء أنفسهم من مصالح الكنيسة وصاروا يجتمعون فى أماكن سرية مخصوصة ودخل الكثير من خدمة الدين فى عقائد المتطهرين واستمروا زمنا طويلا من دون أن يحصل منهم قلقلة وأخيرا صار تقوية قانون التعديل مع الشدة والذين رفضوا الاذعان صار تجريدهم من وظائفهم ومن هنا أطلق على المتطهرين اسم الغير مذعنين وكانت الملكة تكره هذا الحزب كراهة شديدة مع أن بعض المتقربين اليها من مجلسها كان مقويا لهذا الحزب وما كان أهله مبالين بالقانون فانهم غرموا وحبسوا ونفوا من الارض الا أنه من قبل موت اليزابث صاروا حزبا أقوى الشوكة فى مجلس المبعوثان وكان المتطهرون مشهورين بحب الحرية الداخلية المدنية ومع ما كانت عليه انكلتره من هذا التقسيم فان البروتستانت الانكليز قابلوا رومة بعزم ثابت وكذا أعداؤهم فى الخارج وما انفكت أغراض المتطهرين من طاعتهم عن اليزابث بل ساعدوها من دون تأخير فى الشدائد الكبيرة التى كانت المملكة عرضة لها بأسباب دينية وسياسية من جهة رومة واسبانيا وصارت اليزابث هى السلطان الاكبر فى الممالك البروتستانتية وأملا للمصلحين فى أنحاء أوروبا غير أنه ما كان لها طاقة على مساعدتهم فى علو شوكتهم بسبب أنها كانت محافظة على الدوام

باخطار ومصاعب والتزمت على اجراء أشغالها مع الاحتراز والوقار
وكان عمر اليزابث ستا وعشرين سنة فى وقت جلوسها على تخت المملكة وكان رعاياها يؤملون من زواجها أن تخلف لهم ملكا من دم هابرثها من بعد موتها فعزم فيليب صاحب اسبانيا على زواجها على شرط أنها ترتدع عن دين الاصلاح فما قبلت زواج رجل تعدى عليها فى أيام شدتها وكذا رفضت عدة خطاب عرضت عليها فى مدة سلطنتها واختارت بقاءها بكرا ومن المحتمل انها كانت على فكر جليل فى هذا المعنى كى تكون مستقلة بنفسها حرة فى تنفيذ سياستها مع الفطانة وكانت من أكبر الملوك شوكة وحازت أرقى درجات الكمال وعزة الشرف والشجاعة وحسن الالطاف والفصاحة والمحبة عند رعاياها وبصفة أنها ابنة هنرى الثامن كانت ذات تكبر وأنفة عالية غير أنها كانت أصدق صاحب من أبيها وماورثت خطأ بنات نوعها من النساء وما كانت مغرورة بجمالها وما كان عندها غيرة من أهل الجمال اللاتى كانت تراهن أعداء لها ويحبون العشق والالفة ومع انه كان يوجد لها محبون وأخلاء الا أنها ماسلمت فى عرضها من أجل عشقها أوسعت لاحد منهم فى فساد المصالح السياسية التى كانت أغراضها تميل اليها فى نفع رعاياها وما كانت من ذوى التبديل بل حفظت الاختلافات الدينية لقومها فى داخل حدود معلومة بقوة شخصها ومع أنها كانت امرأة الا انها شيدت مجد مملكتها ورفعته الى أعلى الدرجات وصيرت نفسها عند رعاياها الحبيب الموثوق بها وأرعبت أعداءها بما حازته من علو السلطة على كامل ملوك أوروبا وكانت تظهر ذكاء عقلها وقت انتخابها وزراءها وماخابت قط فى انتخابها وزراء موافقا لتنفيذ أغراضها وكانت معضدة لوزرائها ومحافظة على ثبات أشغالهم وألقت اليهم مقاليد سلطنتها وصار لها يد قوية ثابتة قادت بها انكلتره الى دار السلامة فى مدة الاهوال التى حاقت بسلطنتها وكان وزيرها الكبير (غيليوم سيسل) ثم تقلد رتبة (لوردبارلى) ثم رفعته الى درجة لورد أكبر فى المالية فكان من أكبر رجال السياسة قلبا وقالبا وخدم المملكة مع الصدق والعفة الكاملة ولمداولاته وتدبيراته العظيمة فى المجلس ينسب له كثير مما وقع من الفوز والاصلاح فى مدة سلطنتها وكان أحد الاعمال الابتدائية فى مدة سلطنة اليزابث عقد صلح مع فرانسا وتركت قلعة كاليس فى يد الفرنساويه فما تولد من هذا الصلح ثمرة بين الدولتين فان مريم صاحبة اسكوطلنده كانت تزوجت ولى عهد فرانسا وصار ملكا فى سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد ثم صارت اسكوطلنده تحت حكومة مريم غيز أرملة جمس الخامس بمساعدة العساكر الفرنساوية لها وبسبب أن ملكة اسكوطلنده من ذرية مرغريطه البنت الكبيرة لهنرى السابع فكانت أقرب وارث للتخت الانكليزى أى التالى من بعد موت مريم أخت اليزابث ففى وقت جلوس اليزابث قامت مع زوجها بالسلاح ولقبت نفسها بملكة انكلتره ومن ثم مات حق اليزابث ولما صار زوج مريم ملك فرانسا لقب نفسه أيضا بلقب ملك انكلتره فمن ثم راعته اليزابث هو وزوجته ألد الاعداء لها وأخذت الاحتياطات اللازمة للاحتراس منهما وكانت اسكوطلنده فى هذا الوقت فى أعلى درجات ارتباكاتها بسبب حركة الاصلاح وكانت آخذة فى زيادة التقدم تحت رياسة (يوحنا كنوكس) وأطلق المصلحون على أنفسهم فى تلك المملكة اسم حزب الله مخالفين للكنيسة الموجودة فى انكلتره وأطلقوا عليها وعلى أهلها اسم حزب الشيطان وعلت شوكة حزب الله فى اسكوطلنده حتى ان النائب استحصل على مساعدة من فرانسا فى اخماده فمن أجل ذلك هاج حرب داخلى وانضم الاشراف الى طائفة حزب الله وطلبوا من اليزابث المساعدة

وكانت

وكانت على كراهة شديدة من مصلحى اسكوطلنده غير أن الضرورة فى حطم شوكة فرانسا فى اسكوطلنده أرغمتها على مساعدة الحزب المذكور وأرسلت أسطولا انكليزيا الى الفورث أى نهر الاسقوط وحصر الفرنساوية أنفسهم فى قلعة ليث والتزموا فيها أخيرا الى التسليم وعقدت معاهدة فى ايدنبورغ بها تركت فرانسا المملكة وتنازل ملك وملكة فرانسا او اسكوطلنده عن لقب انكلتره أو حمل السلاح عليها وفى ٦ يوليه سنة ١٥٦٠ أقام الاسكوطلنديون مذهب الديانة البروتستانتية وفى هذه السنة مات زوج مريم فرنسيس الثانى وانتهت بموته أخطار الحرب مع فرانسا وما حصل لمريم بعد موت زوجها من الاهانة التى وقعت لها من كاترينة دوميديسى حملها على ترك فرانسا وعودها الى اسكوطلنده فطلبت اجازة من اليزابث بمرورها من أرض انكلتره فى أثناء عودها الى مملكتها فسمحت لها اليزابث على شرط تصديقها على المعاهدة التى عقدت مع زوجها ولما رأت اليزابث الضرر المتسلطن فى اسكوطلنده من جهة مريم بسبب مراعاة أهلها لقبها للتاج الانكليزى وما عليه الحزب الكاثوليكى من الاصرار على أن مريم مستحقة شرعا لوراثة التاج المذكور رتبت أسطولا فى الخليج من أجل استقبالها فلما عرفت مريم ما عليه اليزابث راوغت الاسطول فى كثرة الضباب ووصلت اسكوطلنده مع السلامة فى سنة ١٥٦١ بعد الميلاد وما كان مصلحوا اسكوطلنده على رغبة فى احترامها بما أنها كاثوليكية الدين والمملكة صارت بروتستانت ثم صار مركزها غير موافق لذوق حالة المملكة فعامل الاسكوطلنديون هذه الملكة المشؤمة معاملة السوء واستخف بها قواد الاسكوطلنديين ورؤساؤهم مع أنه كان من الواجب عليهم حمايتها ورأت نفسها أن لا قوة عندها تقوى بها مطلوبها فى وسط قوم على كراهة شديدة منها وصار موقعها غير موافق وصيرها عدم حزم رأيها أقبح وأضل وصارت لا بقاء لوجودها فى اسكوطلنده من دون ارتباط مع انكلتره فاجتهدت فى فتح مخابرات حبية مع اليزابث الا أن مخابرتها كانت على غير تدبير حتى ان اليزابث أضمرت السوء فى نفسها للملكة اسكوطلنده بما ان قلبها ملآن برغبتها فى تاجها ومع ذلك فانه حصل ارتباط حبى بين الاثنتين اسما وظهر للناس أن بينهما صداقة تامة فأظهرت اليزابث رغبتها فى زواج مريم بواحد من أكابر وجوه انكلتره الا أن شوقها الحقيقى كان دوام مريم أرملة وفى سنة ١٥٦٤ تزوجت مريم (بهنرى ستيوارت) لورد (دارنلى) ابن الارل لنوكس فحصل لاليزابث من هذا الزواج الفزع الكبير وكانت صفة دارنلى وطبيعته غير موافقة بالكلية لجمالها فكان غير أهل لهذا الزواج ومن خسته واعتكافه على الموبقات عاملته زوجته باقبح المعاملات فغضب من هذه المعاملة وبما وقع من زوجته من تركها اياه جمع كل ما حصل له من الغضب والحنق ووضعه فوق رأس نديم الملكة وكان لمريم كاتب سر اسمه (داود ريزيو) شاب ايطليانى فغار دارنلى ووقع فى قلبه شدة الحسد من علو درجة هذا الشاب عند الملكة وصمم على قتله وفى مساء يوم كانت الملكة على مائدة العشاء فى محل مخصوص مع ريزيو وآخرين من مستخدميها فى سراية (هوليرود) اقتحم دارنلى مع بعض لوردات داخل قاعة المائدة وضربوا الايطاليانى المسكين بالخناجر تحت قدمى مريم وجروه خارج القاعة وخلصوا على حياته فكظمت مريم غيظها ونذرت أن تأخذ بثأره وتبطش بقاتليه ومن جملتهم زوجها وفى السنة التالية أى سنة ١٥٦٧ بعد الميلاد قتل دارنلى ثم ان ملكة اسكوطلنده تزوجت بالارل بوثويل وكان معتبرا أنه أحد قاتلى دارنلى فتولد من زواج مريم برجل معتقد فيه أنه القاتل لزوجها غضب أهل اسكوطلنده عليها وشكلوا اتحادا ضدها فى

الحال وفى واقعة حصلت فى جبل (كاربرى) بالقرب من ايدنبورغ أسر عساكر الاتحاد الملكة وتجاوتويل بنفسه الى دانمارقه واستقر الرأى على أن الملكة كانت مشتركة فى قتل زوجها وصارت حياتها على خطر فى ايدنبورغ فسجنوها فى قلعة (لوكلفن) وأرغموها على التنازل عن التخت لابنها الصغير جمس السادس من دارنلى وعينوا أخاها ارل مورى نائبا عنه ووصيا عليه وفى سنة ١٥٦٨ بعد الميلاد هربت من السجن وانضمت لاحزابها وصارت فى رأس ٦,٠٠٠ نفس فزحف عليها النائب وهزم قواها فى جهة (لنغ) وفى سنة ١٥٦٨ هربت الملكة المهزومة الى الجهة الجنوبية وأخذت قاربا من مينة غالوى ونزلت فى كمبرلند فارتبكت اليزابث فى أمرها فى هذا الوقت لانها لو سمحت للملكة الهربانة بالخروج من المملكة لصارت مأوى للرومان كاثوليك فى دسهم الدسائس واشعال نار الفتن على انكلتره ولو سمحت لها بالبقاء لم تزل متهمة بالجرائم المقامة عليها فقررت فى ديوانها حبسها فمن ثم حبست فى قلعة (شيفيلد) واستمرت فيه مدة تنوف عن تسع عشرة سنة الا أنه لم يزل الضرر الذى كان يخافه سيسيل الوزير فانه من ابتداء سلطنة اليزابث كانت انكلتره على خطر من الفتن المتولدة من الاحزاب الرومانية الكاثوليكية وكان يوجد منبع واحد من السلامة فى الغيرة الواقعة بين فرانسا واسبانيا وآخر فى انتشار الاصلاح على أرض القارة وأما فى الاقاليم الواطية فان اسبانيا أخذت فيها الدين الاصلاحى بالكلية وأما فرانسا فانها كانت ممزقة بالثورات الداخلية وكان البروتستانت فى فرانسا فى حرب مع الرومان كاثوليك والعساكر البروتستانتية تحت الهيونوط واتحدت اليزابث معهم وجعل البرنس كوندى قائد عساكر البروتستانت قلعة هافر ومينتها تحت يدها وفى سنة ١٥٦٢ انتهت الحروب الداخلية بترخيص فى العقائد والمذاهب وطرد الانكليز من قلعة هافر وافتكر الكاثوليك انه لو انقطع دابر الدين البروتستانتى من انكلتره لا يقوم بسهولة فى جهة غيرها الا أن اليزابث صخرة راسخة فى الارض فلو خلعت واستبدلت بواحد من الرومان كاثوليك تحقق الظفر والنجاح وبما أن الوارث للتخت من بعدها مريم صاحبة اسكوطلنده كاثوليكية المذهب تشكلت الثورات والفتن البابا وية من أجلها فى الخارج والداخل وصمموا على جلوسها على التخت الانكليزى ومع هذا فانه من عدم حزم رأيها فى اسكوطلنده أوقف الهياج أصدقاؤها مدة من الزمن ثم صرفوا النظر عما وقع منها وصارت مركزا وقاعدة للثورات الاحزاب الرومان كاثوليك مرة ثانية ففى السنة التى جاءت عقب وصولها فى انكلتره أشرفت ثورة من الرومان كاثوليك على القيام فى خلاصها وعود دينهم بواسطة جلوسها على التخت واشتبك دوق نورفلك فى هذه الثورة ومع ما كان بروتستانتى المذهب على أمل زواجه بمريم غير أن هذه كانت ثورة داخلها ثورات وتابدت أعمال الهامع التدبير حتى ان الكثير من مجالس اليزابث تقوى بحادثة هذا الزواج من أجل دمار سيسيل وزير التاج فكشف سيسيل أمر الثورة وأمر بالقبض على دوق نورفلك وأرسل الى حبس البرج فى سنة ١٥٦٩ واجتهد كل من ارل (نورثمبرلند ـ ووسطمورلند) فى هياج الكونتات الشمالية ولما ظهر لهما العساكر الملوكية هربا الى اسكوطلنده وقتل نحو من ٦٠٠ نفس من أتباعهما بصدور أحكام من المحاكم الجنائية الموجودة فى المدائن والقرى من أعمال يورقه ودورهام وأما دوق نورفلك فانه كفل على نفسه صداقة سيره فى أعماله وحصل الافراج عنه وفى سنة ١٥٧٠ أصدر البابا (بيوس الخامس) منشورا بتوقيع الحجز الكنائسى على اليزابث وبرأ رعاياها

من

من يمين بيعتهم لها فتدبرت المشروعات الكبيرة فى هذا الوقت وصارت على شرف القيام من خلعها وقام نورفلك مؤملا التزوج بمريم صاحبة اسكوطلنده ونزل الاسبانيون تحت قيادة دوق (علفا) فى نواحى (هارو بتش) وصارت المملكة جميعها على شرف القيام بالسلاح فوقعت حادثة تولد منها انحطاط هذه الثورة وذلك أن تاجرا من مدينة شروسبورى كان عائدا من لوندره الى بلده فقابله واحد من خدم نورفلك وطلب منه أن يحمل كيسا من الفضة ويسلمه الى نائب الدوق فى (شرو بشير) فرضى الرجل وأخذ منه الكيس وفى أثناء طريقه فتح الكيس فوجد فيه بعضا من النقود الذهبية وجوابا مكتوبا بالارقام فرجع فى الحال وأعطى الكيس بما فيه الى سيسيل الوزير ومن ثم ظهرت الثورة وأرسل نورفلك ثانيا الى البرج وقطعت رأسه من أجل خيانته فى سنة ١٥٧٢ بعد الميلاد ومن بعد قليل وقع ارل نوتمبرلند فى قبضة اليزابث فكانت عاقبته عاقبة دوق نورفلك وكانت هذه الاعمال سببا فى صد الدسائس الجارية من الرومان كانوا ايك مدة من الزمن ثم أعقب هذا الخطر كرب آخر تولد من دسائس الجزويت فما نتج من أعمالهم شئ فى طريق نصر البابا وكان بيع هذه الطائفة وشراؤها الذبح والقتل الذى يتولد منه قطع دابر أعداء رومة فكانوا فى باريس سببا فى وقوع مذبحة فظيعة فى يوم عيد سنت بارتلمى فى سنة ١٥٧٢ بعد الميلاد قتل فيها ٥٠٠ من وجوه الناس و١٠٠٠٠ نفس من عوامهم بسبب أنهم كانوا بروتستانت ووقع فى مدائن أخرى من فرانسا مثل هذه الفظاعة وانتصرت رومة وأثنت على الله بما أولاها من النصر وفى هذه قتل أيضا برنس أورنجه وكان من حماة الدين البروتستانتى ومابقى الا اليزابث هى اللازم هلاكها فوقع الكشف على ثورة جارية فى هلاكها واغارة اسبانية على انكلترة بواسطة القبض على مركب فى الخليج فيها اثنان من قسس البابا وفى نوفمبر سنة ١٥٨٤ وقع الكشف على ثورة من طرف حزب البابا ثم صدرت قوانين شديدة فى حق اليسوعيين متضمنة خروج أهل هذه الطائفة والقسس الباباوية من المملكة فى ظرف أربعين يوما وكل من يوجد بعدها يعامل معاملة الخائن وكل من آواهم عوقب بجريمتهم فعذب كثير من الناس بواسطة هذا القانون وفى سنة ١٥٨٦ بعد الميلاد وصل الى انكلترة قسيس اسمه (بلارد) مختفيا فى صفة رجل عسكرى ودس دسيسة فى قيام ثورة أخرى من أجل قتل اليزابث وخلاص ملكة الاسكوطلنديين فانضم الى هذه الثورة شخص اسمه (أنطونى بابنغطون) شاب شريف المولد من نواحى دربى حصل له التقدم فى ضمن خدمة ديوان اليزابث فاستمال معه خمسة من الخدم واستعدوا لقتل ملكتهم على أى حالة تؤل بهم وسارت المخابرات مع الملكة الاسكوطلندية فى مسكنها فى كارطلى بواسطة صانع البيرة (بورطون) فوضع فى صندوق من الخشب المكاتيب الجارية فى المخابرات ووضع الصندوق فى داخل برميل لاجل توصيلها لستات مريم وأهل أسرارها الا انه صار اخبار (ولسنغهام) وزير خارجية اليزابث بواسطة جاسوسة باسرار هذه المادة وقبض على هذه المخابرات ولما استوى أمر الثورة وصار الثائرون على شرف القيام وقع القبض عليهم وقتل منهم أربع عشرة نفسا واتفق الرأى على أنه من الضرورى محاكمة ملكة الاسكوطلنديين على ماجنته يداها من اشتراكها فى ثورة (بابنغطون) وتعينت لجنة من أجل محاكمتها وأرسلت الى القلعة التى كانت فيها فرفضت فى الابتداء اعترافها بحكم المحكمة ثم رضيت أخيرا بالمجاوبة وجحدت تهمتها فيما يختص بقتل الملكة الا أن الدلائل كانت قوية فى حقها باعتراف نفس بابنغطون واثنان من كتاب أسرارها وجواباتها بخطها ثم اجتمعت اللجنة مرة ثانية فى قاعة الكوكب فى لوندره

وأصدرت الحكم بالموت على ملكة الاسكوطلنديين فى ٢٥ اقطوبر سنة ١٥٨٦ بعد الميلاد واجتمع البرلمان وصدق على الحكم الصادر فى حق مريم وقدموا التماسا لاليزابث من أجل تنفيذه وفى أثناء ذلك تقوى هنرى الثالث صاحب فرانسا بديوان البابا وديوان اسبانيا واشتغل بخلاص الملكة التى حكم عليها بالموت وما كان لابنها هنرى السادس صاحب اسكوطلنده رغبة فى خلاص أمه وترددت اليزابث بضع شهور فى توقيعها على حكم الموت ثم وقعت أخيرا عليه وأرسل الى قلعة (فوترنغاى) وأرسل (ارل شروسبورغ ـ وارل كنط) من أجل رؤية تنفيذه فى ٨ فبراير سنة ١٥٨٧ بعد الميلاد فى السنة الخامسة والاربعين من عمرها وتولد من قتل مريم رجة مدة من الزمن فى عموم أفكار أهل أوروبا ووقع نظيرها فى القرن التاسع عشر كما وقعت هذه الحادثة فى القرن السادس عشر وكانت واقعة مريم أكبر خطرا وأشد ضررا وتولد منها فتن عظيمة ولم يزل يوجد تأثير شديد فى خرق القواعد والقوانين المختصة بالضيافات وعجز جس عن أخذه بثأر أمه وكان فيليب الثانى صاحب اسبانيا فى هدو الا أنه أجرى استعداده خفية لضرب انكلتره ضربة شديدة ليس لكونه من حزب البابا فقط بل لانه غاظه نجاح الاصلاح الانكليزى واستخف به البحرية الانكليزية فانهم أغاروا على سفن خزائنه ونهبوها وكذا بمساعدة اليزابث العصاة من رعاياه فى الاقاليم الواطية بعساكرها وفى حالة ما كانت العساكر الانكليزية فى محاربة مع الاسبانيين فى الاقاليم الواطية حفظ أشداء البحرية الانكليز تحت قيادة (حنا هوكنس) و (فرنسيس درالك) البحار من قرب الغلايين الاسبانية ووصولها السواحل الاقاليم الواطية فعزم فيليب على الاسراع فى استعداداته من أجل التغلب على انكلتره فلما بلغ اليزابث أرسلت فرنسيس درالك فى سنة ١٥٨٧ بعد الميلاد فكشف ساحل اسبانيا من بعد قتل ملكة اسكوطلنده بقليل وأحرق فى مينة كادبس ما ينوف عن مائة سفينة وخرب كثيرا من المخازن ودمر الترسانة فرمم فيليب ما دمره درالك وجمع فى (طاغوس) أسطولا ما شوهد فى الدنيا نظيره وقامت الحمية فى قلوب أهل اسبانيا على حطم الامة الخارجة أهل البدع التى تجاسرت على الاستخفاف بشوكتهم وخطب على كل منبر فى أرض اسبانيا بحرب مقدس على انكلتره وأرسلت كل عائلة شريفة واحدا واثنين من أولادها للالتحاق بهذا المشروع المقدس وأطلق الاسبانيون على أسطولهم اعتمادا على نجاحهم ونصرهم اسم (الاسطول أو الارماده التى لا تغلب) فكانت مؤلفة من ١٢٩ سفينة من السفن الكبيرة الحربية متسلحة بمقدار ٢٤٣٠ مدفع نحاس ومظقمة بواسطة ٨٠٠٠ بحرى وكان يوجد خلاف هذا ١٩٠٠٠ بحرى من العساكر و ١٠٠٠ من وجوه المتطوعة و ٦٠٠٠ من القسس والخدامين وغيرهم و ٢٠٠٠ نفس من المذنبين المحكوم عليهم بالاشغال فى البحر وعهدت قيادة ذلك على دوق مدينة صيدونيه وسافر الاميرال من طاغوس فى ٢٩ مايه سنة ١٥٨٨ بعد الميلاد بأمر أنه يتوجه مباشرة الى كاليس لاجل نزول برنس پارمة مع جيش مؤلف من ٣٠٠٠٠ نفس وبارك البابا (سيكسطوس الخامس) فى هذه الحملة ودعا لها بالنجاح ورآها فى صفة حرب مقدس ودخل فيها رجال اسبانيا بحمية تعادل حمية حزب الصليب فى الارض المقدسة وصارت الحالة مرعية بأنه لابد من فتح انكلتره وجعلها اقليما اسبانيا وعود الديانة الرومانية فيها وترتيب محاكم الفحص فى انكلتره كما وقع فى اسبانيا وأحضرت فى الاسطول السلاسل والاغلال وآلات العذاب ولما صار لا طاقة لملك اسبانيا على اخفاء استعداداته من انتشار المعلومية بها فى الخارج ادعى أنه يقصد بها أى

استعداد فيليب الثانى لفتح انكلتره

بهذه القوة المهولة جهات الهند الغربى الا أنه ما كان يخفى على الانكليز أن هذه الاستعدادات مخصوصة من أجل سواحلهم ولما قربت الارمادة من (فينستره) نزل عليها عاصف شديد من الرياح شتت مراكبها من بعضها والتزمت على الرسيان فى (كرونه) من أجل الاستعداد ثم أقلعت منها مع النجاح وفى شهر يوليه ظهرت الارمادة على مسافة من ليزارد

ولاجل مقاومة هذا التسليح المهول ما كان للانكليز طاقة الا على جمع ١٤٠ سفينة صغيرة الحجم منها ٣٨ تبع الدولة وثلاث عشرة منها تزيد عن حمولة ٤٠٠ طولوناته ومابقى من الاسطول مؤلف من مراكب تجارية من كل صنف أعدتها المين البحرية والاشراف وهذه السفن وان كانت صغيرة الحجم الا أنها مطقمة من البحرية أرباب الجسارة بمقدار ١٤,٠٠٠ نفس تحت قيادة أمهر ضباط البحرية وأشجعها وعهدت قيادة هذا الاسطول على (لوردهووارد افنغهام) وتحت يده (دراك – وهوكنس – وفروبشير) أشهر البحرية فى أوروبا وتجمع فى برانكلتره جيش مؤلف من ٧٠,٠٠٠ نفس من عساكر جديدة غير متدربة ولاريب أنه يوجد فرق كبير بين هؤلاء العساكر والعساكر المنتظمة الاسبانية وصار تقسيم هذا الجيش الى ثلاث فرق الفرقة الاولى مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ نفس أعدت لخفر الساحل الجنوبى والثانية مثلها فى العدد أعدت لمقاومة نزول الاسبانيين والثالثة من ٣٠,٠٠٠ نفس عسكرت فى (طلبورى) من أجل المحافظة على لوندره وزارت اليزابث عساكرها وشجعتهم وركبت على حصانها فى المعسكرات وحضت الرجال وذكرتهم بما يجب عليهم من حب وطنهم وقالت لهم انها وان كانت امرأة لكنها تسوقهم الى ميدان الوقائع ويكون الموت عندها أحسن من التسليم لعدوها وكان (لوردهووارد) مع (دراك) فى خليج بليموث مع ٨٢ سفينة فوردت لهما الاخبار بأن الارمادة الاسبانية وصلت الى الخليج وفى مساء ١٩ يوليه سنة ١٥٨٨ أعطت منارات الكنائس الموجودة على الساحل الاشارة باستعداد انكلتره فأسرع الرجال من كافة المدائن والقرى الى الجهات والمراكز المرتبين فيها وفى عصر اليوم الثانى شوهدت الارمادة على مسافة من بليموث فى صورة هلال على مسافة سبعة أميال فى الامتداد فأقلع الاميرال الانكليزى فى الحال واتبع مجرى سيرها وكانت أوامره واجرا آته فى ابعاد عدوه من البر والاغارة عليه من داخل البحر وكان حجم المراكب الانكليزية موافقا لمثل هذه الحركة وكان سير المراكب الاسبانية الشامخة بطيئا جدا على سطح الماء ولا طاقة لها على اجراء الحركات التى تقابل هجوم أسطول انكليزى سريع الحركة فانه من قبل دوران السفينة الواحدة المهولة واعتدالها للضرب تسرع المراكب السريعة الانكليزية فى التباعد عن جهة الضرب فلما اعتدلت المراكب الضخمة العالية أطلقت نيرانها على عدوها دفعة واحدة غير أن الضرب جميعه كان فى العالى وعجب الاسبانيون من سرعة حركة المراكب الانكليزية واطلاقها النيران المهولة عليهم فكانت المراكب الاسبانية كلما أرسلت طلقا واحدا نزل عليهم نظيره أربعة ولما تعبوا وعجزوا من حركة البحرية وسرعة ضرب الطوبجية هرعوا الى كاليس فاستمرت السفن الانكليزية خلفهم ثلاثة أيام وأخذ العدد الانكليزى كل يوم فى الزيادة وشدة الجسارة ومن قبل أن يصل (دوق مدينة صيدونية) بالارمادة على مسافة من كاليس تغلب الانكليز على الكثير منها وأرسلوها الى المين الانكليزية ثم وصلت فى كاليس ورمت مخاطيفها فى المينة وبينما كانت فى انتظار ورود جيش برنس بارمة أرسل لورد (هووارد) فى ليلة ظلماء ثمانية سفن نارية عليها فوقع الفزع فى الاسبانيين وقطعوا الخاطيف

وأقلعوا فى داخل الخليج ظانين عودهم الى المينة فى وقت الصباح لشد الخاطيف فـارا وأوالخاطيف فهم مرة ثانية وتبعتهم السفن الانكليزية وأوقعوا بالارمادة الفشل وبقذف المراكب الاسبانية بعضها على بعض صارت لاساعد لها وتمزق حالها من الصباح الى المساء وتخرقت من المدافع الانكليزية وغرق منها اثنتا عشرة سفينة أوضبطت وتخرق أوتشتت ما بقى وما سلموا الا بعد فراغ ذخيرة البارود وعدم ضرب النيران من الاسطول الانكليزى وطرد القائد الاسبانى الى البحر الشمالى بارمادته وصار لاطاقة له على مقابلة عدوه مرة أخرى ومات من رجاله ٤٠٠٠ نفس وازدحمت ظهور المراكب بالمجاريح وتلفت سفنه وتخرقت وما كان عنده شئ سوى الهرب من المحيط الجرمانى وعند سير القائد الاسبانى نحو الجهة الشمالية تبعه الانكليز الى جزائر اركاده ثم فعلت العواصف وأخطار البحار الغير المعروفة للاسبانيين أشغالها فى تمام خراب الارمادة التى ملأت مراكبها سواحل نرويج واسكوطلنده وغربى ارلنده وفيما بين خليجى (كوسوى وبلاسك) ضاع ٨٠٠٠ سفينة وغرق من فيها أوقتلهم الارلنديون وما وصل الى اسبانيا الا أربع وخمسون سفينة من الارمادة ونحو من ١٠٫٠٠٠ نفس على قيد الحياة ليخبر وابقصة عجائب الانكليز وبطش البحر الذى يحف سواحل بريطانيا وفى السنة التالية أرسلت عمارة انكليزية الى سواحل اسبانيا تحت قيادة دراك وارل صكصونية الشرقية فتغلبوا على ضواحى لسبون وأخذوا مدينة (فيجو) وحرقوها وفى سنة ١٥٩٦ بعد الميلاد وصلت الاخبار بان فيليب يستعد لاغارة جديدة على انكلتره فأقلع افنغهام وارل صكصونية الشرقية الى اسبانيا ونهبوا كاديس وتغلبوا على ثلاث سفن من سفن الاسطول الهندى الغالى القيمة ومضت أخطار الغارة ومساعيها بدمار الارمادة وابتدأت انكلتره فى أن تأخذ محلها فى سيادة البحار وأصبحت اسبانيا من دمار الارمادة تنعى على فقد شجعانها وفوارس أشرافها وأوطانها ووجوه أهلها وسكانها ولما حضر دوق مدينة صيدونية بنفسه أمام سيده قابله بقوله لا طاقة لنا على لومك فيما حصل ولا طاقة لنا على حرب ليس لله فيه رغبة فى نصرنا

ثم انه من بعد فصل الحروب الاسبانية وجهت اليزابث سعيها نحو ارلنده وما كانت الشركة الانكليزية والحكومة البريطانية عظيمة السيادة فى تلك المملكة فان الارلنديين ما كان عندهم أدنى محبة للحكم الانكليزى وتولد من نجاح الاصلاح وانتشاره تقوية هذه الكراهة وجعل الامة الارلندية داخلة فى حزب البابا وكارهة للانكليز زيادة واجتهد جسور بوا الانكليز فى تشييد مواطن ومستعمرات فى ارلنده من وقت الى وقت غير أن هذه المشروعات آلت الى فظائع مهولة على الامة وتولد منها سفك فى الدماء وخيبة فى الاعمال وكان أشد رئيس فى ارلنده شخص اسمه (هيوعونيل) رفعته اليزابث الى رتبة ارل (طيرون) على أمل أنها تجذبه نحوها غير أن الارل المذكور أحب الاستقلال عن طاعته لملكة انكلتره فاضرم نيران الهياج وأدخل معه وجوه الارلنديين وطلب من ديوان اسبانيا المساعدة وقام فى ثورة جهرة وهزم قوى اليزابث فى (بلاكوطر) وقتل قائدها مع ١٥٠٠ نفس من عساكرها فى ميدان الواقعة فى سنة ١٥٩٨ بعد الميلاد فانشرحت صدور الارلنديين من هذه المظفرة ونظروا الى ارل طيرون بعين أنه المخلص لبلادهم من القيد الانكليزى فتدبر المجلس الانكليزى فى هذه المادة وشرع فى الاجراآت الشديدة وأرسل ارل صكصونية الشرقية الى ارلنده عاملا فيها ومعه ١٨٫٠٠٠ نفس من العساكر فنزل فى دبلين فى سنة ١٥٩٩ وانصرفت أيام الحرب فى غارات صغيرة وعند غلاق

الحرب

الحرب ووجد من عسكره ٠٠٠٠ر٤ نفس من دون أن يتم شئ فى أمر الجزيرة وبدل أن يحطم ارل طيرون شرع فى المخابرة معه فغضبت اليزابث من سلوك ارل اسكس وأمرته بالبقاء فى ارلنده حتى تصدر له الاوامر اللازمة فخاف من غضب الملكة وأسرع فى العود الى لوندره من أجل اظهار حالته فقابلته مع البرود وأمرت بالمحافظة عليه ثم حصل الافراج عنه وقلبه متغير من جهة الملكة فنع من الحضور فى ديوان الملكة وأخذت منه وظيفة السقاية فغضب وقطع الأمل من نفسه وتكلم بما لا يليق فى حق مولاته وشرع فى تشكيل ثورات عليها وصمم فى دسيسة على ضبط السراية وارغام الملكة على طرد مستشارها وتشكيل حكومة جديدة وطلب من أهل لوندره مساعدته له فى ذلك وقام فى نحو ٢٠٠ من أتباعه واجتهد فى قيام المدينة معه فخاب اجتهاده وقبض عليه وحوكم وقطعت رأسه فى البرج فى سنة ١٦٠١ بعد الميلاد ورضيت اليزابث بموته مع شدة الكراهة وأخذت الثورة فى ارلنده واقعة واحدة أجراها مونطغوى الذى تولى النيابة من بعد ارل اسكس ومن بعد خلاص الواقعة وردت حملة اسبانية من أجل مساعدة الارلنديين فتغلب عليها الانكليز من بعد ارغامها على التسليم وصدر العفو عن ارل طيرون غير أن أراضيه أخذت منه فى سنة ١٦٠٢ بعد الميلاد

ومن بعد موت اسكس أصيبت اليزابث بالاحزان وتراكمت عليها الهموم حتى ماتت فى ريشموند فى السنة السبعين من عمرها وفى السنة الخامسة والاربعين من سلطنتها فى ٢٤ مايو سنة ١٦٠٣ بعد الميلاد وسبحان المولى الدائم وفى هذه السلطنة صدر قانون الفقراء ومعناه أن كل غنى يخرج من ايراده شيأ معلوما يوزع على الفقراء

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ سلطنتا جس الاول وشارلس الاول ﴾

صيرورة جس السادس صاحب اسكوطلنده ملك انكلتره بلقب جس الاول ـ صفته ـ ابطال مجلس الكنيسة المخصوص بادارة الاسقفيات ـ تدابير جس فى الحكومة ـ سجن والطير رالى ـ عدم قبول جس طلبات المتطهرين ـ ترجمة التوراة ـ ماوقع من الخلاف بين الملك ومجلس المبعوثان ـ مبارزة الكاثوليك لجس ـ دسيسة البارود ـ ندماء الملك ـ عدم قبول جس مساعدته زوج ابنته منتخب بلاطيناطيه ـ اختلال عقله بسبب اسبانيا ـ قتل رالى ـ خيبة السياسة المهينة التى أجراها الملك ـ دوق بكنغهام ـ ظلم الملك ـ ادوارد كوك ـ مشاحنات الملك مع البرلمان ـ الارتباكات فى ارلنده ـ استعمار فرجينيا ومسكوسيط ـ موت الملك ـ شارلس الاول ـ صفته ـ زواجه هنريطه مريم الفرنساوية ـ عدم حزم وأى حواشى الملكة من أهل الديانة ـ مشاحنات شارلس مع البرلمان ـ الديون والجبايات الالتزامية ـ حرب مع فرانسا ـ خيبة المسعى فى خلاص روشيل ـ عريضة الحقوق ـ قتل بكنغهام ـ المكاييل والموازين ـ اجتهاد الملك فى الحكم بغير برلمان ـ اسطرافورد والمملكة ـ وجود اسطرافورد فى ارلنده ـ اجراآت الملك المستبدة ـ نقود المراكب ـ مقاومة يوحنا هميدن فى رفع الضرائب ـ اجتهاد الملك فى الزام الصلاة على الاسكوطلنديين ـ الاتحاد الاكيد ـ عصيان الاسكوطلنديين ـ اجتماع البرلمان الطويل ـ

قتل اسطرافورد ـ ابطال الملك امتيازات مجلس المبعوثان ـ ثبات مجلس المبعوثان ـ هرب الملك ـ مبادى الحرب الداخلى ـ لجنة السلامة العمومية ـ واقعة جبل ادج ـ ترددات شارلس ـ موت هميدن ـ مخالفة البرلمان مع الاسكوطلنديين ـ عوليفر كرومويل ـ واقعة مرسطون مور وناسبى ـ تسليم الملك نفسه للاسكوطلنديين وتسليمهم اياه للبرلمان ـ ضبط نفس الملك بمعرفة الجيش ـ حروب شارلس والقبض عليه ثانيا ـ واقعة بريسطون ـ محاكمة الملك ـ قتله

(عصر العائلة الاستوارتية)
سلطنة جمس الاول

كان من نص شروط الوصية التى وصى بها هنرى الثامن انتقال تاج انكلتره من بعد موت اليزابث بغير وارث الى ذرية البرنسيسة مرغريطة البنت الكبرى لهنرى السابع فكان الوارث التالى للتخت من بعد موت اليزابث جمس السادس صاحب اسكوطلنده ابن مريم استيوارت من زوجها الثانى لورد دارنلى وكذا أعلن روبرت سيسيل رأس وزارة اليزابث بان اليزابث أوصت فى حال موتها بان ملك اسكوطلنده هو خليفتها من بعدها فمن ثم قبلته الامة من دون تردد وأملوا فيه الخير والبركة وسافر جمس من ايدنبورغ فى مبادى شهر ابريل ووصل الى لونده بعد مضى ستة أسابيع وتتوج فى وستمنستر فى ٢٥ يوليه سنة ١٦٠٣ بعد الميلاد وكانت هذه أول مرة فى ظهور لقب ملك بريطانيا الكبرى وارلنده وأبقى جمس مع العقل المصالح الكبيرة فى الحكومة تحت أيدى وزراء اليزابث وكان من ضمنهم الوزير الكبير سيسيل فرفعه الملك الى رتبة ارل سالسبورى وجعله رئيس مشورته ورتب عدة لوردات اسكوطلندية فى المجلس الخصوصى وتلقب جمس السادس بجمس الاول على تخت انكلتره ومن بعد تتويجه أصدر البرلمان منشورا بانه هو المستحق لطلب التخت وكان مائلا بطبعه لعقيدة الديانة الحقة التى كان الملوك عليها من قبله وبما أنه الآن استخلف على التاج الانكليزى بحقوق مولده صار الاحسن له المداومة على هذا الحق فداوم عليه مع غاية النجاح وقال المؤرخ (غرين) فى تاريخه المختص بالامة الانكليزية انه لا يوجد ملك من ملوك الانكليز يمكن الخوض فى حقه بالعيوب من الذين قاموا فى البيت الاستيوارتى زيادة عما ذكر فى حق جمس الاول من العيوب فانه تولد له من ضخامة رأسه ولعاب لسانه وترقيع ملبوسه وتكسيح سيقانه وحول عينيه ووقوفه فى ميدان المسخرة والاستهزاء عند عموم الامة حتى تذكروا عند رؤيته هنرى أو اليزابث فى وقت هدوه وفشره واحتياجه للسمو الذاتى وسلوكه فى المسخرة واعتكافه على السكر وكبره المتجرف وجبانته الدنيئة ومع ما كان عليه من هذه الصفات العجيبة كان رجلا نبيها مستوفيا للعلوم والمعارف ذا استعداد تام فى الجوابات المسكتة وبواسطة سجيته تنورت مسائل الوقت سياسية كانت أو ديانية بعبارات فاصلة ونصوص معنوية قاطعة موجزة الكلام سهلة النظام تلاطم الحد يدوما زالت رائحتها وطعمها موجودين لحد الآن غير أن نباهته وعلمه تركاه وحيدا فى عبارة هنرى الرابع أمهر واحد فى الجنون فى الممالك المسيحية وكان هنرى أصر على مسئلتين اشتملتا على بذر حبوب موت توقع من حروب هاجت بين قومه والحكومة أولهما رياسة الملوك على أهل الديانة حتى انه من قبل جلوسه على التخت الانكليزى وضع هذه المسئلة موضع استبداده لملوكى فى كتابه المتضمن قانون الحق فى السلطنة فقال ما نصه * ان الملك الطيب يجرى أعماله وأحكامه حسب نص قانون معروف لكنه ليس مربوطا عليه بل هو مربوط على أشغاله الطيبة العائد منها النفع على الامة وصيرورته أنموذجا وقالبا لرعاياه

فعنى الملك المستبد أو الحكومة المطلقة عند أهل السياسة من الطودوريين الذين كانوا يستعملونها هو أن السلطنة أو الملوكية تكون محصورة فى أنفسهم مستقلين بها من تداخل أى دولة غريبة أو حكومة باباوية فاستصوب جمس مراعاته نص هذه العبارات بما أنها مؤيدة لحركة الملك من كل سلطة تحت قانون أو من المسؤلية عن شئ ما بل أغراضه الملوكية فقط ومع هذا فانه تولد من خطف الملك وسلبه طريقة حكومة خطب فى حقها القسس فوق منابر الكنائس وبواسطتها وضع شجعان الرجال رؤسهم فوق قرمة قطع الرقاب وكان جمس رتب فى اسكوطلنده مجلسا كنائسيا بشأن ادارة الاسقفيات وأمل المتطهرون أملا كبيرا من جلوسه على التخت ومن اعترافه لهم بصوت عال فى انضمامه لعقائدهم فى وقت ما كان ملك اسكوطلنده ثم انه من قبل وضع قدمه فى انكلتره ترك كافة عقائده الاولية وألغى المجلس الكنائسى واختار ما تؤل اليه عاقبة فكره وعقله ورفض قبوله أهل دينه الاول بصفة أنهم أهل شقاق وثوران وعصيان وأعلن بالزامهم على الدخول فى الكنيسة الانكليزية أو نفيهم وطردهم من المملكة وكان هذا العمل أول الاعمال التى أجراها جمس الاول كما كان من أجود الاعمال دخوله فى معاهدة مع هنرى الرابع ملك فرانسا تعاهد الملكان فيها على المساعدة السرية لحزب الجمهورية الفاتشية أو الفلمنكية ومساعدة بعضهم بعضا لو وقع أى هجوم من اسبانيا وفى السنة الاولى من هذه السلطنة صدر حكم الاعدام على (والطير رالى) نظير تآمره على أن يجلس على التخت الست (عربلا استيوارت) خالة جمس الاول فصار تأخير القصاص وسجن رالى فى حبس البرج ثلاث عشرة سنة لان جمس قرر أن حكم الموت الصادر ليس حكم عدل وما تجاسر على تنفيذه على أشهر رجال الانكليز وأكبرهم فى عصره فلهذا أبقاه فى السجن المدة المتقدمة فصرف أيام سجنه فى مطالعة كتب الفلسفة وفى تاريخه الذى ألفه فى تاريخ الدنيا وأما الست عربلا فانها ما مست بشئ بسبب عدم دخولها شرعا فى هذه المادة لكنها من مضى ثمان سنوات غضب الملك منها بسبب تزوجها (غيليوم سيمور) من ذرية دوقة سوفلك كان يدعى طلب التاج فحبست فى البرج فحصل لها جنون وماتت

وبمجرد دخول جمس فى المملكة قابلته عريضة مقدمة من رؤساء المتطهرين لاصلاح العيوب التى وجدوها فى الكنيسة فمن أجل هذا عقد الملك مجلسا فى سراى همبطون فى سنة ١٦٠٤ بعد الميلاد فيه أربعة أعضاء من علماء حزب المتطهرين وستة عشر عضوا من حزب الكنيسة الانكليزية من أجل المداولة فى الخلاف الواقع بينهما وصار جمس فى هذا المجلس بصفة واسطة بين الحزبين فانعقد المجلس ثلاث مرات وقعت فيها المناقضات من المتطهرين فى خصوص استعمال التصاليب فى وقت المعمدة والخاتم فى الزواج والعشاء الربانى والسجود عند ذكر اسم المسيح وكانت نتيجة هذا المجلس وقوع تغيير خفيف فى كتاب الصلاة العمومية واضافة تنقيحات على مسائل العشاء الربانى فى العقيدة وترجمة جديدة للتوراة فصارت ترجمته بمعرفة أعظم علماء المملكة وانتهت ترجمته وأمر باستعماله فى الكنائس فى سنة ١٦١١ ومازالت هى التوراة الانكليزية البروتستانتية الموجودة لحد الان ولم يقبل الملك طلبات المتطهرين فيما يختص باصلاح المواد الكنائسية وأسكت متكلمهم بالسب واللعن والكلام القوى وأظهر نفوذه فى ارغامهم على الانقياد للكنيسة الحالية وأظهر علمه ونباهته أمام المجلس فى هذه الحفلة

ثم ان المنازعات بين مجلس المبعوثان والملك التى انتهت فى السلطنة التالية بقتل الملك نفسه كان مبدؤها فى مدة سلطنة جمس الاول وذلك أننا ذكرنا فيما سبق أن شوكة ملوك الطيودور بين كانت أكبر بكثير من شوكة الملوك أصحاب المقشة غير أن جمس جلس على الكرسى الانكليزى فى الوقت الذى ابتدأ فيه صوت الامة فى المدافعة بقلب قوى عن حقوقها وكان مقصد الملك الجديد حكم الامة بطريقة استبدادية وافتكر على أنه خليفة الله فى أرضه مثل الملوك السابقة ولا يجوز تعكير امتداد شوكته فتولد من مثل هذه الافكار نقض شوكة مجلس المبعوثان فقالوا فى أول برلمان عقد فى هذه السلطنة ان الملك لاحق له فى فعل شئ أو تغيير شئ من دون رضانا وذهب البرلمان الثانى فى مدة جمس الى مذهب أكبر من المتقدم فى القول والفعل من اجراآت عملت من دون مراعاة مجلس المبعوثان فتضرر مجلس المبعوثان من اجراآت جمس أشغال الحكومة من دون مداولة معهم ورفضوا ترخيصهم له فى مطلوبه من النقود حتى تتمهد وتصلح أحوالهم فى سنة ١٦١٤ بعد الميلاد فكانت هذه احدى القوالب والامثال القديمة من تنفيذ شوكة صيرت على ممر الايام لمجلس المبعوثان الدرجة العالية والكلمة السامية فارضى جمس بالانقياد لمطلوب المجلس وافتكر أن له حقا فى نقود رعيته يطلبها منهم من دون حصول تشويش مع البرلمان فمن ثم اجتهد فى جمع ايراد موافق لاغراضه بواسطة استعماله عادة الالتزام القديمة وزاد فى عوائد الاحتكارات وباع الوظائف والالقاب ومحلات المبيع ووظائف العبادات وزاد فى الغضب المتولد من هذه الاعمال بكونه شرع فى زواج ابنه ولى العهد بواحدة كاثوليكية من حزب البابا وفى البرلمان الثالث صرخ أربابه من الشكوى وما هو واقع من الملك ولما قال لهم الملك انه لاحق لهم فى المداخلة فى أعمال المملكة وان امتيازاتهم هى استحسان من أجداده ومن نفسه أقام مجلس المبعوثان الحجة عليه وأعلنوا فى تقريرحجتهم أن حرية كلام البرلمان وامتيازات أربابه هى من حقوق ولادتهم وأنها وراثة فى رعايا انكلتره وليست استحسانا من نفس الملك ولا من أجداده فأرسل الملك لارباب صحف جرائد البرلمان ومزق بيديه حجتهم القوية من كثرة ما وقع عنده من الغضب وصمم ملك المبعوثان على تنفيذ أقواله وحاز البرلمان الاخير نصرة على سلطة الملك وألغى قانون الاستبداد الغير الشرعى وزالت المنازعات الشديدة بوعد من الملك بما رأى من أن أحسن طريقة له ازالة الشقاق الذى لم يتولد منه الا الخراب وكان انضمام مملكة اسكوطلنده وانكلتره تحت سلطنة واحدة سببا فى انقراض العدوان القديم الذى كان واقعا بينهما وحافظ جمس مع الغيرة على مداومة الاعمال المقبولة التى يتولد منها زيادة كمال هذا الانضمام غير أن المملكتين ما زال التنافى انفصال وكلاهما قائم باجراء أعماله الداخلية فى نفسها على حسب قوانينها فما كان البرلمان الانكليزى راغبا فى تنفيذ أوامر الملك المخصوصة به التى يرغب منها منافع رعاياه القديمة وكان الرومان كاثوليك منتظرين منه معاملتهم مع اطلاق عنان أغراضهم الكبيرة المتسلطنة فى قلوبهم فانغشوا فى أملهم ووجدوا أن جمس أشد خصمالهم من اليزابث وعول جمس مخالفة لما كانوا يؤملونه فيه على تقوية الاوامر والقوانين التى صدرت ضدهم فى السلطنة السابقة فاشتد غضبهم وعولوا على الانتقام من الملك وأرباب مجلس المملكة وأشار واحد من خدمة الدين الكاثوليكى اسمه (روبرت كاتسباى) بموت الملك ومجلس الاعيان والمبعوثان بواسطة البارود وعرض هذا الرأى على أصحابه (برسى - وونطر - وريط) فقبلوا رأيه وجلبوا ضابطا من فلندره كان على مهارة كبيرة فى مثل هذه الاعمال من أجل اجراء تنفيذ مفعول

رأيهم وذكروا هذه الدسيسة لجملة ناس آخرين وكان رأس هذه الثورة (أفرارد دغباى) حتى انضم الى هذا المشروع عشرون نفسا واجتمعوا وتحالفوا على أن هذا السر لايخرج من بينهم وأغووا الذين يرغبون فى خلاص أنفسهم من الملك الحالى والاعيان والمبعوثان البروتستانتية ووضعوا اراءهم فى قالب به يمكنهم ضبط الحكومة وعود الديانة الكاثوليكية فى انكلتره ودخل فى هذه الدسيسة الخبيثة عدة من أمراء الكاثوليك

وفى فصل صيف سنة ١٦٠٤ بعد الميلاد آجر الثائرون منزلا بجانب ديوان البرلمان وخرقوه الى مطمورة تحت هذا الديوان كانت معدة مخزنا للفحم فاستأجروها أيضا وخزنوا فيها ستة وثلاثين برميلا من البارود ووضعوا فوقها فحما وحطبا وفتحوا أبواب المطمورة مع الجسارة كأنه لم يوجد فيها شئ واستمرت هذه الدسيسة نحو سنة ونصف من ابتداء الشروع فيها وأشغالها سرية لايشعر بها أحد وبما أن البرلمان يكون فتحه بواسطة الملك فى ٥ نوفمبر سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد ظهر لارباب الثورة نجاح أمرهم وأعد الثائرون ما يلزم لتمام هذه الحركة واتفق دغباى واخرون على اجتماعهم فى نواحى دونكارك من أعمال واروبك فى المحل الذى كانت مقيمة فيه البرنسيسة اليزابث وكان اجتماعهم بدعوى أنهم فى الصيد وفى أثناء هذه المدة وصل ليد (لورد مونطيغل) من أعيان الكاثوليك مكتوب يحذره عن توجهه فى يوم فتح مجلس البرلمان وكانت الالفاظ السرية المكتوبة فيه ستحل بأهل البرلمان مصيبة شديدة ومايرون من الذى أوقع بهم الضرر فعرض (مونطغيل) هذا الجواب على الوزير سيسيل فعرضه على الملك فتذكر الملك عاقبة أبيه وتفكر فى أن هذه المصيبة لابد وأن تكون من عملية بارود فارسل فى الحال رجالا للفحص عن هذه المسئلة ففازوا حتى وصلوا الى القبوة الموجودة تحت ديوان الاعيان فى الليلة التى فى صباحها يفتح البرلمان ووجدوا فيها فوكس الضابط الذى جلبه الثائرون من فلاندره مستعدا لالهاب البارود بالنار وكان دغباى وأصحابه تحت السلاح من قبل فى واروبك فوصلت اليهم الاخبار بانه وقع الكشف على جميع ما أجروه فهربوا فى الحال الى هولبيك فسار العساكر خلفهم وقبضوا عليهم فاما (برسى وكاتسباى) فانهما ضربا بالرصاص فى الميدان وصار تقطيع آخرين وأسر اورؤساء الثورة وقتلوا وقطعت رقبة غارنيط الجزويتى بما أنه كان له نصيب فى هذه الدسيسة ووقعت هذه الثورة موقع الفزع عند الامة وصدرت الاوامر الشديدة فى حق طائفة الرومان كاثوليك واشتدت عداوة الانكليز للديانة الرومانية بواسطة الطريقة التى أمل بها كاتسباى توطيد الظفر لدينه وطلب من الرومان كاثوليك عهودا ومواثيق جديدة تؤيد طاعتهم ويذكرون فيها تبرئتهم من العقيدة الكاثوليكية القاضية بقتل أو عزل الملوك الذين يتوقع عليهم الحجر الكنائسى من طرف البابا بواسطة رعاياه أو غيرهم فأعطى البعض من المتمسكين بالدين الكاثوليكى اليمين المؤكد حسب طلب الحكومة ورفضه آخرون بامر من البابا بول الرابع

ومع أن جمس طالب أن تكون شوكته مطلقة النفوذ لكنه سلم نفسه لسلطة ندمائه فحكموا عليه فى كافة أعماله وفى مدة حياة ارل سلسبورى وطد هذا الرجل الجليل شوكته على الملك ومن بعد موته أخذت شوكة جمس فى الضعف جدا بسبب ما كان عليه من محبته لندمائه فكان أول هؤلاء الندماء شخص اسكوطلندى اسمه (روبرت كار) شاب من عائلة طيبة كان جاء الى لوندره فى سنة ١٦٠٩ بعد الميلاد وفى أثناء زواج ابنة الملك انكسر فخذ (كار) بحضور الملك وبما انه كان شابا جميلا نال رحمة الملك

وأغدق عليه بمعروفه وأمر باقامتـه فى السراية وأحبه جمس محبة كبيرة ورفعه الى رتبة ارل سمرسيط
وفى شماخة سعادته خالف نصيحة صديقه (توماس أوفربورى) وتزوج مطلقة الشاب ارل اسكس فما
نسبت الكونتيسة لتوماس هذه النصيحة وباغوائها صار ارساله الى البرج بسبب بعض كراهة ومن بعد
مضى بضع شهور مات مسموما ووقع الكشف على حالة القتـل وحكم على كل من دخل فيه بعقاب
الموت غير أن سمرسيط وزوجتـه بقيا فى حبس البرج ومن بعد أن لبثا فى السجن بضع سنين حصل
الافراج عنهما وصرفا ما بقى من حياتهما فى عيشة مهينة وكان النديم الثانى للملك من بعد كار
هو (جورج فيليير) المعروف بدوق بكنغهام ابن أمير من أمراء ليسيستر وصار هذا أول واحد
شريف فى الارض وحكم المملكة والسراية والديوان كما يشاء ووضع فى كافة المصالح الكبيرة فى المملكة
حواشيه رغما عن غضب الامة وما تولد من الارتباكات التى وقعت فى السلطنة القابلة كان جميعه
منسوبا بالشدة نفوذه وتأثير أحكامه

ثم انه فى نحو غلاق هذه السلطنة انفجر حرب الثلاثين سنة فى أرض القارة أى من سنة ١٦٠٩ الى
سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد وكان مبدؤه مشاحنة وقعت بخصوص تاج بوهيمية وذلك أن فرديناند
الثانى صاحب اوستريا طلب مملكة بوهيميه حيث انها الوارث لها لكن من حيث ان أهلها ادخلوا
قلبا ولسانا فى الدين الاصلاحى ورغبوا أن يكون لهم ملك على دينهم قدموا تاج مملكتهم الى فريدريق
الخامس منتخب بلاطيناطيه من الرين وكان تزوج اليزابث ابنة جمس الاول وبما أن المشاحنة
كانت منازعة ديانية عضد كافة الممالك الكاثوليكية فرديناند وأما الامارات البروتستانتية فانها
عاضدت المنتخب فريدريق ونجح الاوستريانيون فى طردهم فريدريق من مدينة براغه فى سنة
١٦٢٠ بعد الميلاد فانجبر على الهرب مدة حياته فى هولنده وصارت منتخبة تحت رحمة أعدائه
وما وقع من جمس أدنى مساعدة لزوج ابنته بل رخص لبعض من المتطوعين فى حمل السلاح من أجل
المحافظة على بلاطيناطية وبدل أن ينضم الى الاتحاد البروتستانتى أمل أنه يرد على زوج ابنته ممالكه
بعقد معاهدة زواج بين شارلس ابنه ولى عهده وبين طفلة اسبانيا فغضبت الامة الانكليزية وأصرت
على الحرب لو حصلت هذه المعاهدة وفى حال جريان المخابرة فى عقد الزواج مع عناد من جمس توجه
بكنغهام والبرنس شارلس زائرين لديوان اسبانيا خفية باسم سميث فقوبل البرنس مع الاحتفال
الزائد وتولد من كبر وعجب بكنغهام عدم اعتباره عند الاسبانيين واستخفافهم به ولما عادا من
طريق باريس الى انكلتره انشغف البرنس شارلس بحب هنريبيطه مريم اخت لويز الثامن فكانت
هذه الحالة وكراهة بكنغهام الديوان الاسبانى سببا فى نكث الزواج الاسبانى وانشرحت صدور
أرباب مجلس البرلمان من اعادة الاعمال وأثنت الامة على بكنغهام فى دخوله فى هذه المادة وكانت
نتيجة هذه التغييرات وقوع الحرب مع اسبانيا وفى السنة الاخيرة من السلطنة أرسل جمس جيشا
مؤلفا من ١٢,٠٠٠ نفس من أجل مساعدة زوج ابنته الا أنه من سوء تدبير حركة العساكر مات
نحو نصفهم قبل وصولهم أرض القارة وصار النصف الباقى عاجزا عن عمل أى شئ وانتهى حرب
الثلاثين سنة بعقد معاهدة سلمية فى وسطفالية أعيد فيها للمنتخب القسم الاعظم من بلاطيناطيه ومن
قبل فسخ الزواج الاسبانى طلب البرلمان أن الملك يلزمه اعلان حرب على اسبانيا ويخلص جرمانى
البروتستانت من عدوانها فتلقى جمس هذا الطلب بالضعف وزاد حبه لاسبانيا وعداوته لانكلتره

فلاجل تحريضه اسبانيا على اعلان حرب على انكلتره أعد حملة لمحاربة مستعمرتها غينا فى غرب افريقه وأفرج عن (والطير رالى) من سجنه وعهد اليه زمام قيادة هذه الحملة وكان على دراية تامة من معرفة محل معدن الذهب وأنذر جمس الاسبانيين بشأن هذه الحملة فهزموا رالى ومنعوه النزول فى غينا وفى أثناء عوده اجتهد فى القبض على مراكب الخزينة الاسبانية قاصدا بذلك ارغام اسپانيا على اعلان حرب على انكلتره وبما أن اسبانيا متحققة من وهن ملك انكلتره طلبت منه قتل رالى فقتل على الفور بمجرد عوده من سفره فى سنة ١٦١٨ لا على جريمة جديدة بل على موجب الحكم القديم الذى صدر فى حقه ورأى العموم قتل رالى بانه شهيد لانه قتل فى مرضاة اسبانيا

وما كان جمس الاول مقبولا عند الامة الانكليزية فى سياسته الداخلية والخارجية فانه كان دائما فى ارتباك مع برلمانه من أجل الحصول على السلطة المطلقة وكان أرباب البرلمان محافظين على حريتهم من نفوذ شوكته وكانت رغبة الملك حكمه مملكته بنفسه من دون واسطة برلمان واجتهد فى عدم قضاء المطاليب الضرورية اللازمة بواسطة هذا البرلمان وجمع لنفسه ضرائب الحكومة المقررة على تجارة المملكة فحصل من الامة مقاومة هذه الجباية بما أنها غير قانونية وقررت المحاكم ما عليه الامة من مقاومتها بمساعدتها لها بقواعد قطعية فاشتد بالملك الغضب وأرسل للقضاة ولعنهم وأمرهم بالانقياد لاغراضه فقال واحد منهم انه حكم فى القضايا التى تقدمت له على حسب أحكام القانون الموجود تحت يده وكان هذا القاضى (ادوارد كوك) قاضى القضاة فانه وان كان كثير الزلات الا انه ما سلم مشروع الملك القاضى بجعل قوانين المملكة تحت رجله واستعفى كوك فى الحال من المجلس النيابى ولما دام على ذلك عزل وتجرد من وظيفة قاضى القضاة فى سنة ١٦١٥ فتولد من هذا الفعل الذى وقع من الملك الفزع الاكبر وازدراء الامة فى تداخله فى القضايا المخصوصة بالمحاكم العدلية

وفى نفس هذه السنة اجتهد جمس فى جمعه نقودا بسبب بيعه رتب الامارة وزاد فى عدد أمراء العوام مائة فى المائة بواسطة بيعه الرتب ومع هذا فما كان له طاقة على أداء الاعمال من دون البرلمان فالتزم على عقده ثم اشتد بالملك الغضب منه وأبطله قبل أن يجرى أدنى شغل واجتهد جمس فى أن يجمع لنفسه نقودا تقدم له بصفة هدايا وفى سنة ١٦٢١ بعد الميلاد التزم بعقد البرلمان فاظهر هذا البرلمان شدة الاستقلال وعزم على منع المفاسد وقوى مع الجسارة امتيازات المجلس وحقوقه وكانت اندثرت وأوقف اللورد النائب (فرنسيس باخون) أكبر رجل فلسفى فى انكلتره فى ذلك الوقت وأثبت عليه أخذ البرطيل ومفاسد أخرى واقعة منه فعزله البرلمان من وظيفته مخزيا فدخل باخون تحت رعاية جمس من أجل ان يوقف حكم عزله فقال جمس ان عزله بمعرفة البرلمان هجوم على حقوق التاج وأعاده الى وظيفته وصار النائب هدفا للعداوة بكنفهم فأغوى بكنفهم الملك على تركه الى ما تؤول اليه عاقبة أمره ثم طلب مجلس المبعوثان من الملك مساعدته بروتستانت جرمانيا وأخذ عروسة بروتستانتية لابنه ولى العهد فتولد من هذا التداخل فى الاعمال الخارجية غضب الملك وألغى المجلس من بعد أن لعن أربابه ومع هذا فانه غلب على نفسه وحازت انكلتره حريتها فعلا وقامت شوكة المبعوثان وأيد البرلمان حق عدم تداخل الملك فى سلطة وضع الضرائب وألغى مسائل التعهد والاحتكارات وأصلح العيوب الموجودة فى المحاكم القانونية وأحيا حقوق التوقيف والعزل عن الوظائف حتى على كبار الوزراء فى الحكومة وأيد فى امتيازاته حريته فى المناقشة فى المسائل الخاصة براحة المملكة وأعلن

برغبته فى الاسرار الخفية فى المواد السياسية الخارجية

ومن بعد مضى بضع سنين من جلوس جمس على التخت ثبت على كل من (ارل طيرون ـ وارل طيركونل) أكبر أمراء الجهة الشمالية فى ارلنده تداخلهما فى ثورة مخصوصة بالخروج عن طاعة انكلتره فهربا ناجيين بأنفسهما وثبتت عليهما الجريمة وفى سنة ١٦٠٨ عصى (عودو عزطى) فأعلن بتجريده من أملاكه وكان رئيسا قوى الشوكة وتولد من هذه الثورات التى وقعت من دون ثمرة أن ضبطت الحكومة القسم الاعظم من (عولسطير) فى ارلنده وأعطى الملك أراضى هذا القسم لناس من اسكوطلنده وانكلتره فاستوطنوا فيه وأصلحوه الى درجة ما حتى صار أعمر قسم فى ارلنده وبمثل ذلك توطنت طوائف فى نواحى انسطير فعمروها وأصلحوها أيضا غير أنه مع ما كان من اصلاح المملكة فانه حل بارلنده الضرر الكبير لانه صار طرد الوطنيين من أملاكهم بحالات فظيعة ابخلوا القادمين محلات سكنهم وانغرس فى قلوب أهل ارلنده حاسية عدم العدل واهتمت بريطانيا الكبرى فى غرسه زيادة فى قلوبهم

وفى مدة السلطنة تأسست مستعمرات فرجينيا ومسكوسيط فى أمريقه وابتدأ استيطان الانكليز فى نصف الكرة الارضية الغربى وفى سنة ١٦١٦ مات (غيليوم شاكسبير) أكبر شعراء الانكليز ومؤلفيهم والى هذه السلطنة ينسب أيضا كتبه (لورد باخون) من الكتابات الادبية والعبارات المهذبة الانكليزية وفى ٢٧ مارث سنة ١٦٢٥ بعد الميلاد مات الملك جمس بحمى أصابته وخلفه ابنه

سلطنة شارلس الاول

الثانى الباقى على قيد الحياة (شارلس الاول) فأملت الامة الانكليزية آمالا كبيرة بما وقع فى السلطنة من هذا التغيير بجلوس شارلس وكان محبوبا عند الامة يدهش العقل بجماله وظرافته متوسط الجسم ذا شهامة عالية طبيعية بارعا مهذبا مقبولا فى سيره عذب المنطق عبوس المنظر فاق أقرانه فى ركوب الخيل وكافة الالعاب وحاز كثيرا من صفات الملوكية العظيمة غير أنه من سوء بخته كانت مدة حياته ومبادى جلوسه على التخت فى أصعب الازمان وورث من أبيه حب الشوكة الاستبدادية ورأى نفسه أن له الحق الشرعى فى استعمال أى واسطة فى المحاماة عن حقوقه السلطانية وابقائها فى قبضته وجلس على التخت بعزم أن يجعل نفسه سيد قومه وأن قوله وفعله قانون المملكة ورأى أن سعى البرلمان فى تحديد سلطنته تحت حدود معلومة خيانة منهم فى انحطاط حقوقه فى السلطنة ولما جلس على التخت بهذه التصورات فى المدة المشكلة المذمومة من تاريخ مملكته مارغب فى توطيد استتباب الامن ولا النظر فى اصلاح الاكدار التى تحملت انكلتره عناءها من مدة طويلة مضت ثم انه من بعد جلوس شارلس على التخت ببضع أسابيع تزوج بالبرنسيسة (هنريبطه مريم) ابنة هنرى الرابع ملك فرانسا وكان خطبها لنفسه مدة سلطنة أبيه كما ذكرنا فكان هذا الزواج غير مقبول عند الانكليز لان الملكة الجديدة كانت متمسكة بدين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وصحبها فى سفرها الى انكلتره جماعة قسس على دينها فبدل أن يلازموا على دينهم شرعوا فى التداخل فى أعمال الحكومة الى درجة تولد منها شقاق ونزاع وحضوا الملكة على أن تزور ومعهم مزار (طيبورن) محل شنق أرباب الجرائم وقتل بعض من الكاثوليك فى مدة سلطنة هنرى الثامن فتسبب من ذلك الغضب الشديد عند الامة الانكليزية حتى التزمت الحكومة على طرد الخدم الفرنساوية الذين جاؤا مع الملكة وأرسلوا بالثانى الى بلادهم فدافعت عنهم الحكومة الفرنساوية ورضيت الحكومة

الانكليزية

الانكليزية وترخص للملكة بان يكون فى صحبتها اثنا عشر قسيسا وأسقفا من الكنيسة الكاثوليكية فى داخل سرايتها

وتولد فى عقول الامة مما حصل من حزم الرأى وعلو الافكار فى السلطنة السابقة ضياع الكثير من احترامات السلطنة وتولد أيضا من طلب جمس الاول الحصول على استبداد الشوكة وقوع الامة فى هياج وقد كان دين المتطهرين أخذ له جذرا عميقا فى الارض مع ماوقع عليه من الجور وبما أن المتطهرين كانوا براءعون الكنيسة والملك واحدا حصل منهم مقاومة الشوكة الملوكية وكان البرلمان أهمل فى وضع حدود صادة للحكومة السلطانية حالما جلس بيت استيورات على التخت فكانت هذه فرصة للملك الجديد فى هذا المشروع فمن بعد أن تزوج الملك هنريبطه مريم عقد أول برلمانه بحالة غير ملائمة وكان أبوه ترك له دينا يلزمه دفعه وهو حرب مع اسبانيا وكان مجلس المبعوثان من جهة أخرى أغلبه مؤلف من حزب المتطهرين ومنهم لاتنفصل الحرية الداخلية ولا الدينية فمن ثم عزموا على حوز الحريتين بكونهم يجعلون الملك آلة تحت أغراضهم فقرروا بأغلبية الاصوات عند طلب الملك نقود المصروف الحكومة والحرب ١٤٠,٠٠٠ ليرة مع الايراد المتحصل من المكاييل والموازين مدة سنة واحدة فقط وهو مبلغ غير كاف لقيمة نصف الدين الذى تركه جمس الاول وكانت عوائد المكاييل والموازين ضربت فى مدة سلطنة ادوارد الثالث وانحصرت فى عوائد كل طولونانه من أنواع النبيذ وفى كل رطل من الواردات والصادرات من والى المملكة وقدموا فى هذا الوقت عريضة الى الملك يرجون منه تقوية القوانين الصادرة ضد الرومان كاثوليك ولما وجد شارلس أن برلمانه سد أذنيه عن التماس مطلوبا نه ألغاه وعمل له الوسائط فى اقتراض ديون على حسب العوائد القديمة فتحصل على نقود كافية فى تطقيم اسطول للاغارة على اسبانيا وعقد شارلس البرلمان الثانى فى سنة ١٦٢٦ بعد الميلاد الا أنه توظف أربعة من رؤساء الاعضاء المضادين للملك الذين كانوا فى المجلس السابق فى وظائف مأمورين فى الحكومة ومن ثم حرموا من الانتخاب فى المجلس ومن أمر المناقضة ومع هذا كان المبعوثان أشد قوة وكراهة من قبل فعرضوا على المجلس ضررهم من الحزب البابوى وأقاموا الحجة على جباية نقود من دون رضاهم وعرضوا بتوقيف وزير الملك دوق بكنغهام من وظيفته فغضب شارلس من معارضتهم وأمر بسجن اثنين من كبار أعضاء المجلس وهما (ديجيس ــ واليوط) من أجل تلفظهم فى المجلس بالاقوال المهيجة فتولد من ذلك نفور كبير ولاجل استحصال الملك على خلاص نديمه ألغى برلمانه الثانى وأمر بجباية العوائد من دون حق شرعى وأمر بحبس أكابر الحزب المضاد ورتب بلوكات من العساكر لتسكين الامة ومحاكم جنائية فى كل جهة لتقوية أوامره ثم زادت المصاعب على الملك بظهور حرب مع فرانسا فلاجل استحصاله على اللوازم المطلوبة عقد البرلمان الثالث فى سنة ١٦٢٨ بعد الميلاد فاجتمع مجلس المبعوثان معولين على تأييد حقوقهم ومن قبل أن يقترعوا فيما هو لازم من المطلوبات قرروا لائحة أطلق عليها عريضة الحقوق وقدموها للملك من أجل التصديق عليها وكانت هذه اللائحة المشهورة هى المنحة الثانية الكبرى المتعلقة بحرية انكلترة وربط الملك نفسه على حسب بنودها وموادها فكانت ــ أولا لايجوز جباية نقود من دون رضا أرباب البرلمان ــ ثانيا لايجوز من الآن فصاعدا حبس ناس امتنعوا من دفع ضرائب غير قانونية ــ ثالثا لايجوز تسليط العساكر على أهل المملكة وسكانها ــ رابعا لايجوز تعريض الامة للمحاكم الجنائية

ثم اقترع المجلس على خمس اعانات بقيمة مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ ليره وحصل لارباب البرلمان السرور فى ربطهم العلاقات الودية مع ملكهم غير أن الملك ما أسرع ما ألغى عريضة الحقوق وجبى الضرائب بغير قانون مثل الاول ولما أنذره المبعوثان لدغ تسعة من كبارهم مثل الافعى وطرحهم فى السجن وكانت واحد منهم (حنا اليوط) من بعد سنين فى السجن وألغى البرلمان مع كراهة الملك

وقد صار اعلان الحرب على اسبانيا بأمر من جمس ودوق بكنغهام وفى سنة ١٦٢٥ بعد الميلاد أرسل أسطول مؤلف من نحو مائة سفينة حاملة تقريبا ١٠,٠٠٠ من العساكر لاجل التغلب على كاديس فخابت هذه الحملة وبها انتهى الحرب فى سنة ١٦٣٠ بعد الميلاد وفى سنة ١٦٢٧ أعلن بالحرب على فرانسا وسببه أن بكنغهام تنازع مع الكردينال ريشيليو الوزير الكبير فى فرانسا وكان مشغولا فى حرب مع بروتستانت مدينة روشيل فلاجل أن ينتقم الدوق لنفسه من الكردينال خصمه أشار على مليكه باعلان الحرب بحجة مساعدة بروتستانت فرانسا فأرسلت ثلاث حملات من انكلتره من أجل خلاص روشيل وكانت فى شدة من مضايقة حصارها بواسطة ريشيليو وكانت الحملة الاولى تحت قيادة بكنغهام مؤلفة من ١٠٠ سفينة و ٧,٠٠٠ عسكرى غير أن السكان من عدم وثوقهم ما قبلوا دخول الحملة فى المينة فرجع الدوق بعد أن فقد نصف رجاله بدون اتمام شئ ثم أرسلت حملة أخرى فى سنة ١٦٢٨ بعد الميلاد تحت قيادة (لورددنبيغ) عديل بكنغهام فما وقع لهذه الحملة نجاح أيضا فعزم بكنغهام على أن يتولى بنفسه قيادة الحملة الثالثة وفى حالة استعداده فى (پورتموث) للسفر طعنه (القايمقام فلطون) بخنجر وفرض انه أدى خدمة لمملكته بخلعه نديم الملك من وظيفته وسافرت الحملة تحت قيادة (ارل لندسى) وخابت فى أعمالها مثل غيرها وكذلك جميع المساعى التى عملت لخلاص روشيل ما كانت ناجحة

ومن بعد ابطال البرلمان الثالث عول شارلس على الحكم من دون واسطة برلمان وما كان انعقد لمدة احدى عشرة سنة وانتدب لمساعدته على ظلمه وجوره اثنان من الوزراء كانوا مترشحين لذلك أحدهما (توماس ونطورث) الذى رقاه فيما بعد الى رتبة ارل (سطرافورد) والثانى (غيليوم لود) أسقف لونده وتعين فيما بعد رئيس أساقفة كانتربورى ولما رأى شارلس أن أعمال مملكته محتاجة للالتفات عقد صلحا مع فرانسا واسبانيا وترك كل تداخل فى أعمال القارة فابتدأ كل من (ونطورث ـ ولود) فى الاشغال التى تجعل الملك فى حالة استبدادية فعهد الملك الى ونطورث زمام أشغال المعارضات فى المواد الداخلية المدنية وجعله رئيس المجلس فى الكونتات الشمالية وكان هذا المجلس رتبه هنرى الثامن من أجل اطفاء الثورات فى سنة ١٥٣٦ بعد الميلاد فوطد ونطورث شوكة الاستبداد للملك على الكونتات الشمالية وأخضع له أهلها وأقام جبلا من المصائب لليوم الموعود ثم انه فى سنة ١٦٣١ أرسل ونطورث الى ارلنده ليحكمها كنائب عن الملك فحكم المملكة بالسلطة الاستبدادية التى أجراها فى انكلتره وجعل ارلنده حصنا متينا يمكن فيه للملك اجراء اجتهاداته فيما يلزم له ضد الحرية الانكليزية وما كان له فى نفسه غاية خصوصية بل كان صادقا خاضعا فى خدمته للملك وشغالا نشيطا فى وظيفته وبذل طاقته وحزم رأيه فى ادارة العدل من أجل ارتباط ارلنده ببعض الجهة الملك بصفة أنه المنبع الذى عليه مدار استخراج كافة حقوقها وجودة سعادتها وراحة أهلها واجتهد فى عدم حصول علاقة بين الكاثوليك والبروتستانت بقصد جذب كل من الحزبين نحو الملك فنجح فى اجتهاده

هذا

هذا وهى أساسات المصائب والآفات لهذه المملكة المحروسة وأخضع كامل ارلندة لمرغوب الملك حسب رغبته وارشاده وجعل أرواح الامة الارلندية وحريتها وسعادتها فى قبضته يديرها كيف شاء

وأما لود رئيس أساقفة كانتربورى فانه استلم زمام أشغال انقياد طاعة حزب المتطهرين الى حكومة الكنيسة الحالية وكانت هذه الطائفة فى هذا الوقت مؤلفة من قسم عظيم من الامة داخل فيه أعظم مشهورى الامة وأكابر الوجوه والكثير من العلماء وخدمة الدين النافعين فى المملكة واستعمل لود كافة سلطة الحكومة وشوكتها فى حطم هذه الطائفة ودبر طرق الخيانة فى اجراء هذا العمل بانشائه محكمتى قاعة الكوكب والمجلس العالى فكانت محكمة الكوكب مخصوصة برؤية المواد السياسية والمجلس العالى مخصوص برؤية المواد الديانية فتنافسا فى الجور والظلم وكانت الاحكام تصدر منهما بالتغريم والحبس الشديد على الذين لا يقبلون اجراآتهما فكانت نتيجة هذا الجور ازدياد البغض الواقع على الملك ووزرائه وازدياد عدد المتطهرين المراعين بأنهم شهداء الحرية المقبولة عندهم ومن ضمن الاختراعات التى ذهب الملك فى تدبيرها وكانت أقبح شئ عند الامة جباية نقود تعرف بنقود المراكب وكانت هذه العوائد ضربت فى السلطنات السابقة فى مدة الاغارات الدائمة البحرية على الكونتات الساحلية من أجل استعداد سفن لحماية الساحل وبمشورة (فنش) رئيس العدالية و (نوى) وكيل الدعاوى العمومية وقع التصميم فى سنة ١٦٣٤ بعد الميلاد على احياء هذه العادة القديمة وطلب من المين البحرية أول مرة دفع مبلغ من النقود بدل المراكب وفى السنة التالية طلب دفع مثل هذا المبلغ من الكونتات الداخلية البعيدة عن الساحل فصرخت الامة من مثل هذا الخراج وعم الضرر والشكوى وقال الناس هل توجد ضرائب تجبى للحرب فى مدة السلم فضلا عن أن الملوك القديمة ما جمعوها أبدا من الجهات الداخلية وان ذلك كان خاصا بمينا او جود العمارة البحرية ففعل الملك ما يختاره من جمع هذه النقود وجمعت من دون مخابرة البرلمان وكان الاسطول فى الحقيقة ضروريا بالسلامة انكلترة لان لصوص الفلمنك وجهات بلاد المغاربة فى افريقة كانوا يهجمون أحيانا على سواحل انكلترة وأوقعوا المصائب فى تجاراتها فصار للملك بواسطة النقود قوة على انشاء أسطول قوى حصل منه نتائج عظيمة غير أن سلامة السواحل والمحافظة عليها ما انتج منها تسكين ضرب هذه العوائد بطريق الاستبداد وتشجع (يوحنا همبدن) من أعيان بكنغهام فى مقاومته هذه الضرائب الغير قانونية وكان من أعيان الحزب الوطنى الانكليزى وضربت الحكومة على أملاكه عشرين شلنا بدفعها فرفض دفعها وقدمت قضيته الى القضاة فى ديوان المالية وفى سنة ١٦٣٧ بعد الميلاد فصل القضاة بآراء القليل من أرباب المجلس الحكم على همبدن بدفع المبلغ فكانت هذه المحاكمة أشد ضررا على الحكومة هاجت بواسطتها الامة وقاموا وتقووا بأمثولة همبدن ووقع منهم أشد المعارضات فى أوامر الملك وكانت على شارلس أشد بلاء من هزيمة تحصل له فى ميدان واقعة وأخذ همبدن محله فى الحال بين رؤساء الحزب الوطنى ورأى الامة من نتيجة محاكمة همبدن أن حريتها صارت على خطر وزادت على الامة مصاعبها ونعت نفسها فى ضياع بختها وقطع الكثير من الامة الأمل من بلادهم وأوطانهم ووجهوا أعينهم لساحل أمريقه وكان تأسس عليه فيما سبق مستعمرة من المتطهرين فوسقت المراكب من انكلترة مركبا بعد مركب ناسا الاجل وصولهم الى

هذه الجهة كرهوا ما وقع من مظالم الحرية الديانية والاحكام الداخلية فراعت الحكومة هذه المستعمرات بعين الكراهة وكان موجودا ثمان سفن موسوقة بأعظم رجال أمراء الانكليز وأبنائهم في نهر التمس ومستعدة للسفر وصدر لها أمر المجلس بعدم السفر وكان على ظهر واحدة من تلك المراكب (ارثر هازلريغ - ويوحنا همبدن - ويوحنا بيم - وعوليفر كرومويل) صاروا فيما بعد القسم الاكبر في قلب الشوكة الملوكية وانقراضها ومن بعد مضى سنين ندم الملك على عدم اذنه لهؤلاء الامراء في خروجهم من المملكة وظهر للامة في هذا الوقت أنها صارت تحت رحمة الملك وظهر أيضا لونطورث أن مشروعاته الاستبدادية انتهت فوقع تغيير في الاعمال على حين غفلة في ادارة الملك من جهة اسكوطلنده وذلك أن شارلس رغب مثل أبيه أن يقيم في اسكوطلنده طريقة ديانة مثل الجارية في انكلتره فساح في سنة ١٦٣٣ بعد الميلاد في مملكته الشمالية ومعه لود رئيس أساقفة كانتربورى وعين لهذا الصدد أربعة عشر أسقفا ورفع معظم هؤلاء الاساقفة الى الدرجات العالية في المملكة فغضب الاشراف الاسكوطلنديه غضبا شديدا ورأوا أن ذلك دمار في كنيستهم وعقائدهم الديانية وسبب لنهب أملاك الكنيسة لجهة الاصلاح الانكليزي ونظر الطوائف الواطية من خدمة الدين بعين الكراهة للاساقفة وتقوى عوام الامة بالاشراف وخدمة الدين وغاروا على دينهم من مساعى الملك ومارضوا باعماله وأوامره فما وقع في ولاية من الولايات مثل ما وقع من هياج الرومان كاثوليك في اسكوطلنده واتجهت أفكارهم للديانة البرسبتريانية وكرهوا كل شئ كان تابعا للبابا من صلاة وأساقفة ولبس حلل بيض وما وقع منهم أدنى ثورة على الملك ما دام موافى رخصة من اقامتهم الصلاة العامة على مقتضى نص العقيدة البرسبتريانية ثم انه في سنة ١٦٣٧ بعد الميلاد عول شارلس على ادخال كتاب الصلاة في مدينة كيرك الاسكوطلنديه وهو كتاب عمل على منوال الصلاة الانكليزية الا أنه مكروه جدا عند البروتستانت وصدر الامر بأنه يلزم العمل على هذا الكتاب في يوم أحد معلوم في كنيسة سنت غيلس الكبيرة في مدينة ايدنبورغ وفي يوم الاحد المعلوم شرع خورى ايدنبورغ في قراءة خدمة الصلاة على حسب نص الكتاب بحضور الاساقفة ومجلس خصوصى وبمجرد ما فتح الخورى الكتاب ازدحمت الامة وهاجت هياجا شديدا ألجأ الاسقف والخورى على الهرب وتولد من هذا الهياج ثورة لم يكن عند شارلس حيلة في قمع الثائرين بدون قوة عسكرية وقامت الحماسة في الامة وأخذتهم حدة الغضب من كل كنيسة في اسكوطلنده دخل فيها هذا الكتاب فمن ثم صار تشكيل أربع لجنات في ايدنبورغ مؤلفة من أشراف وأساقفة وتبعة من أهل المدن وعهدا اليهم زمام أحكام أشغال المملكة فكان أول أعمالهم ترتيب مجلس أهلى تتعهد الامة فيه بربط أنفسها على رفض أوامر البابا وعدم وقوع بدع في الديانة وحماية بعضهم بعضا من كل مقاوم لهم ومن بعد مضى شهرين في سنة ١٦٣٨ وقع على هذا القرار تسعة عشر جزأ من عشرين جزأ من الامة من كافة طوائفها رجالا ونساء وأطلق عليهم اسم المتحالفين ومن بعد هذا اجتمعت جمعية عمومية في (غلاسغو) وأبطلوا الاسقفية والصلاة ورؤساء الكنائس والمحاكم العالية وكافة ما صرف في تأسيسه جس وشارلس سنين عديدة وأخذ الدين البرسبترياني لنفسه مرة أخرى جذرا عميقا في كنيسة اسكوطلنده واقتحم الطرفان حمل السلاح فأما الملك فلاجل المحافظة على حكومته وأما الاسكوطلنديون فلاجل المحافظة على دينهم وحريتهم فاجتمع تحت قيادة شارلس

٢٠٠٠٠ نفس فى مدينة (بيرويك) ونحو ٢٠٠٠٠ نفس من الاسكوطلنديين تحت قيادة القائد (ليسلى) وزحف ليسلى بجيشه نحو بيرويك لكن لم يقع حرب ونظر الميل معظم الامة الانكليزية مع الثورة انجبر شارلس على أن يدخل مع الثائرين فى مخابرة اتفقوا فيها على تفريق الجيوش من كل من الجهتين وفصل المشاكل بواسطة مجلس عام التأم فى سنة ١٦٣٩ وأصلح ماوقع من الشقاق وأجرى اللازم لانحطاط شوكة الملك فى المستقبل ومع أن شارلس أذعن لمطلوب الاسكوطلنديين فى المواد الدينية الا أنه عزم على اقامة سلطته بقوة السلاح لكنه لاحتياجه لنقود يجندبها جيشا طلب عقد برلمان فالتأم البرلمان فى فصل ربيع سنة ١٦٤٠ بعد الميلاد الا انه لعدم تصديقه على طلبات الملك أبطله شارلس من بعد مضى ثلاثة أسابيع من التئامه ومن ثم أطلق عليه اسم البرلمان الصغير فكان ذلك سببا فى زيادة النفور الذى كان متسلطنا وزادت هذه الحالة أيضا بما أعقبها من جباية نقود بحالة شديدة جندبها شارلس جيشا مؤلفا من ٢٠٠٠٠ نفس فتشجع الاسكوطلنديون بقواد ورؤساء مغارضى الانكليز للملك وعبروا الحدود الانكليزية وتغلبوا على مدينة (نيوكاستل) فطلب شارلس مجلسا كبيرا من الاعيان يقابله فى يورقه وقرروا معه عقد برلمان آخر وأخذوا الاحتياطات اللازمة لتوقيف حركة الاسكوطلنديين وبواسطة مندوبين من كل من الطرفين عقدت معاهدة ريبون وقع الاتفاق فيها على أن كافة مواد المشاحنات يجرى فصلها بواسطة مجالس من المملكتين وفى أثناء هذه المدة تدفع انكلتره مصاريف الجيش الاسكوطلندى

وفى نوفمبر سنة ١٦٤٠ بعد الميلاد التأم المجلس المعروف فى التاريخ بالبرلمان الطويل وعاد كافة الامراء والرؤساء المقبولين فى المملكة الذين كانوا مضادين لاوامر الملك فى البرلمانات السابقة فى هذا البرلمان وانتهزوا الفرصة بوجود الجيش الاسكوطلندى فى انكلتره وعزموا على كسر شوكة الملك وأزالوا كافة المصائب الواقعة تحتها الامة وبدل أن يستقر أمر البرلمان فى منح النقود اللازمة لحطم ثورة الاسكوطلنديين شرعوا فى اجراء الاعمال اللازمة للمدافعة عن حرية أنفسهم وخلصوا الذين كانوا فى السجون المرسلين اليها من محكمة الكوكب والمحكمة العالية وكافؤهم ورموا مستشارى الملك بالخيانة وجلبوهم تحت العقاب وجلب (ارل سطرافورد) أمام مجلس الاعيان من أجل خيانته وأرسل الى سجن البرج وهرب (اللورد فنش) ثم صار القبض عليه فى حال هربه وكذا أرسل (لود) الى حبس البرج مع سطرافورد ثم حصل الالتفات الى المواد الدينية فما صنعه لود مع المتطهرين وما وقع منه من الالتفات لحزب الرومان كاثوليك صير الملك بحكومته الغير قانونية مبغوضا وفزع الاهالى من وجود الحزب البابوى وأرغم مجلس المبعوثان الملك على طرد الرومان كاثوليك من الدواوين والجيش ونفى قسس الرومان كاثوليك من المملكة وعلى مقتضى ماصدر من مجلس المبعوثان من الاوامر أزيلت كافة التماثيل وأنواع الزينات من الكنائس واشتغل البرلمان مدة عشرة أشهر فى الاشغال التى وطدبها حرية الامة وأصدر لائحة لكل ثلاث سنوات تضمنت أنه من اللازم عقد مجلس البرلمان فى كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع وان لم تصدر أوامر ولا مكاتبات من الحكومة وقت انعقاد البرلمان يجب على الامة انتخاب نوابها من تلقاء أنفسها ولاجل منع الملك من طرده البرلمان على حين غفلة ذكر فيها أن المجلس لا يلزم عليه تأخير حقوقه أو يصير انفضاض المجلس فى خمسين يوما من اجتماعه من دون رضاه ولما صار الملك بهذه الحالة مجردا من شوكة الحكومة عول المجلس على جلب سطرافورد للمحاكمة فبذل هذا

الرجل مجهوده فى المدافعة عن نفسه الا أن المجلس قرر قتله باغلبية الاصوات وتردد شارلس كثيرا فى توقيع تصديقه على قرار موت خادمه الصادق فأحاط عوام الامة بسراية الدار البيضاء وطلبوا قتل الارل المحكوم عليه بالاعدام وفى هذه الحالة كتب سطرافورد كتابا الى الملك يعرض عليه الترخيص بفقد حياة نفسه مرضاة فى توطيد الامن وفى ظرف بضع أيام وقع الملك على قرار الاعدام وقطعت رأس الارل على تل البرج فى ١٢ مايو سنة ١٦٤١ بعد الميلاد ولاقى وبال أمره وسوء أعماله وهنأ الناس بعضهم بعضا بموته فى كافة أنحاء المملكة وشرع البرلمان فى الغاء قاعة الكوكب والمحكمة العالية والمجلس الشمالى الذى كان موظفا فى نواحى يورق وأبطل ضريبة نقود المراكب بالكلية وأصدر لائحة باستمراره فى أعماله ولا يمكن الغاؤه من دون رضا أعضائه ومن بعد قتل سطرافورد قتل أيضا لود ولاقى عاقبة رفيقه سطرافورد

ولما أصدر البرلمان لائحة بان المجلس لا ينبغى الغاؤه الا برضاه اقترح أربابه مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ ليره للاسكوطلنديين مدة مساعدتهم لهم ونظموا المحاكم وألغوا التى لا لزوم لها ثم بعد ذلك وجه مجلس المبعوثان التفاته نحو سير الاساقفة وخدمة الدين غير أنه تولد من شدة المناقضات التى وقعت فى المجلس بخصوص المواد الديانية فشل بين أعضائه حتى عاد ذلك بفعل تأثير الاحكام لجهة الملك فمن ثم زار شارلس اسكوطلنده ووطد راحة أهلها بتسليمه لهم زمام أحكام أراضيها واستحصل على الناس الذين كانوا مضادين له فى أعماله ورقى ليسلى الى رتبة (ارل لفن) وارجيل قائد المتعاهدين الى رتبة ماركيز فتولد من هذه المنح التى منحها الملك على الاسكوطلنديين وقوع الاحساس الجميل فى قلوب أهل انكلتره وقوة أيدى الذين تفكروا أن البرلمان الانكليزى صار لا حاجة له فى خدش الحقوق الملوكية فوردت الاخبار فى نفس هذا الوقت من ارلنده وجددت لهب نار الغضب وأسبابها انه توطن فى مدة سلطنة جمس الاول كثير من الاسكوطلنديين والانكليز فى اقليم (عولسطير) فى الاراضى التى أخذت من رؤساء العصاة فى هذه المسئلة فنظر وطنيو ارلنده لهؤلاء المتوطنين الذين استوطنوا فى أراضيهم بعين العداوة الشديدة بما أنهم غرباء فى الجنسية وفى البدع الدينية وما تجاسر فى مدة الحكم الشديد الذى كان جاريا من سطرافورد أحد من الارلنديين على اظهار نفور لهؤلاء الاغراب ومع أن حكومته كانت فى حد ذاتها مطلقة الاستبداد غير أنها صيرت حالة الجزيرة فى أمن ظاهرى وزاد الغضب والحقد فى جهات انكلتره وتولد من نجاح عصيان الاسكوطلنديين وأشغال البرلمان الطويل طريق للارلنديين ما أبطؤا فى سلوكه ومات سطرافورد وقلت قوة الجيش الذى كان مؤيدا شوكته فى الجزيرة وعول الارلنديون على دمار كل شوكة للانكليز فى ارلنده فقامت ثورة تمكن جذرها فى أرض الجزيرة لهذا الصدد رأسها (روجر مور وعونيل) وانتشرت هذه الثورة فى اقليم عولسطير ولما قرب فصل الشتاء قام الارلنديون من الجهات الشمالية بالسلاح وأوقعوا بالسكان الانكليز الموجودين فيها فى ٢١ اقطوبر سنة ١٦٤١ بعد الميلاد فسارع على منوالهم فى هذا العمل باقى الجزيرة وأوقع كاثوليك ارلنده على الانكليز مذبحة شنيعة بلغت قتلاها من ٤٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ وكان ورود أخبار هذه المذابح الى انكلتره سببا فى زيادة عداوة البرلمان الانكليزى للكاثوليك الا أنه رفض جمع عساكر من أجل معاقبة الثائرين خوفا من أن الملك ربما يستعملها على ضد حرية انكلتره وكانت الملكة متمسكة بالديانة الرومانية الكاثوليكية واشتبه الامة الانكليزية فى أن شارلس ربما يكون على هذا الدين ووسوس الناس

أيضا

أيضا فى الخارج بان منشأ الثورة التى قامت فى ارلنده كان أساسها فى الديوان الانكليزى فاشتبه مجلس المبعوثان فى هذا القيام وما فعل أدنى شئ فى أخذ بثار أهل بلاده ودينه وانتهز الفرصة فى وقت هذه الحالة المرتبكة فى تحصيل نقود وسلاح للمدافعة عن نفسه فيما اذا وقع ارتباك فى المملكة وكانت أعضاء مجلس المبعوثان فى هذا الوقت غير متحدين ببعضهم وكانت أعمال هذا المجلس فى العشرة شهور الاولية من جلسته مقصورة على مداواة الاختلالات التى تولدت من الهياج وفى فصل صيف هذه السنة حصل تأثير ردفعل كبير فى سير الاعمال وظهر فى الميدان حزبان سياسيان وتولد من المنح التى منحها الملك فى اسكوطلنده جاب كثير من أعضاء البرلمان الى جهته وافتكروا أن ما عمل صار كافيا فى توطيد الحرية وأن وقوع أى تعد زائد عن هذا على حقوق الملك ربما تتولد منه فوضى وغير هذا كان تأثير البرسبتريانيين آخذا فى الزيادة فى المواد الدينية الى درجة مفزعة وترا آى أن الكنيسة الانكليزية على خطر شديد من دمارها وكانت هذه أفكار (فالكلند ـ وهيد ـ وكولبيبر) من أكبر رجال الحزب الملوكى وقام تحت رياستهم حزب ملوكى شديد الحيل فى مجلس البرلمان ومن جهة أخرى فان (بيم ـ وهوليس ـ وهمبدن) تداولوا فى أن المقاومة مازالت واجبة فى توطيد ماوقع من الملك بما انه لا يثق بكلامه ولا يعول على مواعيده وكان غالب الاشراف وخدمة الدين ووجوه البلاد فى جهة الحزب الملوكى وفى هذه الجهة أيضا كان الكاثوليك فى حزمة واحدة وكذا كافة الذين يبغضون شوكة المتطهرين وتلقى حزب المضادين معظم معاضدته الاصلية من تجار المدائن ومن الاحرار الموجودين فى المملكة واجتمع كافة الناس الغير الداخلين فى الديانة التابعة للمتطهرين والمتطهرون فى الكنيسة الانكليزية والتابعون لها وصار واجميعا حزمة واحدة واتخذوا رؤسهم من بعض الاشراف أهل البأس من كثرة ماهم مستحوذين عليه من الثروة وصار الحزبان فى مجلس المبعوثان فى تعادل واحد مع بعضهما غير أن الرجحان كان جهة حزب المضادين ولما اشتد وقع المجادلات فى المجلس ظهرت أسماء الاحزاب فى ميدان العمل فأطلق على أصدقاء الملك اسم «الفرسان» وأطلق على معاضدى المعارضين «راس مدور» بالنسبة لقص شعورهم وفى هذه السنة ظهر اسم حزب المحافظين واسم حزب الاحرار على الفرسان ومدور الرأس واستمر هذان الاسمان لغاية الآن

ثم تولد من قبول الملك فى اسكوطلنده وكثرة احتفال أهل لوندره به عند عوده من الجهة الشمالية وقوع الخوف فى قلوب أرباب الحزب الوطنى الموجودين فى البرلمان وانتشرت الاشاعة أيضا بان شارلس اكتشف على خيانة رؤساء البرلمان واسكوطلنده وانه مزمع على عقابهم بصفة أنهم خائنون بلادهم فكان كل هذا مع ورود الاخبار المفزعة التى وصلت من ارلنده سببا فى وقوع مجادلات عنيفة فى مجلس المبعوثان منها لما رأى حزب المضادين عدم الوثوق بصداقة ملكهم وخشوا من زيادة قبوله ورغبوا فى سلامة أنفسهم عزموا على فعل شئ يتولد منه عود الطاعة لانفسهم وعمل الاجراآت اللازمة لتوطيد زيادة الحرية فنشروا صورة شكوى متضمنة جميع المصائب التى حصلت من حكومة الملك من ابتداء جلوسه على التخت وضحوا عدم الاعتماد الذى مازال مرعيا فيه وأثبتوا فيها أن المملكة فى خطر من الكاثوليك فانهم مازالوا ساعين بجهدهم فى دخول ديانتهم فى انكلتره واسكوطلنده كما أنهم كانوا سببا فى سفك دماء شديدة فى ارلنده وكانت دلائل هذه الشكوى معلومة لسكان المملكة فظهر لاولى الافكار من نشر هذا المنشور احياء مصائب كانت حدثت وعود عداوة

ضد الملك فوقعت المجادلة فى مجلس العوام وحمى وطيسها حتى ظهر أنه لابد من وقوع هياج عنيف فيه وأنه لابد من وقوع الاذى على حزب المضادين فى شوارع لوندره واشتدت نار المجادلات بين أصدقاء الملك وأرباب الحزب المضاد فيما يختص بالحكومة المستقبلة للامة واشتد بالحزبين الغضب وصلابة الرأى واستمدوا فى قوة متعادلة ومن بعد مجادلة طويلة وقع القرار على هذه الشكوى باقتراع أصوات قليلة فى المجلس مقدارها ١٥٩ الى ١٤٨ فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٦٤١ بعد الميلاد وكان الغضب تسلطن فى المجلس وهاجت نيرانه حتى ان كرومويل أحد كبار أعضاء حزب المضادين أعلن بترك المجلس وانه لو خاب ما أمله يبيع أملاكه ويعتزل بنفسه الى أمريقه وكانت نتيجة هذه المجادلات موجهة فى صلاح أحوالها نحو الملك الا أنه لاشئ من هذه النتيجة ورأى حزب الملك أن مراعاة القوانين والتدبير فى سير حكومة الملك موازنة للقوة التى تعود بالنفع على مصالحه وصار (هيد - وفالكلند - وكولبيبر) من أمراء الحزب الوطنى مستشاريه وظهرت حالة الهدو فى أعمال المجلس والمملكة غير أن رؤساء مجلس المبعوثان ما استكفوا بهذه النصرة ومازال متسلطنا فى قلوبهم عدم الوثوق بالملك والخوف من الكاثوليك انتشرت الدسائس من الحزب البابوى فى كل جهة وامتلأت منابر كنائس لوندره بأصوات الاخبار بوقوع الاخطار المهددة للديانة وصار الاساقفة فى شدة الكراهة حتى صاروا عرضة للسب كل يوم فى وسط الشوارع وأخيرا طردهم العوام من مجلس الاعيان فأقاموا الحجة على كافة اللوائح التى صدرت بعدم وجودهم فى المجلس فمن ثم صار توقيفهم بواسطة مجلس المبعوثان من وظائفهم وارسلوا الحبس البرج على ما جنوه من الخيانات فغضب الملك من مثل هذه الوقاحة التى حصلت فى شأن الكنيسة وفعل أفعالا من دون تبصر كانت سببا فى دماره فى آخر أمره فتصور أنه يوقع الرعب فى قلوب مبغضيه وتوجه الى مجلس المبعوثان مصحوبا بقوة متسلحة من حواشيه من أجل القبض على خمسة من أكابر أعضائه وهم (هوليس - وهمبدن - وبيم - وهاسلريغ - وسطرود) فلما علم هؤلاء الاعضاء بما سيقع عليهم من الضرر المزمع عليه الملك هربوا الى داخل المدينة قبل دخول شارلس فى ديوان المجلس فتولد من خرق امتيازات مجلس البرلمان بواسطة هذه الافعال وقوع الغضب الشديد عند أرباب الحزب المضاد وامتلأت فى هذه الليلة شوارع لوندره بالمتسلحين من العوام وفى مدة قليلة امتلأت الطرق الموصلة الى العاصمة برجال متسلحين مسرعين فى حركة سيرهم من أجل حماية نوابهم وترتبت جماعات قوية حول سرايه وستمنستر خفرا عليها وصار حزب الملك فى البرلمان لامساعد لهم وخجلوا من طيش الملك وقبح سلوكه ولبثوا فى محلهم لايتكلمون وحرموا من اجتماع الناس الآخرين بهم خوفا على سلامة أنفسهم وصارت السراية الملوكية على خطر فترك شارلس لوندره وماعاد اليها الا أسيرا مسجونا وأخذ الخرق فى الاتساع كل يوم بين الملك والبرلمان وظهر على كل من الطرفين انه من اللزوم فصل هذه المشاحنة بالسيف واعتقد رؤساء مجلس المبعوثان أن شارلس لايحتاج الا للقوة المدمرة لهم فما تجاسروا أن يصرحواله بوجود جيش ومع أن ارلنده كانت محتاجة لقوة من أجل معاقبة مخترعى الثورة الشديدة التى حصلت فيها ومن ثم طلب البرلمان من الملك تنازله عن القيادة العسكرية فلما خاف من هذه الحالة توجه الى يورقه وفى أثناء توجهه وجد أن الشدة الحاصلة عند أهل لوندره تولد منها ردفعل فى الاعمال نحوه وتلقى من كافة الجهات الميل له وقدم له مجلس المبعوثان فى يورقه آخر طلباتهم فى تسع عشرة مادة لو منحها لهم تعود القوانين القديمة الى المملكة

ويكون

ويكون الملك مجرداً العوية فيها فاشتعل شارلس بالغضب خصوصا من طلب تنازله عن القيادة العسكرية في المملكة وصار عنده وعند حزبه عدم اعتماد برؤساء البرلمان كما عندهم من عدم الوثوق به وكانت أشغال البرلمان جارية باسمه من دون تصديق الملك عليها و جمع البرلمان القوى اللازمة لحماية الملك والبرلمان وعزم البرلمان على استعمال هذه القوى ضد نفس الملك عند اقتضاء الاحوال وفي ٢٥ أغسطس سنة ١٦٤٢ بعد الميلاد ما بقي على شارلس الا الانقياد للغاصبين حقوقه أو سل سيفه عليهم ثم انه اختار سل السيف وأقام في نوطنغهام البيرق الملوكي وهو علامة الحرب الداخلي في المملكة وفي مدة يسيرة اجتمع حوله نحو من ١٠,٠٠٠ نفس

وبمجرد انفراد البيرق الملوكي في نوطنغهام ظهرت الاحزاب المتباغضة حاملين السلاح في كل جهة من جهات انكلتره وكان الحزبان المتحاربان في قوة متعادلة مع بعضهما غير أن الفائدة عند البرلمان أنه كان مستحوذا على لوندره والكونتات المجاورة لها ومعظم المدائن الكبيرة التي يمكنه أن يأخذ مطلوباته منها وكان الاسطول الحاكم على المدائن الساحلية تحت سلطنته أيضا وأما الملك فما كان له طاقة الاعلى جمع نقود من الاقاليم الريفية الموجود فيها عساكره غير أنه كان عنده الامراء من حزب المحافظين وكانوا على رغبة تامة من رهن جواهرهم وأراضيهم لاحتياج ملكهم وكان عند الملك مزية أخرى على البرلمان فانه كان تحت بيرقه شجعان متمرنون على الحرب وكانت قوة البرلمان مشكلة من الغلمان الذين لا دراية لهم الا بالحراث والتجار لا طاقة لهم على مقابلة المتعودين على الحروب في انكلتره ومن ثم صار التابعون للحزب الملوكي منصورين في كل جهة تقابلوا فيها مع قوى البرلمان وعهدت قيادة الجيش الملوكي الى (ارل لندسي) وكان البرنس روبرت ابن أخي الملك قائد الخيالة وكان من طرف البرلمان (ارل اسكس) قائد القوى البرية وارل واروبك قائد الاسطول ووقعت بينهما واقعة دموية في ٢٣ اقطوبر سنة ١٦٤٢ بعد الميلاد في (ايدغهيل) من أعمال واروبك انجرح فيها لندسي جرحا بليغا وأخذ أسيرا وكانت نتيجة الواقعة غير فاصلة ومازال الجيشان في مواجهة بعضهما في صباح اليوم الثاني غير أنه ما حصل تجديد الواقعة ثم ترك اسكس ميدان الحرب وعاد شارلس الى معسكره في نواحي (شرسبورغ) وبعد ذلك بقليل سارت القوى الملوكية نحو لوندره وهزموا فرقة من الخيالة في قرية (برنطفورد) ولما خاب الملك من دخوله العاصمة انسحب الى أوكسفورد وقضى فيها فصل الشتاء لانه كان خاليا من الطوبجية والذخائر وكانت الترسانات الكبيرة ومحال التشغيلات موجودة تحت أيدي البرلمان وكانت الملكة سافرت الى هولنده لاجل سلامتها فباعت مصاغها واشترت مهمات طوبجية وذخائر حربية وجاءت بها الى انكلتره وفي مبادي القسم الاول من السنة التالية قدم البرلمان الاسكوطلندي نفسه في التوسط بين الحزبين المتحاربين وحصلت المخابرات في أوكسفورد غير أنها كانت على غير نتيجة وانفتح الحرب بحصار (ريدنغ) وسلمت الى اسكس في ظرف عشرة أيام وصدت خيالة الملك كل غارة تقع من قوى البرلمان في هذه الجهة وفي مناوشة وقعت في ميدان (كالغروف) انجرح يوحنا همبدن جرحا قاتلا وصارت قوى الملك في الجهة الغربية والشمالية منصورة في كل واقعة وهزمت قوى البرلمان شر هزيمة في ثلاثة مواقع وتغلب شارلس على بريستول وكانت في هذا الوقت ثاني مدينة في المملكة من بعد حصار لبث عليها ثلاثة أيام وشرع في الحال في احاطة مدينة غلوسيستر الكبيرة ولما صارت على شرف التسليم زحف اسكس

من أجل خلاصها فى قوة مؤلفة من ١٤,٠٠٠ نفس وأرغم الملك على رفع حصارها وزحف الجيشان سوية نحو لوندره والتقيا مع بعضهما فى (نيو بورى) فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٦٤٣ بعد الميلاد ووقعت بينهما واقعة كبيرة امتدت حتى أسبل الظلام وانفصل الجيشان وكانت الواقعة غير فاصلة فى النصر غير أن العساكر الملوكية ذاقوا أشد الالم من أجل موت لورد (فالكلند) وكانت هذه الواقعة غلاق حرب سنة ١٦٤٣

وفى حالة ما كانت انكلتره ممزقة بشقاق هذا الحرب الداخلى قام حزب آخر فى حالة صار بها فى مدة قليلة من الزمن أقوى شوكة فى المملكة فكانت أعضاء هذا الحزب من جهة الديانة معروفين بالمستقلين ومن جهة السياسة جذور وفروع الناس مضادين للاسقفية وقرر أعضاء هذا الحزب أن كل مجالس كنيسة مسيحية مستقل فيها بنفسه لا تتسلط عليه أحكام خارجية وكان هذا الحزب على كراهة شديدة من وجود السلطنة كما كان على كراهة من وجود الاسقفية وكان له رغبة فى وجود حكومة جمهورية وكان القائد الشديد لهذا الحزب (أوليفر كرومويل) وكان صرف جل حياته فى أمن واطمئنان فى محل اقامته فى بلده (هنطنغدون) وعبالنه كان من أعضاء البرلمان الطويل كان معروفا بانه رجل محب لوطنه خمل الملبس مستعد للكلام وخشونة الالفاظ ولما انفجر الحرب الداخلى قاد بعض الخيالة وظهر عليه نجابة الاعمال وشجاعة الفرسان وفى مدة فصل صيف سنة ١٦٤٣ فى حالة ما كانت القوى البرلمانية مهزومة فى الجهة الجنوبية حاز هو عدة مظفرات على القوى الملوكية فى الجهة الشمالية وبعين فطانته فى الاشغال رأى السبب الموجب لنصرة الملك والوسائط التى بها يمكن التغلب على الملك فجمع فى عسكره رجالا قلوبهم مملوءة بالغيرة مثل قلبه وساسهم فى حالة نظام حتى صاروا مثل الحديد وأفزعوا بأعمالهم أعداءهم وتولد من النصرات التى حازتها القوى الملوكية الزام البرلمان فى فصل صيف سنة ١٦٤٣ على طلب المساعدة من اسكوطلنده فوعد الاسكوطلنديون بالمساعدة للبرلمان على شرط رضاه باثبات المجلس الذى بواسطته ألغيت الاسقفية فى المملكة الشمالية وأن تكون كنيسة انكلتره على هيئة كنيستهم فرضى المجلس بهذا الشرط وتداخلوا فى اتحاد بينهم عرف بالاتحاد المؤكد ومن بعد هذا بقليل عقدت جمعية روحانية مؤلفة من ١٢٠ أسقف و ٣٠ من اللوردات ومجالس المبعوثان فى وستمنستر من أجل نظم أعمال كنيسة انكلتره على مقتضى منوال الكنيسة البرسبتريانية وقرروا الدين وقواعده وادارة العبادة العمومية والذين رفضوا الدخول فى هذا الاتحاد تجردوا من أملاكهم وذاق نحو من ٢,٠٠٠ نفس غصص الآلام وكانت سنة ١٦٤٤ معتدلة القوام والمظفرات عند أحزاب البرلمان فان شارلس من اضطرابه من اتحاد البرلمان مع اسكوطلنده أرسل فى طلب عساكر له من ارلنده ومن ثم ورد خمس آلايات ونزلوا فى (موسطين) من أعمال الويلس الشمالى فهجم عليهم (فارفيكس) قائد قوى حزب الاحرار فى الجهة الشمالية على حين غفلة فى نواحى (ننطويخ) وأخذ منهم عدة أسرى وفى ٢٥ ينايرسنة ١٦٤٤ سار جيش اسكوطلندى مؤلف من ٢١,٠٠٠ نفس ودخل انكلتره على مقتضى نص شروط الاتحاد تحت قيادة (ارل لفن) ولما وجد ماركيز نيوكاستل قائد الجيش الملوكى فى الجهة الشمالية نفسه مهددا من الامام والخلف تقهقر الى يورقه وفيما حاصرته القوى المتحدة تحت قيادة فارفيكس ولفن وارل منشيستر وضيقوا عليه فى الحصار وكان شارلس فى الجهة الجنوبية مشغولا

بالمحاربة

بالمحاربة مع اسكس و (والير) وهزم (والير) فى نواحى قنطرة (كرو بريدى) بالقرب من بانبورى وفى ٢٩ يونيه أرسل البرنس روبرت مع ٢٠,٠٠٠ نفس من أجل خلاص يورك ورفع الحصار عنها ولما ضم قواه الى قوى نيوكاستل خرج البرنس من المدينة من أجل وقوع محاربة مع العدو فى أرض (مرسطون مور) وكان الجناح الايمن تحت قيادته وفى مواجهته فى الجهة المقابلة كرومويل وعساكره أجناب الحديد فاقتحم جناح البرنس الهجوم الا أن شجاعة خيالته ما كان فيها طاقة على مقاومة عساكر كرومويل فاوقع فيهم عساكر كرومويل الفشل وآل أمر البرنس وعساكره الى الهرب وانهزم شر هزيمة وبمثل هذه الهزيمة وقع فى الجناح الايمن من قوى البرلمان الا انه بجودة حركة كرومويل انتهت الواقعة بهزيمة العساكر الملوكية فى ٢ يوليه سنة ١٦٤٤ بعد الميلاد وكانت هذه النصرة سببا فى دمار الامر الملوكى بالكلية فى الجهة الشمالية وفى بضع أيام فتحت يورك أبوابها ودخل الاسكوطلنديون نيوكاستل ومع أن المصائب ألمت بخيالة شارلس فى الجهة الشمالية الا أنه حاز مظفرة فى الجهة الجنوبية فانه تبع اسكس فى داخل كورنوال وأحاط به بين (فووى - وليسطوثيال) وأرغم مشاته على التسليم وأما الارل فانه هرب فى قارب الى بليموث ومن بعد مضى بضع أسابيع التقى الملك بقوى البرلمان من الجهة الشمالية فى نيوبورى ووقعت واقعة غير فاصلة كانت الفائدة فيها للقوى البرلمان وفى ٢٧ اقطوبر سنة ١٦٤٤ بعد الميلاد انسحب شارلس مع قواه بالسلامة الى اكسفورد فكانت هذه الحالة مفزعة عند كرومويل وبخ فيها فيما بعد ارل منشستر بخصوص واقعته التى ما حصل منها نتيجة فاصلة وفى حالة جريان هذه الاعمال فى انكلتره تساعد (ماركيز مونطروز) بفرقة من الارلنديين وأقام الامر الملوكى فى اسكوطلنده مع الجسارة وذلك أنه فى (طيبرموير) بالقرب من بارث هزم المتعاهدين فى أول سبتمبر شر هزيمة ثم تغلب بسرعة على ابردين وفى غلاق سنة ١٦٤٤ كانت محاكمة وعقاب رئيس الاساقفة (لود) وكان الاسكوطلنديون يكرهونه بالنسبة لدخوله فى أعمالهم وكان نفوذهم فى لوندره فى هذا الوقت قويا جدا فى هلاكه فوقع حكم الجريمة عليه من بعد حبسه بثلاث سنوات ومع أن القضاة أعلنوا بان تهمته ما فيها شئ يخالف الوجه الشرعى غير أن أصوات المجلس قررت باعدامه وفى ١٠ يناير سنة ١٦٤٥ بعد الميلاد قطعت رأسه وفى نفس هذه السنة منع العمل على كتاب الصلاة العمومية من كل جهة

وفى سنة ١٦٤٥ فتحت المخابرة (فى أوكسبريدغ) بفصل المشاكل بين الملك والبرلمان ولما لم يقع ميل فى ذلك عند كل من الجهتين آلت نتيجة المخابرة الى الخيبة لان موضوع المناقضات كان فيما يختص بالكنيسة والعسكرية وحالة ارلنده وطلب النواب من جهة البرلمان تأييد الديانة البرسبتريانية وكافة الاحكام المخصوصة بالعسكرية وحقوق تعيين اللورد العامل فى ارلنده وأما شارلس فانه رفض الغاء كنيسة انكلتره مع ما كان عليه أصحابه من النصيحة فى ذلك لاصلاح حالته وما رضى بربط يديه من أجل مطلوب أعدائه فمن ثم خابت مخابرة أوكسبريدغ وأخذت الاحوال مرة ثانية فى مجاريها مع طالع سعد الحرب ثم وقع ارتياب فى عقول رؤساء المستقلين بان ارل اسكس وارل منشستر ليسا على استقامة كافية فى أشغال مقاومتهم ضد الملك وعول كرومويل وحزبه على عزلهما من القيادة وادخال الجيش فى منوال جديد فمن ثم أصدر البرلمان لائحة عرفت (بجحود النفس) بواسطتها تنازل كل من أعضاء المجلسين عن قيادتهم الجيش وعن الخدمات الداخلية وفى ابريل سنة ١٦٤٥

صدرت لائحة أخرى من البرلمان من أجل الشروع فى ادخال العساكر فى منوال جديد وبواسطة هذه اللائحة بلغ عدد الجيش الى ٢١،٠٠٠ نفس معظمهم كان من المستقلين وعهد زمام قيادة الجيش الى (توماس فارفيكس) ومع أن كرومويل كان عضوا فى مجلس المبعوثان الا أنه ترخص له أن يكون فى وظيفة قائد ثان وكان أول ملتقى هذا الجيش الجديد والعساكر الملوكية فى ١٤ يونيه سنة ١٦٤٥ بعد الميلاد فى نواحى (ناسباى) من أعمال نورثمبطون وكان البرنس روبرت قائد الجناح الايمن للخيالة فهزم كعادته القوى الموجودة أمامه غير أنه ضيع فائدة نصرته حيث لم يتتبع الهربانين الى مسافة بعيدة وحمل الملك على القلب وكان على شرف كسر فارفيكس فهزم كرومويل الجناح الايسر للجيش الملوكى وأسرع فى مساعدة رئيسه وكانت حركة كرومويل الحركة الفاصلة للواقعة هزمت فيها العساكر الملوكية وتشتت شملها وتغلب كرومويل على مدافع الطوبجية وذخائرها والحملة وأسر ٥،٠٠٠ نفس خلاف الذين قتلوا فى ميدان الواقعة وكانت أجل غنيمة هذا اليوم خزنة الملك المحتوية على خطاباته السرية فكانت هذه أشد ضررا عليه من نصرة الاعداء عليه ومن بعد هزيمة الملك سار فارفيكس لاخضاع الجهة الغربية وفى حالة ما كان شارلس مجتهدا فى خلاص شيستر انهزم مرة أخرى فى (روطن مور) وفى ٢٤ سبتمبر ترا آى أن أمر الملك فى اسكوطلنده على غاية من النجاح وكان (مونطروز) هزم فيها المتعاهدين شر هزيمة فى نواحى (كيلسيط) ومن بعد هذه الهزيمة انهزم مونطروز شر هزيمة فى (فيلفوغ) ولما أخضع فارفيكس الجهة الغربية ساق جيشه فى أوائل سنة ١٦٤٦ بعد الميلاد لحصار أوكسفورد وكان شارلس متحصنا فيها ولما قرب فارفيكس من المدينة هرب شارلس منها ليلا وسلم نفسه للجيش الاسكوطلندى وكان هذا الجيش محاصرا نيوارك ثم ان الاسكوطلنديين فك معسكرهم من نيوارك وتقهقروا بالملك الى نيوكاستل وفتحوا المخابرة مع البرلمان فى فصل الاعمال ورفض شارلس أيضا ابطال الكنيسة الانكليزية ومن ثم تخابر البرلمان مع الاسكوطلنديين فى تسليم الملك وتكفل البرلمان الانكليزى أن يدفع لهم مبلغ ٤٠٠،٠٠٠ ليره متأخر مطلوبهم لو رضوا بتسليم شخص الملك فقبلوا هذه الشروط واستلموا سند الكفالة وسلم الجيش الاسكوطلندى شارلس لمندوبى البرلمان الانكليزى وتوجه الجيش الى بلاده

وأخذ المندوبون شارلس وتوجهوا به الى سراية (هولمبى) فى (نورثمبطون) وسجن فيها سجنا شديدا وبمجرد تمام الحرب الداخلى وانقضاء أمره وقعت المنازعة فى أمر السيادة بين الجيش والبرلمان وكان البرلمان راسخا فى العقائد البرسبتريانية فراعى مع الغيرة قوة الجيش المؤلف على الخصوص من حزب المستقلين ومن آخرين من مذاهب أخرى فمن ثم عول على تفريق قسم من الجيش وارسال الباقى الى ارلنده وعول المستقلون على نفوذ مشروعهم ونكثوا طاعتهم بالكلية للسيادة البرسبتريانية ودخلوا فى مخابرة سرية مع الملك وقدموا له عوده الى شوكته ولما جاءهم جواب غير موافق لحالتهم عزموا على أخذه من أيدى البرلمان وسار (كورنيت غايس) فى قوة قوية من الخيالة وأخذ الملك مع الجسارة الى مركز معسكر الجيش فى يونيه سنة ١٦٤٧ فعجب البرلمان من هذه الحركة المهولة التى وقعت من الجيش وأخذ الاعمال الشديدة فى حق كرومويل واشتبه البرلمان من أن كرومويل هو المؤسس لهذه الحركة فهرب كرومويل الى الجيش وقابله الجيش مع الفرح الشديد ولما صار مجلس المبعوثان لا طاقة له على نفوذ شوكته التزم بالانقياد للقوة العسكرية وسار الجيش الى لوندره وصار من البديهى أن فصل حالة المملكة

المخصر

انحصر في يديه وذهبوا بشارلس الى سراية همبطون وعامله السجانون بالرأفة وسمحوا له في المخابرة مع عائلته وأصدقائه وانه حر فيما يجريه من شعائر دينه ثم بعد قليل منعوه من هذه الاعمال وتولد من عدم قبوله شروط فصل المادة من قواد الجيش انفتاح خرق مع الجيش كانت خاتمته فقد حياته وذلك أن الاسكوطلنديين والبرلمان والعسكرية دخل كل واحد منهم على حدته في مخابرة مع الملك المسجون وظن شارلس من عدم اتفاقهم مع بعضهم أنه لابد من عوده الى تاجه بأي حالة كانت فقامت العساكر في ثورة غضبا من عدم قبول الملك شروط معاهدتهم ولما رأى شارلس أن سراية همبطون غير مأمونة العاقبة على حياته هرب منها الى جزيرة ويط بقصد النجاة بحياته الى أرض القارة فقابله (الاميرالاى هاموند) حاكم الجزيرة مع غاية الاحترام وأوصله الى قلعة (كاريسبروك) ورتب عليه الخفر والمحافظة زيادة عن الاول وفي هذه الجزيرة فتحت المخابرة معه ثانيا من طرف الاسكوطلنديين والبرلمان الانكليزي فأما في اسكوطلنده فان الآراء العمومية حصل منها تغييرات كبيرة في صورة الاحوال من عهد تسليم الملك الى أعدائه في نيوكاستل وتولد من تسلطن العار على رؤس الاسكوطلنديين عمل للملك يمحو به هذا العار وكانوا في أكبر غيرة من قيام شوكة المستقلين في انكلتره وعلى وعد مساعدة الاسكوطلنديين لشارلس بالقوى العسكرية رفض قبول طلبات البرلمان الانكليزي ومن ثم عزم البرلمان على عدم حصول أدنى مخابرة معه وشدد عليه في مضايقة الحبس وعدم قرب أحد منه وفي أثناء هذه المدة اجتمع مجلس من كبار ضباط الجيش في (وندسور) وصمموا على جلب الملك للمحاكمة ومعاقبته أشد العقاب في نظير ما وقع من سفك الدماء في الحرب الداخلي ثم ظهر في سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد عزم شديد من الحزب الملوكي سعوا به في خلاص ملكهم المنحوس الطالع وهاجت الثورات في نورفلك وسوفلك وكنط والويلس ونشر الاسطول الاعلام الملوكية فجأة وكان موجودا في التيمس وأقلع الى هولنده وجعل نفسه تحت رياسة البرنس ولي العهد وأغار الاسكوطلنديون في فصل الصيف على انكلتره تحت قيادة (دوق هملطون) وانضمت الى الاحزاب الملوكية في الجهة الشمالية الا أن الجيش الانكليزي هدد بنشاط أعماله هذه الحركات وأخمدها وكانت العساكر الملوكية تحت قيادة (سرمادوق لنغدال) وفي ٢٠ أوغسطس سنة ١٦٤٨ في وقت ما كان فارفيكس مشغولا باخماد الثورات في ضواحي لونده سار كروموبل الى الجهة الشمالية وهزم لنغدال شر هزيمة في بريسطون ومن بعد أن شتت جيش هيلطون ساق خلفه حتى وصل (عوطوكسطير) واجبر هملطون في هذه الجهة على التسليم مع معظم قواه وفي مدة غياب الجيش من لونده جدد البرلمان مخابرته مع الملك في معاهدة المينة الجديدة ورضي شارلس بقبول شروطهم ما عدا شرطين وذلك أن البرلمان كان طلب منه عقاب بعض رؤساء أصحابه وارتداده وعدم قبوله الاسقفية فهذان الشرطان ما قبلهما شارلس ولما رضي مجلس المبعوثان بما رآه الملك أعلن بأنه استحصل على آساسات كافية لوقوع الصلح غير أن قواد الجيش كانوا عولوا من قبل بمدة وفصلوا أمرهم على محاكمة الملك والغاء السلطنة فلما عادوا الى الجهة الجنوبية أبطلوا معاهدة المينة الجديدة التي عقدها البرلمان مع الملك وأرسلوا الملك في الحال الى قلعة هورسط وشرعوا في تنظيف مجلس الاعيان من كافة الاعضاء الذين يقاومون أعمالهم ولهذا السبب قبض (أميرالاى برايد) مع قوة متسلحة على ما ينوف عن أربعين نفسا من كبار أعضاء البرسبتريانيين الموجودين في البرلمان وفي اليوم الثاني نحو ١٦٠

آخرين وأطلق على ماوقع فى البرلمان اسم مسهل برايد وفى نفس هذا الوقت صار غلق ديوان مجلس الاعيان ومابقى من المجلس كانوا خمسين أوستين عضوا وكانوا جميعا من حزب المستقلين أطلق عليهم اسم العجز وتشكل هؤلاء البقايا فى صفة محكمة عالية عدلية من أجل محاكمة الملك شارلس على ماجناه من مساعيه فى هياج الحروب على أهل انكلتره ثم تألفت المحكمة من ستين عضوا تحت رياسة القاضى المشرع (برادشو) وفى ٢٩ يناير سنة ١٦٤٩ بعد الميلاد صار احضار شارلس الذى كان موضوعا فى سراية سنت جمس أمام المحكمة العالية العدلية فى قاعة وستمنستر للمحاكمة واستمرت المحاكمة ثلاثة أيام وانتهت بتوقيع حكم الموت على شارلس ومازال فى أثناء محاكمته متلبسا بالعزة والسمو وما فارقه شئ من كبريائه ثم قطعت رأسه فى ٣٠ يناير سنة ١٦٤٩ بعد الميلاد ولما انفصلت رأسه صرخ العساكر بصوت عال وانسكبت عبرات الجم الغفير من الواقفين ونعوا موته وكان لشارلس هذا ثلاثة أولاد وثلاث بنات فأولاده شارلس الثانى ولى عهده وجمس دوق يورقه ولقب بجمس الثانى وهنرى دوق غلوسيستر وبناته مريم تزوجت برنس أورنجه وكانت هى أم غليوم الثالث واليزابث ماتت من بعد موت أبيها بقليل وهنريطه ماريه تزوجت فيليب دوق أورليان

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ من موت شارلس الاول الى جلوس جورج الثالث ﴾

اعلان شارلس الثانى ملكا فى ارلنده ــ ماركيز عورموند ــ اخضاع كروموبل ارلنده ــ قبول الاسكوطلنديين شارلس الثانى فى صفة ملك ــ واقعة دونبار ــ قرار شارلس ــ ارغام اسكوطلنده على الطاعة ــ حرب مع هولانده ــ الغاء كروموبل البرلمان الطويل وقبضه على زمام الحكومة ــ صيرورته لورد محامى ــ الجمهورية ــ القانون الشديد الذى اتخذه كروموبل ــ موته ــ ريشارد كروموبل ــ صيرورة القائد مونك رئيس انكلتره ــ عود شارلس الثانى ــ حضور الملك ــ الاعمال الاولية التى أجراها شارلس ــ لورد كلرندون ــ وقوع الطاعون فى لوندره ــ النار الكبرى ــ عدم أهلية الملك للحكومة ــ سلطنته الضعيفة ــ دسيسة بيت برى ــ موت شارلس ــ صيرورة جمس الثانى ملكا ــ مساعيه فى عود الديانة الرومانية الكاثوليكية ــ مضادة الامة له ــ ولادة البرنس ولى العهد ــ الثورة ــ نزول برنس أورنجه فى انكلتره ــ هرب جمس ــ جلوس غليوم ومريم على التخت ــ طائفة اليعقوبية ــ عصيان أهل ارلنده ــ واقعة بوين ــ خضوع ارلنده ــ موت الملكة مريم ــ غليوم الثالث ــ حوادث سلطنته ــ موته ــ الملكة عانى ــ مارلبروغ ــ صفته ــ صيرورته الحاكم الحقيقى فى انكلتره ــ مظفراته ــ التغلب على جبل طارق ــ انضمام انكلتره واسكوطلنده ــ سقوط مارلبروغ ــ دسائس اليعقوبية ــ موت الملكة عانى ــ صيرورة جورج الاول ملكا ــ زيادة شوكة حزب الاحرار ــ توقيف الوزراء ــ أشغال الثورة ــ الزعيم اجتهاده فى ضبط التخت ــ هزيمته ــ تقدم شوكة مجلس المبعوثان ــ مشروع البحر الجنوبى ــ روبرت والبول ــ نجاح انكلتره ــ موت الملك ــ جورج الثانى ــ استمرار والبول فى الادارة ــ موت الملكة كارولينه ــ حرب مع اسبانيا ــ استعفاء والبول ــ غليوم بيط ــ واقعتى ديطنغين

وفونطنوى

١

وفونطنوى ـ معاهـدة عكس الكنيسة ـ خيبـة مساعى الشاب الزعيم ـ واقعة كولودن ـ حرب السبع سـنوات ـ تقرير انكلتره فريدريق الاكبر ـ صيرورة غيليوم بيط وزيراً أول صفته ـ طائفـة المثودية وهم فرقة من المسيحيين

قيام الجمهورية

ثم انه تولد من قتـل الملك الذى حصل بعمل غير موازٍ لحوادث الوقائع التاريخيـة انتشار الفزع فى كافة أنحاء أوروبا وكذا ما كان هذا الفعل مرضيا عند بعض الامة الانكليزية وعدّ من سوء التدبير وعدم الانصاف وأخذت شوكة البرلمان الموجودة فى هذا الوقت فى يد المستقلين كافة المعارضات وعهد البرلمان زمام قيادة الحكومة ومباشرة أعمالها لمجلس مؤلف من أربعين عضوا تحت رياسة (برادشو) واستلم كروموبل وفارفيكس ادارة أشغال الجيش ووجهت حكومـة الاسطول وادارة البحرية الى (هارى فانى) وعرفت هذه الحكومة الجديدة باسم جمهورية انكلتره الا أنها ما كانت مقبولة عند الامـة لانها كانت فى الحقيقـة حكومة عسكرية مستبدة وصار كروموبل رأس الامة وصارت الاحزاب الملوكية تحت هـذه القوة ساجـدين على وجوههم فى التراب وتولد من الغرامات التى ضربت على أعناقهم بلع ايرادهـم حتى صارت ضـعف ما كانت عليـه فى مـدة شارلس الاول وساردوق هملطون واثنان آخران من أكابر الحزب الملوكى خلف مليكهم الى قرمة الموت

وفى أثناء ما كان الفوارس الانكليزية واضعين رقابهم تحت رحمة الغالبين لهم قامت ارلنده واسكوطلنده بالسـلاح فى مرضاة شؤن البيت الاستيوارتى وأعلنا بملوكيـة شارلس الثانى ابن الملك المقتول وكان شارلس هذا منفيا فى ذلك الوقت خارج المملكة وكان على أمل كبير فى (الماركيز عودموند) اللورد العامل فى ارلنـده بما أنه كان من حزب الملك وخاضـعا لامره فجمع عودموند جيشا مؤلفا من كل دين يرغب معاضدة الملك وكانت ارلنده من بعـد مذبحة سنة ١٦٤١ مكثت زمنا طويلا فى حالة فشل همجى وكانت كافة قلاع الجزيرة الارلندية ما عدا (دبلين ـ ودرى ـ وبلفاست) فى أيدى الماركيز عودموند فى مـدة ما كانت شوكة البرلمان الانكليزى على شرف الخراب فتحول فى هـذا الوقت الذى قامت فيه ارلنده وجعت عساكرها تحت قيادة عودموند عودها الطاعـة الجمهورية على كروموبل وتوجـه اليها بصفة لورد نائب ونزل بالقرب من دبلين فى رأس ٩،٠٠٠ نفس فى أوغسطس سـنة ١٦٤٩ بعد الميلاد وأخضع فى ظرف ستة شهور كافة الجزيرة وضبط أطرافها وحكمها حكما ماجرى فيها من عهد ما وضع (اسطرنغبو) فيها قدمه وكان ابتداء هـذا الحرب حصار مدينـة (دروغيده) فتغلب عليها كروموبل بالهجوم عنوة فى ١٢ سبتمبر سنة ١٦٤٩ بعد الميلاد دونها وقتل محافظيها بالسيف وآل أمر مدينة (ويكسفورد) الى مثلها وكذا كل مدينة وقع منها مقاومة لاقت وبال أمرها وفى شهر مايو من السنة التاليـة صار لكروموبل طاقة على العود الى انكلتره تاركا محافظة ارلنده تحت قيادة زوج ابنته (عيرطون) وعند وصول كروموبل الى لوندره احتفـل به الجيش احتفالا شاهقا وقدم اليـه مجلس العجز رسوم الاحترام وثناء الشكر على ما أداه من خـدماته ولقبـه بلقب لورد قائد جيوش الجمهورية وصـدر أمر الجمهورية لكافة المغلوب على أمرهم من الارلنديين والنافرين من ذواتهم وأتباعهم الراغبين فى الخروج من المملكة واستخدامهم كيف شاؤا عند الملوك الاجانب فأقلع الجم الغفير من مغلوبى هـذه الامة فى المراكب الى أوروبا وكثـير من أرباب الاراضى الذين قاموا

بالسلاح فى وجه البرلمان صار انتقالهم الى أراضى تعينت لهم فى (كانوت ـ وكلادر) واستوطن عساكر البرلمان وغيرهم من الانكليز فى (مونسطير ـ ولنسطير ـ وعولسطير) وفتحت ارلنده وحازت انكلتره على أرضها قدما ثابتا ما كانت تحصلت عليه من قبل ولما انعدمت آمال شارلس من حسن ظنه فى ارلنده فتح مخابرة مع الاسكوطلنديين فقبلوه على شرط ثقيل عليه بالكلية ودخل اسكوطلنده وأعان ما كان فيها فى سنة ١٦٥٠ بعد الميلاد فحينئذ أرسلت حكومة الجمهورية كرومويل فى رأس ١٦٫٠٠٠ نفس عابرا الحدود من أجل صد اسكوطلنده من قيام حكومة ملوكية فوصل كرومويل الى ضواحى ايدنبورغ وكان الاسكوطلنديون تحت قيادة (ليسلى) محصنين أنفسهم بالقرب من ايدنبورغ ومن حذاقة ليسلى وذكاء عقله تجنب أى مبارزة مع كرومويل وصار من الواجب على كرومويل أن يتقهقر جهة أسطوله من أجل المؤنة فتقهقر الى جهة (رونبار) قرية واقعة على بحيث جزيرة داخلة فى (فريث فورث) وقاعدة هذه البحيث جزيرة محيطة على مسافة قليلة بأرض مرتفعة مستديرة وكانت هذه الاراضى العالية مشغولة بالجيش الاسكوطلندى يمر منها الطريق الموصل الى برويك فصار كرومويل محصورا فى الظاهر بين العدو والبحر وما كان له من خيرة الا أنه اما أن يتوجه الى أسطوله وينزل فى مراكبه أو تسليم نفسه فلو كان ليسلى داوم على احترازه لنال الظفر على كرومويل وكان الجيشان مفصولين من بعضهما بوادضيق جار فيه غدير صغير اسمه (بروكسبورن) بينه وبين الارض العالية ميدان ضيق مستو وكل جيش رغب الهجوم على الآخر لزمه عبور هذا الوادى وهناك محلان موافقان لعبور هذا الوادى أحدهما بعيد فى الداخل وهو فى الجهة اليمنى من الانكليز مشغول بالاسكوطلنديين والآخر فى نواحى مصب الغدير فلو حفظه ليسلى لقدر على الهجوم على الانكليز فى أى وقت شاء وبينما كان كرومويل متحيرا فى أمر حركته اذ وقع من الجيش الاسكوطلندى حركة شديدة كانت سببا فى وقوعه فى قبضة كرومويل وذلك أن القسس البرسبيتريانية ظنوا فى أنفسهم أنهم أحسن فى الاعمال العسكرية من قائدهم وأجمعوا على أنه يلزمه النزول من الجبل الى السهل ومحاربة الانكليز فلما بلغ كرومويل أن أعداءه تركوا محل تحصينهم شرع فى الحال فى تعبية رجاله وفى وقت الصباح لما شاهد كرومويل ولامبرط حركة الاسكوطلنديين رأيا أن هذه الحركة فيها فوائد لهما وعبرا الوادى بغتة وهجما على الجناح الايمن لحذاء ليسلى فهجم بجيشه على الاسكوطلنديين فى الوادى الضيق فقتلوا منهم نحوا من ٣٫٠٠٠ نفس وأخذوا ١٠٫٠٠٠ أسيرا مع كافة الذخائر والمهمات فى ٣ سبتمبر سنة ١٦٥٠ بعد الميلاد ومن بعد هذه الهزيمة فتحت ايدنبورغ أبوابها وسلمت اسكوطلنده الواقعة فى جنوب الفورث الى الفاتح كرومويل ومع أن اسكوطلنده الجنوبية فى يد الانكليز فان الاسكوطلنديين رفضوا قبول الحكومة الجمهورية وعلى حسب تعويلهم شوهد منهم أنهم عازمون على تتويج شارلس وفى هذا الوقت غضب البرنس من شدة معاملة البرسبيتريانيين له واجتهد فى الهرب الى حزب الملك فى الاراضى الجبلية على أمل أنه يجمع فيها جيشا يحارب من أجله فلما خاب فى هذه عاد ثانيا فكانت هذه العودة سببا فى احترام الاسكوطلنديين له زيادة عما كان عليه فى الابتداء وفى اليوم الاول من السنة الجديدة توجوه ملكا فى صقونه من بعد أن حلف يمينا مؤكدا على مراعاته التعهد والاتفاق ثم انضم الملك من بعد تتويجه الى جيش ليسلى فى (سطيرلنغ) وكان متحصنا فيها بقوة وفى مواجهته

عساكر

عساكر كرومويل المنصورة وأخيرا عبر القائد الانكليزى الفورث من أجل قطع الذخائر والمؤنة عن الجيش الاسكوطلندى فشرع شارلس فى حركة جسورية فاصلة فى الاغارة على انكلتره مؤملا أن يجمع بها أصدقاءه اليه من قبل أن يهزمه كرومويل غير أن فوارس الانكليز ما كانوا على استعداد لمثل هذا المشروع فمن ثم ما حصل منهم أدنى مساعدة لملكهم ودخل شارلس فى انكلتره من جهة كارليسل ووصل الى مدينة ورسيستر فى ستة أسابيع فتبعه العدو اليها وهزمه شر هزيمة فى ٣ سبتمبر سنة ١٦٥١ بعد الميلاد ومن بعد هزيمة الجيش الاسكوطلندى نجح شارلس فى هربه الى فرانسا مع أن البرلمان جعل مبلغ ١٠٠٠ ليرة لكل من يقبض عليه ومن بعد هذه الحادثة أخضع القائد (مونك) مملكة اسكوطلنده خضوعا تاما وكان كرومويل عهد اليه حكومتها ونيابتها

ومن بعد خضوع ارلنده واسكوطلنده هاج حرب بحرى بين انكلتره وهولنده وكانت حكومتا المملكتين من مدة زمن على غير صداقة لبعضهما ونظرا غليوم برنس أورنجه رأس الجمهورية الفلمنكية وزوج ابنة شارلس الاول أعمال البرلمان الانكليزى بعين النقص ووجد شيعة الملك فى هولنده احتراما وملجأ والمقتل (دوريسلوس) السفير الانكليزى رخص الفلمنكيون للقاتلين بنجاة أنفسهم ومات برنس أورنجه فى سنة ١٦٥٠ بعد الميلاد واستمرت الحكومة الفلمنكية فى عدم صداقتها للحكومة الانكليزية كما كانت عليه قبل فعزم البرلمان الانكليزى على ضرب التجارة الفلمنكية ضربة موت وأصدر منشوره المشهور المسمى بلائحة التجارة فى ٩ اكتوبر سنة ١٦٥١ فكانت متضمنة أنه لا يرخص لصادرات أوروباوية بدخولها فى انكلتره الا اذا كانت فى مراكب انكليزية أو سفن تابعة للمملكة الوارد منها الصادر فتولد من هذه اللائحة كراهة حصلت من عدم اتفاق كل من الاميرال الانكليزى والاميرال الفلمنكى فوق سطح مياه الخليج على مسافة من الدوفر وذلك أن (بلاك) الاميرال الانكليزى أصر على أن الفلمنكيين يلزمهم أن ينزلوا الصارى الثانى لبيرقه حتى تعرف الشوكة القديمة للامة فوق مياه البحور الضيقة فرفض ذلك (فان طرمب) الفلمنكى فأطلق بلاك النار على مركبه وجاوبه الآخر بمثلها وأعقب ذلك واقعة عمومية خسر فيها الفلمنك مركبين وتبدد أسطولهم فى ١٩ مايو سنة ١٦٥٢ بعد الميلاد ومن ثم صار اعلان الحرب رسميا بين المملكتين ففاز بلاك من بعد اعلان الحرب بنصرة على الفلمنك فى نواحى الدون فى ٢٨ سبتمبر ومن بعد مضى شهر التقى فان طرمب ومعه تسعون سفينة باسطول انكليزى مؤلف من ٣٧ سفينة بالقرب من (غودوين سند) وأوقع به هزيمة حادة ومازال بلاك فى محاربته حتى أسبل الظلام على فراره وأما فان طرمب فانه تفاخر بنصرته وسار فى الخليج بمقشة عدوانية مربوطة فى رأس الصارى الكبير لمركبه عازما على كنس الاسطول الانكليزى وكل سفينة انكليزية من كافة البحور غير أنه كان على خطا بين من عدم درايته بشدة الامة البحرى معها هذه الاشغال فانه فى ١٨ فبراير سنة ١٦٥٣ بعد الميلاد التقى معه بلاك أيضا على مسافة من (بورتلند) وشرعا فى محاربة مكثت ثلاثة أيام خسر الفلمنك فيها ٤١ سفينة و ٣٥٠٠ نفس ولما رجع فان طرمب منهزما خاب أهل هولنده فى آمالهم ومن بعد مضى بضع شهور اجتهد أميرالهم الشجاع مرة ثانية فى واقعة فى نواحى فورلندا الشمالية فى ٣ يونيه امتدت يومين فخسر فيها ٢١ شراعا وأسر من جيشه جم غفير فانسحب الى (تكسيل) فحاصره الاسطول الانكليزى فيها تحت قيادة (الجنرال مونك) ووقعت واقعة بينهما استمرت ثلاثة أيام قتل فيها

(ڤان طرمب) وتدمر غالب أسطوله فى ٢٩ يوليه وكانت هذه الواقعة غلاق الحرب وعقدت معاهدة وستمنستر فى ابريل سنة ١٦٥٤ تعهد الفلمنك فيها على عدم تقوية شيعة الملك من الانكليز وأداء رسوم الاحترام لعلم الجمهورية ثم هاجت ثورة أخرى فى انكلتره فى السنة الاخيرة من حرب الفلمنك وذلك أن بواقى البرلمان الطويل انفقوا فى سنة ١٦٥١ على فصل الاعمال فى سنة ١٦٥٤ بعد الميلاد وفى أثناء هذه المدة يجرون الاعمال اللازمة لتوطيد حكومة على قواعد عادلة لكن من بعد فصل أعمال ارلنده واسكوطلنده وقع فى قلوب أهل المجلس الحسد من شوكة الجيش وخافوا من مشروعات كروموبل فرغب مجلس العجز فى تقليل عدد العساكر من قبل أن يحيط بهم كروموبل الا أنه نسى أنه فى قبضة شوكة قوية فى مخالب الجيش فلما اجتهد فى تقليل العسكرية كانت خاتمة هذا الاجتهاد مشؤمة على أمره وفى هذه الحالة أراد مجلس المبعوثان أن يدخل فى البرلمان الجديد عدة من البرسبتريانيين تحت اسم الحائدين فقابل كروموبل هذا المشروع وفى حالة ما كان المجلس فى مجادلة فى هذه المادة دخل أوليفر كروموبل فى ديوان المجلس ووقف برهة من الزمن على أقدامه مو بخا للاعضاء واحدا بعد الآخر عما وقع منهم من حب مصالح أنفسهم فى ٢٠ ابريل سنة ١٦٥٣ ثم قال ان الله فعل بكم هذا واختار آخرين آلة لتنفيذ شغله أعظم منكم فتضجر أحد أعضاء المجلس من أقوال مثل هذه صدرت من واحد من خدامين المجلس فقال كروموبل تعال تعال تقدم هنا أنا أرغب أن أنهى ضجرك أنت لست أهلا للبرلمان روح من هنا أخل طريقا لرجل أمين صادق ثم ضرب بقدمه ضربة شديدة على بلاط الديوان فانفتح باب الديوان ودخل منه المبرقعون وكانوا منتظرين اشارة الانقضاض داخل المجلس فقال كروموبل خذوا هذا وأشار على المتكلم ووبخ هذا العضو كانه سكران وآخر كانه فاسق ثم توجه نحو طربيزة المجلس وكان الصولجان موضوعا فوقها فأشار اليه وقال شيلوا هذه الالعوبة ولما كنس كروموبل المجلس من أربابه قفل أبواب الديوان بالمفاتيح وعاد الى سرايته وصار سيدا انكلتره ومدبر حركة أعمالها فجمع معه مجلسا مؤلفا من ثمانية من قواد الجيش وأربعة من المدنيين من أجل المداولة فيه على أعمال المملكة غير أنه لاجل تسكين المملكة وحصول استتباب الامن فيها أرسل أوامر الى أئمة الكنائس والاساقفة فى أنحاء انكلتره بانتخاب رجال مشهورين بالصداقة يدرجون أسماءهم فى قوائم ترسل للمجلس وبهذه الطريقة صار انتخاب ١٣٩ شخص عهدت اليهم الحكومة العامة لمدة خمسة عشر شهرا فكان هذا المجلس مشتملا على أهل المهارة والذكاء مشهورين بالصدق والامانة وأطلق عليه اسم البرلمان الصغير أو برلمان باربون على اسم واحد من كبار أعضائه فكان أول انعقاده فى يوليه سنة ١٦٥٣ وسلك فى أعماله بالغيرة والحمية وان كانت مع التؤدة والحكمة فكانت أعماله واصلاحاته كنس كل ما فيه فائدة حتى فزع كل من كان له أدنى ملك فى المملكة وخجل كروموبل جدا من اجراآتهم حتى انه طرد هذا المجلس من بعد مضى خمسة شهور من انعقاده وما كان من أشغاله الا أنه قرر عقد الزواج المدنى بحالة تكون أمام وكيل شرعى مفوض ومن بعد أن ألغى كروموبل البرلمان الصغير قرر مجلس الاحكام أن يعهد الى كروموبل شوكة ملك تحت لقب لورد مدافع فعمل لذلك موكبا حافلا من سرايه الدار البيضاء الى ديوان وستمنستر وكان اللورد القائد جالسا على كرسى المملكة محاطا بالقضاة وكبار ضباط الجيش وأمراء المدينة وفى هذا الاحتفال ترجاه القائد لامبرت عن لسان الجيش والثلاث ممالك (انكلتره ـ وارلنده ـ واسكوطلنده) فى يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٦٥٣

بعد

بعد الميلاد أن يقبل لقب وظيفة حامى الجمهورية فقبل هذا الشرف وعهد أن يحكم المملكة على موجب نص قرار كان فى يديه يعرف باسم آلة الحكومة وكان من ضمن بنود هذا القرار أنه يجب عقد برلمان فى كل ثلاث سنوات دفعة واحدة وأن لا يكون انعقاده أقل من خمسة شهور وأن يكون مؤلفا من ٤٠٠ نفس من أهل انكلتره و ٣٠ من ارلنده واسكوطلنده وجيش ثابت مؤلف من ٣٠,٠٠٠ عسكرى وأن تكون الديانة حرة وعقائدها وشعائرها قائمة ماعدا الكاثوليك والاسقفية وأن تكون وظيفة الحامى انتخابية ثم عاد كرومويل الى سراية الدار البيضاء فى موكب كبير ومعه اللورد والى لوندره حاملا سيف المملكة والعساكر تهلل أمامه مع ضرب المدافع الكبيرة وفى اليوم الثانى أعلن على الحامى بواسطة ضرب الطبول فى الجهات الكبيرة من المدينة كما كان يجلس الملك على التخت

وفى السنة التالية طلب البرلمان على موجب نص بنود آلة الحكومة غير أنه لما كانت أعضاؤه غير موافقة لحكومة الحامى ألغى من بعد مضى خمسة أشهر وفى هذه الحالة سار كرومويل على منوال شارلس الاول وحكم المملكة مدة من دون وجود برلمان والتزم على اجراء أشغال غير قانونية فى حكومته من أجل المحافظة على سيادته وصار مكروها عند الامة زيادة عن الملك الذى تعاونوا على هلاكه وشرب أرباب الجمهورية مشرب شيعة الملك وجرت الدسائس وأشرف وقوع ثورات عامة فى جهات المملكة غير أن الجواسيس كانوا يأتونه باخبار كل دسيسة وكان يلدغ أربابها فى الحال لدغ الهلاك ولاجل توطيد حكومته قسم المملكة الى احدى عشرة مديرية ووضع فى رأس كل مديرية قائدا من قواد الجيش بسلطة غير محدودة وصار لا مساعد للمقاومة ووضعت الغرامات على الناس وحبسوا خلافا للقانون والبعض أرسل رقيقا فى باربادوسة فى أمريقه ومابقى من الآراء فى قلب هذه الحكومة العسكرية الاستبدادية الاذبح كرومويل غير أن كرومويل كان متيقظا لا يخلو من الخفر أبدا ومتى صار خلف أسوار سرايته كانت سيوف خفره الصادقين مسلولة فوق رأسه ومحيطين به من كل جهة وكانت سياسة كرومويل شديدة جدا فى الممالك الخارجة كما كانت شديدة فى داخل مملكته وشيد شرف انكلتره وعلوشأنها فى الخارج الى درجة عظيمة حتى مدحه عليها ألد أعدائه وأظهر الامن والصلح لهولنده وخرب أعشاش اللصوص فى البحور الموجودة على سواحل بلاد البربر وغلب الاسبانيين فى البر والبحر وأخذ منهم جزيرة (جمايكو) وأخذ من الفرنساوية من أجل مساعدته لهم على اسبانيا قلعة (دونكرك) ورفع (الاميرال بلاك) شرف العلم الانكليزى وجعل انكلتره سيدة البحار والسائدة على الاوقيانوس واستغاث بروتستانت الالب بحماية كرومويل من الظلم الواقع عليهم من دوق صافوا ولما خاف البابا من تهديدات كرومويل انجبر على التوسط فى ملاءمة الغيرة الدينية الواقعة من البرنسات الكاثوليكية ومع ما كان عليه الامة من النفور المعلوم فان كرومويل كان معتمدا على شدة نفوذ نوابه فى الممالك الثلاثة وتجاسر فى طلب التئام برلمان فى سنة ١٦٥٦ بعد الميلاد فاجتمع نحو من تسعين عضوا على حسب مراتبهم ثم منعوا من الجلوس فى المجلس بسبب مقاومتهم لحكومة الحامى المستبدة وفى السنة التالية عرض باقى الاعضاء بأن كرومويل يلزم أن يلقب بلقب ملك فكان هذا العرض أجل مرغوبه لو أمكنه تصديق الجيش عليه ولما لم يكن للجيش رغبة فى ذلك التزم على عدم قبوله هذا السمو وأثبت البرلمان وظيفة سموه وقدم له مشروعا جديدا فى الحكومة عرف باسم العريضة الخاضعة وعلى حسب ما كان مندرجا بهذه العريضة أثبت

له لقب لورد حامى مع حق تسميته خليفته من بعد موته وصار له طاقة على ترتيب مجلس أعيان فشرع فى عمل احتفال جديد فى ديوان وستمنستر مع أبهة ملوكية وأخذت البيعة من كل عضو من أعضاء البرلمان بالطاعة له فقط من دون ذكر الجمهورية فى ٢٦ يونيه سنة ١٦٥٧ بعد الميلاد وكان مجلس الاعيان الجديد مؤلفا من ستين عضوا أغلبهم من ضباط الجيش

وفى سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد اجتمع مجلس المبعوثان وأخذ الاعضاء مجالسهم كما كانوا فى سابق الامر الا أن كرومويل وجدهم مضادين لمجلس أعيانه فألغى المجلس مع حدة الغضب ومن ابتداء هذا الوقت حكم الحامى المملكة بمفرده حتى قضى نحبه من حمى شديدة فى ٣ سبتمبر سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد فى السنة الستين من عمره وفى يوم عيد نصرات دونبار وورسيستر ودفن مع الاحتفال الزائد فى كنيسة وستمنستر وحاز كرومويل الذكاء وكانت قريحته وقادة فى أعماله العسكرية وشهامته وقوة آرائه وكان اداغا فى صفة بشر ومع أنه كان عبوسا مقطب الوجه لا يخضع فى الاعمال العمومية كان محبا لاهله وعشيرته وكانت عيشته خالية من العيوب بالكلية وكان وقورا فى ذاته خشنا فى كلامه وطبائعه

ولما مات أوليفر كرومويل أعلن ابنه ريشارد كرومويل حامى المملكة من دون وقوع معارضة وطلب التئام البرلمان باسمه ولما اجتمع هاجت المشاحنات القديمة بينه وبين الجيش وخاف الرؤسا من الضباط من ضياع نفوذهم فدسوا الدسائس من أجل المحافظة على شوكة السيف وأمل أحدهم لامبرت أن يأخذ محل الحامى السابق وكان ريشارد فى حاجة من عزم أبيه وشهامته فكان لا طاقة له على مقاومة ما وقع عليه من هؤلاء الضباط وبمشورتهم له ألغى البرلمان وطلبوا البرلمان العجز الذى كان طرده أوليفر كرومويل فانعقد فى ٢٥ مايه سنة ١٦٥٩ بعد الميلاد ولما رأى ريشارد أنه لا طاقة له على قمع دسائس العصبة العسكرية تنازل عن وظيفته من بعد مضى خمسة أشهر واعتزل فى عيشته على حدته وحذا حذوه أخوه هنرى وكان فى مدة حياة أبيه حاكم ارلنده

ولما عاد البرلمان العجز أو البرلمان الطويل استحيت منازعته مع الجيش ورغب قواد الجيش فى حكم الامة بواسطة مجلس المبعوثان ولما خابوا فى مشروعهم هذا سار القائد لامبرت على منوال أوليفر كرومويل وطرد أعضاء المجلس بالقوة العسكرية فى ١٣ اكتوبر سنة ١٦٥٩ بعد الميلاد ومن ثم وقعت حكومة المملكة فى أيادى الجيش وتهددت الامة بالحكومة الفوضوية وتراآى للناس أنهم وقعوا فيها وصاروا تحت رحمة القوى العسكرية فحولوا نظرهم نحو البيت الملوكى المنفى ثم تولد من عدم اتحاد الجيش خلاص المملكة من استبداد العسكرية وذلك أن العساكر الموجودة فى اسكوطلنده تحت قيادة القائد مونك وقع فى قلوبهم الحسد من الشوكة التى تقلدها رفقاؤهم فى الجهة الجنوبية فعزموا على الدخول فيها وكان مونك فى مبادى الحرب الداخلى حمل السلاح فى مرضاة شارلس الاول الا انه لما وقع فى أيدى حزب الاحرار التحق بكرومويل وبشجاعته حاز الدرجة العالية فى جيش البرلمان ولما سقطت حكومة ريشارد كرومويل رأى أن سلامة انكلتره متوقفة على عود العائلة الملوكية وارتاب من طمع لامبرت وعزم على السير الى لونده بعلة مساعدة البرلمان العجز وفى أثناء هذه المدة انتهز هذا المجلس فرصة عدم اتفاق العسكرية والتأموا مع بعضهم مرة ثانية وانتظروا مع غاية التلهف وصول الجيش من اسكوطلنده ودخل مونك لونده فى رأس ٧,٠٠٠ فارس فى ٣ فبراير

سنة

سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد وأعلن فى الحال بحرية البرلمان وبمجرد ما علمت هذه الحالة تهللت وجوه أهل انكلتره بالافراح واجتمع مرة ثانية الاعضاء الباقون من أصل البرلمان الطويل فى ديوان وستمنستر فى ٢١ فبراير سنة ١٦٦٠ وقرروا الانتخاب باصوات عمومية فى المملكة وفى بضع أيام ألغى هذا المجلس بمعرفة أربابه ومن ثم انتهى أمر البرلمان الطويل المشهور من بعد أن لبث فى طوالع سعود ونحوس مدة تنوف عن تسع عشرة سنة

وتولد من نتيجة الانتخاب العام فى مجلس المبعوثان المحبة للعائلة الملوكية واحتل الاعيان القديمة مقاعدهم فى مجلس الاعيان وعرف البرلمان الذى صار تشكيله بهذه المثابة باسم البرلمان الاتفاقى بسبب أن اجتماعه كان بغير مكاتبة ملوكية وابتدأ فى أشغاله فى ٢٥ ابريل سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد وفى غرة مايو قال مونك فى المجلس وكان فى مخابرات سرية مع شارلس ان رسولا من ملكهم المنفى واقف بالباب ففرحوا بهذا الخبر وأمروا بدخول المرسول فقدم للمجلس جوابا يتضمن ارتباط علاقات الملك مع الامة وتقريرا يعرف بقرار بريده تعهد فيه الملك بمنح حرية وعفو عام عما مضى الا الذى لا يكون على رغبة البرلمان مع الترخيص بالامتيازات فقرر البرلمان الاتفاقى فى الحال بعود الملك الى بلاده

وفى ٨ مايو سنة ١٦٦٠ أعلن بملوكية شارلس بدون معارض وأرسل أسطولا الى هولنده لحمله الى انكلتره وفى ٢٩ منه الذى هو يوم عيد ولادته دخل لوندره باحتفال عظيم فى وسط أفراح وتهليل من الامة وكان شارلس الثانى حسن الخصال سهل السلوك غير أنه كان قليل العقل لا دين عنده فلو كان له دين لكان روميا كاثوليكيا بل كان على بقايا منه وجعل حظ نفسه هو المقصد الاكبر من حياته وابتدأ فى سلطنته بانكار مدة الجمهورية وترقيم أعماله فى السنة الثانية عشرة من سلطنته وبمكافأة قائد مونك وآخرين من حزب الرجعة بالالقاب والشرف ورفع مونك الى رتبة (دوق البيمارل) واميرال الاسطول الى رتبة (ارل سندوتش) وعاد (ادوارد هيد) من منفاه مع سيده الملك وصار هو اللورد النائب مع لقب (ارل كارندون) وأمر بنبش قبور كل من كروموبل — وعيرطون زوج ابنته — وبرادشو رئيس المحكمة التى صدر منها حكم القتل على شارلس الاول وأخرجت أكفانهم وأخذت أجسامهم من كنيسة وستمنستر وصلبوا جميعا فى الطيبورن واستثنيت قضاة الملك السابق من العفو العام فكانوا جميعا تسعة وعشرين وقعت محاكمتهم على ما حصل منهم من الخيانات وقطعت رؤس عشرة منهم وسجن الباقى مدة حياته ولما عاد الملك عادت الادارة المدنية القديمة على ما كانت عليه فى وقت خروج شارلس الاول من لوندره وتقررت أعمال البرلمان الطويل الذى رضى بعود الملك وفى أثنا مدة العصيان الكبرى وقع فى كافة أقاليم المملكة المصائب المحزنة وآلت الحالة فى هذا الوقت لتدبير الادوية اللازمة لعلاج آفات لبثت حائقة بالمملكة ١٨ سنة وصار من الواجب على البرلمان الاتفاقى اجراء ما يلزم لراحة الامة وكانت هذه الاعمال محصورة فى أربع مواد أولا ايراد الملك ثانيا المشاحنات الواقعة فى الاملاك ثالثا موادالكنيسة رابعا عفو عام عما مضى من الجرائم والعدوان

سلطنة شارلس الثانى

فأما ايراد الملك فانه تقرر له ٠٠٠ر٢٠٠ر١ ليره وألغيت اقطاعات ألنيت والتزاماتها مؤبدا وكان أثر طريقة هذا الالتزام مستمرا من أيام الحرب الداخلى وألغيت بواسطة السلطنة وكان الملتزم ملزما

بدفع غرامات كبيرة الى الخزينة الملوكية حتى يتحصل على أملاكه فصار الغاؤها فى هذه الحالة على مقتضى نص قانون وفى هذا الوقت أيضا صار تفريق الجيش وكان مقداره ٥٠٠٠٠ عسكرى واستقرت العساكر فى أماكنهم فى استتباب راحة مشتغلين بالصنائع والتجارة مع العفة وحسن الاخلاق حتى صاروا فى حالة سلوك على منوال التبعة

وأما فصل المشاحنات المتعلقة بالاملاك فكانت من أصعب المواد فان الاراضى التى كانت تابعة للتاج والكنيسة وناس مخصوصين تغيرت عليها الايدى فى مدة الارتباكات فما كان من السهل التعويض أو العود فانتهت باستحواذ أرباب الاملاك الاصليين على أملاكهم وتركوا الذين اشتروا الاراضى يبحثون عن حقوقهم فى المحاكم القانونية

وأما مواد الكنيسة فكانت فى ارتباك زائد لان القوانين القديمة للحكومة كانت مرخصة للاساقفة بانهم حكام الكنيسة الانكليزية ثم قام الدين البرسبيتريانى بمعرفة البرلمان فى مدة الحرب الداخلى ثم انقرض البرسبيتريانيون من أن يكون لهم دخل فى السلطنة وصار تقوية القانون القديم ومن أجل هذا ترا أى أن من الواجب عود أملاك خدمة الدين التابعين للاسقفية التى كانت نزعت منهم مدة الجمهورية وكان البرلمان الاتفاقى تداول فى هذه المسئلة حتى قبل عود الملك فقرر بعود الاساقفة الذين طردوا من وظائفهم وأخذت أملاكهم وقرر البرسبيتريانيين وآخرين فى الاملاك التى ليس لها منازع ولا مطالب بحقوق فيها وما بقى الا فصل مادة الصلاة العمومية فى الكنيسة هل يكون القرار فيها بمعرفة خدمة الدين على موجب الصلاة الانكليزية أو على حسب الامتيازات الممنوحة لهم فصار توقيف هذه المسئلة للبرلمان القابل

ثم بعد فصل هذه الثلاث مواد المتقدمة قرر البرلمان الاتفاقى جلب قاتلى شارلس الاول للمحاكمة وقد ذكرنا انه وقعت محاكمة تسعة وعشرين شخصا صدر على عشرة منهم حكم الموت ولما تمم البرلمان الاتفاقى ماسبق ذكره من المواد المتقدمة ألغى فى آخر السنة وكان عود الملك فى اسكوطلنده مع شدة الفرح كما وقع فى انكلتره وألغى البرلمان الاسكوطلندى المطيع للملك كافة القوانين التى صدرت من ابتداء مبادى الحرب الداخلى وأما (ماركيز أرجيل) الذى كان وضع التاج على رأس شارلس فى (صقون) فانه ذاق ألم الموت بسبب اشتراكه فى الثورة الكبيرة وأعيدت الاسقفية فى ارلنده وكذا أراضى الكنيسة غير أن الكثير من الذين تجردوا من أراضيهم مارجعت اليهم حقوقهم أبدا وصار (الماركيز عورموند) الذى كانت محاربته فى مرضاة بيت استيوارت لوردنائب فى ارلنده وكانت الاعمال الديانية فى حالة محزنة فى انكلتره ومع أن الاساقفة وخدمة الدين المطرودين عادوا عند عود الملك وصارت الصلاة العامة فى حرية الاستعمال الشرعى فان المستقلين والبرسبيتريانيين من القسس الذين سمح لهم بالبقاء فى أملاكهم انتظروا أنه لا بد من تغيير فى هيئة الاسقفية وأن يرضوا بالترخيص لهم فى الصلاة على حسب نص كتاب الصلاة العمومية ومع هذا فان شارلس مع وعده باحترام أغنياء البرسبيتريانيين فانه كره طريقتهم وديانتهم وعزم على اقامة الاسقفية بكافة شروطها ولاجل انضمام المتطهرين بالكنيسة الحالية عقد مجلس فى سراية صافوا فى مايو سنة ١٦٦١ بعد الميلاد اجتمع فيه اثنا عشر أسقفا واثنا عشر من رؤساء الديانة البرسبيتريانية للمداولة فى الخلاف الواقع بينهم وناقض البرسبيتريانيون فى كافة الشعائر والاحتفالات الدينية الجارية فى الكنيسة وكافة المعارضات القديمة

التى

التى كانوا شرعوا فيها فى عصر الملكة اليزابث وعرض واحد منهم اسمه (باكسطير) بأنه لا يجوز القول بمثل هذه الصلاة العمومية أبدا وقدم كتابا مؤلفا بمعرفته بدل كتاب الصلاة ووقع الغضب فى المجلس على وجوه كل من الحزبين وانفض مجلسهم مع شدة الزعل ومازال الخرق يأخذ فى الاتساع بين الحزبين الديانيين الكبيرين فى المملكة

وفى نحو هذا الوقت قابل شارلس برلمانه الجديد وكان معظمه مؤلفا من حزب الملوكية فمن ثم ارتد العمل وتحولت الاوامر لبد الملك واستمر هذا المجلس الى مبادى سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد وعرف باسم برلمان المعاش لكثرة ما كان يأخذ أعضاؤه من البرطيل من كل من ملكى انكلترة وفرانسا ومن بعد أن قرر هذا المجلس حقوق التاج كانت أول أعماله مباشرة حطم شوكة المتطهرين فأصدر فى سنة ١٦٦١ بعد الميلاد أول لائحة تعرف بلائحة الشركة فكانت داهية على شوكة الخارجين أو المتشعبين المتحدين فى المدائن التى نفوذهم فيها قوى وكانت هذه اللائحة مشتملة على أنه لا يجوز لاى شخص تقليده وظيفة من مصالح الجمعية مالم يتناول سر العشاء الربانى حسبما هو مقرر فى شعائر الكنيسة الانكليزية فى ظرف اثنى عشر شهرا من وقت انتخابه للوظيفة وان مثل هؤلاء الاشخاص يرتدون عن الاتحاد والتعاهد وتؤخذ عليهم الايمان المؤكدة بعدم حملهم السلاح ضد الملك ثم بعد ذلك أصدر لائحة الانتظام وكانت مشتملة على أن خدمة الدين يجب أن يعترفوا جهرة بقبولهم كافة المواد المندرجة فى كتاب الصلاة العمومية ثم يستلموا وظائفهم ومحل خدماتهم من أيدى الاسقفية و يرتدون عن الاتفاق والتعاهد وتؤخذ عليهم الايمان المؤكدة والذين لا يقبلون يجردون من معاشهم وكان هذا فى ٢٩ مايو سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد ولما حل عيد سنت بارثلمى وهو آخر يوم تحدد لاخذ الايمان تنازل نحو من ٢٠٠٠ من القسس والائمة عن شرفهم ومنافع مصالحهم ولم ينقادوا لمثل هذا الامر فعرفوا بالخارجين عن الكنيسة أو المعتزلة ويلزمنا هنا أن نذكر انه فى أثناء الثورة الكبيرة صار طرد الجم الغفير من أهل الديانة من الحزب الملوكى وتجردوا من معاشهم لكن كانت معاملتهم فى كلا الاحوال أحسن من معاملة الذين تجردوا من معاشهم فى يوم عيد سنت بارثلمى

ثم ان أئمة المعتزلة فتحوا محلات عبادة منعزلة على حدتهم تولد منها تكدر عظيم لا يطاق عند أعضاء الحزب الملوكى وأشيعت الاخبار بأن الناس لازموا هذه المعابد من أجل هياج الثورات والخروج عن الطاعة فمن ثم أصدر البرلمان فى سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد لائحة عرفت بلائحة الاصلاح وكانت مشتملة على أن عموم الناس الذين ينوف سنهم عن الستين سنة يحضرون فى كل احتفال دينى وخلاف الذين على دين الكنيسة الانكليزية لا يرخص الا لخمسة أنفار خلاف العائلة بالاجتماع ومن وجد على غير ذلك يحبس مدة ثلاثة شهور فى أول جريمة تقع منه وستة فى الثانية والنفى سبع سنوات فى الثالثة ومن بعد مضى ست سنوات صدرت لائحة اصلاح ثانية تشتمل على توقيع العقاب على السامعين والغرامات على الواعظين وعلى الذين يسمحون فى أن تكون بيوتهم مستعملة بصفة مصلحين فتولد من هذه اللوائح الشديدة نفور كبير عند المعتزلة كما كان منتظرا غير أنه ما نتج من نفورهم الا أشد الاعمال الصعبة بالكلية عليهم ولما اتهموا بوقوع الهياج وقع الضغط عليهم ثم أصدر البرلمان لائحة الخمسة أميال فى سنة ١٦٦٥ بعد الميلاد فكانت مشتملة على أنه لا يجوز لكافة أئمة المعتزلة الذين رفضوا قبول اعطاء اليمين فى عدم مضادة الملك أن يأتوا فى داخل خمسة أميال من أى مدينة من

مدائن الجمعية أو قرية أو يرسلوا أعضاءهم الى البرلمان ومن وقع منه مثل ذلك غرم أو أودع فى السجن ومنعوا أيضا من التعليم فى المدارس

ثم بعد ذلك هاج أول حرب بين انكلتره والفلمنك سببه العداوة التجارية بين الامتين من شركة افريقية كان رئيسها دوق يورقه أخو الملك كانت عقدت اتحادا مع المستعمرات الفلمنكية فى ساحل غينا وقيل ان نفس شارلس أراد هذا الحرب كى ينتهز فرصة أخذ جانب من النقود التى كان قرر البرلمان عليها من أجل شؤنه ووقع اعلان الحرب على هولنده فى سنة ١٦٦٥ بعد الميلاد مع أن مبدأ المشاحنة كان فى فصل صيف السنة السابقة وقت ما تغلبت العمارة البحرية الانكليزية على المستعمرة الفلمنكية المسماة امستردام الجديدة فى أمريقه ومن وقتها أطلقوا عليها اسم يورقه الجديدة وفى فصل ربيع سنة ١٦٦٥ أقلع دوق يورقه فى البحر مع أسطول قوى مؤلف من ٩٨ سفينة وحاز نصرة عظيمة على الفلمنكيين فى نواحى (لوسطوفط) وخسر المنصورون مركبا و ٦٠٠ نفس وأما خسارة العدو فكانت ١٨ سفينة و ٤ أميرالات و ٧٠٠٠ نفس أخذوا أو قتلوا وفى السنة التالية عاضدت فرانسا هولنده وأعلنت حربا على انكلتره وأرسل البرنس روبرت مع عمارة بحرية لاجل ملتقى اسطول طولون وفى مدة غيابه جاء دوق البمارل مع ٥٤ شراعا بغتة فى تجاه أسطول فلمنكى مؤلف من ٨٠ سفينة على مسافة من شمال (فورلند) تحت قيادة دوويط (ودوديطر) فوقعت واقعة استمرت أربعة أيام وما نجا البمارل من الهلاك الا بعد وصول البرنس روبرت وكانت هذه الواقعة من غرة يونيه الى ٤ منه سنة ١٦٦٦ فكان النصر فيها للفلمنك ولو أن الانكليز حاربوا فيها مع الشجاعة واكتسبوا شهادة الفخر من أعدائهم وقال ويط انهم ربما كانوا يقتلون ولا يغلبون ثم وقعت واقعة أخرى فى الشهر التالى كانت نصرة فاصلة للانكليز وساقوا خلف الفلمنكيين الى سواحلهم وحرقوا فى مينة شلنغ ١٥٠ سفينة تجارية وحلف ويط أنه لابد من أخذ ثاره وفى السنة التالية وفى بيمينه وأخذ بثاره وانتقم من أعدائه فأما النقود التى تقررت بواسطة البرلمان بشأن الحرب فانها صرفت فى مساعدة المصروفات الوافرة الحاصلة فى ديوان شارلس وتركت سفن الحرب من غير ترميم وأهملت الترسانات والمخازن البحرية وأقلع دوويط ورويطر فى مبادى سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد فى نهر التيمس ولاقوا مقاومة ضعيفة وخربوا (شيرنيس) وحرقوا السفن الحربية الموجودة فى (شاتام) وأقلعوا حتى وصلوا الى قلعة طيلبورى ولما أخذ ويط بثاره عاد مع ظفره وبعد عقد الصلح كنس الاسطول الفلمنكى سطح مياه الخليج من المراكب الانكليزية وانتهى الحرب بمعاهدة بريده فى ٢١ يوليه سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد

وفى مدة حرب الفلمنك أصيبت لونديره بآفتين مفزعتين الطاعون والنار وذلك أن فصل صيف سنة ١٦٦٥ كان شديد الحرارة وتولد من ضيق شوارع لونديره مع ترتيب مجاريها القبيحة وعدم تهوية منازل السكن عفونات شديدة وظهرت شواهد الطاعون فى فصل الشتاء السابق فكان كلما يتقدم زمن الربيع تهيج الروائح الكريهة وتأخذ فى الزيادة ويشتد المرض وفى مبادى هذا الفزع ترك الملك وحواشيه والاشراف والاغنياء والتبعة لونديره وهربوا منها وسار على منوالهم الناس حاملين معهم هذا الداء المعدى الى جهات أخرى حتى أصدرت الحكومة أوامرها بتوقيف مد هجرة الناس من المدينة وخلت عدة محال من المدينة من سكانها وتعطلت أشغال المدينة ونبت الحشيش فى الشوارع وكل بيت ظهر فيه الطاعون صار قفله مدة شهر ووضعت صلبان حمر على الابواب مكتوب عليها اللهم

ارحمنا

ارجعنا واكشف عنا ما نزل بنا وآل أمر عربات حمل الاموات الى العدم ليلا وصار لا يسمع صوت فى شوارع متروكة سوى قرقعة عجلات ثقيلة وأصوات دق الاجراس والناس يقولون أخرج ميتك وصارت ترمى أجسام الموتى من دون أكفان أو شعائر جنازات فى نقر محفورة فى ضواحى حيشان الكنائس وأخذ عدد الاموات فى فصل الخريف فى الزيادة حتى انه فى شهر سبتمبر بلغ عدد الاموات ألف نفس كل يوم فى سنة ١٦٦٥ فكانت مدة هذه الآفة المفزعة والمصيبة المخزية مدة خلاعة طائشى العقول ولآخرين انتظار فيما تؤول اليه عاقبة أمرهم وهم صامتون ثم أخذ حال الطاعون فى الضعف وكان الناس يتوجهون كل يوم الى المقابر ويتذكرون أهوال يوم الفزع الاكبر وأخذ عدد الاموات فى القلة من بعد فصل الصيف وخلت لوندره من الطاعون فى شهر ديسمبر وعلى ما قيل انه مات من العاصمة وحدها نحو من ١٠٠,٠٠٠ نفس فى مدة هذا الطاعون وهلك عدد وافر من المدائن والقرى الاخرى

وفى سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد أصيبت لوندره بنار حامية ما عهد مثلها قط فى أوروبا من قرون مضت وكان ابتداء هذه النار فى ليلة الاحد ٢ سبتمبر من السنة المذكورة من دكان أحد الدلالين فى عطفة بودين وكانت منازل السكن الموجودة فى هذه الجهة مصنوعة من الخشب والشوارع ضيقة فى داخل بعضها فهبت رياح شديدة شرقية وكانت مواسير المياه فارغة ومن ثم كان كل شئ صالحا للالتهاب واستمر لهيب النيران ساريا من دون قطع ولا حجز حتى ان كافة المدينة من قنطرة لوندره الى معبد (بار) صار كاما من الرماد ومضى على ذلك أسبوع من قبل اطفاء النار واخمادها وصار الذين لا مأوى لهم نحو من ٢٠٠,٠٠٠ نفس والتزموا على الالتجاء الى الغيطان الموجودة حول لوندره وانكشف قتام وهج النيران وتحول الليل نهارا وتدمرت فى هذه الحادثة كنيسة سنت بول وتسع وثمانون كنيسة أخرى ونحو من ٤٠٠ شارع مشتملة على ما ينوف عن ١٣,٨٠٠ بيت وهذه الآفة وان كانت مصيبة كبرى على الناس الا أنها نظفت المدينة من الطاعون وكانت فرصة فى توسيع الشوارع وبناء المساكن بالطوب والاحجار بدل الاخشاب وتشيدت كنيسة كبيرة جديدة فوق آثار الكنيسة القديمة لسنت بول بمعرفة المعمارى المشهور (كريستوفورل) وأشاعت أخبار الوقت أن أصل وجود النار من الكاثوليك

وقد ذكرنا فيما سبق انه تولد من عود الملك السرور الاكبر عند عموم أهل انكلتره فأعقب هذا نفور عام وذلك أن البرسبتريانيين لما خاب أمرهم ووقع الجور عليهم رأوا أن الحكومة هى الضرر الكبير والخطر الخطير وترك الملك الجم الغفير من الحزب الملوكى من دون مكافأة أو التفات اليهم من بعد ما صرفوا ما عندهم من الخيرات وبذلوا مساعيهم فى عود سلطنته فتوجعوا وتضرروا مما حصل من ملك خائن مثل هذا ذاقوا من أجله أشد الآلام وتولد من عيشة الملك نفور عام بين أولى الافكار وصار ديوان الملك فى حالة قبيحة من الفسق والفجور وشرب الخمور وصارت لفظة الفضيلة فيه قول عار والدين دمار وأهملت أشغال المملكة وصرفت النقود التى كانت معدة لمصالح الخدمات العمومية فى الملاهى والحظوظ وضاع شرف الامة تحت الخمر والخلاعة وبيعت قلعة دونكرك التى أخذها كرومويل من اسبانيا الى ملك فرانسا بمبلغ بخس من النقود وتولد أيضا من مصائب الطاعون وآفة النار زيادة الغضب العام وكانت مدافع الاعداء من الفلمنكيين تسمع أصواتها فى المدينة والملك غرقان

فى لهوه ولعبه فانقلب الغضب الى تزمر شديد فوجد شارلس أنه من الضرورى لتسكين غضب رعيته دمار وزيره الاكبر كلرندون وكان هذا الرجل الكبير أمور أشغال الملك من قبل عوده الى التخت ومن بعده وارتبط مع العائلة الملوكية بزواج ابنته عانى بجمس دوق يورقه ومع انه اجتهد فى أمر الملك الأ أن شارلس كان يبغضه وما كانت صفات الاثنين شيأ فى الجملة فان رزانة كلرندون ووقاره وعقائده الديانية كان لاذوق لها عند ملك منهمك طول حياته فى الموسيقات والملاهى وما تولد له من ارشاده الملك الا زيادة أعدائه فى الديوان وكرهه الفرسان من عدم صداقته للملك وقدحوا فى حقه وقال البرسبتريانيون انه هو السبب فيما وقع لهم من المصائب وصيره مجلس المبعوثان انه هو المسؤل عن المصائب التى وقعت من الحرب الفلمنكى فصارت نجاة الوزير من هؤلاء الاعداء مستحيلة فهرب ناجيا بنفسه من المملكة خوفا على حياته وأعقب هربه لائحة من البرلمان بتوقيع النفى المؤبد عليه فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد فصرف ما بقى من سنى حياته فى كتابته تاريخا فى الثورة الكبرى ومات فى مدينة رووان فى سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد ثم ان الوزارة التى تشكلت من بعد نفى ارل كلرندون عرفت باسم كابال لان حروف اللفظة كل حرف منها أول حروف أسماء الخمسة أعضاء التى تشكلت منها هذه الوزارة وهم (كليفورد ـ واشلى ـ وبكنغهام ـ وارلنغطون ـ ولودردال) فكان هؤلاء الخمسة وزراء على ما كانوا عليه من الخسة وقلة الشرف فاجتهدوا فى سقوط حرية المملكة وكانوا سببا فى اجراء ادارة قبيحة سودت صحائف التاريخ الانكليزى حتى ان لفظة كابال صارت عرضة للذم والقدح وعقدت هذه الوزارة اتحادا مع هولنده واسوج أطلق عليه اسم المعاهدة الثلاثية بقصد صد مطامع لويز الرابع عشر ملك فرانسا من فتوحاته فى فلندره وما كان لشارلس قلب فى هذه المعاهدة كما ذكرنا فى تاريخ فرانسا لانه فى ٢٢ مايو سنة ١٦٧٠ وقع على معاهدة الدوفر السرية مع لويز الرابع عشر تعهد فيها على نفسه بدخوله فى الديانة الرومانية الكاثوليكية وأن يكون حليفا لفرانسا على هولنده و يساعد لويز فى مأربه على التخت الاسپانى وفى نظير ذلك يكون له راتب سنوى مقداره ١٢٠,٠٠٠ ليره ويساعد بجيش مؤلف من ٦٠٠٠ عسكرى من العساكر الفرنساوية لو حصل من الانكليز مقاومة فى عود الديانة الرومانية وبمقتضى شروط هذه المعاهدة ترك شارلس محالفيه وفى سنة ١٦٧٢ بعد الميلاد انضم مع لويز فى حربه ضد الفلمنك فاكتسب الانكليز شهرة قليلة فى هذا الحرب ثم ان البرلمان نظرا لبغضه لهذه المعاهدة المهينة جبر الملك على الانسحاب منها وعمل صلح مع هولنده فى ٩ فبراير سنة ١٦٧٤ وفى هذه السنة سقطت الوزارة المسماة كابال

ثم تولد من محالفة شارلس مع ملك قوى الشوكة كاثوليكى الدين مثل لويز صاحب فرانسا وقوع الاشتباه عند رعاياه وزيادة غيرتهم من الدين الكاثوليكى وكذا حصلت الاشاعات وانتشرت الاخبار فى شأن المعاهدة السرية ولما اعترف دوق يورقه بمغايرته جهرة مع الحزب الكاثوليكى صارت الامة على يقين من وقوع دسائس كاثوليكيه وانتهز الفرصة رجل قبيح الصفات اسمه (طيطوس عيطوس) فى أثناء ارتباك عقول الناس وأشاع أنه اكتشف على دسيسة كاثوليكية قاصدة ذبح الملك وجلوس جمس دوق يورقه على شرط مساعدة هذه الدسيسة على دمار وابطال الديانة البروتستانتية فى سنة ١٦٧٨ وكان عيطوس المذكور فى عصر الجمهورية واعظا ثم تقلد وظيفة فى كنيسة انكلتره ولما ظهرت عليه خيانته تجرد من معاش قسوسيته فانضم الى الكنيسة الرومانية وقام مدة من الزمن فى أرض القارة

فى

فى مدارس منسوبة لليسوعيين فلاريب انه سمع فى هذا الوقت الكثير من الآراء الجارى المكالمة فيها من أجل عود انكلتره الى الديانة الكاثوليكية ومع أنه كان يوجد فى الحقيقة ثورات مستعدة للقيام على البروتستانت على مقتضى نص بنود المعاهدة السرية التى عملت فى الدوفر فما كان لعيطوس مقصد من كشفه هذه الثورة الأمل اكذابها وكان من الذين دخلوا فى هذه الثورة (ادوارد كوليمان) كاتب أسرار دوق يورقه واستدل فى الحال من أوراقه وجواباته المعروضة الى رئيس الكرسى معترف لويز الرابع عشر اثباتا لدلائل عيطوس وفى هذا الوقت ظهرت حادثة تثبت وجود الثورة وذلك أن (عدمنسيورى غودفرى) قاضى الصلح كان أحيل عليه تحقيق مسئلة عيطوس التى أقامها على كوليمان وجد ميتا ماقى فى حفرة بالقرب من تل (بريروز) و بطنه مشقوقة بسيف فنسب فى الحال قتله للكاثوليك وقام الهياج فى الحال فى وجه الامة وصارت لوندره ميدان فزع همجى وصار ترتيب خفر متسلح فى شوارع المدينة وصار لا جسارة لاحد من أهل المدينة على الخروج فى الشوارع من دون سلاح وزاد الاضطراب حتى صار اخراج أعيان الكاثوليك من البرلمان وملئت السجون بالكاثوليك ومن ثم صار عيطوس من أشجع الفرسان واعتقد الناس فى أقواله فى كل جهة واستقبله الناس فى صفة أنه مخلص بلاده ورحبوابه وأكرموه وترتب له معاش مقداره ١٢٠٠ ليره كل سنة فى ديوان سراية الدار البيضاء ثم طمع فى مكافأة أخرى مثل المتقدمة فنم على بعض آخرين ولما ثبتت أقواله صار قتل كوليمان وعدة آخرون من اليسوعيين ودخل عيطوس فى أن اتهم الملكة نفسها بهذه الدسائس التصورية وكان آخر المتهومين الرجل الطاعن فى السن (ويسكونت سطافورد)

ثم ان شارلس تعشم أن يوقف مدهذا الظلم بابطال البرلمان وكان مكث ملازما على جلساته سبع عشرة سنة فكان الجديد أشد قوة وأعظم بأسا ولما خشى مجلس المبعوثان وفزع مما عليه دوق يورقه من الديانة الكاثوليكية أصدر لائحة تتضمن خروج دوق يورقه من وراثة التخت بما أنه كاثوليكى الدين وأن يكون التخت من بعد شارلس الثانى لمريم البروتستانتية وزوجها غليلوم فكانت هذه اللائحة مقبولة عند الامة وقوت أغراض غليلوم برنس أورنجه وكان فى احتياج مساعدة انكلتره على فرانسا فرفض الملك تدميره مصلحة أخيه وألغى البرلمان فى شهر مايو سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد وينسب الى هذا المجلس القانون المشهور بلائحة الحبوس التى أصدرها فى نفس هذا الشهر والسنة وكانت خطيرة ومثلها مثل منحة الحرية الكبيرة وهو أنه فى مدة الملوك الاولية كان المحبوس يلبث فى السجن مدة غير محدودة من قبل جلبه للمحاكمة ومن ثم لبث (رالى - ولود) بضع سنين فى السجن فمنعت هذه اللائحة وقوع مثل ذلك فى المستقبل وعلى مقتضى نص شروط بنودها أن كل مسجون له حق المحاكمة فى ظرف مدة معينة من بعد القبض عليه واذا وقع الافراج عن انسان فلا يسجن مرة ثانية من أجل عين الجريمة ومشتملة أيضا على أنه لا يمكن لواحد من أهل انكلتره سجنه فى اسكوطلنده أو خارجا عن انكلتره مالم يكن برضاه أو يكون اكتسب جريمة كبيرة فى المحل الذى أرسل اليه

وكان الغاء البرلمان سببا فى زيادة هياج الامة وعزمت الامة على عدم الترخيص للكاثوليك فى الجلوس على التخت غير أنه كان يوجد الكثير من الناس معاضد الدعوات دوق يورقه ولو كانوا على كراهة من دينه معتقدين أن التاج منسوب له بأمر الهى واستعدوا لاثبات أقوالهم مهما تكلفت عليهم الاحوال وانقسم الناس الى حزبين متباغضين ووقع التشاحن مع شدة الغضب فى كل مدينة كما كان

فى الايام التى كانت قبل الثورة الكبرى وفى سنة ١٦٨٠ انعقد البرلمان وشرع فى الحال فى المداولة فى لائحة الاخراج من الوراثة فصدرت من مجلس المبعوثان بأغلبية الآراء ومن بعد الاقرار عليها أرسلت الى مجلس الاعيان فما حصل فيها نجاح واتفق أنه من بعد خيبة هذه اللائحة قتل ويسكونت سطافورد بعد أن منع قتله بالغاء البرلمان وكان سبب قتله انتظار عود الاشغال فى يد الملك لمساعدته على أغراضه

وأما الاعمال فى اسكوطلانده فانه تولد من عود الملك تغييرات كبيرة فيها فان برلمان تلك المملكة أجرى أعماله مثل برلمان انكلتره ونفذ مع الرغبة مطلوب الملك فيما يتعلق بالمواد الديانية والغيت حكومة الكنيسة البرسبتريانية وحل محلها حكومة الكنيسة الاسقفية وكان أرسل (جمس شارب) الامام البرسبتريانى فى (دكر بل) الى لونده من أجل النظر فيما يعود بالمصلحة على الحزب الذى هو منه فأغوى على ترك ما هو عليه من أمور ديانته وكان جزاؤه أن صار تعيينه رئيس أساقفة (سنت اندر يو) ووزير اسكوطلنده فى الديانة وسار على منواله أيضا تسعة آخرون تعينوا فى وظيفة أساقفة ومن بعد تسكين هياج الترتيب الجديد فى نظام الاشياء انسحب الكثير من الناس من وظائف الكنيسة ولازموا الائمة المعتزلة المطرودين من الكنيسة المقررة فاجتهدت حكومة الاسقفية فى صد المعتزلة بالتغريم والحبس وشدة العقاب وصار ارل لودردال وكان برسبتريانى المذهب رئيس حكومة الاسقفية وكانت المضادة الشديدة للاسقفية موجودة فى الاراضى السهلة الغربية فأرسل الى هذه الجهة جماعات كثيرة من العساكر من أجل المضايقة على أهلها حتى يدفعوا الغرائم التى تقررت عليهم فكانت هذه الاجراآت الشديدة سببا فى كون المعتزلين يبحثون لهم على أماكن فى الاراضى المستنقعة والجبال والتلال ويقيمون فيها اعبادتهم حسب رغبتهم وأخيرا وقع عليهم الظلم موقع الشدة وألجأهم الى الخروج والعصيان على الحكومة وسار نحو ألف نفس منهم الى مدينة ايدنبورغ فهجم عليهم (القائد دالزيد) المحافظ من طرف الملك فى سهل (روليون) بالقرب من جبل بنطلند وشتت شملهم فى نوفمبر سنة ١٦٧٦ بعد الميلاد وقتل نحو من عشرين نفسا فى خصوص هذه الثورة من بعد أن وقع العذاب سابقا على كثير منهم ومع ما وقع من تشديدات الحكومة وقسوة أعمالها فان قوة المتعاهدين باقية بدون انكسار وكثرت الاجتماعات الدينية فى جهات مخفية وكان الناس يلازمون على الاجتماع فيها والتوراة فى أيديهم وكذا البنادق والطبنجات والسيوف لاجل ضرب كل من هجم على عقائدهم المقدسة من العساكر ووضعت الكونتات الغربية بتمامها تحت رحمة العسكرية وزاد الوحل وحلا على وحل بنزول همج القبائل الجبلية من جبالهم لاجل صيد فلاحى الاراضى السهلة فكانت هذه المعاملة الفظيعة سببا فى وقوع الجنون فى الاهالى وفى نواحى (فيف) كان موجودا شرذمة مؤلفة من اثنى عشر نفسا منتظرين بالقرب من سنت اندريو الهجوم على واحد من ظالميهم فقابلوا عربة رئيس الاساقفة شارب فى (سبخة ماغوس) فعولوا على قتله فجأة وجروا القسيس العجوز من العربة وقطعوه أمام ابنته فى ٣ مايو سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد وأعقب هذا الفعل الجنونى ثورة فسافر (يوحنا غراهام) من غلاسغو لاجل الاخذ بثأر رئيس الاساقفة وكانت عساكره الدراغون موقعة الفزع والرعب فى داخل المملكة وفى (درومكلوغ) بالقرب من جبل لودن تقابل مع جماعة متسلحة من الثائرين فوقع بينه وبين هؤلاء الشرذمة محاربة كانت عساكره تحارب فيها من دون فائدة فهزموه وعساكره مع

التلف وسار المتعاهدون على غلاسغو وتغلبوا على المدينة ولما وصلت أخبار هذه النصرة للوندره أرسل شارلس الثانى ابنه الشرعى جمس الى اسكوطلنده فى صفة قائد رئيس وفى رأس جيش كثيف من العسكر الملوكى وعسكر الثائرون فى ٤٠٠٠ نفس بالقرب من قنطرة بوتو يل من أجل المحافظة على معبر نهر الكليد وكانت الواقعة قصيرة الاجل وفاصلة فى ٢٢ يونيه سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد فقتل فيها ٤٠٠ نفس من المتعاهدين وأسر نحو من ١٢٠٠ نفس وانتخب البعض من هؤلاء للقتل وأرسل الباقى فى صفة رقيق الى (بار بادوسه) فى أمريقه ومن بعد هذه حضر دوق يورقه فى اسكوطلنده لاجل تقليده زمام الحكومة وفى مدة حكمه زاد الجور أكثر مما كان فالمعاندون من المتعاهدين وكانوا معروفين باسم (الكمرونيانيين) نكثوا مع الخسارة طاعتهم للملك وما تولد لهم من هذا سوى زيادة العذاب وكل انسان رفض بجحود التعاهد وقع الاشتباه عليه بانه كرونيانى وقتل فى محل الواقعة وما نجا من هذا الظلم الشديد الا من كان عنيدا أو هاجر من المملكة وهاجر الكثير من المملكة الى المستعمرات الامريكانية وآخرون انتظروا نهاية ما تؤول اليه هذه المظالم الشديدة الواقعة ثم تولد مما وقع من حزب المحافظين من هجومهم على حقوق ابنتى دوق يورقه وكن على غاية وحمية فى الدين البروتستانتى ان تخلى عنه الكثير من أهل الرأى والدراية وكان أشيع من مدة طويلة على أن (دوق مونموث) ابن شارلس الثانى من (لوسى والطير) ولد من زواج شرعى وان كان كل واحد يعلم ماله من الحقوق فان مونموث يكون هو ولى العهد من بعد موت شارلس ومن المحقق أن شارلس جلبه عنده ومنحه كل ما يلزم له وأغدق عليه اغداق برنس وزوجه فى صغره بوارثة بيت (عكلونش) وتمتع بأجل وظائف الشرف فى انكلتره وما بقى له شئ فيها من الاجلال سوى لبسه التاج وكان جميل الذات مؤدبا أنيس الطباع محبوبا فى كل جهة يتوجه اليها وكان مبجلا مكرما عند أهل لوندره مع الخصوص فقوى بعض كبار الحزب المضاد للحكومة المحبوب مونموث المعتقد فى نفسه أنه الابن الشرعى فكانت هذه التقوية زيادة فى الوقت فى درجات حزب الملك وفى سنة ١٦٨١ بعد الميلاد التأم برلمان آخر فى اوكسفورد كان فيه حزب المحافظين أكثر قوة وعددا وكان لحزب الاحرار أيضا أغلبية فى مجلس المبعوثان واصطحبوا فى توجههم الى المدينة بخفر متسلح مساعد لهم لو حصل لهم أدنى ضرر فى الطريق فكانت المداولات فى هذا المجلس مخصوصة بالدسائس الكاثوليكية ولائحة الاخراج من الوراثة للتخت وعزموا فى مداولاتهم على أنه لا بد من تنفيذ هذه اللائحة على قدر امكانهم وفى أول فرصة تسنح لهم فلما انفتح للملك هذا المشروع ألغى البرلمان فى ظرف أسبوع من انعقاده وتوجه سير الاعمال بالطبع اليه وزال الخوف المشاع من وجود الدسائس الكاثوليكية وابتدأ الناس فى الخجل من اعتقادهم فى الاقوال والحكايات الجنونية التى أشاعها عيطوس وساعد عزم الملك فى مقاومته ورفض لائحة الخروج من وراثة التخت مع الشدة وجذب نحوه غالب رجال المملكة من الطوائف العالية والمتوسطة وأحس شارلس فى نفسه بانه صار فى قوة كافية فى اجتهاده فى حطم رؤساء حزب الاحرار فجعل له ناسا يخترعون حكايات مثل حكايات طيطوس عيطوس وأقام محاكم دون أخصامه واتهم رئيس حزب الاحرار (ارل شافتسبورى) فى خيانة كبيرة فعين مأمورى أحكام لوندره وكانوا من حزب الاحرار محكمة عادلة فابطلت المذكرة الصادرة فى حق (شافتسبورى) بالتهمة ولما خاف شافتسبورى على حياته نجا بنفسه الى هولنده ومازال بها حتى مات وغضبت الحكومة مما أجراه مأمورو أحكام

لوندره وأبطلت امتيازالمدينة بعد وقوع الانتظام الاأن المقصد الاصلى هو حرمانهم من كسرشوكة مشروعاتها وكذا ألغيت منح الكثيرمن المدائن وأعيد عليهم دفع الغرامات الثقيلة فنشأ من الاعمال الاستبدادية التى أجرتها الحكومة هياج الاحرار فى تشكيل ثورات من أجل حماية حريتهم ودينهم وتفكر (لوردغيليوم روسيل ـ ولورداسكس ـ ولوردهووارد ـ والدوق مونموث ـ والغرنون سيدنى) فى القيام فى ثورة جهرة وعينوا الوقت المعلوم لقيامهم فيه وافتكر الذين كانوا مشتركين مع هؤلاء من الرجال وكانوا على شهامة شديدة فى قصر المدة الحائق فيها الارتباكات الواقعة عليهم بكونهم يقتلون الملك وأخاه وكان من ضمن هؤلاء شخص اسمه (رنبولد) ضابط قديم من جيش كرومويل كان مقيما فى محل اسمه بيت رى فى نواحى هرطس فأغوى على أنه من السهل جدا قتل شارلس بأن يطلق عليه عيارنارى من هذا البيت فى وقت مروره وتوجهه الى (نيومارکت) السوق الجديد واستصوب بعض من مقطوعى الامل هذا الرأى وكان خفيا بينهم فى سنة ١٦٨٣ ومن ثم كان هناك دسيستان متداخلتان فى بعضهما غيرأنهما كانا معروفين باسم بيت رى ولما وقع الكشف على الثورة أسرع بعض المقبوحين من الذين اشتركوا فيها فى خلاص أنفسهم وأفشى سرالآخرين فأماروسيل وسيدنى فانهما قتلا على ذلك القتل وما كان لهما علم بشئ من دسيسة القتل وأمااسكس فانه قتل نفسه بيده ورمى مونموث نفسه على رحمة أبيه وعفوه فعفاعنه وأمره بالخروج من المملكة الى أرض القارة ثم تقلد دوق يورقه زمام المصالح العمومية وصارشارلس مطلق الحكم فى مملكته حتى مات بداء الفالج فى ٦ فبرايرسنة ١٦٨٥ بعد الميلاد بحضور أحد قسس الرومان كاثوليك

وكان شارلس تزوج فى سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد (كاترينه براغنزه) ابنة ملك البرتغال وجلبت معها لزوجها ٥٠٠,٠٠٠ ليره فى صداقها ومستعمرتى طنجه فى افريقه وبمباى فى الهند فكانت طنجه لانفع فيها فمن ثم تركها شارلس وأمابمباى فانها أعطيت للشركة الشرقية الهندية وماخلف شارلس خلفا من كاترينه البرتغالية الاانه كان له عدة أولاد غيرشرعيين صاروا أجدادالبعض بيوت شامخة شريفة فى انكلتره

وفى مدة سلطنته تشكل بعض ألايات من وجوه الناس للخفر المسمى الآن بخفر محافظة الحياة وبلغ مقدارهذا الخفر فى آخر أيام السلطنة نحو من ٧٠٠٠ نفس من المشاة و ٧٠٠ من الخيالة وفى سنة ١٦٦٠ كان تأسيس الجمعية الملوكية فاجتهدت فى تقدم العلوم وفى سنة ١٦٦٣ كان أول ضرب الجنيه الانكليزى وأطلق عليه اسم جنيه بسبب جلب الذهب من غينيا بمعرفة أرباب الشركة التجارية الافريقيه وابتدأت الاخبار أن تأخذ فى الاهمية بسبب عداوة الاحزاب السياسية

سلطنة جمس الثانى

كان أعضاء المجلس الخصوصى حاضرين فى السراية فى الوقت الذى مات فيه شارلس الثانى وفى ظرف ربع ساعة حل دوق يورقه محل أخيه فى المجلس من بعد موته ولقب بلقب جمس الثانى وتعهد ببقاء الحكومة الحالية المقررة فى كل من الكنيسة والمملكة والمدافعة بالخصوص عن كنيسة انكلتره وقال أيضا هذه المواعيد فى وقت افتتاح البرلمان فمن هنا عاضد خدمة الدين مع الطاعة لملكهم الجديد وأعلنوا للناس على منابر معابدهم ماوعد به وفرح حزب المحافظين بجلوس الملك وأما حزب الاحرار فكان ناظرا لهذه الاجراآت بعين السكوت ومن بعد قليل شرع الملك فى تجربة حالة أصحابه من البروتستانت فأقام شعائر صلاة القداس فى الوقت فى المعبد المخصوص بالملكة مع

فتح الابواب والشبابيك حتى يمكن كل انسان مشاهدته وتوجه فى يوم أحد الفصح فى موكب كبير مع الابهة الى الكنيسة الملوكية مصحوبا بكافة كبار حكام المملكة

وعمل يوم جلوسه على حسب شعائر كنيسة انكلتره فى يوم ٢٣ ابريل غير أنه أمر أن لا تكون الصلاة العامة واحتفال وجود الملك على حسب نسخة التوراة الانكليزية ووردت كافة معروضات البيعة من كافة جهات المملكة وكان البرلمان الذى اجتمع أغلبه من حزب المحافظين وقرر مجلس المبعوثان باغلبية الآراء ايراد مبلغ ١٫٩٠٠٫٠٠٠ ليره ولما وطد جمس معاضدة البرلمان توجهت أفكاره للبطش والانتقام فوجه العقاب على الناس الذين بكذبهم قتل ظلما كثير من الرومان كاثوليك فى السلطنة السابقة فاما بدلوس فانه مات وانقضى أمره وأما (عيطوس ودنغرفيلد) فانهما كانا على قيد الحياة ولابد من استيفائهما جزاءهما فاثبت على عيطوس الكذب والخيانة وصدر الحكم بوضع لجام فى حنكه وربطه فى ذيل عربة وضربه بالسياط من بوابة علد الى الباب الجديد ومن بعد يومين من الباب الجديد الى بوابة علد فان عاش بعد هذا العقاب حبس مدة حياته وألجم كل سنة خمس مرات فكابد هذا الشقى أنواع هذا العذاب الشديد حتى قامت الثورة فعفى عنه ورتب له معاش وأما دنغرفيلد فانه حكم عليه أيضا بمثل هذا العقاب الا أنه عند رجوعه الى الباب الجديد ضربه رجل اسمه فرنسيس فى عينه بعصا كانت سببا فى موته وقتل فرنسيس من أجل ذلك وكان الكثير من الناس مرتابا فى دخولهم فى دسيسة بيترى فقصدوا على سلامة أنفسهم بهربهم الى هولنده ووصل الى هولنده أيضا كثير من الفارين من اسكوطلنده وكان من ضمنهم (دوق أرجيل) وتفكر هؤلاء الفارون فى أن جلوس ملك كاثوليك رومانى على التخت فرصة عظيمة فى العود الى البلاد واقامة الحكومة فاجتمع مونموث وارجيل ومن انتمى اليهما من الاتباع فى امستردام ورتبوا أعمالهم وصمموا على أن ارجيل يلزم أن ينزل على الساحل الغربى لاسكوطلنده وأن مونموث يبذل جهده فى جهة انكلتره وفى أول شهر مايو نزل أرجيل فى (كانطير) وأرسل أمامه تصليبة من خشب السرو موقدة بالنار فى أول مرة ثم مطلية بدم خروف ثانى مرة يدعو أقاربه لحمل السلاح فما لبى طلبه الا نحو من ١٨٠٠ نفس فسار بهم نحو غلاسغو وقال انه ما جاء فى طلب اتحاد الكاثوليك فقط بل فى طلب الغاء الاسقفية أيضا وتعكرت آراؤه بعدم اتفاق وقع بين مخالفيه ومن بعد أن حصل له نجاح قليل تشتت جيشه بواسطة القوى العسكرية فى نواحى (دومبارطون) وعندما عزم على الهرب فى صورة فلاح وقع القبض عليه فى مخاضة نهر (انشينان) فى (ديفونشير) وحمل الى (ايدنبورغ) وقطعت رأسه فى ٣٠ يونيه سنة ١٦٨٥ وعلقت على قمة برج طولبوث حتى تعفنت

وفى أثناء ذلك ظهر مونموث على ساحل دورسيت مع ثلاث سفن فى غاية من التطقيم وفى فصل صيف سنة ١٦٨٥ نزل فى ليم وفى حال نزوله نشر اعلانا يتهم فيه جمس بكثير من الجرائم وقال انه جاء فى طلب حماية الدين البروتستانتى وتشييد قواعده وقوانين انكلتره فهاج أهل هذه المدينة الصغيرة وصرخوا فى شوارعها مونموث مونموث الدين البروتستانتى فاجتمع فى أربع وعشرين ساعة تحت البيرق الازرق للدوق نحو من ١٥٠٠ نفس وجاءه الشغالة والمزارعون أفواجا من كافة جهات ديفونشير وفى اليوم الرابع سار الى طونطون فى رأس ٣٫٠٠٠ نفس فقوبل فى هذه الجهة مع الغيرة وحب الميل ووفد على معسكره جموع من العوام وأما الاشراف فانهم صاروا على حذر منه ولما

تقلد مونموث لقب الملك سار بجموعه الى (بريدج وتر) فقوبل فيها بالاحترام الملوكى بواسطة حاكمها
وأعيانها ثم زحف فى رأس ٦٫٠٠٠ نفس نحو بريستول المدينة الثانية فى المملكة ومازال فى
سيره حتى وصل (كنشام) على مسافة خمسة أميال من المدينة ولما قربت القوى الملوكية تحت قيادة
(لورد فيفرشام) التزم مونموث على القهقرة ولما ترك أسوار مدينة باث أسرع الثائرون الى (نورطون
فيليب) وغيروا صراخهم وانضموا الى مقدمة الجيش الملوكى فمع أن مونموث نجح فى هذه المناوشة
الا انه ارتد مسرعا (الى بريدج ـ وتر) مضايقا له فى التعقيب فيفرشام ونصب عساكر الملك وكان عددهم
٤٠٠٠ نفس خيامهم فى سهل (سيدغمور) على مسافة ثلاثة أميال من (بريدج وتر) وعزم مونموث
على الاجتهاد فى الهجوم عليهم ليلا فتقدم فى رأس رجاله حتى وصل الى السهل بعد نصف الليل بقليل
فتعطل سيره بوجود خور عميق أمامه لم يخبره جواسيسه عنه وفى أثناء الفشل الذى أعقب هذا
أسرعت القره قولات الامامية بالجرى الى معسكرهم وضربت الطبول فى عسكر الملك واستعدوا للقتال
وعند أول ضرب النار هربت خيالة العصاة تحت قيادة لورد غرى وهرب خلفهم الذين كانوا منوطين
بخفر الحملة وما طلع النهار حتى رأى الدوق أن أمله فى النجاح ذهب مع ذهاب ظلام الليل فركب وساق
جواده من ميدان الحرب ومع أن جيشه الريفى كان تركه وكان فى نصف تسليح غير أنه قاوم مثل
العساكر المنتظمة حتى فرغت منه مهمات الحرب وذلك أن الخيالة الملوكية هجموا على جناحى
الجيش الريفى مثل البرق فصدهم العصاة بالمناجل والحراب فشرعت الطوبجية فى ضرب النار على
صفوف الثائرين وفى بضع دقائق انتهت واقعة سيدغمور فى ٦ يوليه سنة ١٦٨٥ بعد الميلاد
وقتل من العصاة نحو من ١٠٠٠ نفس وخسر المنصورون ٣٠٠ نفس وكانت واقعة سيدغمور
آخر الوقائع التى وقعت فوق أرض انكلترة ومن بعد مضى يومين صار القبض على مونموث وقطعت
رأسه فى ١٥ يوليه سنة ١٦٨٥

وأعقب واقعة سيدغمور فظاظة وحشية وذلك أن فيفرشام انتخب فى الحال مقدارا من الثائرين للقتل
وفى اليوم الثانى نصب مشانق فى طول الطريق من (بريدج وتر) الى (سيدغمور) وعلق فيها المسجونين
وأما واجبات الذبح فانها أحيلت الى عهدة أميرالاى كيركى وكان رجلا وحشى الصفات من الدرجة
الاولى فأما فى طونطون فانه شنق الفلاحين الثائرين بالعشرين فى طول الطرق وقيل ان ضباطه كانوا
يسكرون على رأى العين من قتل الناس ويشربون الكاسات فى صحة الملك عند دوران كل مشنوق
وتضرب الطبول فى وقت خروج أرواح هؤلاء الاشقياء الا أن فظاعة كيركى ما كانت شيأ فى جنب
وحشية القاضى جوفرى الذى أرسل لمحاكمة العصاة المأسورين فان حربه كما سماه الملك بذلك ابتدأ فى
نواحى ونشيستر بمحاكمة ست طاعنة فى السن اسمها اليس ليسل أرملة واحد من لوردات كرومويل
وكانت متهمة فى خيانة كبيرة بكونها آوت اثنين من هربا فى سيدغمور ومع أنها قالت انها لا تعرف
أنهم داخلون فى العصاة وكانت توجد أدلة ضعيفة عليها فان جوفرى هول فى الحكم وجعله من أكبر
الجرائم وأصدر حكما بحرقها على قيد الحياة فأنذر خدمة الدين بما وقع من فظاعة القاضى وعرضوا
للملك شأن هذه الست المسكينة فما تيسر لهم الحصول مما أجروه الا على تغيير الحكم وقطعت رأسها
فى سوق ونشيستر فكان هذا ما حصل من القتل فى جهة ونشيستر وكانت دورشيستر ميدان الحرب
الثانى فاصدر حكم القتل فيها على ٢٩٢ نفس قتل منهم ٧٤ فقط وسار جوفرى من دورشيستر الى

عكسطريفا وجدفيها الاقليلا للمحاكمة وأمافي جهة سمرسيط التي هي المركز الاصلي للعصاة فانه قتل فيها ٢٣٣ نفس بين مشنوق وغريق في العذاب وغرق القاضي في سفك الدماء وصار في حالة بشعة رديئة مثل مسلوب العقل حتى صارت المملكة في حالة قبيحة وكثرت المشانق في الميدان والطرق ومن كثرة وجود المشنوقين عليها افسد هواء السكك وظهرت الروائح الكريهة وخاف الفلاحون والمسافرون من مشيهم في الطريق السلطاني من الروائح الكريهة وفساد الاهوية وفي وسط هذه الاهوال نصب جس لنفسه سبق الخيل في ونشيستر ومن بعد غلاق هذه الاعمال الوحشية الدموية رفع جس خادمه الغيور الى درجة الاعيان وجعله لوردا اثانيا يعني حامل الختم الكبير وصدر الحكم على ٨٤١ نفس بارسالهم الى المستعمرات وهؤلاء أنعم بهم على حواشي الملك ومأموري حكومته الذين حازوا أموالا كثيرة من تجارة العفو ومن بيع المأسورين في صفة رقيق لمدة عشر سنوات في الهند الغربي حتى ان الملكة أخذت لنفسها نصيبا في هذا المكسب الفظيع وصار جوفري في ثروة كبيرة من الرشوة الواردة اليه مثل النهر

ثم كانت خيبة ثورة مونموث سببا في تقوية جس من أجل تنفيذ الغرض الذي كان مكنونا في صدره وهو عود الديانة الرومانية الكاثوليكية غير أنه في حاجة الى جيش يعضده في مثل هذا المشروع وكان قانون التجربة غير مصرح للناس الذين هم على ديانته باستخدامهم في خدمات الحكومة فمن هنا كان موجها أول اجتهاداته الى الغاء هذا القانون ومع أن البرلمان قرر مبلغ ٧٠٠,٠٠٠ لبره من أجل العسكرية وزيادة عنها للعائلة الاستيوارتية فانه رفض التصديق على استخدام الضباط المتمسكين بالديانة الرومانية الكاثوليكية في الجيش فمن ثم ألغى جس البرلمان مع الغضب وما وقع منه هياج في أغراضه بل طلب أن يكون من حقوقه الغاء قانون التجربة وبعض قوانين أخرى جنائية ومن بعد أن عزل أربعة من القضاة قرر الباقون فصل المادة في مرضاة الملك وترتب معسكر في ميدان (هونسلو) من أجل ارعاب لوندره وتعين ضباط هذا العسكر من الرومان كاثوليك وبذلوا مجهودهم في جعل العساكر على الدين الكاثوليكي ومن ثم انتصر جس على أول حاجة صعبة وكانت الحاجة الثانية تشكيل محكمة عالية مماثلة للمحكمة التي كان ألغاها البرلمان الطويل فكانت مؤلفة من سبعة أعضاء تحت رياسة اللورد النائب جوفري وجعلت أشغال كنيسة انكلترة تحت حكمه في ١٤ يوليه سنة ١٦٨٦ بعد الميلاد ثم صدرت الاوامر بمنع القسس وخدمة الدين من الخطابة ضد الكاثوليك ووقعت المحافظة على الذين دخلوا في الدين الكاثوليكي من أعدائهم بواسطة الشوكة الممنوحة من الملك وصار توقيف (كومبطون) أسقف لوندره من وظيفته بسبب اهماله في منع واحد من خدمة الدين الموجودين تحت ادارته خالف الامر الصادر في منع الخطابة ضد الكاثوليك وتقوت طائفة الرهبان في الاقامة في لوندره وسمح لليسوعيين بفتح مدارس فيها وترخص باقامة شعائر الديانة الكاثوليكية جهرة وعلى مقتضى تأكيد علاقات جس أرسل البابا انوسنت الحادي عشر نائبا من طرفه في الديوان الانكليزي وكانت هذه أول مرة من عهد سلطنة مريم دخل فيها نائب بابوي في سراية الدار البيضاء وحصل له الاحتفال العظيم وارتفعت سلطة اليسوعيين في الديوان وشرع الملك في خلاص نفسه من الوزراء الذين رفضوا الدخول في الديانة الكاثوليكية واستبدالهم برجال من عقيدته وأدخل في وظائف الاسقفيات الخالية رجالا أعمالهم موافقة لاغراضه وفي هذه الحالة ظهر للامة أن جس على غير رغبة من محافظته على العهد الاكيد

الذى عهده فى وقت جلوسه من أجل مراعاته كنيسة انكلتره فهاجت الامة فى أمرها ومن نحس طالع الملك فى هذا الوقت فسخ لويز الرابع عشر صاحب فرانسا عهد نانطيس المتضمن منح الحرية للبروتستانات الفرنساوية فورد مهاجرا الى انكلتره نحو من نصف مليون من رعاياه فكان فى وجودهم وحكاية ما حصل لهم من الضرر دلالة كافية على تغير فى شهامة الدين الكاتوليكى وكان سيبا فى فزع الامة الانكليزية واضطرابها فقسلطنت فى المدائن الكبيرة أنواع الهياج وانفجرت الثورات فى كل جهة من جهات المملكة وزيادة على ذلك وقع من الملك رزية على مدرستى المعارف فى (أوكسفورد وكبريدج) وذلك أنه فى مبادى سنة ١٦٨٧ أرسل جواب من طرف الملك لناظر مدرسة المعارف فى كبريدج يأمره بقبول راهب بندكيتى اسمه فرنسيس معلم الفنون والصنائع فى المدرسة من دون المواثيق العادية ولما لم يقبل الناظر هذا الامر صار طلبه مع ثمانية آخرين معه من ضمنهم الشهير (اسحق نوتون) أمام المحكمة العالية وصار تجريده من وظيفته وبمثل ذلك وقعت بلية على مدرسة المعارف فى أوكسفورد وعلى نفس المدينة وذلك أن مدرسة المعارف وكنيسة المسيح كانتا من قبل تحت نظارة الرومان كاتوليك وكانت صلاة القداس مقامة فيهما يوميا وفى مارث سنة ١٦٨٧ بعد الميلاد مات رئيس مدرسة مغدلين فأرسل الملك مكتوبا الى اخوانه يأمرهم بأن ينتخبوا لهذه الوظيفة شخصا اسمه (انطونى فارمر) شاب قبيح السلوك ارتد حديثا الى الدين الكاتوليكى فرفض الاخوان قبول هذا الامر وانتخبوا الحكيم هيو فأعلنت المحكمة العالية بعدم قبول هذا الانتخاب وتوجه جمس بنفسه الى أوكسفورد واجتهد فى تخويف رؤساء المدرسة وحكومتها من أجل تمام مرغوبه وأمرهم بتعيين (باركر) أسقف أوكسفورد رئيسا فلما امتنعوا من قبولهم وضع الاسقف فى الوظيفة رغم أنفهم وطردوا جميعا من المدرسة لمخالفتهم الامر وصارت مدرسة مغدلين مدرسة كاتوليكية واشتد الهياج فى أوكسفورد وصار على شرف الانفجار فى ثورة مهولة وغضب خدمة الدين فى كافة أنحاء المملكة غضبا شديدا من هذه الاعمال الفظيعة التى حلت بمدارس المعارف وأحس جمس بما سيقع من هذه الطائفة الشديدة البأس فأصدر فى شهر ابريل سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد «اعلان التمتع» فى حكومته بما تخافيه لرعاياه رخصة الحرية ومن بعد مضى سنة أصدر اعلانا ثانيا ومن بعد مضى يومين من صدوره هذا الامر أمر خدمة الدين بقراءته علنا فى وقت اقامة شعائر الصلاة العمومية فى حدين متتاليين فلما كان مثل هذا الامر غير شرعى فقط بل فيه أيضا قدح لائمة الكنيسة الانكليزية فأصر خدمة الدين فى لوندره بعدم اجراء مفعول هذا الامر وعرض (سنكروفط) رئيس أساقفة كانتربورى وستة أساقفة معه عريضة للملك فى هذه المسئلة فامتلأ جمس بالغضب من وصول هذه العريضة اليه وجعلها علماء على العصيان ولما جاء اليوم المعين لقراءة الاعلان ما وقع اطاعة الامر الا فى أربع كنائس من كنائس لوندره وبمجرد ابتداء الامام فى قراءته خرج الناس من الكنائس وسار على منوال العاصمة خدمة الدين فى المملكة وما قرئ هذا الاعلان الغير الشرعى الا فى جهات قليلة العدد جدا وقوى المعتزلة خدمة الدين بكل ما فى وسعهم وعرفوهم جيدا أن الحرية المدنية والديانية متعلقة بهياج الحرب فاندهش جمس مما وقع من الحالة التى حصلت غير أن عمى التعصب ألزمه على السير فيما هو جار فيه وصمم على جلب السبعة أساقفة للمحاكمة فى المحكمة العالية أمام دكة الملك ليثبت عليهم وقوع الشغب كما رغب من وجود عريضتهم وصار طلب القسس فى الابتداء

أمام المجلس الخصوصى ثم أرسلوا الى سجن البرج فى انتظار محاكمتهم وفى ٢٩ يونيه سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد صاروا حضارهم أمام محكمة دكة الملك فى خفر كثير من الاشراف للمحاكمة وكانت الشوارع فى ازدحام من الناس وكانت المحكمة مركبة من أربعة قضاة وهم الذين حكموا ببراءة ساحة الاساقفة فصدحت فى الوقت أصوات الناس بالفرح فى قلب الديوان وجاوبها ألوف من الزحام الذين كانوا منتظرين صدور الحكم فى خارج المحكمة وانتشر صوت الافراح شرقا وغربا حتى وصلت معسكر ميدان هونسلو وفى هذا الوقت كان جمس على المائدة فى الغداء فى المعسكر مع لورد فيفرشام فلما علم الملك حقيقة صوت الفرح قال كانت المصيبة عليهم أدهى وأمر وصارت لوندره فى هذه الليلة ميدان هياج مهول واشتعلت نيران الملاعب فى الميادين وصار الناس يشربون ويسكرون فى صحة الاساقفة والويل والدمار لاعدائهم واتفق انه قبل المحاكمة وضعت الملكة غلاما وكان قبل ولادته الوارث الشرعى للتخت مريم البنت الكبرى لجمس كانت بروتستانتية المذهب ومتزوجة ببرنس أورنجه وكانت الامة ناظرة بجلوسها على التخت انتهاء ما عليه أبوها من الاشغال فانقطع أملهم بولادة هذا البرنس لكنهم ما صدقوا بولادته وقيل لهم ان هذه دسيسة من اليسوعيين فى منع جلوس أى واحد على التخت من البروتستانت وان ما قيل من ولادة البرنس كذب وأنهم أدخلوا طفلا فى السر فى القاعة المعدة لنوم الملك وجعلوه فى صفة ابن جمس واستمرت الامة معتقدة هذه الحكاية مدة أربع سنوات وما كان هذا البرنس المنكوس عندهم الا فى صفة زعيم أو مدع

ثم تسبب من محاكمة الاساقفة وولادة ولى العهد والدلائل البديهية الواقعة من جمس فى دمار كنيسة انكلتره تغيير احساس فى حزب المحافظين وارتفاع درجة حزب الاحرار من بعد أن كانت خفيت تحت الارض من عهد ثورة بيترى واتضح جليا لكافة الاحزاب أن حرية انكلتره مدنية كانت أو ديانية متعلقة بخلع جمس من التخت وكانت عيون الامة متجهة من مدة طويلة الى غيليوم برنس أورنجه زوج ابنة الملك وابن أخيه فطلبه الكثير من أهل القوة من انكلتره للحضور من أجل هذه المادة فجاء فى هذا الوقت وأرسل مكتوبا فى الخفية الى هولنده من طرف ارلات (شرسبورى ـ وديفونشير ـ ودامبى ـ والادميرال روسيل) رؤساء حزب الاحرار وآخرين يدعون برنس أورنجه فى الحضور الى انكلتره بقوة مسلحة لاجل خلاص المملكة من الطاغية جمس والكاثوليك فأخذ برنس أورنجه فى الحال فى الاستعداد للسفر ومع أن ملك فرانسا أخبر جمس بهذه الحالة غير أنه ما كان مصدقا بمثل هذه الاغارة حتى تأخر عليه الوقت فى منعها وأخيرا لما رأى وقوع الخطر جمع أسطولا وجلب العساكر الموجودة فى ارلنده واسكوطلنده حتى بلغ عدد العساكر تحت قيادة فيفرشام ٤٠,٠٠٠ نفس واجتهد فى هذا الوقت فى رضا قلوب رعاياه عليه وأغدق بمعروفه على الاساقفة وأعاد اخوان مدرسة مغدلين وألغى كافة لوائح الظلم الا أن ذلك جميعه فات وقته وما زالت الامة ناظرة بعين الشوق لاول ريح شرقى يجلب لهم مخلص بلادهم الى سواحلهم وفى غرة نوفمبر سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد سار غيليوم من هولنده فى اسطول مؤلف من ٧٥٠ سفينة حاملة ١٥,٠٠٠ عسكرى فكانت هبوب الرياح الشرقية المسرعة فى سير سفنه فى الخليج مانعا أكبر اسفن الملك فى نهر التيمس وفى بضع أيام نزل غيليوم من دون أدنى أذى فى ٥ نوفمبر فى طوربى من نواحى ديفونشير فتذكر الاهالى حرب جوفرى فقابلوه مع الخزى والخجل الاكبر وما قابله الامراء وأعيان الجهة فزحف البرنس نحو عكسطر ودخل المدينة

من دون مقاومة وكان مكتوبا على بيارقه الدين البروتستانتى وحرية انكلتره وكان اعلانه فى سابق الامر عند كل انسان أنه جاء لحماية حقوق الامة وحريتها وتوطيد برلمانهم وامتحان ماوقع من الاشتباه فى ولادة برنس ولى العهد ثم انصرف البرود الذى وقع فى أول مقابلة حصلت له واجتمعت الامة قاصيها ودانيها تحت بيرقه بالالوف وفى أثناء هذه جمع جمس جيشا فى نواحى سلسبورى وترك لونده وجعل نفسه فى رأس الجيش ومع هذا فان فيفرشام أشار عليه بالانسحاب وراء نهر التيمس غير أن الشقاق وعدم الوفاق والخيانة ابتدأت فى كسر قواه وفى أول الليل ترك جمس المعسكر ولورد شارشيل والنائب العمومى ودوق غراهام الابن الغير الشرعى لشارلس الثانى وجملة آخرين تركوا المعسكر وتوجهوا الى برنس أورنجه وفى الصباح سار على منوالهم الجم الغفير من الضباط وفى اندوفر تعشى الملك مع زوج ابنته البرنس جورج صاحب دانيمارقه زوج ابنته حنا غير أنه فى هذه الليلة تركه البرنس ودوق عورموند وآخرون وانضموا الى برنس أورنجه ولما وصل جمس لونده كان أول شئ بلغه ترك ابنته حنا له فقال الله يساعدنى اذا كان أولادى تركونى فالله لنا وكانت لونده فى حالة شغب وقامت الامة فى جهات المملكة فى مرضاة برنس أورنجه وحصلت من العساكر الارلندية مقاومة خفيفة لكن جمس رأى أن كل شئ ضاع منه فوجه عزمه الى خلاص الملكة والبرنس الطفل الصغير من المملكة وارسالهما الى الخارج وفى ليلة مظلمة من شهر ديسمبر نزلت الملكة والطفل الصغير من السلم الخلفى للسراية تحت كفالة اثنين من أعز أصدقائها وعدت من التيمس الى (لامبيث) وما كانت حضرت العربة المعدة لاخذهما الى غرافسند وخافت الملكة من دخولها فى أى بيت وألقت نفسها فى الرياح وشدة الامطار تحت أسوار كنيسة لامبيث ووصلت مع السلامة الى كاليس وفى ظرف ٢٤ ساعة انسل جمس من سراية الدار البيضاء من بعد هرب زوجته فى صباح ١١ ديسمبر وعدى نهر التيمس الى (وكسهال) وركب الى فيفرشام فى كنط وكان بها مركب صغيرة مستعدة لسفره فيها الى فرانسا وعندما صارت المركب على قدم السير أحاط بها بعض صيادى السمك وكانوا اشتبهوا فى النازلين فيها بانهم يسوعيون فقبضوا عليهم وأعادوهم الى البر ومع أن الملك كان مستخفيا عرفوه فى الحال وأرعبه العوام وفرغت حيلته ووضعوه عندهم على الساحل عدة أيام فى شدة الضيق من الحبس فوصل لورد فيفرشام من لونده مع ٢٠٠ من الخفر لاجل حماية الملك وعاد جمس الى انكلتره ثانيا تحت كفالة محافظته فقوبل فيها بالفرح

ومن ابتداء اليوم الذى ترك فيه جمس أول مرة لونده فى ١١ ديسمبر سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد الى أن قبل غيليوم ومريم التاج فى ١٣ فبراير سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد يطلق على هذه المدة اسم فترة بين الملوك وبمجرد ما علم بهرب الملك صارت لونده فى هياج شديد وما كان غيليوم وصل اليها لحد ذلك الوقت ولا تعين أحد نائبا فانتهز الفرصة مقبوحو السلوك فى العاصمة فى أثناء هذا الفشل وخرجوا من مكامنهم وساعدهم أمثالهم عديمو الفكر واكتسبوا من الاثم والنهب ما يكل عنه الوصف وبمجرد مازعقوا فى شوارع المدينة وقالوا الابابا ولا كاثوليك نهبت المعابد الرومانية الكاثوليكية وسلبت المساكن الخصوصية وهرب اليسوعيون الذين كانوا مرعبين السراية وآخرون من المعتبرين ونجوا بأنفسهم واختفوا فى محال مخفية وتخفى القاضى جوفرى المنكوس المبغوض فى صفة ملاح وغير نفسه برماد الفحم فوقع الكشف عليه وأرسل الى البرج وشكل اللوردات الموجودين فى لونده نوع

حكومة وقتيــة واجتهــدوا فى حفظ النظام على قدر الطاقة وفى وسط أشغالهم وردت اليهم أخبار القبض على الملك بواسطة سماكى أهل كنط فارسلوا فى الحال لورد فيفرشام مع بعض العساكر من أجل خفر الملك وعوده الى العاصمة فكان عوده مسببا فى فكاك مسمى غيليوم وكان فى هذا الوقت فى وندسور وكان البرنس أمل أنه يجــد تختا فارغا وأمة مستعدة تمنحه التاج الا أن حضور الملك صار سـدا مانعا لما كان يؤمله ومع هــذا فان هذه الصعوبة زالت باحتكاك قليــل وذلك أن جمس طلب منه الانتقال من سراية الدار البيضاء الى سراية هام بالقرب من ريشموند لكن من حيث انه فى شك من سلامة نفسه طلب الرخصــة فى توجهــه الى روشيستر فتوجه اليها مصحوبا ببعض أصحابه الذين قووه فى الطريق وأشاروا عليــه بالبقاء فى المملكة غير أنه أصم أذنيــه وأعمى عينيه وما تدبر صالح نفســه وما سمع منهم قولا وهرب فى ليلة ٢٢ ديسمبر فى سفينة الى فرانــا وكفى الله أهل انكلترة شره فقابله فيها لويز الرابع عشر أجــل مقابلة ودخل برنس أورنجه فى لوندره فى اليوم الذى تركها فيه جمس فجمع فى الحال سبعين من الاعيان وبعضا من أعضاء البرلمانات الاولية فامر هذا المجلس بطلب برلمان عرفى لاجل فصــل أعمال الامة ومن ثم صار التئام البرلمان العرفى وقرر فى ٢٢ يونيه سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد بما أن جمس خرم قانون المملكة وهــرب منها فكان هربه تنازلا عن التخت وكذا لا يوافق على مقتضى نص الســلامة وراحة الامة حكومة مملكة بروتستانتية الدين بملك كاثوليكى الدين ومن هنا صار التخت خاليا وما بقى الا مسئلة من الذى يجب أن يجلس فى هــذا التخت الخالى فوقعت المناقضة بحمية بين الحزبين الســياسيين الكبيرين فى المملكة فقال حزب المحافظين انه لا بد من تعيين وصى ونائب ورأى حزب الاحرار من جهــة أخرى أن الضرورة تلزم بجلوس ملك واجتهــد آخرون فى رأى متوسط بين الرأيين وقالوا ان التاج يلزم أن يقــدم الى مريم برنسيســة أورنجه فى نظير استحقاقها وبهــذا زالت حقوق الطفل البرنس ولى العهــد من الوسط ثم ان غيليوم عرض فى المجلس آراءه وقال انه لا يقبــل النيابة أو يتداخل فى الحكومة بأى طريقة كانت تحت امرة زوجته لو صار جعلها ملكة وان وقعت الخيرة فى واحد من هذين الامرين فانه يعود الى هولنده فما كان للبرلمان العرفى من عمل يجريه الا كونه قدم التاج الى غيليوم ومريم بالاتحاد ســوية لكنه من قبل فصــل هذه المادة كان مجلس المبعوثان أصــدر لائحة اعلان الحقوق التى كان عليهــا فى الســابق مدار أذاهــم وتوجعهم وقرروا ما كان جاريا من الحقوق القديمة للامة ولما تقررت قواعــد النظام الانكليزى أبرز البرلمان العرفى قانون الفصل وذلك أن غيليوم ومريم يجب أن يكونا ملكين فى انكلترة متحــدين ومنفصــلين فى حياتهــما وأن يكون التاج لاولاد مريم ثم للبرنسيســة عانى وأولادها ثم على ذرية غيليوم وكان من ضمن بنود هــذا القانون أيضا أن كل ملك يصير فى المستقبل رومان كاثوليكى أو يتزوج بواحدة من أهل هــذه الكنيسة ينبغى تجريده من التاج وتكون الحكومة للوارث البروتستانتى من بعده فى ١٣ فبراير سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد وعلى مقتضى نص هذا القانون صعد برنس وبرنسة أورنجــه على تخت انكلترة وانقطع دابر الثورة وانتهت مدة الفترة

وصرف جمس ما بقى من أيام حياته فى سراية سنت جرمنس بالقرب من باريس وبذل لويز الرابع عشر جوده عليــه حتى مات بداء الفالج سنة ١٧٠١ بعد الميــلاد وتزوج جمس مرتين أولاهما بعانى هيد ابنة ارل كلرندون خلف منها مريم وعانى وجلس كل منهن على التخت وفى المرة الثانية تزوج (مريم

دسطى مودنه) خلف منها ولدا اسمه (جمس فرنسيس ادوارد) عرف بالزعيم وبنتا اسمها مريم لويسه ماتت صغيرة وتسبب من نكث عهد نانطيس فى سنة ١٦٨٥ بواسطة لويز الرابع عشر صاحب فرانسا ورود الجم الغفير من الفرنساويه فى انكلتره فنشروا فيها أشغال أصناف الحرير وعدة صنائع أخرى نافعة وخلصت الثورة المعتزلة من الظلم وطدت استقلالية القضاة وصارت الوظيفة لهم مدة الحياة ونشر اسحق نوتون قضيته فيما يتعلق بالكائنات وتشيدت مدارس ومكاتب للصدقة فى لوندره وضواحيها

سلطنة غيليوم الثالث ومريم الثانية

وعندما وقع الاعلان بان البرلمان العرفى صار برلمانا أصليا سار فى فصل المسائل المتعلقة بالامة فكان أول التفاته فصل مسئلة الايراد فكان مجلس المبعوثان حنكته تجاريب السنين الماضية وصار شحيحا زيادة عما مضى من السلطنات وقرر بأغلبية الآراء ايرادا سنويا للملك مقداره ١٢٠٠٠٠٠ ليره لانه فى العصور الاولية من التاريخ الانكليزى كان مدة الملك شوكة توزيع المطلوبات وقرر أن نصف هذا الايراد يخصص لمصاريف حكومة الملك وعائلته والنصف الآخر للمحافظة العمومية وكان من المستحيل ابقاء الحكومة الجديدة فى مسندها من دون وجود جيش ثابت فقال أهل اليمين من المجلس ان وجود الجيش الثابت فى وقت السلم ليس تحت قانون شرعى فتولد من ثورة آلاى اسكوطلنده الزام البرلمان بهذه المادة فقرر البرلمان قانون الثورة وتجديده كل سنة متضمنا وجود جيش ثابت واخضاع العساكر لقانون جنائى ووجهت قيادة القوة العسكرية للملكة على عهدة (لورد شارشيل) وارتفع بسرعة الى رتبة اول مارلبروغ وترخص للمعتزلة بحرية ديانتهم على مقتضى قانون الاباحة وطرد الموحدين أى المنكرين بالثالوث من وظائفهم ومازال القانون الجنائى فى حق الرومان كاثوليك باقيا على درجة شديدة من القوة ومع أن الثورة انقضى أمرها لم تزل أحزاب قليلة العدد من الامة مضادة لهذه التغييرات وكان خدمة دين كنيسة انكلتره من سنين مضت يخطبون لامتهم بواجبات الطاعة فما تولد لهم من ظلم وعداوة جمس صيرهم بغير رغبة منهم على وشك نقض يمين الطاعة وكفران القواعد والعقائد التى أرشدتهم لسيرهم فى أحوالهم وانضم الكثير منهم الى هذه الآراء فى مرضاة مارآه المعتزلة ومن ثم رفض رئيس الاساقفة (سنكر وفط) وسبعة أساقفة آخرون و ٤٠٠ من خدمة الدين اعطاء يمين الطاعة الى غيليوم ومريم ومن ثم صار توقيفهم جميعا وأطلق عليهم اسم رافضين يمين الطاعة وشكلوا حزبا خاضعا للعائلة الملوكية المنفية وأطلق على معاضدى جمس اسم اليعقوبية لان معنى (يعقوبوس) باللاتينى جمس

وما وقع من الثورة مادة سلمية فى جهتى اسكوطلنده وارلنده فأما البرلمان الاسكوطلندى فى ايدنبورغ فانه سار على منوال برلمان انكلتره وأعلن بان جمس مجرد من تاجه ودعا غيليوم ومريم للجلوس على التخت الخالى الا أنه كان موجودا فى اسكوطلنده حزب قوى مضاد لهذه التغييرات واجتهد (غراهام كليفرهاوس المعروف بلقب ويسكونت دندى) فى ظلم المتعاهدين فى السلطنتين الاخيرتين وصار يجمع كل منتم الى جمس ويوطد أمر البيت الاستيوارتى بقوة السلاح وكان الدوق غوردون حافظا قلعة ايدنبورغ من أجل البيت المنفى فجمع دندى نحوا من ٣٠٠٠ نفس من الجبليين وهجم على الجنرال مكاى فى معبر (كليكرنكى) فى (برتشير) فى ١٣ يوليه سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد وانتصر الجبليون وهرب مكاى من بعد أن خسر من عساكره ٢٠٠٠ الا أن تكاليف النصرة على الجبليين كانت حياة دندى فانه قتل مجروحا فى أثناء مباشرته حركة الهجوم الاخير ومن بعد موت دندى تفرق

الجبليون

الجبليون وتوجهوا الى جبالهم وسلم غوردون قلعة ايدنبورغ وفى آخر السنة تقرر أمر السلطنة الجديدة فى عموم اسكوطلنده وكان دخان العصيان قائما بين قبائل الجبليين واستمر بضع شهور فدبرت الحكومة فى ان الاوفق لها صرف ١٦,٠٠٠ ليره فى شأن تسكين عديمى الراحة من الجبليين وتعين ارل (بريدالبان) نائبا من أجل توزيع هذه النقود وبالاضافة على مأمورية بريدالبان أصدرت الحكومة فى ايدنبورغ منشورا تحض فيه القبائل على الطاعة للملك غيليوم والملكة مريم ووعدتهم بالعفو عن كل عاص يقدم طاعته لسموها قبل أو فى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٦٩١ بعد الميلاد فمن قبل مضى اليوم المحدود أدت القبائل طاعتها ما عدا قبيلة (مغدونالد غلينكو) وهذه العشيرة مستوطنة فى واد جبلى صعب واقع على الساحل الغربى بين (أرجيلشير - وانفرنيشير) تحت امرة رئيسها ما كين و يبلغ تعداد هذه القبيلة نحو مائتى روح وكان المغدونالديون مثل عموم قبائل الجبال الاسكوطلندية عائشين على النهب وأشغال الزراعة وكان بالقرب من أرضهم الصعبة أراضى قبيلة كامبيل ألد الاعداء لهم وطالما زحفت رجال ما كين فى غارات سلب فى داخل أراضى جيرانهم وبما أن بريدالبان عضو من قبيلة كامبيل فكان على كراهة شديدة لجهة المغدونالديين ورأى ما كين أنه لا يمكنه الحصول على أدنى نصيب من الذهب الانكليزى فعزم على رفض يمين الطاعة واعطاء العهد غير أنه فى آخر يوم من شهر ديسمبر تفكر هذا الرجل الطاعن فى السن ان أحسن الاحوال له توجهه الى قلعة غيليوم مصحوبا برؤساء عبيده و يقدموا أيمان الطاعة وعلى حسب ما هو واقع عنده من الخوف ما وجد فى القلعة أحدا له طاقة على تدبير أمرهم وكانت (انغريرى) مركز نيابة الحكومة الاقرب لهم فى هذه الجهة فأسرع ما كين فى سيره اليها مع أتباعه وكانت الطرق والجبال مشحونة بثلوج كثيفة فكان السفر فيها صعبا للغاية فمن ثم مضى نحو أسبوع من قبل أن يصل الرئيس العجوز الى انغريرى ومن بعد اظهار عدة براهين دالة على تأخيره أقنع مأمور الحكومة بكونه أخذ عليه يمين الطاعة مع أتباعه وسلمه ورقة الامان وعاد ما كين قافلا الى محله معتقدا فى نفسه أنه فى سلامة تحت حماية الحكومة التى قدم لها يمين طاعته لكن تشكلت دسيسة لقتله وقطع دابر قبيلته وذلك أن (يوحنا دالديمبل) رأس حكومة اسكوطلنده كان متحملا لكراهة الموت من المغدونالديين و بتداخله مع أعدائهم بريدالبان وارجيل صوّر رأيا فى دمارهم وأخفى ورقة طاعة ما كين ونقل للملك أن (ما كين) هو الشئ الاكبر فى وقوع الارتباكات فى الاراضى الجبلية ومن هنا استحصل على أمر ملوكى فى قطع دابر القبيلة بصفة أنها مأوى اللصوص وفى أول فبراير سنة ١٦٩٢ بعد الميلاد سار (الكابتن كامبيل غلينليون) فى رأس ١٢٠ عسكرى من الكامبيليين نحو غلينكو ثم أرسل من بعدهم ٤٠٠ نفرا آخرين لاجل ضبط سكك عموم الوادى الا أن الاوامر التى كانت عند غلينليون هى كونه ينتظر الى صباح يوم ١٣ فبراير ثم يقتل كل مغدونالدى موجود فى القبيلة ممن عمره سبعون سنة وما تحته فاستمر العساكر اثنى عشر يوما مقيمين فى وسط ضحاياهم فى ألذ عيش وأجل مودة ومحبة وتعشى غلينليون فى الليلة التى قبل المذبحة مع الذين سيقتلون فى الصباح وعين لعساكره الساعة الخامسة لوقوع سفك الدماء ولما لاح الفجر كان المقتول ثمانية وثلاثين نفسا من ضمنهم الرئيس العجوز مطروحين على تلال الجلة أمام دورهم وهرب الباقى عرايا الى الجبال عندما سمعوا أصوات ضرب النار وتحملوا فيها أشد الضرر وألم الجوع والبرد ولما زحف الجيان ورجعوا الى الوادى وجدوا

مسا كنهم أكاماً من الرماد وأنعامهم ومواشيهم ذهبت بالدمار والخراب وانزعجوا عند ما رأوا الوجوه المصفرة لقتلى قرابتهم وأهلهم واستقرت مذبحة غلينكو مخفية الامر بكافة ماوقع من تفصيلاتها ما ينوف عن سنة حتى ان المطبعة المقدسة لليعقوبية أظهرت حقيقة أمرها فكانت مرعية فى الابتداء أن هذه اختراعات من أعداء غيليوم حتى تعين مندوب من طرف الملك من بعد مضى ثلاث سنوات على مقتضى مرغوب الامة الاسكوطلندية وأظهر حقيقة الحكاية فكانت هذه الحالة الفظيعة سبباً فى جلب اللعن والاشمئزاز من حكومة غيليوم واجتهد الملك فى أن يزيل عن نفسه اللوم بدعواه انه ليس متيقظاً من توقيعه على القرار القاضى باجراء هذا الفعل وما وقع من غيليوم أدنى عقاب على الذين كانوا سبباً فى هدر الدماء وذهبت كما ذهب غيرها من الحوادث ولما كان أغلب أهل ارلنده متمسكاً بالديانة الرومانية الكاثوليكية أقامت أمر جس مع الحمية وكان تحت قيادة اللورد النائب (طيركونل) جيش مؤلف من الكاثوليك فنزل جس فى كنسال بمساعدة ملك فرانسا وتقدم الى دبلين فى ١٢ مارث سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد وتقررت حكومته فى كل جهة من جهات ارلنده ماعدا المدائن الكبيرة فى عونسطير فان البروتستانت كانوا فيها فى قوى قوية ومن بعد أن عقد جس برلمانا فى دبلين تقرر فيه قطع دابر الديانة البروتستانتية من ارلنده وتجريد الذين يضادون الدين الكاثوليكى من أملاكهم سار فى قواه على مدينة (لونندرى) فكان حصار هذه المدينة من أشهر الوقائع فى التاريخ بسبب ما كان عليه أهلها من الشجاعة ومع أن استحكاماتهم كانت ضعيفة وذخائر مدافعهم ومؤنتهم قليلة فانهم استمروا أربعة شهور يصدون كل هجوم يقع عليهم من طرف المحاصرين وينسب الكثير من هذا العمل لرجل من خدمة الدين اسمه (جورج وكر) جند الاهالى عسكرياً فى شأن أمر البروتستانت ومن بعد أن حاق بالسكان القحط الزائد كسر بعض المراكب الانكليزية الموانع الموجودة فى النهر وخلصوا المدينة وفى نفس الوقت رفع العدو الحصار من بعد أن خسر أمام هذه المدينة القوية ٨,٠٠٠ نفس وفى نفس اليوم هزم بروتستانت عنسكلين فرقة من العساكر الارلندية وفى شهر أغسطس نزل (المارشال سكومبرغ) فى الجهة الشمالية مع ١٦,٠٠٠ نفس وتغلب على (كاريكفرغوس) ونهبها وفى فصل الربيع التالى انضم اليه غيليوم وسار غيليوم فى رأس ٣٦,٠٠٠ نفس الى الجهة الجنوبية نحو دبلين وتقوى جس بواسطة ٦,٠٠٠ نفس من العساكر الفرنساوية وأخذ له موقعاً على نهر (بوين) قريباً من (دروغيده) وفى غرة يوليه سنة ١٦٩٠ بعد الميلاد كانت واقعة بوين انهزم فيها جس وقتل من عساكره ١,٥٠٠ نفس فى ميدان الواقعة وأسرع فى السير الى واطرفورد ومنها عاد الى فرانسا وخسر غيليوم ٥٠٠ نفس من ضمنهم سكومبرغ ووكر شجاع لونندرى ومحافظها

ومن بعد هذه المظفرة جعل غيليوم نفسه سيداً على القسم الجنوبى من الجزيرة الا أن الجهة الغربية فى حيادة منه فترك غيليوم عهدة تمام الحرب فى أيدى الجنرال الفلمنكى (غنكل) فابتدأ فى الحرب الثانى بالتغلب على (اطلون) أقوى مدينة على نهر شانون وأعقب هذه النصرة واقعة سافكة فى ١٢ يوليه سنة ١٦٩١ بعد الميلاد مع الارلنديين تحت قيادة الجنرال الفرنساوى (سنت راث) فى نواحى أغرين فقتل راث فى هذه الواقعة بكلة مدفع وانكسر جيشه وهرب من ميدان الواقعة والتجأ العساكر الارلندية الى مدينة ليمريق فحاصرها غنكل وضيق عليها فسلمت من بعد

مضى ستة أسابيع على مقتضى شروط معاهدة موافقة لاهلها فى ٣ اقطوبر سنة ١٦٩١ وكانت معاهدة ليمريق ختام الحرب وترخص فى بنود المعاهدة للرومان كاثوليك بامتيازات دينية حسبما كانوا عليها فى مدة سلطنة شارلس الثانى وضمنت أراضيهم لكل من أدى رسوم الطاعة لغيليوم والذين مارغبوا الطاعة تركوا الجزيرة وعلى حسب نص شروط المعاهدة نزل ١٢,٠٠٠ من العساكر الارلندية وتوجهوا الى فرانسا تحت قيادة قائدهم الشجاع (سارسفيلد) وعرفوا بالفرقة الارلندية وكان لهم اشتراك عظيم فى الحروب الفرنساوية ثم ان البرلمان الذى عقد فى دبلين من بعد تمام هذه الوقائع أصدر قوانين شديدة بها سيرت ارلاندة فى خضوع تام الى انكلترة الى مبادى الثورة الفرنساوية التى وقعت فى أواخر القرن التالى ثم ان غيليوم تداخل فى الحرب الذى كان قائما على أرض القارة بين الاتحاد الكبير ولويز الرابع عشر ملك فرانسا والذى ذكرنا حوادثه فى تاريخ فرانسا فى هذه المدة فبينما كان غيليوم غائبا فى أرض القارة اذ نزل الاسطول الفرنساوى على الساحل الانكليزى ثانيا الا أنه انكسر فى الخليج بمعرفة الاميرال روسل وطردت الفرنساوية الى جون لاهوج وهنالك أحرقت الانكليز مراكبهم فى سنة ١٦٩٢ بعد الميلاد كما ذكرنا فى تاريخ فرانسا فكانت هذه النصرة الضربة القاتلة على آمال جمس الثانى وحفظت انكلترة من الاغارة عليها ثم بمقتضى معاهدة ريسويك التى عقدت فى سنة ١٦٩٧ بعد الميلاد انتهى الحرب وكان يوجد من ابتداء الثورة حزب قوى فى الامة مثل الروافض يراعون جلوس غيليوم على التخت اغتصابا فدخل فى هذا الحزب الكثير من المحافظين والنافرين من حزب الاحرار واستمر فى مخابرة فعالة مع جمس وما كان غيليوم محبوبا فانه كان بارد الطبع صاحب حقد ومع أنه كان حفيد شارلس الاول غير أنه كان مرعيا عند الامة أنه أجنبى وتولد من التفاته الى الفلمنكيين أهل بلاده واغداقه بالخيرات عليهم كراهة قومه له وبمجرد خمود الثورة صار جمس ممقوتا فى كثير من أعماله حتى انسر من ذلك برنس أورنجه وكانت الثورة أشرفت على عوده الى تخته الا أن جنونه وتعصبه حتى فى حالة النفى أغضب أصدقاءه عليه فى داخل المملكة وعامل البروتستانت اليعقوبية الذين ذهبوا عنده بأنفسهم الى باريس أقبح المعاملة وما راعى أحدا منهم وما كان لهم من موافقة أو مقارنة مع واحد كاثوليكى فى اكتساب التفات جمس اليهم فكان كل من مات منهم على الدين البروتستانتى دفن مثل الكلاب فى الغيطان فى ظلام الليل فبواسطة هذه الوقاحات فسد أمر اليعقوبية فى انكلترة واسكوطلنده حتى ان أشداء المعاضدين غضبوا من سوء سلوك جمس ومن قبل واقعة لاهوج بقليل وقت ما كان أمل جمس فى أعلى الدرجات أصدر من عنده منشورا يعترف فيه بخطئه ويعد باصلاح الحكومة حتى ان أحبابه خجلوا منه وسموه بالمزور وفى ٢٨ ديسمبر سنة ١٦٩٤ بعد الميلاد ماتت الملكة مريم بداء الجدرى فنعتها كافة الامة وحزنت حزنا شديدا على فقدها وكان موتها دلالة على تجديد دسائس اليعقوبية ولما وضعت فى قبرها تشكل مشروع فى مرضاة جمس وذبح زوجها الملك غيليوم وانحصر قتل الملك فى بعض خائنين انتخبوا لهذا الصدد غير أنه فى هذا الوقت عمل مشروع اخر فى قيام ثورة تعضد بجيش أجنبى وكانت كل دسيسة من هاتين تحت قيادة رئيس مخصوص مرسول من سنت جرمنس وعهدت قيادة الثورة على (دوق بروبك) ابن غير شرعى كان لشارلس الثانى وعهد ذبح الملك الى (جورج باركلى) كان محاربا تحت بيرق دندى فى اسكوطلنده وجلب باركلى جماعة مؤلفة من نحو أربعين نفسا من قطاعين الازوار جاء نصفهم من

فرانسا بشأن ذلك واتفقوا على أنهم يهجمون على الملك عند عوده من الصيد فى جهة ريشموند فى ٢٥ فبراير سنة ١٦٩٦ بعد الميلاد وفى هذا الوقت كانت العساكر وسفن النقل جاريا استعدادها فى كاليس وصارت مستعدة عند ورود الاخبار بموت غيليوم اسرعة السير الى انكلتره فوقع الكشف على الثورة بواسطة أحد أربابها فوقع ذلك عند البرلمان والامة موقع القباحة وحصل الفزع وثارت الامة على قدم واحد فقرر مجلسا البرلمان عريضة خضوع كفلوا فيها على أنفسهم المحافظة على حياة الملك ومعاضدة نظام وقانون الجلوس كما تقرر فى لائحة الحقوق وصارت أرباب الثورة مثل الحيوانات المفترسة ووقع القبض على الرؤساء ماعدا باركلى فانه هرب الى فرانسا وقتل ثمانية من رؤساء الثورة وصار البحث عن أرباب الدسائس من حزب اليعقوبية سهلا جدا ووقع القبض على (يوحنا فنويك) لكونه كان مشتركا فى القتل وأودع فى السجن وفى وقت حبسه قدم براهين وأدلة فى حق (مارلبروغ - وغودولفين - وروسيل) وآخرين الا أن تذبذبه فى أقواله صير نفسه مشكوكا فيه وان ذلك من الفتن والدسائس فلاقى وبال أمره وقتل على تل البرج بمقتضى لائحة الجنايات فى ٢٨ يناير سنة ١٦٩٧ بعد الميلاد

وتولد من الحرب مع فرانسا صيرورة الامة الانكليزية فى حالة فقر كبير وكان أول مبادئ دين المملكة وبلغ مقدار قيمة الدين الى ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ ليره فعلى حسب رغبة مجلس المبعوثان فى تقليل المصاريف ونفوره من وجود جيش ثابت قلل القوة العسكرية للمملكة وجعلها محصورة فى عشرة آلاف نفس من العساكر فكان هذا الرأى على غير رغبة الملك لعلمه بان الصلح مع فرانسا لا يمتد مدة طويلة وفى سنة ١٦٩٨ بعد الميلاد انعقد برلمان جديد كان فيه عدد كبير من حزب المحافظين معظمهم على كراهة شديدة لغيليوم فقلل هذا المجلس مقدار قوة الجيش الى ٧٠٠٠ نفس وقرر أن هذه القوة يكون جميعها من وطنيى الممالك الانكليزية وكان ذلك العمل فى حق الملك خاصة فالتزم رغم أنفه على طرد عساكر خفره الصادقين من الفلمنك والفرنساوية الذين التجؤا الى خدمته ومن ثم جرد البرلمان انكلتره من قوتها المتسلحة فى الوقت الذى صممت فيه الحكومة الفرنساوية على اضافة اسپانيا الى ممالكها وكان شارلس الثانى صاحب اسپانيا خاليا من الذرية وأخذت صحته فى الضعف وكان يوجد ثلاثة طلاب لاملاكه وهم ولى عهد فرانسا والامبراطور ليوپولد والمنتخب برنس بافاريه فخشى غيليوم من اتساع فرانسا وعقد سرا معاهدة مع ملك الفرنساوية بخصوص تقسيم مملكة اسپانيا ووقع التوقيع على معاهدة التقسيم الابتدائى فى ١١ أقطوبر سنة ١٦٩٨ بعد الميلاد وعلى مقتضى شروط هذه المعاهدة يجب أن تعطى اسپانيا والاراضى الواطية وجهات الهند الى البرنس المنتخب وناپولى وسيسيليا الى ولى العهد وميلان الى الارشيدوق شارلس الابن الثانى للامبراطور وفى السنة التالية مات برنس بافاريه فمن ثم عملت معاهدة تقسيم ثان فى فصل ربيع سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد أعطى فيها للارشيدوق شارلس القسم الذى كان تعين للبرنس المنتخب وميلان لولى العهد مضافة الى الاملاك التى تقررت له فى المعاهدة الاولى وحفظت هاتان المعاهدتان فى غاية السر عن ملك اسپانيا غير أن لويز عمل الطريقة اللازمة فى معلوميتهما ثم من بعد شهر مات شارلس الثانى تاركا الوصية فى الملك من بعده الى فيليب انجو الابن الثانى لولى العهد ثم ان لويز مع ما كان من معاهدة التقسيم وشروطها ساعد حفيده بكل طاقته وكان سببا فى هياج الحرب الوراثى الاسپانى الكبير

فاما

فأما انكلتره فانها لاطاقة لها على فعل شئ فى منع زيادة اتساع فرانسا لان جيشها صار قليلا الى آخر درجة وكانت الامة متحملة أثقال ديون الحرب السابق فلذلك عقد غيليوم محالفة كبيرة لانكلتره وهولنده والمملكة لاجل صد فرانسا من الحصول على الاراضى الواطية الاسبانية وميلان فى ٧ ديسمبر سنة ١٧٠١ بعد الميلاد ثم وقعت حادثة فى هذا الوقت فى فرانسا كانت سببا فى انضمام الامة الانكليزية قلبا ولسانا فى السياسة السالك فيها ملكهم وذلك أن جمس لما مات فى سراية سنت جرمنس دخل لويز فى قاعة موته وقت غرغرته وقال له أنا جئت لأعرض لجلالتكم أن فراقك لنا هو على حسب ماقدر الله وشاء وانا أكون لابنك كما كنت لك وسوف أقرره وأجعله ملك انكلتره وارلنده واسكوطلنده فتولد من هذا القول ثوران الغضب الحاد الشديد فى انكلتره وقرر البرلمان الجديد الذى انعقد فى غلاق السنة قوة كبيرة برية وبحرية وأعلن بانه لايعمل صلح حتى تستغفر فرانسا مما جنته من الوقاحة وكان قبل ذلك فى فصل الصيف من سنة ١٧٠١ صدر قانون حكم فصل ثان وذلك أن غيليوم كان خالى الذرية وعانى التى هى الوارثة الثانية للتخت مات أولادها جميعا وصار من اللزوم فى هذه الحالة عمل قانون فصل جديد للتاج يتضمن هذا القانون أن الخلافة فى التخت تكون محصورة فى صوفية صاحبة هانوفرا بنة فريدريق منتخب بلاطيناطية واليزابث أخت شارلس الاول وورثاها بما أنهم جميعا بروتستانت ودخل فى هذا القانون أيضا توطيدات مستجدة فى حرية الامة الانكليزية وكانت صحة غيليوم أخذت فى الضعف فان احترازاته وما كان عليه من الشهامة أحدث فى جسمه الضعف وبينما كان راكبا حصانه ذات يوم فى بستان سراية همبطون اذداس الحصان على رصيف كان العمل جاريا فيه فعثر فرماه من فوق ظهره فانكسر عظم طوق الملك فحصل له من ذلك ألم شديد تولد منه مرض حاد ومن بعد مضى خمسة عشر يوما من هذه الواقعة مات فى كنسنغطون فى ٨ مارث سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد فى السنة الثانية والخمسين من عمره وكان غيليوم فى ذاته متوسط القامة نحيف الجسم جدا وكان أعوج الانف بعيون براقة حادة طويل الجبهة وعاليها وكان بارد الطبع حريصا الا انه كان فى ميدان الحرب كامل الفروسية وفى قيادة العساكر وتدبير الامور من رجال الطبقة الاولى وكان أجل أصدقائه وأعز المتقربين اليه شخص فلمنكى اسمه (بنطنك) رقاه الى رتبة ارل بورتلاند

وأصدرت برلمانات هذه السلطنة عدة لوائح مشهورة مهمة وذلك أنه فى سنة ١٦٩٤ أصدر البرلمان لائحة الثلاث سنوات المتضمنة انتخاب أعضاء البرلمان فى كل ثلاث سنين مرة واستمر العمل بمقتضاها الى سلطنة جورج الاول وفى سنة ١٦٩٦ صدرت لائحة الخيانات وكانت مشتملة على تنظيم محاكمة الخائنين وقوانين حرية المطابع وفى هذه السلطنة أيضا كان أول تشكيل قاعة النظارة أو الوزراء

سلطنة عانى

ثم انه من بعد موت غيليوم أعلن بملوكية عانى الابنة الثانية لجمس الثانى وكانت عهدت تربيتها الى كامبطون أسقف لوندره فاعتنى فى تهذيبها حتى خرجها على عقائد كنيسة انكلتره وكانت فى سنة ١٦٨٣ بعد الميلاد تزوجت البرنس جيورج صاحب دانيمارقه ولما جلست على التخت جعلته قائد عموم الجيوش البرية والبحرية الا أنه بالنسبة لما كان عليه من ضعف العقل والرخاوة صار نفوذه فى انكلتره ضعيفا جدا وكانت عانى من وقت بكوريتها تحت سلطة زوجة يوحنا شرشيل الذى ترقى الى

رتبة ارل (مارلبروغ) فى مدة سلطنة غليوم الثالث وبنفوذ زوجته نال (مارلبروغ) معروف البرنسيسة عانى حتى ان غليوم الثالث عند موته أظهر لعانى بانه أعظم شخص مترشح لقيادة الجيوش الانكليزية فى الحرب الكبير الذى ابتدأ فى أرض القارة فكان مارلبروغ جامعا الصفات المحامد من درايته بالحركات العسكرية كما أنه كان من أكبر رجال السياسة وكان وجيها حسن الاخلاق ظريف الخصال تتعكر أفكاره من أدنى شئ صاحب شجاعة لا تقهر وقريحة وقادة طبيعية يخاطر بنفسه فى الاهوال والشدائد تصدقه الدلائل الواضحة رائق الحكم لا يهتز من تأثير شدة وكان على شجاعة تامة فى تحمل المصاعب الخارقة للعادة وكان فى بعض الاوقات يلازم ظهر حصانه نحو خمس عشرة ساعة ومن رقته ولطافته يتصور كل انسان دلائل صفته وكان هادى الطبع وقورا فى شدة غضبه وكان مغرما بحب زوجته وكان هذا من احساساته الطبيعية القوية وكان لا يكره انسانا ويحب آخر ولا يأسف على شئ وكان متحملا للاكدار الحاصلة من الناس المحيطين به من أشراف أوعوام مع الصبر والتأنى وكان ذا حاسية من أعظم الحواس الانكليزية لكنه كان محبا للنقود وكان أسيرها وسخ شهرته العظيمة بشحه وامساكه وارتكابه

وأعلنت الملكة عانى بمجرد جلوسها على التخت تحت سلطة (ارل مارلبروغ) بدوام سياستها الخارجية على ما كانت جارية بمعرفة سلفها وعينت مارلبروغ وكان عمره فى هذا الوقت اثنتين وخمسين سنة لقيادة الجيش الانكليزى فى فلمندره فدخل فى الحال فى الاشغال الواجبة عليه بقوة كافية ومهارة وافية حتى وصل الى درجة ارتقاء فى مجالس المتحالفين وبذا صار المدبر الحقيقى للحرب ومع أنه طعن فى السن غير أن ماظهر منه من الشجاعة فى أعماله وحركاته أدهش عقول محالفيه وأخصامه وحصل له النصر التام وكان ما أجراه من الاعمال سعادات عظيمة لا يبخس مقدارها ولا ينحط شأنها فكان كما قال فى حقه فولطير انه ما حاصر قلعة الا فتحها وما حارب واقعة الا اغتنمها

وصرف مارلبروغ السنتين الاولتين من الحرب الاسبانى الوراثى فى البر فى التغلب على بعض مدائن مهمة فى الاراضى الواطية وفى البحر حاز الاميرال رولك بعض مظفرات على السفن الفرنساوية والاسبانية فى مينة (فيغو) وفى السنة التالية حصلت الواقعة المشهورة التى وقعت فى ١٣ أوغسطس سنة ١٧٠٤ بعد الميلاد فى بلنهيم وذلك أنه لما صار تهديد فيانه بالفرنساوية ومحالفيهم أسرع مارلبروغ فى خلاصها وانضمت قواها الى القوى الموجودة تحت قيادة القائد الامبراطورى البرنس أوجين صاحب صافوا وبلغ مقدار هذه القوى الى ٥٢,٠٠٠ نفس وكان الباڤاريون والفرنساوية تحت قيادة (المارشال طالارد) فى عدد ٥٦,٠٠٠ نفس وابتدأت الواقعة فى منتصف النهار واستمرت الى المسا وانتهت بنصرة عظيمة لمارلبروغ وكان عدد القتلى كثيرا وخسر الفرنساوية فى هذه الواقعة نحو من ٤٠,٠٠٠ نفس والانكليز نحو ١٢,٠٠٠ نفس ووقع القبض على طالارد ومعاونيه وصارت الحملة وذخائر جيشه مع معظم مدافع الطوبجية غنيمة للمحالفين وكانت هذه النصرة سببا فى خلاص الامبراطور وصيرورته سيدا بباڤاريه وقدم البرلمان لمارلبروغ مزيد ممنونيته منه فى نظير هذه النصرة وأهدى له المسكن الملوكى (فى وودسطوك) وكذا كسب الانكليز فى فصل صيف هذه السنة نصرتين جليلتين فى البحر الابيض المتوسط وذلك أن الادميرال رولك مع بعض عساكر المحالفين تحت قيادة برنس (حيس درمسطاد) تغلب على جبل طارق فى ٢٣ يوليه سنة ١٧٠٤ وبعد هذا بقليل انهزم

الاسطول

الاسطول الفرنساوى هزيمة حادة على مسافة من ملقة من أعمال اسبانيا حتى انه ماصار له طاقة على أن يظهر مرة أخرى فى المدة الباقية من الحرب

وفى السنة التالية فى حالة ما كان مارلبروغ مشغولا باخضاع بعض جهات فى الاراضى الواطية ظلل (ارل بطر بوروغ) بظلال الفخر والشهرة على الجيوش الانكليزية فى اسبانيا فانه بجيش قليل مع مساعدة العمارة البحرية له تغلب على برسلونه ونجح تقريبا فى طرد فيليب الخامس من اسبانيا وفى وسط مظفرات هذه الاعمال صار طلبه الى المملكة وعهدت قيادة الجيش الى (ارل غالوى) فاجتمع ارل غالوى مع بعض قوى من البرتغاليين والتقى فيليب فى نواحى علمنزه فهرب البرتغاليون من أول طلق نيران ووقع واجبر الانكليز على التسليم

وفى سنة ١٧٠٦ بعد الميلاد هزم مارلبروغ الفرنساوية تحت قيادة (فيلروا) فى (راميليس) وجعل نفسه سيد برنبط وفى نفس هذه السنة حاز البرنس أوجين نصرة بالقرب من طورين ففزع لويز من هذه المظفرات وخاب أمله فتدارك أمر الصلح الا أن الانكليز رفضوا تقديم طلبه مع موافقة محالفيهم ومضت السنة التالية من دون حصول أدنى شئ مهم غير أنه فى سنة ١٧٠٨ بعد الميلاد تولد من النصرة العظيمة التى حازها مارلبروغ فى نواحى (عودنيارد) استحواذه على ليل وأرغم الفرنساوية على ترك الجهات المحصنة فى فلندره وأما الاعمال فى البحر الابيض المتوسط فانه تولد منها وقوع جزيرة مينورقه فى أيدى الانكليز وأرسل ملك فرانسا على أمل أن يعمل مكيدة الزعيم فى أسطول صغير الى اسكوطلنده فوصل (الادميرال بنغ) فى مياه الفورث فى الوقت اللازم ومنع نزوله فى اسكوطلنده وكانت آخر نصرات مارلبروغ فى سنة ١٧٠٩ بعد الميلاد وذلك أنه هو والبرنس أوجين لما استعدا لحصار (مونس) زحف الفرنساوية مع غاية السرعة من أجل خلاصها فوقعت بينهم واقعة فى مليلا كيت من أشهر الوقائع السافكة وانتهى أمر النصر فيها للمحالفين وكان التغلب على مونس ختام الحرب وصرف ما بقى من أيام الحرب فى حصارات ثم تولد من المشاحنات التى وقعت بين الحزبين السياسيين فى انكلتره وهن فى نجاح دوام الحرب واكتسب الفرنساوية بعض فوائد خفيفة وكانت رغبة حزب المحافظين ختام الحرب وفى سنة ١٧١١ دخلوا فى مخابرات مع فرانسا فى هذا الخصوص وصار عقد الصلح فعلا بواسطة معاهدة عقدت فى أوطريخت فى سنة ١٧١٣ بعد الميلاد واتفقت فرانسا على تقرير وراثة بيت هانوفر للتخت الانكليزى وعهدت على نفسها عدم انضمام تاجى فرانسا واسبانيا فى واحد وأن تهدم استحكامات دونكرك وتتنازل لانكلتره عن خليج هودسون وصكوطية الجديدة وجزائر سنت كريستوف والارض الموجودة حديثا واتفقت اسبانيا على أن تتنازل لانكلتره عن جزيرة مينورقه وجبل طارق وحق اسعاف أمريقه الاسبانية بالعبيد ووقع التنازل عن نابولى وميلان وسردينه والاراضى الواطية الاسبانية للامبراطور وسيسيليا للدوق صافوا وأضاف هذا الحرب تقريبا مبلغ ٢٢،٠٠٠،٠٠٠ ليره الى دين المملكة

وكانت العلاقات بين انكلتره واسكوطلنده وقت جلوس الملكة عانى محكمة حتى من عهد انضمام التاجين تحت سلطنة جمس الاول ثم نشأت الغيرة والنفور وأخذا فى الزيادة فى عقول أهل اسكوطلنده نحو انكلتره وتولد من عدم وجود الملك فى بلادهم انحطاط لا يمكن لامة عالية الشيم مثل اسكوطلنده أن تحمله وكذا تولد من مساعى ملوك البيت الاستيوارتى فى اقامتهم الاسقفية فى المملكة زيادة العداوة

لكل شئ انكليزى وكان السبب الاكبر فى هذه العداوة هو خيبة المشروع الداريانى فاتخذ الاسكوطلنديون هذا الاستعمار وسيلة كما فعل آباؤهم فيما سبق فى عقد التعاهد ووقوع الحلف بينهم ولما خاب كان سببا فى الهموم وخراب كثير من المملكة وصاروا يحكون فى كل جهة من جهات اسكوطلنده بالالفاظ العنيفة الشديدة وظهر عند الناس أفكار شديدة العدوان نحو انكلتره حتى انه انضح جليا أن انفصال التاجين على شرف الوقوع مالم تنصلح الحالة وظهر من البرلمان الاسكوطلندى فى سنة ١٧٠٤ بعد الميلاد دلالات خطر أزعج الامتين وذلك أنه أصدر قانون الطمأنينة فكان هذا القانون مشتملا على أن خلافة التخت الاسكوطلندى من بعد موت الملكة عانى لا تكون فى نفس الشخص الذى يختاره البرلمان الانكليزى مالم يكن للامة الاسكوطلندية قبول تام فى اشتراكها فى المصالح الانكليزية التجارية والاعمال البحرية وان حصل فى ذلك عدم قبول من الامة الانكليزية فجميع أهل اسكوطلنده تقوم فى جامعة واحدة بالسلاح فتولد من هذا التهديد غضب البرلمان الانكليزى وترا آى فى هذه الحالة أن الحرب الداخلى لابد من هياجه ورأى أرباب العقول أن العلاج الوحيد فى اخماد هذه الاعمال المهيجة هو جعل انكلتره واسكوطلنده مملكة واحدة فى جامعة وأن لا يكون شئ أنفع فى توطيد سلامة المملكتين من ارتباط علاقتهما وجعلهما أمة واحدة فوجهوا مساعيهم فى تمام هذا الغرض وفى سنة ١٧٠٨ بعد الميلاد تعين المندوبون من كل من الطرفين لعمل معاهدة الاتحاد وأخيرا وقع التصديق عليها من البرلمان الاسكوطلندى

وكانت موادها الاصلية هى — أولا صيرورة المملكتين فى مملكة واحدة باسم بريطانيا الكبرى — ثانيا ان خلافة تاج المملكة المتحدة تكون محصورة فى المنتخبة صوفية وورثتها بما أنهم بروتستانت الدين — ثالثا ان المملكتين يكونان فى تعادل حقوق وامتيازات تجارية وبحرية — رابعا ان اسكوطلنده تحافظ على بقاء قوانينها وهيئة الديانة البرسبيتريانية — خامسا أن يكون لاسكوطلنده نواب فى برلمان بريطانيا الكبرى مقدارهم ستة عشر من منتخبى الاعيان وخمسة وأربعون من المبعوثان فكانت معاهدة الاتحاد غير مرضية بالكلية فى اسكوطلنده عند طوائف الامة وفى مدة الشروع فى أعمالها كانت ادنبورغ فى حالة هياج شديد وكان وجود العساكر ضروريا للمحافظة على أعضاء البرلمان من شدة الهياج والافتراس وكانت هذه الاجرا آت الغير المرضية سببا فى حصول ثورة اليعقوبية من بعد مضى سنين حتى ان الاسكوطلنديين كتبوا على نصال أو حديد سيوفهم هذه الالفاظ (الفوز لاسكوطلنده ولا انضمام) ثم مضى على ذلك نصف قرن من قبل أن تبتدئ اسكوطلنده فى جنى ثمار منافع قانون الاتحاد ولما اضمحل حزب اليعقوبية حل محله حزب فعال فى الاشغال نشيط فى الاعمال المخصوصة بالتجارة وصرف النظر عن عداوة السنين الماضية وبذر بذر الصداقة لجيرانه الانكليز وحصل من التجارة والصناعة زيادة النجاح عند الاسكوطلنديين حتى صارت المدائن الدنيئة فى أعلى درجة من الابهة وتحولت قرى صيادى السمك الى مين بحرية عظيمة وكان الشقاق بين الحزبين الكبيرين السياسيين فى المملكة كبيرا جدا فى مدة سلطنة الملكة عانى وكان ميل الملكة موجها نحو حزب المحافظين وانتخبت كافة وزرائها فى الابتداء من رجال هذا الحزب وصار الاحرار أشد كراهة فى المملكة بسبب كثرة زيادة الضرائب التى ضربوها وصاروا مذمومين فى أعين الامة فمن ثم كان أول برلمان فى سلطنة عانى صار عقده مؤلفا جميعه من حزب المحافظين ومع

أنهم رضوا مع الرغبة فى المداومة على الاجرا آت السياسية الخارجية التى كانت جارية بمعرفة الملك السابق فانهم راعوا أفكاره بعين عدم الاعتبار وكان الاحرار فى ميل عظيم للاباحات الدينية ومن هذا عرفوا بأنهم هم الخاضعون للكنيسة فكانت أحوال الشقاق فى الابتداء بين الحزبين السياسيين مختصة بمواد الكنيسة وأما أخصامهم فكانوا على رغبة من بقاء القوانين الجنائية التى صدرت فى مدة سلطنة شارلس الثانى واشتهروا بميلهم للعوائد الديانية القديمة وعرفوا بالحزب العالى للكنيسة وأما الآخرون فعرفوا بالحزب الواطى لها وأورى حزب المحافظين شوكتهم بتقريرهم فى مجلس المبعوثان لائحة عرفت بلائحة الامتثال مغايرة فى شروطها للمعتزلة الذين أخذت عليهم أيمان قانون التجربة بقصد صيرورتهم فى الوظائف العمومية فكانت لائحة الامتثال هذه محتوية على أن الناس الموجودين فى مصالح الحكومة العاكفين أنفسهم فى محلات العبادة الخاصة بالمعتزلة ان لم يتناولوا العشاء الربانى على حسب القواعد المقررة فى القوانين يجب تجريدهم من وظائفهم أو بالعقاب أو الغرامة وأن يكون قانون التجربة مقررا لكل انسان حر أن يكون له صوت فى أعضاء البرلمان وللاشخاص المتقلدين وظائف صغيرة فى الحكومة فاضار قبول هذه اللائحة العنيفة الظالمة فى مجلس الاعيان وفى هذا الوقت أيضا كان الدوق مارلبروغ فى غاية من الكراهة ورفض مجلس المبعوثان التصديق له بمعاش مقداره ٥٠٠٠ ليرة أنعمت عليه الملكة به وكان نفوذ زوجته فى الديوان كبيرا جدا ووجه مارلبروغ كافة التفاتاته فى المدة الباقية من السلطنة لحزب الاحرار وصار الكثير من هذا الحزب أعضاء فى الوزارة فكان من ضمنهم (روبرت والبول) الذى اشتهر ذكره فيما بعد وبالفعل صار انتخاب واحد متكلم فى مجلس المبعوثان من حزب الاحرار وكانت الملكة فى غاية من الكراهة من سلطة حزب الاحرار وما انقادت فى ذلك الاطاعة لمرغوب (دوقة مارلبروغ) غير أنها أخيرا تعبت من ناف هذه الست العاتية الجبارة وطالما كانت تنتهز الفرصة فى رمى هذا الناف من فوقها فأغوت على مشاحنتها واحدة من خدام الملكة اسمها (عيبغيل هيل) كان لها محبة زائدة للملكة وهذه الشابة التى عرفت فيما بعد باسم الست ماشام انقطعت لجهة حزب المحافظين وجعلت تدس الدسائس مع (هارلى) قائد ذلك الحزب فى قلب شوكة حزب الاحرار فى الديوان فوقعت قضية كاذبة فى حق الوزارة نجحت فيها دسائس الست هيل وكانت سببا فى وجود الفرصة التى هزت بها الملكة ناف دوقة مارلبروغ ورمته من فوق عنقها وفى ٥ نوفمبر سنة ١٧٠٩ بعد الميلاد خطب العالم (ساشفريل) من خدمة الدين التابعين للكنيسة الحالية خطبة فى كنيسة القديس بول أمام والى لوندره حث فيها على مداومة الطاعة من دون مقاومة وعدم الدخول فى ثورة ليست تحت حاصل نتيجة ومضادة كل شئ يقع منه الشقاق والنظر لوزارة حزب الاحرار وعلى الخصوص (غودولفين) اللورد المالى وطلب من الامة المدافعة عن كنيسة انكلترة التى كانت فى خطر شديد فتولد من هذه الخطبة غضب الوزارة حتى عزمت على محاكمة هذا الخطيب أمام مجلس اللوردات فى ٢٧ فبراير سنة ١٧١٠ بعد الميلاد فكان هذا الوعظ سببا وذما فى حزب الاحرار بسبب ما وقع منهم من خلع جمس الثانى وجلوس غليوم ومريم واجتهد حزب المحافظين فى هياج الامة من أجل (ساشفريل) ونجحوا فى ذلك حتى انه فى الثلاثة أسابيع التى جرت فيها محاكمة (ساشفريل) فى مجلس الاعيان كان يخفر عربته الجم الغفير من الاهالى فى أثناء توجهه الى ديوان وستمنستر وكانت الملكة ملازمة للمجلس فى كل يوم من أجل

تشجيعه وأخيرا ثبتت جنايته ساشفريل بقليل من أصوات المجلس فنع من الخطابة مدة ثلاث سنوات وأحرقت خطبه أمام المجلس الملوكى وكانت هذه المحاكمة سببا فى سقوط حكومة الاحرار وتقوت الملكة عانى بما هو حاصل عند الامة لجهة حزب المحافظين وعزلت وزراءها وشكلت وزارة من حزب المحافظين كان رأسها (هارلى) صار ارل أوكسفورد (وسنت جنا) صار لورد بولنغبروك فى سنة ١٧١٠ بعد الميلاد وأما مارلبروغ فانه سمح له فى البقاء فى وظيفته بسبب ما كان من اشتعال الحرب وانعقد برلمان جديد من حزب المحافظين عاضد هذه التغييرات وأصدر لائحة امتثال جديدة ومنشور عقيدة يتضمن أن كافة أساتذة المدارس يكونون من توابع الكنيسة الرسمية وهذان اللائحتان صار الغاؤهما فى السلطنة التالية وتداركت هذه الوزارة الجديدة غلاق الحرب مع فرانسا ودخلت فى مخابرات سرية تولد منها بعد مضى سنتين عقد معاهدة أوطريخت ولما عاد الدوق مارلبروغ الى انكلتره اتهموه بأخذ برطيل ونقود من رجل يهودى كان متعهدا توريد الخبز للجيش وعزلوه من وظيفته فترك انكلتره على الفور وتوجه لحال سبيله ونشرت مقالات قبيحة فى حقه وضاعت نصراته المفتخرة سدى مع ترجرج عقول الامة وتقلباتها ورأوه أنه ذليل طماع ومابقى من السلطنة صرف فى دسائس اليعقوبية فيما يتعلق بعود الزعيم الى الكرسى الانكليزى وكان (هارلى - وبولنغبروك) الاثنان فى مخابرات مع المنفيين من الاستيوارتيين الا أن الاحرار ومعاضدين آخرين لقانون فصل الوراثة كانوا على تيقظ تام من الاخطار المهددة لقانون الجلوس فاجتهدوا فى أخذ الاحتياطات اللازمة لدمار مشروع هذين الوزيرين وتنازع بولنغبروك مع زميله هارلى وتيسر له الحصول على طرده من الوظيفة ومن بعد مضى ثلاثة أيام أصيبت الملكة بمرض شديد وعاد الاحرار الى الحكومة من قبل تمام قصد بولنغبروك فى جانب الزعيم ووضعه فى موضع العمل وأجريت الاعمال الفعالة فى الحال فى توطيد الجلوس على الكرسى من أجل بيت هانوفر والمحافظة على الامة من وقوع حرب داخلى وفى غرة أوغسطس سنة ١٧١٤ بعد الميلاد ماتت الملكة عانى آخر السلسلة الملوكية من البيت الاستيوارتى الذين جلسوا على التخت الانكليزى وكانت امرأة محبوبة عند رعيتها الا أنها كانت عاجزة العقل بطيئة الشغل وكانت حائزة لكافة الفضائل حتى لقبت بالملكة الطيبة

(بيت هانوفر)
سلطنة جورج الاول

وفى مدة هذه السلطنة فى سنة ١٧٠٨ بعد الميلاد تم بناء كنيسة سنت بول بعد شغل امتد نحوا من ٣٧ سنة وكانت تكاليفها مليون ليره ومن بعد موت الملكة عانى تقرر على مقتضى قواعد قانون فصل وراثة التخت جلوس جورج الاول ابن صوفيه وحفيد جمس الاول على تخت انكلتره وكانت أمه صوفيه ماتت قبل ذلك ومن ثم انضم تاج بريطانيا الكبرى وهانوفر فى واحد وكان بعض من وزراء الملكة السابقة دس دسائس عود الزعيم الا أن مشروعاتهم ذهبت سدى بما وقع من موت الملكة فجأة واجتهد مبغضو البيت الاستيوارتى فى أخذ الاحتياطات الفعالة فى عدم وصول الزعيم الى مطلوبه واجتهد أحباء العائلة الجديدة فى توطيد جورج على التخت مع الثبات ومع هذا كان يوجد عدة أسباب بها صار جورج الاول غير مقبول عند رعيته فان عمره كان فى وقت جلوسه أربعا وخمسين سنة وما كان فيه أدنى رائحة من العوائد الانكليزية وليس له علم بالقراءة ولا بالكتابة باللسان الانكليزى وكان فظا غليظا ثقيل الطبع والذات لا اخلاق له ولا تهذيب عنده مجردا بالكلية عن الصفات التى يمكنه بها خضوع أمة مثل هذه الامة الانكليزية وكانت عيشته فى الانهماك فى اللذات الشهوانية وما أسرع

جورج

جورج فى الاستحواذ على مملكته الجديدة وما مضى ستة أسابيع من بعد موت الملكة عانى حتى نزل مع ابنه الكبير فى (غرينوتيش) وقوبل فيها مع الاحتفال على ما كان عليه من الصفات المتقدمة والتزم على تعلم بعض ألفاظ متعفنة يجاوب بها التماسات رعاياه الجديدة وكان ترك زوجته صوفيه صاحبة برونسويك مسجونة فى احدى قلاع جرمانيا سجنا مؤبدا من أجل عهار وقعت منها أو أشيع فى حقه عدة أسباب فى عدم محبة رعيته له ومع ما كان منظورا فيه ومؤملا منه فانه وجه التفاتاته الى وطنه الاصلى وكانت انكلتره عنده كلاشئ بالنسبة لعزة وطنه ومن ثم كان هذا سببا فى دوام زعزعة بينه وبين وزرائه وأما الامة فانها حصل عندها السرور بكراهته وراعته بمجرد ملك شرعى وما وقع منه أدنى سعى فى التداخل فى أمور حريتهم واعتبروه انه هو الوارث الوحيد البروتستانتى للتاج الانكليزى واختار جورج مستشاريه ووزراءه من حزب الاحرار بما أنهم دعوه للتخت ومن ثم تجرد المحافظون من سلطتهم فى المملكة وأرعبتهم أشغال أعدائهم وهيجت حالتهم وتعينت لجنة من مجلس المبعوثان لمراقبة سير رؤساء المحافظين بمراعاة معاهدة أوطريخت فوقع الاشتباه فى أوكسفورد وبولنغبرولك وعودموند فى دسهم الدسائس مع الزعيم واتهموه فى خيانات جسيمة فاما بولنغبرولك وعودموند فانهما نجيا بانفسهما الى فرانسا وأما أوكسفورد فانه سجن فى حبس البرج سنتين وعكف حياته على عدم الاتفاق مع قاعتى البرلمان

وتولد مما وقع من التعدى على حزب المحافظين هياج كبير فى المملكة وتجددت الثورات التى كانت لازمة لحاكمة ساشفربل فى السلطنة السابقة وأحاط الاوباش بالعربة التى أرسل فيها أوكسفورد الى سجن البرج وصارت أصواتهم تسمع فى كل جهة الويل للاحرار اقتلوا الاحرار تعيش الكنيسة وساشفربل وعلا قدرهما ووقع الهجوم على محلات اجتماع المعتزلة ودمروها وانفجرت غارات الاوباش فى جهات كثيرة مختلفة وصارت فى أحوال مرعبة فظيعة وشرع الكثير من حزب المحافظين فى مخابرات فعالة مع الزعيم ورأى أنه فى أثناء النفور العام الحاصل فى الامة يكون الوقت الصالح له فى عود تخت أبيه لنفسه وزادت كراهة الامة للملك الجديد حتى ان الستات الجرمانية الموجودات فى السراية ما كان لهم وقت يتنفسن فيه من دون أن يلقين حقارة وازدراء من الامة وانتشرت الاشاعات فى حقهن بانهن مارغبن فى الحضور فى انكلتره الا بقصد جمع نقود وارسالها الى هانوفر وتضجرت الطوائف الواطية من هذه الاشاعات وحصل لواحدة من هؤلاء الستات كرب من صراخ العوام حول عربتها وهم يسخرون بها فأخرجت رأسها من شباك عربتها وقالت لهم بالانكليزى المكسر لماذا تسبوننا أيتها الامة الطيبة نحن ما جئنا الا لمصالحكم فصرخ عليها واحد من الاوباش وقال نعم ولامتعة منازلنا أيضا فارتاعت الحكومة من مثل هذا الهياج وأصدرت فى سنة ١٧١٥ بعد الميلاد لائحة الهياج صيرت للعامل أو النائب طاقة على كونه يشتت بالقوة العسكرية ما ينوف عن اثنى عشر نفسا من الاوباش اجتمعوا لحصول الخطر فى الصلح العام وقبل ذلك عهد المجلس بمكافأة ١٠٠٫٠٠٠ ليره لكل من قبض على الزعيم فى وقت نزوله فى انكلتره وفى أثناء ذلك ما كان اليعقوبيون فى داخل المملكة وخارجها على ضعف ولما كان الزعيم يعلم أن فرسان سنت جورج جهزوا استعدادات كبيرة فى نزوله على الجزيرة فتوجه اليها فخضه بولنغبرولك العارف بحقيقة الامة الانكليزية على عدم تشبثه بهذا الامر فانه لا يعود عليه منه الا الدمار وغير هذا فان آماله انقطع النجاح فيها على حين غفلة بواسطة

موت لويز الرابع عشر الذى كان وعده بالعود لتخته وما كان لنائب فرانسا ارتباطات أو علاقات شخصية مع فرسان سنت جورج ورفض دوق اورليان نائب فرانسا مساعدته فى الغارة على انكلتره وكانت انفجرت ثورة فى كل من جهتى اسكوطلنده وانكلتره وذلك أن (ارل مار) قائد حزب الزعيم فى اسكوطلنده اعتمادا على نجاح اليعقوبية فى مساعدته له رفع بيرق العصيان فى (بريمار) فى الاراضى العالية فى ٦ سبتمبر سنة ١٧١٥ بعد الميلاد وأعلن الزعيم لنفسه ملكا بلقب جمس الثامن فلبى دعوته ١٠,٠٠٠ نفس وعين رأس معسكره فى برث وصار أستاذا على كافة اسكوطلنده الواقعة فى شمال نهر الغورث وعسكرت القوى الملوكية تحت قيادة دوق ارجيل فى (سطيرلنغ) وحرم مار من دخوله فى الاراضى السهلة ثم تسبب من نجاح الثورة فى اسكوطلنده هياج حزب اليعقوبية فى شمال انكلتره الى العمل وقام فى نورثمبرلند (ارل درونطوطر) و (فورسطير) أحد أعضاء البرلمان من أجل هذه الاياله بالسلاح فى مرضاة الزعيم وما اجتمع عليه الا ٣٠٠ خيال فى غاية من التطقيم وقام بعض من اللوردات الاسكوطلنديه فى هذا الوقت فى جهة الحدود وأرسل (ارل مار) فرقة من الجبليين لمساعدة الحركة وزحفت القوى المتحدة للثائرين نحو (انكشير) حتى وصلوا (بريسطون) فأحاط بهم العساكر الملوكية تحت قيادة (الجنرال كاربنطر) وكان جميع هذه القوى ١٤٠٠ نفس فسلموا على غير شرط وفى هذا اليوم التقى دوق ارجيل مع ارل مار فى (شريفموير) من أعمال برثشير وصده عن التقدم نحو الجهة الجنوبية فى ١٣ نوفمبر ومع أن النصرة كانت غير فاصلة الا أن الفائدة كانت عائدة فيها على دوق ارجيل وخشى ارل مار من تجديد الواقعة وتقهقر وفى هذا اليوم وقعت الهزيمة على اليعقوبية فى الجهة الشمالية من انكلتره فى نواحى بريسطون وخمدت الثورة وفى نحو غلاق السنة طرد نائب فرانسا دوق أورليان الزعيم عن فرانسا فعزم على احياء سعادة حزبه بحضوره بنفسه فى اسكوطلنده ونزل فى ٢٢ ديسمبر فى نواحى رأس بطرس مصحوبا بستة من أمرائه بدون سلاح ونقود وذخائر ولاجل تشجيع أحبابه مر من بريتشين ودندى فى هيئة ملوكية ودخل مدينة برث مع الأبهة فما كان يوجد زمن كاف للاستعدادات اللازمة لتتويجه فى مدينة صقون لانه فى أثناء ذلك لما تقوى ارجيل بالعساكر الامدادية زحف نحو برث ووقعت الارتباكات فى معسكر الزعيم وقت ما وصلت الاخبار بقرب ارجيل وأسرع جيش الجبليين فى القهقرة الى مونطروز فلما عدم جمس كل آماله اصطحب فى السر بالارل مار وآخرين وهربوا الى فرانسا وتركوا الجيش الى مايؤل اليه عاقبة أمره فوقع الغضب عند القبائل الجبلية لما عرفوا أن رؤساءهم تركوهم وتفرقوا الى أوديتهم فى الجبال وما حل بالمسجونين والاسرى الذين أخذوا فى واقعة بريسطون كان من أكبر المصائب فان الذين من أرباب الثورة من كل طائفة أرسلوا الى لوندره ووقعت محاكمتهم على ما جنوه من الخيانات وصدر حكم الموت على لوردات (درونطوطر ـ وكنمور ـ ونيطسدال) وعدة آخرين تأخروا ثم ان كثيرا من حزب اليعقوبية المحكوم عليهم بالقتل ومن ضمنهم فورسطير هربوا من السجن ونجوا بأنفسهم الى أرض القارة ومن قبل قتل نيطسدال خلصته زوجته بكونها ألبسته ملبوسها وهرب ليلا متخفيا فى صفة امرأة من البرج وقتل (درونطوطر ـ وكنمور) فوق تل البرج ومنحت أملاكهما على اسبتالية غرينوتيش وصلب أربعة أشخاص من الرتب الواطية فى لوندره واثنين وعشرين فى لنكشير وألف نفس صار نفيهم الى أمريقة وانتهت الثورة

ونواد

وتولد من ارتباك الحالة التي وقعت في المملكة أن الحكومة غيرت قانون سنة ١٦٩٤ المتضمن انتخاب أعضاء البرلمان في كل ثلاث سنوات مرة وانعقاده وراعت أن حصول انتخاب عام في أثناء الاخطار الحائقة بالمملكة داخلا وخارجا هو عدم سلامة المملكة ومن ثم نجح الاحرار في صدور قانون السبعة في سنة ١٧١٦ المتضمن مد مدة البرلمان الى سبع سنوات لا ثلاثة واستمر اليعقوبية في دسائسهم مدة ختام السلطنة غير أنه ما وقعت ثورة مهولة الامن بعد ولادة الشاب الزعيم في رومة سنة ١٧٢٠ بعد الميلاد ومن بعد مضي سنتين من ذلك شكل (اطربوري) أسقف روشيستر وجماعة من الاشراف ثورة وصمموا على ضبط البرج وبنك انكلتره ومحلات أخرى عمومية ثم اعلان جمس الثالث فوقع الكشف على الثورة وقتل بسببها (لاير) المشرع وجرد (اطربوري) من وظيفته ونفي من الارض وفي سنة ١٧١٧ بعد الميلاد حصل سعي آخر من أجل عود الزعيم وذلك أن شارلس الثاني عشر ملك أسوج طمع في دوقيتي (بريمن - وفردين) وكان جورج الاول اشتراهما من دانيمارقه وأضافهما المنتخبة هانوفر فشرع في طريق الانتقام من أجل خسارته الدوقيتين بالغارة على اسكوطلنده متحدا مع اليعقوبية الثائرين فيها فانكشفت هذه الثورة في الحال وخمد أمرها وترك أهل أسوج الغارة التي لا طاقة لهم على اجرائها ولاجل تفصيل هذه العبارة بالوجه نقول انه من بعد اخماد كافة الثورات زار جورج الاول أملاكه الموجودة على أرض القارة فلاجل توسيع أملاكه وجعلها في حالة اطمئنان اشترى من دانيمارقه بمبلغ ١،٥٠٠،٠٠٠ ليرة دوقيتي بريمن وفردين وكانا أخذا أخيرا من أسوج فوقع هذا البيع عند شارلس الثاني عشر ملك أسوج موقع الغضب وشرع في دس الدسائس مع اسپانيا وروسيا في عود الاستيوارتيين فعقدت الحكومة الانكليزية من أجل سلامة نفسها معاهدة مع فرانسا وهولانده عرفت بالاتحاد الثلاثي وكان موت ملك أسوج في حصار (فريدريقشال) ختام كل خوف يأتي من جهة أسوج واستمرت اسپانيا في دس دسائسها من أجل الغاء معاهدة أوطرېخت بما أنها كانت سببا في تجريدها من كثير من أملاكها وكان (الكردينال البيروني) وزير حكومة اسپانيا نجح بأعماله الماهرة في التغلب على سردينة وعزم على عود الاملاك الاخرى الايطاليانية الاسپانيه فتولد من مطامعه في مشروعه تشكيل اتحاد رباعي بين انكلتره وأوستريا وفرانسا وهولنده في سنة ١٧١٨ بعد الميلاد وأرسل أسطول انكليزي تحت قيادة (الاميرال بينغ) الى البحر الابيض المتوسط فوقع بينه وبين الاسپانيين واقعة في نواحي (رأس بسارو) في ١١ أغسطس سنة ١٧١٨ تبدد فيها أسطول الاسپانيين تقريبا فحل بالكردينال البيروني الغضب وأعد أسطولا لمساعدة الزعيم في نواحي كاديس فنزل عاصف على أسطول الغارة في نواحي فيستره فشتته وما وصل الى اسكوطلنده الا فرقاطتان ونزل فيها ٣٠٠ نفس وانضم اليهم بعض الجبليين وأخذوا لهم موقعا حصينا في (غلاشيل) فهجم عليهم قوة ملوكية وهزموهم في سنة ١٧١٩ وفي نفس هذه السنة تغلبت عمارة بحرية على (فيغو) وأغارت العساكر الفرنساوية على شمال اسپانيا ولما ضاقت الامور على ملك اسپانيا من كل جهة عقد معاهدة صلحية عزل فيها البيروني من وظيفته وانجلت عساكره عن سردينة وسيسيليا وتنازل عن كل ما كان يدعيه من حقوقه في تاج فرانسا في سنة ١٧٢٠ بعد الميلاد ومن بعد مضي خمس سنوات دخل أوستريا واسپانيا في تحالف بينهما ومن حيث ان أوستريا كانت أقامت في (أوسطند) شركة عدوة لشركة الهند الشرقي فوقع الارتياب اليقيني بانه

موجود مشروع سرى بين الدولتين مضر بصالح انكلتره وهانوفر فمن ثم عقد جورج محالفة مع فرانسا وبروسيا وعقد معاهدة هانوفر فى سنة ١٧٢٥ بعد الميلاد ولما ظهر ميل روسيا الى انضمامها للاتحاد ضد انكلتره أرسلت الحكومة الانكليزية عمارة بحرية الى بحر بلطق لصد الحركة العدوانية التى تأتى من تلك الجهة وأرسلت أسطولا آخر من أجل حصار مينة بالو الا أن رجال الاسطول أصيبوا بالحمى الصفراوية وفى أثناء ذلك تصرف الاسبانيون كثيرا من البارود فى اطلاقهم النيران بقصد التغلب على جبل طارق وعودة لهم ثانيا ومن بعد قليل انسحبت أوستريا من الحرب وعقدت صلحا مع المتحالفين ورفضت اسبانيا أن يكون لها أدنى حظ فى المعاهدة واستمرت على الحرب سنتين من بعد موت جورج الاول وفى سنة ١٧١٠ بلغ الدين السائر للامة نحوا من ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ لبره وكان فى هذا الوقت هارلى وزير المالية فعرض على أن المداينين يلزم أن يشتركوا فى هيئة شركة تجارية تختص بالبحر الجنوبى وتعطى لهم الحكومة امتيازات احتكارها فتلقوا هذا المشروع مع الفرح وتشكلت شركة البحر الجنوبى ومع هذا فان اسبانيا كانت فى غيرة شديدة من أن تسمح لتجار انكليز بحرية الوصول الى أملاكها فى البحر الجنوبى فكان كافة ما أمكن الحصول عليه من اسبانيا هو أن تجار الانكليز لا يدخلون فى امريقة الاسبانية الا ٤٫٨٠٠ رقيق سنويا وارسال شحنة واحدة من البضائع الى تلك السواحل وتوطدت هذه الامتيازات فى معاهدة أوطريخت وكانت المنازعات التى حصلت مع اسبانيا فى هذه السلطنة مضرة بصالح الشركة لكنها نجحت رغما عما وقع من المقاومات وصارت أسهمها مطلوبة جدا وفى سنة ١٧٢٠ عرض رؤساء الشركة للحكومة مشترى المعاشات التى لم تصرف لاربابها البالغ قيمتها ٨٠٠٫٠٠٠ لبره سنويا التى منحت مدة السلطنتين السابقتين وتعهدوا بدفع دين المملكة اذا كانت الكفالات العمومية تتحول الى مبلغ واحد تحت أيديهم ويسمح لهم ببعض امتيازات تجارية تكفلها الحكومة لهم وقدموا للحكومة مبلغ ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ لبره لو قبلت شروطهم فحصلت المداولة فى هذا الخصوص فى مجلس الاعيان وأخيرا صار قبول ما قررته الشركة ثم ان مساهمى الحكومة أى أصحاب المرتبات السنوية ما جبروا على تغيير كفالات الحكومة بأسهم الشركة فأخذ رؤساء الشركة حالة احتراز وأعلنوا بنجاح تجارة البحر الجنوبى حتى ان أغلب أصحاب الرواتب فى الحكومة اتفقوا معهم على شروطهم ثم شرع الرؤساء فى عقد قيمة اشتراكات جديدة وبالنسبة لما نشروه من كثرة الفوائد التى يتيسر الحصول عليها من النقود فان هذه الفوائد يأتى منها نقود مثل المياه ووقعت الاشاعة بان اسبانيا على نحو منحها تجارة حرة فى كافة مستعمراتها وأن يستبدل جبل طارق بقسم من مملكة (بيرو) فى أمريقه وأن معادن الذهب والفضة بأمريقه تصب كنوزها فى انكلتره ومن ثم لمع للناس بريق أمل الثروة وضياء جمع الاموال فدخلوا أفواجا مع غاية الازدحام فى استبدال ما عندهم من أوراق الاسهم بأسهم فى شركة البحر الجنوبى وتسابق الناس فى هذا المشروع حتى بيع السهم الذى قيمته ١٠٠ لبره بقيمة ١٫٠٠٠ لبره ثم اتضح لبعض الناس أنه من حيث ان قيمة الارباح المعتادة خمسة فى المائة فان الشركة يلزم أن تدفع على حسب هذه الاسعار لا أقل خمسين فى المائة وهذا غير مقبول وقام الغضب مما وقع من هذا التصور واشتعلت نيرانه حتى ظهرت شركات أخرى فى الميدان منها من كان طيبا ومنها من كان قبيح السلوك وأراد بعض تلك الشركات المحافظة على الامراء والسنات من الخسائر التى تنتج من عدم التفات الخدامين وأخرى رغبت فى

دوام

دوام التشغيل وأخرى قصدت مشروعا يتيسر منه أرباح كثيرة غير أنه لادراية لاحد بما يكون من هذا الامر وشركة أخرى أخذت من مشتركيها ٢ ليره وسلمت كل واحد سهما بقيمة .. ليره وفى أقل من ست ساعات تيسر لها الحصول على أخذ ١٠٠٠ سهم وخسر الناس نقودهم فى هذا اليوم وكذا أخذت أسعار الاراضى فى زيادة القيمة فى مدة هذا الملعوب فانذر (روبرت والپول) الوزارة والحكومة بشأن تلفيق هذا المشروع وكان له دراية تامة بأمور المالية فكان على غير طائل من انذاره ودخل أهل المملكة فى هذا الجنون وازدحموا فى تغيير أوراق الاسهم وكان الزحام يستمر فى البيع والشراء من الصباح الى المساء تزدحم فيه الدوقات واللوردات والامراء والقسس والائمة وسائر الناس من عوام ودلالين وتجار حتى الستات فكانت تباع الاوراق فى جهة منه بسعر المائة عشرة زيادة عن جهة أخرى منه ودخل البرنس ولى العهد فى هذا الزحام وصار رئيس شركة واكتسب نحوا من ٤٠،٠٠٠ ليره ولازمت شركة البحر الجنوبى على هذا المشروع الخبيث حتى بقبق البحر وظهرت مشروعاته وفتحت الامة عيونها فيما دخلوا فيه من طيش العقل وتنازلت السهام فى الحال ورغب كل انسان فى البيع فما كان يوجد راغب للمشترى ونزلت الاسهم التى بلغت أسعارها الى ١٠٠٠ ليره لغاية ١٣٥ ليره وارتكن الناس فى هذا الوقت على أن الشركة قادرة على وفاء الدفع واسترضوا بأرباح ٣٥ ليره لكن الذين أعطوا نقودا جمة خسروها وذاق الرجال والنساء من طوائف الامة شدة الفقر وخراب البيوت وأما الذين بادروا ببيع سهامهم فانهم اكتسبوا مبالغ جمة وكان من ضمنهم والپول ولما عارض والپول فى هذا الامر وغيره من المشروعات ولم يقبل منه استعفى من الوزارة فانتقلت تحت رياسة (لورد سطانهوب) وتولد من دمار الناس وخراب بيوتهم من شركة البحر الجنوبى أن قاموا فى صياح ضد رؤساء الشركة وطلبوا اضبط أملاكهم وغضب البرلمان من خديعة هذه الشركة وحول تحقيق مسئلته على روبرت والپول وأمر بضبط عقارات رؤساء الشركة لمداواة ما حصل من الفقر الذى كانوا سببا فى حصوله فظهر فى أثناء التحقيق من هذه الملاعب الخبيثة أن الكثير من أهل الديوان والبعض من أعضاء أرباب مجلس البرلمان أخذوا برطيلا من أعضاء الشركة من أجل التصديق على لائحة مشروعهم واصدار الاوامر اللازمة فى خصوص العمل بموجبها وكان سطانهوب نفسه بريئا من هذه المادة الا أنه فى وقت مدافعته عن نفسه مات فجأة وأما والپول فانه قرر من أجل مداواة بعض هذا الخلل تسعة ملايين سهم من سهام شركة البحر الجنوبى لبنك انكلتره ومثلها لشركة الهند الشرقى وأن ترد الحكومة تعويض السبعة ملايين ونصف ليره التى كانت أخذتها من الشركة وبهذا تيسر لارباب الحقوق أخذ قيمة الثلث من أصل نقودهم غير أن الوثوق ما رجع عند العالم الا من بعد مدة طويلة واستعفى (سندرلند) من وظيفته وطرد (اسلابى) نائب المالية من المجلس وفسخت التعهدات بين الحكومة والشركة وما قبلت الامة العقاب الذى أصدره البرلمان فى حق رؤساء الشركة وحزنوا حزنا شديدا على فقد أموالهم وتولد من مشروع شركة البحر الجنوبى سقوط وزارة لورد سطانهوب من الشوكة وفى هذه الحالة طلب الملك والپول وقلده مباشرة الاعمال وادارتها وصار لورد أول المالية ووزير أول انكلتره وكان أول واحد أعطى له هذا اللقب فى انكلتره وكان ارتقاؤه الى درجة وزير أول فى سنة ١٧٢١ بعد الميلاد وتوجهوا الى حال سبيلهم وحاز والپول بواسطة انذاره بخيبة المشروع التجارى وثوق أهل المملكة به وكانت

حكومته أطول مدة فى التاريخ الانكليزى من ابتداء عصر الثورة واستمرت احدى وعشرين سنة وكانت أعماله غير مقوية للاعمال السياسية واستمر على الحيادة عن كافة أعمال قارة أوروبا فانه كان يخشى من وقوع انكلتره فى حرب مع أى دولة من مجاوريها وبذل ما فى وسعه فى تقدم النجاح والفلاح المادى فى انكلتره وحفظ لها نفوذها وشرفها فى هذا الوقت فى الجهات الخارجة بما أجراه من حسن تدبيره وكانت أعماله مرضية عند الامة وأعقبتها نتائج السعادة حتى قال الملك فى سنة ١٧٢٤ السلم مستتب مع كافة الدول فى الخارج واستتب الهدو والراحة والتمتع والتلذذ بالحياة والمعيشة فى داخل المدائن والبلاد وأقر عيون أهلها بما هم عليه من الراحة الدائمة وحقوقهم المدنية والديانية فى داخل المملكة وأخذت العمارة فى الزيادة بسرعة حتى ان كلا من (منشيستر - وبرمنغهام) تضاعف أهلهما وكثرت عمارتهما فى ظرف ثلاثين سنة وتولد من تشييد المعامل ومحلات التشغيلات زيادة فى أسباب التجارة على حين غفلة وربط علاقات تجارية فى الممالك الاجنبية كانت أصلا لانتشار المستعمرات فى جهات مختلفة وأزهرت ليفربول وكانت أسست من أجل تجارة جديدة مع الجهات الغربية وقامت من هيئة مدينة صغيرة ريفية الى أن صارت المدينة الثالثة فى المملكة وبواسطة استتباب الأمن زادت قيمة الاراضى حتى صار كل عمدة من أهل البلاد يؤجر أرضه بثلاثة أمثال قيمة ايجارها الاصلى وما انحرف والبول عن طريقة الوفر الكبيرة مع ما كانت عليه من الغنية المحيطة به ولا عن تقليل الديون ولا نقص شيأ فى ادارة المالية حتى انه قبل موت جورج الاول نقص الدين العمومى بمقدار عشرين مليونا وفى سنة ١٧٢٤ بعد الميلاد وقعت المشاحنة بين والبول وبين رفقائه فى النظارة وذلك أن كارطريط كان فى هذا الوقت عدو والبول فكان الملك مساعد والبول فقبل كارطريط وظيفة لورد نائب ارلنده وقد ذكرنا أنه على حسب (قانون بوينغ) لا يجوز ادخال أى لائحة فى البرلمان الارلندى ما لم يصدق عليها المجلس الانكليزى فجرد هذا القانون البرلمان الارلندى من كل شوكة استقلالية شرعية مرعية عنده وفى سنة ١٧١٩ بعد الميلاد أصدر البرلمان الانكليزى قانونا مشتملا على أن البرلمان الانكليزى مرخص له فى اصدار القوانين اللازمة لارلنده فتولد من ذلك وقوع الغيرة فى قلوب الارلنديين من جهة الانكليز وتداخلهم فى أعمالهم ومن أجل ذلك لما سمح والبول فى سنة ١٧٢٢ لرجل اسمه (وود حداد) بدق معاملة قيمتها ١٠٨,٠٠٠ ليره على مقتضى عينة أعطيت له وأن يكون جميعها من النحاس بقصد جعل دقة المعاملة الارلندية مثل الدقة الانكليزية التى ضربت فى سنة ١٦٩٦ انفجر فى ارلنده ارتجاج مهول ومن ثم لما وصل كارطريط الى ارلنده وجدها فى نار ملتهبة ولما رأى والبول على حسب عادة سياسته أن المعارضة شديدة أبطل مشروعه وعادت ارلنده الى حالتها الاولى وفى سنة ١٧٢٧ تجرد الكاثوليك من حريتهم وصار البروتستانت هم المعدون لانتخابهم أعضاء فى البرلمان الارلندى نحن هذا ما كان يوجد فى برلمان دبلين الا السدس من أهل ارلنده

وفى ١٠ يونيه سنة ١٧٢٧ بعد الميلاد مات جورج الاول بداء الفالج حال ذهابه الى (أوسنابروخ) ودفن فى مدينة هانوفر ومع ما كان عليه جورج الاول من العيوب والنقائص فانه أظهر مهارة وتدبيرا عظيما فى حكمه انكلتره وينسب اليه كثير من فوز انكلتره وسعادتها وتقدمها فى الفنون والصنائع الآن معاملته مع زوجته صوفيه التى لبثت فى السجن اثنتين وثلاثين سنة صار علامة سوداء على

ذاته وصفاته وكان ولداه جورج وصار ملكا من بعده وصوفيه دوروطيه تزوجت فريدريق غليوم منتخب براندنبورغ وصار فيما بعد ملك بروسيا

وفى مدة سلطنة جورج الاول أى فى سنة ١٧١٧ ألغى مجلس القسس الانكليزى بواسطة ثورة من المعتزلين وكان معظم القسس من حزب المحافظين وكثير منهم يعقوبية وذلك أن (هودلى) أسقف بانغور وكان من حزب الاحرار نشر خطبة قدح فيها قدحا شديدا فى غالب اخوانه القسس وجلب بها على نفسه غضب مجلس القسس فتولد من المشاحنات التى هاجت بهذا السبب الغاء مجلس القسوسية وما سمح بانعقاده مرة ثانية من أجل مصلحة الاشغال لحد سلطنة فيكتوريا ومن الاصلاحات التى وقعت فى مدة هذه السلطنة دخول آلات تشغيل الحرائر من ايطاليا وفيها كان أول استعمال مادة تلقيح الجدرى والله أعلم بما كان ثم جلس جورج من بعد موت أبيه على كرسى انكلتره وتلقب جورج الثانى وكان عاش أمع أبيه فى حالة غير مرضية وكان عمره وقت صعوده على الكرسى خمسا وأربعين سنة وكان مثل أبيه متعلقا بحب وطنه هانوفر وصرف مدة شبابه فيها فمن ثم ما كان عنده الا التفات قليل لانكلتره وكانت كافة التفاتاته نحو هانوفر فكان ذلك سببا لدخوله فى سياسات أرض القارة وكان الاصوب له تركها وماهى عليه وكان مكروها عند الامة الانكليزية بليدا بطيأ جدا فى حركته صاحب خلاعة فى نفسه عنيد الرأى سريع الغضب شحيحا غير أنه كان محبا للحرب وما كان مجردا من الشجاعة بالكلية وأكسبته اقامته فى انكلتره قليلا من الدراية بالعوائد واللسان الانكليزى الا أنه كان يلهج بنطق أجنبى وكانت زوجته (كارولينه انسپاخ) ستاذات احساس وفضل مشهور فاستمر جورج تحت دهائها وتدبيرها فى حالة سليمة وثبات حكومة دائمية وكان جورج وقتما كان ولى العهد على حالة غير مرضية جدا مع أبيه وكان أخرجه من الديوان فبالطبع كان مبغضا جدا الكبير وزراء أبيه (روبرت والپول) لكن توطدت خدمات هذا الرجل السياسى بمشورة الملكة وكانت عولت على أنه لابد من استمرار والپول فى مباشرة ادارة الحكومة فاستمر والپول نافذ الحكم والشوكة تحت رعاية الملكة مدة الخمس عشرة سنة الاولى من السلطنة وبذل جهده فى مدتها فى صيرورة انكلتره فى حالة سلمية مع كافة الامم ونجحت البلاد تحت ادارته فى أشغال التجارات والمزروعات وكانت الرشاوى على ماقيل فى خفية فى مدة حكمه وانتهت المشاحنة مع اسپانيا التى استمرت بدون فصل فى السلطنة السابقة بمعاهدة صرفيل فى سنة ١٧٢٩ بعد الميلاد وفى ظرف العشر سنوات التى أعقبت المعاهدة اتسعت التجارة الانكليزية بسرعة فى المستعمرات الاسپانية وكان أحد الاعمال الغير مرضية التى قرروالپول اجراءها فى سنة ١٧٣٣ بعد الميلاد مشروع المكس فكانت الجمارك والمكوس منبعا كبيرا للايراد العام وضربت عوائد الجمارك على كافة البضائع الغريبة الواردة الى المملكة والمكس فردة ضربت على كافة المواد المشغولة فى المملكة وقصد والپول من أجل توقيف حركة تهريب المواد وعلى الخصوص مواد الدخان والنبيذ أن يكون دفع العوائد عليهما فى الوقت فكان من رأيه خزن البضائع ودفع العوائد عليها فى وقت شيلها وصيرالعمال تحت قانون المكس ومن ثم جعل للحكومة ايرادا كبيرا من عوائد قليلة وزيادة فى التجارة وقال ان لوندره مينة حرة للتجارة وسوق عمومى للدنيا وقرر كل هذا فى لائحة واحدة وسماها لائحة المكس وقدمها للبرلمان فعارض فيها حزب المحافظين أشد المعارضة وكذا أهل المملكة وزاد الضجر حتى ان

والبول من حزم رأيه أبطل مشروعه مع أنه كان معضدا بأغلب أعضاء البرلمان فى هذه المادة لكنه قال ان الوزير الذى يقوى المكس والعوائد لا يكون سافكا للدماء وكان واثقا من أن أعماله تعود نتائجها بثمرة عامة على المملكة والامة وكان للملك والملكة رغبة تامة فى الاشتراك فى الحرب البولندى الوراثى غير أن والبول حافظ على انكلترة من تداخلها فى هذا الحرب وفى سنة ١٧٣٦ بعد الميلاد دخلت انكلترة وهولنده فى توطيد الصلح

وفى سنة ١٧٣٧ بعد الميلاد هلكت الملكة كارولينه وبموتها أخذت شوكة والبول فى الاضمحلال ثم ان البرنس ولى العهد الذى كان يكره أباه ساعد جهرة الامة التى كانت على عداوة ظاهرة للوزير الاول وتعبت انكلترة من وجود السلم وعوّل التجار على ارسال تجاراتهم الى نواحى المستعمرات الاسبانية فى أمريقه الجنوبية وكانت معاهدة أوطريخت مقصورة على هذه التجارة فى حدود معلومة وهى تجارة قليلة من الرقيق وشحنة مركب واحدة فقط تتوجه سنويا الى السواحل الاسبانية بالبضائع الانكليزية الا أنه بالنظر لكثرة الارباح أرسلت سفن انكليزية كثيرة مشحونة بكافة أصناف البضائع الى الجهات الاسبانية وتوجهت البضائع المهربة اليها بكثرة فكان فيليب الخامس ملك اسبانيا كارها لهذه التجارة ووجودها ومن بعد جلوسه ضاعفت اسبانيا اجتهاداتها فى توقيف حركة هذه التجارة ورتبت فى طول سواحلها سفنا لخفر السواحل من أجل عدم تقريب السفن الانكليزية ببضائعها ونزولها عليها ورتبوا على الانكليز الذين يضبطون على السواحل عقابات شديدة اما الحبس أو قطع أنوفهم وآذانهم فكان كل من وقع فى أيدى الاسبانيين فى سواحل المستعمرات يجرون عليه مثل هذه الفظائع الى أن عاد واحد قبودان اسمه (جنكن) الى انكلترة أذناه مقطوعتان ومربوطتان بالقطن وحكى أن الذى قطعهما القائد لمراكب الخفر الاسبانية فى سواحل مستعمراتها وكسر مركبه وبمجرد عود الناس الآخرين الى انكلترة بهذه الصفة امتلأت المملكة والمدن بالحكايات التى حصلت فى مثل هذا العقاب البربرى ورعاهم قومهم بأنهم شهداء حرية التجارة وتولد من حزن قصصهم شدة الغيظ فى انكلترة حتى كادت المعارضة فى البرلمان تكون سببا فى سقوط حكومة والبول وما كان لوالبول طاقة على تسكين هذا الهياج وكان من رغبته أن تكون الممالك الموجودة فى غرب أوروبا فى استتباب سلم وفى وفاق مع بعضهم فى وقت موت الامبراطور شالس السادس المظنون قرب وقوعه فى هذا الوقت فما كان له طاقة على مقاومة مرغوب طبيعى وقع من أمة ورأى أنه لا بد من وقوع حرب مع اسبانيا فى العاجل أو فى الآجل والاحسن وقوعه فى الحال فكانت سياسة والبول على خطابين وما وقع من الامة هو الصواب لان الاتحاد الاهلى الذى تيسر وجوده بين اسبانيا وفرانسا كان القصد منه دمار السيادة البحرية الانكليزية وكان الدولتان مراقبتين علة الهجوم على عدوتهما ومع أن انكلترة كانت جاهلة بهذا الاتحاد فى ذلك الوقت الا أنها أنبئت به وفى سنة ١٦٣٩ ألزمت الامة والبول بضد ما هو مائل اليه فرضى بقطع علاقات اسبانيا وأعلن حربا عليها ومع هذا فما كان فى هذا الحرب منفعة تعود منها ثمرة على الامة الانكليزية فانه فى هذه السنة صار ارسال (الادميرال فرنون) مع عمارة بحرية مؤلفة من ست سفن الى أمريقه الاسبانية فتغلب على مينة بالو الواقعة على برزخ داريان ونهب المدينة والمينة وخربها وحصل له فيها خسارات زهيدة فكان ذلك هو النجاح المادى من الحرب وتباهى بنجاحه ونصرته وعزم على ارسال قوة فعالة فى أمريقه الجنوبية وفى

سنة ١٧٤٠ بعد الميلاد أقلع ڤرنون والجنرال ونطورث مع ١٥٠ سفينة و ١٢٠٠٠ عسكرى للاغارة على مدينة قرطاجنه أحصن القلاع فى ساحل اسپانيا فتولد من عدم الاتفاق بين القائدين حصول الدمار فى الغزوة وتولد من هجومهما صدهما بخسارة بلغت نصف قوتهما وهلك غالب العساكر بداء الاسكربوط وترك هذا المشروع مع الرذالة والمهنة الكلية وفى أثناء ذلك أرسلت حملة أخرى تحت قيادة (عنسون) للاغارة على المستعمرات الاسپانية الموجودة فى سواحل (شيلى - و پيرو) من أمريقه وبمجرد عبوره من جهة (رأس هورن) تشتتت عمارته وما وصل الى البحار الجنوبية الا ثلاث سفن فخرب بهذه القوة القليلة الساحل الغربى وتغلب على مدينة (پيطه) وأخذ منها مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليره ولما ضاع منه المركبان اللتان كانتا معه عبر البحر الباسفيكى بالسفينة التى بقيت معه وفى أثناء سيره فى هيئة مخاطر مفتش اشتبك فى حرب شديد مع (غليون اسپانى) فتغلب عليه وأخذ منه نحو مليون ونصف دولر وعاد الى انكلتره من طريق رأس عشم الخير بعد غيبته مدة مقدارها ثلاث سنوات وتسعة شهور فكان هو أول رجل انكليزى مر من هذه الجهة من عهد دراك الذى ساح الدنيا فتولد من مصائب الحرب الاسپانى سقوط حكومة والپول وفى سنة ١٧٤٢ أرغم على الاستعفاء من الوظيفة من بعد طلبه فى البرلمان فساعده فى أشغاله الا ثلاثة من أعضائه فاستعفى من هذه الوظيفة ورفعه الملك فى الحال الى رتبة (ارل أورفورد) مكافأة له على طول خدمته واستمر الملك يستشيره فى المواد اللازم اجراؤها الخاصة بالوزارة الجديدة وأخذ له محلا فى مجلس الاعيان واجتهد فى عود اتحاد حزب الاحرار واطفاء المضادات والمقاومات وفى غضون ذلك هاج الحرب العام الاوروباوى المعروف بحرب الوراثة الاوستريانية الذى كان والپول مترقبا وقوعه من مدة طويلة واشتبكت فيه انكلتره وكان السبب فى هذا الحرب أنه فى سنة ١٧٤٠ بعد الميلاد مات شارلس السادس صاحب أوستريا تاركا تخته لابنته مريم تريسه على حسب نص الاتحاد الفضولى الذى أجراه بين الدول وصدقوا عليه ومع أن دول أرض القارة اتفقوا على كفالة هذه الوصية غير أنه أعقب موت شارلس مباشرة اجتهاد عام فى التغلب على ممالكه وتغلب فريدريق الاكبر ملك بروسيا على صليسيا وطلب منتخب باڤاريه هنكاريا وبوهيميه ودخل ڤيانه بمساعدة الفرنساويه له وتقوى ملوك اسپانيا وپولنده وسردينه بهذا النجاح وطلبوا ما يخصهم من الغنيمة فهربت مريم تريسه الى هنكاريا ورمت بنفسها على خضوع أشراف رعاياها فاجتمعوا فى ناديهم ولبوا طلبها وصرخوا بصوت واحد شاهرين سيوفهم فى أيديهم نموت فى مرضاة ملكتنا مريم تريسه وداومت انكلتره على صداقة المعاهدة الاوستريانية لشارلس السادس وصارت هى الحليف المفرد لاوستريا وفى سنة ١٧٤٣ دخلت قوة قليلة انكليزية تحت قيادة (لورد اسطير) فى جرمانيا واتحدت هذه القوة مع الاوستريانيين وبلغ عددهم نحو ٤٠٠٠٠ نفس فالتقوا فى قريه دطنغين على نهر مان بقوة كبيرة من الفرنساويه تحت قيادة المارشال نيل فاختار سطير لنفسه عدم التعرض لهذه الحركة فقربت القوى الفرنساويه منه جدا حتى ترا آى أن الرجعة مستحيلة وفى هذه الحالة التحق جورج الثانى بالجيش فوقع من الفرنساويه حركة أخطؤا فى اجرائها تولد منها خلاص القوى المتحدة وفى الواقعة التى أعقبت ذلك انكسر (نيل) ورجع عابرا نهر المان بخسارات جسيمة فى ٢٧ يونيه سنة ١٧٤٣ وكانت واقعة دطنغين مشهورة بما أنها كانت آخر واقعة حضرها ملك انكليزى وطردت العساكر الفرنساويه من جرمانيا وانسحبت العساكر

الفرنساوية الى فلندره وفى السنة التالية أعانت فرانسا بالحرب رسميا على انكلتره وسارت فى طريق تساعدبها الزعيم وظهر أسطول فرنساوى فى قوة قوية تحت قيادة (مارشال ساكس) على مسافة من ساحل كنط فقامت عليه عاصفة منعته من القرب من البر ولما رأى عمارة انكليزية قربت منه التزم على القهقرة والعود الى محل ماجاء وفى سنة ١٧٤٥ انهزمت العساكر الانكليزية فى نواحى فونتينوا وذلك أن مارشال ساكس أحاط بغتة مدينة طورناى بجيش كثيف فتوجهت قوة قليلة من المتحالفين تحت قيادة (دوق كبرلند) ابن جورج الثانى لاجل خلاصها ومع ماوقع للعساكر الانكليزية من شدة صعوبة الارض وكثرة عدد قوى العدو فانها خرقت قلب العساكر الفرنساوية وتقدمت نحو القرية التى فيها لويز الخامس عشر فأخذولى العهد الفرنساوى جهاتهم وتركهم محالفوهم وحل بهم الخطر من كل جهة فتقهقروا مع غاية الانتظام فى مقابلة بطريات المدافع الموجهة نيرانها عليهم من كل جهة حتى وقع الاستغراب عند الفرنساوية وقالوا ان هذه القهقرة تعد نصرة حقيقية وكانت واقعة فونتينوا سببا فى استحواذ الفرنساوية على فلندره ومابقى من سنى الحرب انقضى من دون أن يقع فيها وقائع كبيرة وفى سنة ١٧٤٧ هزم الاميرال عنسون أسطولا فرنساويا على مسافة من رأس فنستره ومن بعد مضى بضع شهور حاز الاميرال هولك نصرة مثلها على مسافة من بلسل وفى سنة ١٧٤٨ بعد الميلاد عاد السلم فى أوروبا برهة من الزمن بمعاهدة عكس الكنيسة واتفقت فرانسا وانكلتره على رجوع فتوحاتهما واتفقت اسبانيا على الصلح وعقدت أوستريا صلحا مع بروسيا فى سنة ١٧٤٥ وسمح لبروسيا فى بقاء صايسيا تحت يدها وفى نفس هذه السنة وقع انتخاب زوج مريم تريسه الدوق الاكبر لطوسقانه امبراطورا ومكثت مريم تريسه صاحبة الفروسية على كرسى مملكتها حتى ماتت فى سنة ١٧٨٠ بعد الميلاد

وفى أثناء الحرب الذى تقدم ذكره انتهز الزعيم الاستيوارتى المنفى الفرصة وعزم على اجراء سعى آخر مع عائلته فى عودهم مافقدوه من المواد الوراثية لهم وسافر شارلس ادوارد بن الزعيم من فرانسا مع مركبين وسبعة من حاشيته لاجل فتح مملكته فالتقى مركب حربى انكليزى بهذه الثلاث مراكب فطرد واحدة منها الى بريست وأخرى أقلعت الى هبريده وكان فيها البرنس فنزل الشاب الزعيم فى (مويدارط) فى ٢٥ يوليه سنة ١٧٤٥ على ساحل انفرنيس ونشر بيرقه فى (غلينفينان) فانضم اليه كثير من رؤساء الجبليين ولما بلغت قوته ١٦٠٠ نفس وسار من غلينفينان كانت الحكومة على غير استعداد وما كان يوجد فى اسكوطلنده الا نحو من ٣٠٠٠ عسكرى فسار القائد من طرف الحكومة (يوحنا كوب) مع البعض من هؤلاء العساكر من سطيرلنغ نحو الجهة الشمالية لاطفاء هذه الثورة وتوجه على غير احتراز الى انفرنيس تاركا الكونتات الجنوبية من دون محافظة فانتهز الفرصة البرنس شارلس لما ظهر له خطأ القائد الملوكى وترك الجبال ودخل فى مدينة برث فانضم اليه فيها ناس آخرون ينتمون اليه كان من ضمنهم لورد جورج مورى ومن بعد أن أعلن بان أباه ملك بلقب جمس الثامن اندفع بما معه من العساكر الى ايدنبورغ ودخلها من دون وقوع مقاومة وفى هذه الاثناء لما أنزل كوب قوته فى سفن من البردين نزل بها فى دونبار وانضم اليه آلايان من الدراغون تحت قيادة (أمير الاى غاردنر) وكان تقهقر من ايدنبورغ مع غاية الفزع وزحف كوب بجيش مؤلف من ٣٠٠٠ نفس الى العاصمة الاسكوطلندية فسار لملتقاه الشاب شارلس فى رأس قوة معادلة لقوته وتقابل

الجيشان

الجيشان فى (بريسطونبان) فى ٢١ سبتمبر سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد فهجم الجبليون على القوى الملوكية على حين غفلة فى وقت انشقاق الفجر فبددوهم وما نجا من العساكر الملوكية الا نحو ٢٠٠ نفس واستحوذ شارلس والجبليون على مدافع الطوبجية وذخائرها وعلى الحملة وكافة ما كان فى معسكرهم فكانت هذه النصرة سببا فى استحواذ الشاب الزعيم على اسكوطلنده وجلب اليه الكثير من الاحزاب ولما وصلت أخبار هزيمة بريسطونبان الى انكلتره وقع فيها الهياج الا أنه من طالع سعد البيت البرونسويكى أن عاد المنصور الى ايدنبورغ من أجل اخضاع قلعتها وكانت ماسلمت له وقت دخوله فى المدينة وجمع محافظها فى داخلها تقوية لها ومن بعد أن صرف الفارس شارلس فى العاصمة الاسكوطلندية نحو ستة أسابيع عزم على تجربة سعادته فى انكلتره وسار من ايدنبورغ فى رأس ٥٠٠٠ نفس ودخل من الحدود الغربية وسار نحو الجهة الجنوبية حتى وصل دربى ومع أنه قوبل بالترحاب فى كل جهة وصل اليها الا أن الاهالى امتنعوا من الدخول فى أمره وكانت مدينة منشيستر هى المدينة الوحيدة التى جهزت له بعض ذخائر وانضم اليه فيها (أميرالاى طونلى) مع ٢٠٠ نفس وفزع رؤساء الجبليين من عدم مساعدة اليعقوبية والخلاف الواقع منهم وأفاقوا لانفسهم وعرفوا الخطر المهدد لهم من العساكر الانكليزية الجارى جمعها من كل جهة فعزموا على القهقرة وقالوا ان (الجنرال واد) مع جيش مؤلف من ١٠,٠٠٠ نفس على بعد مسافة قليلة من ورائهم وان دوق كمبرلند مع قوة مساوية لتلك القوة فى مقابلتهم ولو أمكنت النجاة من هؤلاء الجيوش فانه يوجد جيش آخر أمامهم ساد الطريق عليهم الى لوندره فصار شارلس يعدهم وينصحهم فما كان فى ثمرة من هذا ورضى بالعود الى اسكوطلنده وفى ٦ ديسمبر ابتدأ جيش الجبليين فى حركة سيره نحو الجهة الشمالية فكانت حركة القهقرة على غاية من التدبير كما وقعت فى أثناء التقدم ووصلوا (بنريث) من قبل أن تظهر لهم الجيوش الملوكية وصدوا فيها تقدم دوق كمبرلند خلفهم وفى ٢٠ ديسمبر عبروا نهر اسك ومن بعد مضى بضعة أيام دخلوا غلاسغو مع سلامة الله وحاصروا اسطيرلنغ فى الحال فسار الجنرال هولى من أجل خلاص المدينة فانهزم شر هزيمة غير أن أمر الزعيم اضمحل حاله فى الحقيقة مع ما كان من هذه المظفرات فان الكثير من قبائل الجبليين ضعف قلبهم وانسحبوا الى أوطانهم وتولد من ظهور دوق كمبرلند فى جيش ضخم تقهقر الباقى من الجبليين الى جبالهم ومن بعد مضى ثلاثة شهور فى أعمال غير مؤثرة بين الطرفين زحف الدوق على جيش العصاة وكان مؤلفا من نحو ٥٠٠٠ نفس فى ميدان (كالودن مور) بالقرب من انفرنيس فى ١٦ ابريل سنة ١٧٤٦ بعد الميلاد وفى أقل من ساعة وقع الفرار فى قوى العصاة وهزمهم دوق كمبرلند واتبعهم قتلا وأسرا وما وقع منه أدنى رحمة وسود نصرته بقتله الكثير من البريئين من الاهالى وخرب قرى الجبليين واستمر القائد المنصور بمدة مشهورا باسم السفاح وهرب المنكوس الفارس شارلس الى الجبال وتقررت ٣٠,٠٠٠ ليره مكافأة لمن جاء برأسه ومن بعد أن لبث خمسة أشهر فى ترحال وجولان نزل فى مركب فرنساوية سرا وما زال حتى نزل سالما فى بريطانى فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٧٤٦ وفى أثناء هذه المدة كانت محاكم التحقيقات مشغولة بمحاكمة كل من دخل فى أمره وهرب الكثير من الرؤساء وقتل كل من لورد (كلمارنوك - وبالمرين - ولوفات) على تل البرج وقتل أيضا نحو من ثمانين شخصا بسبب اشتراكهم فى مادة الشاب الزعيم وكانت هذه الواقعة آخر الاجتهادات الكبيرة التى وقعت من منفيى الاستيوارتيين فى عود التخت لانفسهم

ومات جمس الزعيم الكبير فى سنة ١٧٦٥ بعد الميلاد وطرد ابنه شارلس من فرانسا على مقتضى نص شروط معاهدة عكس الكنيسة فوجد له ملجأ فى أرض البابا واستمر مدة طويلة فى مخابرة مع أحبابه فى انكلتره وفى نحو سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد زار لوندره فى السر ولما خاب فى أعماله عكف نفسه على السكر والموبقات ومات فى رومة بداء الفالج فى ٣٠ ينايرسنة ١٧٨٨ بعد الميلاد وتلقب أخوه الباقى على قيد الحياة هنرى بنديكت باللقب الفارغ هنرى الحادى عشر لكنه أقام مع الراحة فى رومة حتى بلغ أرذل العمر بصفة كاردينال بورقه ومات فى سنة ١٨٠٧ وبموته انقرض البيت الاستيوارتى

ثم انه من بعد الصلح على حسب معاهدة عكس الكنيسة تولدت اختلافات كثيرة بين انكلتره وفرانسا خصوصا بالنسبة لمصالح هاتين الدولتين فى الجهات الهندية وفى أمريقه فان انكلتره فى أمريقه كانت شيدت مستعمرات على ساحلها الشرقى وأما فرانسا فانها كانت عمرت كناده ولويزيانه ورغب الفرنساوية فى اتصال هذه المواطن البعيدة باقامة خط من قلاع من ابتداء نهر (نياغارة) الى فم نهر (مسيسبى) ومن ثم يمنعون المستعمرات الانكليزية من تجارة الجلود مع الهنود فانذرتها الحكومة الانكليزية عن مثل هذا الفعل وأصر الفرنساويون على انفاذ مرغوبهم فصدرت أوامر الحكومة الانكليزية لمستعمراتها بمنع الفرنساوية بالقوة الجبرية وفى سنة ١٧٥٤ بعد الميلاد توجه الماجور ونشنطون الذى اشتهرذكره وشاع أمره فيما بعد فى الحرب الاستقلالى الامريقانى فى رأس حملة على قلعة دوكسنى المعروفة الآن بطسبورغ على نهر أوهيو وفى السنة التالية أرسلت عساكر من انكلتره تحت قيادة (الجنرال برادولك) وبما أن هذا الضابط ما كان له دراية بالحروب فى الاورمانات الامريقانية خرج عليه كمين فى الغابات فقتل مع ٧٠٠ من رجاله فى أثناء الحركة على القلعة المذكورة وفى حالة ما كانت العلاقات مرتبكة مع فرانسا بهذه المثابة هاج حرب على أرض القارة عرف بحرب السبع سنوات دخلت فيه انكلتره وكانت أسباب الحرب تولدت من طمع فريدريق الاكبر صاحب بروسيا وشكلت أوستريا معاهدة سرية مع فرانسا وأخرى مع روسيا وبولنده وصكصونيه واسويج من أجل تقسيم بروسيا فعلم فريدريق بخبر هذه الدسيسة وأسرع فى الحال فى ضبط درسته عاصمة صكصونية ومن ثم ابتدأ حرب السبع سنوات فى سنة ١٧٥٦ بعد الميلاد وبما أن انكلتره من قبل فى حالة حرب مع فرانسا اتحدت مع بروسيا وصارت الهند وأمريقه ميدانين كبيرين للمنازعة والحرب حسبما يلزم لكل من الدولتين فيهما الا أن الحرب الذى فتح ما كان للعساكر الانكليزية صلاحية فيه وكانت فرانسا من قبل اعلان الحرب بقليل أرسلت أسطولا وجيشا للتغلب على جزيرة مينورقه وكانت فى ذلك الوقت تحت يد انكلتره فأرسلت عمارة انكليزية تحت قيادة الاميرال (بينغ) من أجل خلاصها وفى أثناء العمل مع العدو سمح بينغ للاسطول الفرنساوى بالهرب وبدل أن يفضل من أجل خلاص القلعة المحصورة بالقوى البرية حصاراقو ياسافر الى جبل طارق لاصلاح أسطوله فتولد من ذلك ضياع الجزيرة وحصل الغضب الشديد فى انكلتره فجلب بينغ للمحاكمة فى نظير ما وقع من جبنه وضرب بالنار فى مينة بورتسموث

وكانت سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد منحوسة أيضا على الجيوش الانكليزية فان قيادة الجيش فى هانوفر كانت عهدت الى دوق كمبرلند فتولد من مصيبة الهزيمة التى حلت ببروسيا فى كلونيه صيرورة الفرنساوية مطبقة على محاصرة الدوق والمضايقة عليه فانجبر الدوق على التوقيع على اتفاق السبع

سياج وفرّق عساكره على حسب هذا الاتفاق وكان عددهم نحو من ٣٠,٠٠٠ نفس وفى حالة ما كانت طوالع انكلتره اخذة فى الحضيض عاد الطالع ثانيا بتغيير الوزارة فتولد منها رجوع الكرة على الاعمال فكان شهم الوزارة الجديدة (غيليوم بيط) من أكابر العوام وكان مولده فى سنة ١٧٠٨ بعد الميلاد وتهذب فى أوكسفورد وابتدأ فى عيشته بخدمة بروجى فى الخفر الازرق وفى سنة ١٧٣٥ دخل عضوا فى البرلمان وصار من أهل الارتباكات فى مدة وزارة والبول حتى طرد من الجيش فعكف على الامور السياسية وكان على قريحة وقادة وخطيبا من الطبقة الاولى فنال بذلك رياسة محل فى حكومة المملكة فوجه كافة نجابته فى كشف ما حل بالجيوش الانكليزية من المصائب وسارت شهامة سياسته فى كافة الجهات طولا وعرضا وصارت طوالع سعد انكلتره متوجة بالنجاح فى كل جهة وفى سنة ١٧٥٨ بعد الميلاد عندما اكتسبت بروسيا النصر فى روزباخ ولوثن صار تقويتها من انكلتره بمساعدة من النقود قيمتها ٦٧٠,٠٠٠ ليره ونشر بيط عدة حروب على فرانسا فى أنحاء الدنيا ورفض قبول اتفاق السبع سياج وترتب الجيش الهانوفريانى مرة ثانية وأعيدت المنتخبة لما كانت عليه وأخذ (سنغال - وغورى) من الفرنساوية فى أفريقه وكذا (لويزبورغ) وقلعة (دوكسين) فى أمريقه وأما المظفرات التى حصلت للانكليز فى الهند فسنذكرها بعد وحصل بالقرب من المملكة حملة كانت على غاية من النجاح وهى خراب (سنت مالو) وما كان فيها من السفن ووقع الهجوم على شيربورغ وآل أمرها الى ما آلت اليه سنت مالو وكانت السنة التالية أيضا فى مظفرات تامة للجيوش الانكليزية فان أساطيلها كانت منصورة فى كل جهة كانت موجودة فيها من البحار وهزم الاميرال (بوسكاوس) الفرنساوية فى خليج (لاغو) فى جهة اسبانيا وكانت النصرة الكبيرة التى حازها الانكليز فى خليج (كيبرون) فان الاميرال هوك ما منعته العواصف الشديدة بل دمر فيه قوى كبيرة من الفرنساوية فكسحت هذه المظفرات القوة البحرية لفرانسا بالكلية وحرمتها من الدخول فى أى حركة من الحركات المهمة فيما بقى من الحرب وفى أثناء ذلك تساعدت بروسيا ببعض العساكر الانكليزية وانتصرت نصرة فاصلة فى منذين وما نجا الفرنساوية من هذه الواقعة الا بواسطة (لورد جورج ساكفيل) قائد العساكر الخيالة الانكليزية فانه رفض اجراء الحملة عليهم ثلاث مرات وكانت آراء بيط فى أمريقه متوجة بتاج الظفر فانه لما استقر أمره على فتح (كناده) رتب هذا الرجل السياسى أربع حملات مختلفة يلزم أن تجتمع سوية تحت أسوار (كيوبك) فكانت الحملة التى أرسلت من انكلتره مؤلفة من ٨٠٠٠ نفس وأسطول مؤلف من اثنتين وأربعين سفينة تحت قيادة الجنرال ودلف ضابط شاب يتوسم فى وجهه الخير والبركة فلما وصل الى المحل المعين له مع حملته عزم ودلف على الهجوم على المدينة من قبل حضور الثلاث حملات الاخر وأنزل رجاله ليلا من الاسطول فى ذيل مرتفعات جبل ابراهام المشرف على مدينة كيوبك وأمرهم بالتسلق على منحدرات الجبل على قدر الامكان مع السرعة الزائدة وفى وقت الصباح فزع الفرنساوية لما رأوا العساكر الانكليزية واقفة على قمة صحن الجبل وكان فى المدينة قوة عظيمة من الفرنساوية تحت قيادة منطكالم الحاكم الفرنساوى فى كناده

وفى الواقعة التى أعقبت ذلك انجرح القائدان جروحا مهلكة فى سنة ١٧٥٩ بعد الميلاد وذلك أنه فى وقت تدبير ودلف رجاله للهجوم الاخير أصيب بعيارين فقلباه وحمل الى وراء الجيش على شرف

الموت وفى وقت اضطجاعه يجاهد فى سكرات الموت زعق واحد من الضباط وقال انظر حالة هربهم فقال ودلف من هو المولى فأجابه العدو مولى الدبر فقال الحمد لله الى الآن سأموت سعيدا وخرجت روحه فى عنفوان شبابه وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وسلمت مدينة كيوبك بعد ذلك ببضع أيام وفى السنة التالية خضعت كافة كناده وكان الانكليز منصورين أيضا فى الهند الغربى فان الفرنساوية فى هذه الجهة فقدوا جزيرة (غادالوب) ومابقى من الحروب مختص بالسلطنة التالية

وفى حالة ما كانت الجيوش الانكليزية تجنى ثمار المظفرات فى نواحى أمريقه والجهات القريبة من المملكة حصلت وقائع مهمة فى الهند وذلك أنه فى وقت ابتداء الشركة الهندية الشرقية فى أشغالها فى مدة سلطنة الملكة اليزابث كانت عائلة المغل لهم السيادة العظمى فى الهند وكان تيمورلنك المؤسس لهذه العائلة نزل من جبال هندوكوش فى الهند وتغلب على مدينة دلهى بالهجوم عنوة فى سنة ١٣٩٨ بعد الميلاد فقد رسخ حكمهم على نحو كامل البحيث جزيرة وجمعت فى جامعة واحدة تحت قبضة أورنزيب من سنة ١٦٦٦ الى سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد ومن بعد موته خلع كثير من الملوك الوطنية الحكم المغلى وصاروا مستقلين فى أنفسهم وكان سقوط المملكة دلالة للخاطرين بايديهم على تأسيس ممالك لهم فمن ثم صارت بنغاله مملكة لواحد وميسور مملكة لآخر وتقلد زمام حكومات فى الكرناطيق عدة راجات ونواب ومازال السلطان الاكبر المغلى حاكما اسمًا فى دلهى وكان حكمه فى الحقيقة لحد محدود فتولد من الارتباكات التى صحبها اضمحلال مملكة كبيرة مثل هذه أن صارت البلاد الهندية عرضة للفاتحين من أهل أوروبا فكان البرتغاليون والفلمنكيون أول الامم الاوروباوية الذين عقدوا علاقات تجارية مع وطنى الهند وفى سنة ١٥٩٩ بعد الميلاد شكل بعض من تجار لوندره شركة الهند الشرقى ومن بعد مضى بضع سنين أقاموا محلات تجارية أولا فى سورت ثم فى مدراس (قلعة سنت جورج) وفى طجنابتام (قلعة سنت داود) على ساحل كورمندل ثم أضيفت عباى الى هذه الجهات فى عهد سلطنة شارلس الثانى وفى نحو غلاق القرن المذكور أمكن الحصول على أرض كبيرة على نهر هوكلى برخصة من الحكومة المحلية فى سنة ١٦٩٨ فى مدة سلطنة غليلوم الثالث بمعرفة شركة أخرى وأسست فيها قلعة غليلوم على شاطئ النهر المذكور وتشيدت مدينة كلكوته حول هذه القلعة وأخيرا انضم الشركتان لبعضهما فى سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد وكان لكل من تلك الثلاث محطات حاكم وجيش قليل العدد مؤلف من غالب الوطنيين المسمين بالاسباهى من أجل حماية المساكن والتجارة والتجار يدفعون سنويا أجرة الارض للنواب وفوق هؤلاء النواب حكام المديريات وعلى الكل المغل الاكبر أو السلطان فى دلهى ثم سار الفرنساوية على منوال جيرانهم وتغلبوا على جزيرة موريس وجزيرة بوربون وجزائر أخرى وشيدوا مستعمرة كبيرة فى بوندشرى وأخرى فى شينسوره فى بنغاله وما كان فى فكر الانكليز ولا الفرنساوية فى مبادى الامر التغلب على قطعة ما من الاراضى الهندية بل كانت التجارة هى المقصد الاصلى عند كل من الامتين غير أنه تولد من عدوان التجارة مشاحنات آلت نتيجتها الى تغلب الانكليز على الهند التغلب الاخير وفى أثناء الحرب الاوستريانى الورانى تغلب الحاكم الفرنساوى فى جزيرة موريس على مدراس فى سنة ١٧٤٦ بعد الميلاد واستمر مستحوذا عليها الحد معاهدة عكس الكنيسة وفى نحو هذا الوقت انتهز دوبلكس الحاكم الفرنساوى فى بوندشرى الفرصة فى أثناء المشاحنات بين الملوك الوطنية وعزم على

تشييد

تشييد مملكة فرنساوية فى الهند وكان الكرناطيق فى هذا الوقت ميدان حرب بين المتحاربين من أجل التغلب عليه فدخل دوبلكس فى صف واحد من المتحاربين ونجح فى مشروعه وصارت مكافأته بجعله نائب الكرناطيق وتراآى له فى هذا الوقت أنه على شرف خلاص ماشرع فيه من طمعه فراعى الانكليز نجاح أعدائهم مع غاية الفزع والتزموا من أجل المدافعة عن أنفسهم على الاشتراك فى المشاحنات الواقعة بين الامراء الوطنيين وكانوا فى الحقيقة فى موضوع أعمالهم مضادين للفرنساوية ومن طالع سعد الانكليز فى مصالحها كان موجودا شاب مستخدم فى الشركة الهندية الشرقية ساقه ذكاؤه على مقاومة مطامع دوبلكس مع النجاح وكان اسم هذا الشاب (روبرت كلايف) كان توجه الى الهند وعمره ثمان عشرة سنة فكان هو الرجل الذى وضع أساسات المملكة الانكليزية فى البلاد الهندية وكان الفرنساوية على نجاح تام فى كل جهة فحاصروا المحالف الوحيد للانكليز فى طريشناپولى فترك كلايف قلم كتابته فى بيت الشركة واستلم بدله السيف وجعل نفسه فى رأس قوة قليلة وضبط فى سنة ١٧٥١ بعد الميلاد (اركوط) على حين غفلة من أهلها فكانت هذه النصرة سببا فى خلاص طريشناپولى ودوّر مدّ النصرة نحو الفرنساوية وهزمهم حتى ان دوبلكس خاب أمله فى فتوحه مملكة والتزم بالعود الى فرانسا وترك خصمه سيد الجهة وفى سنة ١٧٥٦ بعد الميلاد وقعت ملوكية بنغاله لشاب اسمه سراج الدولة كان على كراهة شديدة للانكليز فانتهز حجة المشاحنة بين السكان القاطنين فى كلكته وزحف على المحل وألزم محافظيه وكانوا نحوا من ٢٠٠ نفس على التسليم وسجن كافة الاوروباويين فى سجن مهول وكان مقدارهم ١٤٥ رجلا وامرأة واحدة وكانت قاعة السجن أودة واحدة طولها ١٨ قدما وعرضها ١٤ قدما وفيها كوتان صغيرتان بالحديد فى ارتفاع سقف القاعة فذاق فيها المسجونون شدة العذاب وكان الفصل أشد حرا من فصول السنة وكانت القاعة محرومة من دخول الهواء فيها وكثير من المحبوسين بهم جراحات شديدة ومن شدة آلامهم صاروا يئنون وينوحون ويزدحمون على تيسر الحصول على شربة ماء والخفر المهول الواقف لحراستهم يسخر بهم من وراء الكوى وكانت هذه الحادثة فى سنة ١٧٥٦ بعد الميلاد ولما انقضى الليل وجاء الصبح وفتح الباب ما وجد من المسجونين الا ثلاثة وعشرون نفسا على قيد الحياة ومات باقيهم فى يوم أو يومين ونهب سراج الدولة كلكته وأصدر أمره بمنع اقامة الانكليز بالكلية فى هذه الجهة وفى هذا الوقت كان كلايف ارتقى الى رتبة قائمقام وتوظف حاكم قلعة سنت داود ومدبرها فلما وصلت اليه أخبار هذه الحادثة الفظيعة جمع قوة مقدارها ٢٤٠٠ نفس منها ٩٠٠ من الاوروباويين وتغلب على كلكته ثانيا وأرغم سراج الدولة على اعادة مانهبه من بيوت التجارة وغيرها والامتيازات التى كانت منحت للانكليز فى سابق الامر ثم وجه عسكره على المستعمرة الفرنساوية شندناجور وتغلب عليها فكان هذا الهجوم سببا فى شدة غضب النواب فجمع قواه من أجل حطم هذا الرجل الانكليزى وسار النواب المذكور فى رأس جيش مؤلف من ٥٠٠٠٠ مع عدة من المدافع الى نواحى بلاسى وأما كلايف فانه ماقدر أن يجمع الا نحوا من ٣٠٠٠ نفس وعشرة مدافع صغيرة وكان ثلثا هذه القوة من العساكر الاسپاهية وعزم بكل طاقته على الهجوم على جيش العدو فنجح كلايف فى هجومه وهزم سراج الدولة شر هزيمة فى سنة ١٧٥٧ فكانت نتيجة الواقعة المنصورة فى بلاسى سببا فى صيرورة الانكليز أسياد بنغاله وأما فى نواحى

الكرناطيق فان الحرب مع الفرنساوية استمر في مجاح بين الى ابتداء سنة ١٧٦١ بعد الميلاد حتى ان الانكليز تغلبوا على نواحي بوندشري وهدموا أسوار المدينة وسوّوها بالارض وانقطعت مشروعات الفرنساوية وطمعهم في الهند الى الابد ثم عاد كلايف الى انكلتره محملا بالاموال والثروة وارتقى الى رتبة أميرارلندى ودخل مجلس المبعوثان

وفي أثناء ما كان الظفر متوجا الجيوش الانكليزية في كافة جهات الدنيا مات جورج الثاني بغتة في كنسنغطون بعرض أصابه في صدره في بضع أيام مكملا له على عمر سبع وسبعين سنة في ٢٥ اكتوبر سنة ١٧٦٠ بعد الميلاد وكان رجلا قصير القامة ظريف الشكل جميل الصورة وكان يشابه أباه في الادب والذكاء وكان مشهورا بميله لحزب الاحرار ومحبته (لهانوفر) وصرف عليها أموالا لا تحصى وخلف ثمانية أطفال فريدريق ولي العهد وعانى تزوجت برنس أورنجه وغيليوم دوق كبرلند ومريم تزوجت ماركيز حيس كاستل ولويزه تزوجت ملك دانيمارقه وثلاث بنات أخر فأما البرنس ولي العهد فانه قتل من صدمة كرة في لعب الكرة في سنة ١٧٥١ ومن أولاده التسعة ابنه الكبير جورج الثالث خلف جده على تخت انكلتره

وفي مبادي سلطنة جورج الثالث ابتدأت حركة عقيدة المذهب الدياني المعروف بالوسلياني أو الميثوري وكان مؤسس هذا الحزب أو الطائفة الديانية (يوحنا وسلي) وذلك أنه لما مارس علومه في مدرسة المعارف في أوكسفورد صار يجمع الناس للصلاة والمناقشات الديانية في قيعان مدرسته ومازال طالب العلم بها ثم توجه الى جورجيا مع أخيه شارلس في صفة مبعوثين في الديانة ومكثا فيها مدة من الزمن ولما عاد الى انكلتره ورأى ما هو واقع من عيوب الكنيسة ابتدأ في وعظه جهرة وسار على منواله في هذا العمل الطيب أيضا خطيب مشهور بالعقل والذكاء اسمه (جورج وايطفيلد) وأسس أيضا المذهب المعروف باسم كالفنسطيق ميثوري فالتقى هذان القسيسان معارضات شديدة تولدت من غضب الكنيسة وكانا على حمية شديدة من الواجبات الدينية فأقاما حزبا ديانيا كبيرا في انكلتره وكانت الحركة الوسليانية سببا في قيام الكنيسة الانكليزية بما هو واقع فيها من الاختلافات وصيرت فيها قوة فعالة مؤثرة دامت فيها الى أيامنا هذه وشيد الميثوريون كنائس لعقائدهم في انكلتره

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ من سلطنة جورج الثالث الى الايام الحاضرة ﴾

جلوس جورج الثالث ـ غلاق حرب السبع سنوات ـ صلح باريس ـ يوحنا ويلكس ـ الحرب الامريقي الاستقلالي ـ حرب الثورة الفرنساوية ـ معاهدة اميانس ـ العصيان الارلندى ـ اتحاد انكلتره مع ارلنده ـ الحرب الثاني مع فرانسا ـ واقعة طرفلغار ـ حرب البحيث جزيرة ـ حرب مع الممالك المتحدة في أمريقه ـ هرب نابليون من جزيرة ألبى ـ واقعة واطرلو ـ الاعمال في الهند ـ وارن هاسطنغ ـ نيابة البرنس ولي العهد ـ موت الملك وصفته ـ جورج الرابع ـ ثورة شارع كاطو ـ الملكة كارولينه ـ الاعمال الخارجية ـ الاتحاد المقدس ـ واقعة نفرينو ـ الاضطراب في ارلنده ـ قانون عتق وتحرير الكاثوليك ـ موت الملك ـ غيليوم الرابع ـ الاصلاح البرلماني ـ أعمال البرلمان المصلوح ـ ابطال الرقيق ـ الاعمال الخارجية

موت

ـ موت الملك وصفته ـ فيكتوريا ـ العصيان فى كناده ـ المنح ـ الارتباكات فى ارلنده ـ الحرب فى سوريا ـ الحرب مع الصين ـ الاعمال الهندية ـ الحرب الافغانى ـ أمراء السند ـ حروب السيك ـ حرب مع برمه ـ ثورة العساكر الاسباهية ـ الحرب مع روسيا ـ حرب الحبش ـ العمار فى أوستراليا وتقدمه ـ الحرب الاشنطى ـ التغلب على كوماسيه ـ القحط فى الهند ـ زيارة البرنس ولى العهد للهند ـ اعلان الملكة فيكتوريا امبراطورة الهند

سلطنة جورج الثالث

خلف جورج الثالث الابن الكبير للبرنس ولى العهد جده على تخت انكلتره وعمره ثلاث وعشرون سنة وكان أول ملك من بيته ترى فيه العوائد والاحساسات الانكليزية وظهر من مبادى أقواله لمجلس البرلمان أنه تيسر لانكلتره الحصول فى آخر أمرها على ملك من أولادها وقال جورج أنا ولدت وتربيت فى هذه المملكة فانا أفتخر بالاسم البريطانى وكان حاضرا فى تتويج الملك الشاب شارلس ادوارد استيوارت الزعيم الشاب وكان حضوره خفية مختلطا بالزحام الذى كان موجودا فى كنيسة وستمنستر وقت التتويج وكان محبا للعظمة والابهة وقت المقابلة وعلى ثبات تام وجلس على التخت مع عزم أنه يحكم مملكته وانه هو المسؤل عن سياسة سلطنته زيادة عن أى واحد من الملوك الذين سلفوه من بيته وكان مهما جليل القدر الا انه كان قاصر العقل لا قريحة عنده يدبر بها قواعد سلطنته الا فى تمام مرغوبه وكان على كراهة شديدة من كبار رجال مملكته وعلى حسد شديد لهم وعزم على عدم تنفيذ أى عمل الا ما يسمح به أو يستصوبه مادام موجودا على كرسى مملكته ورغب أن يكون هو الحاكم الحقيقى لمملكته وخالصا من مناقضات الاحزاب السياسية ومن ثم صار رجلا صلبا عنيدا لا يطاق وتولد من أشغاله عدة تغييرات كبيرة فى هيئة الحكومة وذلك أنه فى مدة السلطنتين السابقتين كان حزب الاحرار هو القابض على زمام الشوكة وكانت تربية الملك الشاب مدبرة بالخصوص بمعرفة (لورد بوط) رجل شريف اسكوطلندى مضاد للاعمال السياسية الواقعة ومن ثم ساقه ميله نحو حزب المحافظين فتولد من ذلك تغيير فى الوزارة وتمتع حزب المحافظين المطرودين من مدة طويلة من مصلحة النظارة بتعيين لورد بوط نائب الملك ووزير أعماله وصار لهم قوة عظيمة وكذا تولد من عفة جورج الداخلية تغييرات بفوائد عظيمة فى عوائد الطوائف العالية وقاسمته زوجته (البرنسيسة كارلوطه) صاحبة (مكلنبورغ سطر يلطز) فيما هو عليه من حسن النية وبساطة الاشغال حتى انه من عهد سلطنة شارلس الاول كانت هذه أول مرة سار فيها الديوان الانكليزى فى عفة وسعادة فى المملكة وفى أثناء ذلك كان حرب السبع سنوات جاريا مع الشدة تحت ادارة بيط وزير الاعمال الخارجية وفى سنة ١٧٦١ بعد الميلاد تغلبت الاساطيل الانكليزية على جزيرة دومنيكه فى الهند الغربى وعلى بلسل على ساحل بريطانى وفى عين هذا الوقت شكلت فرانسا اتحادا أهليا مع اسبانيا ونابولى كفلوا به حماية أملاكهم وكان بيط فى هذا الوقت فى مخابرة مع فرانسا من أجل عقد صلح

فبنى هذه المعاهدة على صورة تهديد انكلتره وفسخ المخابرة وحض على سرعة اعلان الحرب على اسبانيا فرفض حزب السلم فى الوزارة تحت رياسة بوط ما قاله الرئيس الاكبر واستعفى بيط من وظيفة نظارته ورفض كل تقدمة صدرت له من الملك ما عدا معاشا مقداره ٣٠٠٠ ليره كل سنة ولقب بارونة شاتام لزوجته وصار لورد بوط رأس الوزارة الجديدة فمن بعد مضى قليل أعلنت هذه الوزارة

رغم أنفها بحرب على اسبانيا فى سنة ١٧٦٢ بعد الميلاد وهجم الانكليز فى الهند الغربى على كل شئ موجود أمامهم وخسر الفرنساويه أملاكهم فى تلك الجهة غير أن الفائدة الكبرى كانت هى التغلب على هافانه من الاسبانيين فخسر الاسبانيون فى هذا الوقت أربعة عشر شراعا من الدرجة الاولى وكنوزا بلغ قيمتها نحوا من ثلاثة ملايين ليره وكانت اسبانيا أيضا منكوسة فى الجهة الشرقية وعلى البحور وتغلب الانكليز على مانيله عاصمة جزائر فيليبين بواسطة حمله توجهت اليها من مدراس وتغلبت الدوارع الانكليزية على غليونين كبيرين مشحونين بفضة من أمريكه وكذا كان محالفو الانكليز فى جرمانيا فى غاية من النصر ثم صار غلاق الحرب بواسطة معاهدة عقدت فى باريس فى ١٠ فبراير سنة ١٧٦٣ بعد الميلاد تنازلت فيها فرانسا الانكلتره عن (كناده ـ وسكوطيه الجديدة ـ ورأس بريطون ـ وطوباغو ـ ودومونيقه ـ وسنت فنسن ـ وغرنياده ـ وسنغال) الا أن لها حق غوص اللؤلؤ على سواحل جزيرة الارض الحديثة العهد المسماة (نيوفاوندلند) وجزيرتين صغيرتين محطات للغواصة وأعيدت مينورقه باستبدالها (بيلسل) وتنازلت اسبانيا عن فلوريده فى نظير (هافانه) وفى نفس هذه السنة عقد الصلح بين بروسيا وأوستريا بواسطة معاهدة عقدت فى هوبرطسبورغ تقرر فيها البروسيا دوام وضع يدها على صليسيا وعارض بيط فى الصلح الذى حصل فى باريس بقوله ان هذا غير موف بالنقود التى صرفت فى الحرب وكانت رغبة الملك من حصول الصلح فى الخارج تجمع أفكاره المتشتتة وحصرها فى الاعمال الداخلية لمملكته تحت حكمه ورغب أن يكون تمام ذلك بمعرفة مجلس المبعوثان غير أن هذا المجلس كانت أعماله واقفة من مدة طويلة فى نيابته عن الامة الانكليزية لان النيابة كانت محولة على أولاد البلد من المدائن وكانوا محكومين بكبار الاشراف ووجوهها فكانوا يوجهونهم فى أغراضهم كيف شاؤا وتجردت الامة الانكليزية من شوكة حقوق انتخاب نوابها من البرلمان حتى انه من ٨،٠٠٠،٠٠٠ نفس انكليزى ما كان يوجد الا ١٦٠،٠٠٠ نفس فقط مستحوذون على حقوق الانتخاب وكانت الكراسى تباع وتشرى جهارا فى مجلس المبعوثان وكان كل مالك لقرية موجها التفاته دائما نحو المنتخبين وأما المدائن الكبيرة مثل منشستر أوبيرمنغهام فما كان لها نواب فى مجلس المبعوثان وكان الملك يبذل مجهوده فى زيادة حزبه فى مجلس المبعوثان فيشترى كراسى لمعاضديه وكانت المدخولات الملوكية تصرف فى شراء الاصوات فى المجالس وفتحت فى مدة وزارة بوط وظيفة فى المالية من أجل رشوة الاعضاء فقيل انه صرف فى يوم واحد ٢٥،٠٠٠ ليره فى خصوص البرطيل وفى أثناء هذا الفساد الذى كان جاريا على غير منوال موافق للتاريخ الانكليزى صارت الامة نفسها الامساعدلها وظهر على وجوهها الغضب فتولد منه عدم ارتياح كان عمومية استمرت موجودة فى المملكة مدة السنى الاولى من سلطنة جورج الثالث ثم أخذ هذا النفور فى الزيادة حتى التزم اللورد بوط الذى هو السبب الاصلى فى هذا الفساد على الاستعفاء من وظيفته فى سنة ١٧٦٣ بعد الميلاد فالتزم الملك أيضا رغم أنفه أن يطلب بيط من أجل تشكيل وزارة جديدة غير أن بيط لم يقبل هذه الوظيفة الا على شروط ينقاد الملك اليها ثم عهد تشكيل الوزارة الى (جورج غرانفيل) فكان أول الاعمال التى حصلت من تعصب هذه الوزارة الجديدة المنازعة مع المطابع المتكفلة بالمدافعة عن أمر الامة الانكليزية المغلوب على أمرها ومحلات معروفة بمجلس استئناف واستغاثة فى فصل الفساد الواقع من مجلس المبعوثان وخاطرت المطابع بنفسها فى مناقضة أعمال

هذا

هذا المجلس وأشغال الحكومة مع الشدة حتى أغضبت كلا من الملك والبرلمان وكانت سببا فى طرد (لورد بوط) من الوزارة وكان يوحنا ويلكس أحد أعضاء البرلمان من علسبورى ومحرر جرنال يقال له (البريطون الشمالى) ذكر جملة سفيهة فاحشة فى أقوال الملك للبرلمان ان الصلح شرف للملكة واتهم الملك بأن ما قاله من الاكاذيب وأنكر صلح باريس وقدح فى حق الوزارة ومن أجل خطئه وقوله فى حق الوزارة مات فى أسوء حالة وذلك أن الوزير الجديد أمر بالقبض عليه برخصة عامة يعنى لاذكر لاسم أحد فيها وأرسله الى حبس البرج غير أن اللورد القاضى الرئيس أمر بالافراج عنه لانه عضو من أعضاء البرلمان وقرر مجلس البرلمان بأغلبية الآراء أن نمرة الجرنال المذكور فيها هذه الاقوال زور وبهتان وانها مهيجة لاستتباب الأمن وانه لابد من حرقها بيد الجلاد العام وفى أثناء ذلك دخل ويلكس فى تحقيق قضيته على الوزير الاول للقبض عليه وسجنه بدون وجه شرعى وأخذ فى نظير ذلك ١٠٠٠ ليره خسارته وعقابا على الرخصة العامة وحضنت الامة الانكليزية أمر ويلكس والمطابع بما أن الامة كانت تراعى أن حريتها محصورة فى شخصه ومع هذا فان الحكومة دامت على الجور على ويلكس حتى طرد من البرلمان وهرب الى فرانسا ثم عاد منها فى سنة ١٧٦٨ بعد الميلاد فصار انتخابه عضوا للبرلمان من أجل اسكس الوسطى غير أن المجلس ما قبل وجوده فيه وتولد من أعماله الاولية فى مقاومته الحكومة مراعاة أنه حامى الحرية وحصل من أجله عدة ثورات فى جهات عديدة وأعاده أهل اسكس الوسطى أربع مرات الى مجلس البرلمان رغما عما كان عليه المجلس من عدم قبوله وفى سنة ١٧٦٩ أقام دعوى على لورد (هاليفكس) من أجل ضبط جرناله فاكتسب ٤٠٠٠ ليره خسارة وصار لورد والى لوندره بالفعل وأخذ محله فى مجلس المبعوثان واجتهدت الحكومة فى تأبيد سطوتها على المطابع الموجودة فى المملكة فقامت عليها عواصف المضادة حتى التزمت على ترك موضوعها الغير قانونى ومن ثم توطدت حرية المطابع فى انكلتره ثم تولد من عدم التدبير الذى ساق الحكومة الانكليزية الى اجتهادها فى وضع كمام على فم المطابع شروعها فى نشر شوكتها الاستبدادية على مستعمراتها الامريكانية وذلك أن الملك أعلن بان له الحق فى ضرب عوائد على المستعمرات المذكورة الا أنها من أجل حمايتها جحدت هذا الحق ولذلك حصلت مشاجرة آل أمرها الى حرب بين بريطانيا الكبرى ومستعمراتها كانت نتيجتها أن نالت تلك المستعمرات استقلاليتها تحت اسم الممالك المتحدة بأمريكا أما أسباب هذا الحرب فسنذكرها ان شاء الله فى تاريخ أمريكا فى هذه المدة وفى سنة ١٧٧٨ بعد الميلاد عقدت فرانسا «وكانت من مدة طويلة منتظرة فرصة الانتقام من انكلتره فى نظير فقد كنادة» محالفة مع الممالك المتحدة وساعدتها بالمال والرجال وكذا فى سنة ١٧٧٩ انضمت اسبانيا مع فرانسا ضد بريطانيا الكبرى وحاصر اقلعة جبل طارق فدامت هذه القلعة على الحصار ثلاث سنوات وسبعة أشهر تحت قيادة ومدافعة الشجاع عليوط المحافظ الانكليزى عليها

وفى سنة ١٧٨٠ بعد الميلاد أعلنت انكلتره حربا على هولنده التى كانت على شرف أن تساعد الامريكانيين ثم ان روسيا ودانيمارقه واسويج انضموا فى حيادة مسلحة ليقهروا انكلتره على ترك دعوى أن لها الحق فى التفتيش على المراكب الحرة فى البحر فى أثناء الحرب وصار الآن عموم الدنيا متحدة ضد انكلتره لكنها حافظت على شرفها وسيادتها فى البحر لان الاميرال جورج رودنى فى سنة ١٧٨٢ هجم على الاسطول الفلمنكى بالقرب من رأس سنت فنسنت ودمر جميع مراكبه ما عدا

أربع مراكب فانها هربت الى مينة كاديس ثم ان رودنى أقلع باسطوله الى الهند الغربى وهناك فى ١٢ ابريل سنة ١٨٨٢ أعدم الاسطول الفرنساوى تحت قيادة (كونت دوجراس) وفى سبتمبر وقعت على الاسطولين الفرنساوى والاسبانيانى هزيمة فى جبل طارق وانغلق الحرب بعد ذلك وفى شهر نوفمبر صار التوقيع على معاهدتى باريس وفرسايل وبمقتضاهما أعادت انكلترا مينورقه وفلوريده الى اسپانيا وقررت استقلالية الممالك المتحدة وأبقت فى حوزتها كادة واقليم (خليج هودسن ـ ونوفه اسكوطيه ـ ونيوبر ـ ونسويك ـ ونيوفوندلند)

ثم أعقب هذه الحوادث هياج ثورة مهولة فرنساوية ومن الاسباب المختلفة التى تولدت عنها هذه الحادثة الكبيرة ثلاث أحوال ظاهرة جدا وهى أولا ظلم الطوائف الواطية بواسطة كبرا الاشراف ووقاحتهم ثانيا الحاد كتابة هؤلاء الناس مثل فولطير وروسو ثالثا عدم تدبير الحكومة الفرنساوية فى زيادتها الضرائب بالقوة الجبرية وزاد غضب الامة الفرنساوية زيادة كبيرة من انتشار القائلين بالجمهورية وأعقبت هذه النشرة حضور العساكر الذين جاؤا من الحرب الاستقلالى للايالات المتحدة بامريقه ثم ان العواصف التى أخذت فى التجمع من مدة انفجرت أخيرا فى سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد فاجتمع مجلس المملكة وكان مؤلفا من ثلاث طوائف الامة وهم الاشراف والقسس والعوام وانعقد فى فرسايل بغاية الصعوبة وتلقب بلقب المجلس الاهلى وأرغم الطائفتين الاخيرتين على الجلوس معه فى قاعة واحدة فتولد مما حصل من تغيير النظام هيجان شديد ومن بعد مضى شهر هجمت الامة الفرنساوية على الباستيل وخربوه واجتمع أهل العاصمة وتشكلوا فى صورة خفر ملى وجعلوا لهم علما مركبا من ثلاثة ألوان دلالة على الاتحاد والاخوة والمساواة وفى هذه الحالة صارت الطوائف الواطية أسيادا باريس وألغى المجلس الملى فى ليلة واحدة امتيازات حزب الاشراف وصار تجريد خدمة الدين أيضا وضبطت أراضى الكنيسة بصفة أنها أملاك الامة وتولد من هذه التغييرات زيادة الهياج فى أنحاء فرانسا ولما رأى معظم كبار الاشراف ماهو حاصل من الضرر ترك المملكة وتوجه ناجيا بنفسه وبقى الملك لويز السادس عشر مع غاية الهدو الى حد يونيه سنة ١٧٩١ حتى أزعجه هياج الثائرين فى آخر درجة كبيرة منهم فاجتهد فى الهرب الى فرانسا غير أنه قبض عليه وأعيد الى رياسة الحكومة فعقد ليوبولد امبراطور جرمانيا معاهدة مع بروسيا من أجل الدخول فى أعمال فرانسا وفى مبادى سنة ١٧٩٢ عبرت جيوشهما المتحدة مصحوبين بكثير من مهاجرى الفرنساوية من الاشراف حدود فرانسا وأرغموا القوى الفرنساوية على الهرب فتولد من هذه الغارة غضب أهل باريس وقالوا ان الملوك ثاروا مضادين لحريتهم فمن ثم لايكون للملك أدنى حكم فى باريس ولا سلطة فيها وأغار الاوباش مرتين على سراية التوارى ولما هرب لويز وأوى الى المجلس الملى خيفة على نفسه من غضب الاوباش خلعوه من الملك وأرسلوه مع عائلته الى سجن الهيكل ثم أعلنوا بالجمهورية ووقعت أزمة الحكومة فى أيدى رجال مثل (دانطون ـ وماراط ـ وروبسبير) وانتزعت الرحمة من قلوب رجال الجمهورية الذين يرى عليهم أدنى نفور من الثورة وفى شهر ديسمبر ذبح نحو من ٥٠٠٠ نفس فى سجون باريس ووقف عموم أوروبا على قدم واحد مدهوشين من جنون فرانسا ولما أصدر المجلس الملى أوامره وأعد فيها المساعدة لعموم الامم الذين يرغبون التمتع بالحرية فى باريس

التزمت الدول الكبيرة من أجل المحاماة عن نفسها على حمل السلاح ضد أمة غرقت فى سفك الدماء وقصدت حصول الثورات فى أنحاء الدنيا وتولد من قتل لويز السادس عشر طرد السفير الفرنساوى من لوندره واتحدت انكلتره وهولنده واسبانيا مع أوستريا وبروسيا فى فبراير سنة ١٧٩٣ من أجل توقيف انتشار الفوضى وسفك الدماء الذى وقع من فرانسا وما ظهر من اتحاد دول أوروبا الا زيادة انتشار الغضب عند الفرنساوية وألغيت الديانة المسيحية وغلقت الكنائس وتسلطن الفزع وقام على ساقه تحت تأثير آلة قطع الرقاب واستمر بدون انقطاع وعم القتل فى المملكة حتى هلك كافة القواد القائمين على الجمهورية واحدا بعد آخر وقد قدر أنه فى السنتين الاولين من الثورة قتل من أهل فرانسا ما ينوف عن مليون وفى سنة ١٧٩٣ بعد الميلاد أرسل جيش انكليزى تحت قيادة دوق يورك للاشتراك مع الاوستريانيين فى نواحى بلجيقا غير أنه ما حصل له الا مظفرات قليلة وأعلنت طولون فى جنوب فرانسا بأنها من الحزب الملوكى وسلمت للاسطول الانكليزى تحت قيادة لورد هود وصار الهجوم على المدينة المذكورة بجيش مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس من عساكر الجمهورية وكان من ضمن هذا الجيش ضابط شاب طو يجى اسمه نابليون بونابارتو من أهل جزيرة قورسقه ظهرت نباهة أعماله العسكرية أول مرة فى هذا الهجوم والتزم الاميرال هود بترك طولون وأخذ معه ١٥٠٠٠ نفس من المهاجرين منها وكانت سنة ١٧٩٤ بعد الميلاد دوخيمة فى البر على انكلتره وأما فى البحر فكانت على مظفرات عظيمة وطرد الفرنساوية القوى المتصالفة من فلندره وأرغموهم على قهقرة عادت عليهم بالويل والثبور الى هانوفر وصار الفرنساوية أسياد هولنده وعاد الجيش الانكليزى الى انكلتره فى فصل الربيع القابل ومن جهة أخرى تغلب لورد هود على جزيرة قورسقه وظهرت فى هذه الواقعة شجاعة (هوراطيو نيلسون) وهزم الاميرال هود أسطول بريست على مسافة من أوزهنت وتغلب على اثنتى عشرة سفينة من سفائن الدرجة الاولى وفى سنة ١٧٩٥ بعد الميلاد انسحبت بروسيا واسبانيا من الاتحاد ضد فرانسا ودخلت هولنده من أجل سعادة حالها مع الجمهورية الفرنساوية وأعلنت انكلتره حربا على هولنده وتغلبت على مستعمرة رأس عشم الخير فى جنوب افريقا التابعة للفلمنك وبعض أملاك أخرى فى الهند الشرقى والغربى وتشكلت حكومة فى فرانسا أطلق عليها اسم حكومة النظارة الا أن التغيير كان غير مرضى عند أوباش باريس حتى ان النظارة ما خلصت من هلاكها الا بواسطة بونابارتو فانه شتت أوباش الثائرين أمام سراية التولرى بطلقة نار واحدة وجهها عليهم واشتهرت السنة التالية بالحرب الذى اشتهر فيه نابليون بونابارتو وانتصر فيه نصرة كاملة فى ايطاليا الشمالية وانكسرت فيه دولة أوستريا ومحالفوها كسرة كبيرة وانضمت أيضا اسبانيا الى فرانسا وأعلنت حربا على انكلتره واجتهدت الحكومة الانكليزية فى عقد صلح فخابت فى سعيها من الطلبات العالية التى طلبتها نظارة فرانسا منها وشرعت جمهورية فرانسا فى استعداد المواد اللازمة للغارة على بريطانيا واتفقت على انضمام أساطيل هولنده وفرانسا واسبانيا ودمار الاسطول والسفن الانكليزية من كافة البحار وسعى الفرنساوية مع شدة عنفوانهم فى الغارة على ارلنده والويلس الا أنهم ما نجحوا فى ذلك بسبب نزول عاصف على الاسطول الذى كان معدا للغارة على ارلنده فشتت شمله وبدد سفنه وفتحت سنة ١٧٩٧ بازالة بعض الظلام الذى كان مخيما على انكلتره بما حصل من النصرة الفخيمة التى حازها الاميرال جرفيس والرئيس نيلسون على الاسطول الاسبانى على مسافة من رأس سنت فنسنت فى ١٤ فبراير

وكان الفرنساويون منصورين فى كل جهة وما بقيت دولة من دول أوروبا تقاوم مطامعهم الا انكلتره وكانت من سوء حظها الاطاقة لها على جمع قوة قوية تجلبها فى مواجهة العدو وثقلت الضرائب واشتد كربها وتولد من خوف الغارة على انكلتره أن غالب الاهالى فروا نحو السواحل و وقفت جباية الاموال ووجد أرباب الجمهورية كثيرا من الذين يميلون اليهم من كثرة زيادة الضرائب والجوع الحاصل عند الاهالى وكانت ارلنده على الخصوص منبع القلاقل للحكومة فصار توقيف قانون المحبوس و وضعت الجواسيس على الناس المرتاب فيهم وصار تقوية القوانين وأخذ الاحتياطات اللازمة مع العنف وانتشر الغضب والنفور الى الاسطول الذى عليه مدار حفظ سلامة المملكة وفى أثناء فرح الناس بما وقع من نصرة رأس سنت فنسنت انفجرت ثورة مهولة فى أسطول الخليج فى سبيتهد ثم بعد ذلك فى أسطول الشمال فى (فور) وكان الثائرون فى الاسطول متضررين من قلة مرتباتهم وشدة الضغط الواقع عليهم وعدم مساواتهم فى تقسيم نقود الجوائز فسحبوا المراكب وعبروا بها التميس ور بطوها ومنعوا الاشغال فيها مع العاصمة حتى ينظر فى اصلاح المضار الحالة بهم وفى الوقت الذى يقال لهم فيه توجهوا بالاسطول الى فرانسا فأخذت هذه الثورة باصلاح حالة البحرية غير أنه صار قتل زعماء الثورة ثم أزالت البحرية قباحة ما وقع منها من الثورة بنصرة الاميرال دونكان على الاسطول الفلمنكى فى نواحى كامبرداون فى ١١ أقطوبر

وفى غرة أغسطس سنة ١٧٩٨ دمر الادميرال نيلسون الاسطول الفرنساوى فى الواقعة التى حصلت فى أبى قير التى سبق الكلام عليها فى تاريخ فرانسا وفى مبادى سنة ١٧٩٩ بعد الميلاد ساق نابليون عساكره الى سوريا فتغلب على غزة ويافا وخاب فى تغلبه على عكا بواسطة شجاعة سيدنى سميث و بعض البحرية من الانكليز ولما عاد نابليون الى مصر أزعجته الاخبار التى وردت اليه من فرانسا وكانت سببا فى تركه جيشه وسرعة توجهه الى فرانسا وكانت العساكر الروسية هزمت الفرنساوية فى ايطاليا ومن ثم خارت النظارة وضعف أمرها فكان عود نابليون سببا فى تغيير هيئة الاعمال وبواسطة نفوذه وقوته صار الغاء النظارة وتعيين ثلاثة قناصل بدل هذه النظارة كان نابليون أولهم وخابت حملة انكليزية على هولنده تحت قيادة دوق يورقه الا أن نيلسون حصلت منه المساعدة فى التغلب على نابولى وكانت السنة التالية من أجل السنين التى وقع فيها الظفر لفرانسا وذلك أن نابليون عبر جبال الالب وأعاد فتح ايطاليا ثانيا بواسطة ما حصل له من الظفر فى واقعة مارنغو فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ بعد الميلاد ومن بعد مضى قليل تولد من نصرة حوحيلندن من أعمال بافاريه بواسطة جنرال آخر فرنساوى الزام أوستريا على عقد صلح وكانت المظفرة التى حصلت للانكليز هى اكتساب مالطه فقط الا أن انكلتره تهددت بخطر جديد هو احياء الحيادة المسلحة لروسيا واسويج ودانيمارقه ومع هذا فكانت سنة ١٨٠١ بعد الميلاد سعيدة الطالع عند الجيوش الانكليزية وذلك أن جيشا انكليزيا تحت قيادة (الجنرال ابركرومبى) نزل على ساحل مصر وهزم الفرنساوية فى نواحى الاسكندرية الا أن المنصورين فقدوا قائدهم الشجاع فى هذه الواقعة وفى نحو هذا الوقت أقلع الاميرال نيلسون الى بحر بلطق وكسر الاسطول الفلمنكى وضرب على (كوبنهاغن) الضرب المتواتر وأرغم الدانيمارقيين على الانقياد للهدنة وعدم الحرب فكانت نصرة نيلسون تجهيزا للاتحاد الشمالى وانفسخ أمره فى الحال بواسطة قتل القيصر بول فاستصوب خليفته سياسة مغايرة لسياسة سلفه فى الانضمام الى أمر انكلتره

والاتحاد معها وفى نحو غلاق السنة جرت المخابرات من أجل الصلح وانتهت بعقد معاهدة اميانس فى ٢٧ مارث سنة ١٨٠٢ بعد الميلاد واتفقت انكلترة فى هذه المعاهدة على عود ما فتحته من المستعمرات ماعدا جزيرة سيلان وطرينيداد وأن تعطى مالطه لفرسان القديس يوحنا ومصر لتركية وأبقت فرانسا البجيقا والشط الايسر من نهر الرين وصافوا ـ وجانوفر ـ ونيس واتفقت على أن تنسحب من الاراضى الرومانية والنابولطانية وتكفلهما بالمحافظة على بقاء الدولة البرتغالية وما كان صلح اميانس شيأ الا هدنة فقط تمكن بها النابليون طبخ آرائه واستواء تصميماته

وفى وقت جلوس جورج الثالث شرع الرومان كاثوليك فى ارلنده فى دلائل حركة كان القصد منها حصول اصلاح فى برلمانهم وازالة القوانين الجورية ورتبوا ما يقال عنه بالاولاد البيض بسبب ما كان عليهم من الملبوس الابيض وأظهروا الانفسهم شهامة وما وقع من الرومان كاثوليك جبن فى قبولهم الرضا بأن يكونوا فى صفة جنس دنىء الشوكة حتى ان البروتستانت أهل الكنيسة الذين هم فى الحقيقة حكام ارلنده ابتدؤا فى كونهم يستقبحون طلب انكلترة أن يكون لها السلطة على الاعمال الشرعية النيابية فى البرلمان الارلندى والحدود التى وضعت على التجارة الارلندية وكان الحرب مع المستعمرات الامريكانية ترك ارلنده من دون قوة صالحة لمحافظتها فأدرج البروتستانت أنفسهم فى عساكر متطوعة من أجل حماية الجزيرة وبلغ مقدارهم ٨٠٠٠٠ مقاتل ورتبوا أنفسهم فى قوة متسلحة ليغتصبوا من الحكومة الانكليزية امتيازات تجارية وفوائد استقلالية شرعية وفى حالة أخذ هذه الحركة فى زيادة القوة فى ارلنده انفجرت الثورة الفرنساوية وشحنت قلوب الارلنديين بالحمية والحماس ونسى بروتستانت الشمال والكاثوليك الموجودين فى جهتى الغرب والجنوب من الجزيرة ماهم عليه من الاختلافات الديانية وانضم بعضهم فى جامعة واحدة أطلق عليها اسم جامعة رجال ارلنده من أجل فصل ارلنده من بريطانيا الكبرى وصيرورتها جمهورية فى سنة ١٧٩١ بعد الميلاد ففزعت الحكومة من مثل هذا الاتحاد ومنحت للرومان كاثوليك بعض امتيازات وأمرت بمنع اجتماع هذه الجمعية الجديدة الا أنه كان يوجد فى الاصل مخابرة مع الجمهورية الفرنساوية فانتشرت جمعيات فى السر فى أنحاء الجزيرة واستعدوا للقيام ثورة عندما تعبر العساكر الفرنساوية البحر الا أنه لما خاب الارلنديون من عدم ورود مساعدات من الخارج لهم عولوا فى سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد على أنفسهم وعينوا يوما من أيام شهر مايو من هذه السنة يقيمون فيه بيرق العصيان ولما استشعرت الحكومة بهذه الدسيسة قبضت على زعماء الثورة ومن ضمنهم لورد (ادوارد فيطز غيرالد أخو دوق لنسطير ـ وروبرت اميط) فاما فيطز غيرالد فانه جرح جرحا مهلكا فى أثناء الزعزعة التى قامت من أجل القبض عليه ومن ثم قامت الثورات فى جهات متعددة من المملكة غير أنها كانت شديدة جدا فى نواحى ويكسفورد وحصن العصاة أنفسهم فى جبل (فنجر) بالقرب من (انسكورطى) وحصل الهجوم عليهم فى هذه الجهة بواسطة الجنرال لالك فى رأس قوة كبيرة ومن بعد أن قاوموا مع الشدة مسافة ساعة ونصف انكسروا وهربوا فى كل ناحية

ومن بعد مضى شهرين من حصول الثورة نزلت قوة فرنساوية مؤلفة من ٩٠٠ نفس تحت قيادة (هومبرط) فى خليج كيلالا وزحفت هذه القوة فى داخل المملكة وهزم (هومبرط) الجنرال لالك فى نواحى كاستلبار ومن بعد مضى بضعة أيام وقعت الاحاطة به فى نواحى لنغفورد والتزم على التسليم

ثم رأى عصاة الارلنديين أنه لا طريقة لهم أحسن من ربط العلاقات مع انكلتره واتحاد انكلتره وارلنده في جامعة واحدة فعزموا على ذلك وعلى انضمام برلماني المملكتين في واحد كما حصل في اسكوطلنده فكان هذا الانضمام غير مرضي في ارلنده غير أنه من بعد مداولات ومجادلات صدرت لائحة الاتحاد في غرة يناير سنة ۱۸۰۱ بعد الميلاد ومن هذا الوقت صار ينوب عن ارلنده في البرلمان الملوكي أربعة من كبار الوردات وثمانية وعشرون من الامراء والاعيان ومائة من العوام أو المبعوثان وصار للامتين امتيازات تجارات واحدة واستمرت القوانين على ما كانت عليه حتى وقع التبديل بواسطة البرلمان الملوكي وانضم صليب سنت باطريق الى كل من صليبي سنت جورج وسنت اندريو وصار علم اتحاد المملكة المتحدة وهي بريطانيا الكبرى وارلنده وفي هذا الوقت أبطل ملك الانكليز لقب وارمة ملك فرانسا وكان غيليوم بيط بن ارل شاتلم في رأس الوزارة من مدة طويلة فاعتقد أن الاتحاد لا يمكن أن تحمد عاقبته من جهة ارلنده ما لم يصر الغاء القوانين الجنائية الصادرة في حق الرومان كاثوليك فأشار على الملك في قبول هذا الامر فلم يرض الملك بذلك فمن ثم استعفى بيط من وظيفته ومهما وقع من الاتحاد فان العصيان والنفور ما زالا واقعين في ارلنده وذلك أنه في سنة ۱۸۰۳ بعد الميلاد هاجت ثورة في شوارع دبلين غير أنه صار اخمادها في ليلة واحدة وقتل روبرت امّيط بسبب اشتراكه في هذه الثورة واستمرت الامة الارلندية في مدة ما بقي من السلطنة في استتباب أمن وابتدأت في أن تجني ثمرات الاتحاد بواسطة زيادة التجارة وعموم الفلاح

ثم انه من بعد مضي شهرين من معاهدة اميانس صار انتخاب نابليون قنصلا مدة حياته واتضحت مطامعه وترددت الحكومة الانكليزية في عود مالطه ثانيا وتضرر نابليون من التأخير ومن المعاضدة الحاصلة من انكلتره لمهاجري الفرنساوية الواردين اليها وعود مخاطباته باستعدادات كبيرة بحرية فلما استعد نابليون في أعماله وتم أشغاله أعلن حربا على انكلتره وقبض بالفعل على نحو ۱۰،۰۰۰ نفس من الانكليز الموجودين في فرانسا لاز يارة والتجارة وسجنهم الى أن تم الصلح في مايو سنة ۱۸۰۳ واحتلت عساكره في الحال (هانوفر - وبريمن - وهامبورغ) وأما الاسطول الانكليزي فانه عاث في البحار وتغلب على مستعمرات العدو الا أن المشروع الاكبر الذي كان مصمما عليه نابليون هو الاغارة على انكلتره فمن ثم شكل معسكرا في بولونيه وجمع من سفن النقل مقدارا وافرا من أجل نقل جيشه الى بر انكلتره وصرف سنة ۱۸۰٤ بعد الميلاد في استعدادات هذا المشروع الكبير وفي ظرفها أعلن بأنه امبراطور الفرنساوية وكان من رأيه خديعة الاسطول الانكليزي في الخليج وبواسطة الاساطيل المتحدة لفرانسا واسبانيا يلمنع كل شيء معارض له في طريقه الى انكلتره وأما في انكلتره فانه صار أخذ الاحتياطات اللازمة لقمع هذه الغارة وذلك أنه صار تقليد بيط مرة ثانية زمام وظيفة وزير أول وجمعت انكلتره نحوا من ٤۰۰،۰۰۰ نفس من متطوعيها تحت السلاح وسافر نيلسون في أسطول كبير من أجل مراقبة حركة العدو وحطمه وبواسطة ما دبره بيط من عظيم السياسة دخلت روسيا وأوستريا واسويج في محالفة مع انكلتره ضد فرانسا وفي مبادي سنة ۱۸۰٥ بعد الميلاد كانت تصميمات نابليون استوت ونضجت لاجرائها وهرب اسطول طولون تحت قيادة (فيلنوف) من بطش نيلسون وانضم مع الاسطول الاسباني في نواحي قاديس وسافر الكل نحو الهند الغربي من أجل خروج الاسطول الانكليزي وبعده عن أوروبا فتوجه نيلسون نحو الجهة الغربية مع شدة

الحركة

الحركة فى السير تابعا لهم الا أنه ما رأى شيأ من آثار العدو وعاد فيلنوف الى أوروبا من بعد أن نجح بحيلته فى طرد عدوه الى مسافة بعيدة وظهر لنجاحه فى الجملة وانتصاره على كل ما وجد أمامه من المصاعب ثم التقى الاميرال الفرنساوى مع روبرت كالدر فى الجهة الغربية من رأس فينستر وكان روبرت أرسل لمراقبته فى هذه الجهة وفى ٢٢ يونيه سنة ١٨٠٥ بعد الميلاد صدم روبرت كالدر فى الحال الاساطيل المتحدة تبعا كان معه من القوة الهزه وأخذ سفينتين اسبانيتين وعجز العدو حتى ان فيلنوف بدل أن يتوجه الى الخليج من أجل توطيد سلامة عبور عساكر نابليون الى بريطانيا انسحب بمراكبه الى (فوريل) من أجل الترميم ومنها الى قاديس فتولد من ذلك وقت كاف الى نيلسون فى قمع مشروع نابليون وفى ٢١ اقطوبر سنة ١٨٠٥ بعد الميلاد التقى نيلسون وكان معه سبعة وعشرون نشراعا بالاساطيل المتحدة من فرانسا واسبانيا وكان تعدادها ثلاثا وعشرين سفينة على مسافة من رأس طرفلغار ونشر رايات علامة على (ان انكلترة منتظرة كل انسان يجرى ما يكون واجبا عليه) وهجم الاميرال الانكليزى على أسطول العدو الا أنه فى وقت النصر أصاب الاميرال نيلسون عيار نارى كان سببا فى موته بعد ذلك بقليل وحصل للانكليز النصر العظيم وخسر العدو تسع عشرة سفينة و ٢٠,٠٠٠ أسير وتكسر الاسطول الفرنساوى واستمرت السيادة البريطانية فى البحر بدون خصيم لها وفى أثناء ذلك فك نابليون معسكره من بولونية وساقه غائرا على أوستريا وأرغم ٣٠,٠٠٠ نفس أوسترياني تحت قيادة ماك فى عولم على التسليم فى ٢٠ اقطوبر ودخل فيانه وهزم الاوستريانيين والروسيين فى أوسطيرليطز فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ وكان نجاح الفرنساوية فى البرسيا فى كسر شهامة بيط فمات مما حصل له من الغم والحزن فى يناير سنة ١٨٠٦ فى عنفوان شبابه وعمره ٤٧ سنة ومن بعد مضى بضعة شهور سار خلفه الى القبر خصيمه الاكبر فوكس وفى هذه السنة استمر تيار نجاح نابليون آخذا فى الزيادة بسرعة فجعل أخاه يوسف ملك نابولى وأخاه الآخر لويز ملك هولنده وجمع الايالات الصغيرة الجرمانية فى جامعة واحدة عرفت بالاتحاد الرينى تحت حمايته وألزم فرنسيس صاحب أوستريا بتنازله عن لقب امبراطور جرمانيا وخاطرت بروسيا فى عداوته له فأخضعها فى يوم واحد بواقعة حصلت فى جانه وما بقى من ممالك أوروبا الا انكلترة وروسيا هما اللتان على استقلاليتهما ولما عجز نابليون عن وصوله مع جيشه لامة كانت مرعية عنده بانها أمة أرباب دكاكين اجتهد فى دمار التجارة الانكليزية باصدار أوامر برلين المشهورة معلنا فيها بان الجزائر البريطانية فى حالة الاحاطة وأمر بغلق مين أوروبا فى وجوه المراكب الانكليزية ومنع دخولها فى أى مينة كانت وامتنعت انكلترة من معاملاتها التجارية مع فرانسا أو حلفائها واشتملت أوامر نابليون الصادرة من برلين ومن ميلان على القبض على الصادرات الانكليزية فى أى جهة وجدت فيها وعلى كافة السفن الموجودة على الحيادة التى تحف المين الانكليزية وبهذا أمل تجريد انكلترة من تجارتها التى تكون فى مراكب الحيادة فأصدر البرلمان فى نظير ذلك لائحة مقتضاها أن مراكب الحيادة لو قصدت أى مينة من المين الداخلة فى خط الاحاطة ثم حفت المين الانكليزية فجزاؤها القبض عليها فتولد من لائحة البرلمان هذه وقوع كثير من الفظائع على حقوق الامم الموجودة على الحيادة وكان سببا فى اشتباك انكلترة من مدة طويلة فى حرب جديد وفى سنة ١٨٠٧ بعد الميلاد زحف امبراطور الفرنساوية على روسيا فوقعت واقعة غير فاصلة فى (ايلو) أعقبها واقعة منصورة اكتسبها نابليون على

الروسيين فى فريدلند ومن ثم رغب امبراطور الروسيين اسكندر الاول فى عقد شروط صلح مع نابليون وعقدت معاهدة طيلسيط فى ٧ يوليه وشكل نابليون من نصف الاملاك البروسيانية مملكة عرفت بمملكة وسطفالية وسلم زمام سلطنتها الى أخيه جيروم ولما رأت الحكومة الانكليزية أن كافة أوروبا صارت تحت أقدام عدوها وخافت من اتحاد الاساطيل الشمالية أرسلت أسطولا مسلحا لطلب استلام الاسطول الدانيمارقى تحت يدها الى أن يتم الحرب ومن حيث ان دانيمارقه مملكة على الحيادة رفضت طلب انكلتره فأرغمها الاميرال الانكليزى على التسليم بضربه المتواتر من البحر على كوبنهاغن وساق الاسطول الدانيمارقى مع كميات وافرة من المهمات البحرية الى المين الانكليزية ثم وجه نابليون أفكاره لفتح بجيث جزيرة اسبانيا فعقد معاهدة فى الابتدا مع اسبانيا من أجل تقسيم البرتغال ودخل جيش فى لسبونه تحت قيادة جونوط وفى السنة التالية خلع ملك اسبانيا ونقل أخوه يوسف من نابولى الى مادريد فكان هذا التعدى سببا فى هياج حرب فى بجيث جزيرة

وهاج الاسبانيون وقاموا بالسلاح وفى ظرف خمسة عشر يوما طردوا يوسف من مادريد واستغاثوا فى مساعدتهم بانكلتره فأجابتهم بارسال ارثر ولسلى فى رأس ١٠,٠٠٠ من العساكر الانكليزية ونزل فى خليج مونديغو من أعمال البرتغال فى شهر أغسطس وهزم جونوط فى ويميره فى ٢١ أغسطس سنة ١٨٠٨ بعد الميلاد وفى حالة ما كان ارثر جاريا فى الاعمال اللازمة لتتابع نصراته صار استبداله (بهيودالريمپل) فعقد هذا معاهدة مهينة مع العدو عرفت باتفاق سنطره بواسطتها ترخص للفرنساوية فى ترك البرتغال مع كافة أسلحتهم وذخائرهم فتسبب من هذا التساهل نزع قيادته منه وتحويلها الى (يوحنامور) فانغش هذا الجنرال الجديد بمواعيد الاسبانيين فى مساعدته فسار فى داخل اسبانيا حتى وصل الى سلمنقه فوجد مادريد فى يد الفرنساوية وعرف جيدا انه موجود جيش ضخم تحت قيادة سولط مهددا خط رجعته فعاد نحو ساحل غاليسيه فتبعه العدو ومع حرارة السير فرجع مع الشدة الى كورونه وهزم العساكر الفرنساوية فى ١٦ يناير سنة ١٨٠٩ ومات فى ميدان الواقعة ومن بعد موته ركب العساكر الانكليزية بعض مراكب من سفن النقل واستحوذ الفرنساوية على المدينة فعهدت قيادة الجيش الانكليزى مرة ثانية الى ارثر ولسلى فسار مع ٢٥,٠٠٠ نفس الى اسبانيا والتقى بالملك يوسف والمارشال فيكتور وجوردان فى (طلقيره) ووقعت بينهم واقعة فى ٢٣ يوليه سنة ١٨٠٩ بعد الميلاد خسر فيها الفرنساوية ١٠,٠٠٠ نفس وكان النصر للانكليز وارتقى ارثر ولسلى الى رتبة ويسكونت ولنغطون وفى حالة ما كان الفرنساوية فى تقدم ضد الاوستريانيين أرسلت حملة انكليزية مؤلفة من ٤٠,٠٠٠ نفس تحت قيادة (ارل شاثام) الاخ الاكبر لپيط من أجل التغلب على انطويرب ومن ثم قام الغيظ والحنق فى وجوه محالفى الانكليز وكان شاثام رجلا ليس أهلا لمثل هذه الحركة فصرف وقته أمام فلوشنغ وقتما حصن العدو انطويرب وصيرها غير قابلة للهجوم فانسحب الى جزيرة والخيرين المستنقعة فى فم نهر الشيد فتسلطن الطاعون فى العسكر ومات نصف قوة الحملة من الامراض وعادت الى انكلتره وفى مبادى سنة ١٨١٠ صار نابليون أستاذ قارة أوروبا ولاجل دوام عائلته وذريته فى الدنيا طلق زوجته يوسفينه وتزوج ماريه لويسه بنت فرنسيس الثانى صاحب أوستريا وصار له طاقة بواسطة سطوته وشوكته فى أرض القارة على شحن اسبانيا بالعساكر وزحف المارشال مسينه مع ٨٠,٠٠٠ نفس من شجعان العساكر فى سنة ١٨١٠

الى

الى البرتغال وأرغم ولنغطون على الانسحاب خلف خطوط (طوريس فيدراس) بالقرب من لسبون ومن قبل دخوله في هذه التحصينات أوقع هزيمة حاطمة على الفرنساوية فوق مرتفعات بوساكو وفي فصل ربيع سنة ١٨١١ بعد الميلاد خرج الجيش البريطاني من (طوريس فيدراس) وحاز نصرة بعد أخرى مع غاية الظفر وذلك أن الجنرال غراهام هزم قوة كبيرة فرنساوية تحت قيادة فيكتور في باروسه بالقرب من كاديس في شهر مارث ومن بعد مضى شهرين شتت ولنغطون جيش مسينه في (فنطيس دونورو) ومن بعد مضى بضعة أيام هزم الجنرال بريسفورد في حالة ما كان محاصرا قلعة بدجوزه المارشال سولط في نواحي البويره في سنة ١٨١١ بعد الميلاد

ثم انفتح الحرب الخامس بالتغلب على القلعتين الموجودتين في الحدود وهما (سيودادرودريغو - وبدجوزه) غير أن هاتين الجهتين المشهورتين تكلفتا ألوفا من الانفس فانه في بدجوزه وحدها خسر الجيش الانكليزي نحوا من ٥٠٠٠ نفس قتلا وجرحا ولما ضبط ولنغطون هاتين القلعتين وجعلهما أس حركاته العسكرية زحف داخل اسبانيا وهزم مارمونت هزيمة حاطمة في سلمنقه في ٢٢ يوليه سنة ١٨١٢ بعد الميلاد ودخل الجيش المنصور في مادريد في الشهر التالي في وسط فرح الاهالي الا أن زحف الفرنساوية وتقدمهم بسبب كثرة عددهم أرغم فيكتور على العود ثانيا الى (سيودادرودريغو)

ومن سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٤ بعد الميلاد كانت الدولة الانكليزية مشتبكة في حرب الممالك المتحدة بامريكه وان شاء الله سنذكر حوادث هذا الحرب في تاريخ أمريكه وفي سنة ١٨١٣ في وقت ما كانت جرمانيا آخذة في المساعدة بواسطة رسياور وسياواسويج وقامت في برج النافر الفرنساوي تمكن لنغطون من طرد الفرنساوية من اسبانيا في سنة ١٨١٣ وعبر جبال البرنات خلفهم وفي ١٠ ابريل سنة ١٨١٤ هزم المارشال سولط في طولوز وبنصرة الانكليز هذه انتهت الحرب

وفي حالة اشتغال مجلس فيانه بفصل أعمال أرض القارة وردت له الاخبار بان نابليون هرب من جزيرة البي ودخل باريس في رأس عساكر ذوي الشجاعة والبسالة وذلك أن القورقسي الحقير نزل في ساحل بروفنسه في أول مارث فقوبل في كل جهة بمزيد الاحتفال والغيرة واجتمع حوله العساكر والضباط والمارشالات وفي ظرف عشرين يوما صار امبراطورا مرة ثانية وجلس في سراي التولري فاتحد في الحال دول أوروبا من أجل حطم المعكر لاستتباب الامن في عالم الدنيا ومنح البرلمان الانكليزي مبلغا وافرا وأرسل ولنغطون في رأس جيش ضخم في بلجيقا وأسرع البروسيانيون تحت قيادة بلوخير الى نواحي نهر الرين وصدرت أوامر الدول الاخر بسير عساكرهم الى ميدان الوقائع وصارت سلامة نابليون في اجراء الاعمال مباشرة وصارت أغراضه واضحة فأسرع بعساكره الى الحد الشمالي من أجل منع اتحاد ولنغطون مع بلوخير البروسي وبهذا يحطم كل واحد على حدته وأرسل المارشال ني للهجوم على الموقع الامامي للانكليز في الاربعة مفارق وزحف هو بنفسه مع الجيش الاصلي على البروسيانيين وهزمهم في ليقني وأرسل غروشي معقبالهم في رأس ٥٠٠٠ نفس وعاد هو للملتقى ولنغطون فاما هجوم المارشال ني في الاربعة مفارق في اليوم الذي وقعت فيه واقعة ليقني فان الانكليز صدوه مع الشجاعة الا أن ضرورة الاحوال ألزمت القوى الانكليزية بالقهقرة الى نواحي

وطرلو بسبب ما حصل من هزيمة البروسيانيين وكان نابليون مظفرا فى اجرا آته فانه فصل خصميه وغلب واحدا منهما وزحف بعساكره على وطرلو لمعاقبة الخصم الآخر
وفى ١٧ يونيه أخذ ولنغطون موقعه على ظهر جبل القديس حنا تجاه قرية وطرلو وكان جيشه مؤلفا من ٧٢,٠٠٠ نفس منهم ٢٤,٠٠٠ انكليزى ومن هؤلاء نحو من ١٥,٠٠٠ نفس من متدربى اسپانيا وكان الباقى من الهانوفريانيين والفلمنكيين والبلجيقيين وأكثرهم جبناء وكان تحت قيادة نابليون ٨٠,٠٠٠ نفس وطوبجيته أكثر عددا من طوبجية خصمه وأخذ له موقعا على الظهر المقابل له من جبل (بيل أليانس) وبين الظهرين بيت فلاحة (هوغومونت) ولاهى سنت وكانت الواقعة حول هذين المحلين فى غاية من الشدة والعنف وفى صباح يوم السبت ١٨ يونيه قام العساكر من معسكرهم وقت سقوط المطر واستمر سقوطه طول الليل ومن بعد الساعة عشرة ابتدأت الملحمة بهجوم مهول وقع من الفرنساوية على (هوغومونت) فى ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ وكان القصد من تعبية نابليون كسر حذاآت القوى المتحدة بضرب نيران حارة من پياده وطوبجية ومتى وقع خرق فى الصفوف وجه خيالته عليهم بطريق الهجوم وأما ولنغطون فانه قصد بقاء قوته على ماهى عليه فى محالها الحصينة حتى تصل اليه العساكر البروسيانية فتولد من صلابته عجز خصمه عن اخراجه من موقعه وأرسل عليهم نابليون المرة بعد المرة مطرا من الرصاص والقنابل ومن بعد انجلاء الدخان وصفاء الجو كانت تهجم عليهم السوارى برماحها والدارعون هجوما عنيفا فكانت بيادة الانكليز واقفة فى هيئة قلاع مربعة قوية تلقى أنواع هجوم الخيالة على أطراف السونكى وترد الخيول على أعقابها بغير ركابها وبهذه الحالة استمر الحرب طول النهار بخسارات جسيمة فى الطرفين ومن بعد الساعة أربعة بعد الظهر بقليل سكتت أصوات المدافع فى الجهة الشرقية وكشف نابليون فى الحال أن بلوخير هزم غروشى وأسرع فى سيره لميدان الواقعة ولما تيقن نابليون انه لا بد من عدم ضياع وقت قبل حضور بلوخير أمر المارشال (نى) بسوق الامدادية وكانت مركبة من ألايات الغاردية القديمة الفرنساوية الذين أحرزوا الشجاعة فى أوسطرليطز وچانه ليهجم بها هجوما نهائيا فقابلت غاردية الانكليز الهجوم بنار حارة مدمرة واقتحام كبير على سفح الجبل المتماوج عليه حذاآت العدو المهولة حتى أعقب ذلك محاربة بدا بيد ثم ان الغاردية الفرنساوية مالت وانكسرت وولت الدبر واكتسب الانكليز واقعة وطرلو ولما رأى نابليون أن الفشل وقع فى طوابير زهرة جيشه قال النجاة النجاة وركب وترك ميدان الواقعة ثم ان البروسيانيين الذين دخلوا الحرب فى الوقت الذى مالت فيه الغاردية الفرنساوية أمام بيادة الانكليز تعقبوا العساكر الفرنساوية وأخذوا بثأرهم منهم فى نظير ما وقع لهم قبل فى نواحى چانه وليفتى فكانت خسارة الفرنساوية فى الواقعة وفى التعقيب نحوا من ٤٠,٠٠٠ نفس وأما خسارة المتحالفين فكانت ١٥,٠٠٠ نفس ونجا نابليون من القبض عليه ووصل باريس وتنازل عن التخت لابنه وهرب الى روشفور دعازما على السفر الى أمريكه فدخل لويز الثامن عشر فى باريس فى ٨ يوليه ومن بعد أسبوع سلم الامبراطور المهزوم نفسه الى مراحم بريطانيا الكبرى فصمم المحالفون على ارساله الى جهة لا يمكنه فيها تعكير سلم أوروبا مرة أخرى فمن ثم صار ارساله الى جزيرة سنت هيلينه ومازال فيها حتى مات فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ بعد الميلاد ثم فى سنة ١٨٤٠ نقلت عظامه الى فرانسا ودفنت فى كنيسة اسبتالية السقط فى باريس وحصل الاتفاق

فى

المعاهدة الثانية لباريس التى أعقبت واقعة (وطرلو) على صيرورة فرانسا الى حدودها الاصلية التى كانت عليها فى سنة ١٧٩٠ بعد الميلاد وتدفع تضمينات حربية قيمتها ٢٨,٠٠٠,٠٠٠ ليره وأن يقيم فى قلاعها الحدودية جيش كبير من طرف المتحالفين خمس سنوات وفى هذه السنة تمم مجلس فيانه أشغاله المخصوصة بتنظيم أعمال أوروبا وكانت هذه الحروب الطويلة التى حصلت مع فرانسا سببا فى تحميل انكلتره دينا قدره ٦٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ليره مضافا الى الدين القديم فيكون مجموع الدين كله ٨٦٨,٠٠٠,٠٠٠ ليره غير أن كثيرا من هذه النقود صرف فى مساعدة كثير من الاهالى الاوروباوية فى الوقائع اللازمة لهم ولم يبق من دول أوروبا بدون مساعدة نذهب انكلترا الا القليل جدا وكثيرا ما حصل للامة الانكليزية مصائب فى مدة الحرب حتى تنازلت الاجر بالكلية وعز الخبز وغلا ثمنه وارتفع سعر القمح الى ١٠٠ شلن كل ثمانية أو عشرة أمداد بشلن وعم النفور وصحبه الفقر وأعمى دانا عظيما وصدر ارحبا للهيجين المقلقين ووقع الصراخ من أجل عمل الاصلاح العام وأنشئت محلات جمعيات سياسية وتشكلت الجمعيات الثورية فى المدائن الكبيرة وظهرت الخدائع والخيانات وانتشرت فى الجهات فكبست الحكومة على الحركات المهيجة بيد قوية وفى منشستر سنة ١٨١٩ بعد الميلاد دشتت العساكر الحربية جمعية سياسية كانت انعقدت فيها وفى هذه الحالة بقيت تذكارا مذبحة وطرلو هلك فيها الجم الغفير من المثيرين وجرح كثير ومن بعد أن تدمرت الشوكة الفرنساوية فى الكارناطيق بواسطة تغلب الانكليز على (بوندشرى) استمرت أعمال الشركة الهندية الشرقية فى نجاح مع ما وقع من المشاحنات الكبيرة مع البرنسات الوطنية ولما حصلت مشاحنة بين الامير قاسم نائب بنغاله مع متوظفى الشركة ذبح كافة الانكليز الذين كانوا موجودين فى بتنم ثم سار فى جيش ضخم من أجل طرد الانكليز من الاقليم فالتقاه (الماجور مونرو) فى رأس قوة قليلة وحاز عليه نصرة مفتخرة فى سنة ١٧٦٤ بعد الميلاد فكانت هذه المشاحنات داخلا فيها التجارة ومن ثم كانت غير مرضية بالكلية عند رؤساء الشركة فى انكلتره فمن ثم طلبوا عود (لورد كلايف) الى بنغاله لتسكين الفتن وعود الامن فمن بعد وصوله بقليل عقد معاهدة مع سلطان المغل فى مدينة (الله أباد) صارت بها أقاليم (بنغاله - وبيرار - وأوريسه) جميعها تحت حكم الشركة على أن يمنح للنائب كل سنة راتبا جليلا فى سنة ١٧٦٥ ولبث كلايف فى الهند ثمانية عشر شهرا فى تأييد المصالح الانكليزية واقامتها على قواعد ثابتة مع الشدة ثم عاد الى انكلتره فى ثروة جليلة الا أنه صار عرضة لمظالم كثيرة بواسطتها صارت حكومته مكروهة مبغوضة ومات أخيرا فى انكلتره سنة ١٧٧٤ بعد الميلاد ومع أن الامن استتب فى بنغاله غير أن جهات مدراس كانت معكرة الارجاء من محاربات وقعت عليها من (حيدر على راجا سلطان) ميسور ولبثت سنتين فضعفت بالكلية ارادات الشركة فى سنة ١٧٦٩ بعد الميلاد فحصل لارباب الشركة فى انكلتره أذى كبير وعرضوا كثيرا للحكومة الانكليزية بسبب ما خسروه من أموالهم حتى ان الحكومة أصدرت لائحة فى سنة ١٧٧٣ من أجل اجراء الاصلاحات اللازمة فى الاعمال الهندية وذلك أنها عزمت على أن تجعل فى كلكته حاكما عموميا مع مجلس يكون له السلطة وادارة الاعمال على الاملاك البريطانية فى الهند فتعين (وارن هاسطنغ) لهذه الوظيفة المهمة فى سنة ١٧٧٣ وكان أولا دخل فى خدمة الشركة بصفة كاتب فى سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد فكان هاسطنغ المذكور أول الحكام الانكليزية فى البلاد الهندية وأما المجلس الذى معه فكان مؤلفا من أربعة أعضاء تعينوا

بمعرفة الحكومة لمساعدة الحاكم ومن سوء طالع بخت المصالح الانكليزية كان فى المجلس ثلاثة أشخاص متعرضون بالاذى لحكومة هاسطنغ ومن ثم انقسمت الحكومة الكبيرة فى ذاتها الى قسمين مضادين لبعضهما تولد منهما الاذى فى خدمة الشركة والخسارات الزائدة ودخل هاسطنغ فى الوظيفة فى وقت كانت فيه خزينة الشركة خالية بالكلية من النقود فوجه أول اجتهاداته لملء الخزينة بالنقود وبواسطة أوامر من الحكومة واجرائه هذه الاجتهادات غلبت غيرته على ادارته وصار عرضة لذم أعدائه فى حكومته وذلك أنه ساعد نائب أود فى كونه يخضع أهل روهيلا على شرط أن يمنحه مبلغا وافرا من النقود غير فوائد أخرى ومع أن الخزينة كانت مضمحلة بالكلية فان الطريقة التى أجراها هيجت أعداء كثيرة على هاسطنغ الحاكم الانكليزى وذلك أن المهارطا بين الحربيين فى وسط الهند حصل عندهم الغضب الشديد من الهجوم والغارة على الروهيلانيين وانضموا مع حيدر على سلطان ميسور من أجل طرد الانكليز من نواحى مدراس فى الوقت الذى كان فيه الحرب جاريا مع فرانسا حتى صار لاسطول فرانسا طاقة على أن يظهر فى البحور الهندية سنة ١٧٨٠ وما نجت المملكة البريطانية الموجودة فى جنوب الهند من الدمار الا بواسطة شهامة هاسطنغ فانه أرسل قوة تحت قيادة (عيرى كوت) من أهل بنغاله الى الجهة الجنوبية وبذل جهده فى خرم الاتحاد الواقع بين الوطنيين ودارت الدائرة على حيدر على من كل جهة التقى فيها مع كوت ثم مات فجأة وخلفه ابنه (طيبو صاحب) فاستمر الحرب فى مدة سلطنته الى سنة ١٧٨٤ بعد الميلاد حتى صار عقد معاهدة صالحة لرضاة الانكليز وفى أثناء هذه الحروب دخل هاسطنغ فى أعمال السلب لاجل ملء خزينته الخالية من النقود فتولد من ذلك الغضب الاكبر على حكومته وسلب خراج اتقيلا (من راجا بنارس) وكان تحت حماية الحكومة الانكليزية وأراد أن يسلب غيره منه فعارضه الراجا فى نهبه فخلعه من سلطنته وأخذ خزينة أمواله وسلب أيضا أموال برنسيسات أود وكان المنظور له فى اجراآته هذه صرف هذه النقود فى الحرب الواقع فى جنوب الهند والا فان الحكومة تفقد هابغير هذا ومن بعد أن لبث هاسطنغ حاكم عموم فى الهند ثلاث عشرة سنة عاد الى انكلتره فوجه مجلس اللوردات الاسئلة اللازمة عليه فيما يختص بما وقع منه من الفظائع والنهب الذى نهبه من أهل الهند فكان مبدأ المحاكمة فى سنة ١٧٨٨ واستمرت الى سنة ١٧٩٥ ثم عفا عنه وأخلى سبيله غير أن هذه المحاكمة صيرته من المفلسين وصرف ما بقى من حياته فى حالة التقاعد على معاش مقداره ٤٠٠٠ ليره منحته به الشركة الهندية الشرقية ثم من بعده أرسل من انكلتره (لورد كورنواليس) حاكم عموم الهند مع تجنبه أى حادثة من وقوع الحرب فى سنة ١٧٨٦ بعد الميلاد ومن بعد مضى ثلاث سنوات ابتدأت المحاربات مع (طيبو صاحب) فانهزم طيبو وعقد مع الانكليز صلحا فى سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد وتنازل للانكليز عن نحو نصف ممالكه وفى أثناء حرب الثورة الفرنساوية بذلت فرانسا مجهودها فى اشعال المصائب فى الهند ومال طيبو صاحب للدسائس الفرنساوية وقام بالسلاح مرة أخرى فى مدة حكومة الماركيز ولسلى فانتهى الحرب بالتغلب على (سيرنغابتم) عاصمة مملكته ومات طيبو فى هذا الحرب وأضيف ٢٠٠٠٠ ميل مسطح الى المملكة البريطانية فى سنة ١٧٩٩ بعد الميلاد واشترك أمير الاى ولسلى (دوق ولنغطون) فى الحرب مع طيبو ثم من بعد مضى ثلاث سنوات انضم المهارطاون لبعضهم ورغبوا أن يجعلوا أنفسهم أسياد الهند فهزم الجنرال لالئ رئيس منهم تحت اسوار دلهى وخلص منهم سلطان المغل وبعد

الجنرال ولسلى آخر فى واقعة كبيرة وقعت فى أساى سنة ١٨٠٣ وخضع المهارطاون فى سنة ١٨٠٥ بعد الميلاد ومن هذا الوقت ترتب لسلطان المغل راتب من طرف الشركة الهندية الشرقية وصارت دلهى واكره وأقاليم أخر فى كل من الجهة الجنوبية والشمالية داخلة فى المملكة الهندية الانكليزية واستتب الأمن من دون ارتباك الى سنة ١٨١٤ بعد الميلاد حتى ان غوركاى نيبول شرعوا فى الغارة على الحدود الشمالية فما استفادوا من غارتهم الا أن أخذ الانكليز من أراضيهم ١٢،٠٠٠ ميل مسطح جزاء بما وقع منهم وفى سنة ١٨١٧ حصل من المهارطايين والبنداريين تعكير فى السلم فأخذ من أراضيهم أيضا ٦٠،٠٠٠ ميل مسطح أضيفت الى الاملاك الانكليزية واتسعت المملكة البريطانية فى الهند وقويت شوكة الانكليز فيها وسأشرح بحول الله سبحانه وتعالى فى الجزء السابع من هذا التاريخ تاريخا كاملا على المملكة الهندية من ابتداء وجودها ودياناتها وملوكها الى هذا الوقت الحاضر ان كان فى الاجل مدة والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

وفى سنة ١٨١٠ بعد الميلاد أخذ عقل الملك فى الاختلال حتى تولد له الجنون ثم آلت عاقبة هذه البلية المهولة الى العجز والصمم الكامل ومن ثم رأت النظارة الانكليزية أنه لابد من تعيين نائب بدل الملك فعهدوا بالطبع هذه الوظيفة لولى العهد فتقلد زمام النيابة فى ٥ فبراير سنة ١٨١١ بعد الميلاد وحصل فى السنى الاخيرة من هذه السلطنة مصائب على العائلة الملوكية زيادة على ماعليه الملك من الاوجاع والجنون وذلك أنه تولد من موت البرنسيسة كارلوطه ابنة ولى العهد الوحيدة فى ٩ نوفمبر سنة ١٨١٧ حزن كبير على الامة ومن بعد مضى اثنى عشر شهرا ماتت الملكة كارلوطه الطيبة وماتم الحزن على الملكة حتى مات ابنها دوق كنط أبو الملكة فيكتوريا الموجودة الآن ثم مات أبوه جورج الثالث فى ٢٩ ينايرسنة ١٨٢٠ فى قلعة وندسور من بعد أن بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة واحتل كرسى السلطنة ستين سنة وحصل فى مدة سلطنته فى لوندره فى سنة ١٧٨٠ فزع استمر فيها عدة أيام تولد من ثورات عرفت بثورات غوردون وذلك أنه قبل هذه السنة بسنتين صار الغاء القوانين الجنائية التى صدرت فى المدة السابقة فى حق الرومان كاثوليك فتولد من هذه الاعمال هياج كبير فى المملكة وقام فى لوندره هوج ضخم مؤلف من ٦٠،٠٠٠ نفس وساروا الى حوش السراى تحت قيادة لورد جورج غوردون فى عزم أن يعرضوا على مجلس البرلمان ابطال لائحتهم الاخيرة التى أصدروها فى شأن الرأفة بالرومان كاثوليك فكان رفض عرضهم وعدم قبوله سببا فى قيام الاوباش من أهل لوندره فى ثورة مهولة فتسلطن الفزع فى العاصمة خمسة أيام وحاق بها الفشل وهدم العوام معابد الرومان كاثوليك وهجموا على حبوس الباب الجديد وغيره من السجون عنوة وحرقوها وتهددت المدينة بالنهب ووقوع الخراب فيها وتجاسر الاوباش أيضا على مقاومة القوى العسكرية التى أرسلت لاطفاء هذه الثورات وما انسحب الثائرون الامن بعد أن قتل منهم ٤٠٠ نفس وجرحوا فى شوارع المدينة وصلب أحد وعشرون شخصا من زعماء الثورات وأما غوردون فانه صدر العفو عنه بمدافعة أرسكين المحامى عنه وكذا أرسل فى سنة ١٨١٦ أسطولا انكليزيا تحت قيادة لورد اكسموث الى جهة برجزائر الغرب من اجل استلام المسيحيين الذين قبض عليهم أهل الجزائر وعاملوهم معاملة الرقيق فرفض حاكم الجزائر قبول الطلب ولعن النائب الانكليزى فى بلاده فسلط الاسطول نيرانه على المدينة واستمر الضرب عليها ست ساعات فكان هذا الضرب سببا فى ارغام حاكم

الجزائر على الافراج عن ١٠٠١ مسيحي وعتقهم من الرق وخرب عش اللصوصية وفي مبادى هذه السلطنة تيسر الحصول على اعلان مجادلات البرلمان في جلساته ونشرها وصار ذلك من الواجبات والحقوق الدائمة وفي فصل ربيع سنة ١٨١٢ بعد الميلاد ضرب أحد التجار الوزير الاول برسفال بعيار ناري في مجلس الاعيان وكانت أشغال هذا التاجر تدمرت في الحرب ووقعت ترجمة في منع تجارة الرقيق الافريقي في هذه السلطنة وقام (ويلبرفورس) أحد أعضاء مجلس الاعيان في هذه المنازعة ونجح في الحصول على لائحة قاضية باخماد هذه التجارة الا أن مساعيه خابت في عود حرية الرقيق في المستعمرات

سلطنة جورج الرابع

صعد جورج الرابع الابن الكبير للملك السابق على تخت انكلتره وعمره ثمان وخمسون سنة من بعد أن قضى عشر سنوات قائما بصفة برنس نائب مع كافة واجبات الملوكية وفي أثناء الشهر الاول من جلوسه اكتشف البوليس على دسيسة تعرف بدسيسة (شارع كاطو) مكونة من رجال قاطعين الامل تحت قيادة (ارثر طسلطوود) لاجل ذبح النظار فمن ثم صار شنق طسلطوود وأربعة من رفقائه ثم نشأ الهياج الذي تولد من كشف ثورة طسلطوود بسبب ما حصل عند الجمهور من سير الملك في حق زوجته الملكة كارولينه وذلك أن جورج الرابع كان تزوج ابنة عمه دوق برونسويك في سنة ١٧٩٥ بحض أبيه له الا أن الزواج كان من أول الامر مشؤوما ومن بعد أن وضعت البرنسيسة كارلوطة وقع الانفصال فأقامت هذه البرنسيسة في عزلة على حدتها في المرج الاسود عدة سنوات وفي سنة ١٨١٤ توجهت الى ايطاليا فاكتسبت نفسها بسيرها في هذه الجهة حالة قبيحة كانت سببا في القدح في عرضها وعند جلوس زوجها عولت على العود الى انكلتره تطلب حقها في كونها ملكة فبذل الملك وسعه في عدم عودها وبقائها خارج المملكة وعين لها ايرادا سنويا مقداره ٥٠،٠٠٠ ليره يدفع لها ما دامت محافظة على عدم رجوعها الى المملكة فرفضت قبول هذا الطلب مع الغضب ونزلت في نواحي مينة الدوفر وقابلها الهرج الكبير من الناس بالفرح في ٥ يونيه سنة ١٨٢٠ بعد الميلاد وكان الاهالي على غير احترام لجهة الملك بما أنه قضى معظم حياته في الموبقات والملاهي الشهوانية ومع أن زوجته كانت أضل منه في مثل هذا الفعل الا أنهم جعلوا سرورهم بعودها سنوح فرصة في اظهار كراهتهم له وقالوا ان هذه امرأة مكسورة الخاطر مجروحة القلب مما وقع لها من زوجها ولازموا موكبها حتى أوصلوها الى لوندره فتولد من ذلك زيادة غضب عند الملك حتى انه أمر وزراءه أن يجروا الاجراآت اللازمة في طلاقها وفي ٦ يوليه سنة ١٨٢٠ بعد الميلاد أعرض لورد ليفربول رأس الوزارة في مجلس اللوردات لائحة تتضمن ما وقع منها من المضار واتهمها بعدم صداقتها للملك في مدة اقامتها في ايطاليا فوقعت المدافعة عنها بمعرفة كل من (بروغهام - ودنمان) ومع أنه تقرر على هذا التقرير أو اللائحة بآراء تسعة من المجلس رأى الوزراء أنه لا مساعدة في التصديق عليها من مجلس الاعيان وفزعوا مما وقع من هياج الامة فصرفوا النظر عنها وفي السنة التالية طلبت كارولينه تتويج نفسها مع زوجها واجتهدت في يوم التتويج أن تدخل قهرا في كنيسة وستمنستر فمنعها الخفر الواقف في طريق دخولها في ١٣ يوليه سنة ١٨٢١ فكان هذا الغضب الاخير سببا في كسر حدتها وجرحا في قلبها فماتت من بعد مضي تسعة عشر يوما وفي الشهر الذي ماتت فيه الملكة توجه الملك الى ارلانده زائرا وكان أول ملك انكليزي زار ارلانده في مدة السلم فقوبل فيها بالتهليل والفرح ومن

بعد أن صرف فيها شهرا فى الملاهى عاد الى هانوفر وتتوج فيها ثانيا فى وسط تفريح وأعياد كانت لها أيام مشهودة وصرف فى فصل الصيف التالى خمسة عشر يوما فى اسكوطلنده وكان أول واحد من الملوك من عهد شارلس الثانى زار تلك المملكة وفى مدة أفراحه بما وقع له من المحبة القلبية من رعاياه الاسكوطلنديه وردت اليه الاخبار بان واحدا من كبار الوزراء وهو ماركيز لوندنديرى ارتكب اثم قتل نفسه بنفسه فخلف هذا الرجل السياسى فى نظارة الخارجية جورج كاننغ

ومع كون السلم استتب وعاد على أرض القارة الآن قواعد الثورة الفرنساوية دامت على نشرها بين الامم المختلفة وتولدمنها مشاكل فى الحكومات الدولية وذلك أنه من بعد واقعة وطرلو دخلت أوستريا وروسيا وبروسيا فيما عرف بالاتحاد المقدس الذى وقع الاتفاق فيه على التعويل على اجراء الاحكام وسير الاعمال فى الممالك خارجية وداخلية على حسب نص قواعد الشريعة المسيحية وانضافت فرانسا أيضا الى هذا الاتحاد غير أن انكلتره ارتابت من هذا الشغل وعرفت أن القصد منه اجراء حكومات مستبدة فالتزمت بالحيادة عن هذا الاتحاد وعكف كاننغ نفسه على بذل طاقته فى مخالفته تصميمات الاتحاد المقدس وجعل لنفسه سياسة عدم المداخلة فى الاعمال الداخلية والخارجية للدول الاخرى وأما فى الجهات الشرقية فان التعدى الذى وقع من أهل بارمة على حدود بنغاله كان سببا فى نقض الاتفاق الانكليزى بينهم وأعلنت انكلتره حربا عليهم وابتدأت الحروب فى مبادى سنة ١٨٢٤ بعد الميلاد وباشرتها رجال الانكليز مع غاية النجاح حتى انه فى ظرف سنتين رغب البارماويون فى عقد الصلح وفى المعاهدة تنازلوا الانكلتره عن قطع من أقسام اراكان ـ وطينا سيريم ـ وغيرهما عبارة عن ٨٠،٠٠٠ ميل مسطح ورفضوا كافة طلباتهم فيما يتعلق باسام وملحقاتها فى شهر فبراير سنة ١٨٢٦ بعد الميلاد وفى سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد قام الجريق فى ثورة على الترك وكانوا تغلبوا على القسم الجنوبى من أوروبا مع شدة وقوع الظلم فيه ما ينوف عن ثلاثة قرون فكان حرب الجريق من أجل استقلال أنفسهم سببا فى هياج الحمية الكبرى فى انكلتره وجمعت الرجال والنقود لمساعدة شجعان الجنس القديم وكان من أكبر الذين اشتهروا فى هذا الحرب من مساعدى الانكليز (لودبيرون) فانه فتح كيسه وأمسك قلمه فى مساعدة رجال الجريس ومات بالفعل من هذا الصدد واستمر الحرب بست سنوات مع التوحش الاكبر بين الطرفين وأخيرا فى سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد وقعت انكلتره وفرانسا وروسيا على معاهدة عقدت فى لوندره ترغم السلطان محمود الثانى بها على الاقرار باستقلالية الجريس وأرسلت الثلاثة أساطيل المتحدة من الثلاث دول تحت رياسة (ادوارد كودرنغطون) الى البحر الابيض المتوسط من أجل تخويف الاتراك فداوم السلطان محمود على العناد وأمر الاسطول المصرى وكان مؤلفا من ستين سفينة تحت رياسة ابراهيم باشا ابن محمد على باشا صاحب مصر بالتوجه لتقوية الاساطيل العثمانية على سواحل موره فمنع كودرنغطون ابراهيم باشا من ذلك ورخص له فى الانضمام الى الاسطول التركى الموجود فى خليج نفرينو على شرط أن يلازم الهدو حتى تصدر الاوامر القاطعة من القسطنطينية ودخلت أيضا الاساطيل المتحدة فى الخليج ليتفقدوا أحوال ما أخذ على ابراهيم باشا من العهود بأوامر هى أنه لا يصير الابتداء بحرب حتى تبتدئ الترك فى الغارة وكما حصل التنبيه جرى المقدور وذلك أن الاتراك بالنظر لعدم علمهم بحقيقة الاوامر أطلقوا النيران على مركب انكليزى وقتلوا بعض ملاحيه فأخذت المراكب القريبة منه بالثأر من الترك وفى مدة قليلة اشتبكت كافة المراكب مع بعضها فى واقعة

لايعرف أولها من آخرها وفى أربع ساعات تدمرت الاساطيل التركية والمصرية فى ٢٠ أقطوبر سنة ١٨٢٧ ورأت انكلترة أن تخريب الاسطول العثمانى خارج عن قانون السياسة وتولد من أجله سقوط الوزارة

وكان أجل الاعمال السياسية التى حصلت فى هذه السلطنة زوال العداوة النفسية التى كانت متسلطنة فى قلوب كل من المعتزلة والبروتستانت والرومان كاتوليك من مدة أحقاب مضت فأما فى ارلنده فان القوانين الجنائية التى صدرت فى حق الثورات كبست جدا على الرومان كاتوليك حتى ان طلب الغائها صار غير مرعى السلامة عند الحكومة وفى مدة حكم (دانيال عوكونل) رتب واحد من وكلاء الدعاوى الاتحاد الكاتوليكى من أجل بيان تحريك مسئلة العتق والحرية من هذه القوانين الجنائية فوقعت المداولة فى هذه المسئلة فى مجلس المبعوثان وصدق على مافى القرار من الامر الخاص بالحرية الا أن مجلس الاعيان لم يصدق عليه ورفض الغاء القوانين الجنائية فزاد الهياج فى ارلنده حتى ترا آى أن وقوع الحرب الداخلى لابد منه وفى سنة ١٨٢٨ بعد الميلاد نجح لورد حنار وسيل فى اصدار لائحة بالغاء قانون ولوائح الفحص والاجتماعات التى صدرت فى مدة سلطنة شارلس الثانى وافتكر أنه بهذه الاعمال تقع المساواة فى الامور والرضا بما حصل القرار عليه الا أن الرومان كاتوليك رأوا أن هذه القوانين هى أعمال عادلة فى حق المعتزلة من البروتستانت لا لانفسهم وعلا تضجرهم من أجل ابطال الحقوق وزادوا فى الشراهة والشدة عما سبق واستخفافا بالقانون القاضى بمنع الرومان كاتوليك من وجودهم فى مجلس البرلمان صار انتخاب (دانيال عوكونل) عضوا فى البرلمان من أجل اقليم (كلار) وصار من البديهى أنه لابد من حصول اشكال يقع قريبا وفى هذا الوقت كانت الوزارة مشكلة من حزب المحافظين والحكومة فى قبضة أيديهم وكان دوق ولنغطون رأس الوزارة التى كانت فى مدة استتباب الامن مقاومة على الدوام طلبات عوكونل وحزبه ومع أن الوزراء كانوا متفقين فى مقاومتهم بجمعيات البروتستانت فى كل جهة من جهات المملكة غير أنهم رأوا أنه من الضرورى خلاص المملكة والمحافظة عليها من دمار يقع من حرب داخلى فمن ثم أعلنوا بانعقاد البرلمان فى سنة ١٨٢٩ بعد الميلاد من أجل أن الحكومة ساعية فى صدور لائحة العتق الخاص بالرومان كاتوليك فتولد من هذا الاعلان هياج كبير فى المملكة وانعقدت جمعيات من البروتستانت فى كل جهة لاقامة الحجة على هذه اللائحة ونشروا أن (ولنغطون وبيل) ناظر الخارجية من الخائنين للملك والكنيسة فأما بيل فانه خسر مقعده فى مدرسة المعارف فى أكسفورد وأما بطل وطرلو فانه التزم على حسب مقتضيات الاحوال باجراء حرب الدويل مع (ارل ونشلسى) وكان فيما سبق من أكبر المعاضدين له فرفض الكثير من حزب المحافظين قبول اتباع قوادهم وبمساعدة حزب الاحرار صدرت لائحة العتق فى ١٣ ابريل سنة ١٨٢٩ بعد الميلاد مقررا عليها من مجلسى الاعيان والمبعوثان وصارت من جملة قوانين المملكة وبهذه اللائحة صار عتق الرومان كاتوليك من قانون الجنايات وصاروا فى قالب سياسى مثلهم كمثل أقرانهم الرعايا البروتستانت الا أنهم ماز الوا محرومين من وظائف النيابة ونائب ارلنده ولورد نائب الملك ومن الوظائف الملحقة بالكنيسة الانكليزية وجمعيات المعارف وكان لورد سورى بن دوق نورفلك المنتخب من أجل اقليم هورشام أول واحد من الرومان كاتوليك دخل فى مجلس المبعوثان تطبيقا لبنود لائحة العتق وقضى الملك مابقى من سنى سلطنته فى عزلة كبيرة عن الناس فى وندسور وحجب

عن عينيه كل ما كان يشتهيه من الرؤية والنظر لشيء من الاشياء العمومية وخرج ذات يوم للفسحة وسار في الطريق قليلا فوجده خاليا من الناس ونظيفا من البأس فكانت هذه العزلة المحبوبة سببا في كسر قلبه وتولد الامراض في بدنه فمات في وندسور في ٢٦ يونيه سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد ولعدم وجود ذرية للملك المتوفى صعد دوق كلرنس الابن الرابع لجورج الثالث على تخت انكلتره بلقب غيليوم الرابع وكان دخل في خدمة الاسطول الملوكي وعمره ثلاث عشرة سنة وخدم تحت قيادة الاميرال رودني والاميرال نيلسون غير أنه صرف القسم الاعظم من حياته من بعد الثورة الفرنساوية في عزلة في حديقة بوشي واكتسب من مهارته في البحرية وحسن طبائعه المحبة والاعتبار ولقب بالملك البحاري وكانت زوجته (عدليده صكص منتغين) مشهورة بكثير من الفضائل والاخلاق الحميدة

سلطنة غيليوم الرابع

وفي وقت جلوس غيليوم شغلت مسئلة الاصلاح في مجلس الاعيان كافة الافكار لانه من عدة سنين مضت كان طلب التغيير في نواب البرلمان آخذا في زيادة الانتشار واشتغلت به الافكار ونسب الكثير من الناس المصائب التي تولدت من الحروب الطويلة التي هاجت في مدة سلطنة جورج الثالث الى رداءة طريقة الحكومة وقالوا ان الاصلاح في مجلس المبعوثان هو الطريقة الوحيدة في عود الفلاح الى البلاد وبالطبع كان الاصلاح في المجلس ضروريا لان الكثير من المدائن مثل (برمنغهام - ومنشستر - وليدس) المشتملة على كثير من السكان ما كان لها نواب مطلقا في البرلمان بخلاف الكثير من القرى والكفور ومحلات أخرى لا معنى لها في ذاتها ولا في صفاتها كان لها في البرلمان عضو أو عضوان حتى ان احدى القرى الصغيرة (ساروم القديمة) التي ما كان يوجد فيها في ذا الحين بيت قائم ما زال لها الحق في كونها ترسل في مجلس المبعوثان اثنين من الاعضاء فما تحملت المراكز الكبيرة الغاصة بالاهالي والسكان استمرار هذه الحالة وتشجع أهلها بنجاح الرومان كاثوليك من العتق والتحرير في السلطنة السابقة وشرعوا بشدة في طلب الاصلاحات الواجبة في البرلمان وقويت الحالة الاضطرابية الموجودة على أرض القارة هذه المسئلة المهمة جدا ولما صعد غيليوم على كرسي المملكة انفجرت ثورة ثانية في فرانسا ومن بعد محاربة لبثت ثلاثة أيام في شوارع باريس هرب شارلس العاشر لمدة حياته وصار لوي فيليب دوق أورليان ملك الفرنساوية وسار أهل البلجيقا على منوال جيرانهم واجتمعوا في ثورة وخرجوا من تحت أحكام هولنده فقوت هذه الثورات أهل انكلتره على مشروع مسئلة الاصلاح وقوت عزم وزارة المحافظين على عدم قبول أدنى تغيير غير أن البرلمان الجديد الذي انعقد من بعد جلوس الملك بقليل شدد في مقاومة ما هو حاصل من وزارة المحافظين حتى ان دوق ولنغطون التزم على الاستعفاء من وظيفته وأخلى طريقا للوزارة الاحرار تحت رياسة ارل غري وفي أول مارث سنة ١٨٣١ بعد الميلاد أدخل (لورد جنار وسيل) وكان في هذا الوقت صراف علائف العسكرية لائحته التي عملها في الاصلاح وكان الحزبان في مجلس المبعوثان متعادلين في الاعضاء ووقع الغوث في المملكة والمعاضدة على تنفيذ هذه اللائحة ولما اجتمع المجلس الجديد كان غالب أعضائه عازمين على تنفيذ اللائحة فأما في مجلس المبعوثان فانه من بعد منازعات طويلة صار التصديق عليها بأغلبية الآراء ورفض قبولها مجلس الاعيان فتولد من عدم قبول اللائحة عند مجلس اللوردات ثوران كبير في أنحاء المملكة وانفجرت ثورات مهولة في كثير من المحلات فأما في لونده فانه صار الكثير من منازل الاشراف

عرضة لبطش الاهالى بها وحاصر العوام أو الاوباش محل اقامة دوق ولنغطون مع حدة الغضب وكانت جهات (نوطنغهام ـ ودربى ـ وبريسطول) ميادين لفظائع مهولة فأما قلعة نوطنغهام فانها احرقت وتساوت أبنيتها بالارض وأما الثورات فى بريسطول فانها أخمدت من بعد أن هدم الكثير من مساكن المدينة وقتل العساكر منها ما ينوف عن مائة نفس ولما انعقد البرلمان صار ادخال اللائحة مرة ثانية وصدّق عليها مجلس المبعوثان غير أنه لما رفض الملك قبول زيادة أعضاء أمراء الاحرار فى مجلس الاعيان استعفى ارل غرى من وظيفته وخاب السعى فى تشكيل وزارة من حزب المحافظين فعادت الشوكة مرة ثانية لحزب الاحرار فى وسط تفريح من الامة فما كان عند أعضاء مجلس الاعيان أدنى حراك سوى التصديق على اللائحة وفى أثناء غياب الكثير من الاعيان المضادين تيسر للحكومة الوصول للتصديق على اللائحة فى ٧ يونيه سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد وصارت قانونا وكان التغيير الذى وقع فى هذا العمل الخطير شيئين أحدهما توزيع المقاعد فى البرلمان بوجه العدالة ثانيهما حق تحرير الاصوات وأخرجت القرى الفارغة مثل غراطون وساروم القديمة وقرى بلغ عددها ستا وخمسين قرية فارغة من البرلمان ونزعت منها حقوق المدينة وثلاثون مدينة صغيرة كانت كل واحدة منها ترسل فى البرلمان اثنين من نوابها سمح لكل واحدة منها بانتخاب واحد فقط ومن ثم وجدت طريقة لارسال نواب من الكونتات ومن مدائن التجارة والتشغيلات وأعطيت حقوق الاصوات فى القرى لمزارعى البيوت الذين ايرادهم سنويا عشرة ليرة فما فوقها وأما فى الكونتات فان الحقوق أعطيت لمن كان مالكا أراضى حرة مقدارها أربعون شلنا أو أرضا ايرادها سنويا عشرة ليرة أو الذين يدفعون ايجارا مقداره خمسون ليرة وفى هذه السنة صدرت لوائح أيضا من هذا القبيل لاسكوطلنده وارلنده وصارت نواب البرلمان من هذا الوقت فصاعدا يجرى انتخابها على حسب نص بنود لائحة الاصلاح الى سنة ١٨٦٨ بعد الميلاد حتى صدرت لائحة أجود فى العمل منها

ثم انعقد البرلمان الجديد فى مبادى سنة ١٨٣٣ بعد الميلاد وشرع فى أعمال جليلة من ضمنها الغاء مسئلة بيع الرقيق من كافة المستعمرات والاملاك البريطانية وكان جل هذا العمل المبرور منسوبا الى (غيليوم ويلبرفورس) رجل من تجار هول وعضو من اقليم يورقه فانه عكف نفسه عدة سنين مضت على ابطال مسئلة بيع الرقيق وصدور أوامر العتق وحرية جنس بنى الانسان عن البيع وصيرورته فى حالة رق وصارت المداولة فى البرلمان فى شأن هذه المسئلة وقاومها أشخاص كانوا متداخلين فى هذه التجارة وعليها مدار عيشتهم غير أن كلا من (ويلبرفورس ـ وبروغهام ـ وبوكسطون ـ وكلاركسن) وآخرين كثيرين نجحوا فى ابطال تجارة بنى الانسان فى أى جهة يتحقق فيها العلم الانكليزى فى سنة ١٨٣٣ بعد الميلاد ومع هذا فان الرقيق ما نالوا حريتهم جميعا فى وقت واحد وذلك أن اللائحة كانت مشتملة على أن الاطفال الذين سنهم دون الست سنوات يجرى درجهم ضمن الاحرار من ابتداء فصل صيف سنة ١٨٣٤ بعد الميلاد وان ما فوق ذلك يلزم أن يلازموا على خدمة المالكين لهم لمدة سبع سنوات فى غيطان المزارع ولمدة خمس سنوات فى البيوت والاماكن ومن ثم أعطيت تذاكر الحرية لنحو من ٨٠٠،٠٠٠ من الرقيق ودفع لاسيادهم فى نظير ذلك ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ ليره ولما تمم (ويلبرفورس) مشروعه من مدة سنين مضت مات فى نفس هذه السنة وفى عين هذه السنة وجهت الحكومة التفاتها نحو ارلنده وكان عوكونل هيج الامر فيها من أجل

عدم اقامة شعائر الكنيسة الارلندية والغاء الاتحاد الواقع بين انكلتره وارلنده فقوبل الاختلال الذي حصل من ذلك بصدود ولائحة عرفت بلائحة العشر الا أن هذا الفعل كان سببا في وقوع حزازة بين معاضدي الوزارة ثم حصل سعي آخر من الحكومة في ازالة بعض المضار الواقعة عند الارلنديين بالغاء عشرة أسقفيات واصلاح مدخول الكنيسة وما كان الوزارة من طاقة على الموافقة على المسئلة الصعبة المخصوصة بتسكين الارلنديين فالتزم ارل غرى على الاستعفا من الوظيفة فحل محله (لورد ميلبورن) فأصدر هو أيضا في نفس هذه السنة عملا خطيرا في اصلاح قوانين الفقر فكان هذا العمل المعروف بعتق الفقراء مقويا الحالة الفقر حتى بلغ مدخول النقود اللازمة لمساعدة الفقراء الى ٨،٦٠٠،٠٠٠ ليره وكان هذا القانون الجديد قاضيا بمنع الفقراء أرباب القوة من الدخول في هذا القانون وقاضيا بان كل انسان منهم يرغب في المساعدة يلزم دخوله في معامل الاشغال ويشتغل لمعيشته حسب طاقته وصارت المجالس والدوائر البلدية أيضا تحت مناظرة الحكومة وفي سنة ١٨٣٥ بعد الميلاد صدرت لائحة المجالس البلدية مسموحا فيها الاهل المدائن والقرى بحق انتخابهم لانفسهم نوابا في المجالس البلدية من أصل تعدادأنفسهم يكونون نوابا عنهم في المجلس وكذا صدرت لوائح ومنشورات جليلة في سنة ١٨٣٦ بعد الميلاد وتعدلت بعض أسقفيات وترتبت أسقفيات ريبون ومنشيستر وسمح في مادة الزواج بعقد العقود في كنائس المعتزلة أو أمام كفيل أو وصي يعين من طرف أوصياء الفقراء وترتب أيضا قانون طريقة تسجيل المواليد والزواج والاموات

وفي ٢٠ يونيه سنة ١٨٣٧ بعد الميلاد مات غيليوم الرابع وكان خلف من زوجته الملكة عدليده بنتين ماتا في حال صغرهن فانتقل تاجه في هانوفر الى الذكر الوارث من بعده (ارنست أوغسطوس) دوق كمبرلند الابن الخامس لجورج الثالث ومن ثم انفصل هذا التاج من تاج انكلتره بالكلية مؤبدا وأما تاج انكلتره فانه تحول من بعد موت غيليوم الى ابنة أخيه ادوارد دوق كنط وهي (الكسندرينه فكتوريا) المتسلطنة في الحالة الراهنة في انكلتره بسبب عدم وجود الوارثين للتاج من الذكور وفي أول سلطنة غيليوم الرابع أي في سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد كان أول افتتاح سكة حديدية من السكك الحديد التي عمت الآن المملكة بين ليفربول ومنشيستر وكان دوق ولنغطون في هذا الوقت رأس الوزارة فحضر بنفسه احتفال فتح السكة في وسط أفراح الاهالي وفي نحو غلاق سنة ١٨٣١ بعد الميلاد حصل طاعون مهول عرف بالكوليره كان مبدأ انتشاره في الهند في سنة ١٨١٧ وانتقل منها على التدريج حتى ظهر في نواحي سندرلند فصد هذا الوباء دخول فصل الشتاء الا أنه هاج في فصل الربيع في عموم المملكة وهلك فيه نحو من ٦٠،٠٠٠ نفس واختفى من انكلتره في نحو غلاق فصل خريف سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد ثم هاج على سواحل انكلتره فتولد من الاحتياطات والاحترازات التي اتخذها موظفو الصحة ازالته وفي سنة ١٨٣٤ حصل حريق مهول تولد منه خراب ديوان البرلمان وفي نفس هذه السنة كان مبادي العمار في اوستراليا وابتدأت جمعية المعارف وتقدم العلوم في يورقه في انعقاد جلساتها

وفي سنة ١٨٣١ أعلنت الكسندرينه فيكتوريا البنت الوحيدة لادوارد دوق كنط بانها ملكة مباشرة من بعد موت عمها وفي ٢٨ يونيه من السنة التالية تتوجت بتاج الملك في كنيسة وستمنستر وفي ١٠ فبراير سنة ١٨٤٠ بعد الميلاد تزوجت الملكة بابن عمها البرنس ألبرت الابن الثاني سلطنة فيكتوريا

(الدوق صكص كو بورغ - غوطه) وقرر البرلمان باغلبية الاصوات للبرنس راتبا سنويا مقداره ٣٠،٠٠٠ ليره وكان رجلا حائزا الكثير من الفضائل وحزم الرأى نادر الصفة فى حسن أخلاقه حاز محبة الامة له ووثوقها به بما كان عليه من جميل الصفات ومازال على صفاته الطريفة حتى قضى نحبه وظهر فى مبادى السلطنة ثورة فى نواحى كناده من شمال أمريكه وذلك أنه كان يوجد فى ذلك الاقليم من المملكة الانكليزية نفور حاصل من عدة سنين مضت من الحكم الانكليزى وتقوى هذا النفور من اغواء الجم الغفير من الامريكانيين وكان أصل هذا النفور من الاختلافات الواقعة بين السكان الفرنساوية والانكليزية وكانت القوانين الصادرة من أجل حكومة كناده قاضية باجراء حكومة واحدة عادلة فى جهات كنادة الا انه كان يوجد بها بعض امتيازات خاصة بالفرنساوية وكان صدر قانون فى مدة وزارة بيط بواسطته انقسمت كنادة الى قسمين أحدهما كنادة السفلى وكان سكانها تقريبا من ذرارى الفرنساوية الذين قطنوها حال وجودها تحت أيديهم والثانى كنادة العليا وسكانها الانكليز والاسكوطلنديون والامريكانيون الخاضعون للحكم الانكليزى وكانوا وردوا الى كنادة عند ماصارت الاقاليم المتحدة الامريكانية مستقلة وكان لكل من هاتين الجهتين حاكم مخصوص ومجلس نيابى وما كان هذا الرأى جاريا على حسب العدل والانصاف ولما انفصل فصل شتاء سنة ١٨٣٧ بعد الميلاد قام الكناديون فى ثورة وماحصل لهم نجاح فى هجوم أجروه على طورونطو وأرسلت لهم الاقاليم المتحدة الرجال والذخائر لاعدتهم ثم انه بناء عن منشور صدر من رئيس الجهورية المتحدة قاضيا بمنع الرعايا الامريكانية من تداخلهم فى أعمال حربية ضد بريطانيا الكبرى خسر العصاة المعاضدة التى كانوا متوكلين عليها فكان فى العساكر الموجودة فى المستعمرة والرعايا الطائعة الموجودة فى كنادة العالية قوة كافية على مقابلة هذا الاختلال وأخذت الثورة من بعد حرمانها من المساعدات الخارجة ثم انه فى فصل شتاء السنة التالية قامت ثورة ثانية فى نواحى كنادة السفلى الا أنها أطفئت على قدم السرعة وتولد من حصول أعمال عادلة ربط علاقات الكناديين مع المملكة الا أنه لاجل توطيد السلم فى ايالة كنادة انضمت كنادة العليا والسفلى فى حكومة واحدة تحت رياسة حاكم واحد فى ١٠ فبراير سنة ١٨٤١ بعد الميلاد

وفى نفس هذا الوقت كانت انكلتره فى غاية الارتباك من حركة الترخص والمنع وذلك أن لائحة الاصلاح التى صدرت فى السلطنة السابقة كانت غير مرضية عند الذين فى شدة وتضجر من أجل الراديكالى ويرغبون فى تغيير عام فى القانون فلما خابوا فى أعمالهم انتهزوا الفرصة فى وقت الاختلال الذى أعقب رداءة فصول مواسم الزراعة فى السنتين الاولين من السلطنة وهاجوا فى ثورة من أجل عمل اصلاح راديكالى وكان معاضدو الحركة معروفين باسم المقاولين لانهم دونوا طلباتهم فى قائمة عرفت برخصة الامة فكان هذا القرار مشتملا على ستة أشياء أولا انتخاب عام ثانيا أن تكون الاصوات فى أوراق ثالثا أن يكون انعقاد البرلمان سنويا - رابعا جهات الانتخاب - خامسا الغاء تعديل الاملاك عند الاعضاء - سادسا تدفع رواتب لنواب البرلمان وفى سنة ١٨٣٨ صار لهؤلاء المقاولين قوة مهولة فزعت منها الحكومة حتى انجبرت على اخماد شعلة نيران اجتماعهم وأخذت الاحترازات اللازمة والتحفظات الكاملة ضد الرؤساء الاكثر تهيجا منهم وفى السنة التالية قامت ثورة حصل منها شدة السعى فى نواحى مونموث وهجموا هجوما كان على غير طائل على المينة الجديدة وكان زعماء

الثورات (فروسط) وآخرين وقع القبض عليهم وصدر عليهم حكم الموت الا أنهم تجردوا من أملاكهم ونفوا مدة حياتهم وأضعفت شهامة الحكومة قوة المقاولين واستمر واعدة من السنين فى سكوت ومع هذا فان الحركة أخذت شدتها وهياجها من الثورة الفرنساوية التى حصلت فى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد تحت قيادة (فيرغوس عوكونر) فانه هددا الحكومة مرة أخرى ببعض ارتباكات تسبب فى اشتعالها وفى كننغطون اجتمع ٢٠٠,٠٠٠ نفس من الضالين بقصد سيرهم فى هيئة موكب نحو وستمنستر من أجل تقديم عريضة فى شأن طلباتهم فاستغاثت الحكومة بالخاضعين فى العاصمة فاجتمع ٢٠٠,٠٠٠ من أهل المدينة والتبعة وتعهدوا بحفظ النظام ففزع الموكب من رؤية هذا الخضوع ومر من دون أن يحصل منه أدنى ارتباك ومن ابتداء هذا اليوم ما حصل من أهل المقاولة رفع رأس فى المدينة وفى أثناء هذه المدة كانت الحالة فى ارلنده على غير نظام بالكلية وذلك أن هياج عوكونل فى الغاء الاتحاد حصلت المساعدة فيه من قسس الرومان كاتوليك حتى ان الايجارات الملغية بلغت على أبواب الكنائس فى سنة ١٨٤٣ مبلغ ٤٨,٠٠٠ ليره واجتمعت جمعيات مهولة فى طاره (عاصمة قديمة ارلنديه) وفى محلات أخرى كان انفجار الهياج شديدا جدا ووقع الاتفاق على تجمع هذه الجمعيات فى نواحى كلونطارف فتولد من ذلك صدور أمر بعدم حصول جمعيات مثل هذه وفى اليوم المعهود لالتئام هذه الجمعيات أرسل اللورد نائب ارلنده عساكر احتلت هذا الموقع وفى ١٤ أقطوبر سنة ١٨٤٣ وقع القبض على عوكونل ورؤساء آخرين لخوكوا وأجرموا وحكم عليهم بالغرامات والسجن ثم ألغى الحكم على حسب بعض اجراآت غير رسمية ومات عوكونل فى جنوه فى ١٥ مايو سنة ١٨٤٧

ثم ان الاعضاء أهل البأس والشدة فى حركة الغاء الاتحاد لما ضجروا من عدم نشاط همة المهيج الاكبر قائدهم عوكونل وشكلوا أنفسهم فى صورة الحزب الجديد الارلندى الوطنى قاصدين به فصل الاتحاد بقوة السلاح فتولد من خيبة مواسم زراعة البطاطس وما أعقبه من القحط وعموم الموت والهجرة ونقص الامة الارلنديه مليونين من الانفس زيادة الضرر الاكبر على الارلنديين وهلاك كافة الثائرين مع ما كان الامة عليه من الميل وحصل من انكلتره المساعدة العظيمة فى هذا الوقت لاهل ارلنده ونشر (يوحنا ميتشل) فى أوراق الحوادث الارلنديه أن أصعب شئ على أهل ارلنده هو اتحادهم مع انكلتره فى جامعة واحدة وقصد بهذا الاعلان هياج الامة وقيامها فى ثورة وأخيرا حصل الاجتهاد فى مدة الثوران فى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد فى الخروج عن طاعة انكلتره وكان حصول هذا السعى فى طيبيرارى تحت قيادة (سميث عوبرين) من أعضاء البرلمان من أجل اقليم ليمريق فحطم قوة من عساكر الضبط هذا السعى القائم ووقع القبض على زعيمه فى حالة ما كان مستخفيا فى غيط مزروع بالكرنب فصدر الحكم على عوبرين وثلاثة معه آخرين بالموت ثم استبدل حكم الموت بحكم النفى مؤبدا ومن بعد أن قضوا بضع سنين فى النفى صدر العفو عنهم جميعا والتوجه الى ما يشاؤن من محل اقامتهم ثم استمرت ارلنده فى هدو بضع سنين وابتدأت فى كونها تجنى ثمرات الامن من سرعة زيادة نجاحها ومع هذا فان آمال محبى وطنهم من تلك المماليك تشتتت فى سنة ١٨٦٥ بعد الميلاد من الكشف على ثورة قصدت ترتيب جمهوريه ارلنديه وكان منشأ هذه الحركة نابعا فى أمريكه بين الارلنديين القاطنين فيها وكانوا تعودوا على سفك الدماء ووقوع الفتن والارتباكات ووقوع حروب

داخلية بين الاقاليم الشمالية والجنوبية من أمريكه ولما عدموا أشغالهم وما كانوا عليه من الثوران عند استتباب الامن بين الايالات وبعضها تفكروا أن ارلنده ميدان عظيم يجعلون فيه تجاريب خبائث حركاتهم العسكرية القبيحة وعرفت الجمعية التى تشكلت بهذه الصورة باسم (فنيان اخوان) يعنى جمعية سرية معدة لقلب الحكومة الانكليزية فى ارلنده ثم انه من تيقظ الحكومة انحطمت أغراض هذه الجمعية وبواسطة الغاء قانون السجون خلصت ارلنده من خبائث عدة مجازفين من هذه الجمعية يريدون غنى أنفسهم بألعاب خبيثة يجرونها فى المملكة ولما خابوا من عبورهم خليج ارلنده صار بعض المدائن الانكليزية مرقدا هنا للهياج الفنيانى وميدانا لحركاته العنيفة وذلك انه فى منشستر وقع الهجوم على وجهة حبس كان به ثلاثة من زعماء (فنيان اخوان) بشرذمة متسلحة من الثائرين فى وسط النهار وقتلوا واحدا من عساكر الضبط وسقط فى لونديره قطعة من حائط حبس كلركنول ومات تحتها عدة أنفس وفى سنة ١٨٦٩ رغبت الحكومة الانكليزية فى دوام استتباب السلم فى ارلنده فأصدرت لائحة بالغاء الكنيسة الارلندية واجتهدت فى السنة التالية فى اصلاح الاحوال بين أرباب الاراضى والمزارعين المؤجرين بواسطة لائحة الاراضى ومع كل هذا وما أجرته الحكومة من أعمال الهاطية كانت أوردينة فانها ما زادت ارلنده الا هياجا وثورانا فى المملكة أو الغاء قانون الاتحاد وصارت هذه الافعال من أعمال الوقت

وفى سنة ١٨٤٠ بعد الميلاد اتحدت انكلتره وأوستريا وبروسيا وروسيا فى المدافعة عن سلطان تركية السلطان محمود الثانى من محمد على باشا والى مصر وكان جيشه تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا تغلب على سوريا وهدد المملكة التركية العثمانية بالخراب وأرسل أسطول انكليزى تحت قيادة الاميرال (سطوبفورد ــ والكومودور تابيير) فأطلق هذا الاسطول نيرانه المتواترة على بيروت وصيدا وعكا وأرغم ابراهيم باشا على الانسحاب من سوريا ولما خاب محمد على باشا من امداد فرانسا له عقد صلحا مع السلطان محمود على شرط أن يكون حقه فى حكم مصر وراثيا ويبقى فى عائلته وقد ذكرت ذلك مفصلا فى تاريخ مصر وفى سنة ١٨٣٩ بعد الميلاد لما رفضت المملكة الصينية ادخال تجارة الافيون فى أملاكها هيجت عليها الدولة الانكليزية حربا سنذكران شاء الله حوادثها فى تاريخ المملكة الصينية وتداخلت الانكليز فى أعمال الافغانيين فأصابتهم احدى المصائب المهولة التى ما خطر لهم ما كرهم بمثلها وذلك أن الحكومة الانكليزية ارتابت من مقاصد روسيا فى أمر المملكة الهندية البريطانية ورغبت أن تضع على تخت أفغانستان حاكما صادقا للاصالح الانكليزية وكان ظهر من دوست محمد الغاصب للتخت الافغانى أنه العدو الالد للانكليز فرأت الحكومة الانكليزية أن الاوفق لها ارسال قوة الى كابول لاجل خلعه ووضع شاه سوجاه بدله ولما نجحت الحملة فى أشغالها انسحب قسم من الجيش وبقى الباقى لمعاضدة مناوضعه الانكليز على تخت افغانستان وظن أن كل شئ صار فى غاية الهدو حتى صار ارسال العساكر لازواجهم وأولادهم غير أن الافغانيين كرهوا فى شهر نوفمبر سنة ١٨٤١ بعد الميلاد حكم السونكى الاجنبية فقاموا بالسلاح وهجموا على حين غفلة على القوى الانكليزية وكان اكبر خان ابن دوست محمد ضبط من الاصل (معبر جنبر) الطريق الوحيد المعد للمرور الى البلاد الهندية فقط فلما وصل الجيش الانكليزى الى هذا المعبر صار تحت رحمة أعدائه وكان (الجنرال الفنسطون) اتفق مع أكبر على الانجلاء من المملكة وأظهر الافغانيون أنهم على غير مراعاة للمعاهدات بقتلهم (غليوم مكنوطن)

وبعد ضباط آخرين كانوا دعوا فى عقد مجلس وشرع الفنسطون فى القهقرة فى ٦ ينايرسنة ١٨٤٢ بعد الميلاد مع نحو ٤,٥٠٠ عسكرى و ١٢,٠٠٠ توابع المعسكر خلاف النساء والاطفال وسافروا من كابول للعبور من أرض صعبة جبلية فى مدة فصل شتاء صاقع جدا وفى مواجهة عدو ما فى قلبه رحمة ومدينة جلال اباد المحل الاقرب للأوى واقعة على مسافة تسعة اميال من كابول ففى اليوم الاول من أيام السفر ما كان للجيش المتقهقر من طاقة الاعلى قطع خمسة أميال فى وسط الثلوج المهولة ووقع الهجوم عليهم من كل جهة بالافغانيين وبات الجيش تحت الطل فى مدة الليل من دون مأوى ولا مؤنة وفى الصباح وجد الكثير منه ميتا من كثرة ما حل بهم من الصقيع والجوع وفى ظرف ثلاثة أيام هلك نحو من ٣,٠٠٠ نفس من الجوع ومن أيدى أعدائهم فأما الناس المتزوجون ونساؤهم فانهم سلموا أنفسهم لاكبرخان وأما الذين فضلوا على قيد الحياة فانهم اقتحموا السير والغارة مع ماوقع لهم من شدائد المقاومات من أعدائهم الا أن عددهم كان ينقص فى كل يوم وفى ١٣ يناير شاهد محافظو جلال ابادرجلا وحده يقرب من أسوار مدينتهم راكبا على ظهر سيسى فى غاية من الكآبة شانقا فى رقبته الضنك والعجز فحققوا أنه الحكيم بريدون أحد القوة التى خرجت من كابول من مدة أسبوع ونجا بنفسه ليخبر بالواقعة وما حصل للقوة العسكرية فانتظر الجنرال صال القائد فى جلال اباد حضور الجنرال پولوك وكانت المحاربة جارية فى طريقه من دربند خيبرا انتقاما بما وقع من قتل أهل بلاده وجعلوا هاما مع قوة الجنرال نوط وزحف الكل على كابول وغرسوا العلم الانكليزى مرة أخرى على أسوارها ولما خلصوا الاسرى هدموا الاستحكامات ومن ثم أعادوا نفوذ وشهرة الانكليز والجلاء الجيش من افغانستان فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٤٢ ثم قتل شاه سوجاه بيد عدوه وعاد دوست محمد وجلس على تخت افغانستان ومن بعد مضى بضع سنين عقد محالفة وديه مع انكلتره وفى السنة التى جاءت عقب الحرب الافغانى قامت مشاحنة مع أمراء السند الواقعة أراضيهم على نهر الاندوس أو السند فأرسل شارلس ناپيير مع جيش قليل مؤلف من ٢,٥٠٠ نفس من أجل التغلب على حكومة الامراء وكانوا هجموا على المقر الانكليزى فى حيدر اباد السند فالتقى فى مينى بقوة من العدو مؤلفة من ٣٠,٠٠٠ نفس وهزمها هزيمة حادة ووقعت عاصمتهم حيدر اباد فى يده ومن بعد نصرة أخرى حازها بالقرب من أسوار المدينة صار التغلب على السند وأضيفت الى الاملاك البريطانية فى سنة ١٨٤٣ بعد الميلاد

ثم ان السيخيين القاطنين فى اقليم پنجاب (أى ولاية الخمسة أنهر) الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية للسند شرعوا فى ديسمبر سنة ١٨٤٥ فى حرب مع الانكليز من دون وقوع أدنى سبب وعبروا نهر السوطليج وزحفوا المحاربة القوى الانكليزية الموجودة تحت قيادة (هيوغوغ - وهنرى هاردنغ) وكانت معسكرة هذه القوى فى مودكى فى ١٨ ديسمبر فانهزم السيخيون فى هذه الواقعة شر هزيمة وكذا من بعد مضى ثلاثة أيام هزمهم هذان الجنرالان هزيمة أخرى فى نواحى مدينة فيروزشاه وفى أثناء عبورهم من نهر السوطليج تعقبهم هرى سميث وأوقع بهم الفشل الاكبر فى اليوال فى ٢٦ ينايرسنة ١٨٤٦ بعد الميلاد وتولد من النصرة الفاصلة التى حصلت للانكليز فى نواحى سوبرون فى الشهر التالى فتح طريق الى لاهور عاصمة پنجاب كان فيها عقد شروط الصلح وفى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد هاجت ثورة فى مولتان وذلك أنه قتل فيها اثنان من ضباط الانكليز فكان ذلك سببا فى تجديد

الحرب ومن بعد أن حارب لورد غوغ محاربة غير فاصلة فى نواحى (رامنوكور) هجم على جيش كبير من السيخيين كان فى مواقع محصنة فى جهة (شيليان والا) غير أن الواقعة ما كانت فاصلة حتى قيل ان النصر كان عند الطرفين فى ١٣ ينايرسنة ١٨٤٩ بعد الميلاد ومن ثم كانت مصائب الانكليز مهولة وخسائرهم جسيمة فى شأن ذلك حتى ان الجنرال نابيير صار ارساله مع غاية السرعة من انكلتره من أجل تقليده زمام القيادة ومن قبل وصوله حاز غوغ نصرة فاصلة فى نواحى الجوزرات وكان اجتمع فيها السيخيون والافغانيون أول مرة وتحزبوا على الانكليز وصمموا على قلب دولتهم فى الهند فى ٢١ فبرايرسنة ١٨٤٩ بعد الميلاد وكانت هذه الواقعة ختام الحرب ثم أضيفت بنجاب الى المملكة البريطانية وترتب لحاكمها (ماهراجا دوليب سنها بهادور) شاب عمره احدى عشرة سنة معاش سنوى من طرف الشركة الهندية الشرقية وفى هذا الوقت صار تسليم قطعة الالماس الثمينة المقدار المسماة (كوهى نور) للملكة انكلتره ثم بعد ذلك دخل الماهراجا فى الديانة المسيحية وجعل مقره فى انكلتره وحاز فيها أملاكا كاجة ولما انتهى هذا الحرب وجهت الحكومة الهندية التفاتها الى بارمه وذلك أن حاكم رانجون لما عامل الكثير من التجار ورؤساء السفن التجارية معاملة القسوة أرسل الكومودو رلامبرت من طرف الحكومة الهندية من كلكوته مع عمارة بحرية صغيرة من أجل طلب مرمة ما حصل من الفتق فرفض الملك (أفا) قبول أى شئ فى اصلاح المسئلة ومن أجل ذلك غارت قوة بريطانية فى مبادى سنة ١٨٥٢ بعد الميلاد على أراضيه وتغلبوا على مرطبان ورانجون وبيغو ولما لم يظهر من الملك علامة الخضوع أضيف اقليم بيغو الى الاملاك الانكليزية وانقطعت المواصلات مع العاصمة فى ٢٠ ديسمبرسنة ١٨٥٢ ولما وقع الحصار على نهر ايروادى رجع الملك الى عقله وحاذر على نفسه وفى فصل ربيع سنة ١٨٥٣ تدارك صلحه وهذه الاراضى المشتملة على ٤٠,٠٠٠ ميل مسطح و ٣,٠٠٠,٠٠٠ من السكان أضيفت الى الاملاك الانكليزية ثم ان الصلح الذى جاء عقب هذه الحروب فى جهة الشرق انخرم فى سنة ١٨٥٧ بواسطة العساكر الوطنية الهندية وذلك أن جيش الشركة الشرقية الهندية كان مؤلفا معظمه من العساكر الهندية الوطنية وكان الكثير منهم من الطوائف العالية البراهمية وكان هؤلاء الناس شبعوا وتدللوا حتى تصوروا أن المملكة لا يمكن بقاؤها من دون استخدامهم فيها وظهر منهم حدة الثورة فى السنين الماضية من أجل أسباب متعددة ومن الاختلاف الحاصل بين ديانتى البراهميين والمسلمين تقوت أيدى الحكومة فى أشغالها بواسطة الجيش الوطنى الا أنه من سوء الطالع بوقوع سبب عجيب أن جلبت الحكومة للعساكر خراطيش مزينة بدهن الحيوانات وكانت هذه الشحوم مكروهة فى الاشتباهات الدينية عند كل من الهنود والمسلمين لان الهنود اعتقدوها شحم البقر المقدس عندهم واعتقدها المسلمون شحم الخنزير المحرم عندهم فانضم الهنود والمسلمون مع بعضهم وعقدوا اتحادا تداعيا بين بعضهم لتقلبا الحكومة الهندية الانكليزية من عموم الهند فبذلت الحكومة الهندية الانكليزية مجهودها فى ازالة هذا الارتياب من قلوب العساكر الوطنية فكان على غيرطائل وتمكن الوسواس من قلوب هؤلاء الناس حتى سمعوا فقط باباحة الديانة المسيحية فى الهند وأخيرا انفجر الشر فى ثورة مهولة فى (مراداباد) فى فصل ربيع سنة ١٨٥٧ بعد الميلاد ولما قتل الثائرون ضباطهم من الاوروباويين وأزواجهم وأولادهم وحرقوا كورة معسكرهم أسرعوا الى دلهى فقوبلوا فيها مع التهليل وتلقب ملك دلهى

بلقب

بلقب سلطان المغل وتقلد زمام الحكومة وأمر بذبح الاوروباوبين الذين التجؤا الى السراى وانتشر لهيب هذه الثورة مع العجلة فى المدائن الكبيرة فى بنغالة وفعلوا ما يمكنهم من الافعال الذميمة وكانت كانبور على الخصوص ميدانا لمثل هذه الاعمال الفظيعة وذلك أنه كان فيها (ناناصاحب) من رؤساء المهاراطا فكان يدعى على الدوام أنه أعظم صديق للانكليز ومن قبل ذلك بسنة أو بسنتين حصل له الاجلال فى قاعة الاستقبال فى لوندره فأغوى هذا الرجل بعض مئات من الرجال والنساء والاطفال حتى صاروا تحت شوكته وأمر أصحابه من العساكر بذبحهم وقتلهم بأفظع حالة وفى أثناء هذه المصائب المهولة التى وقعت فى عموم البلاد الهندية اجتمع الانكليز الذين نجوا من المذابح وقاوموا أشد المقاومة واجتمع منهم الجم الغفير فى مدينة (لوكنو) وقاوموا كل ما وقع عليهم من هجوم العساكر الهندية حتى خلصهم كولن كامبل (لوردكليد) وأعيدت دلهى من بعد مضايقتها بحصار استمر عليها ثلاثة شهور وتغلب الانكليز عليها مرة ثانية ومن قبل غلاق السنة وقعت بنغاله مرة ثانية تحت أقدام انكلتره ومن شجعان الرجال الذين شيدوا شهرة الاسم الانكليزى وساعدوا فى عود السيادة والسلطنة البريطانية فى الشرق (عوطرام ـ وهافلوك ـ ولورانس ـ وميلوسن ـ وهودسون) وانتقم الانكليز من زعماء الثائرين وكافؤا الرؤساء الذين داوموا على صداقتهم بمكافآت جليلة وأما الفاجر الكافر (ناناصاحب) فانه نجا بنفسه وهرب

وكانت هذه الثورة سببا فى صدور لائحة من البرلمان فى ٢ أغسطس سنة ١٨٥٨ بنقل الحكومة الهندية من يد الشركة الهندية الشرقية ليد الحكومة الانكليزية فأعقب هذا التغيير نتائج عظيمة وذلك أنه صار مباشرة أعمال الحكومة الهندية بنائب عموم الهند معينا من طرف الملكة وجعل مقره الرسمى فى مدينة كلكوته ومعه مجلس مؤلف من خمسة عشر عضوا لادارة أشغال المملكة الهندية ثم تولد من مقاصد الروسيا ضد الترك حض انكلتره على اقامة حرب على الروسيا ودخلت انكلتره فى معاهدة مع فرانسا فى سنة ١٨٥٤ بعد الميلاد من أجل هذا الغرض الذى نتج منه حرب القرم المذكورة أسبابه وحوادثه فى هذا الوقت فى تاريخ فرانسا وتولد أيضا من المصائب التى حلت بالجيوش الانكليزية فى فصل شتاء سنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٥٥ الناتجة من سوء ادارة الحكومة هياج أخذ فى شدة الغضب فى انكلتره كان سببا فى سقوط وزارة ابردين فى أوائل سنة ١٨٥٥ بعد الميلاد ثم كان سبب هياج الحرب بين الانكليز والحبشة متولدا من سوء ادارة الملك طيودور وملك هذه البلاد مع بعض الرعايا الانكليزية وكان سبب غضب طيودور أنه أرسل مكتوبا للملكة فيكتوريا صاحبة انكلتره وما عاد اليه رده فمن ثم قبض على السفير الانكليزى وبعض من الاوروباويين الموجودين فى مملكته وأودعهم السجن وهددهم بقبض أرواحهم فخابرته الحكومة الانكليزية وأنذرته انذارات شديدة فخابت فيما أجرته فى ازالة ظلم هذا الملك فعزمت الحكومة الانكليزية على ارسال حملة لخلاص هؤلاء الاسرى المودعين فى السجون وفى سنة ١٨٦٨ بعد الميلاد أرسلت جيشا مطقما على جودة من الانتظام مؤلفا من نحو ١٠,٠٠٠ نفس تحت قيادة السير روبرت نابيير من الضباط المشهورين فى الهند الى الساحل الشرقى لافريقه وكانت مجدلة عاصمة طيودور واقعة فى داخل الاراضى ولم توجد سكة مستقيمة توصل الى هذه العاصمة من البحر بدون شئ من الفزع والرعب فقطع العساكر الانكليزية طريقها ونجحوا فى الوصول الى معقل الطاغية من دون قذف أدنى عيار نارى وكان محافظو

الجهة قليلي العدد وما كان فيهم طاقة على مقاومة مدافع ارمسترنغ ولا على بنادق الشسخانة الانكليزية فلما رأى طيودور أن كل شئ فقد من يده قتل نفسه بنفسه وخلص الاسرى الاوروباوية من أسرهم وخوربت مجدلة وجلب الشاب ابن ملكها الى انكلترة من أجل تعليمه وتهذيبه وصار مكافأة لورد نابيير فى تطير ما وقع منه من النجاح رتبة لورد نابيير مجدلة

ووقع فى هذه السلطنة عدة تغييرات مهمة توجه البرلمان والامة التفاتهم اليها وذلك أنه منح امتياز مد خطوط التلغرافات بجانب خطوط السكك الحديدية فى سنة ١٨٣٧ بعد الميلاد الى كل من ويطسطون وكوك وفى سنة ١٨٣٨ اشتغلت السفن جميعها بواسطة البخار فى العبور من انكلترة الى نيوكاستل من أجل نقل الفحوم اللازمة للسفر فى الجهات

وفى سنة ١٨٣٩ حض رولند هيل الحكومة على تنفيذ مشروعه فيما يختص ببريد المكاتيب فى كافة أراضى المملكة المقصدة بالاجرة وكانت هذه حالة عظيمة وضرب على الناس قيمة المكاتيب ولاعضاء البرلمان حق فى أن يرسلوا مكاتيبهم لاصدقائهم خالصة الاجرة وأما الفقراء فانه تقرر عليهم من ستة بنس الى شلن وأربعة بنس قيمة أجرة ارسال مكاتيبهم الى الجهات على حسب بعد المسافة وفى سنة ١٨٣٩ تقررت أجرة البريد أربعة بنس على كل نصف أقة من ثقل مّا وفى ١٠ ينايرسنة ١٨٤٠ بعد الميلاد صار امكان ارسال أى مكتوب الى أى جهة من جهات انكلترة واسكوطلنده وارلنده بقيمة بنى واحد

وفى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٣٨ بعد الميلاد انعقدت فى منشيستر جمعية من أرباب العقول للنظر فى ازالة الضرر والمصائب الحالة بالمملكة وتشكلت شركة للكبس على الحكومة فى ابطال العوائد الجارى أخذها على الغلال الواردة من الجهات البرانية فكان هذا مبدأ اتحاد القانون المضاد لقانون الغلال وكان من ضمن كبار هذا الاتحاد (ريشارد كوبدن) شغال فى صنعة الشيوت والاقمشة فى منشيستر وصديقه (جنابرايت) شغال فى صناعة البسط فاستمر هذان الشخصان خمس سنوات مع الذين معهما فى الاشتغال يهيجون الناس بالمقالات والخطب ويعرفونهم عدم عدل قوانين الغلال فى حق الفقراء ويقولون لهم لو فتحت المين وترخص بدخول الغلال فيها فان الفقير يمكنه أن يبتاع خبزه بنصف الثمن الحالى والنصف الآخر الجارى دفعه الآن من طرفه فى حالة غلق المين يمكنه أن يدفعه فيما يعود عليه بالمنفعة من الزراعة أو الشغل الموجود فى يده ومن ثم صار الناس المحتاجون للغذاء يدفعون نقودا لمن فعل الطيب لهم ولاقى خطباء القانون المضاد لقانون الغلال أشد المصاعب فى مبادى اغواء السامعين لكلامهم لان أرباب الاراضى والمزارعين تفكروا أن هذا المشروع يعود على البلاد بالدمار ويصيرهم فى أسوء الاحوال فى أوقات زراعة أراضيهم حتى ان طوائف الشغالة كانوا فى حدة وشدة على المقاولين زيادة عن الغاء قانون الغلال غير أن الاعمال صارت فيما بعد جلية وعرفت الامة حقيقة جودة هذه المادة وكان لورد ميلبورن فيما سبق قرر ضريبة قليلة على الغلال ولما لم يستقر رأى البرلمان عليها فى وقت تقديمها استعفى من وظيفته فى سنة ١٨٤١ بعد الميلاد ورأى روبرت بيل الذى خلفه مع وزارة من المحافظين ضرورة فعل هذه المادة والاقرار عليها

وحيث كانت مالية المملكة فى وقت استعفا لورد ميلبورن فى عسر ومضايقة شديدة وكانت الخزينة مديونة بنحو ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ليره عزم بيل لاجل اصلاحها على أن يضرب عوائد على الواردات

قرر فيها أن كل انسان تنوف تجارته عن ١٥٠ ليره سنويا يجب أن يقرر عليه رسم مقداره ٧ بنس على كل ليره يدفعه فى خصوص وارداته من البضائع للحكومة وتقرر ذلك فى سنة ١٨٤٢ فاستمر ثلاث سنوات وفى سنة ١٨٤٥ تجددلمدة ثلاث سنوات أخرولم ينقطع دابره من بعدها وكان أعلى قيمة فى هذه الرسوم ٤ بنس وواحد شلن على الليره الواحده من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٥٧ وأدنى قيمة ٢ بنس على الليره الواحدة من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٦ بعد الميلاد ومع هذا فان بيل بذل مجهوده فى تقليل الرسوم على الواردات الاجنبية خصوصا على أصناف الغلال ومع ماحصل من بيل من بذل الطاقة فان المصائب مازالت حالة بالمملكة وذلك أنه فى سنة ١٨٤٥ خاب موسم الزراعة فى انكلتره وعدم البطاطس فى ارلنده وفقد الغذاء العام فيها وصار القحط على شرف الوقوع وصرخت الامة فى فتح المين والترخيص بدخول الغلال فى المملكة ولما رأى بيل على وجه التدريج الحق فيما قاله كوبدن عرض فى هذا الوقت فى البرلمان الغاء العوائد المضروبة على الغلال ولما لم يمكنه اقناع الوزراء الذين معه على الاتفاق معه فى هذه المسئلة استعفى من وظيفته وأشار على الملكة فى كونها تطلب لورد يوحنا روسيل (وكان كتب مكتوبا قويا فى شأن الغاء قانون الغلال) أن يحل فى الوزارة محله غير أنه ماذا يصنع فى مساعدات الوزير الاول فى شأن هذه المصاعب الواقعة فانه ما كان له طاقة على تشكيل وزارة بسبب أن أكبر معاضديه لورد غرى ولورد بالمرسطون كل منهما محتاج لتحرير تجارة الغلال الا أنه ما كان فى طاقتهما الاتفاق معه فى الاعمال الخارجية فمن ثم طلبت الملكة من بيل عوده ثانيا الى وظيفته فكان رجوعه هذا سببا فى الغاء قوانين الغلال بواسطة حزب المحافظين لا بواسطة حزب الاحرار فلما رجع بيل الى وظيفته تحقق الناس فى الحال أنه لابدلهم من تنفيذ لائحته فم الهياج المملكة ورأى كوبدن فى هذا الوقت نتيجة شغله فانعقدت جمعية فى منشستر جمع فيها ماينوف عن ٦٠،٠٠٠ ليره فى ساعة واحدة لأجل معاضدة هذا المشروع وفى ٢٢ ينايرسنة ١٨٤٦ شرح بيل بفصاحة ألفاظه الطريقة التى بها حافظ على الغاء قانون الغلال وتحرير تجارة الغلال من الرسوم وفى ٢٥ يونيه صدرت لائحة الغاء قوانين الغلال من مجلس الاعيان أو اللوردات وأخذت الرسوم فى النقص على التدريج الى شهر فبراير سنة ١٨٤٩ حتى مابقى الا واحد شلن على كل اردب وكان هذا آخر اصلاح كبير عمله بيل لان اخوانه القدماء كانوا على غضب شديد منه وقدح فى حقه (لورد بيكونسفيلد) قدحا فاحشا وتشكل حزب مدافع فى البرلمان ولما أراد بيل التصديق على اللائحة قهرا من أجل توقيف الاجرام الحاصلة فى ارلنده انضم هذا الحزب الى حزب الاحرار مضادا له وفى الليلة التى صدرت فيها الائحة مجلس اللوردات بالغاء قوانين الغلال التزم بيل على الاستعفاء وحل محله لورد يوحنا روسيل فى رأس الوزارة

وفى سنة ١٨٤٨ انفجرت ثورة أخرى فى باريس هرب فيها الملك لوى فيليب الى انكلتره وأقيمت الجمهورية وكانت كافة أوروبا على حالة غير مرضية فانه حصل فى ايطاليا وأوستريا وبروسيا ثورات مهولة والتزم الملوك على تشكيل مجالس وبرلمانات لقومهم ورعاياهم

وفى سنة ١٨٤٩ ألغيت قوانين الملاحة جميعها وفى سنة ١٨٥٠ فقدت انكلتره أحسن رجال سياستها روبرت بيل فحزنت عليه الامة ولبست عليه الحداد وفى هذه السنة تمت الاعمال الانكليزية فى الهند وعكف سكان الهند على مصالحهم ومايلزم من تربية أبنائهم وتولد من استكشاف معدن

الذهب فى نفس هذه السنة فى كاليفورنيا الموجودة فى الاقاليم المتحدة بامريكه وفى سنة ١٨٥١ فى نواحى فيكتوريا وأوستراليا حصل فرق كبير فى هذا الصنف وكانت مسئلة نتيجة الرفع والخفض فى أثمان الذهب من أصعب أحوال الوقت وتولد منها حالتان وذلك أن اكتشاف الذهب فى المستعمرات فى سنة ١٨٥١ كان سببا فى خفض الاثمان فى المملكة وتولد منه هياج مهول ساق الكثير من الناس الى الهجرة لا للميادين كشف الذهب فقط بل لها وللاستيطان آخرين فى هذه الجهات ومن هذا الوقت صار تاريخ المستعمرات فى غاية الاهمية فان مستعمرة رأس عشم الخير وان كانت واقعة على الطريق الموصل للهند الا أنها تقدمت الى آخر درجة فان الفلمنكيين الذين كانوا قاطنين فيها قبل تغلب الانكليز عليها كانوا دائما فى مشاحنات مع الوطنيين وشبكوا الانكليز معهم فى حروب صغيرة ومع ما كان الانكليز عليه من محارباتهم مع أهل الكفرة والزيلوس فان أراضيهم آخذة فى الزيادة والاتساع وصارت ناتال مستعمرة انكليزية سنة ١٨٤٨ ودخلت القوانين والنظامات فى مستعمرة الكاب فى سنة ١٨٥٠ ولو أنها ما تداخلت فى أعمال نفسها الى سنة ١٨٧٤ بعد الميلاد وفى أوستراليا أخذ تقدم الاشياء فى السرعة وكان سكان أوستراليا على غاية من الدناءة فتجردوا مما كانوا فيه وأخلوا طريقا للصنف الابيض وأما فى زيلنده الجديدة فانذكاء المواريين صيرهم فى أحسن حالة واستتباب أمن وراحة وذلك أنه فى سنة ١٨٣٧ شكل (ادوارد غبون) فى لوندره شركة من أجل استعمار زيلنده الجديدة وكان ادوارد المذكور كاتب أسرار (لورد دورهام) فى كناده وتوجه أخوه (أميرالاى واكفيلد) الى جهة شمال الجزيرة وأقام مستعمرة فى مينة (نيكولسون) على بوغازات كوك وأخذ الاقليم الموجود حول هذه المستعمرة فى التقدم وأطلق عليه اسم اقليم ولنغطون وفى سنة ١٨٣٩ أعلنت الحكومة الانكليزية أن زيلنده الجديدة من مستعمرات التاج وفى سنة ١٨٤٠ عقد رؤساء المواريين معاهدة فى مدينة ويطنغى وقرروا ملوكية بريطانيا الكبرى على الجزائر المذكورة وحفظوا لانفسهم أراضيهم وأورمانهم ماعدا ما يلزم مهاد فعه وكانت المستعمرة التالية لهذه المستعمرة (أوفاند) ملاصقة لبلاد المورباتيين ثم توالت المستعمرات فى جنوب الجزيرة وهى مستعمرة نيلسون فى سنة ١٨٤١ وأوطاغو فى سنة ١٨٤٨ وكانتربورى مع مستعمرتها كنيسة المسيح فى سنة ١٨٥٠ وما كانت طريقة حكومة واكفيلد الا بيع الاراضى للسكان وصرف النقود فى عمل سكك وقناطر وكان مستعمرو زيلنده الجديدة وأهلها فى مبادى أمرهم رجالا لهم طباع يعيشون بها على قدر أحوالهم الا أن الموانع الكبيرة التى كانت سببا فى عدم تقدم البلاد هى الحروب مع المواريين من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٨ بعد الميلاد ومن عهد هذا الوقت دخل الوطنيون فى صداقة تامة مع الانكليز وصار لهم أعضاء من المواريين فى برلمان زيلنده الجديدة ومن ثم كان يوجد سبع مستعمرات أوستراليانية وهى زيلنده الجديدة وطسمانيه والخمس مستعمرات الموجودة فى أوستراليا وفى سنة ١٨٥٠ أصدر لائحة رخص فيها للمستعمرات الاوسترالياتية وهى الويلس الجديدة الجنوبية وفيكتوريا وأوستراليا الجنوبية وطسمانيه باختيار وانتخاب قانونهم ونظامهم تحت حكومة انكليزية ومن بعد مضى بضع سنين سارت المستعمرات الاخر على منوال تلك المستعمرات ومنح الى زيلنده الجديدة عمل قوانين نفسها فى سنة ١٨٥٢ على حسب طبائعها وعوائدها وفى أثناء ذلك تسبب من وجود حمى الذهب فى سنة ١٨٥١ حصول تيارات شديدة من المهاجرين الى هذه

المستعمرات

المستعمرات وصارت حركة المهاجرين مستمرة على الدوام بينهم وبين مملكتهم القديمة ومع أنهم كانوا حرين في أحكامهم وأشغالهم كانوا رابطين قلوبهم وأنفسهم في مصالح انكلتره وكانت سنة ١٨٥١ سنة المعرض الاكبر لكافة مشغولات الامة وما حصل فيها من التقدم في الفنون والعلوم والصناعات والمزارع وأنواع الغراس وبذل فيه البرنس البرت وسعه في جمع كافة المصنوعات والمشغولات الموجودة في عموم الدنيا من أجل مقارنتها مع الاشغال ومخترعات الاشياء في انكلتره وارائة الامة الانكليزية ماعليه الامم الاخرى من تقدم الصناعة في بلادهم والسراى المصنوعة من القوارير القائمة على الارض الى الآن في سيدنهام هي نفس البناء الذى أنشأه السير يوسف باكسطون من أجل هذا المشروع الخطير فكان هذا المعرض فوزا عظيما وحصل منه الانتفاع في الحال والاستقبال وتعودت الامة على عمل معارض أخرى الا أنه لا بدل أن تكون مبادى تاريخ عصر جديد انقرضت فيه الحروب كما كان الكثير من الامة يؤمل ذلك اشتغلت الامم باشغال الصلح والامن مع بعضهم واستمرت نحو ثلاثين سنة من بعد خمسة في أمن واستتباب راحة

وفي سنة ١٨٥٢ بعد الميلاد سقطت وزارة اللورد يوحنا روسيل وحل محلها أخرى تحت رياسة اللورد دربى وفي سنة ١٨٥٣ استبدلت بوزارة اللورد ابردين الا أنه نظر المصائب التي حلت بالجيوش الانكليزية مدة حرب القرم صار تغييرها بوزارة تحت رياسة اللورد بالمرسطون في سنة ١٨٥٥ بعد الميلاد وفي سنة ١٨٧٥ زار البرنس ولى العهد سيلان وطاف بالبلاد الهندية وفي سنة ١٨٧٧ تلقبت الملكة بلقب امبراطورة الهند وفي سنة ١٨٧٨ لما كان يوجد خطر ظاهر في الحرب مع روسيا في أوروبا عبرت العساكر الهندية أول مرة البحر حتى وصلت الى مالطه وفي سنة ١٨٧٣ هاجت مشاحنة بين الانكليز وملك اشنطى في الجهة الغربية من افريقه بخصوص راتب كان الفلمنك سمحوا به في مبادى أمرهم لهذا الملك ثم تغلبت انكلتره على ساحل الذهب والمستعمرات القديمة الفلمنكية الموجودة في الساحل الغربى من افريقه في سنة ١٨٧٢ بطريق التنازل من طرف الفلمنكيين على حسب نص شروط معاهدة معهم فطلبت حكومة المستعمرات من ملك اشنطى انسحاب عساكره من أراضيها فرفض هذا الطلب وشرع في هياج حرب على الاملاك الانكليزية وفي سنة ١٨٧٣ سفرت الحكومة الانكليزية قوة تحت قيادة (غارنيط ولسلى) الى ساحل الذهب فوصل الى الساحل المذكور في غلاق السنة وزحف في الحال على الاراضى الاشنطية فقابله الاشنطيون بأعظم مقاومة وخسر واسلى الكثير من رجاله بسبب عدم موافقة صحة البلاد غير أنه طرد الوطنيين أمامه وفي غرة فبراير هزم العساكر الاشنطية في واقعة كبيرة وقعت في نواحى كماسيو عاصمة اشنطه وفي ٥ فبراير دخل كماسيو وأخضع الملك وعقد معه معاهدة عهد فيها ملك اشنطى على احترامه الاملاك الانكليزية فتولد من هذه النصرة كسر شوكة الاشنطيين مدة من الزمن وتولد منها الامن والمحافظة على المستعمرات الانكليزية في غرب افريقه وفي سنة ١٨٧٨ أرسل مبعوث انكليزى الى كابول كما حصل في سنة ١٨٣٨ فأعقب ذلك حرب وتغلبت القوة الانكليزية على كابول وكاندهار ووضع أمير جديد على التخت في المملكة الافغانستانية وصار الزامه بالترخيص في بعض محلات معلومة في طول الحدود تجعل للحكومة الانكليزية قوة أزيد مما كانت عليه قبل فمن طالع السوء انفجرت ثورة قتل فيها سفير الحكومة الانكليزية (السير لويس كافغنارى) في كابول فانجبرت

الحكومة الانكليزية على الاغارة على الافغان وعود التغلب على كابول وقندهار ثم أهاجت انكلترة حربين غير ناجحين على الزيلوس والفلمنكيين من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨١ بعد الميلاد تولد منهما عود استقلالية الزيلوس والفلمنكيين فى جنوب افريقيه وكان ضمهما الى الاملاك الانكليزية لورد بيكونسفيلد وسحب العساكر الانكليزية من قندهار وفى سنة ١٨٨٢ وقع حرب انكليزى فى مصر وذلك أن غلادستون رأس الوزارة الانكليزية دخل فى السياسة المصرية وكانت فرانسا وانكلترة من مدة طويلة مشتغلين بمشاحنات بين بعضهما بخصوص السيادة على مصر وتسببا فى حركة وقعت فى تلك المملكة من أحد الضباط المسمى (أحمد عرابى) زعم أنه يوطد السلطة والنفوذ للجيش المصرى وأهل البلاد المصرية فتولد من هذه المداخلة ضرب قلاع الاسكندرية بالاسطول الانكليزى وهزيمة أحمد عرابى فى التل الكبير بواسطة ولسلى ومحمد سلطان باشا رئيس مجلس البرلمان المصرى وعشيرة من المصريين ﴿تنبيه﴾ حيث فاتنى سهوا عند الكلام على الثورة العرابية أن أذكر أسباب دخولى فيها فقد انتهزت فرصة لاتيان شاهد لتلك الثورة فى هذا المحل حتى أوفى القارئ بالمطلوب فأقول

يامن اطلع على كتابى هذا لاتلمنى فى دخولى مع هذا الحزب ولاتظن أنى كنت مختل العقل محروما من التدبر والتبصر فالله يكون فى عون العبد مادام فى عون أخيه واذا أراد الله بقوم سوأ فلامرد له واذا وقع القضاء عمى البصر فان بغض الخديوى اتضح لى مرارا (منها) عندما تشرفت بمقابلته لاقدم فرض الشكر على ما أسداه الى من تعيينى باشمهندس عموم استحكامات مصرية قابلنى على خلاف العادة واعتقد أنى صرت من حزب عرابى ورفقائه بسبب قبولى هذه الوظيفة وكان ذلك مبدأ الكراهة والبغضاء وأقول والله على ما أقول وكيل ان الخديوى توفيق باشا فيه جميع المحاسن ومحب للتقدم الا أنه كان له أذن صاغية لاى عدو يلقى اليه فتنة فيرجمها فى قلبه ولا يسعى فى تحقيقها ولا صرف النظر عنها (ومنها) نظر الكون محمود باشا سامى هو السبب الوحيد فى ترقيتى الى درجة اللوا الرفيعة التزمت السير معه وكنت لا أخرج عن أمر ملما منحنى من جوده وكرمه فبواسطة اتحادى به صرت مكروها جدا عند الخديوى وهذه عادة الاحرار الذين لايتركون ما انتموا اليه فى الاول ولا يتركونه عند وقوع الشدائد والكروب

فلهذه الاسباب ولتحقيق أنى صرت من الذين يريد الخديوى الايقاع بهم مرت فى طريقى قاتلا أو مقتولا أوأجد لى طريق راحة فى عيشتى وحياتى وبدنى حتى وجدت ذلك فى النفى بأرض سيلان فانى بحمد الله فى عيشة هنية خالى الفكر معتبرا عند الناس خاليا من الوسواس فى أرغد عيش وأجل خيش وأسأل الله دوام هذه النعمة الباهرة والعزة الفاخرة

وفى حالة ما كان الجيش الانكليزى محتلا بمصر قامت ثورة دينية فى السودان تحت رياسة محمد أحمد المهدى وانفجرت فى عموم أرض السودان وحيث قد ذكرنا فى تاريخ مصر تفصيلات الثورة العرابية والحروب التى وقعت فى السودان فلا لزوم لتكرارها هنا بل الاوفق أن نرجع الى ما كنا بصدده من أمر المستعمرات الانكليزية وطريقة تشييدها فى الجهات الشرقية من آسيا فنقول . ان شوكة بريطانيا الكبرى كانت آخذة فى التقدم فى هذه الجهات من مبادى القرن التاسع عشر ورغبت أن تضيف لاملاكها الهندية بعض جهات فى الشرق فاستحوذت فى سنة ١٨١٥ على جزيرة سيلان

وادخلتها

وأدخلتها تحت الحكم الانكليزى وفى سنة ١٨١٩ أسست مستعمرة انكليزية فى سنجابور من الطرف الجنوبى لجزيرة ملقة وصارت احدى الاسواق الاصلية المشهورة للتجارة الهندية فكانت مبدا الانتشار تجارة الافيون ووقوع الارتباكات التى تولدت منه فى المملكة الصينية ومن أجل أن تضم بريطانيا الكبرى لاملاكها الهندية جهات أخرى شيدت فى أثناء هذا القرن الحالى مملكة زاهرة فى الاوقيانوس الجنوبى أعظم اتساعا من المملكة الهندية وهى جزيرة أوستراليا الشاسعة الاطراف والاكناف المستحقة أن تسمى أرض قارة لا جزيرة وكانت عرفت عند أهل أوروبا من مبادى القرن السابع عشر بواسطة الفلمنكيين فعزمت بريطانيا الكبرى فى سنة ١٧٨٨ بعد الميلاد على أن تجعلها مستعمرة جنائية وتنقل اليها أرباب الجرائم من أهلها فأرسلت أول رسالة مؤلفة من ١٠٠٠ نفس من أرباب الذنوب الى سيدنى فى القسم الشرقى من الجزيرة فكانت هذه أول مستعمرة اتخذتها انكلترة فى هذه الجزيرة الشاسعة فكانت عرضة لاهوال فى مبدا أمرها لكنها نجحت أخيرا فى توطيد نفسها واشتغل المجرمون بتنظيف الصحارى وانشاء السكك والجسور والقناطر وأشغال أخرى عمومية صالحة لاحوالهم ثم التحق بهم آخرون من المجرمين من وقت الى آخر وأجريت أشغال المستعمرة مع الدقة وحزم الرأى وانفصلت طرائق وصولهم الى حريتهم بأدنى سهولة وفى سنة ١٨١٠ تعين الحاكم مكارى لمباشرة أشغال المستعمرة فلبث فى هذه الوظيفة احدى عشرة سنة وبذل مافى طاقته فى اصلاح أحوال المجرمين ونجحت المستعمرة فى مدة ادارة حكمه واكتسب الكثير من المجرمين فوائد عظيمة وصار البعض منهم فى مراكز جليلة من المستعمرة وعلى وفاق تام مع الحكومة وحسنوا أحوالهم ومعايشهم وصاروا تبعة نافعين للمملكة الانكليزية وفى مدة ثلاثين سنة من بعد سنة ١٨١١ ورد السكان الحرة الى أوستراليا أفواجا فى عدد عظيم وأسسوا فيها مدائن جديدة وانقطع بالفعل نقل المجرمين الى أوستراليا والى أرض دميان وكان صنف الصوف هو مادة التجارة الكبيرة فى المستعمرة فكانوا يصدرون منه مقادير وافرة وانقسمت المستعمرة الاصلية من الويلس الجنوبى الى مستعمرتين شمالية وجنوبية فأطلق على القسم الشمالى كوينلند (أرض الملكة) وعلى الجنوبى اسم فيكتوريا ومن بعد مدة قليلة دخلت أوستراليا الغربية فى هيئة حكومة ممتازة وفى سنة ١٨٥١ كشف معدن الذهب فى الجهات الجنوبية الشرقية من أوستراليا فترك الناس أشغالهم وتوجهوا للبحث عن هذا المعدن النفيس فأعقب هذا الجنون مدة مشحونة بالاهوال ثم عاد الناس لاشغالهم وأخذت المملكة هيئة جديدة فى التقدم والعمران لحد الآن وصارت مدينة ميلبورن عاصمة فيكتوريا أكبر مدينة فى أوستراليا وبها من السكان ماينوف عن ٢٠٠٠٠٠ نفس وهى مدينة ظريفة يانعة زاهرة بأهلها تأسست فى سنة ١٨٣٧ وكذا مدينة سيدنى العاصمة القديمة للويلس الجنوبى الجديد فانها أيضا مدينة جليلة وأخذت عمارة المملكة فى الزيادة مع السرعة ومما حصل من أعمال مد السكك الحديدية والتلغرافات البرقية وأشغال نظامات أخرى من التمدن الغربى زيادة ثروة أوستراليا ونجاحها وصارت أوستراليا مقر أمة انكليزية ضخمة فصيحة اللسان وصار اتصال أوستراليا وطسمانيه التى كان يطلق عليها اسم أرض دميان مع لوندره بواسطة سلك تلغرافى تحت مياه المحيط الاوقيانوسى ونجحت مستعمرة طسمانيه أيضا وأما فى زيلنده الجديدة فان الثلاث جزائر التى مساحتها أكبر من مساحة بريطانيا الكبرى وارلنده فانه تأسس فيها ثمان

مستعمرات انكليزية نجحت فى أعمالها وأشغالها ودخل السكان الاصليون فى هذه الجزائر فى الديانة المسيحية والحضارة على التدريج وكان غالب الوطنيين لهم دراية بالكتابة والقراءة بلسانهم فنشرت أوراق الحوادث والاخبار فيما بينهم باللسان الماورى

ولنذكر الآن ما وقع من التغييرات والتبديلات فى داخل المملكة من الوزارة والاعمال من سنة ١٨٥٥ وذلك أنه فى هذا الوقت حصل فى حزبى المحافظين والاحرار عدة تغييرات فى هيئة أحوالهم فكان رؤس هذين الحزبين فى الابتداء (لورد دربى - ولورد بالمرسطون) فى بضع شهور من حكومة لورد يوحنا روسيل ولما مات لورد بالمرسطون فى اقطوبر سنة ١٨٦٥ بعد الميلاد صار (ديزرائلى وغلادستون) رئيسى الحزبين ومع أن الحزبين كانا فى اختلاف بين فيما بينهم فى كثير من الاشياء الا أنهما بذلا مجهودهما فى اصلاح حالة طوائف الشغالة فى انكلتره وجعلا لعموم الرعايا الانكليزية نصيبا عظيما فى الشوكة والحكومة وذلك أنه فى سنة ١٨٥٨ بعد الميلاد أصدر حزب المحافظين تحت رياسة لورد دربى لائحة تتضمن قبول اليهود فى البرلمان وفى سنة ١٨٦٧ صدرت لائحة تسمح لارباب العقارات أو البيوت فى القرى والمدائن الذين يدفعون ايجارا قدره ٤ ليره سنويا وللسكان الذين يدفعون ١٠ ليره سنويا بأن يكون لهم حق فى صوت الانتخاب ولو أن المزارعين فى داخل المملكة دفعوا ١٢ ليره سنويا بالسمح لهم أيضا باعطاء أصواتهم فى الانتخابات العمومية وفى سنة ١٨٧٢ أصدر حزب الاحرار تحت رياسة غلادستون لائحة كتابة الاصوات فى أوراق فمن ثم ما كان لأى انسان أن يعرف صوت الآخر موجها الى أى جهة وفى سنة ١٨٨٥ أصدر غلادستون لائحة تعرف بلائحة نيابة الامة مصرحة باعطاء أصوات الانتخاب لكافة أرباب المساكن وللسكان الذين قطنوا سنة فى المملكة فى مسكن واحد يدفعون ايجاراتهم سواء كانوا فى مدائن أو فى داخل المملكة ومن ثم صار للصنائعية والشغالة حتى فى القرى الصغيرة أصوات فى حكومة المملكة والبلاد وأضيف الى قوائم الانتخابات من أرباب الاصوات نحو من مليونين ونصف نفس وفى أثناء ذلك تولد من حصول الارتباكات فى ممالك أخرى القلق والبلبال فى انكلتره وذلك أنه فى سنة ١٨٥٨ بعد الميلاد دهم رجل ايطاليانى اسمه أورصينى واجتهد فى قتل امبراطور الفرنساوية نابليون الثالث بواسطة رمى قلة محشوة فى عربته وحصل لامبراطور الفرنساوية غاية الغضب بسبب أن بعض الثائرين وجدوا لهم مأوى فى انكلتره حتى ان الامة الانكليزية خشيت من وقوع حرب بين انكلتره وفرانسا أو ربما يقع فساقت هذه الحالة لورد بالمرسطون الى تشجيعه العساكر المتطوعة وأخذ عددهم فى الزيادة بسرعة وانتظموا تحت قيادة ديوان الحربية وبهذا صار المتطوعة قسما من الجيش الانكليزى ومع هذا فانه ما انتشب فى ذلك حرب وفى سنة ١٨٦٠ عقد كوبدن معاهدة تجارية عظيمة بين انكلتره وفرانسا وما حصل من قلاقل الحرب بين فرانسا وبروسيا فى سنة ١٨٧٠ أدنى تعكير فى استتباب راحة انكلتره وفى مدة حصار باريس وهياج ثورة الاوباش فيها وجدنا بليون الثالث لنفسه ملجأ فى انكلتره حتى مات فيها فى شهر يناير سنة ١٨٧٣ بعد الميلاد

وفى سنة ١٨٦١ وقعت زعزعة أخرى وذلك أنه فى حالة ما كان الناس يؤملون أن تكون انكلتره وأمريقه فى ارتباط علاقات مع بعضهما بواسطة سلك تلغرافى وضع تحت مياه البحر الاطلنطيق بواسطته حصلت المخابرات من سنة ١٨٥٨ بعد الميلاد من ملكة انكلتره الى رئيس الجمهورية فى

الاقاليم

الاقاليم المتحدة بأمريقه وقعت هذه الاقاليم نفسها فى حرب داخلى بين بعضها وكان سببه أن الاقاليم الشمالية رغبت فى الغاء الرق ومازال الرق موجودا فى الاقاليم الجنوبية فانجرح قلبها عندما قبلت كاليفورنيه فى سنة ١٨٥٠ قوانين الغاء الرقيق وكان لحد سنة ١٨٦٠ رئيس جمهورية الاقاليم موجها التفاته مع الاقاليم الجنوبية ففى هذه السنة نجحت أعمال الذين يريدون الغاء الرقيق من الاقاليم المتحدة بكونهم انتخبوا (ابرهام لنكولن) رجلا ذا نباهة وما كان له ميل نحو قنية الرقيق مع أنه كان يحترم قوانين الرق فمن أجل هذا رغبت الاقاليم الجنوبية فى الانفصال من الاقاليم الشمالية وشكلوا اتحادا واحدا وهاج الحرب بين الاقاليم الشمالية والجنوبية واستمر أربع سنوات وفى هذه المدة كانت الاقطان الغشيمة الجارى تشغيلها فى المعامل الانكليزية واردة على الخصوص من الاقاليم الجنوبية فلما حاصر الاقاليم الشمالية مين الاقاليم الجنوبية وانقطع تصدير الاقطان الى انكلتره طرد ألوف من الرجال والنساء الذين كانوا يشتغلون فى معامل لنكشير وصاروا على شرف الموت من الجوع من قبل وصول الاقطان من مصر والهند ومع ما حصل لهم من المساعدات بالنقود وغيرها فانهم ذاقوا العناء الشديد الا أنهم صبروا على ما نالهم حتى مالوا الى الحرب لان أفكارهم كانت مشغولة بعدم وجود الرق فى بنى الانسان وما كانت الطوائف العالية فى انكلتره على فطنة وعظيم تدبير فان ميلهم الاكبر كان متجها مع أهل الاقاليم الجنوبية وأنشؤا كثيرا من المراكب فى محلات أنشئت بها المراكب الانكليزية وكان من ضمن تلك السفن مركب البامه المشهورة فانها أنشئت فى الترسانة الانكليزية وترخص لهذه السفن بالتوجه الى أهل الاقاليم الجنوبية فى أمريقه من أجل استعمالها فى الحرب وفى سنة ١٨٦٥ بعد الميلاد آل الامر الى أن غلبت الاقاليم الشمالية الاقاليم الجنوبية وألغى الرقيق وان كان ابراهام لنكولن قتل بعيار نارى وصار للامريقانيين فى هذا الوقت مكان للتضرر للحكومة الانكليزية بما أجرته من ترخيصها المراكب التى أنشئت فى ترساناتها من أجل مساعدة العصاة وفى آخر الامر دفعت انكلتره ٣,٠٠٠,٠٠٠ ليره قيمة الاضرارات التى كانت البامه سببا فيها وفى أثناء سير هذه الاعمال حصل حادثتان مشهورتان فى انكلترا احداهما موت البرنس القرين البرت الطيب من حمى تيفوسية فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٦١ والاخرى زواج البرنس ولى العهد فى ١٠ مارث سنة ١٨٦٣ بالكسندره بنت ملك دانيمارقه وحاز البرنس والبرنسيسة محبة قومهما

وفى هذا الوقت توالت الحوادث خلف بعضها بسرعة وذلك أنه فى سنة ١٨٦٦ انفجرت ثورات فى نواحى هيد بارك وتذمر الاهالى فى شأن الاصلاح الذى أجراه لورد دربى من أجلهم فى سنة ١٨٦٧ وكانت توجد أيضا زعزعة فى ارلنده فان الفانيان فيها قاموا فى عصيان واجتهدوا فى ضبط قلعة شيستر فى انكلتره فأخذ الكثير من الاسرى ثم بعد ذلك تشكلت ثورة من أجل هدم سجن (كلركنويل) وكان الاسرى مسجونين فيه وهدموا بواسطة طلق البارود كثيرا من مساكن الفقراء غير أن المسجونين ما خلصوا وكان يوجد أيضا فى اسكوطلنده قطائع قبيحة بين الانكليز الشغالة فانهم اتحدوا مع بعضهم من أجل أن يعقدوا شروطا صالحة لهم مع الشغالين عندهم وأضروا أو قتلوا الناس الشغالة الذين ما دخلوا معهم فى هذا الاتحاد ومن بعد أن عاقبت الحكومة الذين كانوا سببا فى وقوع هذه الفظائع أصدرت قوانين عظيمة مدبرة تشتمل على جودة الاشغال وشركات التجارات

ومنعت ما كان حاصلا من الثورات والهياج سرا وعلانية
ومن سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٧٠ عملت أشياء عظيمة من أجل ارلنده وألغيت الكنيسة المحلية وصار الكاثوليك والبروتستانت فى تعادل واحد وفى سنة ١٨٧٠ أصدر غلادستون لائحة الاراضى الارلندية احتوت على منافع عظيمة تختص بالمزارعين فى أراضيهم وفى هذه السنة أصدر (مستر فورسطير) أيضا الائحة التهذيبات الانكليزية وكانت مشتملة على أنه لا توجد مدارس كافية من أجل تربية الاطفال وتهذيبها فتشكل مجلس للمدارس وتشييد محل مخصوص ومن بعد مضى بضع سنين صدرت لائحة مقتضاها الزام الناس بارسال أولادهم الى المدارس من أجل التعليم بمصاريف معلومة ثابتة فمن ثم وجد من الاطفال فى المدارس ضعف ما كانوا عليه فى المدارس الابتدائية فى سنة ١٨٧٥ فى انكلتره واسكوطلنده وارلنده وبهذه الوسائط ضعفت أحوال الجهالة التى كانت متسلطنة فى عقول الناس وصار لا طاقة لأى انسان أن يتقدم فى السن من دون أن يكون متعلما كيفية القراءة والكتابة وقوانين الطاعة وغير ذلك فان مدارس العلوم والصنائع تأسست فى كافة أنحاء المملكة ودخل فيها أعاظم الاساتذة بقليل من المصاريف وصارت الطوائف العالية فى درجة عالية لاسيما البنات فانه جرى فى مدارس هذا الوقت تهذيبهن وتعليمهن الفوائد التاريخية والصناعات والعلوم وبعض أشياء أخرى مهمة من أجل ذكاء عقولهن وفهمهن حقيقة معيشتهن وما يجب عليهن من واجباتها وأنشئت مكاتب ومدارس للنساء فى كل من ناحيتى أوكسفورد وكامبريدج وصار الزوجات والامهات دراية تامة بما يجب عليهن من الواجبات اللازمة لما يختص بشؤون منافع أزواجهن وأولادهن وفى سنة ١٨٧١ بعد الميلاد ألغيت المواد الديانية من التعصبات التى كانت موجودة فى مدارس المعارف فى أوكسفورد وكامبريدج ودبلين حتى صار فى هذا الوقت الانسان التابع للكنيسة الحالية فى انكلتره أو المتشيع لغيرها أو الكاثوليكى أو الهندى أو المسلم يمكنه الدخول فى أى مدرسة منها الطلب ما يلزم له من العلوم والمعارف وفى هذه السنة أيضا أبطلت المملكة بيع الرتب فى الجيش وصار لا يمكن الصعود الى درجة فى الجيش بواسطة الابتياع بل تصعد الضباط الى درجاتها بحسب ما هم عليه من الاهلية كل على حسب استحقاقه وعلى حسب مدة خدامته فى مملكته وفى سنة ١٨٧٤ ارتقى دزرائلى الى رتبة وزير أول المملكة مرة ثانية وفى سنة ١٨٧٦ ارتقى الى رتبة لورد بيكونسفيلد وفى مدة حكمه صدرت لائحة فى سنة ١٨٧٧ مقتضاها صيرورة مستعمرات كل من ناتال والرأس والكاب وجمهورية أورنجه الحرة والترنسفال فى اتحاد واحد وجامعة واحدة ومع أنه ما حصل من هذه اللائحة أدنى نتيجة الا انها كانت مذكرة فى خصوص ما حصل من المجادلات التى وقعت من الاعضاء الارلنديين تحت قيادة مستر بارنل وشرعوا فى الممانعات والمعارضات التى تولد منها منع صدور لوائح نافعة فى المدة المحصورة بين سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٨٦ أى فى مدة تسع سنوات وكان مرغوبهم فى الكلام ووقوع الزعازع والارتباكات على قدر ما يمكنهم فيما يختص بالمسائل الغير المتعلقة بهم لانهم أملوا أنه بصيرورتهم غير موافقين على قدر طاقتهم تلتزم انكلتره باخراجهم من المجلس وتجعل لهم برلمانا خاصا بانفسهم وبذلت انكلتره مجهودها فى ازالة المضار التى كانت ارلنده متحملتها ولما صار غلادستون رأس الوزارة فى سنة ١٨٨٠ أصدر لائحة ثانية تختص بالاراضى الارلندية فى سنة ١٨٨١ غير

ان

ان بارنل كان مثل عوكونل مهيجا المزلازل أمام غلادستون وصارت ارلنده فى حالة فوضوية واجتهد المهيجون من مقبوحى الناس فى خراب دواوين البرلمان ووقعت فظائع ومقاتل فى ارلنده حتى فى قطارات السكك الحديد المشحونة بناس بريئين من التداخل فى مثل هذه الاعمال صار قتلهم وفى ٦ مايو سنة ١٨٨٢ بعد الميلاد توجه (لوردفر يدريق كافنديش) الى ارلنده وكان مشتاقا جدا الفعل الطيب فى المملكة فقتل شر قتلة فى حديقة فونيكس فى دبلين مع المستربورك وفى سنة ١٨٦٦ شرع المستر غلادستون فى مشروع حكم ارلنده بنفسها حسب الطلب الواقع من أعضائها من مدة طويلة على مجلس البرلمان فرفض البرلمان قبول هذه اللائحة وألغى وفى الانتخابات الجديدة فقد الكثير من حزب غلادستون مقاعدهم فى البرلمان ودخل حزب المحافظين فى الشوكة والحكومة مع لورد سلسبورى رأس الوزارة وفى سنة ١٨٨٧ صدرت لائحة تتضمن معاقبة أهل الجرائم والثائرين مع أخرى تتضمن تحسين أحوال المزارعين فى أراضيهم ومع هذا لم يعرف أحد ما تؤل اليه غاية الاحوال وكيف تعمل انكلتره الطرق العظيمة فى مساعدتها الذين فيما بين الارلنديين صابرين على تحمل العناء الشديد من شدة فقر المملكة بل الزمن وحده هو الذى يظهر هذه الاشياء ويجعل للناس درايتها كما أن الامة الانكليزية فى انكلتره ليست خالية من الارتباكات لانه كلما أخذ الناس فى الزيادة وجد الكثير من الناس فى حالة الرفاهية والغنية وصاروا فى لذة العيشة وعندما تحصل أزمان قبيحة رديئة مثل ما حصل من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨٦ بعد الميلاد تشح الطوائف العالية والاغنياء بالمصاريف ومن هذا يتولد العناء الشديد ويصعب على طوائف المزارعين أيضا دفع ما عليهم من ضرائب أرضهم فالآن صار ثمن الغلال وسائر الاقوات فى غاية الرخص بسبب كثرة ورودها من الخارج ولاشك أن البرلمان له نظر فى القوانين وتغيير الاحوال الرديئة المتولد منها ما يضر بالامة الى ما يعود بالنفع عليها وفصل الحالة الواقع منها على الدوام الارتباكات فى ارلنده وغيرها من الجهات التى لا ترغب أن تكون تحت سلطة الحكم الانكليزى

ولنذكر الآن قولا وجيزا عن الجزائر البريطانية التى هى عبارة عن بريطانيا الكبرى (انكلتره واسكوطلنده - والويلس) وارلنده فنقول ان الجزائر البريطانية واقعة بين الدرجة التاسعة والاربعين والدرجة الحادية والستين من العرض الشمالى وبين الدرجة الثانية شرقا والدرجة الحادية عشرة من الطول الغربى ومساحتها الكلية تبلغ ١٢١٫١١٥ ميل مسطح وتعداد نفوسها فى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ٣٧٫٤٧٠٫٢٨٣ نفس مع زيادة فى هذا العدد بقدر ٢٫٨٥٥٫٤٣٥ فى ظرف العشر سنين السابقة ويضاف الى هذا ١٨٢٫٦٠٤ هاجروا الى المستعمرات فأما نفس انكلتره فانها مفصولة عن اسكوطلنده من الجهة الشمالية بجبال شفيوط ونهرى الطويد وسلوى ومن الويلس بنهرى سفرن والدى ومساحتها نحو ٥١٫٠٠٠ ميل مسطح وعدد نفوسها ٢٧٫٥٥٠٫٠٠٠ نفس ومساحة الويلس ٤٫٧١٢٫٢٨١ فدان وعدد سكانها فى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ١٫٥٠١٫٠٣٤ نفس وكافة أراضى انكلتره تقريبا أفقية السطح ما عدا الجهتين الغربية والشمالية فمن ثم كانت محصولاتها الزراعية فى غاية الجودة والفلاح ويوجد فى الاقاليم الاخرى معادن غالية القيمة داخل فيها الحديد والقصدير والرصاص والنحاس والفحم معوضا الفقراء سكانها عن المحصولات الزراعية وأرض الويلس ع وما جبلية وبها أيضا كثير من المعادن العظيمة

ومقدار عساكر المملكة الانكليزية بما فيها من القوى الامدادية والقوى الموجودة فى جهة الهند ومقدارها ٧٢٬٤٩٦ عسكرى فانه فى مبادى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد كان مقداره ٢٠٧٬٨٤٢ عسكرى منه ٢٠٦٬٦١٦ تحت السلاح وأما العساكر البحرية فى مبادى السنة المذكورة فانها مؤلفة من ٥١٬٨٣٣ ما بين رجال وأطفال و ٤٢٠٠ خفر سواحل و ١٣٬٩٧٩ بحرية واذا أضيف الى ذلك الامدادية والمتطوعة وآخرون كان المجموع الكلى ٩٧٬٥٤٨ نفس

ويعلم من الجدول الآتى بغاية الاختصار مقدار مساحة المملكة الانكليزية الموجودة على كرة العالم وتعداد سكانها وايراداتها وتجاراتها وهو مع اختصاره فى غاية الدقة والضبط

أسماء الايالات	مساحة بالميل المسطح	السكان والاهالى	ايرادات	الدين العمومى	واردات وصادرات
			ليره	ليره	ليره
بريطانيا الكبرى وارلنده	١٢١٬١١٥	٣٨٬٠٠٠٬٠٠٠	٩٠٬٠٠٠٬٠٠٠	٦٨٠٬٠٠٠٬٠٠٠	٧٤٩٬٠٠٠٬٠٠٠
الهند وأملاك أخرى	١٬٦٠٠٬٠٠٠	٢٨٧٬٠٠٠٬٠٠٠	٨٥٬٠٠٠٬٠٠٠	٢١٢٬٠٠٠٬٠٠٠	١٩٣٬٠٠٠٬٠٠٠
أملاك فى جهة الشرق	١٠٤٬٤٤١	٤٬١٦٩٬٠٠٠	٣٬٠٠٠٬٠٠٠	٣٬٥٠٠٬٠٠٠	٥٨٬٠٠٠٬٠٠٠
أوستراليا	٣٬١٧١٬٩٧٨	٤٬٢٠٠٬٠٠٠	٣٠٬٠٠٠٬٠٠٠	١٨٥٬٠٠٠٬٠٠٠	١٣٢٬٠٠٠٬٠٠٠
أمريقه الشمالية	٣٬٥٧٢٬٠٠٠	٥٬٢٠٠٬٠٠٠	٨٬٥٠٠٬٠٠٠	٥٢٬٠٠٠٬٠٠٠	٤٥٬٠٠٠٬٠٠٠
أمريقه الجنوبية	١١٥٬٤١٩	٣٥٠٬٠٠٠	٥٠٠٬٠٠٠	٥٠٠٬٠٠٠	٣٬٠٠٠٬٠٠٠
افريقه	٢٩٥٬٠٠٠	٢٬٩٠٠٬٠٠٠	٤٬٥٠٠٬٠٠٠	٢٦٬٥٠٠٬٠٠٠	٢٤٬٠٠٠٬٠٠٠
الهند الغربى	١٣٬٧٥٠	١٬٤٥٠٬٠٠٠	١٬٥٥٠٬٠٠٠	٢٬٢٥٠٬٠٠٠	١٢٬٠٠٠٬٠٠٠
أملاك أوروباويه	١٢١	١٩٢٬٠٠٠	٢٥٠٬٠٠٠	٣٨٠٬٠٠٠	٢٬٠٠٠٬٠٠٠
حاصل كلى	٨٬٩٩٣٬٨٢٤	٣٤٣٬٤٦١٬٠٠٠	٢٢٣٬٣٠٠٬٠٠٠	١٬١٦٢٬١٣٠٬٠٠٠	١٬٢١٨٬٠٠٠٬٠٠٠

﴿ تم بعون الله تاريخ انكلتره ﴾

(الكتاب الثانى والعشرون)

﴿ تاريخ اسكوطلنده ﴾

(الباب الاول)

﴿ من الازمان القديمة الى موت روبرت بروس ﴾

الوضع الجغرافى لاسكوطلنده ـ تقسيمات طبيعية ـ السكان القديمة ـ اغارة الرومانيين ـ الاسوار ـ اغارة الانكليز ـ توطن الاسكوطلنديين ـ دخول الديانة المسيحية ـ القديس كلومبه ـ سلطنة كانيث الاول ـ خلفاؤه ـ مقبيث ـ سلطنة مالكولم كانمور ـ أداء رسوم الاحترام لغيليوم الاول صاحب انكلتره ـ سلطنة ادغار ـ غارات الدانيمارقيين ـ اسكندر الاول ـ سلطنته القوية ـ صيرورة داود الاول ملكا ـ اشتراكه فى الحروب الداخلية فى انكلتره ـ وقعة البيرق ـ الاعمال الحازمة التى أجراها داود ـ غيليوم الملقب بالاسد ـ السلطنة الطويلة ـ اقامته استقلالية اسكوطلنده مرة ثانية ـ اسكندر الثانى ـ علاقاته مع انكلتره ـ اسكندر

الثالث

الثالث ـ طلب ادوارد الاول وأداء رسوم الاحترام من ملك اسكوطلنده ـ موت اسكندر ـ تقدم اسكوطلنده ـ مرغريطة فتاة نرويج ـ موتها ـ صيرورة يوحنا باليول ملكا ـ أداء رسوم الاحترام لادوارد الاول صاحب انكلتره من أجل تاجه ـ تداخل الانكليز فى الاعمال الاسكوطلندية ـ حرب مع انكلتره ـ اخضاع ادوارد اسكوطلنده ـ خلع يوحنا ـ ضبط الانكليز اسكوطلنده ـ ثورة غيليوم ولاس ـ مظفراته ـ واقعة سطيرلنغ ـ صيرورة ولاس محافظ اسكوطلنده ـ واقعة فالكيرك ـ موت ولاس ـ روبرت بروس ـ قتله يوحنا كومين ـ قيامه ببرق العصيان ـ تتويجه ملك اسكوطلنده ـ حروبه ـ روبرت بروس والعنكبوت ـ واقعة بانوكبورن ـ عود استقلالية اسكوطلنده ـ معاهدة نورغمطون ـ لوائح البرلمان الاسكوطلندى ـ تشييد المجلس الثالث العمومى ـ موت الملك روبرت بروس

اسكوطلنده أو اصكوطية هى القسم الشمالى من جزيرة بريطانيا الكبرى وطولها الاعظم من الشمال الى الجنوب ٢٨٠ ميلا وعرضها الاعظم من الشرق الى الغرب ١٧٠ ميلا ويتولد من نهر فريث الفورث ونهر الكليد نقص كبير فى عرض المملكة متشكل من ذلك رقبة ضيقة جدا تجعل القسم الشمالى من اسكوطلنده كجزء مفصولة تقريبا على حدتها وتنقسم البحيث جزيرة الشمالية بواسطة الجبال الى أراض مرتفعة وأراض منخفضة فالقسم الغربى جميعه جبلى والقسم الشرقى سهل ومن ثم تنقسم اسكوطلنده بالطبيعة الى جبل وسهل

وكانت هذه المملكة معروفة عند الرومانيين باسم كاليدونيا وما تيسر لهم الحصول على النجاح اللازم فى جعلها قسما من ممالكهم بل كاشاهد ناسدا قاطعا الرقبة الموجودة بين نهرى فريث فورث وسلوى من أجل المحافظة من غارات هؤلاء المتبربرين الشماليين على ممالكهم الواقعة فى جنوب بريطانيا وفى هذا الوقت كانت هذه الجهة من اسكوطلنده معمورة بعدة قبائل من صلطيا وكان أشهرها قبيلتى البقطيين والاسكوطيين فأما الاسكوطيون فكانوا قطنوا فى الاصل جزيرة ارلنده ومنها عبروا البحر الى الساحل الغربى من بريطانيا وأطلقوا اسمهم على جميع الاراضى الواقعة فى الجهة الشمالية من نهر سلوى وكان البقطيون والاسكوطيون صنفا حربيا شديد البأس وكانوا متمسكين بالديانة الدرودية وكانوا على عقيدة تعدد الزوجات وسلاحهم خناجر قصيرة ورماح ومناجل ومساكنهم أخصاص رثة ويحتقرون استعمال الملابس وفى سنة ٨٠ بعد الميلاد لما تغلب الرومانيون على القسم الجنوبى من بريطانيا ساق يوليوس اغريكولا جيشا على كاليدونيه غير أنه وان كان هزم البقطيين فى واقعة عظيمة وقعت فى أسفل الاراضى الجبلية الا أن المقاومة التى قابلوه بها كانت هائلة حتى انه ترك تصور غلبته عليهم وعاد متقهقرا الى جنوب نهر فريث فورث ونهر الكليد ولما عبر البرزخ الموجود بين النهرين أقام سدا من قلاع متصلة ببعضها بمتراس من التراب وكان طول هذا السد نحوا من ثلاثين ميلا وفى سنة ١٢٠ بعد الميلاد أقام الامبراطور هادريان سدا ثانيا قاطعا للرقبة أو البرزخ الموجود بين نهر الطين ونهر سلوى وترك الاقليم الواقع بين سده وسد اغريكولا للبقطيين لعدم امكان محافظة الرومانيين على ذلك السد البعيد وفى سنة ١٤٠ بعد الميلاد أعاد (يوليوس عوربيكوس) وكان قائدا من طرف الامبراطور (انطونيوس بيوس) هذا الاقليم الذى صار تركه ورمم سد اغريكولا

فقاوم البقطيون تقدم الحد الرومانى أشد المقاومة وفى نحو غلاق القرن ثاروا على محافظى الرومانيين وقتلوا القائد الرومانى وضايقوا بشدة على العساكر الرومانية حتى ان الامبراطور سفروس مع انه كان طاعنا فى السن جاء الى بريطانيا وتقلد زمام قيادة جيشه بنفسه وأغار على كاليدونيا وانقطع طريقه الى الطرف الشمالى للجزيرة وخسر الجم الغفير من جيشه وماتم له شئ من الفتح فرمم سور هادريان وقواه وأعطى الاراضى الموجودة فى شمال هذا السد للتبربرين وداوم البقطيون على كدهم فى غاراتهم وفى نحو سنة ٣٦٨ بعد الميلاد خرق البقطيون السد الثانى وزحفوا فى غاراتهم الى الجهات الجنوبية حتى وصلوا الى لوندره فهزمهم طيودوسيوس أبو الامبراطور طيودوسيوس وطردهم على أعقابهم نحو الجبال الاسكوطية وأعاد طيودوسيوس القسم الواقع بين السدين الرومانيين وصيره قسما رومانيا وسماه فلنطيه شرفا لاسم فلنطيان الامبراطور الذى كان متسلطنا وقتئذ فى رومة وكان هذا القسم معمورا بخمس قبائل قبلوا لانفسهم الحضارة والعوائد الرومانية وتولد من انسحاب العساكر الرومانية وقت سقوط المملكة ترك فلنطية عرضة لغارات البقطيين الذين كدروا حالة هذه الجهة وأقلقوا سكانها بدون انقطاع

وفى القرن السادس قطن الانكليز الساحل الشرقى من فلنطية وطردوا البريطانيين أو أهل الويلس كما كانوا يلقبون الى الجبال الموجودة فى الجهة الغربية من الجزيرة فمن ثم انقسمت فلنطيه الى مملكتين أولاهما المملكة الانكليزية فى عمبريا الشمالية وتشتمل على كافة القسم الشرقى من فلنطيه من ابتداء نهر فريث فورث الى نهر الطين وأما الجهة الغربية فأخذها الويلسيون أو البريطانيون وأطلقوا عليها اسم سطراط كليد ممتدة من نهر فريث كليد الى نهر الدى فى الجهة الجنوبية وفى مدة استيطان الانكليز فى فلنطية هاجر الاسكوطيون بكثرة من ارلنده الى الساحل الغربى لاسكوطلنده ولا يعرف حقيقة تاريخ مبادى هذه الهجرة لكن المعتمد أنه كان فى مبادى القرن السادس واستوطن الجم الغفير من الاسكوطيين كاليدونيا وكان سوقهم اليها تحت قيادة وارشاد فرغوس ما كيرك ولورن من العائلة الدلريادية فقطنوا فيما يقال له الآن ارجيل وأسسوا فى هذه الجهة مملكة دلرياده

ومن قبل هذا كانت ارلنده دخلت فى الديانة المسيحية فكان الذين دخلوا حديثا فى اسكوطلنده مسيحيين ووصلوا اليها ومعهم دينهم ومن بعد تأسيس مملكة دلرياده بقليل وصل كلومبه الذى كان قسيس (دورو) فى ارلنده ثم طرد من مملكته الى اسكوطلنده ومعه اثناعشر من الرهبان فاستقبله كونل ملك دلرياده مع الرحب وأعطاه جزيرة عيونه الواقعة فى غربى جزيرة مول فوطن كلومبه ورفقاؤه أنفسهم فى هذه الجزيرة ومن بعد أن شيدوا كنيسة وبعض مساكن صغيرة لهم شرع كلومبه فى ارسال عدة مبعوثين من طرفه للقبائل الوطنية الموجودة فى كاليدونيا فاجتهدوا فى هداية البقطيين ودخولهم فى الديانة المسيحية وتم هذا الشغل بواسطة كلومبه وصارت جزيرة عيونه احدى المعاقل الحصينة المشهورة بالديانة المسيحية وشيد فيها كلومبه مدرسة لتعليم أصول الديانة فكان يدرس فى هذه المدرسة كلام الله تعالى ومنها ترسل المبعوثون بجمية الى بريطانيا وأرض القارة فدخل هؤلاء الوعاظ بغيرة وقوة فى البلاد الواطية وبلاد الغلية والسويس وجرمانيا حتى ايطاليا واشتغلت الكنيسة الحرة الاسكوطية والبريطانية أشغالا عظيمة فى هداية أوروبا الوسطى زيادة عما فعلته الكنيسة الرومانية الموجودة فى ذلك الوقت فى حالة نصف عبودية وكان علماء جزيرة عيونه لا يعرفون

شيأ

شيأ في مسئلة الحلول ولا كيفية توصيل الكاس في سر العشاء الرباني ولا الاعتراف الاذني ولا الصلاة على الميت ولا قيادة الشموع وأنواع البخور وكانوا يقيمون شعائر عيد الفصح في يوم مخالف لرومة ولهم مجالس مشكل من أنفسهم لمباشرة أعمال كنيستهم وما كان لهم معرفة بسيادة البابا وفي القرن السابع دخل انكليز نورثمبرلند في الديانة المسيحية وقيل ان (عوصوالد) ملك نورثمبرلند مد فتوحاته وراء نهر الفريث وان ابنه عوصوين أرغم البقطيين والاسكوطيين على دفع خراج سنوى له وفي السلطنة التالية تبدد الانكليز وقتل ملكهم وأعاد البقطيون والاسكوطيون حريتهم كما كانوا وفي سنة ٨٤٣ بعد الميلاد حاز (كانيث مكعلبين) ملك الاسكوطيين نصرة تامة على البقطيين وجمع كافة الجهات من سد (هادريان) الى البحر المحيط الشمالي تحت سلطنة واحدة ومن هذا الوقت عرفت المملكة باسمها الحالي اسكوطلنده ثم استخلف من بعد موت (كانيث) أخوه (دونالد) ثم من بعده ابنه قنسطنطين وانقضت سلطنتهما في حروب مستمرة مع أهل الشمال المعروفين بالنورمانديين وكانوا خربوا سواحل اسكوطية وشيد الكثير من رؤساء النورمنديين مواطن في ارلنده كانوا يسوقون منها غاراتهم على سواحل بريطانيا الكبرى وقطن آخرون في جزائر اركاده وهبريده تولد منها رتبا كانت مهولة في سواحل اسكوطلنده وكان من ضمن هؤلاء الرؤساء رئيس اسمه (صيريق أوغريغ) تغلب على التخت الاسكوطلندى وتسلطن ثمان عشرة سنة ثم جلس على التخت قنسطنطين الثاني ابن حفيد كانيث في سنة ٩٠٠ بعد الميلاد وتسلطن لحد سنة ٩٤٣ بعد الميلاد وجعل مملكته تحت حماية ادوارد الاكبر ملك انكلتره ثم ندم على ما فعل من خضوعه هذا وفي سنة ٩٣٧ بعد الميلاد اتحد مع الويلسيين في سطراطكليد وانضموا الى الدانيماركيين وبذلوا جهدهم في استرداد مملكة نورثمبرلند وكان طردهم منها اعتلى سلطان فكانوا في اجتهادهم على غير طائل وانهزم هؤلاء المتحالفون في واقعة سافكة وقعت في برونتبورغ وفي سنة ٩٤٣ بعد الميلاد تنازل قنسطنطين عن تاجه وترهب في دير سنت اندريو

ثم استخلف من بعد قنسطنطين قريبه مالكولم الاول فمنح ملك الانكليز مملكة سطراطكليد على مالكولم بصفة مقاطعة التزامية وأن تكون تحت يده على شرط أن يؤدى طلبات الخدمات الحربية براو بحرا في أي وقت على حسب طلب ملك الانكليز ومات مالكولم سنة ٩٥٤ بعد الميلاد وأعقبه ستة ملوك مرتبين كالآتي وكانوا جميعا من نسل (دف) وكانت ايدنبورغ انتقلت في سلطنة دف المذكور الى أيدى الاسكوطلنديين وكان الذي أسس هذه المدينة عدوين ملك نورثمبرلند وكان الملوك المذكورون هم (دف ــ وكولين ــ وكانيث الثاني ــ وقنسطنطين الثالث ــ وكانيث الثالث) وكانت سلطنتهم خالية من الوقائع وانقضت في حروبهم مع الويلس أومع رعاياهم وهلكوا جميعا في الحروب وانقرضت سلسلة (كانيث مكعلبين) بمالكولم الثاني حفيد مالكولم الاول وفي سنة ١٠١٨ بعد الميلاد اغتصب لوثيانه من ارل نورثمبرلند وجعلها قسما من مملكته وفي سنة ١٠٣١ اعترف مالكولم بسلطنة كانوث ملك انكلتره ودانيمارقه واسويج بأنه مليكه وفي سنة ١٠٣٤ بعد الميلاد مات مالكولم وترك تاجه لحفيده دونكان وقيل ان مالكولم أمر بقتل حفيد كانيث الثالث وكان الوارث المستحق لخلافة التخت من بعده من أجل توطيد الخلافة في ذريته دونكان وكان البرنس المقتول له أخت اسمها (غرواش) متزوجة برئيس اسمه (مقبيث ارل مواري) كان أقوى

رئيس بين رؤساء الاصكوطيين فلما عصى بعض الرؤساء الشماليون سار اليهم دونكان وكان مقبيث أخذته حدة واستقبح كيفية موت صهره فانتهز فرصة حضور الملك فى اقليمه وهجم عليه وهزمه شر هزيمة فى واقعة وقعت بينهما وقتله سنة ١٠٤٠ بعد الميلاد وتغلب مقبيث على التخت وتسلطن سبع عشرة سنة وحكم اسكوطلنده بحزم الرأى وكانت مدة سلطنته نجاحا وفوزا وكان هو وملكته محبين للفقراء فكانا يرسلان الصدقات للفقراء فى رومة ثم انخرق السلم الموجود فى داخل المملكة بما وقع من (كرينان) قسيس دنكلو وأبو دونكان ونجح هذا القسيس فى حض صيوارد ارل نورغبرلند وأدخله فى أمر (مالكولم - ودونالد) ولدى دونكان فطرد مقبيث من تخته فاسترده مقبيث ثانيا من بعد عود صيوارد ومن بعد مضى بضع سنين أغار صيوارد ثانيا على اسكوطلنده من أجل أمر ولدى دونكان ولبث الحرب بينه وبين مقبيث أربع سنوات وانتهى بهزيمة مقبيث وموته فى واقعة حصلت فى لومفانان فى ابردين سنة ١٠٥٧ بعد الميلاد

سلطنة مقبيث

وجلس مالكولم الملقب بكانمور أو كبير الرأس على كرسى اسكوطلنده وفى مدة سلطنته تغلب غيليوم صاحب نورمندى على انكلتره وهرب الجم الغفير من الانكليز الذين ما قبلوا التسليم للفاتح الى ديوان اسكوطلنده فقابلهم مالكولم بالرحب وكان من ضمن الذين التجؤا الى ديوان اسكوطلنده (ادغار اثلنغ) وأمه وأخته مرغريطه وكريستيانه ومن بعد الفتح مباشرة أرسل مالكولم باسمه أداء رسوم الاحترام لغيليوم الفاتح ودخل مالكولم فى أمر ادغار اثلنغ وكان الوارث للملوك صكصونيه الغربية وأغار اغارة دموية على اقليمى (كمقلند - ودورهام) ومن بعد ذلك بقليل تزوج مرغريطه أخت ادغار وفى سنة ١٠٧٢ بعد الميلاد أغار غيليوم على اسكوطلنده برا وبحرا من أجل معاقبة مالكولم على ما جناه من اغارته على انكلتره وزحف الى ابرنثى على نهر الطاى فقابله فيها مالكولم وأدى له رسوم الاحترام فى صفة عبد له وسلم ابنه دونكان (ولده من زوجته الاولى) ليد غيليوم الفاتح رهينة على حسن سيره وصدق محبته ومن بعد مضى بضع سنين أغار مالكولم اغارة جديدة على انكلتره وكان غيليوم غائبا فى هذا الوقت فى نورمندى وأسرع مالكولم فى غارته حتى وصل الى نهر الطين فسار روبرت الابن الكبير لغيليوم نحو الحد الاسكوطلندى من أجل أخذه بثأر هذه الغارة فانفصلت المادة بينه وبين مالكولم بطريق المخابرة وفى سنة ١٠٩٢ بعد الميلاد أغار مالكولم أيضا فى مدة حياة غيليوم على انكلتره فمن ثم زحف ملك الانكليز حتى دخل لوثيانه فصرف مالكولم غضبه بتجديد تقديم رسوم احترامات له وما أخذ عليه غيليوم عهد كفالة بعدم عوده لغارته فأغار مالكولم سنة ١٠٩٣ بعد الميلاد على انكلتره مرة أخرى فى رأس جيش قوى فانهزم وقتل فى واقعة وقعت على شواطئ نهر علنى ورجع جيشه الى القهقرى مع الفشل وهلك أيضا فى هذه الواقعة ابنه ادوارد وكان تقرر أمر خلافته من بعده على التخت ولما وصلت أخبار هذه المصيبة الى اسكوطلنده ماتت الملكة مرغريطه من الحزن وكان لها سلطة قوية على زوجها ومن ثم أصلحت ما كان واقعا من بعض المفاسد فى داخل المملكة وأقامت فى المملكة درجة نظام عظيمة وحضارة ما كان للاسكوطلنديين بها دراية من قبل

سلطنة مالكولم كانمور

ثم انتخب رؤساء الاسكوطلنديين (دونالد باني) أخا مالكولم للتخت فحض دونكان الابن الكبير لمالكولم الموجود رهينة فى انكلتره ملك الانكليز على مساعدته بجيش من أجل استرداده تخت أبيه وعهد له أن يكون عبدا للتاج الانكليزى وبواسطة هذه المساعدة طرد دونالد عن التخت وتسلطن بضع شهور

سلطنة دونالد باني

وتساعد

وتساعد دونالد بعد موت الابن الكبير لمالكولم الباقي على قيد الحياة من زوجته مرغريطة وجدد الحرب وهزم دونكان وقتله ونفى ما بقي من الاعضاء الآخرين من العائلة وتسلطن دونالد ثلاث سنوات فهزمه في آخرها ادغار اثلنغ في رأس جيش انكليزي وأجلس الاثلنغ ابن أخيه ادغار على التخت وسمل عيني دونالد وسجنه وهرب عدموند في دير انكليزي لبث فيه حتى مات

سلطنة ادغار

وسار ادغار بن مالكولم من مرغريطة في تنفيذ الاصلاحات التي كانت أمه شرعت فيها وفي مدة سلطنته قبل أهل القسم الجنوبي من اسكوطلنده حضارة الصكصونيين وخفيت العوائد القديمة الصلطية وحاد سكان الجهات الجنوبية عن الثورات وشراسة الاخلاق حتى انفصلوا بالكلية من الاصكوطيين الاصليين الموجودين في الجهات الشمالية ورأوا من ذلك الوقت أنهم ألد الاعداء للقانون والنظام وأنهم منشأ الارتباكات المستمرة المعكرة للسلم ونجاح المملكة وتسلطن ادغار من سنة ١٠٩٧ الى سنة ١١٠٧ بعد الميلاد وفي مبادي القسم الاول من سلطنته ضبط (مغنوس بارفوط) ملك نرويج جزيرتي اركاده واسكندنيقية من جهة البر الاصيل من أرض القارة وأجلس ابنه صيغورد فيهما ثم نزل على جزائر هبريد وخربها ومن بعد موته عادت الجزائر الى أربابها الاصليين واستصوب لوردات تلك الجزائر كما كان هؤلاء الرؤساء يلقبون أنفسهم بهذا اللقب جعل أنفسهم عبيد النرويج مع ما كانوا عليه من عدم طاعتهم لملوكها وغرسوا علاقات المحبة مع انكلترة في مدة سلطنة ادغار وتزوجت أخته عديثه هنري الاول أصغر أولاد غليوم الفاتح ولقبت نفسها بالاسم النورماني (ماطيلده) فكانت محبوبة جدا عند زوجها وكذا عند الامة الانكليزية ثم ان ادغار فصل وهو على فراش موته جهة سطراطكليد من باقي المملكة الاسكوطلندية وأنعم بها على أخيه داود

سلطنة اسكندر الاول

ومن بعد موت ادغار خلفه أخوه اسكندر الاول وجلس على التخت في سنة ١١٠٧ فكان رجلا صاحب حزم ورأي سديد وقوة كبيرة خالي الغرض فتولد من اجتهاده في حكومة رعيته الهمج الذين لا قانون عندهم اشتباكهم في ارتباكات على الدوام وقامت عليه ثورة في مبادي القسم الاول من سلطنته من أهل المرن والموراي فأسرع اسكندر في السير الى العصاة وهزمهم في واقعة وقعت بينه وبينهم على الشاطئ الشمالي من نهر موراي فريث وانتقم من العصاة انتقاما دمويا وبنى كنيسة اصكوني تذكار النصرته وحافظ مع الشهامة على استقلالية الكنيسة الاسكوطلندية من وقوعها في خرابيش أسقف يورقه وكان هذا الاسقف أعلن بأن كافة المملكة تابعة له في الاعمال الكنائسية وما سمح اسكندر في الترخيص في أي استغاثة تقع من أهل مملكته للبابا في طلب شيء ما ورفض قبوله طلبات القسيس الانكليزي في حكومته في المواد الديانية ومات اسكندر في سنة ١١٢٤ بعد الميلاد

سلطنة داود أخو اسكندر

وبما أنه كان خالي الذرية خلفه أخوه داود على تخت اسكوطلنده ومن ثم صارت جهة سطراطكليد قسما من المملكة الاسكوطلندية مرة ثانية وفي مبادي القسم الاول من سلطنة داود الاول هاجت ثورة في نواحي موراي فأخمدها الملك داود بمساعدة الفوارس النورماندية وكانوا دخلوا في خدمته وقت ما كان برئيس سطراطكليد وأعلن بتجريد أهل موراي من أملاكهم وأراضيهم ووزعها على الفرسان النورماندية واشترك داود في الحرب الداخلي الذي هاج في انكلترة بين ماطيلده واصطفان فكان في جهة ماطيلده بما أنها كانت بنت أخيه فأرغم اصطفان على الانسحاب من الحرب فما أمكنه الحنث في يمينه الذي حلفه من أجل معاضدة ماطيلده واحتج في تركه الحرب

بعزم ابنه هنرى من طرف اصطفان بتقليد زمام حكومة (حنطنغدون) بارونية انكليزية كان تغلب عليها من قبل وكذا أنعم اصطفان على هنرى بكارليسل ودونكاستر وتوجه هنرى الى لوندره مع اصطفان وأحرز فى ديوانه الافضلية والسبق فى الميدان على البارونات الانكليزية فأخذتهم الغيرة من الاكرام الحاصل من الملك لبرنس غريب وتركوا الديوان فى جمع كثير منهم فازدرى داود بهذه الوقاحة وطلب ابنه عنده فى اسكوطلنده واستعد للغارة على انكلتره وفى سنة ١١٣٨ بعد الميلاد أغار جيشه على الكونتات الشمالية لانكلتره الا أنه من بعد قليل انهزم شرهزيمة من أيدى الانكليز فى واقعة البيرق بالقرب من (نورثالرطون) ثم عقد صلحا فى السنة التالية فى دورهام وكان هنرى بن داود فى هذا الوقت متقلدا زمام ارلية نورثمبرلند فى انكلتره ومن بعد مضى سنتين أى فى سنة ١١٤١ بعد الميلاد قام داود بالسلاح أيضا فى أمر ماطيلده فانهزم ونجا بنفسه مع شدة المضايقة خشية الاسر وقت هزيمة عساكره فى واقعة حصلت بينه وبين الانكليز فى ونشيستر

وكان داود أحد أفاضل اسكوطلنده كما كان أعظم ملوكها فانه اجتهد فى تحسين أحوال رعيته فى داخل مملكته ورفع منار شرف المملكة فى مدة سلطنته فى الجهات الخارجية وتولد من ثباته فى طريقة علو درجات الحضارة فى المملكة وادخاله عوائد أجنبية كثيرة حث الكثير من البارونات النورماندية على التوطن فى اسكوطلنده وأنعم عليهم بالاراضى وكان محبا صادقا للعوام ورفع شأن تقدم المدائن وأفاض عليها الكثير من الامتيازات الجليلة وكان سهل الوصول على الدوام لافقر الناس من رعيته فكان يسمع شكواهم مع الصبر ويسرع فى رد مظالمهم وفى راحتهم وأسس الكثير من الديورة وأسقفيات (دونبلان ـ وبرشين ـ وابردين ـ وروس ـ وكثنس ـ وغلاسغو) وقرر اصلاحات جليلة فى حكومة الكنيسة وأخذت المملكة مدة سلطنته فى النجاح الزائد والتمدن والحضارة والثروة وخصوبة الايدى وفى سنيه الاخيرة تكاثفت عليه سحائب الغموم مما وقع من موت ابنه الوحيد البرنس هنرى وكان محبوبا جدا عند الامة ومات من بعده داود فى سنة ١١٥٣ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ٢٩ سنة

سلطنة مالكولم الرابع

وجلس مالكولم الرابع الابن الكبير للبرنس هنرى على كرسى جده داود وما بلغ سنه اثنتى عشرة سنة فى ذلك الوقت غير أنه بمقتضى نص قاعدة الوراثة فى اسكوطلنده صار لا معارضة فى جلوسه ولما بلغ سنه ١٩ سنة هاجت ثورة فى غالووى فأخمدت وأخضعت هذه الناحية لادارة الحكومة الاسكوطلندية ومن بعد بضع سنين قام لورد ارجيل فى ثورة على الملك فقتل بالخيانة وأضيفت أملاكه الى أملاك الحكومة الملوكية ثم ان هنرى الثانى ملك انكلتره أرغم مالكولم على التنازل عن الكونتات الشمالية من انكلتره التى تغلب عليها الملك داود فى السابق ثم خلع عليه بارونيه حنطنغدون مقاطعة التزامية من طرف التاج الانكليزى

سلطنة غيليوم الاسد

ومن بعد موت مالكولم فى سنة ١١٦٥ بعد الميلاد جلس غيليوم الملقب بالاسد على تخت اسكوطلنده وكان أخا مالكولم فكانت سلطنته أطول سلطنة فى التاريخ الاسكوطلندى وامتدت الى سنة ١٢١٤ بعد الميلاد أى مدة خمسين سنة تقريبا وطلب فى مدة سلطنته من هنرى الثانى صاحب انكلتره ارلية نورثمبرلند وكان أبوه شيدها وأخوه فقدها فرفض هنرى منحها عليه فأغار غيليوم على انكلتره فى وقت ما كان هنرى غائبا فى فرانسا وتغلب على قسم كبير من الكونتات الشمالية ولما جعل نفسه عرضة للتهورات قبض عليه جملة من مشهورى أشراف قومه بالقرب من قلعة

علنويك

علنو يك في صيف سنة ١١٧٤ وأرسلوه أسيرا الى قلعة (فاليز) في نورمندى وفي غلاق السنة حصل الافراج عنه على شرط أن يكون ملكا في اسكوطلنده في صفة عبد لملك انكلتره وكذا أشراف قومه وخدمة الدين يؤدون رسوم الاحترام لهنرى وأن تكون القلاع المشهورة في اسكوطلنده محفوظة بعساكر من طرف الانكليز وأدى غيليوم وأشراف قومه وقسسه رسوم الاحترام لهنرى في يورقه بصفة أنه سيدهم الملتزم واستمرت هذه المعاهدة ضاغطة بشوكتها على اسكوطلنده حتى مات هنرى الثانى في سنة ١١٨٩ بعد الميلاد ولما احتاج خليفته ريشارد الاول لنقود خلص غيليوم من هذه الالزامات وأعاد القلاع الاسكوطلندية على شرط دفع ١٠٫٠٠٠ ماركه وما قبل أن يردّ على غيليوم ارلية نورغمبرلند ولما جلس يوحنا على التخت الانكليزى أدى له غيليوم رسوم الاحترام كما كانت عليه ملوك اسكوطلنده في سابق الامر من تأدية رسوم الاحترامات لملوك الانكليز بشأن التزاماتهم في تلك المملكة غير أنه ما كان للملكين وثوق ببعضهما واستمر غيليوم عدة سنين من سلطنته مستعدا في قوة عظيمة على خط حدود مملكته من أجل المحافظة على جهة برويك أكبر مدينة تجارية في اسكوطلنده خشية من اجتهاد يوحنا في دمار تجارتها

وفي سنة ١١٧٦ بعد الميلاد أعلن أسقف يورقه مرة ثانية بان اسكوطلنده قسم من ولايته الكنائسية فاستغاث خدمة الدين الاسكوطلنديون بالبابا فقرر كليمنت الثالث في سنة ١١٨٨ بعد الميلاد استقلاليتهم وأعلن بتبعية اسكوطلنده في المواد الديانية لادارة القسوسية المقدسة في رومة فقط وفي مدة أسر غيليوم هاجت ثورة مهولة في غالووى فأخذ دهار ولند ابن أخى غيليوم وقرر ملكية هذه الجهة لنفسه وفي سنة ١٢١٤ مات غيليوم في جهة سطيرلنغ

سلطنة اسكندر الثانى

ثم جلس اسكندر الثانى الابن الوحيد لغيليوم على تخت اسكوطلنده ودخل في الحرب الذى وقع بين البارونات الانكليزية والملك يوحنا وكانت محاربته مع البارونات مؤملا أن يسترجع لنفسه ارلية نورغمبرلند وأدى اليه البارونات الشمالية رسوم الاحترام وضم قواه الى قواهم وسار الى جهة الدوفر من أجل استقبال البرنس لويز صاحب فرانسا وأدا رسوم الاحترام له وكان البارونات دعوه للحضور في انكلتره من أجل لبسه التاج الانكليزى وبعد موت يوحنا وقبول الامة الانكليزية ابنه هنرى الثالث ملك انكلتره أن وضعت الحرب أثقالها وفي سنة ١٢١٧ أدى اسكندر رسوم الاحترام لهنرى فخلع عليه ارلية حنطنغدون وفي سنة ١٢٢١ بعد الميلاد تزوج ملك الاصكوطيين البرنسيسة يوحانه أخت هنرى صاحب انكلتره فاعقب هذا الزواج سلم مع انكلتره امتدّ نحو قرن واتفق اسكندر أن يعوض طلب دعواه في ارلية نورغمبرلند بجهة أراضى بتريث وطينمدال وتمكنت العلاقات بين المملكتين حتى ان هنرى الثالث عند توجهه نحو فرانسا ترك حدود مملكته تحت محافظة اسكندر وفي سنة ١٢٣٢ بعد الميلاد وقع الاتفاق بين الملكين على تعيين مندوبين من طرفهما لتعيين الحدود بين انكلتره واسكوطلنده فتعينت وتركوا ناحية متسعة بصفة أرض ليست داخلة في أراضى المملكتين ومات اسكندر سنة ١٢٤٩ بعد الميلاد في وقت ما كان في حملة على الجزائر الغربية

سلطنة اسكندر الثالث

وخلف اسكندر الثالث أباه وكان عمره ثمان سنوات فقط وتتوج مع الابهة في مدينة اصقون وتزوج بالبرنسيسة مرغريطة بنت هنرى الثالث في يوم عيد مشهور سنة ١٢٥١ بعد الميلاد في مدينة

بورقة وأدى رسوم الاحترامات لهنرى من أجل الاراضى الالتزامية التى تحت يده من أراضى انكلتره فطلب هنرى منه أيضا وجوب أداء رسوم الاحترام لنفسه من أجل اسكوطلنده أيضا فخلا اسكندر عن هذا الطلب وقال لو أدت هذه المسئلة لدفنى فى باطن الارض لا يمكننى أداؤها الا من بعد مداولة مع لوردات اسكوطلنده فيها وفى سنة ١٢٧٨ بعد الميلاد توجه اسكندر الى وستمنستر لاداء رسوم الاحترام الى ادوارد الاول ملك انكلتره الجديد فجدد ادوارد طلب أبيه أداء رسوم الاحترام بخصوص اسكوطلنده فرفض اسكندر قبول هذا الطلب فما دقق ادوارد فى تقوية طلبه اسكوطلنده وكان فى سنة ١٢٦٣ بعد الميلاد أغار حاكون ملك نرويج على جزائر اركاده وهبريده فى اسطول قوى ثم عبر الى الساحل الغربى لاسكوطلنده ودمر فى طوله تدميرات كثيرة وما حاز النورماندبون ثمرة كبيرة من هذه الغارة الا أنه فى سنة ١٢٨١ بعد الميلاد تزوجت مرغريطه البنت الكبرى لملك اسكوطلنده بعريق الوارث لتاج مملكة نرويج وماتت من بعد مضى سنتين وخلفت بنتا اسمها مرغريطه ومن بعد مضى بضع سنين مات اسكندر الابن الوحيد لملك اسكوطلنده فصارت مرغريطة الطفلة هى الوارثة للتاج الاسكوطلندى وفى سنة ١٢٨٦ بعد الميلاد مات اسكندر الثالث من وقعة وقعها من فوق حصانه وكان موته غلاقى ما يقال له المدة الثانية من التاريخ الاسكوطلندى وكانت ابتدأت من ابتداء خلع (دونالدبانى) آخر الملوك الصلطية من نحو مائتى سنة مضت ففى أثناء هذه المدة امتد حد اسكوطلنده باضافة ارجيل والجزائر ومقاطعتى لوثيانه وغالووى اليهاوان كان هاتان المقاطعتان بقيتا مفصولتين ممتازتين وكذا كانت حكومة انكلتره فى أثناء هذه المدة فى استتباب راحة وتفوقت زيادة عما كانت عليه من قبل وحلت القوانين والعوائد الانكليزية فى الجهات محل العوائد القديمة الصلطية وتزحزحت الامراء الصلطية وأخلوا طريقا للأمورى حكام الحكومة وبما أن اسكوطلنده ما كانت مقسومة مثل انكلتره الى مقاطعات لم يوجد فيها مأمورو أحكام من طرف حكومة اسكوطلنده كما كان فى انكلتره بل كان يوجد بعض حكام معينين من طرف الملك فى جهات معلومة فقط وصارت هذه الجهات الموجودة تحت أيدى الحكام هى المعروفة بالكونتات فى الازمان الاخيرة وبواسطة طريق الالتزام دخل الالتزام النورمندى بأثقاله الجورية فى اسكوطلنده وصار له جذر ثابت فى أرضها زيادة عما كان عليه فى انكلتره واستبدل مأمورو الاحكام الوطنيون باشراف من الاغراب واستلم الاراضى بارونات نورمندية صرفة سواء كانت هذه الاراضى مسكونة بفلاحى صلطية أو فلاحين من الصكسونيين وأسس المستجدون فى تملك الاراضى عائلات عرفت فى آخر الامر باسم العائلات الصلطية لان الصلطيين كانوا أعطوا اسمهم للاراضى التى كانوا ساكنين فيها فأخذ النورمنديون أسماء الاراضى الممنوحة لهم وجعلوا اسمها لانفسهم وتولد من استمرار السلم مع انكلتره نحو قرن تقدم عظيم فى درجات التألف والعمران وذلك أن الاراضى الشاسعة القابلة للزراعة أخصبت زراعتها ونمت محصولاتها فى المدة التى خلت من الارتباكات وأنشئت الطرق والقناطر بهيئة عظيمة وحصلت المرمات فى القديم منها وأخذت المدائن التجارية فى زيادة الثروة والشوكة غير أنه ما كان يوجد مدينة من المدن تعادل العاصمة فى امتيازاتها وكانت مدينة بوحنا (برث) من ابتداء انضمامها مع اصقون معدودة من مدائن الدرجة الاولى وكان الملك يجعل ديوانه ومحل قراره فى المدائن الملوكية كما يشتهى فمن ثم كان لهذه المدائن أهمية عظيمة فى المملكة لانه لما كان

أهلها

أهلها تبعة مباشرة للملك كان جميعهم عبيدا له وسلكوا مسلكا يصدون به تقدم شوكة الاشراف وكان لاهل المدائن الحق فى حكومة أنفسهم بعضهم على حسب قوانينهم وكانت هذه المدائن مقسومة فى حد ذاتها الى قسمين فأما المدائن الموجودة فى شمال نهر الاصكوط أو نهر فرث الفورث فكانت فى اتحاد مثل الاتحاد الكبير المعروف باتحاد المدائن الحانسية على أرض القارة و يعرف هذا الاتحاد أيضا باسم الاتحاد الحانسى وأما المدائن الموجودة فى لوثيانه فان نوابها كانوا أربعة من المدائن الكبيرة المشهورة بينها وهى مدينة (روكسبورغ - وسطيرلنغ - وايدنبورغ - و برويك) وكان فى كل من تلك الاربع مدائن نواب تجتمع فى مجلس مؤلف من أهل المدائن الملوكية فى كل سنة مرة واحدة فى مدينة ايدنبورغ وما كانت المدائن الاسكوطلندية فى هذه المدة متأخرة فى شئ ما عن المدائن الموجودة على أرض القارة وذكر بعض مؤرخى ذلك العصر أن مدينة برويك كانت أغنى وأجل المدائن الاسكوطلندية وكانت فى هذه المدة خصيمة لوندره وكان لمدينة انقرنيس الشهرة العظيمة فى انشاء المراكب وتولد من حسن اتقان صناعة المراكب فى هذه المدينة وقوع العجب عند أشراف الفرنساوية فى ذلك العصر غير أن هذه الاعمال الجليلة انقرضت بموت الملك وتولد من طول مدة سنى الحروب التى أعقبت هذا العصر وتدميرها أهل البلاد كنس كافة آثار الحضارة العالية وثروة العباد التى وصلت اليها فى ذلك العصر وكانت هذه المدة تعرف بالعصر السعيد فى التاريخ الاسكوطلندى وفى الشهر الذى جاء عقب موت اسكندر الثالث اجتمع مجلس اسكوطلنده فى مدينة اصقون ورتب مجلسا مؤلفا من ستة نواب لاجل مباشرة أحكام المملكة على اسم مرغريطة فتاة نرويج وكان عمرها فى ذلك الوقت ثلاث سنوات وخلفت جدها فى تاج اسكوطلنده فاجتهد روبرت بروس فى أخذ التاج عنوة وكان روبرت المذكور بارونا نورمنديا نزلت أجداده فى نواحى عننديل فى القرن الثانى عشر وكان ابن ازابلا البنت الثانية لداودارل حنطنغدون أخى غيليوم الاسد واستغاث فى ذلك بادوارد الاول صاحب انكلتره بصفة أنه سيد اسكوطلنده فى اثبات دعواه فعارضه المجلس فى ذلك ووقعت المخابرة فى عقد معاهدة مع ادوارد فى شأن زواج مرغريطة بابنه الوارث للملكة فكانت هذه المعاهدة مشتملة على أن اسكوطلنده يلزم أن تحافظ على امتيازها وجعلها مملكة مفصولة وأنه يجب على انكلتره مراعاتها استقلالية اسكوطلنده ومن بعد اتحاد التاجين بعقد مسئلة الزواج انفسخت هذه المعاهدة بموت مرغريطة فى سنة ١٢٩٠ بعد الميلاد وقت توجهها الى اسكوطلنده وبموتها انقرضت سلسلة غيليوم الاسد وظهر عدة مطالبين للتاج جميعهم أسسوا دعواهم على أنهم من ذرية داودارل حنطنغدون وكان أشهرهم روبرت بروس ويوحنا باليول حفيد مرغريطة ابنة داود وكل من الاثنين استغاث بادوارد الاول ملك انكلتره فى فصل هذه المادة ففصلها لجهة باليول الذى تتوج فى نحو غلاق سنة ١٢٩٢ بعد الميلاد ملكا لاسكوطلنده فى مدينة اصقون باسم حنا الاول وطلب ادوارد من حنا أن يؤدى له رسوم الاحترام مكافأة له على فصل هذه المادة له وكان هذا هو المقصد الاصلى للملك الانكليز من كونه يضم كافة بريطانيا تحت حكم انكلتره وقد كان ضم الويلس الى مملكته وفصل حكمه فى اسكوطلنده بصيرورة حنا عبدا له ومن بعد جلوس حنا على كرسى المملكة دعا المجلس الاسكوطلندى للالتئام فى مدينة اصقون فأطلق على هذه الجمعية فى هذه المرة الاولى اسم برلمان وكان حنا عاجز الرأى غير كفء للحكومة بل كان مرعيا عند قومه بانه آلة للملك الانكليز فاتفق فى هذا الوقت أن شخصا اسمه (روجر بارثلى) من أهل مدينة برويك

سلطنة مرغريطة

سلطنة يوحنا باليول

حصل له غضب شديد من عدم فصله الحكم بالعدالة الشرعية فى قضية كانت مقامة فى احدى محاكم اسكوطلنده فاستغاث بارثلى المذكور بالملك ادوارد فى فصل قضيته بوجه الحق فأمر الملك بسماع دعواه فى مجلس (فى نيوكاستل) فكان هذا الامر سببا فى نكث معاهدة ادوارد مع اسكوطلنده الا أنه أرغم يوحنا على الانقياد لهذا الامر ومن بعد مضى بضعة شهور استغاث أيضا (مقدوف) العم الكبير لارل فيف بادوارد فى فصل المسائل المخصوصة بالاراضى المملوكة لكل من بيتى بروس ودغلاس فطلب ادوارد يوحنا للحضور أمام البرلمان الانكليزى الا أنه حصل عند الملك الخاضع ثوران من هذه الاهانة وتسليمه حرية بلاده ولذلك أعلن بدوام عبوديته وأمره ادوارد بان يسلم ليده ثلاثة قلاع من أكبر قلاعه حتى يرضى عنه فكان جواب يوحنا فى هذه المسئلة أن عقد معاهدة مع ملكى نرويج وفرانسا على انكلتره وساعده على ذلك أشراف اسكوطلنده وأهلها قلبا وقالبا ولذا فمن ابتداء هذا الوقت الى حد حادثة الاصلاح الانجيلى كانت فرانسا هى الحليفة الصادقة لاسكوطلنده ومن بعد عقد المعاهدة مباشرة عبر الجيش الاصكوطى الحدود وأوقع الخراب فى الكونتات الشمالية من انكلتره فصار لادوارد فى هذه الحالة الحجة التامة فى خضوع اسكوطلنده وكان يترقب مثل هذه المادة من مدة طويلة الا انه كان مجانبا لها بالنسبة لما هو حاصل من حوادث الوقت فزحف فى الحال نحو الجهات الشمالية فى رأس جيش ضخم وحاصر برويك وتغلب عليها عنوة من بعد مقاومة شديدة من أهلها وبطش ادوارد باهل برويك وخرب المدينة وجعلها فى صفة سوق معتاد فى سنة ١٢٩٤ ثم زحف منها على دونبار وهزم الجيش الاسكوطلندى بالقرب من دونبار وتغلب على قلعتها واستمر فى زحفه حتى وصل ايدنبورغ وجعل مقر معسكره فى هوليرود وحاصر القلعة وتغلب عليها ثم ضيق على اسطيرلنغ وبرث ووقع كل من الاثنين فى يده وأخذ جواهر التاج الاسكوطلندى من قلعة ايدنبورغ وأخذ الحجر الاسعد من مدينة اصقون وأرسله الى كنيسة وستمنستر وما زال فيها لحد الآن

وكان قدماء الملوك الاسكوطلندية يتتوجون على هذا الحجر وتعتقد الامة أن فى هذا الحجر بعض أسرار خفية مخصوصة بسعادة بلادهم فمن ثم رأوا أن أخذه من أكبر المصائب التى حلت بالمملكة وزحف ادوارد فى الجهة الشمالية حتى وصل علجين ورجع فى سنة ١٢٩٦ الى برويك من بعد أن أخضع اسكوطلنده قاطبة وجرد يوحنا من تاجه وأرسله أسيرا الى انكلتره ثم سمح له بالتوجه الى أملاكه فى بيكاردى من أعمال فرانسا ومات فيها فى سنة ١٣١٥ وأرغم ادوارد الاشراف الاسكوطلنديين على حلف اليمين بالصداقة له وعامل اسكوطلنده معاملة مقاطعة انتهى أجلها بما وقع من خيانة العبيد الذين كانوا تحت يده ورتب محافظين من الانكليز فى قلاعها وما رخص لاحد من الاسكوطلنديين فى الدخول فى أى مصلحة مهمة وعاملهم بأشق المعاملات وصارت اسكوطلنده محكومة بحكام انكليزية بصفة أنها قسم من المملكة الانكليزية وعين الملك ارل وارين وسورى نائبا فى اسكوطلنده من طرفه وما التفت سكان الجبال لما وقع فى الحكومة من هذا التبديل وما أصابهم شئ من ادوارد وقبل الاشراف النورمندية هذا التغيير رغم أنوفهم وهم صاغرون لا يبدون حراكا غير أنه تولد من الظلم الانكليزى ثوران قسم من الامة الاسكوطلندية فى مقاومة أحكامهم وذلك أن (غيليوم ولاس) أحد أمراء (كليدسدال) حصل له ضرر شديد من أحد حكام الانكليز فقتله وهرب ناجيا بنفسه فى داخل الاورمانات ودعا أهل بلاده لمساعدته فى تحرير اسكوطلنده وخلاصها من

الاحكام

الاحكام الاجنبية فى سنة ١٢٩٧ وكان غيليوم ولاس المذكور شجاعا حازم الرأى ذا ادراك وفهم صبورا على تحمل الجوع والعطش والتعب وكافة التأثيرات الجوية المتولدة من الفصول السنوية فجمع لنفسه مع التدريج شرذمة من أنباء الخاضعين لاعماله وفى مدة قليلة صار له طاقة على السعى فى الشغل الذى خصص حياته لاجرائه وهجم عنوة على محافظى الانكليز فى (الانارك) وقطع دابرهم وقتل (هاسلريغ) الحاكم الانكليزى المعين جديدا فى (أير) وأعقب هذه النصرة بعدة نصرات أخرى وزادت قواه واشتد أمره وهجم على مدينة اصقون وكان فيها (عورمسباى) حاكما عينه وارين من طرفه نائبا عنه فى هذه المدينة فى الحكومة فضبط دواته وهرب عورمسباى واستحوذ غيليوم ولاس على كثير من الاسرى والغنائم ثم من بعدها أغار على غلاسفو وأرغم أنطونى بالك أسقف دورهام على الهرب الى انكلتره وهرب عموم الحكام الانكليزية ماخلا الموجودين فى القلاع الحصينة ناجين بأنفسهم الى بلادهم فتولد من مظفرات ولاس قيام النخوة مرة أخرى فى أهل اسكوطلنده وانضم اليه لورد غيليوم دغلاس ورو برت بروس ارل كاديك وصار ولاس فى رأس قوة كبيرة ومع هذا كان أشراف اسكوطلنده ينظرون لهذه الحركة بعين باردة ولما دخل فصل صيف سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد زحف جيش انكليزى على اسكوطلنده تحت قيادة لورد برسى جددوا طاعتهم لادوارد واعتقد لورد برسى فى نفسه اخماد الثورة فسحب جيشه فى الحال الى انكلتره وبرز وراءه ولاس فى الوقت لميدان الحرب وانضم اليه الجم الغفير من أهل السهل وأسرع فى حركاته حتى جعل نفسه فى أقرب وقت سيدا على القلاع الواقعة فى شمال نهر الطاى وجمع ارل وارين سورى جيشا مؤلفا من ٤٠٠٠٠ نفس وزحف على غيليوم ولاس وفى ١١ سبتمبر سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد هجم على ولاس فى سهل سطيرلنغ فانهزم جيشه وتبدد شمله وكان من الذين قتلوا فى ميدان الواقعة كريسنغهام المالى الانكليزى فى اسكوطلنده وكان مكروها عند الاسكوطلنديين بسبب ما كان عليه من السلب فسلخوا جلده وعملوا منه سروجا وأحزمة للخيول وتقهقر وارين الى انكلتره وتبعه ولاس مخربا فى الكونتات الشمالية من أعمال انكلتره بكل شدة ثم عاد الى اسكوطلنده محملا بالغنائم ودخلت كافة المعاقل الموجودة فى جنوب نهر الفورث فى أيدى الاسكوطلنديين وتعين ولاس حاكم المملكة الاسكوطلندية

وفى هذا الوقت كان ادوارد غائبا فى فلندره فى أثناء هذا الاختلال وعاد فى أثناء هذه الحروب الى انكلتره وجمع جيشا مؤلفا من نحو ١٠٠٠٠٠ نفس وزحف على اسكوطلنده وأغار على الجيش الاسكوطلندى تحت قيادة ولاس فى فالكيرك سنة ١٢٩٨ وأوقع على ولاس هزيمة فاصلة حتى تنازل عن حماية المملكة وعاد ادوارد الى كارليسل ومع أنه ضبط السهل الجنوبى لكن السهل الشمالى داوم على مقاومته الى سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد حتى أرغم أهله على الانقياد لانكلتره وصدر من ادوارد عفو عام عن جميع القواد الاسكوطلندية ماعدا ولاس وكان طلب من الملك أن يكون مطيعا له تحت شروط غير معلومة وكان توجه من عهد واقعة فالكيرك الى أوروبا ثم عاد مستخفيا الى اسكوطلنده ففشا أمره الى ادوارد ووقع فى يد الانكليز بمعرفة حنا منطيث أعز أصدقائه فأرسلوه فى الحال الى لوندره وقطعوا رأسه فيها بصفة أنه خائن فكان الاسكوطلنديون يعتقدون أنه مات شهيد حرية بلاده وذكره الى هذا اليوم معزز عندهم وهو من أكابر اسكوطلنده وشجعانها وقامت الشوكة الانكليزية فى اسكوطلنده وحكمت المملكة بوال من طرف ملك الانكليز مساعدا فى حكمه بمجلس مؤلف من

الاشراف والاساقفة وأرسلت اسكوطلنده من طرفها عشرة نواب لنفسها فى البرلمان الانكليزى وترتبت المصالح الانكليزية فى جهات المملكة ثم اجتهد ادوارد بمعاملات أجراها فى الاستحواذ على محبة الاسكوطلنديين له فما نجح فى الكبس على أمة رغبتها الطبيعية فى استقلالية نفسها وتسبب من الغضب الكامن فى قلوب الاسكوطلنديين هياج ثورة أخرى وذلك أن روبرت بروس ارل كاريك كان اشترك فى حروب غيليوم ولاس وصدر عفو ادوارد عنه وقابله بالاحسان وعامله بأجل المعاملة ومع ذلك عزم روبرت المذكور على تجديد السعى فى عود تحرير بلاده فاكتشف ادوارد على دسيسة فى هذا الشأن فالتزم بروس على الهرب من الديوان الانكليزى وأسرع الى دومفريس فتقابل فى كنيسة (غرى فريار) مع يوحنا كومين صاحب بادنوخ الملقب بكومين الاحمر وكان هو من بعد باليول وأولاده الوارث للتاج الاسكوطلندى فانتهى أمر هذه المقابلة بكون بروس طعن كومين بخنجر وعمل (روجر كربات ريك) أحد أتباع بروس على موته فتولد من هذا الفعل أن جلب روبرت على نفسه انتقام ادوارد والكنيسة منه غير أن فعله هذا كان سببا فى أن صار الوارث الشرعى للتخت الاسكوطلندى واستحوذ على ميل وتعضيد أهل بلاده له وكانوا فى غاية من القلق من النافر الانكليزى فقدم بروس طلبا نه فى الوقت من أجل التخت وفى ٢٧ مارث سنة ١٣٠٦ بعد الميلاد تتوج مع الاحتفال ملك اسكوطلنده فى مدينة صقون فاستعد ادوارد لحطم هذه الثورة الجديدة مع بذل الجهد ووظف (ﺀ يردوفلنس) حاكم اسكوطلنده وأصدر منشورا فى حق بروس بانه خائن ووقع الحجر الكنائسى عليه بمنشور مخصوص من طرف البابا وكل من عاضده بأى حالة من الاحوال يعاقب أشد العقاب بمجرد وقوعه فى أيدى الانكليز وقتل الانكليز نحيل بروس أخا روبرت وكريستوف سيطون زوج ابنته وثلاثة آخرين من الاشراف فتولد من سفك دماء هؤلاء ابتعاد الكثير من الاشراف الاسكوطلندية عن انكلتره وحضهم على الدخول فى أمر عام مع الامة وجمع ادوارد جيشا قويا وزحف به نحو الجهات الشمالية فمات فى بوروغ على نهر السالدس فى ٣٠ يوليه سنة ١٣٠٦ وقبل خروج روحه أوصى ابنه وخليفته من بعده على مداومة الحرب بشدة مع الاسكوطلنديين فترك ادوارد الثانى الحرب وصار عند الاسكوطلنديين مدة كافية لبنتى فيها اسكوطلنده تستعد لواقعة فاصلة مع عدوتها القديمة

وما كان الملك روبرت معروفا أنه ملك عند الامة الاسكوطلندية ولبث عدة سنين مقطوع اليأس وحالا نزالا مطرودا عن محله وداوم فى هذه المدة على حروب غير منتظمة مع الانكليز زادت فيها شهرته بحسن قيادته الجيوش وجسارته وكان ألد أعدائه (ارل بوشام ـ ومكدوغال لورن) وظفرا عليه بسبب ما كان لهما من المنافع عند الانكليز وانجبر بروس على الهرب ناجيا بنفسه والتجأ الى جزيرة رشرين على مسافة من الساحل الشمالى لارلانده وعلى ماقيل من الروايات انه خطر بباله ترك الحروب فى اسكوطلنده والانضمام الى حرب الصليب وفى أثناء ما كان مضطجعا فى صباح يوم من الايام داخل خص اتخذه مأوى له اذ رأى عنكبوتا يجتهد فى مد نسيجه من خشبة الى أخرى فى السقف وما نجح فى مد نسيجه حتى فعل ذلك ست مرات وكان اجتهاده على غير طائل فقال بروس فى نفسه أنا الآخر خاب اجتهادى فى المرات التى هيجت فيها حربا على الانكليز وراقب حركة العنكبوت لينظر أينجح فى اجتهاده أم لا وقال فى نفسه لو عاد اجتهاده ثانيا ونجح فانا أجعله تقوية فى اجتهادى مرة أخرى فكان من طالع

سعده

سعده أن اجتهد العنكبوت مرة أخرى ونجح فيها فى مد نسيجه فتقوى بروس بهذا الفال وعاد الى اسكوطلنده وانضم اليه بعض أتباعه فى جزيرة عران وعدوا الى البر الاصيل وكانت قوته قليلة مع ملاقاته أشد الاهوال فتجلد للآلام وملأ نفسه بالصبر وعدم القنوط وتشجع وأخذت قوته فى الزيادة شيأ فشيأ حتى هزم عدوما القديم ارل بوشام فى واقعة وقعت بينهما بالقرب من انفراري وأعقب هذه النصرة بتخريب أراضى بوشام وبلاده بالسيف والنار وأخذ أمره فى الثبات والقوة وأقر خدمة الدين الاسكوطلنديون بانه مليكهم ومن ثم خلص فى الحقيقة من جريمة الحجر الكنائسى فكان ذلك مظفرة عظيمة له ووقعت فى يديه المعاقل الاسكوطلندية واحدة بعد واحدة حتى ما بقى تحت يد الانكليز الاقلعة سطيرلنغ فضايقها حتى عزم محافظها على تسليمها له ان لم ترد اليه قوة لخلاصها لحد يوم عيد القديس حنا المعمدان من سنة ١٣١٤ فجمع ادوارد الثانى جيشا مؤلفا من ١٠٠,٠٠٠ نفس وسار مسرعا من أجل خلاصها فهزمه الجيش الاسكوطلندى شر هزيمة تحت قيادة بروس فى نواحى بانوكبورن على مقربة من سطيرلنغ فى ٢٤ يونيه سنة ١٣١٤ وهرب الانكليز الى بلادهم وما ثنى ادوارد عنان حصانه حتى وصل مدينة دونبار وأخذ منها مركبا الى برويك وفى أثناء هذه المدة حاز لورد جمس دغلاس بن دغلاس الذى كان قوى ولاس وشجعه فى عدة نصرات على الانكليز حتى صار اسمه مفزعا عندهم وكان يلقب بدغلاس الاسود من اسمرار فى جلده وشعره ومن ثم كانت واقعة بانوكبورن سببا فى دمار أعمال ادوارد الاول وتشييد استقلالية اسكوطلنده ولما رفضت انكلتره قبولها هذه الاستقلالية تولد من مداومة الحروب مصائب شديدة فى حدود كل من المملكتين ووقعت الغارة أيضا على انكلتره فى تبعتها ارلنده كما ذكرنا فى تاريخ انكلتره وذلك أن ادوارد بروس أخا الملك روبرت بروس أغار على تلك الجزيرة وبمساعدة روبرت له استحوذ لنفسه على تاج ارلنده واجبر روبرت بروس على العود الى اسكوطلنده ومن بعد قليل انهزم ادوارد وقتل وفى هذه المدة كان الحرب جاريا فى الحدود الانكليزية وأعاد الاسكوطلنديون برويك ثانيا وأحكموها وحفظوها من كل سعى يقع من الانكليز فى الغارة عليها مرة أخرى وفى سنة ١٣٢٨ انتهى الحرب الطويل بمعاهدة عقدت فى نورثمطون بين روبرت الاول صاحب اسكوطلنده وادوارد الثانى صاحب انكلتره وقرر ادوارد استقلالية اسكوطلنده وعهد على نفسه فى هذه المعاهدة احترام هذا الاستقلال وتعهد الملكان بارتباطات العلاقات الصادقة والتجنب من وقوع ارتباكات بين رعاياهما وخطبت يوحانه أخت ادوارد للابن الصغير لروبرت وبواسطة هذه المعاهدة ألغى كل ما كان يقال له طاعة لانكلتره وصارت لوثيانه وسطراثكليد مملكتين مستقلتين بالكلية من انكلتره وقسمين كاملين من اسكوطلنده ثم تولد من حرب الاستقلال نتيجة أخرى للسعادة وهى جمع شمل ما كان مشتتا من الامة الاسكوطلندية فى جامعة أمة واحدة مؤلفة القلوب مع بعضها ونتيجة أخرى أسعد منها وهى تمكن الكراهة الشديدة والبغضاء فى قلوب الامة الاسكوطلندية لانكلتره ولكل شئ انكليزى يظهر وجوده بين طوائف الامة الاسكوطية وتولد من هذا جبر الاسكوطلنديين على الدخول فى محالفة مع فرانسا كانت سببا فى سعادة مستقبل بلادهم ودخل روبرت فى المحالفة مع فرانسا تعاهد فيها على نفسه بالاغارة على انكلتره فى أى وقت تعلن فيه فرانسا حربا عليها وفى سنة ١٣١٨ فصل البرلمان الاسكوطلندى مادة الوراثة فى التاج فجعلها أولا فى الذكور من الوارثين الارشد فالارشد ثم فى النساء الوارثات وفى حالة عدم وجود كل من الاثنين

سلطنة روبرت بروس

تكون خلافة التخت فى الاقرب من النسل العصبى وأصدر البرلمان أمره بانه لا يجوز لارباب الاراضى الاسكوطلندية القاطنين فى انكلتره أن يصدروا محصولات هذه الاراضى الى جهات خارج المملكة وذلك لارغام أرباب الاراضى الاسكوطلندية على أن يكونوا اسكوطيين صرفا واستصوب برلمان سنة ١٣٢٦ بعد الميلاد دخول نواب فيه من المدائن وقرر بان المجلس الثالث يكون قسما لازما من البرلمان الاسكوطلندى ومات روبرت فى كاردروس فى سنة ١٣٢٩ تاركا ولدا واحدا فنعته الامة الاسكوطلندية

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من سلطنة داود الاول الى جمس السادس ﴾

صيرورة داود الثانى ملكا ـ النيابة ـ ثورة البارونات ـ صيرورة ادوارد باليول ملكا ـ طرد روبرت القهرمان الانكليز من المملكة ـ عود داود للتخت ـ اغارته على انكلتره ـ هزيمته والقبض عليه ـ خلاصه وموته ـ روبرت الثانى ـ الاستيوارتيون ـ حرب مع انكلتره ـ واقعة أوطربورن ـ روبرت الثالث ـ الفوضى فى اسكوطلنده ـ اعلان جمس الاول ملكا ـ نيابة دوق البنى ـ افراج الانكليز عن جمس ـ جلوسه على التخت ـ أشغاله المنيفة ـ مساعيه فى كسر شوكة أهل الجبل ـ قتل الملك ـ اصلاحات هذه السلطنة ـ جمس الثانى ـ سقوط الدغلاسيين السود ـ تداخل جمس فى الحروب الداخلية الانكليزية ـ جمس الثالث ـ مساعيه فى صدم شوكة الاشراف ـ اجرا آت قنطرة اللودر ـ قتل الملك ـ جمس الرابع ـ اجتهاداته فى تقوية شوكة التاج ـ علاقاته مع انكلتره ـ غلبته على لورد الجزائر ـ حرب مع انكلتره ـ واقعة فلودين ـ موت جمس ـ تقدم الحضارة فى اسكوطلنده ـ جمس الخامس ـ النيابة ـ الشقاق بين الاشراف ـ قيام الملك ـ سقوط الدغلاسيين الحمر ـ اتحاد جمس بسكان الحدود ـ مبادى الاصلاح الانجيلى ـ موت جمس ـ اعلان مريم ملكة ـ نيابة ارل اران ـ حرب مع انكلتره ـ ارسال الملكة فى فرانسا ـ طرد الانكليز من اسكوطلنده ـ انتشار الاصلاح الانجيلى ـ قتل الكردينال بيطون ـ صيرورة أم الملكة نائبة ـ كراهة نفوذ الفرنساوية عند الاسكوطلنديين ـ سرعة ازدياد شوكة المصلحين ـ المجلس الاول ـ لوردات الجمعية ـ طلبهم من النائبة اصلاحا فى المواد الديانية ـ ما وقع من النائبة من الخيانة ـ الثورات الدينية ـ خلع النائبة ـ مساعدة انكلتره للمصلحين ـ معاهدة ادنبورغ ـ موت النائبة ـ المجالس الكنائسى ـ عود الملكة مريم ـ حنا كنوكس ـ سوء معاملته للملكة ـ عظمة خدمة الدين المصلحين ـ ثورة ارل هانطلى ـ زواج الملكة بدارنلى ـ موت دريزيو ـ مولد جمس السادس ـ معاضدة بوثويل الملكة ـ موت دارنلى ـ زواج الملكة ببوثويل ـ حرب داخلى ـ سجن الملكة ـ خلعها من تختها

سلطنة داود الثانى

ما كان لداود الثانى من العمر الا ثمان سنوات فى وقت موت أبيه وتتوج ملكا فى مدينة اصقون وادهن بالزيت أيضا وما كانت عملت عملية الدهن فى اسكوطلنده من قبل عما أنها كانت مرعية أنها من ضمن حقوق الملوك المستقلة وتقلد زمام أحكام المملكة (لورد راندولف) بصفة نائب وفى مبادى

القسم الاول من سلطنة داود والثانى أغار البارونات الانكليزية الذين تجردوا عن أراضيهم فى اسكوطلنده على حسب نص لائحة السلطنة السابقة التى سبق الكلام عليها على اسكوطلنده قاصدين صيرورة ادوارد بن باليول ملكا ومات فى هذا الوقت (راندولف) النائب وخلفه (دوندال) ارل مار وكان أيضا مثل راندولف ابن أخى روبرت بروس ونزل البارونات المحاربون على سواحل فيف وهزموا الجيش الاسكوطلندى تحت قيادة النائب الذى قتل النائب واحتل المنصورون مدينة برث وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٣٢ تتوج ادوارد باليول ملكا فى مدينة اصقون وقرر ادوارد نفسه عبدا الملك انكلتره فهاج الغضب فى وجوه الاسكوطيين من اغارة الانكليز على بلادهم وهجوا حربا على الكونتات الانكليزية الموجودة فى الحدود فجعل ادوارد الثالث هذه حجة وأغار على اسكوطلنده وفى فصل ربيع سنة ١٣٣٣ حاصر مدينة برويك فسار النائب (الارشيبالد دغلاس) لخلاصها فانهزم فى جبال هاليدون والتزمت برويك على التسليم وتنازل ادوارد باليول عن برويك للانكليز وسلمهم القلاع الحصينة الواقعة فى جنوب نهر الفورث ودام الحرب فى طول خط الساحل ثلاث سنوات فى مظفرات بين المتحاربين ولما اشتغل ادوارد الثالث بمحارباته مع فرانسا قام الحزب الوطنى فى اسكوطلنده تحت قيادة روبرت نائب المملكة وكان دخل فى النيابة سنة ١٣٣٨ بعد الميلاد وأعاد القلاع كما كانت وفى سنة ١٣٤١ طردوا ادوارد باليول من المملكة وأعادوا داود وزوجته يوحانه الانكليزية وكانا أرسلا الى فرانسا للمحافظة على ارسالهما الى اسكوطلنده مرة ثانية وجلس على تخته وتقلد الملك زمام أحكام مملكته وعقد هدنة مع انكلتره واستمر الصلح خمس سنوات وما انتقض الا بغارات وقعت فى الحدود من سكانه وفى سنة ١٣٤٦ اشتغل ادوارد بحصار قلعة كالبس فنكث داود الهدنة وأغار على انكلتره فى مرضاة فرانسا فانهزم وأسر فى واقعة وقعت فى مفرق نويل ولبث فى الاسر احدى عشرة سنة وفى هذه المدة كانت اسكوطلنده محكومة بالنائب الاول روبرت القهرمان فأعاد الاسكوطلنديون برويك ثم خسروها ثانيا ولما عاد ادوارد من فرانسا زحف بجيشه على اسكوطلنده حتى وصل الى نهر الفورث وتقهقر الاسكوطلنديون أمامه مدمرين بلادهم كلما تقهقروا وفى سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد حصل الافراج عن داود من بعد دفع فدية مقدارها ١٠٠,٠٠٠ مارك وما بقى من سلطنته كان خاليا الوقائع ومات فى سنة ١٣٧٠ بعد الميلاد ولم يخلف ذرية

جلس روبرت القهرمان ابن أخت داود على التخت بلقب روبرت الثانى وكانت وظيفة القهرمانية وراثة من (والطير فيطزالان) وكان أنعمها عليه داود الاول ومنها أخذت العائلة اسم القهرمان أى استيوارت وعرفوا فى التاريخ بالاستيوارتيين وكان جلوس روبرت لا جدال فيه وفى سنة ١٣٨٥ انتهى أجل مدة الهدنة وجدد روبرت الحرب وأرسل ملك فرانسا قوة مؤلفة من ٢٠٠٠ نفس وأسلحة ونقود المساعدة حلفائه الاسكوطلنديين وأغار ريشارد الثانى على اسكوطلنده فكان التلف المشهور الذى وقع منه تخريب كنيسة ميلروز وفى هذه المدة خرب الاسكوطلنديون والفرنساوية الكونتات الشمالية من انكلتره بالسيف والنار وبمجرد انسحاب ريشارد من اسكوطلنده عاد الفرنساوية الى بلادهم ومن بعد مضى بضع سنين هاج الحرب ثانيا على خط الحدود وقتل فى هذا الحرب ارل دغلاس فى واقعة أوطيربون الشديدة فى أغسطس سنة ١٣٨٨ ثم كان

سلطنة روبرت الثانى

الصلح فى السنة التالية بين انكلتره واسكوطلنده ومات روبرت فى سنة ١٣٩٠ بعد الميلاد

سلطنة روبرت الثالث

واستخلف من بعد موت روبرت ابنه الكبير يوحنا وجلس على التخت باسم روبرت الثالث وكان ضعيف الجسم والعقل ووقعت حكومة المملكة فى يد أخيه روبرت دوق ا لبنى واسكندر بوشام فكان آلبنى هو الحاكم الحقيقى ومن ثم صارت المملكة فى حالة فوضوية وتسلطنت الاهوال فى جهاتها واشتغل البارونات والرؤساء بمنازعات بينهم واتخذ البعض منهم الغارات من نصيبه ونهبوا فلاحى البلاد والمدائن وعاملوا أهلها بأشنع المعاملات ثم هاج حرب فى الحدود مع انكلتره فى سنة ١٤٠٠ بسبب أن هنرى الرابع أحيا الطلب الانكليزى لتاج اسكوطلنده ثم عقد الصلح من بعد مضى سنة أو سنتين وفى سنة ١٤٠٥ بعد الميلاد قبض الانكليز على ارل كاريك وهو جس الابن الكبير للملك روبرت والوارث للتخت الاسكوطلندى وكان فى طريق سفره الى فرانسا ومع أن القبض عليه كان فى زمن السلم الا أن الانكليز عدوه فى صفة أسير ومات روبرت فى سنة ١٤٠٦ بعد الميلاد

سلطنة جس الاول

وأعلن النائب ا لبنى فى الحال بأن جس الاول ملك اسكوطلنده مع أنه لم يزل فى الاسر وباشر هو أعمال الحكومة باسم جس واستمر السلم اسما مع انكلتره غير أن الحرب كان جاريا فى الحدود على ما كان عليه واسترد الاسكوطلنديون الكثير من قلاع الحدود وتغلبوا على قلعة غيدبورغ مرة ثانية وخربوها حتى لاتكون مأوى للانكليز وقت غاراتهم فى المستقبل وفى سنة ١٤١١ بعد الميلاد ساق لورد الجزائر (دونالد) الجبليين فى داخل السهل الواقع فى شمال نهر الفورث عازما على خرابه فهزمهم سكان السهل تحت قيادة اسكندر استيوارت ارل مار فى هارلو من أعمال ابردين فى ٢٤ يوليه ومن ثم خلصت اسكوطلنده من الكرب العظيم ومات دوق آلبنى فى سنة ١٤١٩ بعد الميلاد وخلفه فى نيابته ودوقيته ابنه ثم وقعت المملكة فى الفوضى حتى صارت شوكة النيابة اسما فى الرياسة فكان الدواء الحقيقى لهذه الداءات المعضلة جلوس الملك على تخته وتقلده زمام أحكام مملكته فتوطد خلاصه بمعرفة دغلاس وبعض من الاشراف الاخر وفى سنة ١٤٢٤ عاد الى اسكوطلنده وطلب من الاسكوطلنديين دفع مبلغ لانكلتره مقداره أربعون ألف ليره قيمة مصاريفه فى مدة وجوده بها وتم ذيبه فى ظرف ثمان عشرة سنة وكان جس الاول تزوج فى مدة أسره بوحانه ابنة ارل سمرسيط فذهبت معه الى اسكوطلنده وكان جس على تيقظ تام من أن النائب آلبنى ومساعديه كانوا على اجتهاد تام من عدم خلاصه من أسره بسبب ما كانوا عليه من عدم رغبتهم فى التنازل عما بأيديهم من الاحكام ولبث جس ثمانية أشهر لا يظهر أدنى اشارة يستدل منها على غضبه ثم قبض على آلبنى وولديه وستة وعشرين من الاشراف الاخر فى مدة انعقاد البرلمان فى برث وحصلت محاكمة آلبنى وولديه أمام محكمة مؤلفة من أحد وعشرين عضوا من الاعيان تحت رياسة الملك وظهرت عليهم جريمة الخيانة فقتلوا فى قلعة سطيرلنغ ثم دعا جس رؤساء قبائل الجبل والجزائر الغربية لبرلمان عقده فى عنقرنيس فى سنة ١٤٢٧ وبمجرد وصولهم قبض عليهم فى الحال وأودعوا فى السجون وقتل ثلاثة منهم ومن بعد مضى قليل قتل جملة منهم وأودع آخرين فى السجون وسمح لجماعة قليلة منهم بالعود الى بلادهم وكان جس مؤملا أنه بفعله هذا يوقع الفزع فى قلوب هؤلاء المتبربرين فخاب أمله وكان اسكندر لورد الجزائر أحد الذين تجرعوا غصص المصائب حتى عاد الى بلاده وبمجرد عوده لبلده جمع أتباعه من دون بطء وزحف على عنقرنيس وخرب المدينة فأسرع جس فى حركته الى

الجهة

الجهة الشمالية وهزمه فى لوشابير وسلم اسكندر نفسه للملك على غير شروط فسجنه فى قلعة طنطاليون فهيج قريبه دونالد بالوخ القبائل حتى قاموا بالسلاح وهزموا العساكر الملوكية فجمع جمس جيشا ضخما وزحف به على أهل الجبل وعزم على حطم شوكة هذه القبائل مرة واحدة الى الابد فلما رأى الجبليون ماعليه الملك من القوة خضعوا له وأدوا له رسوم الاحترام ثم عزم جمس بعد هذا على تجريد بعض الاشراف الحائزين شوكة كبيرة من أراضيهم والانعام بها على آخرين فمن ثم جلب على نفسه انتقام الاشراف منه وتشكلت ثورة عليه وقتلوه غدرا فى يوم عيد فى كنيسة فريار فى مدينة برث فى سنة ١٤٣٦ بعد الميلاد

وكانت سلطنة جمس الاول احدى السلطنات المشهورة فى التاريخ الاسكوطلندى فانه صدر من البرلمان كثير من القوانين بشأن التقدم ومايعود منه النفع على الامة الاسكوطلندية وأمر الملك جمس بجمع القوانين الموجودة قديما وحديثا فى المملكة وأثبت القوانين الجارى العمل عليها وحذف ماعداها وأقام معيارا معلوما محدودا فى المكاييل والموازين وأمر باصلاح دق نقود المملكة على معيار يكون مساويا فى الوزن والقيمة لنقود انكلتره وعين وظيفة مدير المالية وأمر بنشر أشغال البرلمان فى أوراق الحوادث اليومية بلسان الامة وشيد مدارس من أجل تعليم ضرب النشاب تتهذب فيها النبالة الاسكوطية حتى يصيروا على حالة عظيمة من ضرب النبل مثل نبالة انكلتره وكان هو نفسه على غاية عظيمة من التهذيب فكان محبا للعلوم والتعليمات وكان على معرفة جليلة بالشعر ومازال بعض أشعار موجودا بلسان قومه لحد الآن وهى تدل على جودة عقله وذكاء ذهنه وحدة قريحته

سلطنة جمس الثانى

وكان عمر جمس الثانى ثمان سنوات فى الوقت الذى قتل فيه أبوه ونودى بملوكيته ولبس التاج وهاجت منازعة شديدة فيما يختص بالمحافظة على شخص الملك والنيابة عنه بين الملكة أمه وبين (غيليوم كريكطون) نائب الملك ومحافظ قلعة ايدنبورغ و (الارشيبالد لنفنغسطون) محافظ قلعة سطيرلنغ وانتهت هذه المنازعة بتنازل الملكة عن وصايتها لابنها ووقع الاتفاق بين كريكطون ولنفنغسطون على اشتراكهما فى الحكومة الحالية والاستحواذ على نفوذ الملك واستحوذا على شخصه وكان أقوى شريف فى الشوكة فى اسكوطلنده فى ذلك الوقت (الارشيبالد ارل دغلاس) وكان تحت يده من الاملاك غالوى وعنندال وأملاك أخرى فى اسكوطلنده ودوقية طورين فى فرانسا وكان توظف فيما سبق قائمقام نائب المملكة وكان يمكنه القبض بسهولة على شوكة الحكومة لو وقع منه أدنى اجتهاد فى ذلك ومات فى سنة ١٤٣٩ فخلفه فى أملاكه ابنه غيليوم وكان شابا عمره سبع عشرة سنة فتزيا الارل الجديد بزى الملوكية وقدح فيما هو واقع من الجور على الامة فعول أوصياء الملك على التدبير اللازم فى الخلاص منه ودعوا دغلاس وأخاه داود لزيارة الملك جمس فى مدينة ايدنبورغ وبمجرد وصولهما هناك قبضوا عليهما وحوكما محاكمة سخرية وقتلا فى حوش القلعة وتوزعت أملاك عائلة دغلاس فذهب قسم منها مع اللقب الى جمس عم غيليوم وداود وأعطيت غالوى الى أخته مرغريطة ولمامات الارل جمس تزوج ابنه غيليوم ابنة عمه مرغريطة صاحبة غالوى ومن ثم انضمت الاملاك لبعضها من بعد توزيعها وتوجه الارل غيليوم الى الديوان وتقلد فيه زمام الشوكة الكبرى بالحكومة واستخف بأوامر الملك جهرة وزعم أنه كان فى طاقته تجنيد ٥٠٠٠ نفس من العساكر من خاصة

أتباعه ما كان للملك جسارة على معاقبته ثم أمره ثانيا جمس بالافراج عن شخص مسجون بدون وجه شرعى فقطع دغلاس رأس المسجون وأرسل يقول للملك انه لم يوجد عنده سوى الجسم فقط

ولما تقلد جمس الثانى زمام الحكومة من بعد بلوغه سن التكليف عزم على خلاص نفسه من دغلاس فطلب الارل فى قلعة سطيرلنغ واستقبله بالاكرام ومن بعد هذا أرغم دغلاس على نكث ارتباطاته ومحالفاته مع رؤساء الجبليين المهددين شوكة التاج فرفض دغلاس القبول فضربه جمس بخنجر كان معه فسقط الارل جريحا وتمم موته باطريق غرى ببلطة ضربه بها وكان من خدام الملك فخلع (جمس دغلاس) أخو الارل المقتول والوارث له طاعته للملك وقام فى وجهه بالسلاح وانضم اليه كل من (ارل روس - وارل كروفورد) فما كان لجمس طاقة على هزيمة هذا العصيان فى ميدان الحرب ففسخ اتحادهم من بعضهم بطرائق سياسية ونجح فى كونه هزم دغلاس فى واقعة اركنهولم فى سنة ١٤٥٤ وأرغمه على الهرب ناجيا بنفسه الى انكلتره وأصدر منشورا بالقبض على أملاكه وعقاراته وانتقلت غالوى وبعض أملاك أخرى كانت للارل المطرود الى أملاك التاج وأنعم بما كان باقيا من أملاكه على ارل انجوس رأس الدغلاسيين الحمر وهم فرع عدو للعائلة الدغلاسية السود وأنعم ببعض الاملاك أيضا على جمس هملطون فما تولد من هذه الاعمال الشديدة اهانة بيت دغلاس العالى فقط بل أيدت أيضا شوكة الملك ومن بعد هذا دخل جمس فى الحروب الداخلية التى كانت موجودة فى انكلتره وكان دخوله مع هنرى السادس وانتهز الفرصة بدخوله فى هذه الحروب فى ارجاعه المدائن الموجودة فى اسكوطلنده وكانت تحت أيدى الانكليز فحاصر مدينة روكسبورغ وفى أثناء الحصار أصابه شظية من كلة فرقعت بجانبه فقتل فى سنة ١٤٦٠ ومن بعد موته أخذت روكسبورغ عنوة وهدمت الى الارض وكان هذا أول حصار استعمل فيه الاسكوطلنديون مدافع الحرب

سلطنة جمس الثالث

وما كان عمر جمس الثالث الاثمان سنوات فى وقت موت أبيه فلبث أسقف اندريوس ست سنوات مباشرا أعمال المملكة فى صفة نائب ومن بعد موته استحوذ لورد بويد على ذات الملك والنيابة وفى سنة ١٤٦٩ تزوج جمس بمرغريطة ابنة الملك كريسطيان صاحب نرويج ورهنت نرويج من أجل التأمين على صداقها بجزائر اركاده وشتلنده تحت يد اسكوطلنده ولما لم يتيسر الحصول على دفع المهر استمرت الجزائر فى حوزة الاسكوطلنديين وصارت قسما من المملكة ثم ان جمس وجه التفاتاته نحو البويديين وأوقع بهم فى نظير قبضهم على شخصه فقتل الابن الاصغر للنائب وأمر بضبط أملاك العائلة وضمها الى أملاك التاج مؤبدا وهرب لورد بويد وابنه الكبير ارل اران ناجيين بأنفسهما الى انكلتره ولما وقع الاشتباه فى دوق آلبنى أخ الملك فى تداخله فى دسيسة على الملك قبض عليه وسجن فى قلعة ايدنبورغ فهرب منها الى فرانسا وتوجه منها الى انكلتره فاتفق ادوارد الرابع على مساعدته فى خلع جمس وتكفل الدغلاسيون ولوردات الجزائر بمعاضدته فى أمره فاعلن جمس حربا على انكلتره وزحف فى رأس جيش ضخم حتى وصل الى اللودر وفى هذا المحل عول الاشراف تحت قيادة ارل انجوس على خلاص أنفسهم من أخلاء الملك وصاروا ألد الاعداء لهم فقبضوا عليهم وصلبوهم جميعا على قنطرة اللودر مع ما وقع من توسل الملك فى خلاصهم وكانت هذه الحادثة سببا فى توقيف الحرب وعاد الاشراف الى ايدنبورغ مع الملك مأسورا فى الحقيقة فى أيديهم فى سنة ١٤٨٢ بعد الميلاد ومن بعد وقوع هذه الحادثة بقليل عاد دوق آلبنى الى اسكوطلنده واشتغل بخلاص أخيه فلبث مع الملك فى

عيشة

عيشة صادقة مدة قليلة من الزمن ورجع آلبنى ثانيا الى انكلتره ومن قبل خروجه من اسكوطلنده أثبت على نفسه اختلاسه فى مقصوده بكونه جعل قلعة دونبار فى أيدى الانكليز وأخذت كراهة الملك عند الامة فى الزيادة فتشكلت عليه ثورة من الاشراف الجنوبية وبرزوا فى رأس جيش كثيف لميدان الحرب وأعلنوا جمس برنس اسكوطلنده ملكا بدل أبيه وهزموا الملك فى واقعة (سوشيبورن) وهرب الملك من الميدان فوقع عن حصانه فى أثناء هربه وحمل الى طاحون فوق نهر بانوكبورن فقتله ناس غير معلومين فى سنة ١٤٨٨ بعد الميلاد وكان موت جمس الثالث سببا فى نقل الحكومة الى عصابة الاشراف وصار برنس اسكوطلنده ملكا بلقب جمس الرابع وكان عمره فى ذلك الوقت ست عشرة سنة واستمرت المملكة ثلاث سنوات أو أربعة محكومة باسمه بمعرفة الاشراف المنصورين

سلطنة جمس الرابع

فلما بلغ سن التكليف وتقلد زمام الحكومة أظهر على نفسه فى الحال أنه ملك ذو اقدام وشهامة واستمر فى مجد عظيم وسمو فاخر ورفع حضارة بلاده وكان جل مقصوده حطم شوكة الاشراف ورؤساء قبائل الجبل والزيادة فى شوكة التاج فجلب بهذا على نفسه كراهة بعض الاشراف له وانبثت المشروعات وصار على شرف القبض عليه وفى هذا الوقت كان هنرى السابع صاحب انكلتره ممنوعا بقانون الاعمال فى مملكته من عدم فتحه أى حرب على اسكوطلنده فقوى فى السر دسائس المشروعات الحاصلة ضد الملك فلما اطلع جمس على هذه المخابرات قابلها بمثلها ودخل فى أمر بركن وار بيك واحتفل به فى دوانه بأعظم احتفال بصفة أنه ريشارد دوق يورك ابن الملك ادوارد وزوج وار بيك قريبته الست كاترينه غوردون وأغار فى مرضاته على انكلتره وأخيرا تعب منه وأرسله الى ارلنده وفى سنة ١٤٩٧ جدد الهدنة مع هنرى وفى سنة ١٥٠٢ بعد الميلاد تزوج جمس مرغريطة البنت الكبيرة لهنرى السابع ورتب جمس لكسر شوكة الجبليين ورؤساء الجزائر محافظين من العساكر الملوكية فى القلاع والمعاقل الموجودة فى تلك الجهات وشيد قلاعا ومعاقل جديدة الا أنه ما كان فيه طاقة على نفوذ أغراضه كما كان يقصد فلذلك استعمل دسائس الشقاق بين الرؤساء وجعل ذلك وسيلة لخرابهم وعين ارل هانطلى رأس بيت غوردون حاكم (عنقرنيس - وروس - وكثنس) وطلب منه الملك فى نظير هذه الوظيفة بناء قلعة فى اقليم عنقرنيس وأحكامها وعين ارل ارجيل رأس بيت كامبل فى حفظ النظام فى الجهة الغربية واجتهد هذا الملك أيضا فى قسمة الجزائر الى رياسات وفى الزام الجبليين على طاعة القوانين الجارية فى أرض السهل وبلاده فاتحدت القبائل تحت قيادة (دونالدذهو) من الذرية الغير شرعية للوردات الاخيرة من الجزائر فى مقاومة هذه الاوامر واستمر الحرب قائما ثلاث سنوات مع الملك ثم وقع دونالد فى الاسر وأرسل الى قلعة ادنبورغ وأخذت منه لوردية الجزائر ووقع القبض على أملاكه وأضيفت الى أملاك التاج فى سنة ١٥٠٤ بعد الميلاد وفى سنة ١٥١٣ بعد الميلاد جدد جمس من دون تبصر فى العواقب المعاهدة القديمة بين فرانسا واسكوطلنده وأعلن حربا على هنرى الثامن ودخل انكلتره فى رأس جيش ضخم مفتخر فاشتغل بالسلب والنهب حتى محق نجاح نصرته بالكلية وفى ٩ سبتمبر سنة ١٥١٣ انهزم وقتل فى واقعة فلودين هلك فيها معه زهرة الاسكوطلنديين وأشراف الاصكوطيين وعم الحزن المملكة وكان جمس الرابع أحد الملوك المحبوبين عند الامة الاصكوطية وسلطنته احدى السلطنات التى حصل فيها الفلاح الذى ما حصل نظيره فى اسكوطلنده قبل وتقدمت الاعمال التجارية فى مدة سلطنته وزادت صادرات اسكوطلنده

الجهات البلاد والجهات البرانية ودخل فى مدة هذه السلطنة عقائد الاصلاح الانجيلى فى اسكوطلنده فاجتهد خدمة الدين على قطع دابرها بطريق الجور فكان على غير طائل كما هى العادة الجارية فى كافة الجهات ودخل أيضا فن الطباعة فى المملكة وظهر أول مطبعة فى اسكوطلنده بواسطة (والطير شيمان) تحت حماية الملك

سلطنة جمس الخامس

ومن بعد موت جمس الرابع صار جمس الخامس ملكا وكان عمره سنتين وقت ما جعله موت أبيه على كرسى اسكوطلنده وتولد من ورود أخبار المصائب التى وقعت فى فلودين وحل باسكوطلنده الحزن والفزع وكانت مدينة ايدنبورغ محصنة بسور واحد من استحكامات فعملت الاستعدادات اللازمة فيها من أجل صد زحف الانكليز عليها ومع ذلك فما كان الامر محتاجا لهذه الاستعدادات لان هنرى الثامن رفض قبول اجتناء ثمرات منافعه بعضا بقتسه أخته الارملة ولما اوطد الامن فى مملكته فرق جيشه والتأم البرلمان الاسكوطلندى فى مدينة برث وعين الملكة مرغريطة نائبة الحكومة وفى ظرف سنة تزوجت (ارل انجوس) فعين البرلمان يوحنا دوق آلبنى ادميرال فرانسا وابن أخى جمس الثالث صاحب اسكوطلنده نائبا بدلا عنها وعقد صلح الجامع انكلتره وكان دوق آلبنى غير مقبول عند الامة فى ابتداء أمره بسبب ما جلبه معه من العدد الوافر من رجال الفرنساوية وما قبلت الملكة أم الملك أن تعطيه فى الابتداء الملك الشاب فحاصرها فى قلعة سطيرلنغ وأرغمها على التسليم وكان منتشبا بين الهاميلطيين ورأسهم ارل أران وبين الدغلاسيين ورأسهم ارل انجوس حروب مستمرة كانت سببا فى فساد أشياء كثيرة فى المملكة فأوقف النائب آلبنى مع مساعدة الفرنساوية له هذه الحروب وقبض على انجوس وأرسله الى فرانسا فهرب منها الى انكلتره واجتمعت به زوجته وكانت هربت أيضا الى انكلتره وقبض على لوردهوم وأخيه وكانا من ذوى الشوكة الكبيرة فى حزب الدغلاسيين وقتلا من بعد محاكمة مضر به ومن بعد مضى سنة من تعيين دوق آلبنى فى النيابة توجه الى فرانسا وترك رجلا فرنساويا اسمه (انطونى دولاباسطى) نائبا عنه فى اسكوطلنده فرتب هذا أيضا محافظين من الفرنساوية فى القلاع تولد منها كراهة الاسكوطلنديين للفرنساوية حتى وصلت هذه الكراهة لدرجة كبيرة فقتل الهوميون (انطونى دولاباسطى) شر قتلة أخذا بثأر لوردهوم وقام الشقاق بين الهاميلطيين والدغلاسيين مرة أخرى مع العنف زيادة عما كان قبل فكانت وقائع الحزبين المتباغضين فى شوارع ايدنبورغ وكان الدغلاسيون فى الاول على نجاح عظيم وطرد ارل انجوس الهاميلطيين من ايدنبورغ وضبط المدينة بقوة السلاح ومضى على ذلك خمس سنوات وآلبنى مازال موجودا فى فرانسا فهدده البرلمان الاسكوطلندى وطلبه فالتزم على العود الى مركزه فى سنة ١٥٢٠ بعد الميلاد

وفى سنة ١٥٢٢ شرع هنرى الثامن صاحب انكلتره فى المداخلة فى الاعمال الجارية فى اسكوطلنده وطلب عزل البنى من النيابة وفسخ المعاهدة مع فرانسا فرفض البرلمان الاسكوطلى هذا الطلب واستعد للحرب وأعقب ذلك حرب مدمر فى طول خط الحدود وفى سنة ١٥٢٤ بعد الميلاد رأى البنى كراهة الامة الاسكوطلندية له من سوء تدبيره فى أشغال الحكومة فتنازل عن النيابة وأقلع الى فرانسا وبمجرد سفر آلبنى من اسكوطلنده اجتهد هنرى الثامن فى حل عقدة الاسكوطيين المربوطة مع فرانسا وكان المعضد له على ذلك أخته مرغريطة أم الملك وكان الكردينال بيطون أسقف (سنت اندريوس) رأس الحزب الفرنساوى فى اسكوطلنده فبذل مجهوده فى صد مرغوب هنرى ومع ذلك كان

النفوذ

النفوذ الانكليزى أقوى فى ذلك الوقت وعلى حسب مشورة هنرى تقلد جمس الخامس زمام الحكومة باسمه وكان عمره فى هذا الوقت اثنى عشرة سنة فى أغسطس سنة ١٥٢٤ بعد الميلاد فاطلق على هذا العمل اسم قيام الملك ثم تولد من القبض على فرنسيس الاول صاحب فرانسا فى واقعة باويه الالتفات العظيم الى اسكوطلنده ووجهوا تيار احساساتهم ومحبتهم لجهة فرانسا وفى سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد اختار الملك وكان بلغ سنه أربع عشرة سنة للنيابة (ارل عرول ـ وارل أرجيل ـ وانجوس) فكان انجوس أول من دخل فى واجباته الا أنه عند انقضاء مدته رفض قبول التسليم فى شخص الملك واستمر قابضا عليه تحت شوكته مدة سنتين وشدد عليه حتى امتلأ قلب جمس بالعداوة له وفى سنة ١٥٢٨ هرب جمس ليلا من فالكلند وسار متخفيا فى صفة سائس حتى وصل الى قلعة سطيرلنغ واشتغل فى الحال بدمار الدغلاسيين ونجح فى ذلك حتى ان انجوس التزم على الهرب الى انكلتره فجرده من أملاكه وبه تم خراب فرع العائلة الدغلاسية ثم بعد هذا وجه الملك التفاته نحو سكان الحدود وكانوا فى حالة خارجين بها عن حد النظام فكانوا أهل قلاقل ودسائس مثل سكان الجبل وعاقبهم أشد العقاب وصلب قائدهم يوحنا ارمسطرونغ بصفة أنه لص ولما كان المقصد الاكبر لجمس الخامس كسر شوكة الاشراف وزيادة علو شوكة التاج أدخل اصلاحات جليلة فى المحاكم العدلية وبذل طاقته فى حماية قومه والمحافظة عليهم من عسف الاشراف فحاز بهذا الفعل خضوعهم له وملأ قلوبهم محبة هذا الملك الشاب حتى لقبوه بلقب ملك العوام وكان من أعز أصدقاء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وفى مدة سلطنته أخذ الاصلاح البروتستانتى فى التقدم فى اسكوطلنده مع ماوقع عليه من الاجراآت العنيفة التى أجراها (الكردينال بيطون) وفى سنة ١٥٤٢ بعد الميلاد اشتبكت اسكوطلنده فى حرب مع انكلتره وأرسلت جيشا للغارة عليها فوصل الحدود وهزمه الجيش الانكليزى وشتته مع الخزى والعار ووصلت أخبار هذه الهزيمة الى الملك جمس وهو فى قلعة (كيرلا فيرولك) وقيل له أيضا فى نفس هذا الوقت ان زوجته وضعت بنتا فتولد من عدم وجود ذكر يرثه فى ملكه ومن وقوع الهزيمة القبيحة على جيشه امتلاء جسمه بالغموم حتى توالت عليه الامراض ومات فى ١٤ ديسمبر سنة ١٥٤٢ بعد الميلاد فانتخب البرلمان الاسكوطلندى جمس هاميلطون ارل اران وصيا على الملكة الطفلة مريم وتركت فى حضانة أمها مريم اللورينية الزوجة الثانية لجمس الخامس ومما حصل فى (سلوى موس) من هزيمة الجيش الاسكوطلندى وماوقع من المصائب عمت الاكدار فى اسكوطلنده فانتهز هنرى الثامن الفرصة فى وقت وقوع هذه النكبة وأرغم الاسكوطيين على الدخول فى معاهدة تختص بزواج الملكة مريم الطفلة بابنه ادوارد ولى عهده وأمل فى هذا العزم انضمام تاجى انكلتره واسكوطلنده مع بعضهما ولما زالت المصائب عن الاسكوطلنديين رفض البرلمان شروط المعاهدة وفى غرة مايو سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد أعلن هنرى حربا على اسكوطلنده وأغار ارل هرطفورد قائد الجيش الانكليزى غارة وحشية على اسكوطلنده ومن بعد أن نهب ليث وحرقها وأضرم النار فى مدينة ايدنبورغ انهزم شر هزيمة وطرده الاسكوطيون متقهقرا حتى عبر خط الحدود وفى السنة التالية عاد هرطفورد وخرب القسم الجنوبى من اسكوطلنده بعنف وفى هذه الغارة حرق الجيش الانكليزى مابين مائتين الى ثلاثمائة قرية وكثيرا من المدائن والكنائس والاقطاعات والعقارات ومع ماحصل من هذه الاهوال فان هرطفورد ما أثبت لنفسه نتيجة غلبة دوامية بل رجع الى بلاده وفى سنة ١٥٤٧

سلطنة مريم

بعد الميلاد من بعد أن ارتقى الى رتبة سمرسيط ومحافظ انكلتره وفى مدة صغر ادوارد السادس أغار غارته الثالثة على اسكوطلنده وهزم الجيش الاسكوطلندى فى واقعة وقعت فى بنكى فى ١٠ سبتمبر سنة ١٥٤٧ وعاد سمرسيط الى انكلتره وأخذ معه معظم جيشه ولما رأى نائب اسكوطلنده أن القلاع الجنوبية وقعت فى يد الانكليز استصوب ارسال الملكة الصغيرة صاحبة اسكوطلنده الى فرانسا حتى تكون بعيدة عن وصول أيدى الانكليز اليها واجتهد النائب اجتهادا زائدا مع مساعدة قوة من الفرنساوية مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس وطرد الانكليز من اسكوطلنده وفى سنة ١٥٥٠ عقد معاهدة صلحية بين انكلتره واسكوطلنده وفى ظرف هذه المدة أخذت العقائد الاصلاحية الانجيلية لها جذرا عميقا فى أرض اسكوطلنده وتولد من الجور والظلم الذى حصل من خدمة الدين الرومانى فى صد انتشار هذه العقائد زيادة غضب الاسكوطلنديين وكان سببا فى انضمام جموع كثيرة الى مصلحى العقائد ولما أوقع هنرى الثامن صاحب انكلتره بالديورة وضبط ايرادها استصوب معظم أهل اسكوطلنده هذا الفعل وساروا على منواله فى بلادهم وفى سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد صار حرق (جورج ويشارط) بسبب خطابته فى شأن الدين الاصلاحى وكان المهيج الاكبر لهذه المظالم فى هذا الوقت الكردينال بيطون فدخل ستة عشر نفسا من أتباع ويشارط فى قلعة سنت أندريوس معقل الكردينال بيطون وقتلوه غدرا آخذين بثأر أستاذهم وضبطوا القلعة أربعة عشر شهرا مضادين اجتهادات النائب فى الغلبة عليها ثم أرغموا أخيرا على التسليم وأرسلوا الى مراكب الفرنساوية وكان من ضمن هؤلاء شخص اسمه يوحنا كنوكس صار فيما بعد القائد الاكبر للاصلاح الاسكوطلندى وجعل النائب أخا يوحنا أسقف سنت اندريوس بدل المقتول بيطون وفى سنة ١٥٥٤ بعد الميلاد ارتقى ارل اران الى رتبة دوق شاطلهروت من طرف ملك فرانسا فاستعفى من النيابة وتوجه الى فرانسا فخلفته مريم اللورينية أم الملكة الصغيرة فى النيابة ومن بعد مدة قليلة زوجت ابنتها بولى عهد فرانسا فرنسيس وارث التاج الفرنساوى وفى سنة ١٥٥٩ صار فرنسيس ملك فرانسا واسكوطلنده من حق زواجه ورتبت النائبة كثيرا من الفرنساوية فى كثير من المصالح الاسكوطلندية وأحالت على عهدتهم أيضا محافظة القلاع فتولد من كبرياء الفرنساوية غضب الاسكوطلنديين عليهم وصاروا ينظرون اليهم بعين المقت والعداوة ويرجون يوما يرون فيه خروج الفرنساوية من مملكتهم وكان الاصلاح الانجيلى آخذا فى التقدم الزائد من عهد موت جمس الخامس وكان جمس المذكور وجد فى مدة حروبه مع الاشراف أن الاوفق له صيرورة خدمة الدين فى صفة أشراف فأنعم عليهم فعلا بالاراضى فكان من نتائج هذه الاعمال توجه الاشراف مع المصلحين وانتهزوا فرصتهم مدة طفولية الملكة فى هذه المادة فكان هذا مكسبا وافرا أيضا للاصلاح وفى هذه الايام ما كان للطوائف العالية درجة امتياز فى الاصلاح ولا فى العلوم الاخر بل كان القصد توجيه أفكار عمومية انتشرت فى عقول الامة من قبل ووجود صداقة تكون كامنة بين طوائف الامة يحافظون بها على سير واحد حتى لا يكون بينهم اختلاف فى أغراضهم وكان من الطالع السعيد لحركة الاصلاح أيضا حيازتها ميل البارونات والامراء الصغيرة فكانت هذه الحالة فيها الكفاية التامة وتأكد خضوع الرؤساء لامر الاصلاح فى بعض أحوال وتقوى فى غالبها بسبب ما كانوا عليه من انتظارهم المنفعة التى تعود عليهم من توزيع أراضى الكنيسة وكان خدمة الدين الكاثوليكى

اختاروا

اختاروا الغباوة والجهل وانحطاط علو شأن الكنيسة لما سمنوا من كثرة ما استحوذوا عليه من الاموال واخذت أفكار المواد الاصلاحية فى الزيادة بما وقع من الظلم من مريم ووجد كثير من الذين لاطالع لهم فى جهات أخرى ملجأ فى هذه المملكة الصغيرة وكانت الكنيسة ومريم الملكة فى جامعة واحدة

ولما تقوى أمر المصلحين وأخذ فى الزيادة مع السرعة وصاروا احزابا قويا ارتبطوا فى سنة ١٥٥٧ بعد الميلاد فى رابطة واحدة وعقدوا مجلسا فيما بينهم من أجل معاضدة بعضهم بعضا فى قطع دابر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من اسكوطلنده وبذل ما فى طاقتهم فى انتشار عقائد الدين الاصلاحى والعبادة على مقتضى نص مذهبه وعرف القرار الذى تقرر أمره فى هذا المجلس ووقع عليه مشهور والمصلحين باسم الاتفاق الاول فكان هذا القرار مشتملا على رفض حكومة البابا وعلى المواد الاصلاحية الموجودة فى الثورات الانكليزية والكتاب الاول فى الصلاة لادوارد السادس وعرف الاشراف الذين وقعوا أسماءهم على هذا القرار باسم لوردات المجلس وفى سنة ١٥٥٨ حرق (والطيرميل) وكان قسيسا طاعنا فى السن ورعا فى الدين وكان سبب حرقه شعبذته فى الدين الرومانى فى كنيسة سنت أندريوس فتولد من هذا العمل الفظيع قيام زوابع الغضب فى اسكوطلنده وطلب لوردات المجلس من النائبة حصول اصلاح فى المواد الدينية على نص القواعد المندرجة فى قرارهم وبما أن النائبة هى بنت الدوق غيز ألد الاعداء للبروتستانت فى فرانسا أجابتهم بان طلبت بعض أئمة المصلحين للحضور أمام المجلس الخصوصى للملكة والمناقشة فيما يلزم من أمرهم فاستعدوا مطيعين لطلبها واجتمع الجم الغفير من أتباعهم فى برث للمحافظة على حياتهم ففزعت النائبة من وجود هذه القوة وأمرت بعود المصلحين الى حال سبيلهم ووعدتهم بصرف النظر مع ما كانت ترغبه من أمرهم الا أنها ما وفت بوعدها ومنعت اجتماع المصلحين فى مجالسهم الخاصة بهم فقام الغضب فى وجوههم مما وقع من عدم الوثوق بعهد النائبة وأغاروا على الكنائس ومحلات العبادة فى برث فى ١١ مايو سنة ١٥٥٩ ونهبوها ووقع مثلها فى مدائن أخرى وجمع لوردات المجلس أتباعهم فى مدينة برث وتجهز للحرب وسارت النائبة اليهم بقوة من العساكر الفرنساوية غير أنه ما انتشب حرب بل صارت الحيادة عنه بمخابرات بين الطائفتين ووقع الاتفاق على أن المسائل الموجودة بين الحكومة والمصلحين ينبغى فصلها بواسطة البرلمان الاسكوطلندى وقطع الحكم فيها بقرارات تصدر منه وفى أثناء هذه المدة تخلى عساكر الطائفتين من السلاح وتخرج محافظو الفرنساوية من برث فكان من مكر النائبة وأهلها أن أمرت بسحب العساكر الفرنساوية من المدينة وأحلت عساكر اسكوطلندية مستأجرين من طرف الفرنساوية فقام المصلحون فى الوقت بالسلاح واحتلوا سنت اندريوس وايدنبورغ وأعلنوا بخلع النائبة وطاعتهم للملك والملكة غير أنهم ما كانوا فى قوة كافية لحفظ مركزهم فالتزموا على توجيه نظرهم نحو اليزابث التى كانت فى هذا الوقت ملكة انكلتره وطلبوا منها مساعدتهم فما كان لاليزابث من طاقة على الدخول فى محافظة مع المصلحين الاسكوطلنديين فى مبادى أمرها لكنها فى سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد دخلت فى معاهدة معهم عقدت فى برويك اتفقت فيها على مساعدتهم بعساكرها على الفرنساوية الذين أرسلوا لتوطيد حكومة النائبة وأرسلت على الفور تقوية انكليزية لمساعدتهم ووقعت عدة وقائع بين المتحالفين والقوى الفرنساوية للنائبة ومن قبل غلاق السنة صار طلب

العساكر الفرنساوية الى بلادهم والتزمت النائبة بالدخول فى معاهدة عقدت فى ادنبورغ اشتملت على أنه لايجوز للحكومة فى الاستقبال استخدام قوى أجنبية من دون موافقة مجالس المملكة واتفق مجلس اسكوطلنده باسم الملك والملكة على الاقرار بأن اليزابث ملكة شرعية فى انكلتره وتنازل عن الادعا آت فى خصوص تاجها فى سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد ومن بعد عقد معاهدة ادنبورغ بقليل ماتت النائبة ورفض المجلس الاسكوطلندى رسميا حكومة البابا ونهى عن صلاة القداس وأن الحضور فيها يكون تحت عقابات شديدة وأعلن بان الاعتراف بدين جنيفة وعقائدها هو علم الكنيسة الاسكوطلندية غير أنه مازال يوجد حزب قوى الشوكة من الكاثوليك فى اسكوطلنده وما انقطع دابر هذا الدين بالكلية منها على مقتضى ما صدر فى لائحة البرلمان بل انقرض على التدريج فى سنين عديدة جاءت فى المستقبل

ومن بعد موت فرنسيس الثانى ملك فرانسا عزمت أرملته مريم استيوارت ملكة اسكوطلنده على العود الى بلادها وراوغت قبض المدرعات الانكليزية عليها وكانت أرسلت هذه المدرعات فى طلبها ونزلت فى مينة ليث فى ١٩ أغسطس سنة ١٥٦١ فاستقبلها رعاياها هامع البشر وتأيدت لهم حريتهم بموت فرنسيس بما أنهم كانوا يخافون من أن اسكوطلنده رعا تصير قسما من المملكة الفرنساوية وكان عمر مريم وقتذاك تسع عشرة سنة فكانت فى عنفوان شبابها وزهرة جمالها كاملة الاوصاف لها طباع محمودة وتربت فى الخارج فكانت امرأة اسكوطلندية دما واسما فقط وفرنساوية فى كافة صفاتها وأعمالها وغريبة بالنسبة لقومها وبلادها وما كان فيها أهلية بأى حالة من الاحوال على حكم أمة مرتبكة مختلفة الشعور والاحساسات فى عصر مشكل مقلقل مثل هذا العصر وكانت على تمسك ثابت من دينها الرومانى حتى قضت نحبها وفارقت دنياها من الحركة الجسيمة التى عمت الدنيا فضلا عن اسكوطلنده فكان أول أشغالها تحصيل الامن فى قومها وعهدت تمام وثاقتها الزعماء حزب المصلحين لما رأت أنهم هم الذين لهم الطاقة على معاضدة حكومتها وأصدرت منشورا متضمنا أمر تمسك عموم رعاياها بالديانة القائمة فى المملكة فأما هى فانها أعلنت بدينها وتمسكت به واستحصلت بكل مشقة على رخصة باجرائها صلاة القداس فى معبدها الخصوصى فتولد من هذا غضب شديد عند أئمة المصلحين وصار لاطاقة لهم على ارتباط وثوقهم بشخص نجس اجتمعت فيه كراهتهم الكبيرة وشرع يوحنا كنوكس ورفقاؤه بانذار الملكة ووعظها ولما رأوا اصرارها على تمسكها بدينها أخذتهم حدة الغضب ولعنوها وسفهوا عليها فى حضورها وكان الذى لعنها العنا قبيحا ورأس هذه الوقاحة يوحنا كنوكس وكان حائزا سلطة لاحد لها فى الكنيسة والاعمال الداخلية للامة حتى تعود على القذف والاستخفاف بالملكة وكانت الملكة تلقبه بلقب (عزبيل) وبذلت مجهودها من حسن تلطفاتها العظيمة فى اكتساب رضاه ولم يحصل من تلطفاتها أدنى تأثير فى اخماد صلابته وما كان متمكنا فى قلبه من العناد ثم تعكرت أحوال مريم من بعد العز والدلال ورفاهية الحال وسقط مقدارها بما وقع عليها من فظاعة المصلحين فندمت على تركها المملكة التى حصل لها فيها فى مبادى شبابها مضايقتها الاولية وما حاق بها فى هذا الوقت من نكبات الدهر من أمر المصلحين وجزمت الوزارة الاصلاحية قطعيا بانقراض خدمة الدين الكاثوليكى وقطع أمالهم فى السلطة الكنائسية وأعلنت هذه الوزارة بأن أراضى الكنيسة التى وقع القبض عليها هى بوجه الحق لهم وأثبتوا حقوقهم فيها ونشروها على كافة الامة ونشروا أول كتاب

مختصر

مختص بالاصلاحات اللازمة للكنيسة وطلبوا التصديق عليه فرفض الاشراف مع الشبات قبولهم هذه الطلبات وقبولهم كتاب النظامات بصفة قانون فى المملكة وصار توزيع الاراضى الكنائسية على عموم الامة وكذا رفض المجلس الخصوصى الدخول فى فصل مثل هذه المادة وكان أخذ من الاراضى قيمة الثلث فى نظير رواتب تدفع لخدمة الدين ومابقى حبس بشروط معلومة على أرض الحكومة ومازال الرومان كاثوليك فى قوة كبيرة فى الجهات الشمالية وكان زعيمهم فيها (ارل هانطلى) فرفض قبول الانقياد لهذه القوانين التى نشرت فى حق الديانة الجديدة فوقعت الغارة عليه وهزمته القوى الملوكية وقتل فى سنة ١٥٦٢ وقطعت رأس ابنه فى نواحى ابردين وانكسرت شوكة الغوردين والكاثوليك معا وكانت الامة راغبة فى زواج الملكة وخطبها كثير من الخطاب ففصلت هى أمر زواجها بانعام يدها على ابن عمها هنرى استيوارت لورد دارنلى بن ارل لينوكس من مرغريطة الدغلاسية فى ٢٩ يوليه سنة ١٥٦٥ وارتقى دارنلى الى رتبة ارل روس ودوق آلبنى فقام ارل موراى الاخ غير الشرعى للملكة بالسلاح مانعا لهذا الزواج وانضم اليه بعض الاشراف الآخرون فانهزموا جميعا وأرغموا على الهرب فى انكلتره وحصل من دارنلى الضعف والاهانة حتى ان مريم غضبت منه وكانت مريم مثل أبيها وجدها فى الضعف والعجز من انتخابها أخلاءها وعدم تبصرها باحوالهم واتخذت خليلها ونديمها كاتب أسرارها (داود ريزيو) شاب ايطاليانى الاصل كان كامل الاوصاف الغريبة فى فن ضرب آلات الموسيقى حتى صار له بها طاقة على دوام نفوذه على الملكة وجلب على نفسه المقت بعداوة الاشراف بسبب ماوقع منه من تحريض الملكة على زيادة العنف باللوردات حتى طردتهم من المملكة وصمموا على الخلاص منه وجلبوا معهم دارنلى وأسسوا فى رأسه الغيرة من ريزيو الايطاليانى وشيدوا الدسيسة وسوّ وهامع العجلة وفى مساء يوم من الايام كانت الملكة مريم جالسة على مائدة العشاء فى سراى هوليرود فدخل دارنلى والثائرون معه من بعد أن حافظوا على أبواب السراية فى داخل قاعة المائدة وجروا ريزيو خارج القاعة وقتلوه رغما عما وقع من الملكة من الاجتهاد فى خلاصه فى ٩ مارث سنة ١٥٦٦ ولما استشعرت مريم بعاقبة أمرها أخفت مافى ضميرها وأظهرت المحبة لزوجها مع أنها عولت على أخذ الثأر من قاتلى نديمها ووعدت زوجها بالعفو عن اللوردات المنفيين فحضروا أمامها فى اليوم الثانى واستقبلت أخاها موراى بالاجلال وعولت على خلاص نفسها وعتق رقبتها من هؤلاء اللوردات وفى الليلة التالية هربت مع دارنلى الى دونبار وجمع ارل بوثويل مع السرعة قوة للمحافظة عليها ومن قبل غلاق الشهر كان لها طاقة على العود الى ادنبورغ وطلبت فى الحال قاتلى ريزيو للحضور من أجل مجاوبتهم عن أسباب ماارتكبوه من جريمتهم فما كان لهم من جواب فنفوا من الارض وفى ١٩ يونيه وضعت الملكة ولدا فى قلعة ادنبورغ وتعين من بعد ريزيو الايطاليانى ارل بوثويل لمباشرة أعمال المملكة بسبب ماحصل منه من معاضدة الملكة فى قلعة رونبار ورفعته الى رتبة الاميرالية العمومية ومحافظة الحدود وأنعمت عليه بأملاك (ميلروز وهدنغطون) وانحط قدر دارنلى عند زوجته وصار مكروها عندها بسبب اشتراكه فى قتل ريزيو وكذا صار مكروها ممقوتا عند الاشراف بسبب تركه اياهم من بعد هذه الحادثة فأصابه داء الجدرى ونقل الى محل يعرف (كيركوفيلد) فى ضواحى ادنبورغ وفى ليلة ٩ فبراير سنة ١٥٦٧ سقط البيت بفرقعة بارود فمات فيه دارنلى واعتقد عموم الناس فى ذاك الوقت أن بوثويل هو السبب فى هذه

الجريمة وأنه هو الذى ارتكب خطيئة القتل وأن مريم أمرته بفعله وظهرت عليها هذه الشبهة بكونها ما حصل منها أدنى اجتهاد فى ظهور القاتلين وسمحت لبوثويل فى أن يخدع أبو (دارنلى) ويخوفه من عدم سعيه فى جلب الناس المشبوهين فى القتل للمحاكمة بما أن بوثويل كان واحدا منهم وأقبح شئ وقع فى ذلك أنه فى ١٥ مايوسنة ١٥٦٧ بعد الميلاد تزوجت الملكة بوثويل وكان طلق زوجته فى مرضاة هذا الزواج فاستقبح الاشراف مع حدة الغضب قبح سلوك الملكة وقاموا عليها بالسلاح وأرغموها على الانقياد لهم فى ١٥ يونيه سنة ١٥٦٧ وهرب بوثويل الى دانيمارقه ومات فيها فى سنة ١٥٧٧ وعادت الملكة الى ايدنبورغ فى صفة أسيرة فاستقبلها الامة بالسب واللعن القبيح ثم أرسلت من بعد مضى مدة قليلة الى قلعة (لو يكلفن) ومن بعد مضى بضعة أيام ضبط أعداؤها مكاتيب كثيرة قالوا انها كانت كتبتها لبوثويل فاستدل من هذه المكاتيب على أنها كانت السبب الوحيد فى قتل دارنلى وظهر كل ما أجرته من عدم تبصرها فى وقت ما كتبتها وقرر المجلس صحة وقوعه ذلك الوقت وأرغمت الملكة على توقيعها على قرار تنازلها عن تاجها لابنها الصغير جمس فى سنة ١٥٦٧ بعد الميلاد والله أعلم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من جلوس جمس السادس الى الالتحاق بانكلتره ﴾

تتويج جمس السادس ملكا ـ نيابة موراى ـ هرب الملكة مريم ـ واقعة لنغ ـ هرب مريم فى انكلتره ـ صيرورتها أسيرة فيها ـ حزبها فى اسكوطلنده ـ قتل موراى ـ صيرورة ارل لينوكس نائبا ـ تسليم قلعة دومبارطون ـ موت لينوكس ـ نيابة ارل مار ـ نيابة مورطون ـ تقلد جمس زمام الحكومة ـ سقوط مورطون ـ لوردات روثفن ـ صيرورة الملك فى صفة أسير ـ هربه ـ قتل مريم ـ سلوك جمس ـ زواج الملك بعانى الدانيمارقية ـ ابطال الاسقفية ـ تسليم ارل هانطلى ـ ارتباكات جمس مع الوزارة الاصلاحية ـ صيرورة جمس ملك انكلتره ـ انضمام التاجين ـ صيرورة جمس أسقفا ـ عود الاسقفية فى اسكوطلنده ـ الاساقفة ـ الخمس مواد ـ شارلس الاول ـ مساعيه فى عدم تحرير الكنيسة الاسكوطلندية ـ زيارته اسكوطلنده ـ الاسقف لود ـ اجتهاده فى استعمال كتاب الصلاة على حسب قواعد الكنيسة الانكليزية ـ الثورات ـ الاتحاد الاكيد ـ طلب شارلس مجلسا ـ عزل الاساقفة ـ الحقد على الملك ـ اغارة مونطروز على الجهة الشمالية من الاتفاق واخضاعها ـ تسكين الفتنة فى برويك ـ هياج الحرب ثانيا ـ نجاح الاسكوطلنديين ـ تسليم الملك وانقياده للامة ـ الحرب الداخلى فى انكلتره ـ اتحاد الاسكوطلنديين مع البرلمان ـ خضانة مونطروز أمر الملك ـ نجاحه ـ تسليم شارلس نفسه للجيش الاسكوطلى ـ قتل الملك ـ اعلان شارلس الثانى ملكا فى اسكوطلنده ـ تغلب كروموبل على اسكوطلنده ـ التعويض والاصلاح ـ السعى فى عود الاسقفية ثانيا ـ ظلم أهل الاتفاق ـ قتل الاسقف شارب ـ واقعة قنطرة بوثويل ـ صيرورة جمس السابع ملكا ـ زيادة الظلم ـ الشهداء الاسكوطلنديون ـ الغفران الكنائسى ـ سقوط جمس ـ غيليوم ومريم ـ عود الاسقفية فى اسكوطلنده ـ اليعقوبيون ـ ثورة دندى ـ واقعة كليكرنكى ـ موت دندى

ـ مذبحة

ـ مذبحة غلينكو ـ المدلكة عانى ـ التحاق اسكوطلنده بانكلتره

سلطنة جمس السادس

تتوج جمس السادس وتدهن فى اسطيرلنغ وأخذ العهد على اشبينه ارل مورطون باسمه فى شأن المحافظة على تأييد الكنيسة الاصلاحية وقطع دابر أعدائها وطلب ارل موراى من فرانسا وكان هرب اليها فى وقت موت دارنلى وجعل نائبا عن ابن أخيه على حسب طلب الملكة مريم فرفض حزب كبير من الاشراف رأسهم الهميلطيون معاضدة السلطنة الجديدة وفتحوا المخابرات مع الملكة المأسورة ومن بعد مضى بضعة شهور هربت مريم من قلعة لوكافن وتوجهت فارة الى هميلطون فقابلها فيها الاشراف النافرون من الحكومة الجديدة مع غاية الميل والحمية وجددوا طاعتهم لها وأرسلت فى الحال الى موراى تطلب منه التنازل عن النيابة والانقياد لاوامرها بصفة أنها ملكته فأجابها موراى بجمعه جيشا عظيما للمدافعة عن حكومة الملك جمس وكانت نتيجة ذلك حصول واقعة فى لنغ فى ١٣ مايه سنة ١٥٦٨ انهزمت فيها قوى مريم وركبت الملكة مع غاية السرعة وتوجهت نحو الحدود ودخلت انكلتره ورمت نفسها على رحمة اليزابث فجعلتها ملكة الانكليز عندها فى صفة أسيرة كما ذكرنا فى تاريخ انكلتره وقد ذكرنا فيه أيضا أسباب معاملة مريم بهذه المعاملة وحوادث أسرها فمن ثم لا لزوم فى اعادتها هنا الا أنه ما تولد من أسر مريم فى انكلتره انقراض حزبها فى اسكوطلنده فكان أكبر مساعديها فيها الهاميلطيون وارل هانطلى وكان (دوق شاطلهيروات) رجلا من الهاميلطيين فلو مات جمس قبل أمه كان هو الوارث للتاج من بعد مريم وكره حزب الملكة النائب موراى وعوّل الهاميلطيون على قتله وفى ٢٣ فبراير سنة ١٥٧٠ أطلق جمس هاميلطون عيارا ناريا على موراى فقتله فى (بوثويلهوغ) وقت مروره راكبا على حصانه من تلك المدينة فى طريق سيره من سطيرلنغ الى ايدنبورغ فكان موته المصيبة الكبرى على اسكوطلنده لانه كان حكم هذه المملكة مع الثبات وحسن السير وكانت الامة يسمونه بالنائب الطيب ومن بعد موته لبثت المملكة خالية من حاكم وتسلطنت الفوضى فيها وهاج حرب فى الحدود مع انكلتره ونهبت الكونتات الجنوبية وخربت لحد نهر الكليد ثم تعين بطريق الانتخاب ارل لينوكس جد الملك الصغير فى النيابة فصادم انتخابه وتعيينه غالب الامة بسبب أنهم كانوا يرون أنه رجل انكليزى الاصل لا يسوغ لعقله وجود الراحة الحقيقية بين الامة الاسكوطلندية وتولد من ذلك حرب داخلى أعلن فيه جرنج أنه من حزب الملكة وكان موراى عهد اليه محافظة قلعة ايدنبورغ وتغلب حزب الملكة أيضا على قلعة دومبارطون أقوى قلعة فى اسكوطلنده وفى ٢ ابريل سنة ١٥٧١ هجم (كروفورد غوردان هيل) أحد ضباط النيابة على قلعة دومبارطون وأخذها عنوة بشرذمة قليلة من أتباعه وفى سبتمبر سنة ١٥٧١ طلب النائب البرلمان فى سطيرلنغ وكان الملك مقيما فيها وفى ٤ سبتمبر هجمت شرذمة مؤلفة من ٤٠٠ نفس من عساكر الملكة الموجودين فى قلعة ايدنبورغ على سطيرلنغ وقبضوا على النائب فخلص منهم من بعد أن جرح جراحات مهلكة فى حربه معهم ومات من هذه الجراحات بعد مضى بضع ساعات من خلاصه

ثم تعين ارل مار محافظ قلعة سطيرلنغ نائبا فاجتهد فى الغلبة على قلعة ايدنبورغ فكان اجتهاده على غير طائل وفى غرة أغسطس سنة ١٥٧٢ وقع الاتفاق على عقد هدنة لمدة شهرين وسفكت دماء كثيرة فى هذا الحرب وما تم فيها شئ لأحد الحزبين وفى أثناء هذه الهدنة أصاب حزب الملكة

ضربات شديدة مؤلمة فى الثوران العام الذى هاج فى اسكوطلنده بشأن الاخبار التى وردت عن ذبحة سنت بارثلمى فى فرانسا ومات ارل مارفى نوفمبر سنة ١٥٧٢ وفى ٢٤ منه تعين ارل مورطون نائبا وفى نفس هذا اليوم مات حنا كنوكس رأس الاصلاح الاسكوطلندى ومع ما كان فيه كنوكس من الخطا كان رجلا جليل القدر وكان فيه جسارة على قول الحق وهو الذى أدخل فرقة المتطهرين فى الكنيسة البروتستانتية الاسكوطلندية وماقبل لنفسه وظيفة الاسقفية وأبطل ما كان مخالفا للكتب المقدسة من الشعائر الدينية وأبطل بنفوذ سطوته عقائد صلاة الاسرار فى كتاب الصلاة العمومية الذى ألفه على حسب رغبة الحكومة المساعدة به فى مدة سلطنة ادوارد السادس وكانت صفاته تحت أسرار كبيرة فكان لا يمكن اغواؤه بأباطيل غير مألوفة ولا أسباب ضعيفة ولا أحاديث مزخرفة ومن هنا كان استخفافه وازدراؤه الكبير وعدم تأثره من اغداق مريم عليه بالفضائل والنعم فيما يختص بغرسها فى أرضها من باريس وكان وعظه مشهورا بالتهور والحدة كما قال فيه بعض الناس انه كان فى رأسه وقت خطابته ما ينوف عن ٦٠٠ طبلة وكان غيورا شديد الحمية فى كل شئ يوجه التفاته اليه وما كان عقله من أرباب الفكر وما بلغ درجة أرباب التأمل وأهل الابصار الا ما كان فى المواد السياسية وكانت أفكاره متولدة من احساس مميز لا من انتشار قواعد سياسية كانت فيه

وفى افتتاح سنة ١٥٧٣ هاج الحرب ثانيا وفى شهر أغسطس سلمت قلعة ايدنبورغ للنائب فسود نصرته بصلبه جرنج فارسها وصار مبغوضا عند بعض الاشراف أصحاب الشوكة بارغامه اياهم على عود امتلاك الاراضى التى اغتصبوها من الحكومة وغضب الملك الشاب أيضا من مورطون وكان الملك تحت سلطة خليله ونديمه المسمى استيوارت لوردعو بغنى بن أخى النائب لينوكس وادعى جس استيوارت عوشيلطرى نديم آخر للملك على مورطون أمام مجلس المملكة بانه من ضمن الذين قتلوا دارنلى وبالبناء على هذه التهمة أصدر المجلس حكمه بقتل مورطون فى ايدنبورغ واستلم الملك جس فى هذا الوقت زمام الحكومة فى يديه فكان الملك محكوما فى نوبته باخلائه وندمائه (عوشلطرى) وكان رفعه الى رتبة ارل اران (وعو بغنى) وكان رفعه الى رتبة دوق لينوكس ومحافظ قلعة دومبارطون فكان الخير والكرم المتعين فيه هذان الشخصان سببا فى وقوع الحسد عند قدماء الاشراف فقاموا تحت قيادة ارل غورى وقبضوا على الملك وسجنوه فى قلعة روثفن ولزموه بنفى لينوكس من المملكة ومباشرته أشغال المملكة بنفسه وألزموه على الاعلان بان هذه الاعمال حاصلة برغبته من دون جبر عليه واستمر جس تحت شوكة لوردات روثفن نحو سنة ثم هرب من قلعة روثفن الى قلعة سنت اندريوس واجتمعت عليه فيها أحزابه لمساعدته فى عددهم حتى ان لوردات روثفن التزموا بالاذعان والرضا وكانت ادارة جس فى مبادى الامر فى غاية من العقل والذكاء الا أنه أمر أخيرا ارل اران وكان أعاده للحكومة بالقبض على ارل غورى وقتله فى تهمة أقامها عليه فى دسيسة فى حق الملك ومن بعد قليل اتهم ارل أران بهياج ثوران على الحدود قتل فيه لورد روسيل رجلا انكليزيا كان صدر الامر بطرده من الديوان فقام الاشراف وكانت قلوبهم محشوة بالغيرة منه فى مدينة اسطيرلنغ وكان الملك مقيما فيها بقوة مؤلفة من ٨٠٠٠ نفس وأرغموا جس على عقد برلمان وأن يعيد لاولاد غورى الاملاك والشرف الذين تجردوا منهما بخيانته وتجريد ارل اران من أملاكه وشرفه وكذا عقد محالفة من طرفه مع انكلترة

فى

فى سنة ١٥٨٥ بعد الميلاد

وفى ٨ فبراير سنة ١٥٨٧ قتلت الملكة مريم فى قلعة فوثرنغاى من أعمال انكلتره بأمر اليزابث كما ذكرناه فى تاريخ انكلتره وظهر على جس أسف خفيف على قتل أمه الا أن قتلها ذهب سدى وانقضى أمرها من دون تحصيل حاصل وفى سنة ١٥٨٩ تزوج جس بحنا بنت فريدريق الثانى صاحب دانيمارقه وأخذت الملكة الجديدة فى مهرها جزائر اركاده وجزيرة شتلنده وتولد من سفر الارمادة الاسبانية للاغارة على انكلتره فى سنة ١٥٨٨ الفزع الاكبر فى اسكوطلنده واتخذوا الاحتياطات اللازمة فى منع قيام الدين الرومانى مرة ثانية فى اسكوطلنده لو تغلب الاسبانيون على انكلتره وتجدد الاتفاق ووقع الاشراف والامراء الموجودون فى المملكة على هذا الاتفاق وفى سنة ١٥٩٢ أصدر البرلمان الاسكوطلندى فى أثناء شدة وقوع الفزع من وجود الارمادة لائحة بالغاء الاسقفية من اسكوطلنده واستبدالها بالهيئة البرسبتريانية لكنيسة المملكة وأن تكون الكنائس محكومة فى المستقبل بمجالس من القسس وجمعيات كنائسية تحت رياسة مجلس مؤلف من الوزراء وأئمة من عدة مجالس من قسوسيات المملكة وأن يكون عقد هذا المجلس مرة واحدة فى كل سنة فى ايدنبورغ تحت رياسة الملك أو من ينوب عنه وفى نفس هذه السنة ظهرت دسيسة من كبار أشراف الكاثوليك وكانوا عزموا على أن يدعوا ملك اسبانيا ليقيم الدين الكاثوليكى فى اسكوطلنده ووعدوه بالمساعدة بجميع ايراداتهم فصدر أمر الحكومة لماركيز ارجيل بهياج الحرب باسم الملك على ارل هانطلى أحد قواد الثورة ولبث هذا الحرب عدة سنوات وفى سنة ١٥٩٧ ارتد هانطلى وعرول أكبر القواد الكاثوليكية عن الديانة الرومانية ودخلا فى الدين الاصلاحى ووقع لجس ارتباكات كثيرة من الوزارة الاصلاحية حتى أعلنت لنفسها مع العظمة ما للملك من الحقوق فتولد من هذا الخلاف هياج ثورة شديدة فى ايدنبورغ التزم فيها الملك على الهرب الى مدينة (لنليثغو) وهدد ايدنبورغ بنقل المحاكم العدلية منها ثم رجع أهل هذه المدينة الى عقولهم وانقادوا وعاد الديوان الى العاصمة وأما الوزراء الذين كانوا سببا فى هذا الارتباك فانهم هربوا الى انكلتره وفى ٢٤ مارث سنة ١٦٠٣ ماتت الملكة اليزابث صاحبة انكلتره وأعلن جس السادس صاحب اسكوطلنده بانه خليفة على تخت انكلتره فسافر فى الحال اليها وفى ٦ مايه سنة ١٦٠٣ دخل مدخله الرسمى فى لونده فكان تغيير حالته من مملكة فقيرة ضعيفة مثل اسكوطلنده الى مملكة غنية قوية مثل انكلتره يعد من السعودات العظيمة فى الحقيقة وتولد منه شوكة عظيمة لجس وخلاصه من الهموم التى كانت حائقة به من أعيان اسكوطلنده وأمرائها وصار له طاقة على حكمهم بيد ثابتة بما صار له من المكنة على اجراء الاعمال فى انكلتره لمساعدته فى بقاء حكومته فى اسكوطلنده وتولد من انضمام التاجين صلح فى الحدود وكانت من عدة قرون مضت ممزقة بحروب مهولة وألغيت قوانين الحدود عند كل من الجهتين وحصل الاتفاق على أن كافة رعايا احدى المملكتين الذين يولدون من بعد الانضمام يكونون تبعة للمملكة التى ولدوا فيها ولهم حق فى وراثة الاملاك فى كلتيهما وتعيين وال مخصوص نائب من طرف الملك فى اسكوطلنده وأن يكون كل مملكة من المملكتين مستقلة عن الاخرى فى أعمالها الداخلية وأن يكون لكل مملكة برلمان من أهلها وكان جس فى اسكوطلنده برسبتريانيا عظيما فلما جلس على تخت انكلتره صار أسقفيا شديد الغيرة عليها ومن هذا الوقت كان الاجتهاد الاكبر عنده فى طول حياته ضم

الكنيسة الاسكوطلنديه فى جامعة واحدة مع الكنيسة الانكليزيه وفى سنة ١٦٠٦ استحصل من البرلمان على صدور لائحة صدق عليها البرلمان الاسكوطلندى باقامة الاسقفية مرة ثانية فى الكنيسة الاسكوطلنديه واحتوى هذا القانون أيضا على أنه لا يجوز تقرير أى عمل فى حكومة الكنيسة من دون رضا الاساقفة وانقطع نفوذ جمعية اللوردات الاسكوطلنديه والاتفاق وان كانت مستمرة الوجود وبناء على هذا تعين أسقف فى لونده لكل من قسوسيات (غلاسغو - وبرشين - وغالووى) فتولد من هذه الاعمال نفور شديد فى اسكوطلنده واستقبل أهل اسكوطلنده الاساقفة بغاية البرود ووجدوا أنه يشق عليهم جدا اجابة الارادات المخصصة لهم وأما أشغال الملك فى تقويته نفوذ القانون والنظام فى أرض الجبل فكانت على نجاح عظيم وتجرد الرؤساء الذين ما كان لهم طاقة على اثبات الاراضى الموجودة تحت أيديهم بحجج مسجلة فى الحكومة منها واستوطنها سكان من أهل السهل وطلب من الرؤساء الذين سمح لهم بالبقاء فى أراضيهم الكفالات اللازمة من أجل حسن سيرهم وسير عشائرهم وأن يؤجروا أراضيهم بأسعار مربوطة من النقود ويرسلوا أولادهم الى المدارس الموجودة فى أرض السهل ومن ثم زال خطر انضمام التاجين من جهة هذه القبائل وتقوت الحكومة الملوكية فى نفسها وما زار جمس اسكوطلنده الامرة واحدة من بعد جلوسه على تخت انكلتره وبهذا السبب أصدر المجلس العمومى فى مدينة برث قانون الخمس مواد وكان مشتملا على الرخصة باقامة الصلاة السريه وجثو كافة الناس على ركبهم فى وقت تناولهم العشاء الربانى وارسال أولادهم الى الاساقفة من أجل تعليم دينهم ومراعاة الخمسة أعياد الكبيرة للكنيسة المسيحية فى صفة أيام مقدسة وتولد من الاعمال التى صدرت من الملك حدة الغضب عند برسبيتريانى اسكوطلنده وما راعوها بالكلية وفى ٢٧ مارث سنة ١٦٢٥ مات الملك جمس فى انكلتره

ومن بعد موت جمس خلفه ابنه شارلس الاول على تخت انكلتره واسكوطلنده فكانت أفكاره بخصوص الحقوق الملوكية أشد من أفكار أبيه وجلس على التخت مع عزم شديد فى تنفيذ ما كان أبوه عازما عليه من ضم كنيسة اسكوطلنده الى الكنيسة الانكليزيه وأصدر لائحة تتضمن استرداد أراضى الكنيسة الخالية الرسمية الموجودة تحت أيدى العوام سواء كانوا أخذوها من الحكومة أو من غيرها فاقام أرباب الاملاك الموجودة تحت أيديهم هذه الاراضى حجة على أن هذه اللائحة على غير عدل ثم وقع الاتفاق بعدها على أنهم أعطوا جزأ من أراضيهم ورضى الملك بصدور لائحة مؤيدة لحقوقهم فى الاراضى الباقية تحت أيديهم وفى سنة ١٦٣٣ بعد الميلاد زار شارلس اسكوطلنده وتتوج مع الاحتفال فى كنيسة (هوليرود) وفى هذا الاحتفال لبس خدمة الدين ملابس الكنيسة الانكليزيه فتولد من ذلك شدة الكراهة فى قلوب الاسكوطلنديين وزاد شارلس هذا الغضب بصدور أمر من عنده لخدمة الدين بلبسهم قمصان الاساقفة ذات الاكمام الطويلة بدلا من الفرجية الجنيفية التى كانوا يلبسونها ووقع تغيير فى لوردات المجلس أى المجلس العمومى المعد لمباشرة أعمال المجالس الاخر الكنائسية فكان هذا التغيير سببا فى أن جعل طريقة الانتخاب جميعها فى أيدى الاساقفة وعند ما صدرت هذه اللائحة من طرف الملك تقدمت له انذارات من أعضاء المجلس معارضة لهذه اللائحة فاشتد الغضب بالملك وأمر بسجن (لورد بالميرينوخ) الذى قدم هذه الانذارات ثم أمر بالافراج عنه بعد مضى قليل فعد الاسكوطلنديون هذا من أجل أنه حصل للملك خوف حتى أخلى سبيله وما راعوا

سلطنة شارلس الاول

المطلب الجليل الذى كان الملك يرغبه فى شأنهم وفى سنة ١٦٣٧ تولد من الاعمال التى أبداها شارلس زيادة كبيرة فى نفور الاسكوطلنديين وكراهتهم له وذلك أنه أمر بعمل كتاب فى الفرائض الكنائسية يختص بحكومة الكنيسة الاسكوطلندية تحت أمره وحكمه وأمر الاسكوطلنديين بالعمل على نص مافيه من دون التصديق على هذا الكتاب من المجالس الاسكوطلندية الكنائسية بدل كتابهم المتضمن طرائق نظامهم فى الكنيسة ومن بعد مدة قليلة ألف (لود) أسقف كانتربورى كتابا فى صلاة الجماعة وأمر الملك خدمة الدين الاسكوطلندية بالعمل على حسب نصوصه فى الكنائس بدل كتاب الصلاة العمومية الجارى عليه العمل عندهم من مدة طويلة وفى ١٦ يوليه سنة ١٦٣٧ عزم رئيس الاكليرس فى مدينة ايدنبورغ على اقامة صلاة الجماعة فى كنيسة (سنت غيل) فهاجت ثورة فى الوقت وطردوا الاكليرس وأسقف ايدنبورغ من الكنيسة وأعقب هذه الثورة عدة ثورات أخرى فأصدر الملك اعلانا يطلب فيه من الامة التوجه الى بلادهم وماقبل سماع الالتماسات التى وردت عليه من كافة جهات اسكوطلنده فتولد من صلابة رأسه زيادة النفور عند الامة وقام الرعاع من الناس فى ايدنبورغ على الاساقفة والاعضاء الآخرين من المجلس الخصوصى وأهانوهم ثم تشكلت لجنة مؤلفة من أربعة أعضاء من كل من الاشراف والبارونات الصغيرة وخدمة الدين وأولاد البلد وأطلق عليها اسم لجنة القوانين كى ينوبوا عن الامة فى فصل ماهو واقع عندهما من الغضب والخلاف فلاقت هذه اللجنة أشد الاهوال من العوام واقتحمت هذه اللجنة طريقها عنوة الى قاعة المجلس وأثبتوا فيه ماهو واقع عندهم من الضرر وطلبوا عزل الاساقفة فقابل الملك هذه اللجنة باعلان مهدد لها فجددت فى الوقت الاتفاق الذى احتوى فى هذه الدفعة على مادة خلع الاساقفة من وظائفهم وكانت الاتفاقات الاولية موقعا عليها من وجوه الامة فقط فصار التوقيع فى هذه الدفعة على هذا الاتفاق من جميع الامة غنيها وفقيرها وشريفها ووضيعها وأطلق على هذه اللجنة من هذا الوقت اسم الحزب الوطنى أو المتحالفين فى سنة ١٦٣٨ وفى آخر السنة أرسل شارلس المارك زهاميلطون الى اسكوطلنده واليا نائبا بسلطة مطلقة فى فصل الارتباكات وطلب المتحالفون الغاء المجلس النيابى العالى وكتاب السنن الكنائسى وكتاب صلاة الجماعة وطلبوا برلمانا حرا فبناء على ما كان عند (هاميلطون) من التعليمات أمهل فى اعطاء الجواب عن هذه الطلبات حتى يجعل للملك زمنا كافيا فى جمع قواه وارغام هؤلاء للطاعة فأنجز الملك وعده بغتة بمنح طلبات الاسكوطلنديين وطلب التئام مجلس انعقد فى غلاسغو فى ٢١ نوفمبر سنة ١٦٣٨ تحت رياسة هاميلطون بالنيابة عن الملك ومن بعد مضى بضع أيام حصل السعى فى طلب الاساقفة للمحاكمة فخرج فى الوقت هاميلطون من المجلس وأمر بانفضاضه فرفض المجلس طاعته وسار فى طريق محاكمة الاساقفة وعزلهم من وظائفهم ووضعوا الحجر الكنائسى على ثمانية منهم وألغوا كتاب السنن وكتاب صلاة الجماعة وألغيت لوائح المجالس الكنائسية من ابتداء سنة ١٦٠٦ وكان الحاكم فى اسكوطلنده الشمالية بالنيابة عن الملك ارل هانطلى وما صار قبول الاتفاق فيها فعزمت لجنة القوانين على ارغام هذه الناحية على قبول الاتفاق وجندوا جيشا وبها ؤلفا من الذين لهم دراية بالحروب والذين كانوا فى حرب الثلاثين سنة فى أوروبا وعهدوا قيادة هذا الجيش على ارل مونطروز فأخضع فى مدة قليلة مع مظفرات جليلة الجهة الشمالية قاطبة وأقام فيها حكومة المتحالفين وجندوا جيشا آخر تحت قيادة الجنرال ايسلى وأرسلوه الى الحدود الجنوبية لملتقى قوة

كان الملك سائرا بم انحو الجهات الشمالية من انكلتره لاخضاع الاصكوطيين وأخذ ليسلى موقعا عظيما مشرفا على طريق سير الجيش الملوكى فلما رأى الملك أن هزيمة نفسه لابد منها لو وقع منه أدنى هجوم على القائد الاسكوطلندى رضى بعقد معاهدة معه فكان الاتفاق فى هذه المعاهدة أن كافة المسائل الواقعة بين شارلس ورعاياه الاسكوطلنديين يجب النظر فيها وقطع الحكم بواسطة مجلس حر وأنه فى أثناء هذه المداولات يجب تفريق كل من الجيشين وعود القلاع الى الملك فى ٩ يونيه سنة ١٦٣٩ وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة تسكين فتنة بروبك وكانت أيضا غلاقا لحرب مونطروز فى الجهة الشمالية وطلب الملك انعقاد مجلس فى مدينة ايدنبورغ وصدق على كافة الاعمال التى وقعت فى مجلس غلاسغو فانعقد المجلس العمومى فى ٢ يوليه سنة ١٦٤٠ وقرر أعمال المجلسين وأمر بأن كل انسان يلزمه التوقيع على الاتفاق والا فجزاؤه العقاب الشديد وكان الملك أجل انعقاد المجلس العمومى فانه قدر غم أنفه واستغاثوا بفرانسا فى مساعدتهم ولما بلغ شارلس هذه الحادثة أرسل (لورد لودين) أحد المبعوثين الاسكوطلنديين الى سجن البرج واستعد للغارة على اسكوطلنده فتولد من معاملته الاستبدادية لرعاياه ميل شديد فى انكلتره نحو الاسكوطلنديين وكان شارلس جاريا فى الاستعداد للغارة على اسكوطلنده وظهر من ميل الانكليز للاصكوطيين فى هذه الدفعة هياج نار الحرب من أجل اقامة شعائر الحرية على الشوكة الاستبدادية ومن ثم تعسر على شارلس تجنيد الجيش ولما حصل التئام المملكتين فى اتفاق واحد مع بعضهما وقع النفور والعصيان فأما الاسكوطلنديون فانهم جندوا من عندهم جيشا ضخما وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٦٤٠ دخل هذا الجيش فى انكلتره وتغلب على (دورهام ـ وطينوث ـ وشيلوس) من دون طعنة وتغلب الجيش الاسكوطلندى الموجود فى نفس اسكوطلنده فى داخل المملكة على قلعتى ايدنبورغ ودومبارطون فرضى شارلس مرة أخرى بعقد معاهدة فعقدت معاهدة مريبون ومنح كافة طلبات الاصكوطيين وتفرقت الجيوش وظهر ختام الحرب وزار الملك مدينة ايدنبورغ وطلب عقد مجلس المملكة وماوقع منه أدنى سعى فى التداخل فى أعمال المجلس وقرر حق التئام هذا المجلس فى كل ثلاث سنوات مرة واحدة فى سنة ١٦٤١ ثم كانت السنة التالية ابتداء الحرب الداخلى فى انكلتره فاختار البرلمان اتحادا أكيدا وحض الاصكوطيين على الدخول معه فى هذه المادة فأرسلت اسكوطلنده جيشا ضخما الى انكلتره تحت قيادة الجنرال ليسلى وكان ارتقى الى رتبة ارل ليفن وابن أخيه داود ليسلى وعبر هذا الجيش الحدود فى ١٩ ينايرسنة ١٦٤٤ وسار قسم منه لحصار قلعة نيوكاستل وتغلب عليها عنوة فى ١٩ اقطوبر وزحف الجيش الاصلى نحو يورقشير وانضم مع جيش البرلمان واتحد معه فى واقعة مرسطون مور فى ٢ يوليه سنة ١٦٤٤ وكانت الخدمة الثانية الجليلة للجيش الاسكوطلندى حصاره قلعة نيوارك وفى أثناء تقدم حصار هذه المدينة حار شارلس وضعف حاله مما حل به من المصائب والاهوال فهرب من أوكسفورد وكانت القوى البرلمانية حاصرته فيها وتوجه الى الجيش الاسكوطلندى وهو محاصر قلعة نيوارك وجعل نفسه تحت حماية القوى الاصكوطية فى ٥ مايو سنة ١٦٤٤ فعاملوه بالاجلال الا أنهم قبضوا عليه فى صفة أسير ومن بعد مضى بضعة أيام سلمت قلعة نيوارك وانسحب الاصكوطيون الى نيوكاستل حتى يصير الاتفاق على اصلاح الشروط التى يلزم بها تسليم الملك للبرلمان الانكليزى وفى أثناء هذه المدة ترك ارل مونطروز أمر المتحالفين وحض

أمر

أمر الملك وأقام البيرق الملوكي في أراضي الجبل وتغلب على الجهات الشمالية من اسكوطيسة لجهة الملك فأرسل داود ليسلي بالجيوش زاحفا عليه وكان أمر مونطروز قد وهن من سفر الجبليين لبلادهم فهزمه داود ليسلي في (فيليبهوغ) في ١٥ سبتمبر سنة ١٦٤٥ وتقهقر (مونطروز) الى أرض الجبل ولما كان باذلا جهده في جمع جيش جديد صدر له أمر من الملك من بعد أن توجه تحت حماية الجيش الاسكوطلي في انكلتره بالتخلي عن حمل السلاح فأطاع مونطروز الامر وترك اسكوطلنده ثم اجتهد الاسكوطيون في حضانة أمر شارلس وحضه على أن يعود الى الدين البرسبتريانى ويقبل الاتحاد معهم فما قبل منهم شيأ ولو فعل هذا لعكفوا على حمايتهم له الا أنه رفض الارتداد عن دينه فمن ثم سلموه للبرلمان الانكليزى وعادوا الى اسكوطلنده على دفع مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ ليره قيمة مصاريف حرب وغير ممن طرف الحكومة الانكليزية وحصل عند الاسكوطلنديين مضار كبيرة وتم الانكليز من غوبهم المطيف في ٣٠ ينايرسنة ١٦٤٧ وجعلوا هذه القيمة ودفع متأخر المصاريف في تظير تسليم الملك لهم فرغب الاسكوطيون في ذلك ومن ثم ما كان لهم طاقة على ازالة ما وقع في حقهم من القدح والذم بسبب ماحصل منهم من غش وخديعة ملكهم وبيعه بنقود أخذوها من الانكليز ومن بعد مضى بضعة شهور عقد شارلس وهو مسجون في قلعة (كاريسبرولك) معاهدة مع الحزب الاسكوطلي اتفق فيها على أنهم لو رغبوا في مساعدته على عوده الى تخته فانه يوقع على الاتفاق ويقيم شعائر الكنيسة البرسبتريانية في اسكوطلنده فأرسلت اللجنة التي أحيلت عليها ادارة الحكومة الاسكوطية جيشا الى انكلتره تحت قيادة دوق هاميلطون من أجل انفاذ هذا الاتفاق فهزم كروموبل هذه القوة في بريسطون وسار خلفها معقبا لها حتى وصل الى (عوطوكسيطير) وانجبرت على التسليم في ٢٠ أغسطس سنة ١٦٤٨ ثم رجع كروموبل على اسكوطلنده وهزم حزبها وسلم زمام الحكومة لايدى البرسبتريانيين وفي شهر يونيه سنة ١٦٤٣ التأم مجلس روحاني في كنيسة وستمنستر من أجل فصل المواد الدينية الموجودة في المملكة فمن بعد مضى بضعة شهور اختاروا الاتحاد والاتفاق ولما تقرر أمرهم في الدين قبله الاسكوطلنديون بدل كتبهم المختصة بنظام الدين والعقائد العمومية وفي ٣٠ ينايرسنة ١٦٤٩ قتل شارلس الاول في لوندره فأعلن الاسكوطلنديون في الحال شارلس الثانى بانه ملك بريطانيا الكبرى وفرانسا وارلنده وفتحت معه المخابرة وفي أثناء هذه المدة عاد (مونطروز) الى اسكوطلنده واجتهد في أن يجعل الجهات الشمالية منها تحت طاعة الملك فانهزم وجلب الى ايدنبورغ وصلب من دون محاكمة واستمر الاسكوطلنديون في مخابراتهم مع شارلس الثانى فاتفق معهم على التوقيع على الاتفاق وأن يدخل في الدين البرسبتريانى وينقاد لمشورة المجلس فدعاه الاسكوطيون على مقتضى نص هذه الشروط للحضور ليتولى الرياسة عليهم فوصل اليهم ووقع على الاتفاق في شهر يوليه سنة ١٦٥٠ فلما بلغ كروموبل هذه الحادثة زحف في الحال على اسكوطلنده فاجتمع الاسكوطلنديون للمدافعة عن شارلس فوقع الفشل في عساكر ليسلي قائد الاسكوطيين من هجوم كروموبل عليهم وهزمه كروموبل في واقعة دونبار في ٣ سبتمبر وفي أثناء ذلك وجد شارلس بمملكته الاسكوطلنديه لاذوق لها عنده وضايقته مراقبة الاسكوطلنديين وتشديدهم عليه وألزمته عقائد الاتفاق بما صار مكروها عنده فهرب من (دونفرملين) وكان مقيما بها مؤملا اجتماعه بالاشراف الشمالية فقبض عليه وجلب ثانيا وتتوج مع الاحتفال في مدينة أصقون وزحف جيش اسكوطلندى على انكلتره وصحب معه الملك

فاسرع خلفه كرومويل وكان فى هذا الوقت موجودا فى اسكوطلنده وهزمه فى ورسيستر فى ٣ سبتمبر سنة ١٦٥١ فى يوم الاحتفال بموسم نصرته فى دونبار والتزم شارلس على الهرب وتوجه الى قارة أوروبا وترك كرومويل قوة فى اسكوطلنده تحت قيادة الجنرال مونك من أجل اتمام خضوع اسكوطلنده للطاعة تحت أحكام الجمهورية الانكليزية ولما صار كرومويل لورد حامى انكلتره واسكوطلنده وارلنده جمع اسكوطلنده وانكلتره فى حزمة واحدة وقرر أن اسكوطلنده ترسل من طرفها نوابا مخصوصين بها فى البرلمان الانكليزى عددهم ثلاثون عضوا وتقام تجارة حرة بين المملكتين وسبع قضاة منهم أربعة من الانكليز فى المحاكم العدلية الاسكوطية وأنشأ جملة من القلاع رتب فيها محافظين قوية لحفظ النظام فى جهات المملكة وعوملت اسكوطلنده معاملة اقليم حصل التغلب عليه من الانكليز وكان عود شارلس الثانى الى التخت الانكليزى ختام أشغال لورد الحماية وحل بالاسكوطلنديين الفرح العظيم فى وقت عود الملك مؤملين أنه يرفع شأن الاتفاق الذى وقع عليه فخاب ما أملوه وفى سنة ١٦٦٠ أخذ من اسكوطلنده امتياز حرية التجارة مع انكلتره ومن بعد مضى قليل أعيدت الاسقفية كما كانت مرة ثانية وتعينت أساقفة جديدة وتعين جمس شارب أسقف كنيسة سنت اندريوس مطران اسكوطلنده وعهدت الحكومة الاسكوطلندية لمجلس خصوصى وشرذمة من العساكر عرفوا بمحافظى الحياة الانسانية أنيط بهم تنفيذ أوامر أحكام المجلس ووقع القبض على ارل ارجيل وجمس غوطرى قسيس روحانى وقائد أشغال المخالفين وقتلا فى سنة ١٦٦١ وفى سنة ١٦٦٢ صدرت لائحة قاضية بأن كافة الاشخاص الموجودين فى الوظائف يوقعون على اعلان ما له أن الاتفاق يمين غير شرعى فلا اعتماد عليه وأن تكون كافة أئمة الديانة تحت أمر أسقف واحد فالذين رفضوا قبول هذه اللائحة جردوا وطردوا من كنائسهم واستعفى ٣٥٠ نفس من الائمة وطردوا من الوظائف مع عائلاتهم وتبعهم أتباعهم الى الغيطان والميادين فأقاموا فيها الصلاة الدينية وصدرت قوانين شديدة فى ارغام الائمة على عدم المداومة فى الخطابات وجبر الامة على المداومة على وظائف كنائسهم وعادت محكمة النيابة الملوكية كما كانت سابقا وابتدأ حرب مهول على الذين رفضوا الدخول تحت حكم الكنيسة الانكليزية ثم وقع الهجوم على الجموع التى تجمعت فى الخلوات وعرفوا بجموع المعتزلة أى رافضى الاسقفية بواسطة العساكر الملوكية واصطادوا المخالفين من جهات المملكة وعذبوهم العذاب الشديد وقتلوهم وما نجا منهم ذكر ولا أنثى فكانت هذه الفظائع سببا فى هياج ثورات عديدة من الامة كان أكبرها وقعا الثورة التى أخذت فى واقعة بنطلند فى سنة ١٦٦٦ وراعت الامة عموما أن المطران شارب هو أصل هذا الظلم الذى حصل وتزلزل منه ثبات المخالفين فكمن له كمين فى ٣ مايو سنة ١٦٧٩ وقتلوه بالقرب من كنيسة سنت أندريوس وهرب القاتلون واستمرت هذه المظالم جارية فى طول مدة سلطنة شارلس الثانى وكان المعقل الحصين للمخالفين البلاد الجبلية الواقعة بين (لنارك — واير) فكان فيها محلات اجتماعاتهم الكبيرة ومنها يخرجون متسلحين فوقع الهجوم عليهم فيها فى شهر مايو سنة ١٦٧٩ من العساكر الملوكية تحت قيادة يوحنا غراهام فبدد المخالفون أعداءهم وهزموهم شر هزيمة فأرسل شارلس جيشا مؤلفا من ١٥،٠٠٠ عسكرى للاغارة عليهم تحت قيادة الدوق مونموث فهزم مونموث جيش المخالفين عند قنطرة بوثويل فى يونيه سنة ١٦٧٩ وأخذ منهم ١٢٠٠ أسير أرسل معظمهم الى المستعمرات الانكليزية

سلطنة شارلس الثانى

سلطنة جس السابع

ومات شارلس الثانى فى ٦ فبراير سنة ١٦٨٥ وخلفه جس الثانى صاحب انكلتره والسابع صاحب اسكوطلنده فكان جس هذا العدو الالد للدين البروتستانتى كما ذكرنا فى تاريخ انكلتره وأكبر المبغضين للهيئة البرسبتريانية وآل ظلم المتحالفين تحت حكمه الى حالة أشد وأكبر من الحالة التى كانت سابقا وذلك أنه أصدر منشورا بأمر العساكر فيه بقتل الذين يرفضون قبول الارتداد عن دينهم ونكث اليمين الذى عقد بينهم بواسطة المتحالفين من أجل مقاومتهم أوامر الحكومة الملوكية فمن ثم قتل كثير من الذين رفضوا قبولهم نكث اليمين والارتداد عن دينهم ومن ضمنهم امرأتان (مرغريطه مكاوشلان) و (مرغريطه ويلسن) فربطتا فى خوازيق غرست فى مياه نهر سلوى وأغرقتا فيه فى وقت علو المياه وعامل العساكر الملوكية رجال المتحالفين باشنع المعاملات البربرية وكذا الذين أظهروا شجاعتهم وثبتوا على دينهم على قدر اجتهادهم وفى مبادى سلطنة جس المذكور صدر منشور يتضمن عقاب الخارجين عن الكنيسة الانكليزية بالموت وفى سنة ١٦٨٥ نزل ماركيز ارجيل فى اسكوطلنده وسعى فى قيام ثورة تكون فى وقت واحد مع ثورة مونموث فى انكلتره بقصد خلع جس وجلوس مونموث على التخت الانكليزى فكانت ادارة هذه الحركة قبيحة تشتت فيها جيش ارجيل من دون طعن وقبض عليه وهو مجتهد فى النجاة بنفسه وقتل شر قتلة وخربت أراضى ارجيل بالسيف والنار بالعساكر الملوكية ونفى كثير من أعضاء أقاربه الى المستعمرات من بعد أن عذبوا عذابا أليما ثم تولد من اجتهادات جس فى ادخاله الديانة الرومانية الكاثوليكية فى انكلتره الفزع الاكبر عند المجلس الخصوصى الاسكوطلندى وكان لحد ذلك الوقت مساعدا له مساعدة قلبية على ظلمه المتحالفين فرفض المجلس قبول اتباع الملك فى أى حالة من الاحوال فعزل الملك (دوق كوينبرى) النائب من طرفه فى اسكوطلنده وحل محله ارل برث رومانيا كاثوليكى المذهب ثم اجتهد جس مرة ثانية فى حض المجلس على صدور لائحة يبطل بها العقابات المقررة على طوائف الرومان كاثوليك ويجعلها شديدة جدا على المتحالفين فرفض المجلس قبول هذا الامر وقاوم أشد المقاومة حتى خدمة الدين فمن ثم التزم الملك على التساهل فى العقائد لتوطيد المجلس نحو الكاثوليك وأصدر عدة لوائح فى العقد أشهرها التى صدرت فى سنة ١٦٨٨ منح فيها الاباحة لكل عقيدة ولفرقة الاخوان الفانيانى وفرقة المتحالفين ومع ذلك فان هذه اللوائح جاءت فى وقت متأخر وكانت رغبة الملك عرفت جيدا فى اقتحامه حرية الكنيسة الانكليزية فاجتمعت عليه الامة الانكليزية وصادمته مصادمة شديدة وطلبوا صهره زوج ابنته غليوم برنس أورنجه للحضور فى طلب التاج وقد ذكرنا خلع جس وهربه وجلوس غليوم ومريم على التخت فى تاريخ انكلتره فلا حاجة لذكره هنا وكان سقوط جس فائدة عظيمة لاسكوطلنده

سلطنتا غليوم ومريم

وانعقد مجلس فى ايدنبورغ أعلن فيه بخلع جس رسميا وقدم تاج اسكوطلنده لغليوم ومريم وأعلنا بملك وملكة اسكوطلنده وأرسل ثلاثة نواب الى لونده ره قدموا بيعة اسكوطلنده فى وقت تتويج غليوم وكان الذى قدم البيعة ماركيز ارجيل فلما أخذ الملك يمين البيعة أعلن برفع المظالم والاعتسافات وعدم وقوع أى تعد على المواد الدينية فى مدة سلطنته

وبمجرد سقوط جس سقطت أيضا الكنيسة الاسقفية فى اسكوطلنده وقامت الامة التى ذاقت وبال الاذى من تحت أيديها عليها فى يوم عيد سنة ١٦٨٨ وهجموا هجوما عاما على القسس فى كنائسهم ومحلات وظائفهم فى الجهات الغربية من أرض السهل وطردوا نحوا من مائتى قسيس مع عائلاتهم

من المملكة مع السب واللعن الشديد وأصدر غيليوم منشورا يأمر فيه بتفريق الثورات وتسكين أربابها الا أنه ما كان يوجد شئ يقوى أمره بما انه لم يوجد عساكر فى شمال نهر الطويد ودامت الثورات على ما كانت عليه ودخل القسس الاسكوطلندية فى أمر جس وما كان عند غيليوم استعداد لاخذ الاحتياطات اللازمة من أجل حمايتهم جس ودخولهم فى أمره وفى يونيه سنة ١٦٩٠ أقيمت شعائر الكنيسة البرسبتريانية ثانيا رسميا فى اسكوطلنده بمنشور صدر من البرلمان

ومع أن اسكوطلنده قبلت غيليوم ومريم الا أنه مازال موجودا حزب كبير فى المملكة يرى أنهما غاصبان للتخت وداوم مع الصداقة حاضنا أمر الملك جس وكان هذا الحزب معروفا بحزب اليعقوبية ولما التأم المجلس فى ايدنبورغ كانت قلعتها محفوظة بدوق غوردون من أجل جس وكان لهذا الدوق طاقة على دمار المدينة وصيرورتها آكاما من الرماد لو رغب فى فتح نيران القلعة عليها ولما وجد اليعقوبية أنفسهم أنهم فى غاية من الضعف عن تهييج ثورة عولوا على ترك المدينة وترتيب مجلس ضد مجلس ايدنبورغ فى مدينة سطيرلنغ ومن قبل أن يكون لليعقوبية طاقة على فعل شئ هرب غراهام من حزبهم وكان أقبح قواد عساكر جس فى مدة الظلم والجور فوقع الفزع فى حزب اليعقوبية وقبضت الحكومة على قواد اليعقوبية وهرب دندى الى بلاده وأملاكه فى الجبل وجعل بينه وبين الملك المخلوع المنفى مخابرات وقع منها جملة مكاتيب فى أيدى الحكومة واردة من جس فأصدرت أمرها بالقبض على دندى فدعا دندى فى الوقت القبائل لحمل السلاح من أجل الملك جس وابتدأت ثورة مهولة فى سنة ١٦٨٩ وفى ٢٧ يوليه هزم دندى القوى الملوكية فى نواحى (كليكرانكى) الا أنه اشترى نصرته بفقد حياته ولما فقد الجبليون قائدهم الشجاع انحل أمرهم وتفكروا فى النهب زيادة عن سيرهم خلف أعدائهم وفى أغسطس أغاروا على دونكلد وكانت محفوظة بالالاى من الكاميرونيانيين فانهزموا فى هجومهم ومن بعد هذه بقليل أرغم الدوق غوردون على تسليم قلعة ايدنبورغ وفى فصل ربيع سنة ١٦٩٠ انهزم الجبليون مرة أخرى وتشتتوا فى اسبايى فكانت هذه الهزيمة ختام الثورة ومع هذا فان رؤساء الجبل مازالوا فى نفور وكان من الواضح الجلى أنهم كانوا منتظرين وجود قائد آخر يقوم بهم فى ثورة ثانية ومن بعد تكرار الاجتهاد فى التغلب عليهم صدر منشور من الملك غيليوم يتضمن العفو عن العصاة الذين يقدمون يمين الطاعة له قبل أو فى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٦٩١ والذين لا يقدمون بيعتهم فى هذا اليوم يعاملون معاملة العصاة الخائنين ولاجل تقوية الحكومة تهديدها هذا جمعت قوة كبيرة فى أرض الجبل فوردت القبائل قبل حلول اليوم المعلوم ماعدا (ما كيان) رئيس قبيلة مكدونالد وكانت متوطنة فى غلينسكو الوادى الجبلى من أعمال ارجيل الغربية وفى ٣١ ديسمبر الذى هو آخر يوم من أيام العفو وصل ما كيان ومشهورو رجال عشيرته الى قلعة غيليوم لاعطاء يمين البيعة ومن شدة الخوف الحاصل ما وجدوا أحدا عنده ادارة فى تدبير أمرهم وما كان يوجد نائب حكومة بالقرب منهم أقرب من قلعة انفرارى فأمرهم الامير الاى الموجود فيها بالتوجه اليها وكانت الارض وعرة السلوك صعبة المشى مغطاة بالثلج فمن ثم ما تمكن ما كيان ورفقاؤه من الوصول الى قلعة انفرارى الا فى ٦ يناير سنة ١٦٩٢ ومن بعد توسلات واعتذارات شديدة رضى (كولن كامبل) أمير ناحية ارجيل أن يأخذ عليهم يمين البيعة حسبما بذلوه له من اجتهادهم فحصل من هذه الحادثة ارتداد اسكوطلنده وذلك أن (يوحنا دلرعيل)

كاتب أسرار ارلنده عند غليوم كان العدوّ الالد لقبيلة (مكدونالد) فعوّل على أن يجعل تأخير ما كان سببا فى دماره ودمار قبيلته فأخفى عن الملك حقيقة ما حصل فى هذه الحادثة واستحصل من الملك على أمر للعسكرية بقتل الرئيس ما كيان وعشيرته وأرسل بلوك من العساكر تحت قيادة كامبل غلنليون الى غلينكو فوصل الى الوهدة الجبلية المنفردة على حدتها فى أول فبراير من سنة ١٦٩٢ وقالوا انهم جاؤا على سبيل المودة فقوبلوا بالترحاب ومن بعد أن تمتعوا فى قرى القبيلة خمسة عشر يوما وجهوا نيران أسلحتهم على المضيفين لهم فى صباح ١٤ فبراير وقتلوا سكان الوادى ماعدا قليلا منهم نجوا بأنفسهم وما سلم شيخ ولا امرأة ولا رحموا كبير الكبره ولا صغير الصغره وساقوا الانعام والمواشى وأحرقوا البيوت والمساكن فكانت هذه الحادثة أفظع الحوادث وأشنع المذابح فى الحوادث التاريخية وقيل ان غليوم ماقرأ أوامر الامر وقت ماوقع عليه ومع ما كان من حصول هذا أو عدمه فان المحقق أنه ماحصل منه أدنى سعى فى معاقبة مختلق هذه الشنعة القبيحة حتى انه من بعد مضى أربع سنوات ظهرت جريمة (ماسترسطير) عيانا فما فاتح معه كلاما ولا شافهه بخطاب فى شأن ما اكتسبه من الاثم فكانت هذه الحادثة بقعة سوداء مظلمة فى حوادث سلطنتى غليوم ومريم

وماتت الملكة مريم فى سنة ١٦٩٠ وتسلطن غليوم الثالث من بعد موتها اثنتى عشرة سنة ملكا منفردا بنفسه ومات فى ٨ مارث سنة ١٧٠٢ وجلست عانى ابنة جمس الثانى على كرسى انكلتره واسكوطلنده وارلنده من بعد غليوم الثالث وأعلنت فى الحال بأنها ملكة اسكوطلنده وكان البرلمان الانكليزى أصدر لائحة فحواها أنه عند موت الملكة عانى من دون وارث يرثها ينتقل التاج الى صوفية منتخبة هانوفر وذريتها من بعدها فرفض المجلس الاسكوطلندى هذه اللائحة وأصدر من عنده لائحة أخرى مآلها أن تاجى انكلتره واسكوطلنده لا يكونان تحت سلطنة واحدة الا فى مدة سلطنة الملكة عانى فقط ومن بعد موتها تؤخذ الاحتياطات اللازمة لشرف واستقلال اسكوطلنده ضد السيادة الانكليزية وحفظ المجلس الاسكوطلندى حق اعلانه الحرب على انكلتره فى أى وقت شاء فتولد من ذلك وقوع أشياء كثيرة وخاضت أفكار عالم المملكتين فى عدم حصول المحبة بين المملكتين وظهر الخطر المفسد للعلاقات التى كانت بين المملكتين من عهد جلوس جمس السادس على التخت الانكليزى ثم اتضح جليا لاولى الافكار أن العلاج لزوال هذه الاخطار المعطلة صيرورة المملكتين فى جامعة واحدة تحت سلطنة واحدة فتعيين نواب من كل من المملكتين فكانت نتيجة أعمالهم عقد معاهدة انضمام اتفقوا فيها على فصل توجيه تاجى المملكتين لوارثى المنتخبة صوفية بما أنهم متمسكون بالدين البروتستانتى القائم فى المملكتين وتوطدت استقلالية الكنيسة الاهلية الاسكوطلندية وحفظت من تداخلات الكنيسة الانكليزية فى أعمالها وألغى البرلمان الاسكوطلندى وأرسلت اسكوطلنده نوابا عددهم ستة عشر عضوا فى البرلمان الانكليزى من الاعيان انتخبوا من وجوه المملكة وخمسة وأربعين نائبا فى مجلس المبعوثان وأطلق على هذا البرلمان الاتحادى من ذلك الوقت الى الآن اسم برلمان بريطانيا الكبرى وارتبطت علاقات التجارة الحرة بين المملكتين ومنحت امتيازات التجارة وحقوق ملكية العقارات والحقوق الدولية السياسية والتحرير المختص بتبعة كل من المملكتين وسلكت النقود والمكاييل والموازين طريقة واحدة فى

أنحاء الجزيرة ولما تمت هذه الترتيبات التأم البرلمان الاول لبريطانيا الكبرى فى ٢٣ أقطوبر سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد . ومن بعد ذلك صار تاريخ اسكوطلنده ملحقا بتاريخ انكلتره فى جامعة واحدة والله أعلم

الكتاب الثالث والعشرون

﴿ تاريخ الحروب الصليبية ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ تاريخ عام للحروب الصليبية العديدة ﴾

اعتقاد عام فى اقتراب فناء الدنيا ـ الاستيقاظات الديانية للامم ـ نتائج هذه الاحساسات ـ حجاج أو زوار الاراضى المقدسة ـ تدنيس القبر الطاهر بواسطة الخليفة الحاكم ـ فتح الاتراك أورشليم ـ الفتن والمصائب الواقعة على المسيحيين ـ غضب أوروبا ـ بطرس الناسك ـ خطب الصليب ـ حمية الامم ـ الصليب الاول ـ مخاطرة الصليبيين ـ والطير المفلس ـ جودفرى حاكم بويلون ـ وجود الصليبيين فى القسطنطينية ـ دخولهم فى آسيا ـ مخاصمة القواد ـ طنكريد ـ فتح أنطاكية ـ أخذ أورشليم ـ المملكة اللاتينية ـ صيرورة جودفرى ملكا ـ فرسان الشفاء وفرسان الهيكل ـ الصليب الثانى ـ مصائبه المتممة له ـ صيرورة صلاح الدين ملك مصر وسوريا ـ هزيمة الصليبيين ـ أخذ أورشليم ـ سقوط المملكة اللاتينية ـ الصليب الثالث ـ ريشارد قلب الاسد ـ الصليب الرابع ـ القصور والعجز فيما يختص به ـ أولاد الصليب ـ الصليب الخامس ـ فريدريق الثانى ـ الصليب السادس والسابع ـ لويز التاسع ملك فرانسا ـ حبسه ـ خلاصه ـ الصليب الثامن ـ سقوط عكا ـ سن الفروسية وتأسيسها ـ فحواها ومنافعها

عند افتتاح القرن الحادى عشر عمت خرافة الدنيا المسيحية وأغرقتها فى عميق هيجانها واعتقد عموم العالم المسيحى من سوء فهمهم تفسير الجملة المذكورة فى الاصحاح العشرين من كتاب الاخبار ان نهاية الدنيا فرغت ولم يبق على يوم الحساب الا قليل وانتشر هذا الهول العظيم فى عموم الاقاليم وازدحمت الكنائس بالنادمين على ما فرطوا من الذنوب وحيث انها صغيرة جدا ولا تسع هذه الازدحامات الكثيرة صار توسيع المعابد القديمة وأنشئت معابد أخرى جديدة وعمرت الكنائس بالاموال والمنافع خصوصا على أرباب الديانة بقصد أن يكفروا عنهم ما اكتسبوه من الاثم والكبائر فى هذه الدنيا ويفعلوا الخير والاحسان فى الآخرة لجذب القسس أنفسهم مع العقل من هذه الحالة وشعورها وشوهدت أوروبا فى السنين الباقية من القرن معمورة بكنائس ومعابد عظيمة رحبة صار الشروع فى تشييدها مباشرة بعد حصول أسباب هذا الفزع الكبير ولما استهلت سنة ألف وواحد من التاريخ المسيحى ورافت الدنيا بما كان فيها من هولها ابتدأ الناس فى التنهد بحرية وصمموا فى أنفسهم على اجراء ما يلزم من

الخير

الخير والعمل المبرور وللآخرة ثم ان الأحمال العالية للعالم المسيحي التي كانت أعماقها غزيرة الاحساس جدا هبطت مرة واحدة بغتة وسار العالم في طرق جديدة وان احياء العمارات التي صار تشييدها مع السرعة العجيبة لم يكن الغرض الاصلي منها هذه الاعمال فقط بل شوهد أن نتيجة استمرار التحمل والمكابدة من النوع الانساني عند طلوع شمس أول صباح من القرن الحادي عشر قوة محركة تنحصر فيها أفكاره في جميع جهات البحث فابتدأ الناس في تغيير ما يختص بمسائل الاعتقاد القديم بعوائد أفكار واستقصاآت وبهذا استيقظت عقول النوع البشري وأخذت في الازدياد حتى وصلت الى الحالة التمدنية الموجودة عليها الآن وحقيقة فان التقدمات البشرية سارت سيرا بطيأ الى أن وصلت الى قليل منها الا أنها أخذت في البدء

ثم ان زيارة الارض المقدسة كان له مزية عظيمة في الديانة الرومانية فشرعت قوافل الزوار في الرحيل الى الارض المقدسة مع تحمل المشاق والازدحام حال السجود والدعاء في المراكز المقدسة التي جاس فيها المسيح عيسى عليه السلام مدة سياحته في الارض وكان أخذ أورشليم وخراب القبر الشريف وانتهاك حرمته بواسطة الحاكم بأمر الله خليفة مصر في المدة الاولى من القرن فأرسل رجفة من الغضب على عموم أوروبا وجعل في أفكار الناس النهوض والقيام لتخليص المدينة المقدسة من يد المسلمين وفي سنة ١٠٧٦ ب م فتح الاتراك السلجوقية أورشليم وعامل خلفاء العرب المحلات المقدسة بالاحترام وحموا قوافل الزوار وفوهم بما أن زيارة هؤلاء الاغراب يحصل منها منافع تجارية عظيمة للمسلمين ثم ان الاتراك افتتحوا سياسة جديدة وأغمضوا فيها وتغافلوا عما يحصل للمسيحيين فانتهكوا حرمة المحلات المقدسة وأفسدوها وسبوا الرهبان وظلموهم بجورهم عليهم وكذا الزوار والحجاج الذين ملؤا أوروبا بقصص عنائهم وما هو حاصل لهم من الآلام ثم ان جريجوري السابع تصور قصد اجتماع العالم المسيحي ضد المسلمين وطردهم من فلسطين الا أن ضرورة حربه مع هنري الرابع ملك جرمانيا ألجأته لطول الزمن أو الفكر في هذا التصور وفي هذا الوقت كانت مكابدات المسيحيين وآلامهم تزداد شيأ فشيأ سنويا ومع ذلك كان تعداد الزوار يأخذ في الازدياد على الدوام

وفي سنة ١٠٩٤ ب م توجه زاهد فقير من أميانس يسمى بطرس الناسك متمسك جدا في دينه متوسط الحالة لزيارة أورشليم فقامت عليه قيامة الغضب مما شاهد ما عليه اخوانه من الشدائد المحيطة بهم من أيادي المسلمين فعاد بجوابات من بطريق الجريق الموجود في أورشليم الى البابا عربان الثاني يستغيث به وبكامل العالم المسيحي في خلاصهم وخلاص القبر الشريف من ظالميهم ثم ان البابا تعضد بالبرنس (بوموند) أمير (طارنطو) بن (روبرت غيسكورد) وأعطى جوابا محسنا بالمساعدة للبطريق ورأى في طلب الحرب المقدس فرصة في اقامة حكومته على حكومة عدوه البابا كليمنت الثاني الذي صار توليته بواسطة امبراطور جرمانيا وكان بوموند في غاية التلهف لاكتساب السلطة والثروة لنفسه ولاعوانه من فتح فلسطين وتجاسر بطرس الناسك في أن يخطب للصليب أو الحرب المقدس في عموم فرانسا وايطاليا وصار يذهب من مدينة الى مدينة حاكيا مع الفصاحة المغضبة حكاية انتهاك حرمة قبر المسيح وفساد المسيحيين الشرقيين وصار عرض هذا المقصد في الابتداء بواسطة البابا الى مجلسي (بياسنزه - وكليرمونت) وصار تقويته بحضور نائب مرسل من طرف امبراطور الجريق اليكسيس يحرض برنسات أوروبا على حمل السلاح لاجل المدافعة عن اخر حصن النصرانية في آسيا

فتحرك مجلس كليرمونت تحركا كبيرا وكان ذلك من رجة اغاثة بطرس الناسك التي جذبت اليه البابا حتى صادق عليه فكان جواب المجلس مع علو الشماخة والحماسة للبابا أن قال بصوت واحد «ان الله يرغب ذلك ان الله يرغب ذلك» وهي جملة بواسطتها نادى البابا بالحرب الصليبي ثم صار اعلان الحرب المقدس مع التحقيق بواسطة هذا المجلس وشرعوا في الاستعدادات اللازمة للبدء في هذا الحرب

ونذر ألوف من الناس من سائر الدرجات وسائر الاعمار في كافة أنحاء أوروبا أن يحاربوا من أجل القبر الشريف وعقدوا على أذرعهم صلبانا حمرا وفاء بنذرهم وتركت المحاربات الخصوصية وأجهد الشريف والعامي نفسه في خلاص القبر الشريف من يد المسلمين حتى ان العباد رموا مسابحهم وحملوا السلاح وباع الاشراف قصورهم وأملاكهم ليستحصلوا على نقود يسلحون بها أنفسهم وحشمهم وينفقون الباقي فيما يختص بتكاليف الحرب وأعتقوا الرقيق على شرط أخذ الصليب حتى ان اللصوص وقطاع البحر تركوا صنعتهم المهينة والتحقوا بالحرب المقدس بقصد غفران جرائمهم بأدائهم الخدمات في فلسطين واليهود الذين كانوا يتطرون بالعداوة الطبيعية للمسيحيين تركوا مع رداءتهم في كل جهة مدة هذه الاعمال لكن أهل المدائن الموجودة على نهر الرين أغاروا عليهم وذبحوهم مع عدم الرأفة فأجبر الامبراطور هنري الرابع على أن يجعلهم تحت حمايته نظرا لحقوق معيشتهم المهينة

وقد أحصى مؤرخو تلك الازمان عدد الانفس الذين صاروا تحت الصليب الى ستة ملايين من رجال ونساء وصغار جميعهم كانوا متشوقين الى السفر وفي ١٥ أغسطس سنة ١٠٩٦ سافر مقدار عدده ٦٠,٠٠٠ نفس من حدود فرانسا تحت قيادة الشجاع والطير المفلس وكان عديم البصيرة في العسكرية وبعد ذلك بقليل سافر بطرس الناسك مع مقدار ٤٠,٠٠٠ نفس أيضا ثم بعده سافر ٢٠٠,٠٠٠ أيضا من غير قائد معلوم فكانوا بغير قواد ولادلالة معلومة لهم وليس عندهم انتظام ولا طعام ولا ما يحتاجون اليه من أي صنف وكانوا ينتظرون أن مطالبهم تجلب اليهم بطريق الوحي من السماء ولما عرفوا أنهم أخطؤا فيما فعلوه عزموا على أن يعيشوا في البلاد التي مروا منها فجلبوا لانفسهم عداوة أهالي البلاد فسقطوا عليهم وهشموا سيرهم وقتلوا منهم كثيرا وما فعلوه من الكبائر والفظائع هيج عداوتهم في كل جهة ولم يبق من هذا الجيش الجرار الا شرذمة قليلة سافرت وعبرت مع المشقة حدود المجر ووصلوا الى القسطنطينية ولم يزل عددهم كافيا حتى أخذ قليلا بلبال الامبراطور اليكسيس فتلقاهم مع الترحاب فردوا ترحابه باعمال كثيرة الفظائع في القسطنطينية وما حولها الا أنه حصل له السرور التام لما رآهم جميعا مع السلامة خلف البوسفور ومع أنهم يجهلون الطريق الموصل الى فلسطين غرقوا من حيث لا يعلمون في داخل آسيا الصغرى وعدموا في سهول نيس بواسطة سلطان الترك ومكثت عظامهم عدة سنين آكاما دالة على محل ابادتهم ولم يبتدئ الجيش الحقيقي للصليبيين في الشروع في سيره لحد فصل خريف سنة ١٠٩٦ وانقسم هذا الجيش الى أربعة قولات من أجل سهولة الغذاء والمواد اللازمة فكان الجيش الاول تحت قيادة جودفرى حاكم بويلون ودوق اللورين الاسفل وهو عبارة عن فرسان دوقيته وفرسان الجهة الشمالية الشرقية لفرانسا فسار هذا الجيش من وسط جرمانيا وهنكاريا وبلغاريا حتى وصل القسطنطينية وكان الجيش الثاني تحت قيادة رعوند كونت طولوز أشجع برنس في جنوب فرانسا وسار هذا الجيش من وسط لومبرديا الى رأس البحر الادرياطيقي ثم من وسط دلماطيا وسلاقونيا الى القسطنطينية وكان

الجيش الثالث تحت قيادة بوموند فعبر البحر الادرياطيق وسار من هنالك الى القسطنطينية وكان الجيش الرابع تحت قيادة هوغ صاحب فرمندواز وأخو ملك فرانسا وروبرت حاكم نورمندى ابن غيليوم الفاتح وروبرت حاكم فلندره واصطفان حاكم بلواز وشارطرس وسار من ايطاليا بعد أن بارك البابا لهم فى طريقهم فأهملوا التحفظ على وسائط النقل ووصلوا الى القسطنطينية فى أقبح الاحوال بعد تسعة أشهر من الوقت المحدد

ثم ان وصول مثل هذه الجيوش الكثيفة القوية فى القسطنطينية أرعب اليكسيس وأزعجه ولم يتطر فى شأن ذلك الاجواب الاغاثة لمساعدته فنع مع براعة عقله اجتماع اثنين من هذه الجيوش مع بعضهما أمام القسطنطينية وأعجلهم على عبور البوسفور الى بثينيا وفى فصل ربيع سنة ١٠٩٧ اجتمعوا فى عددهم البالغ مقداره ١٠٠,٠٠٠ مع كثير من الحجاج التابعين لهم وكان أول حركة أجروها حصار نيس عاصمة مملكة رووام التركية وأخذوها وكان وقوعها فى ٢٠ يونيه سنة ١٠٩٧ فأعلن الامبراطور اليكسيس مع المهارة واستلم هذه المدينة أشبه بملك للمملكة ولما ساروا فى داخل فريجيا هزموا الترك فى ٤ يوليه بالقرب من دوريليوم ثم ان (طنكريد وبالدوين) أخا جودفرى صارا رسالهما مقدمة مع الخيالة فأخذ طنكريد طرسوس وجاء بعده بالدوين راغبا سلبها فاسخا للمعاهدة التى عملها طنكريد مع السكان فحصل بين القائدين مخاصمة فسكن القواد الاخر ما كان عند طنكريد من الحماقة وأما بالدوين فانه غضب وسحب أعوانه وتوجه لمساعدة الجبار الجريقى الحاكم فى إدسا الذى كان متضررا من كونه سلطانا خراجيا للترك فقبل بالدوين مثل ابنه الا أن بالدوين لم يقبل ذلك وأسرع عند قبول دخوله فى المدينة وقتل أباه المتبنى له وقبض على التخت لنفسه ثم ان بالدوين فتح أقساما من ارمينية وميز وبوتامية وأضافها لمملكته وبهذا أسس أول مملكة مسيحية فى آسيا

وكان الظفر الثانى للصليبيين هو فتح أنطاكيا التى صار التغلب عليها بعد سبعة أشهر من حصارها ومكثت قلعتها محفوظة الا انها انجبرت على التسليم بعد وقد تقدم جيش تركى قوى لخلاص أنطاكيا فصار تشتيته فى ٢٨ يونيه سنة ١٠٩٨ وقد انتهز الفرصة خليفة مصر وقت هزيمة الاتراك لكى يجعل نفسه سلطان أورشليم وفلسطين وسعى فى فتح مخابرات ودية مع الصليبيين الا ان الجواب كان مع غاية الكلاحة والغضب لانهم يعرفون أنه لا فرق بين الاتراك والعرب وأن كل مسلم يطلب سلطنة أورشليم فهو عدو لهم

وفى صيف سنة ١٠٩٩ وصل جيش الصليب أمام أورشليم بعد أن استحوذ على فلسطين الشمالية والوسطى حال سيره وبمجرد وصولهم الى مرأى المدينة المقدسة سكبوا عبرات السرور والتوبة وقامت فيهم الحماسة وقام العرضى الكبير البالغ عدده تقريبا نحو من ٩٠٠,٠٠٠ نفس الذين تركوا مواطنهم فى أوروبا ولم يبق الا ٤٠,٠٠٠ نفس ومات الباقى فى الوقائع أو من الجروح التى حصلت فيهم أو من الامراض والاسراف فى الموبقات ثم هجم هذا الجيش عنوة على أورشليم فى ١٥ يوليه بعد أن حاصرها أربعين يوما وفتحوها وقتلوا من المسلمين فيها نحوا من سبعين ألفا حتى صارت الفرسان فى نواحى جامع عمر (هيكل أريا القديم) خائضة فى دم يبلغ ركب خيولهم واستمر الذبح سبعة أيام ولما تذكر الصليبيون انهم جاؤا زوارا غسلوا الدم من أيديهم وتوجهوا مكشوفى الرؤس حافين للدعاء عند القبر الشريف

ومكث الصليبيون ثمانية أيام بعد فتحهم أورشليم ينتخبون جودفري أعظم وأعقل قوادهم ليكون ملك أورشليم فرفض جودفري أن يلبس تاجا من الذهب في مدينة فيها المخلص عيسى فتتوج بالشوك على رأسه واستحسن لقب الادب وهو محافظ وبارون القبر الشريف ونظمت قوانين مدنية تسمى قوانين أورشليم صار تجهيزها بواسطة أرباب الذكا من الصليبيين وسنوا قانونا للمملكة وبعد مضى أسابيع قليلة انهزم سلطان مصر الذى سار لخلاص أورشليم بالكلية بواسطة الجيش المسيحي تحت قيادة جودفري بالقرب من عسقلان وهذه النصرة أقامت المملكة المسيحية مدة من الزمن ولما رأى معظم الصليبيين أنهم وفوا بنذرهم في كشف القبر الشريف رجعوا الى أوروبا وتركوا جودفري مع ٣٠٠ خيال و ٢٠٠٠ مشاة لاجل محافظة فلسطين فكان موقع جودفري من أكبر المواقع الخطرة وكانت مملكته عبارة عن أورشليم ويافا ونحو من عشرين قرية وكفرة من القرى المحيطة باورشليم ولم يزل للعرب في هذا الاقليم معاقل وحصون منيعة

وكانت المملكة التى شيدها الصليبيون في فلسطين هى مطلق تشييد فكانت فرنساوية اللغة والشرائع والعوائد ومات جودفري في سنة ١١٠٠ بعد الميلاد بعد تتويجه بسنة واحدة ثم خلفه أخوه بالدوين وكان قبيح السلوك في كل شئ وبواسطة فتوحات متعاقبة امتدت حدود المملكة اللاتينية من الجهة الشرقية الى الفرات ومن الجهة الجنوبية الى الحدود المصرية وانقسمت المملكة الى أربعة اقطاعات كبيرة بارونية وهى طرابلس وغليله وقيسرية ونصارى ويافا وعسقلان ولم يبق للمسلمين من جميع فتوحاتهم الشامية الاحمص وحماة ودمشق وحلب

وكان موقع المملكة المسيحية بين الجماهير الواسعة للمسلمين القاطنين في الدنيا الشرقية أحد المواقع الخطرة في كل وقت وجميع القوة العسكرية للمملكة لا تزيد عن ١١٠٠٠ مقاتل فمن السعادة ظهر في أورشليم صنفان من الحربية عينوا أنفسهم لان يكونوا حصن المملكة ومحافظيها وملؤا أوروبا بصيت أعمالهم وفي سنة ١١٢١ أضاف رهبان القديس يوحنا الذين كانوا ناذرين أنفسهم للوظائف الديانية ومداواة المرضى الى نذرهم نذرا آخر وهو رباط أنفسهم لحماية القبر الشريف وأطلق عليهم اسم فرسان القديس يوحنا في أورشليم وعرفوا على العموم باسم فرسان الشفاء فجاء الاشراف والبرنسات من سائر جهات أوروبا الى أورشليم لدرج أنفسهم في صفوف هذا الصنف وفي مسافة قليلة من الزمن اجتمع معهم نحو من ٢٨٠٠٠ من المزارعين وأرباب العقارات من الجهات المختلفة لاوروبا وصار لهم مقدرة على تنظيم قوة من الخيالة والمشاة لاجل المحافظة على الارض المقدسة وأما الصنف الآخر فكانوا أرباب الهيكل أو فرسان الهيكل وسموا بهذا الاسم لانهم كانوا متوطنين ببناء ما يلزم بناؤه من حواشى الهيكل وابتدؤا في أحوالهم بطريقة خشوعية الا انهم أظهروا أنفسهم بمجد شجاعتهم حتى انهم جمعوا اليهم جموعا من البيوت العالية في أوروبا وازداد على وجه السرعة عددهم وثروتهم وأفيضت عليهم أملاك عالية المقدار في كل مملكة في أوروبا وصاروا أقوى صنف في العسكرية من العالم المسيحي ومانت أيام فقرهم عندما حصل لكل من الاثنين فرسان الشفاء وفرسان الهيكل النجاح والسعادة فصاروا من المفسدين وانفضحت الدنيا بواسطة فساد هؤلاء العساكر المسيحيين وأزعج امتيازهم وتسلط قوتهم اتحاد الكنيسة والمملكة وصار السلم العام عرضة للاخطار من غيرة مسابقتهم ومناظرتهم وكانوا في المدة العظمى لفجورهم وفساد آدابهم لا يخشون قبح سلوكهم

وماهم

وماهم عليه من العار ونسوا ماندروا من بذل أنفسهم واستعدادهم للموت فى خدمة المسيح
وفى أواسط القرن ابتدأ الاتراك أن يبرؤا من الضعف الذى فصلهم عن بعضهم وجزأهم أقساما وان
يستردوا الاراضى التى فقدوها ففى سنة ١١٤٦ فتحوا ادسا بعد أن حاصروها خمسة وعشرين يوما
وأخذوا من اللاتينيين جميع ما فتحوه وراء الفرات وبهذا صار الحد الشرقى لفلسطين عرضة للغارات
الاسلامية وانتشرت الارعابات المزعجة فى أوروبا بخصوص سلامة المملكة اللاتينية ثم ان أمر
المسيحيين فى فلسطين حرض مع البيان فى أوروبا بواسطة سنت برنارد راهب كليروكس وفاز فى
تحريض الامبراطور كونراد الثالث ولويز السابع ملك فرانسا وملوك بولندو بوهيمية على الدخول تحت
السلاح من أجل حماية الارض المقدسة ودخل جميع الطوائف تحت الصليب مع الحماسة والحمية
وكثير من الناس تركوا بلادهم والتحقوا بالحرب الثانى الصليبى وكانوا فوق نصف مليون من المحاربين
غير كثير من الاتباع والحشم من نساء وأطفال ورهبان ولما تم تركيب الجيش وترتيبه ساروا من أوروبا
الى فلسطين

ثم ان الامبراطور (منويل كومنوس) الجالس فى وقتها على التخت البزانطيومى أخبر مع الارتعاب
بقرب هذا الجيش الكثيف فعزم مع البرنس والاهالى على ابادة الزوار وايصال الضرر والتعدى
عليهم بأى حيلة كانت وأما الملوك الغربيون فانهم تعاقدوا على مرور سلمى وحصول علامات السرور
والفرح لاخوانهم المسيحيين الا أن كل حالة من هذه الاحوال كانت مفسوخة بخدائع الجور
والتعدى فبدل أن يقابلوهم مقابلة الضيوف ويحترموهم قفلوا ابواب المدائن الموجودة فى أوروبا
وآسيا وسدوا أبوابها فى وجوه الصليبيين وكانوا ينزلون لهم زهيد الطعام فى سبتات من أسوار المدائن
وكانوا يسمون العيش بمخلوط الطباشير وأجزاء أخر مهلكة وكان سيرهم فى أى حالة حاصلا به الاذى
من عدم معرفة الطريق وأمر الحكام سرا بالتحفظ على المعابر وكسر القناطر والجسور الموجودة على
الانهر اللازم عبورهم من فوقها فالذين هربوا صار سلبهم أو قتلهم وصارت الخيول تضرب بالنشاب
والحراب من الغابات من أيادى غير مرئية وأحرق المرض أكبادهم وعلقت الجثث الميتة على مشانق
فى طول الطريق السلطانى وهذه المضار والحالات المؤذية أغاظت الحامين للصليب الذين لم يحصل
عندهم من الصبر الانجيلى شئ ولما رأى البرنسات البزانطية عدم مساواة المبارزة حرضوا على سرعة
تعدية هذه الجيوش الكبيرة فعبر الجرمانيون البوسفور أولا واما كونراد فلم ينتظر حضور الفرنساوية
وأخذ نصف القوى الجرمانية وسلك الطريق الى قونيه وأما النصف الآخر فسار تحت قيادة
الاسقف أوطو وأسقف فريسنغين فى طريق افسوس فضل الامبراطور فى طريقه بواسطة خديعة
الادلاء الجريقية ودخل فى جبال قبدوسيا المشحونة بالاتراك فقام عليه الاتراك من كل جهة
وانجبر على تقهقر مهول مهلك بعد أن خسر الجزء الاعظم من عساكره ولاقت الفرقة التى كانت
مع أوطو مثل ذلك أيضا ولما أنذر لويز ملك فرانسا بعاقبة الجرمانيين وما حصل لهم سار فى طريق
فيلادلفيا وازمير فألزمته قلة المؤنة على أن يتجه الى أفسوس وكان فيها الامبراطور كونراد الذى كان
مرافقاله فتركه وذهب الى القسطنطينية ومنها استعار بعض سفائن جريقية وجعل زيارته
الى فلسطين من البحر ثم ان لويز استمر فى سيره ونال نصرة على الاتراك عند عبوره نهر ميندر
الا أنه بعد ذلك بقليل هجم الاتراك عليه وهزموه فى المعبر الضيق للجبل الموجودين فريجيا

وبصيد يافتقهقر مع غاية الصعوبة على المحافظة حتى وصل الى ميناصطاليا المصادقة له وكان يوجد فيها مراكب تكفى للملك ولفرسانه فقط فأخذها ونزل فيها وأقلع الى فلسطين وترك ازدحام العوام البيادة يهلكون تحت ذيول جبال بفيليا ثم تقابل لويز وكونراد مع بعضهما فى فلسطين بجمع ما بقى من جيوشهما بالقوى المسيحية فى سوريا وعملا اجرا آت غير مثمرة فى أخذ دمشق ولما خابا فى عمل أى شئ رجع الملكان الى أوروبا وبهذا انتهى الحرب الثانى الصليبى

واكتسبت المملكة اللاتينية طول استمرار وجودها مدة وجود العداوة التى حصلت بين الاتراك والعرب فى خلال هذه المدة وحصلت أعمال جديدة عقب خيبة الحرب الثانى الصليبى وذلك أنه فى سنة ١١٧١ صار خلع الخليفة الفاطمى فى مصر بواسطة نائب نور الدين السلطان التركى فى دمشق الذى كان تابعا للخليفة العباسى فى بغداد وعين نور الدين صلاح الدين وهو أمير شاب باسل وابن أخى فاتح مصر أشبه بنائب عنه فى تلك المملكة ثم ان صلاح الدين بجودة سجاياه وخضوع نفسه ضم الجيش لنفسه وشوهد فيه العصيان ضد السلطان ولما مات نور الدين تخلص صلاح الدين من طاعته وتمكن من ان يجعل نفسه سلطان مصر وسوريا ولما شيد حكومته على هذه البلاد أغار على المملكة المسيحية فى فلسطين فى سنة ١١٨٧ فهزم الجيش المسيحى فى واقعة شديدة مكثت يومين بالقرب من بحيرة طبرية وأخذ (جوبى اللوسيفنانى) آخر ملك مسيحى فى أورشليم أسيرا مع الرئيس الكبير للهياكلية وكثير من أشراف الفرسان المسيحية ومقدارهم ٢٣٠ نفس ثبتوا على دينهم حتى قتلوا ووقعت طبرية وعكا ويافا وقيصرية فى يد صلاح الدين من نتائج هذه النصرة وحفظت مدينة صور نفسها وأما أورشليم فانها سلمت بعد امتداد مدافعة متقطعة وصار طرد اللاتينيين والفرنج من المدينة المقدسة وجامع عمر والذى كان قد حول الى كنيسة مسيحية فتطهر ثانيا بلا اله الا الله محمد رسول الله

ثم تساقطت الاخبار على أوروبا مثل الصواعق باخذ أورشليم فتقلد الصليب ملوك جرمانيا وفرانسا وانكلتره وصقلية مع زهرة فرسان هذه الممالك وكان الامبراطور فريدريق بربار وسه أول من شد الرحال الى فلسطين فأخبر بما حصل من عاقبة كونراد فتجنب القسطنطينية وعبر الهلسبون وسار مباشرة الى قونيه ففتحها وكانت عاصمة تلك المملكة الا أنه غرق فى سيدنوس وبعد ان لاقى شدائد المصاعب والخسارات ولم يبق من عساكره الا العشر وصل الى عكا ليشترك فى حصارها وهنا أحزان وآلام الجرمانيين كانت عظيمة حتى ان بعض العساكر من رعيان ولوبيك رتبوا اشفاخانه حربية وحبسوا أنفسهم لخدمة اخوانهم سيئى البخت الذين يقعون فى الامراض مع اختلاف أنواعها ونظمهم دوق صوابيه فى انتظام جديد وأعطاهم اسم الفرسان الطوطونيقية واقترنوا بالوظائف المحترمة المختصة بنذر الشفاء وأرباب الهيكل وعاهدوا أنفسهم على مداواة المرضى ومحافظة المحلات المقدسة وفى توالى الازمان صارت الفرسان الطوطونيقية أحد أصناف القواد العسكرية فى أوروبا وحصار عكا التى هى أهم الامور لكونها أوفق وأحصن مينا بحرية لفلسطين بخصوص المواصلات مع أوروبا كان هو أول مشروع مهم صار الاتفاق عليه بواسطة المسيحيين ورغما عما كان موجودا من القوى المحاصرة فان الحصار تأخر حتى حضر ريشارد الاول ملك انكلتره وفيليب أغسطس ملك فرانسا مع جيوشهما فصب ريشارد حياة جديدة على الحصار

وفى يوليه سنة ١١٩١ أخذت عكا بالهجوم عنوة فغرز دوق أوستريا بيرقه فى جهة بيارق فرانسا وانكلتره على أسوار المدينة المفتوحة فأخذه ريشارد بيده وغرزه فى الخندق ثم ان ليوبولد دوق أوستريا ترك هذه الوقاحة مع الغيظ الشديد الا أنه أخذ بثاره وضبط ملك انكلتره وقت عوده الى بلاده من أوستريا ورماه فى سجن قبيح وحصل من نتائج ريشارد أن قامت أنفة الكبرياء والعظمة فى نفسه أشبه بكونه شجاع الحرب الا انها أكسبته عداوة الملوك الاخر وقامت الحمية فى رأس فيليب ملك فرانسا وأخذته الغيرة من انتشار صيت عدوه أوخصمه الانكليزى وترك الصليب وعاد الى بلاده وكان أقسم فى الابتداء قسما مؤكدا على انه لايكون سببا فى أذية تصل الى ريشارد مدة غياب ريشارد المذكور فى فلسطين وترك مقدارا وافرا من جيشه فى فلسطين تحت قيادة دوق بورغندى تحت سلطة ملك الانكليز وقد ذكرنا نقض يمينه بواسطة فيليب وسير أعمال يوحنا فى القبض على تخت انكلتره فى تاريخ انكلتره ولما وصلت هذه الاخبار الى ريشارد فى فلسطين أخذ فى الاهتمام فى اعادة تحصين يافا وعسقلان وغزة ثانيا وبقى حتى تم العمل الذى كان شرع فى اجرائه بيده مثل عسكرى معتاد ولما كملت هذه الاشغال تقدم الجيش المسيحى نحو أورشليم وعسكر على مرأى من المدينة المقدسة التى كانت محفوظة بواسطة صلاح الدين مع قوة قوية ورفض دوق بورغندى إما من حزمه أو خديعة عنده الالتحاق بالهجوم على أورشليم الذى أمر باجرائه ريشارد فاضطر الملك الى الانسحاب الى الساحل بعد ان ظهر جبن حالفيه وصار انتخاب كونراد حاكم مونتفيرات ملك أورشليم وأحسن ريشارد بجزيرة قبرس على (جويلوسيغنان) تعويضا له عن ضياع لقبه الفارغ وكان ملك الانكليز فتح هذه الجزيرة وأخذها من امبراطورها الجريق فى طريقه على فلسطين ومات كونراد قبل أن يتتوج بتاج أورشليم وخلفه الكونت هنرى شامبانيه فى شرفه السالب وبعد خلاص يافا التى كانت على شرف السقوط فى يد صلاح الدين رأى ريشارد أنه لايمكن تمام فعل أى شئ مع محالفين فاترى الهمة فعقد هدنة ثلاث سنوات وثمانية أشهر مع صلاح الدين وعاد راجعا الى انكلتره فى سنة ١١٩٢ فضبطه فى طريق سفره دوق أوستريا وقد ذكرنا حوادث أسره وخلاصه فى تاريخ انكلتره

وفى مدة أسر ريشارد فى جرمانيا مات صلاح الدين فى فلسطين سنة ١١٩٣ وصار أولاده الثلاثة سلاطين حلب ودمشق ومصر الا أن القسم الاعظم من مملكته الشامية انتقل ليد أخيه صفاء الدين فشرع البرنسات الجرمانية والاساقفة فى الاغارة عليه فى سنة ١١٩٧ وهزموه هزيمة شديدة بين صور وصيدا وأخذوا منه مدنا كثيرة وأطلقوا ٩٠٠٠ من أسرى المسيحيين وقد وصلت أخبار موت الامبراطور مباشرة بعد هذه النصرة فعاد الجرمانيون فى الحال الى أوروبا فانتهز صفاء الدين الفرصة عند انسحابهم واسترد يافا وقتل كامل أهاليها بالسيف

وفى سنة ١٢٠٠ أعلن البابا أنوسنت الثالث حرب صليب رابعا ورتب ضريبة من النقود على جميع المسيحيين لمصاريف الحرب وسمح للذين لايمكنهم الالتحاق بجيش الصليب ان يسفروا بدلا عن أنفسهم بدفع مبالغ فانسكب فى خزينة القديس بطرس مبالغ كثيرة من النقود وانعقد مجلس من بارونات فرانسا فى سواسون لعمل وتنظيم الترتيبات اللازمة للحرب وأجمعوا آراءهم على أن يكون السفر الى سوريا من طريق البحر ولاجل الاستحصال على السفن اللازمة لذلك عملت معاهدة

مع جمهورية فينيزه بان الصليبين اتفقوا أن يدفعوا مبلغاوافرا فى مقابلة خدمة الاسطول الفنيز بانى وأن يقاسموا الجمهورية بالمكافأة التى تؤخذ مدة الحرب فاجتمع الصليبيون فى فينيزه سنة ١٢٠٢ وقرروا أن يدفعوا كامل المبلغ المطلوب للجمهورية نظير خدمة الاسطول وسمحت لهم معاهدة البنادقة باستخدام الاسطول مدة طويلة على شرط أن يفتحوا اظاره وهى مدينة على ساحل دلماطيا كانت عصت على فينيزه وانضمت الى ملك المجر وقد تمموا ذلك كما ذكرنا فى محل آخر وبينما كانوا مشتتين فى ظاره دعاهم لاغاثته البرنس الشاب الجريقى (اليكسيس أنجلوس) ابن الامبراطور المخلوع امبراطور القسطنطينية لمساعدته فى استرداد تخته فوعدوا اليكسيس بهذه المساعدة وان يصرف القسم الاعظم من مصاريف حرب الصليب وأن يساعدهم بجيشه فنع البابا هذا السفر لان ذلك ليس من خصائص الغزوة لكن الصليبيون صمموا على مساعدة اليكسيس وأقلعوا بمراكبهم الى القسطنطينية وفتحوا المدينة وبهذا انقلب الحرب الرابع الصليبى الى فتح القسطنطينية على يد اللاتينيين وتشييد مملكة لاتينية على اطلال المملكة القديمة الجريقية وقد ذكرنا حوادث هذا المشروع فى مواضع أخر ولا احتياج لاعادته هنا ثم ان نجاح اللاتينيين أرهب صفاء الدين فتيسر له الحصول على عقد هدنة مدة ست سنوات متوالية

وفى سنة ١٢١١ سافرت غزوة الى فلسطين من حدود جرمانيا عبارة عن نحو ٩٠,٠٠٠ ولد تحت قيادة ولد وهؤلاء الصغار اعتقدوا أن المحاربين المسيحيين خابوا فى فتح الارض المقدسة بسبب ماهم عليه من الكبائر وان المظفرات صارت باقية محفوظة للضعفاء والبرآء من الذنوب ولما وصلوا جنوة وجدوا سيرهم تعطل بواسطة البحر الذى ما كانوا سمعوا به أبدا فأخذ بعضهم سفنا وساروا فى البحر فوثب عليهم قرصان المسلمين وأخذوهم وبعضهم رحل نحو ايطاليا فهلكوا من التعب والجوع ولم يرجع أحد منهم الى وطنه أو يطأ بقدمه رمال فلسطين

وفى سنة ١٢١٦ أعلن انوسنت الثالث الحرب الخامس الصليبى وقاد المسيحيين اندريو الثانى ملك هنكاريا وكان جيشه مركبا من فرسان ورجال متسلحة من كافة أنحاء أوروبا فلم يفعل أدنى شئ يذكر به وسافر جيش ثان جميعه من جرمانيا وبدل أن يتوجه الصليبيون الى فلسطين أقلعوا بمراكبهم الى مصر فتغلبوا على دمياط الا أن أعمالهم كانت جارية مع غاية القباحة حتى ان سلطان مصر ألجأهم رغم أنفهم الى التسليم ثم إن السلطان أعطى طعاما للذين بقوا من الجيش المسيحى ورخص لهم فى التوجه الى الشام

وفى سنة ١٢٢٧ سافر الى سوريا الامبراطور فريدريق الثانى الذى كان حرمه البابا من شركة الكنيسة بسبب تأخره عن اللحوق بالحرب الصليبى وصار لا يمكنه أن يتمم فعل شئ بواسطة القوة السلاحية نظرا لكراهة حزب البابا له فجبر سلطان مصر على كونه يتنازل عن مدينة أورشليم وعدة مدائن أخر للمسيحيين ثم ان حوادث اقامة فريدريق فى فلسطين قد تقدم ذكرها وعند عوده الى أوروبا نقض المسلمون الهدنة ورجع ثانيا كل ما فعله فريدريق الى ما كان عليه قبل

ثم ان البابا أعلن الحرب السادس الصليبى فى سنة ١٢٣٤ وكان المقصد الاصلى للبابا هو أن يملأ صناديقه بالنقود التى تصل اليه من المسيحيين ورأى أن ذلك خير له من مساعدة مسيحى سوريا ولما عزم ريشارد الانكليزى وارل كورنوال وكثير من أشراف تلك البلاد على أخذ الصليب والسفر الى

فلسطين

فلسطين اجتهد البابا فى ايقاف مشروعهم والتحق الانكليز بالجيش الفرنساوى فى فلسطين تحت قيادة ملك نفاره وأرغم أهل الصليب سلطان مصر بمجرد ظهورقوتهم على أن يرد عليهم القسم الاعظم من فلسطين فأعادوا أسوار أورشليم وتطلفوا الكنائس وأصلحوها وبعد مضى قليل من السنين امتلأت فلسطين من قبائل التترار الخورسانية وأخذوا أورشليم وقتلوا كثيرا من أهلها بالسيف وانهزم الهيا كلية وأرباب الشفاء وقتل رؤساؤهم وصار عدد هؤلاء الصنفين قليلا جدا فى الشرق

وكان الحرب السابع الصليبى تحت قيادة لويز التاسع ملك فرانسا فصحب إخوته الثلاثة وهم (كونت انجو - وارطواز - وبواطيير) وفرسان فرانسا وأقلع عرا كبه الى قبرس وقضى فيها فصل الشتاء وفى ربيع سنة ١٢٤٩ سافر الى مصر وفيها تغلب على دمياط وعند سيره الى القاهرة انهزم شرهزيمة فى واقعة المنصورة وألجئ الى تقهقر مهول مشحون بالمصائب على أم رأسه كانت نتيجته تسليم نفسه مع كامل أشرافه ومقدار ٢٠,٠٠٠ من عساكره وقرر رأى السلطان على إطلاقه بشرط أن يدفع مليون بيزانطى ذهب الا أنه رضى لما رأى من خصال لويز العظيمة بأن يدفع ٢٠٠,٠٠٠ بيزانطى مع اختياره لذلك وصار مشترى خلاص الملك بتسليم دمياط وعملت هدنة لمدة عشر سنوات بين لويز والسلطان ثم ان لويز سافر الى فلسطين وأقام بها مدة أربع سنوات طويلة يبحث على ادخال حكومة عظيمة فى تلك البلاد وحرم من زيارة أورشليم مع عزمه لكونه لاقدرة له على أخذها وموت أمه الملكة النائبة عنه فى المملكة دعاه الى العود ثانيا الى فرانسا فى سنة ١٢٥٣ وبعد سفره اشتعلت حرب بين التجار المسيحيين الاعداء لبعضهم وعلى الخصوص صنف الحربية وحصلت وقائع متعددة بين أرباب الشفاء وأرباب الهيكل ولم يبق انسان من صنف أرباب الهيكل على قيد الحياة وانحسم هذا الشقاق القبيح بواسطة غزو فلسطين وسوريا بواسطة المماليك وأخذوا يافا وجميع المدن المشهورة واجبرت انطاكيه على التسليم وأسر من أهلها نحو من ١٠٠,٠٠٠ نفس

ثم ان أخبار فتح انطاكية بواسطة المسلمين حرض لويز التاسع ملك فرانسا والبرنس أدواردا الانكليزى وأرباب الشجاعة إرل بامبرول وارل وارويك الانكليزيين على أن يدخلوا تحت حرب صليبى انكليزى ثم ان لويز لسبب عظيم أبداه تحول عزمه من جهة فلسطين الى الاغارة على تونس فى أفريقية وكان أخوه شارلس انجو فى هذا الوقت ملك صقلية فكان من غير شك هو المحرض لحركته الى تلك الجهة حيث انه يرغب ان يسترد له شمال أفريقية الذى كان خراجيا فى سالف الازمان للمملكة النابولطانية وأخذ قرطاجنة ونهبها غير أنه وقعت مصيبة الوباء فى العسكر الفرنساوى ومات كثير من الصليبيين ومن ضمنهم الملك الطيب لويز واحد أولاده أغسطس فى سنة ١٢٧٠ وأما البرنس ادواردا الانكليزى فانه وصل الى فلسطين فى فصل الربيع التالى وجمع حوله جميع القوى اللاتينية فأخذوا الناصرة وبعد أن انتصر انتصارا عظيما على الاتراك تحابروا فى عقد هدنة لمدة عشر سنوات مع سلطان مصر ولما مات هنرى الثالث ملك انكلتره فى نوفبر سنة ١٢٧٢ اجبر ادوارد على العود الى بلاده ثانيا

ثم ان الفظائع التى حصلت من المسيحيين ضد المسلمين فسخت الهدنة بغتة وبرز السلطان الى ميدان المحاربات بعسكر جرار قوى وعزم على أن يهدم شوكة المملكة اللاتينية بالكلية من الشرق فأخذ معاقل المسيحيين واحدة بعد الاخرى ومن بقى من اللاتينيين دخلوا فى مدينة عكا وأغلقوها

عليهم وفى أثناء هذه المدة حصلت حوادث فظيعة على الكثرة وكان أسباب ذلك ما حصل من القبائح والارتكابات التى جناها المدافعون المسيحيون مع الفضيحة والعار وفى سنة ١٢٩١ أغار خليل سلطان مصر على المدينة بجيش مقداره ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وبعد مدافعة مدتها ثلاثة وثلاثون يوما هجم عليها مرة واحدة وأخذها بالقوة والاقتدار وقتل وباع بصفة الرقيق من أهلها نحو من ستين ألف نفس ولم ينج من أهلها الا قليل هربوا ونجوا بأنفسهم فى مراكب كانت فى المدينة وراحوا الى قبرس وأعقب ضياع عكا جميع فلسطين فانها انتقلت جميعها الى أيادى الاتراك وأزيلت بامر السلطان جميع الاستحكامات المنشأة على المدائن اللاتينية ولم تزل أسباب الامسالك أو الخوف فاتحة القبر الشريف لبعض الزوار الذين لا قدرة لهم على المدافعة وحصل نوح وصمت عظيم فى طول الساحل الذى كان مزدحما بالمشاغبات التنافسية للدنيا

وبهذه الصورة تعطلت الاجتهادات والمساعى التى مكثت مدة طويلة تتدرج فيها الامراء والبرنسات وتسبب عنها مصاريف مجحفة من أموال المسيحيين ودمائهم ومن المعلوم أن مثل هذه الحركة لا يمكن أن تكون بغير حصول تأثيرات على أوروبا وهذه التأثيرات جعلت للحروب الصليبية أهمية عظيمة فى التاريخ وأول هذه النتائج هو اجتماع أمم لا حصر لعددها تحت سبب واحد واتحادها مع بعضها وان الاجناس الاوروباوية تواردت لمعرفة بعضها بعضا وحصلت بينها مجارى المحبة والوداد ودخلت فيهم احساسات عظيمة وتصورات كبيرة وكان جميع ذلك هو تكاليف الحرب المقدس وضرورة حفظ ثبات المواصلات مع المسيحيين فى سوريا وفلسطين نتج منه الانتظام والتقدم فى اتساع نطاق التجارة بين أوروبا وآسيا ودخل الصين والهند وفارس فى المعاملات التجارية مع الدنيا الغربية وأرسلت أشياء من المشغولات الظريفة الشرقية الى أوروبا واخترعت أشياء جديدة لازمة للحياة الدنيا واتسعت طرق التجارة وسبلها وكثير من التجار من أقصى الشرق جاؤا الى بازارات مدائن أوروبا والسواحون الاوروباويون وكذا تجار أوروبا أخذوا القصص العظيمة للدنيا القديمة وغرائبها ودخلت صنائع اسيا ولغاتها فى أوروبا وأظهرت علامات التأثير على آداب وتمدن تلك القارة ثم ان الشجاعة والفروسية ولو أنهما أقدم بكثير من الحروب الصليبية الا أن القوة المحركة لمعظم دواعيها كانت من هذه الحروب وكانت من النواتج القانونية للاقطاعات والتنظيمات الا أن الحروب الصليبية أمدتها ونشرتها وألبستها مجدا كبيرا ما كانت وصلت اليه فى الدنيا الغربية وكان من خصوصياتها تعليم وتهذيب المحاربين فى ميادينها وما يجب من تيسير الحصول عليها للمحاربين وان تغرس فيهم خواص الاحساسات الشريفة والاشواق الزائدة التى تجعلهم فوق الموازنات المعتادة للفلاحين من الناس وقواعدها الاصلية احترام المقامات العالية واحترام وصيانة النساء

والشبان معدة لتلقى حرفة السلاح وفى هذه الطائفة يجب أن نحصر كامل أشراف ونجباء أوروبا الذين كانوا يتهذبون فيها ويتعلمون تحت أعين أساتذتهم الملتزمين أو بعض من المحاربين المتمرنين وكان الشاب من سبع سنوات الى أربع عشرة سنة من العمر يتعلم فى الصحف وواجباته الاصلية الالتفات والارتكان على الستات رؤساء المنزل وفى ملازمته ومواظبته على ذلك يتعلم الاطاعة والرقة والادب والاحترام الواجب اتباعه لجنس الاناث وان يتعلم أيضا فن الموسيقى وألعاب الشطرنج والديانة والاحوال اللازمة لاستعمال السيف ولبس الزروخ الخفيفة وان يكون العشق عنده والحب

عند مواجبا ومن الحقوق وان يكون متقوى من الاصل على انتخاب احدى الستات ذات الجمال البارع ويجعلها أصلا لخضوعه فى العشق يفشى لها جميع مايسره و يشرح خاطره ويتعلم من أجل صيانتها وحفظها مايؤديه الى اهلاك نفسه من أجلها وقال هلام محبة الله والنساء هو الواجب الفريد للسرور والتمتع فمن كان صديقا حقا للنساء تمسك بالسلامة الحقيقية فى أصول دين منزله أو قصره

واذا بلغ من العمر أربع عشرة سنة فانه ينتقل من جمعية الستات الى جمعية الفرسان والرجال الذين يحملون السلاح و يجب عليه ملازمة أستاذه الذى يسمح له فى العادة باختياره و ينتظر لاوامره فى القصر وفى المعسكر و ينظف سلاحه و يتحفظ مع الاعتناء على لباسه الحربى و يلبس سلاحه و يخاصم منه و يتوجه الى الواقعة من جهة ناحيته ليعطيه ملابس جديدة حربية اذا اقتضت الحالة ذلك وأن يساعده بمساع واجتهادات شخصه عندما يرى مضايقته و يستديم فى هذا الموقع حتى يبلغ من العمر احدى وعشرين سنة واذا استحق الشرف أو كان اكتسبه فى صدمات ميادين الحروب فيتقدم الى رتبة أو درجة فارس والله أعلم و بغيبه أحكم

الكتاب الرابع والعشرون

تاريخ المملكة التركية

الباب الاول

من ابتداء تأسيس المملكة الى الايام الحاضره

موت قبلاى خان ــ تشييد أورطغرول المملكة العثمانية التركية ــ فتح الترك بثينيا ــ مساعدة أورخان للامبراطور قنطاقوظين الجريقى ــ وضع الترك قدمهم فى أوروبا ــ تغلبهم على تراسة ــ مراد الاول ــ جعله ادرنه عاصمة له ــ الينكجرية ــ بايزيد الاول وتلقيبه باسم سلطان ــ عزمه على فتح بلاد المجر أو هنكاريا ــ حصار القسطنطينية ــ تيمورلنك ــ فتوحاته ــ هزيمته بايزيد ــ مملكته ــ محمد الاول وصيرورته سلطانا ــ محمد الثانى وفتح القسطنطينية ــ صيرورتها عاصمة المملكة ــ فتح الجريس ــ سليم الاول ــ فتوحاته ــ سليمان الاول ــ أخذه بلغراد ــ فتح رودس ــ حروب مع فينيزه ــ واقعة ليبانطو ــ خراب الدونمة التركية فى البحر الابيض المتوسط ــ حروب مع امبراطورات جرمانيا ــ حصار فيانه ــ خلاصها بواسطة يوحنا صوبسكى ــ صلح كارلويطز ــ التنازل عن أذوف للروسيا ــ رجوعها ثانية ــ صلح بسارويطز ــ حروب مع الروسيا ــ كاترينه الكبرى ــ تغلب الروسيا على القرم ــ نجاح عصاة صربيه ــ عجز المملكة التركية ــ عصيان الجريق ــ تحقيق استقلالية الجريق ــ عصيان مصر ــ فصل أحوالها ــ حرب القرم ــ عصيان كريد ــ زيارة السلطان باريس ولونده ــ عقد معاهدة باريس ــ الثورة فى هرسك ــ اعسار الترك

وافلاسهم ـ عبد الحميد الثانى ـ حرب هرسك ـ اجتهادات الدول الاوروباوية فى توطيد الامن والنظام ـ مذبحة البلغاريين ـ اعلان صربية والجبل الاسود الحرب ضد الترك ـ تداخل روسيا ـ المجلس الدولى ـ القانون الاساسى ـ خيبة المجلس الدولى ـ صلابة رأى الترك ـ الصلح مع صربيه ـ البروتوقول ـ صرف الترك النظر عنه

انتهت مملكة قوبلاى خان الشاسعة بموته ومن ضمن الرؤساء الكثيرة الذين قامت شوكتهم على اطلالها كان أورطغرول وهو قائد تركى وتمم عثمان ابنه الشغل الذى كان ابتدأ فيه أبوه ولما فتح قطعة من نيقوميديا شيد عاصمته فى بروسه وأسس مملكة الاتراك العثمانية الذين أخذوا أسماءهم منه وانتهز الفرصة ابنه أورخان وقت حصول الحرب بين الاكبر والاصغر اندرونيقوس وفتح بثينيا ومد مملكته الى الهلسبون ولما دخل الامبراطور رقنطاقوظين فى حربه من أجل التخت طلب المساعدة من الاتراك حتى انه أعطى ابنته بطريق الزواج الى أورخان وصار ارسال سليمان بن أورخان الى أوروبا فى رأس ١٠,٠٠٠ خيال لمساعدة (قنطاقوظين) فى حربه الاخير مع (يوحنا باليولغوس) وبهذا جعل للترك قدم فى أوروبا لم يتركوه من بعدها أبدا وكانت (الخرصونيصوس) فى الهدو والراحة فامتلأت سريعا بمستعمرة تركية وانتقلت قلاع تراسة الى أيادى الاتراك الذين رفضوا تسليمها الى ديوان بزانطين فى سنة ١٣٥٣ ب م

ثم ان مراد الاول ابن أورخان وأخا سليمان جلس على التخت فى سنة ١٣٦٠ ففتح جميع تراسة وجعل أدرنة عاصمة مملكته وامتدت مملكته الى مسافة قليلة من القسطنطينية وكان له مقدرة على فتح عاصمة المملكة الجريقية الا انه رأى ان الاحسن له تأخير هذا الفتح لمدة ما ووجه عساكره على (بلغاريا ـ وصربية ـ وبوسنة ـ والبانيا ـ والسلاويون) وهى الامم القاطنة فى الاقليم الموجود بين الدانوب والبحر الادرياتيق وأخضعها جميعها ثم ان مرادا اختار من أسراء المسيحيين الذين أسرهم فى وقائعه الشبان الاقوياء ذوى الجمال الباهر وهذبهم لخصوص خدمته فعرفوا بالينكجرية وتربوا من ابتداء صغرهم فى الديانة المحمدية وعاملهم السلطان بالشفقة والخبر العميم فكانوا زهرة الجيش التركى وكانوا معتبرين انهم أقوى وأعظم عساكر الدنيا على الاطلاق ومات مراد من جرح حصل له فى واقعة سنة ١٣٨٩ فخلفه ابنه (بايزيد الاول) الملقب بيلدرم أو الصاعقة فوطد الامن الدائم فى المواصلات بين ممالكه فى أوروبا وآسيا بوضعه اسطولا من المراكب الحربية فى بوغاز كليبولى وبهذا الاسطول صار له قدرة على حكومة الهلسبون وحجز الغزوات المرسلة من غرب أوروبا بالخلاص القسطنطينية وكان اسلاف بايزيد ملقبين بلقب أمير الا انه هو أثبت لنفسه لقب سلطان وملأ أوروبا بالخوف الشديد وعمل استعدادات عظيمة لفتح بلاد المجر (هنكاريا) فارسلت جميع أوروبا الغربية مساعدات لهنكاريا وكان سبب ذلك الديانة المسيحية الا ان بايزيد أوقع هزيمة شديدة فى نيقوبولى سنة ١٣٩٦ على الجيش الاتحادى وكان مقداره ١٠٠,٠٠٠ من المسيحيين تحت قيادة سيغموند ملك هنكاريا وعامل بايزيد الامبراطور الجريقى أشبه بعبد له معاملة مستدعة وقفل مملكتهم التى كانت عبارة عن قطعة أكبر من القسطنطينية وضواحيها وجعل فى جميع جهاتها ممالكه الشاسعة وكأن لم يكن فتح المدينة الا عبارة عن لمحة من الزمن وانتهز الفرصة عند موت (يوحنا باليولغوس) واشترك منويل فى

الدعوى بأن المدينة مدينته فرفض طلبه وحاصر القسطنطينية وبينما كانت المدينة على شرف الوقوع فى يديه اذ وردت عليه الاخبار بالحضور الى آسيا الملاقاة تقدمات عدو صارم جديد فخلصت القسطنطينية من حصاره لمدة طويلة

وهذا العدو الجديد كان رئيسا تركيا اسمه تيمورلنك كانت أجداده فعلت خدمات الى خانات المغول وارتقى هو فى مبادى عمره الى درجة عالية فى خدامة خلفائهم ولما بلغ عمره أربعا وثلاثين سنة أى سنة ١٣٧٠ صار أمير الظغطاى فى جهة الشرق الا انه لم يكتف بذلك وطمع فى التغلب على الدنيا وبقوة نباهته وحذاقته صار فى الثلاثين سنة التى جاءت بعد ذلك حاكم القسم الاعظم من مملكة المغول وهو انه بين سنة ١٣٧٠ الى سنة ١٤٠٠ فتح فارس وجورجستان والتتار والهند وأضاف ذلك الى ممالكه وعند تمام القرن ولو ان عمره صار أربعا وثلاثين سنة نزل من جبال جورجستان وسار لاجل فتح سوريا ومصر فكانت أخبار قربه سببا فى عود السلطان بايزيد من حصار القسطنطينية واشهاره الحرب ضد العدو الجسور الذى ما سبق للاتراك العثمانية مبارزة مثله من قبله

ثم ان الاستعدادات التى أجراها بايزيد الاول فى صد السير المظفر لتيمور لم يحصل منها ثمرة فان تيمور أخذ حلب ودمشق فى سوريا وصيرهما آكاما من الرماد وعاد من غزة وفلسطين وتغلب على أقاليم أرمينية وأناطولى واجتهد بايزيد فى ارغامه على رفع حصار انجوره فى الاناطولى الا انه انهزم فى واقعة عظيمة بالقرب من هذه المدينة وأخذ أسيرا فى ٢٨ يوليه سنة ١٤٠٢ وصار تيمور أستاذا على الاقليم الشاسع من ارطيش والقولغا الى خليج فارس ومن نهر الكنج الى دمشق والارخبيل واحتياجه الى السفن فقط هو الذى صده من حمل فتوحاته خلف الهلسبون وكان يحكم هذه المملكة الشاسعة مع الثبات والمقدرة التامة ومن الافتخار انه عند جلوسه على التخت كانت آسيا عرضة لنهب الملوك وسلب السلاب لكن فى مدة مملوكيته المظفرة كان الطفل يحمل كيسا من الذهب ويسير من غير خوف أو أذية من المشرق الى المغرب وكان أهلا لهذا الاطمئنان حتى انه من هذه الاصلاحات أخذ عفوا أو مسامحة بخصوص نصراته ولقبا العموم المملكة الا أن الدواء كان مضرا جدا زيادة عن العلة وجمع كافة الامم تحت أقدام القانون النظامى وان الاراضى التى كانت مشغولة بالمدائن اليانعة المزهرة صارت قطيعة وقبيحة المنظر بواسطة علامات ظفره التى هى أعمدة أو اهرامات من رؤس الآدميين ومات تيمور فى سنة ١٤٠٥ بينما كان يستعد لفتح الصين وتجزأت مملكته بين ذراريه

وأعقب أسر السلطان بايزيد فى الممالك التركية حربا داخليا مهولا بين أولاده الخمسة مكث من سنة ١٤٠٣ الى سنة ١٤١٣ ب م وفى آخر هذه المدة رجعت الامور جميعها الى محمد الاول واعترف له بانه السلطان العمومى فكانت الثمان سنوات سلطنته فى صلح تام وصرفها فى توطيد شوكته فى ممالكه وفى اعادة سلطنته الشريفة التى كانت الغيت بواسطة الحروبات الداخلية ثم خلفه ابنه مراد الثانى فى سنة ١٤٢١ وفى السنة التالية جدد مراد الهجوم على القسطنطينية وبعد ان حاصرها شهرين ترك حصارها وكان رجلا محبا للرفق والعدل لكل أحد من أبناء جنسه ورجح الاعتكاف فى العزلة عن حفظ المملكة فتنازل عن تخت المملكة لابنه وتوجه الى مغنيسيا

للاعتكاف بها فجره من خلاوته غز والبحر وأعطاه ابنه التاج ثانية فهزم المسيحيين فى واقعة عظيمة حصلت فى وارنة سنة ١٤٤٤ ب م وتنازل مراد عن التاج ثانيا لابنه محمد الثانى وبعد مضى بضع سنين انجبر السلطان بالنسبة لما حصل من الينكجرية من الثورة والعصيان على العود الى الحكومة مرة أخرى وكان ابنه صغيرا جدا وغير متمرن على قيادة الجيش فجلس على التخت حتى قضى نحبه فى سنة ١٤٥١ ب م

وكان عمر محمد الثانى احدى وعشرين سنة وقت موت أبيه وكان صار تهذيبه مع الاعتناء التام حتى قيل انه كان يتكلم خلاف لغة وطنه باللسان العربى والفارسى والعبرى والجريقى واللاتينى ومع هذه التربية والتهذيب كان قاسيا وحشيا غشوما الى آخر درجة ظالما ففى ابتداء فتوح سلطنته عزم على فتح القسطنطينية وابتدأ فى سنة ١٤٥٢ ب م بتحصين البوسفور ليمنع عبور الاساطيل الاوروباوية من مساعدتها العاصمة الجريقية وفى ربيع سنة ١٤٥٣ تقدم نحو القسطنطينية وأحاط بالمدينة وفتحها بعد أن حاصرها ثلاثة وخمسين يوما ودافع الامبراطور الجريقى عن عاصمته مع البسالة والهمة الزائدة الا ان القوة التركية أغرقته بفيضانها وجعلت القسطنطينية عاصمة المملكة التركية وصار معاملة الجريق بواسطة الفاتح بالعدل والاحسان وقواهم على البقاء فى المدينة ثم ان محمدا عزم على أن يعقب نصرته هذه بفتحه هنكاريا فتقدم الى بلغراد وحاصر هذه القلعة المهمة الا انه انهزم ورجع عائدا بواسطة النائب يوحنا (هو نيادس) سنة ١٤٥٦ وتكررت هذه التجهيزات مدة سلطنة محمد الا انها كانت بغير فائدة فوجه السلطان جيشه على الممالك الباقية الجريقية ففتح مورة وأضافها الى عمالكه سنة ١٤٦٠ ب م وفى السنة التالية سلمت طرابزون له وفى سنة ١٤٨١ سافرت قوة تركية عابرة البحر الادرياتيقى وأوطرنطو على ساحل ايطاليا صار أخذها وسلبها ولما أكد هذا القدم المهم فى ايطاليا استعد محمد لان يعقبه بفتح كامل بحيث الجزيرة الا أنه فى خلال الارهاب العام الذى تسبب عن حركته فى أوروبا جميعها مات وخلفه ابنه بايزيد الثانى ولم يكن فاتحا مثل أبيه واضمحلت المملكة الاسلامية تحت سلطنته بدل أن يحصل فيها التقدم والنجاح وشاهدت سلطنة بايزيد الثانى ضعف الدولة التركية وفى سنة ١٥٠١ ب م ضعفت جدا مملكتهم بواسطة تشييد مملكة فارس الاخيرة تحت سلطنة اسمعيل شاه مؤسس العائلة الصوفية وكانت أسباب هذه القسمة هو اختيار أهالى فارس المسلمين التمسكين بمذهب الشيعة وفى سنة ١٥١٢ ب م صار انتهاء سلطنة بايزيد بواسطة اجباره على التنازل عن تخت السلطنة لولده سليم الاول وهو أحد عظماء السلاطين كما انه أحد الصارمين فاشعل حروبات على مملكة فارس الجديدة وتغلب على الكوردستان ومسيزوبوتاميه (العراق) ثم بعد ذلك فتح الشام ومصر وأضافهما الى المملكة العثمانية وأرغم الخليفة العباسى الاخير بأن يسلم اليهم اللقب الشريف من ابتداء ولادة سلاطين آل عثمان ومات فى سنة ١٥٢٠ ب م وخلفه ابنه سليمان الاول فظهرت عليه علامات شهامة السلطنة زيادة عن والده وكان من أكبر السلاطين

وعزم سليمان فى السنة الاولى من سلطنته على ان يضيف هنكاريا وغرب أوروبا الى مملكته فأغار على بلاد المجر وفتح بلغراد وعددا كثيرا من قلاعها الكبيرة وظفر بفتح القسم الجنوبى من المملكة والطمسقار وبانات وأضاف ذلك الى مملكته وفى سنة ١٥٢١ فتح جزيرة رودس من فرسان

القديس يوحنا التى كانت أعطيت لهم من أيام حرب الصليب فتقهقر الفرسان من رودس الى جزيرة مالطة حيث أنعم بها عليهم الامبراطور شارلس الخامس فحصنوا ميناها الاصلية وفى سنة ١٥٢٥ قاوموا مع النجاح التام الاستعدادات التى أجراها سليمان بخصوص فتح معقلهم وفى سنة ١٥٣٥ فتح خير الدين الملقب باسم باربار وسه قائد أسطول سليمان تونس من أجله الا أن الامبراطور شارلس الخامس استردها ثانية وأوقع العذاب الشديد على الاتراك فى افريقية وأعاد تونس الى سلطنتها الاصلية ومع ما كان فيه من هذه الهزيمة تجول أسطول باربار وسه فى البحر الابيض المتوسط وأخرب سواحل ايطاليا واسبانيا وفرانسا مع غاية الانشراح وأخذ ألوفا من الاسرى من بلادهم وأرسلهم للبيع بصفة رقيق فى افريقية ومع ما كان فيه من الغيظ والحقد من أجل هذه الفظائع والقبائح عقد فرنسيس الاول ملك فرانسا معاهدة مع الاتراك بقصد ابطال مشروع شارلس الخامس وفى أثناء هذه المدة فتح سليمان الجزائر الجربقية الارخبيلية وأرسل أسطولا الى البحر الاحمر لمقاومة البورتكيز فى الهند فخسر الفنيسيانيون خسارة عظيمة بواسطة هذه الفتوحات التى أجريت فى الارخبيل بعد ان كان لهم ممالك شاسعة ونواح جامعة وفى سنة ١٥٤٢ و ١٥٤٣ خرب الاسطول التركى بالاتحاد مع الاسطول الفرنساوى الساحل الجنوبى لايطاليا وصار احراق رجيو وأخذ منها عدد عظيم من الاسرى وأرهبت رومه وتهددت ثم ان الاسطول التركى أقلع نحو مرسيليا فوجد فيها باربار وسه سوقا مقامة فعرض فيها الاسرى الذين أخذهم من ساحل كلبريا للبيع وصار تخصيص طولون لمشتى الاتراك وفى مدة تلك السنة لم يحصل من الاجتهادات والسعى الذى أجراه الاسطول التركى والفرنساوى بالاتحاد مع بعضهما على فتح نيس أدنى فائدة وبعد مضى بضع سنين حصلت منازعة بين الترك ومعاهديهم المسيحيين وقبضوا على كثير من أشراف فرانسا ما خلاصهم بعد ان دفعوا الفداء عن أنفسهم وفى مدة جميع القرن حفظت القورصانات التركية ساحل أوروبا من الخطر وفى مدة حياة سليمان ما خلت الممالك الاوروباوية أبدا من مصاعب المحاربات العمومية للاتراك ومات سليمان فى سنة ١٥٦٦ ب م ثم ان سليم الثانى خلف أباه فابتدأ فى مبادى سلطنته بعقد هدنة لمدة اثنتى عشرة سنة مع الامبراطور مكسيمليان الثانى وكان أميرا ضعيفا شهوانى النفس فاجراوو طلب طاعة الينكجرية بتفريق مبالغ جسيمة من النقود فيما بينهم وأشعل حربا لا ثمرة فيها على فارس وأرسل فى سنة ١٥٧٠ أسطولا وجيشا مركبا من ٥٠,٠٠٠ مقاتل لاجل فتح قبرس التى كانت من مدة قرن تابعة للجمهورية الفنيسيانية وفى السنة التالية تغلب على كامل الجزيرة ثم ان البابا بيوس الخامس رتب اتحادا مقدسا حصر فيه لنفسه ملك اسبانيا والجمهورية الفنيسية لاجل طرد الترك من البحر الابيض المتوسط ثم ان الاسطول التركى الذى كان أقوى وأكثر عددا من الاسطول المسيحى كانوا واقفا فى مينا البارنطو (نوبا قطوس القديمة) فهجم عليه فى الحال (الدون يوحنا) وانتصر عليه نصرة عظيمة تعد من احدى النصرات المشهورة التى ينبغى تسجيلها فخسر لذلك ٢٢٤ سفينة مع ٣٠,٠٠٠ نفس وانكسرت سلطتهم بالكلية فى البحر الابيض المتوسط ولم يشفوا من هذه الصدمة بعدها ومن ابتداء هذه الواقعة انقطع الرعب والفزع فى أوروبا وأخذت مملكتهم فى الانحطاط من ابتداء هذا الوقت ولو كان المسيحيون أعقبوا نصرتهم هذه بالشدة والعنف وان لكانوا اخلصوا

الجريس من الاتراك ومع هذا فان المشاحنات والمخاصمات التى وقعت بينهم جزأتهم أجزاء وفى السنة التالية صار للاتراك مقدرة على انشاء أسطول آخر عوام فى البحر فعقد القنيسيانيون صلحا خاصا بهم مع السلطان وسلموا فى جميع ادعا آتهم فى قبرس ومات سليم فى سنة ١٥٧٢ ب م

ثم ان السلاطين الذين جاؤا بعد سليم غرقوا فى بحور اللهو والطرب ولم يعملوا أدنى استعداد لتوسيع ممالكهم وفى سنة ١٥٩٤ عصت ملداويه وولاخيا (المملكتين) وطرنسيلوانيا على مراد الثالث وعملوا معاهدة مع الامبراطور فانزعج مراد انزعاجا كبيرا وأرسل الى دمشق لاجل جلب البيرق الشريف عسى أن يحصل له النصر تحته فمات فى سنة ١٥٩٥ وخلفه ابنه محمد الثالث فوطد خلافته بقتل تسعة عشر اخوته وفى أثناء هذه السنة هزم الجيش الاوستريانى تحت قيادة الكونت منصفلد الجيش التركى فى عدة وقائع وفى سنة ١٥٩٦ خرج محمد الى ميدان الحرب بنفسه وفى ظرف ثلاثة أيام من الوقائع فى خريستوا أوقع هزيمة مهولة على المسيحيين فقدوا فيها ٥٠,٠٠٠ نفس ومائة قطعة من المدافع وامتد الحرب الى ينايرسنة ١٦٠٧ الا أن الترك أهملوا فى اقتطاف فوائد نصرتهم العظيمة ولم يكتسبوا شيأ من الفخر الدائم بواسطة الحرب

ثم ان صلح سيتوا تورك فى سنة ١٦٠٧ الذى كان خاتمة الحرب بين الترك والمملكة ظهر منه انحطاط عظيم فى الزعم التركى وابتدأت شوكتهم فى الاضمحلال وفى سنة ١٦١٨ خلف عثمان الثانى أباه محمد الثالث على كرسى السلطنة فشرع فى الاستعداد لفتح بولنده فخيبته المشؤمة حرضت الينكجرية على قتله فى اخر سنة ١٦٢٢ وكان عمره ثمان عشرة سنة فقط عند موت أبيه وأخذوا عمه مصطفى من السجن وأجلسوه على التخت ثم صار خلعه فى عين السنة المذكورة وأجلسوا مرادا الرابع الاخ الاصغر لعثمان وفى سنة ١٦٤٥ ب م اجتهد السلطان فى فتح جزيرة كريد التى كانت الى هذا الوقت تحت ادارة الجمهورية القنيسيانية وانتهى الحرب بالتغلب على هذه الجزيرة سنة ١٦٦٩ ولم تتم المنازعات بخصوص التغلب عليها من مدة نحو مائتى سنة الى الآن

وفى سنة ١٦٤٩ جلس محمد الرابع على الكرسى وفى سنة ١٦٦٣ ابتدأ حرب جديد مع أوستريا وانقفل بمعاهدة (وسوار) فى أغسطس سنة ١٦٦٤ وتنازل الترك عن جميع فتوحاتهم فى هنكاريا ودفعوا ٢٠٠,٠٠٠ فلورينو للامبراطور وفى سنة ١٦٨٣ كانت هدنة وسوار على نهاية آخر مدتها تقريبا فأرسل محمد جيشا تحت قيادة قره مصطفى لمساعدة الثورة الهنكارية وصار حصار فيانه الا أنه صار خلاصها بواسطة جيوش الملك يوحنا سوبسكى ودوق اللورين فانهزم الترك شر هزيمة وطردوا من أوستريا وهنكاريا واستمر دوق اللورين فى الحرب مع شهامة كبيرة وفى ظرف ثلاث سنوات استرد جميع (هنكاريا ــ وترنسيلوانيا ــ وسلاوونيا) للمملكة ثم ان حدوث الكسرات والانهزامات التى حصلت فى الجيش التركى أحدث ثورة فى القسطنطينية فى سنة ١٦٨٧ فخلعوا السلطان وزجوه فى الحبس واستخلفوا بدله أخاه سليمان الثانى وخلف هذا الامير مصطفى الثانى فى سنة ١٦٩٦ واستمر الحرب مع أوستريا وبولنده على ما كان عليه مع نصرات مختلفة الى سنة ١٦٩٩ وفى سنة ١٦٨٤ التحق القنيسيانيون بالامبراطور ضد الاتراك وفتحوا كامل بولوبونيزه (موره) وفى هذا الحرب الهيكل الظريف البارثنيونى الموجود فى أثينه الذى كان المسيحيون حولوه الى كنيسة

نحوله

لحوله الترك الى مخزن بارود وصار هباء منثورا من فرقعة البارود الذى كان مخزونا فيه وفى سنة ١٦٩٩ انتهت الحرب بواسطة صلح عقد فى (كرلوويطز) وفى هذه المعاهدة تنازل الترك لاوستريا عن جميع الاراضى التى كانت لهم فى هنكاريا وطرنسيلوانيا وسلاوونيا وقسم من خروانيا وأخذت فينس موره وعدة قلاع فى دلماطيا وجزيرة سنت مورا وايجناوا كتسبت (بولنده أوكرين - وپودوليا - وقنيق)

وبعد معاهدة (كرلوويطز) تردد السلطان مدة ثلاث سنوات قبل أن يدخل فى اتفاق مع الروسيا عما أنه مشتوق من غير شك لقبول ما عرضته له تلك الدولة فى أن يكون لها اسكلة على البحر الاسود وفتح أو أخذ أذوف بواسطة الروسيا صيره يستجيل عليه صدهم عن المجىء على البحر الاسود وفى يوليه سنة ١٧٠٢ خضع جبرا عنه للقوة التى لا تغلب وتنازل عن اذوف ومنطقة طولها ثمانون ميلا من الساحل للروسيا فوضع بطرس الاكبر فى الحال الاشغال فى اذوف وجعلها أحصن قلعة فى قلاع أوروبا

وفى هذا القرن ضعفت قوة الدولة التركية وتوقيف خراج أولاد النصرانية الذى كان يجمعه الينكجرية حرم السلطان من التفات وخضوع عبيده اليه وانحرمت الجيوش التركية من التمتع بدلالة قواد كبيرة وضباط مدربين لهم وأخذت الامم الخاضعة فى التقدم فى القوة كما أخذت الترك فى التقهقر والضعف وقد ظهر لكل مطلع على أحوالهم أنهم لا يمكن ان يبقوا تحت هذه التبعة مدة طويلة من الزمن

ورغبة الروسيا فى استحصالهم على الساحل الشمالى للبحر الاسود واغتصاب أراضيهم الاوروباوية من الترك جعل للترك حروبات لابد منها وانه من ابتداء هذا الوقت أرغمت نفسها على بقاء حياة وجودها بالسيف وبينما كان شارلس الثانى عشر فى تركية أغار بطرس الاكبر فجأة على الاراضى التركية حتى آن له أوان خرابها وكان سروره الوحيد هو عمل معاهدة بواسطتها يستلم أذوف ويدخلها فى ممالكه من غير حصول خسارات وكان ذلك فى سنة ١٧١١ بعد الميلاد

وبعد عقد صلح أوطر يخت مباشرة أعلن السلطان أحمد الثالث الحرب فى سنة ١٧١٥ على الفنيسيانيين وأخذ موره والامبراطور شارلس السادس أعلن الحرب على الترك بقصد تنفيذ شروط الصلح المنعقد فى (كرلوويطز) وهزم قائده البرنس أوجينى الجيش التركى فى (بطر وارن) ووضع الحصار على بلغراد فورد جيش لاجل خلاص هذه القلعة فهزمه أوجينى وانجبرت بلغراد على التسليم فى سنة ١٧١٧ وانقفل الحرب بصلح انعقد فى (بسارو ويطز) فى سنة ١٧١٨ وسلم الترك بلغراد وبنات طمسفار الى الامبراطور وبقيت موره ثم اشتعل حرب جديد بين روسيا وتركية فى سنة ١٧٣٦ واستمر الى سنة ١٧٣٩ فاشتركت فيه أوستريا أشبه بحليفة للروسيا بعد سنة ١٧٣٧ وعند تمام الحرب صار التنازل لتركية عن بلغراد وصباطش وصربيه الاوستريانية الان الروسيا الذين أعادوا أذوف ثانية ضبطوها واحكموا موقعها وفى هذه المعاهدة المعروفة بصلح بلغراد اتفقت روسيا على ان لا يكون لها أسطول فى البحر الاسود وفى ابتداء الحرب مات محمود الاول الذى كان استخلف على الكرسى العثمانى فى سنة ١٧٣٠ وجلس على كرسى السلطنة السلطان مصطفى الثالث فى سنة ١٧٣٧ بم وفى سنة ١٧٦٩ مدة سلطنة مصطفى الثالث فى تركية

وكاترينه فى روسيا تسبب عن الاعمال فى بوانده اشتعال حرب الترك مع الروسيا وكان ابتداء الحرب فى فصل الربيع سنة ١٧٦٩ فانهزمت القوى الروسية شر هزيمة وطردوا الى وراء نهر الدانستر وفى سنة ١٧٧٠ أقلع أسطول روسى من بحر بلطيق الى البحر الابيض المتوسط ودخل فى بحر الارخبيل فانهزم الاسطول التركى عند ابيدروس وانهزم مرة ثانية فى خيو وأحرق فى مينا أزمير وقامت جريق موره مستغيثة بالروسيا ورغبت هذه الدولة تشييد المملكة الجريقية واستقلالها أشبه بفرع لتركية الا انه بمجرد انسحاب القوى الروسية دخل جيش تركى مقداره ٣٠,٠٠٠ مقاتل فى موره وهزم الجريق فى واقعة مودون وعاقب عصاته بأشد القساوة وفى أثناء ذلك استرجع الترك ملداو ياوولاخيا ثم ان البرنس رومتروف تولى قيادة الجيش الروسى فى سنة ١٧٧٠ فهزم الجيش التركى فى واقعة عظيمة بالقرب من مصب نهر البروس وفتح ولاخيا وملداو يا ثانية ثم يضاف الى ما فى تركية من الاختلالات والاضطرابات قيام مصر وسوريا ضدها واستمر الحرب على ماهو عليه سجالا بين الدولتين الا ان الخسائر كانت أكثر فى تركية الى شهر يوليه سنة ١٧٧٤ بم وانتهى بمعاهدة (كوچك قينارجى) وسنذكران شاء الله شروط هذه المعاهدة فى تاريخ الروسيا ومات مصطفى الثالث فى سنة ١٧٧٤ وخلفه أخوه الاصغر (عبد الحميد) فامتدت سلطنته الى سنة ١٧٨٩ ثم خلفه ابن أخيه (سليم الثالث) ابن مصطفى وامتدت سلطنته الى آخر القرن

وفى سنة ١٧٨٧ اشتعل حرب بين تركية وروسيا وسنذكر أيضا وقائعه فى تاريخ روسيا فهزمت تركية بغير ثبات فى هذا الحرب وخرب أسطولها وأخذت قلاعها وانقفل الحرب بصلح عقد فى مدينة ياسى فى ينار سنة ١٧٩٢ ثم استعدت روسيا لان تتغلب على القرم فجعلت الحدود بين المملكتين بموجب هذه المعاهدة نهر الدانستر والاراضى التى استحوذت عليها الروسيا فقدت من تركية وصارت لا تعود اليها أبد الآبدين ومابقى من القرن كان خاليا من الحوادث والوقائع فى تاريخ تركية الا أنه فى هذا الوقت صار غزو مصر وسوريا بالجنود الفرنساوية تحت قيادة نابليون بونابارتو وقد سبق أننا عبرنا عن ذلك فى تاريخ مصر ثم ان الدولة التركية صارت فى انحطاط زائد عند افتتاح القرن التاسع عشر وشرع كثير من الامم التابعة لها مسلمين ومسيحيين فى التخلى عن طاعة السلطان وتشييد استقلالهم حتى انه فى سنة ١٨٠٦ عصت صربية تحت قيادة (ظرنى جورج) فصار استردادها فى سنة ١٨١٣ وعصت ثانيا فى سنة ١٨١٥ تحت قيادة (ميلوشن أوبرويطز) وكذا عصى الجبل الاسود والى حرب القرم كان هاتان المملكتان متمتعين فى حالة استقلالية وكذا مصر نفرت نفور اقويا وفى سنة ١٨٠٩ انفجر حرب مع الروسيا كانت نتائجه خسائر تركية فى أراضيها وانقفل بصلح عقد فى بخاريست وفى هذه المعاهدة تنازل السلطان الى الروسيا عن (بسارابيا - واسماعيل - وكيليا - وثلث ملداويا - وقلعتى - قوطزيم - وبندر)

وفى سنة ١٨٠٧ مات سليم الثالث وخلفه محمود الثانى فاستمرت الدولة التركية تحت سلطنته فى الضعف وصار سكان المملكة التركية فى أوروبا نحو ١٤,٠٠٠,٠٠ نفوس منها ٢,٠٠٠,٠٠٠ أتراك والباقى مسيحيون وهم عبارة عن أربعة أجناس ممتازة قاطنة فى تركية أوروبا وهى السلاونيانيون وهم سكان بلغاريا وصربيه وبوسنه وهرسك والجبل الاسود

والرومانيون

والرومانيون وهم سكان ملداو ياو ولاخيا والالبانيون وهم سكان ايبروس القديمة والجريق ثم ان الجريق لم يقبلوا أبدا باختيارهم سلطة تركية عليهم والبعض منهم لم ينقادوا أبدا الطاعة السلطان بل صاروا أشبه بمتوحشين قاطنين في الجبال فرقا مختلفة ولو أن الجريق متصلون مع الروسيا بعقدة قوية وهي اشتراك الديانة الا أن هذه الدولة رفضت أن تعمل لهم أي عمل تعود منه حريتهم عليهم حتى ان اسكندر الاول قابل اغاثتهم واعانتهم على الاتراك ظالميهم مع غاية البرود وبهذا القول لايمكن للجريق أن تعصى طاعة مالكهم الشرعي .

ومع مافيه من هذا الارتخاء عزمت الجريق على خلع طاعة الترك وفي مارث سنة ١٨٢١ كانت الصدمة الاولى وهو ان سكان البحث جزيرة وسكان الجزائر قاموا في عصيان عام ولما وصلت أخبار العصيان الى القسطنطينية حصلت مذبحة عامة في سكان العاصمة الجريقيين واشتعل الحرب في سنة ١٨٢١ واكتسبت القوى الوطنية عدة نصرات من ضمنها تغلبهم على العاصمة التركية في موره وفي ينايرسنة ١٨٢٢ انعقد مجلس وطني في ايبدروس وأعلن هذا المجلس استقلالية الجريس وعمل للمملكة نظاما وقتيا وتعين (اسكندر موروكور وراطي) ريس الجمعية وفي فصل ربيع هذه السنة نزل الترك على خيو وذبحوا من سكانها ٤٠٫٠٠٠ نفس وحملوا ألوفا الى أسواق الرقيق في ازمير والقسطنطينية وفي سنة ١٨٢٣ قامت حمية الاستغراب والميل من جميع أوروبا بواسطة قتل الشجاع (ماركو بوطاري) الذي هجم على المعسكر التركي بشرذمة قليلة من وطنيين صوليوط وأوقع في المعسكر الفشل والهزيمة ثم نظرت الحكومة الاوروباوية بعين باردة لهذا الحرب الجسوري الا أن الاهالي تذكرت مجد وفخر الجريس القديمة فأرسلت النقود والاسلحة والرجال ومايحتاج اليه الى محبي وطنهم ومن ضمن الذين أعدوا ماهم فيه من السعادة والشهامة لخلاص حرية الجريس كان اللورد بيرون ومات في ميسولنغي في ابريل سنة ١٨٢٤ قبل أن يتمم كثيرا مما كان شارعا فيه من أجل تحرير الجريس

ولما لم يقدر السلطان على فتح الجريس طلب محمد علي باشا نائب مصر الذي كان متمتعا بحالته الراهنة أشبه بمستقل وألزمه بتمام الشغل وهذا القائد الشديد نشر الخوف والرعب في كافة أراضي الهيلاس وأخذت ميسولنغي بعد مدافعة عظيمة وفتحت أثينه في سنة ١٨٢٥ وصدرت الاوامر للقوى المصرية بقطع دابر الجريس وخرابها وبيع سكانها في أسواق الرقيق

ومن السعادة ان اسكندر الاول ملك الروسيا مات في أثناء هذه الملاحمات وخلفه القيصر نيقولا فسار في سياسة مخالفة لسياسته فعزم على اضعاف قوة تركية امامليه مع أهل دينه أومن تشوقه لذلك وصمم على الدخول في هذه المسئلة مساعد الجريق واتحدت معه فرانسا وانكلتره بما انهم كانوا متلهفين على صدوالي مصر عن هذه الفعال الشنيعة الجارية في الحرب وأرسل هؤلاء الدول اسطولا اتحاديا بينهم الى البحر الابيض المتوسط وفي ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ تقابل هذا الاسطول تحت قيادة الاميرال الانكليزي (كودرينغطون) مع الاسطول التركي والمصري على حين غفلة في جون نفرينو ووقعت بينهم واقعة كانت نتائجها خراب الاسطول الاسلامي

وهذه النصرة أحيت أمل الجريق وفي السنة التالية أعلنت روسيا الحرب ضد تركية ولاجل وقاية الاقاليم الدانوبية وحمايتها انجبر السلطان على التوقيع على معاهدة ادرنه التي من فحوى شروطها

استقلال الجريس
وأنعم السلطان على محمد على باشا بجزيرة كريد مكافأة له على ما أجراه من خدمته فى حرب عصاة الجريس ولم يكتف محمد على باشا بهذه العطية وأرسل ابنه ابراهيم باشا وهو قائد باسل فى سنة ١٨٣١ لاجل فتح سوريا فامتلأت تلك البلاد بالقوى المصرية وتقدمت أيضا هذه القوى الى نحو آسيا الصغرى ثم صار إيقاف هذه التقدمات بواسطة تداخل روسيا وانكلترة وفرانسا التى قواهم هزمت ابراهيم باشا فى نذب على نهر الفرات وبعد مضى أيام قليلة من هذه الواقعة مات السلطان محمود وكان شوق فرانسا أن محمد على باشا يخلفه الا أن انكلترة وروسيا طردوه من عكا وسوريا وأثبتوا التخت التركى الى عبد المجيد الابن الاصغر للسلطان محمود وفى سنة ١٨٤٠ صار التوقيع على معاهدة لوندره واستردت كريد وسوريا الى الباب العالى وتحدد الى محمد على باشا مصر وبعد مضى عدة سنين من هذه الحالة صار (اللورد استراتفورد ريدكليف) السفير الانكليزى فى القسطنطينية وله نفوذ وسلطة على مجالس الباب العالى وبواسطة معاهدة لوندره صارت مصر مملكة مستقلة تقريبا ولو أنها تحت طاعة السلطان اسميا

وفى سنة ١٨٥١ ابتدأت الاختلالات والاضطرابات التى تسبب عنها حرب القرم التى ذكرناها فى موضع غير هذا وصار ختام هذا الحرب بواسطة معاهدة باريس التى صار التوقيع عليها فى سنة ١٨٥٦ بعد الميلاد واختارت تركية طريقة الممالك الاوروباوية وتكفلت بالاصلاح فى ممالكها ومنه أن صربية صار حكمها بواسطة برنس من أهلها وصارت تحت حماية الدول العظيمة ولو أنها باقية اسميا تحت طاعة السلطان وبعد مضى بضع سنين صارت ملداويا وولاخيا مملكة أيضا مثل صربية وسميت باسم رومانيا

وفى سنة ١٨٦١ مات السلطان عبد المجيد وخلفه السلطان عبد العزيز وفى سنة ١٨٦٨ اشتعلت ثورة فى جزيرة كريد ومالت الامم الاوروباوية ميلا عظيما الى ذلك وآل الامر الى حصول الحرب بين الجريس والترك الا أن الدولة التركية أخمدت هذه النيران فى السنة التالية

ثم ان محمد على باشا أنال ما حازه من ولاية مصر الى ابنه ابراهيم باشا وبواسطة سلطته العنيفة صارت مصر فى تقدم عظيم ومات فى سنة ١٨٤٨ وخلفه فى ولاية مصر عباس باشا وخلف هذا بعد موته محمد سعيد باشا وخلف هذا أيضا بعد موته اسمعيل باشا وخلف هذا بعد خلعه بواسطة الدول الاوروباوية من تخت الخديوية المصرية محمد توفيق باشا وخلف هذا من بعد موته أيضا عباس باشا حلمى وهو الوالى الآن على مصر كما ذكرنا ذلك جميعه فى تاريخ مصر

وفى سنة ١٨٦٧ زار السلطان عبد العزيز باريس ولوندره وعموم المدن المشهورة فى أوروبا وهذه أول مرة وقعت لسلطان تركى عمل سياحة سلمية خلف حدود مملكته ونتيجة الحرب الذى حصل بين فرانسا وجرمانيا سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ ميلادية جعل لتركية احتراما زائدا ثم ان معاهدة باريس التى أقفلت حرب القرم وضعت الحصر على دولة الروسيا المفترية فى حيادتها عن البحر الاسود ومخالفات فرانسا بالنسبة لغضبها من جرمانيا أضعفتها جدا حتى انها صارت لا تقدر أن تسند انكلترة فى تعضيد معاهدة باريس فانتهزت روسيا الفرصة فى هذا الوقت مع السرعة وطلبت من الدول تصليح هذه البنود من المعاهدة التى تمنعها عن تحصين مينها أو من إبقاء اسطول فى البحر

الاسود

الاسود فتصدت انكلترة لهذا الطلب مع الحدة الا أن فرانسا ما كانت على شرط هذا العمل وأما جرمانيا وأوستريا وهنكاريا فانهما أظهرا المعاضدة الحبية لطلب الروسيا وأعلنا عزمهما بعدم المعاضدة للانكليز في أي مقاومة تحصل من الانكليز في هذا الطلب وكانت نتيجة ذلك عقد مجلس من سفراء الدول في لونده وفي ١٣ فبراير سنة ١٨٧١ صار التوقيع على معاهدة من طرفهم بفسخ بنود معاهدة باريس وان الروسيا لها الحق في تحصين وحفظ ميناها حيث هي رئيسة البحر الاسود وبهذا كانت محاماة الدول العظيمة لتركية هو كونهم ألغوا هذا البند من المعاهدة وفي سنة ١٨٧٣ صار نفوذ السلطان على مصر في غاية الضعف بواسطة الاجراآت التي فعلها الخديوي بأن جعل نفسه سلطانا مستقلا وما ذكرناه في تاريخ مصر فهو كاف وفي فصل صيف سنة ١٨٧٥ هاجت سورة في هرسك وفساد الحكومة التركية وسوء تدبيرها وجور هاصيرها لاقدرة لها على اطفائها فقامت الاهالي في الثورة وقاوموا ما حصل من العساكر التركية من الهجوم وصدوهم وأخذ صربيه وبوسنه والجبل الاسود وبلغاريا الهياج الشديد بواسطة هذه الحوادث وفتحوا الميل الحبي لاخوانهم المسيحيين في اجراء الحرب معهم في هرسك وساعدهم سكان تلك البلاد بالذخائر وبقيت الحكومات في هذا الوقت على الحيادة

وفي اكتوبر سنة ١٨٧٥ عجزت تركية عن اعطاء أرباح دينها الاهلي الذي رأس ماله يبلغ ٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دلر أعني ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وصدر قرار من الباب العالي مضمونه الوعد بسرعة دفع نصف الارباح واحضار مؤنات لدفع النصف الآخر ومع هذا فلم يحصل توفية هذا الوعد وفي يوليو سنة ١٨٧٦ انجبر الباب العالي على الاعلان بتفليسه وان جميع الدفع المخصوص بالدين الاهلي يجب ايقافه لنهاية الحرب مع أقاليمه العاصية وحيث ان كل جزء من هذا الدين مخصوص ومطلوب لسكان مدائن غرب أوروبا وعلى الخصوص التبعة الانكليزية فعجز الترك فيما انجبر واعليه أضعف جدا محبيتهم التي شحنت صدور الامة الانكليزية الى هذا الوقت وفي ١٣ مايه سنة ١٨٧٦ خلع السلطان عبد العزيز الذي نسب اليه فساد الادارة ووقوع الاختلالات الكثيرة في الجهات وكان خلعه بالقوة والاقتدار ووضع في سجن في احدى سرايات القسطنطينية وفي ٤ يونيه وجد ميتا في قاعته مكتسبا خطيئة قتل نفسه

ثم ان مراد الخامس ابن عبد المجيد أعلن بسلطنته في سراية عمه فتسلطن برهة قليلة وشوهد ما عليه من الغفلة وعدم الفلاح فصار خلعه أيضا في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦ وخلفه أخوه عبد الحميد الثاني وفي أثناء ذلك كان الحرب في هرسك جاريا على ما هو عليه وفي اكتوبر سنة ١٨٧٥ أعلن السلطان بان الضرائب التي تسبب عنها ثورة الاهالي وعصيانها يجب تنزيلها من زيادة مقاديرها الى العشر وان المتأخر من الضرائب يجب الغاؤه وأن يجعل للمسيحيين امتيازو جودهم في مجالس المملكة لكن المسيحيون لم يثقوا بهذه المواعيد لما علموه من التجاريب العديدة فاستمروا في الحروب وفي اكتوبر سنة ١٨٧٥ ذبح الاتراك بعض المسيحيين الذين رجعوا من دلماطيا الى أوطانهم ثانيا فصار الحرب مهولا من نتيجة هذه الحادثة وأعطيت الاسرار الخفية الى صربية والجبل الاسود بالعصيان وأعلن أمير صربية في خطبة قالها في الجمعية الاهلية بأنه لا يمكن صربية أن تصير في الحالة التي وصلت اليها هرسك وقد خشي دول اوروبا من الاختلالات في تركية أن ينشأ منها فتن كثيرة في اشعال حروب في البلاد

والولايات الاخر وعند غلاق سنة ١٨٧٥ اتحدت جرمانيا وأوستريا وروسيا للسعى فى حفظ السلم وكانت أوستريا التى أراضيها ملاصقة للممالك التركية فى غاية الخوف الشديد من انتشار ثورة تعبر حدودها وتحل فى أقاليمها السلاونيانية فعملت مذكرة تحت اسم الثلاث دول بواسطة الكونت اندراسى الوزير الاول لاوستريا وعرضت هذه المذكرة للسلطان فى كونه يمنح التبعة المسيحية بعض نظامات وهى سيرحرية الديانة بأكملها والغا طريقة الفلاحة من العوائد وتخصيص المحصولات المستخرجة من العوائد الغير المنتظمة فى بوسنه وهرسك الى طلب الحكومة العثمانية واستعمال نتائج الضرائب المنتظمة فى اصلاح هذه الاقاليم وفى حكومتها فقبل الباب العالى جميع هذه النظامات الا أن ترتيب العوائد فى الوقت المحدد يتوقف على وضع مبلغ معلوم من الخزينة السلطانية للاحتياجات المحلية فى بوسنه وهرسك ومع ذلك لم يثق العصاة بكفالة الباب واستمر الحرب على ما كان وفى ٣٠ مارث سنة ١٨٧٦ حصلت متاركة وحصلت الاجتهادات بمساعى دولة أوستريا فى الحصول على فصل هذه المادة وكانت الشروط التى طلبها الثائرون شديدة جدا خارقة لاحوال السياسة فرفضت أوستريا قبولها ولما خابت مذكرة اندراسى عملت مذكرة خلافها فى برلين فى ١١ مايو سنة ١٨٧٦ بواسطة الوزراء الاول لدولة جرمانيا وأوستريا وروسيا وأرسلت الى القسطنطينية فصار الجواب على هذه المذكرة من حيث ان السلطان أعطى الدول كفالة لعمل النظامات المعروضة منهم فهو يعطيهم أيضا الحق فى أن يؤكد لهم وفاء وعده لهم بذلك ثم طلبت المذكرة شهرين متاركة حربية وانتهت بتهديد هو أنه اذا كان السلطان يعجز عن اتمام ما طلبه الدول يكون لهم ضرورة ارغامه على أداء الطلبات وعضدت هذه المذكرة طلبات مسيحيى هرسك بالنسبة للضرائب المرتبة عليهم ورجوع أملاكهم وهلم جرا واتفقت فرانسا وايطاليا على تعضيد المذكرة الا أن انكلترة قصرت عن فعل ذلك .

وكان الحرب جاريا فى هذا الوقت وكانت بلغاريا مشتبكة فيه وفى مبادى شهر مايو اجتهد الضباط الاتراك فى بلغاريا وعزموا على توقيف الارتباكات فى ذلك الاقليم بواسطة ابادة جميع البلغاريين المسيحيين وصار ترتيب طريقة لهذا القصد وفى الوقت المحدد صار الهجوم على جميع المسيحيين فى قراهم بواسطة الترك وذبحوا منهم مئات وسفكوا دماءهم داخلا فى ذلك الرجال والاطفال والنساء والبنات وأوقعوا الفظائع بالنساء وخربوا أملاكهم ونهبوا متاعهم وحرقوا بلادهم وطارت أخبار المذابح والقتل بالعجاج والخوف الشديد والغضب المهول فى سائر أنحاء أوروبا وظهرت من الترك أحوال قبيحة ففى انكلترة وهى المملكة التى لم تزل لحد الآن معضدة تركية انفجر فيها حدة الغضب وشرع الناس فيها فى الكلام وابرازما عندهم من حدة الغضب على أن الحكومة يلزم أن تترك معاضدة السلطان وتجرى ما فيه الميل والاتحاد مع الدول الاوروباوية

وكانت نتيجة ذلك بعد المذابح مباشرة هو اشتراك صربية ودخولها فى الحرب وفى يوليه سنة ١٨٧٦ أعلنت صربية والجبل الاسود با الحرب على تركية وعزم الجيش الصربى على غزو بلغاريا الا أن البرنس ميلان نجح فى مساعيه وذلك أنه فى ٢٤ أغسطس قبل ما أشارت به عليه انكلترة فى التوسط بينه وبين السلطان وكان الجبل الاسود ناجحا فى مساعيه الا أنه بالنظر لاحوال صربية رضى بعمل المعاهدة الصلحية وفى أول سبتمبر عرضت انكلترة متاركة حربية مقدارها شهرين بين المتحاربين فرفض السلطان قبولها وقال انه يريد الصلح بنفسه الا أنه يرغب فى أن البرنس ميلان يلزم حضوره الى

القسطنطينية

القسطنطينية و يقدم خضوعه له وأن العساكر التركية المحافظين يجب وضعهم فى أربع قلاع من القلاع الصربية وأن صربية يجب أن تدفع غرامة حربية جزاء لها على مافعلت وانه يجب أن يرخص للباب العالى فى انشاء سكة حديدية تمر من وسط أراضيها فرفضت الدول الترخيص مع المجادلة فى هذه الشروط وعرضت بريطانيا الكبرى مخابرة أشبه بقاعدة أساسية وهى أن كلا من بوسنه و بلغاريا تحكم نفسها بنفسها من غير أن يكونا حرين من تبعة الباب العالى فرفض الاميرميلان قبول هذا الاعراض واستمر الحرب ثانيا وتجهزت الجيوش التركية لغزو الاراضى الصربية فصار صدها بتداخل روسيا

ولحد هذا الوقت كانت جميع أشغال حكومة الروسيا تحفظية ثم عزمت على دخولها واشتراكها فى عمل مذكرات سياسية وعرضها على تركية ثم دخل كثير من الضباط الروسية والعساكر فى الجيش الصربى باذن القيصر وشجعوا الجيش الصربى فى التمسك ضد تركية لحد ٣١ اقطوبر عند ماصار أخذ مدينة الكسيناج الحصينة بواسطة العساكر التركية وهذه النصرة جعلت صربية فى موقع تحت رأفة الترك وفى هذا الوقت أرسلت أوامر من طرف الروسيا السفيرها فى لونده ليعرض للحكومة الانكليزية أنه مجبور على استعمال القوة لتوقيف الحرب وخراب الدولة التركية المفسدة فقال اللورد دربى ان انكلترة مستعدة للاتحاد مع الروسيا فى حصول متاركة لاتكون أقل من شهر الا أنه لايصير التعاضد بواسطة القوى المسلحة فى الدخول فى أعمال تركية ثم ان تركية مع ماعليه جميع الدول عملت متاركة حربية مدتها ستة أشهر وشرعت فى نظامات لعموم مملكتها ثم ان انكلترة و روسيا وفرانسا استصوبوا المتاركة الحربية الا أن روسيا قالت انه لايمكنها أن تسأل صربية فى قبول متاركة طويلة بهذه المشابة ولا يمكنها أن تبقى جيشها على قدم الحرب هذه المدة الطويلة وصار هذا القول معضدا بايطاليا وطلبت روسيا متاركة مدتها أربعة أسابيع أوستة فضايق القوى التركية الحصار على الكسيناج بغاية الشهامة وما كان لهذه المدينة قدرة على الحصار مدة طويلة فطلب (الجنرال اغناتيف) سفير الروسيا فى القسطنطينية بناء على ماصدر له من دولته من الباب العالى متاركة ثمانية وأربعين ساعة فقط فصار قبول هذا الطلب فى ٣١ اقطوبر وفى هذا اليوم أخذ الترك الكسيناج وأعلنت بالمتاركة

ثم ان الروسيا وان عزمت على معاضدة صربية ضد تركية الا أن رغبتها الاصلية بقاء ارتباطها الحبى مع الدول الاخر الاوروباوية وفى ٢ نوفمبر دخل اللورد (أدولفوس لوفطوس) فى محادثة مع القيصر فى ليفاديا فتكفل له القيصر بكلمته المقدسة وشرفه أنه لم يكن له بغية فى حلول القسطنطينية ولم يكن عنده أدنى ضرورة تجبره على احتلال أى قطعة من بلغاريا الا موقتا حتى يحصل الامن والراحة للاهالى المسيحية ومن هذه المخابرات راقت خواطر الحكومة الانكليزية وسعت فى عقد مجلس عام من جميع نواب الدول الاوروباوية وسفرائها فى القسطنطينية وفى ٤ نوفمبر تعين المركيز سالسبورى النائب عن الحكومة الانكليزية وصار قبول ماصار عرضه الا أن الدول لم ترسل نوابا مخصوصين فأما جرمانيا وروسيا وايطاليا فانهما اكتفت بسفرائها فى القسطنطينية وأما أوستريا وفرانسا فانهما تبعا الحكومة الانكليزية وأرسلا سفراء مخصوصين ليكونوا فى المجلس

وقبل اجتماع المجلس قال الارل (بيكونسفيلد دزرائيلى) قولا صعبا يذم فيه الروسيا و يندد عليها

فيماهى عليه من الهيئة والصورة وختم كلامه بألفاظ سامية وهى مادامت السياسة الانكليزية فى سلم واطمئنان لايجوز لدولة من الدول الاستعداد لحرب وفى اليوم الثانى فى ٩ نوفمبر قال القيصر يعرض للاشراف والمجلس المنعقد فى موسكو — أنا أرجو أن تكون نتيجة أعمال هذا المجلس الصلح والامن ومع هذا فهل هذا يمكن اتمامه وهل أنا يمكننى أن أرى أنه لا يمكننا أن نبلغ الوصول الى تكفلات وتعهدات تحملنا على ترك طلب حقوقنا من الباب فانى عزمت على الانعزال مع التأكيد فهذا الكلام اعتبرها ضما التهديدا للورد بيكونسفيلد وتسبب منه هيجان عظيم فى أوروبا وأكد جميع الناس أنه لابد من وقوع حرب بين روسيا وانكلتره

ثم ان اللورد سالسبورى وصل القسطنطينية فى ٥ ديسمبر وفى أثناء سفره من لوندره زار فى طريقه باريس وبرلين وفيانه وروما وأكد مخابرات هذه الحكومات فيما يختص بالاجراآت المرجحة للمسئلة الشرقية وبمجرد وصوله القسطنطينية دخل فى مخابرات مع الباب العالى وسفراء الدول الاجنبية والنواب وتقوى بواسطة هذه المخابرات فى كونه تيقن أن نتيجة أعمال المجلس تكون حاسمة لهذه الاختلالات ورأى من تركية الرغبة فى فصل ذلك بطريقة لا يعود منها الضرر عليها وكان سفير الروسيا مخلصا فى الاشتراك مع اللورد سالسبورى

وفى ١١ ديسمبر اجتمع نواب الست دول المعظمة الاوروباوية فى صالة فى سراى السفارة الروسية للمداولة فى الجلسة الاولى وفى اليوم التالى افتتحت الجلسة الاولى بخصوصيات النواب التركية وانتهت الجلسة الاولى فى ٢١ ديسمبر وأخبر الجنرال اغناتيف الباب بالاجراآت ودعاه ليرسل نوابه للجلسة الاخيرة التى سيبتدئ اجتماع المجلس فيها فى ٢٣ ديسمبر وكانت نتيجة أعمال الجلسة الاولى أن الدول اتفقت على رجوع الحالة السابقة قبل الحرب فى صربية والجبل الاسود وأن يمنع اعمال الحروبات والمخاصمات فى المستقبل ويضاف الى صربية ليسيرظورنيك ويعطى للجبل الاسود اضافة على أرضه الاراضى الشبيهة بالركب الداخلة فى أرضه من ناحية هرسك عند طربنيه ونكسيك وحزام من الارض يوصله بالسواحل مع مينة تعطى له وأن يجعل فى بلغارية تأمين الحكومة الاستقلالية ومع ذلك فان كانت مضرة بالباب العالى فله صرف النظر عن هذا المعرض وظهر ضعف ما أجراه المجلس حتى من قبل اجتماع الجلسة الاولى وهذه المكالمات والمداولات كانت فيما يختص بأحوال السلاويك المسيحية فقط وأما المسيحيون الاخر واليهود فلم يحصل مداولة فيما يختص بأحوالهم مطلقا فهذا العمل أحدث اضطرابا عظيما بين التبعة الحريقية لتركية وعارضوا بالخصوص فى تشكيل ولايتى بلغاريا كما تقرر بالمجلس والاجحاف بالولاية الغربية التى كانت فى الاصل أراضى منسوبة للقبيلة الهلانيقية

وقبل اجتماع المجلس حصل تغيير عظيم فى سياسة تركية وذلك أنه فى ٢٢ ديسمبر صار توظيف مدحت باشا صدرا أعظم وكان المقصد الحقيقى من هذا التوظيف أن تركية صممت على أن تجعل أعمالها فى يدها وترفض الانقياد لأوامر الدول الاوروباوية وفى ٢٣ ديسمبر نشر الباب قانونا جديدا للممالك التركية صار تنظيمه بواسطة مدحت باشا وهذا القانون قلب بالكلية الحكومة التركية صرح فيه بترتيب برلمان ينتخب بواسطة الاهالى وجعل السلطان مقيدا بعد أن كان مطلق التصرف وأنه يجب ادارة وتدبير الحكومة بواسطة نظار مسؤلين لدى البرلمان وان هذا البرلمان منوط بعمل وتنظيم القوانين

الضرورية

الضرورية لحصول الامن وحكومة المملكة وأن تكون جميع تبعة الملك على سياق واحد بدون أن يمتاز فيها عثمانى وتسن لهم الحرية الشخصية وتكون مضمونة بالقوانين المسنونة وأن الاسلام هو ديانة هذه المملكة الا أن سير الحرية على الجميع يجب أن تكون موطدة بأوامر معلومة مع بقاء الامتيازات الديانية الاشتراكية ولا يلزم سن قوانين وقتية فى المملكة تخل بالقانون الاساسى ويسمح القانون بحرية المطبوعات وحق العرض الى كل من الدواوين لجميع العثمانيين وحرية التهذيب والتعليم ومساواة كافة التبعة العثمانية أمام الشرع والقانون وأن تكون الاقاليم والايالات العثمانية متمتعة بهذه الحقوق والفرائض المسنونة وأن تدخل الرعايا العثمانية من غير التفات الى الديانات واختلاف أنواعها فى خدمة المملكة وأن يصير توزيع الضرائب والعوائد على وجه المساواة وأن تكون الاملاك مضمونة ولا يصير التعدى على أحد بل يصير مراعاة حق الوطنية ولا يمكن أن يؤخذ شخص من سلطة قضاته الاصلية وأن توظف الوظائف بشروط ثابتة فى القانون ولا ينبغى خلع المتوظف فيها الا بأمر غير مرضى وليسوا مكلفين فى المسؤلية بواسطة اجراآت وأوامر مخالفة للقانون ربما تأتى اليهم من أى واحد أكبر منهم فى الدرجة ولا يصير عزل القضاة وأن تكون مراكز المحاكم عامة وأن يكون المدافعون ووكلاء الدعاوى فيها ذوى حرية تامة وأن صدور الاحكام فيها يكون علانية ولا يجوز التداخل ولا التصريح به فى الاعمال القضائية وأن يكون نفوذ المحاكم وسلطتها مقررا بالضبط بوجه الايضاح وتمنع المحاكم الاستثنائية أو المجالس ولا يمكن ترتيب الضرائب أو جمعها الا بواسطة عدل من قانون وتقرر الميزانية السنوية فى ابتداء كل جلسة وفى وقت واحد من كل سنة فقط والفصل الاخير فى الميزانية للسنة السابقة يسلم فيه لمجلس النواب مع بت القرار فيه وتكون الادارات الاقليمية مؤسسة على طرق نظامات واسعة والمجالس العمومية التى يصير انتخابها الضبط أعمال الاقاليم يجب التبصر والتداول فيها وأن تكون ادارة الجهات بواسطة مجلس بلدى يجرى انتخابه بشرط أن يكونوا مهذبين ويلزم ضرورة ترجمة القوانين على حسب طبائعهم وعوائدهم الى مجلس الاستئناف ومجلس الناحية ومجلس الاعيان ويمكن التصليح فى القانون على حسب مقتضيات بداية الوزارة أو بواسطة الدواوين أو بواسطة أصوات من الدواوين يزيد مقدارها عن ثلثى العموم وأن تكون هذه التصليحات معتمدة من السلطان أيضا ومصدقا عليها منه

ثم اجتمع المجلس الدولى فى ٢٣ ديسمبر فى ابتداء نشر القانون وفى ٢٨ منه قرروا امتداد المتاركة الى غرة مارث سنة ١٨٧٧ وظهر من اعلان القانون قطع جميع الارض من تحت أقدام المجلس ورأى نائب الباب العالى أنه لا ضرورة للتبصر والتأمل حيث ان القانون هو جواب كاف للدول ومع ما فيه فانه صار استمرار الجلسات لكن من غير فصل الحكم فى شئ ثم ان المجلس طلب أن تكون النظامات فى المملكة التركية جارية بواسطة مجلس أهلى تحت ادارته وحكمه قوة عسكرية مركبة نصفها من الاوروباويين ونصفها من الترك فرفضت تركية هذا الطلب فصار تركه ومع أن رغبة تركية كفالة نفسها فى اجراء النظامات الا أنها رفضت بالكلية كل مادة ضامنة لاجراء هذه الكفالة مغضبة لها ثم قرر المجلس طلباته بكون حكام بوسنه وبلغاريا يجب أن يكون توظيفهم برضا الدول وان ترخص الدول بتشكيل مجلس أهلى لا يكون له دخل فى اجراء الاوامر والاعمال العسكرية وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧٧ صرف الباب العالى النظر عن هذه الطلبات بالكلية وانتهى المجلس الدولى على أن لا شئ يذكر

وفى مدة جلسات المجلس الدولى انزعجت رومانيا من بنود القانون حيث يذكر فى البند الاول أن المملكة العثمانية بما فيها من الاقاليم الممتازة تشكل اتحادا غير مجزا لايمكن أى قسم من أقسامها الانفصال منها كما أن البند السابع من القانون يذكر فيه أن السلطان له الحق فى تقليد حكام الاقاليم الممتازة وفى ٥ يناير سنة ١٨٧٧ أبرز مجلس أعيان رومانيا اعلانا بان الحقوق السلطانية يجب ابقاؤها من دون أن يمسها أحد ولا ندع الحكومة لان نبقيها فى حالة متلفة بالمملكة وازداد الشغب والهياج فى رومانيا حتى انه فى ظرف أيام قليلة نشر الباب العالى رسميا أن القانون داخلى فقط وليس له دخل فى حقوق السلطنة المتكفلة بمعاهدات داخلية

ثم ان عناد تركية فى رفضها طلبات الدول ضيع منها أحبابها القليلة وتركوها على حدتها فى أوروبا وكان سبب هذا العناد مدحت باشا الذى من عمى بصيرته فى الاعمال صارت المملكة التركية فى أوروبا تحت تغيير حواس الدول المعظمة لكونها رفضت مع السماحة الترخيص لاى أحد فى التداخل فى أشغالها وأعمالها وتجبره صيره مقبولا عند السلطان الذى جلب عدم الراحة والتعب تحت قيادة رجل كان السبب فى خلع سلطانين فى سنة واحدة وكان مترددا فى خلع الثالث ان لم يسر على مقصده ثم بناء على سير الاحوال صار عزل مدحت باشا من وظيفة الوزارة فى ٥ فبراير سنة ١٨٧٧ وأمر بالاقامة فى القسطنطينية مع الهدو والسكون وخلفه فى الوزارة أدهم باشا الذى كان أحد أعضاء المجلس الدولى وامتاز بمعارضته مع الأنفة جميع ما شرع فيه نواب الدول الاجنبية

ثم ان أدهم باشا خصص نفسه للشغل اللازم لتوقيع الامن والصلح مع الاقاليم العاصية ففتح مخابرات مع صربية وفى أواخر فبراير عقد معاهدة صلحية مع هذه الايالة ومن شروط المعاهدة أن صربية تلزم قلاعها وأن يكون بها الاجل السلامة البيارق التركية وأن تمنع الشرذمات المتسلحة من عبورها الحدود وأما العساكر التركية فانها تخلى المواقع التى ضبطتها من الاراضى الصربية وصار التصديق على هذه المعاهدة فى ٣ مارث وبعد مضى أسبوع من هذا التصديق انسحبت القوى التركية من صربية تاركين الكسنياج وحيتشوار للصربيين

وفتحت مع الجبل الاسود فى هذا الوقت المخابرات التى كانت ابتدأت بها صربية الا أنها طالت وحصل منها اضطرابات وذلك أن البرنس نيقولا طلب فى الابتداء أن تكون المخابرات متصلة مع فيانه فرفض الباب هذا الطلب فأرسل البرنس نائبا الى القسطنطينية وامتدت متاركة الحرب الى ١٣ ابريل وطلب الجبليون حلول (نيكسيكس) التى حاصروها عدة أشهر بقواهم وحلول مينا بحرية وامتداد حدودهم زيادة عن أراضيهم بمقدار نصف الارض المتعلقة بهم الآن وحيث ان الجبليين مستحوذون الآن على أراض أكثر من المطلوب لهم كانت لهم فائدة من الباب فرفض الباب أن يمنحهم زيادة فى توسعة أراضيهم وفى آخر مارث أخبر البرنس نوابه بتقليل طلباتهم بأى وجه ماعدا الحلول فى نيكسيكس وفى ١٠ ابريل رفض البرلمان التركى جميع طلبات الجبل الاسود بعد عرضها عليه وفى اليوم الثانى صار اخبار النواب الجبليين بهذا الحكم وقيل لهم انه لايمكن تجديد المتاركة وبعد مضى يومين سافر النواب الجبليون الى بلادهم من طريق أوروسا بقصد عرض ما آل اليه الامر الى القيصر الحاكم الروسى

وفى هذا الوقت صممت روسيا على الاشتراك فى الحرب الا أنها لم تكن على استعداد فاجتهدت مع

نباهة

نباهة سياستها فى أن تكتسب وقتا تستعد فيه وفى ٣١ يناير عرض البرنس (غورچاقوف) الى النواب الروسيين الموجودين فى دواوين الدول اعلانا يختص بمعاهدة باريس قال فيه ان المساعى السياسية التى عملت لتوطيد الامن والراحة فى تركية تلزم القيصر قبل أن يعزم على سير فى المستقبل أن يعرف ماهو السير الذى تم عليه الاتفاق بواسطة الدول وفى ٩ مارث أخذت تركية هذا الاعلان بواسطة أحد نوابها وعرضه على الدول المتكفلة قائلا ان النظامات التى عرضها المجلس الدولى وصار استصوابها بالحكومة الملوكية جرى العمل على مقتضاها الآن وفى ١٩ مارث انفتح البرلمان التركى مع الاحتفال وتجديد مواعيد النظام فارتابت الدول من المواعيد التركية وعزمت على أن تطلب منها كفالة النظامات وعلى ذلك عقد نواب روسيا وفرانسا وجرمانيا وأوستريا وايطاليا فى لوندره عدة مجالس مع اللورد دربى ناظر خارجية انكلتره وعملوا اتفاقا أمضوا عليه فى ٣١ مارث بخصوص ماترغبه حكوماتهم وذكر فى هذا التقرير أن الدول تعرض مع الاحتراز التام عن لسان نوابها فى القسطنطينية ونوابها المحلية الطريقة التى وعدت الحكومة العثمانية أنه سيصير اجراء العمل بها واذا لم يحصل فيها استيفاء العمل بما وعدت به كان للدول الحق فى العمل الاشتراكى لحصول توطيد الامن والراحة للاهالى المسيحية ومنافع الصلح العام وقبل التوقيع على هذا القرار عمل الكونت (غورچاقوف) السفير الروسى اعلانا بالغرض النافع وهو أنه اذا كان الباب العالى يرغب فى رمى السلاح يلزم أن يرسل رسالة الى سنت بطرسبورغ لعمل معاهدة ودية فى عدم الحرب وقال اللورد دربى من جهة احترام بريطانيا الكبرى معلنا بانه ان لم يحصل اجراء متاركة الحرب ووقوع السلم العام فلا يعتبر هذا الاتفاق الا أشبه بمعدوم ومتروك وكان جواب الباب العالى على هذا الاتفاق منشورا احتقار عرضه على نوابه ولم يبلغوا الاتفاق جميعه بل تركوه بخصوص تهديد التداخل الاجنبى فى الاعمال المحلية التركية ومارآه (الكونت شوالوف) من الهرب عن تداخله فى الاعمال أرسل به رسولا مخصوصا الى سنت بطرسبورغ وكان المنشور مؤرخا فى ١٠ ابريل ولما أظهر السفير التركى فى لوندره هذا الاعلان الى اللورد دربى ناظر خارجية انكلتره تنفس الصعداء أسفا من سير الترك وماتبعوه فى اجرا آتهم وقال له انى لا أرى لانكلتره خطوة تما تقدر أن تتخذها فى تأكيد الحرب الذى يظهر الآن أنه لابد منه

ولما خاب السعى فى حصول الصلح بالنسبة لعناد الباب العالى أعلنت روسيا الحرب ضد الترك فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ وسنذكر ان شاء الله تعالى تاريخ هذا الحرب فى الكلام على روسيا فى الكتاب الخامس والعشرين

وتتميما للفائدة قد وضعت على الصحيفة الآتية جدولا يتضمن سلاطين آل عثمان وتاريخ ولادة كل منهم وجلوسه أو خلعه ووفاته

﴿ والى هنا تم بعون الله تعالى تاريخ المملكة التركية ﴾



عدد	أسماء السلاطين	سنين هجريه مولد	جلوس	وفاة	سنين ميلاديه مولد	جلوس	وفاة	ملحوظات
١	عثمان خان الغازى	٦٥٦	٦٩٩	٧٢٦	١٢٥٨	١٢٩٩	١٣٢٦	
٢	أورخان خان	٦٨٠	٧٢٦	٧٦١	١٢٨٠	١٣٢٦	١٣٥٩	
٣	مراد خان	٧٢٦	٧٦١	٧٩١	١٣٢٦	١٣٥٩	١٣٨٩	
٤	يلدرم بايزيد خان	٧٦١	٧٩١	٨٠٥	١٣٥٩	١٣٨٩	١٤٠٣	
٥	محمد خان چلبى	٧٨١	٨٠٦	٨٢٤	١٣٧٩	١٤٠٣	١٤٢١	
٦	مراد خان الثانى	٨٠٦	٨٢٤	٨٥٥	١٤٠٣	١٤٢١	١٤٥١	
٧	أبو الفتح محمد خان	٨٣٣	٨٥٥	٨٨٦	١٤٣٠	١٤٥١	١٤٨١	
٨	بايزيد خان	٨٥١	٨٨٦	٩١٨	١٤٤٧	١٤٨١	١٥١٢	
٩	ياوز سليم خان	٨٧٥	٩١٨	٩٢٦	١٤٧٠	١٥١٢	١٥٢٠	
١٠	سليمان خان	٩٠٠	٩٢٦	٩٧٤	١٤٩٥	١٥٢٠	١٥٦٦	
١١	سليم خان الثانى	٩٣٠	٩٧٤	٩٨٢	١٥٢٤	١٥٦٦	١٥٧٤	
١٢	مراد خان الثالث	٩٥٣	٩٨٢	١٠٠٣	١٥٤٦	١٥٧٤	١٥٩٥	
١٣	محمد خان الثالث	٩٧٤	١٠٠٣	١٠١٢	١٥٦٧	١٥٩٥	١٦٠٣	
١٤	أحمد خان	٩٩٨	١٠١٢	١٠٢٦	١٥٩٠	١٦٠٣	١٦١٧	
١٥	مصطفى خان بن محمد خان	١٠٠١	١٠٢٦	١٠٤٨	١٥٩٣	١٦١٧	١٦٣٩	خلع بعد ثلاثة أشهر من جلوسه وجلس سنة ١٠٣١ أى ١٦٢١ وخلع بعد سنة وشهرين
١٦	عثمان خان الثانى	١٠١٣	١٠٢٧	١٠٣١	١٦٠٤	١٦١٨	١٦٢١	
١٧	مراد خان الرابع	١٠١٨	١٠٣٢	١٠٤٩	١٦٠٩	١٦٢٣	١٦٤٠	
١٨	ابراهيم خان	١٠٢٤	١٠٤٩	١٠٥٨	١٦١٥	١٦٤٠	١٦٤٨	
١٩	محمد خان الرابع	١٠٥١	١٠٥٨	١١٠٤	١٦٤١	١٦٤٨	١٦٩٢	خلع سنة ١٠٩٩ أى ١٦٨٧
٢٠	سليمان خان الثانى	١٠٥٢	١٠٩٩	١١٠٢	١٦٤٢	١٦٨٧	١٦٩١	
٢١	أحمد خان الثانى	١٠٥٢	١١٠٢	١١٠٦	١٦٤٣	١٦٩١	١٦٩٤	
٢٢	مصطفى خان الثانى	١٠٧٤	١١٠٦	١١١٥	١٦٦٣	١٦٩٤	١٧٠٣	
٢٣	أحمد خان الثالث	١٠٨٤	١١١٥	١١٤٩	١٦٧٣	١٧٠٣	١٧٣٦	خلع سنة ١١٤٣ أى ١٧٣٠
٢٤	محمود خان	١١٠٨	١١٤٣	١١٦٨	١٦٩٦	١٧٣٠	١٧٥٤	
٢٥	عثمان خان الثالث	١١١٠	١١٦٨	١١٧١	١٦٩٨	١٧٥٤	١٧٥٧	
٢٦	مصطفى خان الثالث	١١٢٩	١١٧١	١١٨٧	١٧١٧	١٧٥٧	١٧٧٣	
٢٧	عبد الحميد خان	١١٣٧	١١٨٧	١٢٠٣	١٧٢٤	١٧٧٣	١٧٨٩	
٢٨	سليم خان الثالث	١١٧٥	١٢٠٣	١٢٢٣	١٧٦٢	١٧٨٩	١٨٠٨	خلع سنة ١٢٢٢ أى ١٨٠٧
٢٩	مصطفى خان الرابع	١١٩٣	١٢٢٢	١٢٢٣	١٧٧٩	١٨٠٧	١٨٠٨	
٣٠	محمود خان الثانى	١١٩٩	١٢٢٣	١٢٥٥	١٧٨٥	١٨٠٨	١٨٣٩	
٣١	عبد المجيد خان	١٢٣٧	١٢٥٥	١٢٧٧	١٨٢٢	١٨٣٩	١٨٦١	
٣٢	عبد العزيز خان	١٢٤٥	١٢٧٧	١٢٩٣	١٨٣٠	١٨٦١	١٨٧٦	خلع وتوفى سنة ١٢٩٣ أى ١٨٧٦
٣٣	مراد خان الخامس	١٢٥٦	١٢٩٣	خلع ١٢٩٣	١٨٤٠	١٨٧٦	خلع ١٨٧٦	لم يزل على قيد الحياة
٣٤	عبد الحميد خان الثانى	١٢٥٨	١٢٩٣	—	١٨٤٢	١٨٧٦	—	

الكتاب

(الكتاب الخامس والعشرون)

﴿ تاريخ الروسيا ﴾

(الباب الاول)

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى بطرس الاكبر ﴾

الوضع الجغرافى للروسيا ـ ليس لتاريخها القديم حقيقة ـ الاسلاف ـ تأسيس نوفغرود وكيف ـ تأسيس روريك المملكة الروسية ـ مظفرات روريك ـ أوليغ ـ سلطنته الكبرى ـ يغور ـ قبول أولغا الدين المسيحى ـ سلطنة سفياتوسلاف ـ فلادمير الاول ـ سجاياه ـ دخول الروسيا فى الديانة المسيحية ـ اجتهادات ومساعى فلادمير فى خصوص التمدن والحضارة ـ موته ـ اغتصاب سفياتوبولك ـ سلطنة ياروسلاف ـ ترجمة التوراة الى اللسان الروسى ـ القوانين المدنية الاولى ـ موت ياروسلاف ـ ضعف المملكة الروسية ـ الممالك الصغيرة ـ سلطنة أندروسوظدال ـ تأسيس موسكو ـ فتح الروسيا بواسطة التتار ـ سوددا لتتار ـ اذلال البرنسات المعظمة الروسية ـ اسكندرنفسكى ـ ايفان الاول ـ سلطنته الفاخرة ـ رفض ديمترى الثانى دفع الخراج الى التتار ـ حروبه معهم ـ فسيلى الثالث ـ ايفان الاكبر ـ ضعف نوفغرود ـ زواج ايفان ببرنسيسة جريقية ـ تلقيبه بلقب سلطان مطلق أومستبد ـ سرعة استرداد المملكة الروسية ـ سلطنة فسيلى الخامس ـ ايفان الغضنفر ـ مدة طفوليته ـ سلطنته العاتية ـ الاستريليطز ـ فتوحات ايفان ـ جنون ايفان وخبله ـ سلطنة مرعبة ـ خلفاء ايفان ـ بوديس غودنوف ـ ديمترى الكذاب ـ نجاحه ووقوعه ـ الشيوسكى ـ فسيلى السادس ـ ديمترى آخر كذاب ـ سوددا لبولنش ـ مدة الفوضى ـ انتخاب ميخائيل رومانوف قيصر على الروسيا ـ سلطنته الفاخرة ـ الكسيس ـ صيرورة قوزاق نهر الدون رعايا للروسيا ـ سلطنة فيودور الثالث

الروسيا تحوى أعرض مملكة متصلة ببعضها فى الدنيا وتشغل قسما من كل من أوروبا وآسيا وهى ممتدة من ٢٠َ و٣٨° الى نحو ٣٠َ و٧٧° من العرض الشمالى ومن ٣٨َ و١٧° من الطول الشرقى الى نحو ١٧٠° من الطول الغربى وحدها الشمالى هو البحر المنجمد الشمالى وحدها الشرقى المحيط الباسيفيكى وحدها الجنوبى المملكة الصينية وتركستان المستقلة وفارس وتركية آسيا والبحر الاسود وحدها من جهة الجنوب الغربى والغرب رومانيا وأوستريا وبروسيا وبحر بلطق ومملكة اسويج وطولها الاكبر من الغرب الى الشرق نحو ٦٠٠٠ ميل وعرضها الاكبر من الشمال الى الجنوب نحو ٢٣٠٠ ميل وتحوى مساحة مقدارها ٨،٣٩١،٨٣٢ ميل مسطح ويبلغ تعداد نفوس أهاليها ٨٦،٥٩٦،٠١٤ نفس ويشغل سطحها سدس الارض الحقيقية من الكرة الارضية

ثم ان التاريخ القديم للروسيا غير محقق بالكلية وتنسب روسية أوروبا الى الجريقيين والرومانيين الذين قال مؤرخوهم انها كانت مسكونة بالصيطيانيين والصرماطيانيين وان الجريقيين دخلوا فى علاقات تجارية مع القبائل الجنوبية الموجودة بين الدانيبر ونهر الدون وأسسوا شعوبا بينهم

وفى أثناء مهاجرة الامم فى القرن الرابع والخامس تغيرت طبائع سكان الروسيا بالكلية فوفد اليها شعوب (الغوطيين ـ والعلانس ـ والهون ـ والافار ـ والبلغار) وانتشروا على الارض وتركوا آثار تنقلاتهم شغر بغر الا انهم لم يتوطنوا فى جهات ثابتة وأخيرا ظهر الاسلاف وامتازوا فى اتمام ما خاب سعى اسلافهم فى اكماله وقد اعتبرهم كبار المؤرخين أنهم هم بعينهم الصرماطيانيون ويعتقدون انهم نشروا أنفسهم الى نحو الجهات الشمالية الى أعلى نهر الولغا فوجدوا قبائل الفنيش منتشرين فى هذا الاقليم وقاطنين به فجبروهم على التباعد نحو الشمال الى جهة فنلندو البحر المنجمد الشمالى وبعض من قبائل الفنيش بقوا فى مواطنهم القديمة وامتزجوا مع الفاتحين لبلادهم ومن هذا الاتحاد توحدت وائد طبيعية فى الروسيانيين الى الآن

وأسس الاسلاف مدينتى (نوفغرود ـ وكيغ) كل منهما صار تختا المملكة سلاقنية مستقلة ثم بعد هذا مكث تاريخ الروسيا نحو امن مائة سنة مستورا بالظلمات العظيمة ولم يعلم منه شئ أبدا وفى آخر هذه المدة برزت (نوفغرود) من الظلام أشبه بعاصمة سلطنة عظيمة قوية وصيرورتها قوية بهذه الصورة هو ان أحد العوام الموجودين فى ضواحيها قال من يقدر على معارضة الله ونوفغرود الاكبر وقال كان ان تجارتها كانت منتشرة الى فارس حتى والى الهند ومن القسطنطينية الى فنيطة وهى مدينة تجارية قديمة على مصب نهر أودر وكانت الامم المحيطة بها تؤدى لها خراجا من ابتداء (ليثوانيا) الى جبال أورال ومن (بيلوأوظيرو) وبحيرة روستوف الى البحر الابيض وأعظم أشغال تجارة نوفغورود كانت تحمل على بحر بلطيق الذى كان فى ذلك الوقت مأمونا بواسطة القار يخيان الروسيين وهم جنس من شجعان السكنديناقيون ثم طلب هؤلاء الخربيون الاقوياء خراجا أشبه بجائزة على ما يجرونه من المحافظة على سلامة هذه التجارة ولما صار رفض طلبهم أغاروا على نوفغورود وجعلوها خراجية لهم وبعد مضى بضع سنين استرد (النوفغور ودنيانيون) استقلالهم الا انها لم تمكث طويلا ثم وقع شقاق داخلى بين قواد المملكة تسبب عنه ارتباكات وخسارات أدت الى انه فى سنة ٨٦٢ بعد الميلاد طلب النوفغورود يانيون (روريك ـ وسنياف ـ وطروفور) وهم ثلاثة اخوة (فرنغيانية) ليحكموهم وقد ذكر فى الاحوال التاريخية القديمة للروسيا أن هؤلاء الاخوة دعوا ليكونوا مساعدين للجمهورية النوفغورودنانية بخصوص حمايتها من متعدى الاغراب فقبل الاخوة هذا الطلب وأقاموا أنفسهم على الحدود الثلاثة الاصلية لاراضى الجمهورية وكان روريك فى لادوغة القديمة بالقرب من فلكهوف وكان سيناف فى (بيلوأوظيرو) الواقعة الآن على الشاطئ الشمالى لبحيرة بيلواوظيرو وأما طروفور فكان فى اظبورسك بالقرب من (بيسكوف) وبواسطة هذه المواقع صار للامراء الفرنغيانية مقدرة على توطيد وسلامة الجمهورية من أى هجوم يحصل عليها من الخارج وكذا على امتدادشوكتهم عليها بما انهم ضابطون المنافذ الاصلية لتجارتها الخارجية وفى ظرف مدة قليلة صار طلب نوفغورود لان تختار إما ضياع تجارتها أو الخضوع للامراء الفرنغيانية فاختارت انفسها الخضوع وفى سنة ٨٦٤ بعد الميلاد استحوذ عليها بطريق الصلح روريك وشيد سلطنته على كامل أراضيها ولما مات أخواه بدون شئ صار لا يوجد أحد معارض لحكمه ولقب بلقب البرنس الكبير وأعطى للبلاد اسم روسيا وهو اسم القبيلة المنسوب هو لها وأنعم بمدائنها وقراها على رفقائه من الجيش وحينئذ صار هو فى الحقيقة معتبرا أشبه بمؤسس المملكة

الروسية

الروسية وتسلطن خمسين سنة فى نوفغورود ومات فى سنة ٨٧٩

وكان عمر (يغور) بن روريك أربع سنوات وهو طفل صغير فعهد المؤسس بتاجه الى عمه أوليغ وجعله وصياء على ابنه وكان انتخابه فى غاية الكمال لان أوليغ كان يشهر نفسه بكونه أميرا كبيرا وفاتحا مقداما وكان أمينا فيما يعهد اليه لانه ضبط تاج المملكة مدة حياته وكان محافظا على توطيد نجاح كلمته وأخذت الممالك الروسية فى الاتساع العريض تحت سلطنة أوليغ وفى سنة ٨٨٢ فتح (صمولنسك) وبعد مضى زمن قليل جعل نفسه بحيلة مع الجسارة أستاذا على مدينة كيغ فجعلها أحد عواصم مملكته ودخلت كيغ فى الديانة المسيحية قبل ذلك ورخص أوليغ مع البصارة بالديانة الجديدة ودافع عنها ولو انه كان وثنى الدين ثم بعد هذا فتح الاقليم الموجود بين كيغ ونوفغورود وجمع العاصمتين مع بعضهما وقهر الخزر وهم أمة من نسل الطورانيان وكانوا فى القرن السابع والثامن شيدوا لهم مملكة قوية بين نهر الدانيبر وبحر قزبين ثم طرد المغيار خارج حدود روسيا الى الاراضى المقيمين فيها الا ن ورفع سلطنته مع الثبات فى الاراضى التى أخضعها وكان على الدوام يرغب امتداد مملكته على مصاريف امبراطور القسطنطينية الجريقى ولما وطد أعمال مملكته أوصل الدانيبر الى البحر الاسود وأغار على القسطنطينية بجيش مقداره ٨٠,٠٠٠ نفس و ٩٠٠ سفينة حربية وسمر طارقته على باب تلك المدينة أشبه بعلامة النصر وأرغم الامبراطور الجريقى على الدخول فى معاهدة فاضحة له ودفع فداء لا يحصى ثم عاد الى كيغ محملا بالغنائم فى سنة ٩١١ بعد الميلاد وقال كرمسن ان أوليغ يعتبر انه هو المؤسس لعظم وفخامة المملكة لانه ينسب اليه ظرافة وثروة الاقاليم وأمار وريك فانه وسعها من (اصثونيا) ومنابع (اسلاف والفلكهوف) الى بيلوأوظيرو ومصب أوقه ومدينة روستوف وأذل أوليغ جميع البلاد من صمولنسك الى صولا والدانيبر وعلى وجه التخمين الى جبال الكربات ومات أوليغ فى سنة ٩١٣ بعد ان تسلطن ثلاثا وثلاثين سنة

ثم ان يغور بن روريك خلف عمه أوليغ وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وكانت تلوح عليه علامات قدرته على الحكم وفى خارج سلطنته تشجع (الدرفليانيون) عند موت أوليغ وقاموا ثورة واحدة على روسيا فقهرهم يغور وفتح أيضا البطشنيغ القاطنين على سواحل البحر الاسود من ابتداء نهر الدانوب الى مصب نهر الدانيبر وفى سنة ٩٤١ شرع فى الاغارة على القسطنطينية الا أنه ارتد خاسرا على أعقابه مع تلفيات تبلغ الثلثى قوته وبدل ان تضعف قوته وعزمه من هذه الكسرة استعد لاخذ ثاره وفى سنة ٩٤٤ شرع فى السفر لاغارة ثانية على العاصمة الجريقية فصارا يقاف حركة سيره عند مصب نهر الدانوب باجراء الامبراطور الجريقى من كونه قدم له الخراج الذى كان جعله عليه أوليغ وأخذ منه فقبل يغور التقدمة وفى السنة التالية عقد مع الامبراطور معاهدة بنص المعاهدة التى كانت عقدت مع أوليغ

ثم صار يغور كبيرا فى السن واشتاق لان يمضى باقى أيام حياته فى سلم واطمئنان الا انه لعدم قناعة رفقائه وطمعهم فى الحرب جبروه على عمل حروب جديدة وكان أحد هؤلاء مع الدرفليانيين الذين نهبهم بدون رحمة فهجم عليه ذات يوم بالقرب من كروستنان وذبحه مع جميع حراسه سنة ٩٤٥ بعد الميلاد

وكان (سفياتوسلاف) وهو الابن الوحيد ليغور وأول برنس وضع له الاسم الروسى صغيرا جدا فى الوقت الذى مات فيه أبوه فانتقلت حكومة الروسيا الى أيدى (أولغا) أرملة يغور أشبه بكونها نائبة عن ابنها فانتقمت من الدرفليانيين انتقاما فظيعا من أجل قتلهم زوجها الا انها كانت حاكمة عادلة ثابتة الجنان عالية الاحترام

ولو أن الباقى من الروسيين كانوا متمسكين بالديانة الوثنية لكن كيغ كانت على ماذكرنا دخلت فى الديانة المسيحية وكان المسيحيون محفوظين فى مدائنهم مع امتيازاتهم الدينية ثم دخلت أولغا فى الدين المسيحى وفى سنة ٩٥٥ توجهت الى القسطنطينية ومعمدها البطريرك مع الاحتفال الكبير ولقبها بالاسم الجريقى وهو اسم هيلانه ودخل فى منالها قليل من رعاياها وهددت ابنها مع الشهامة لان يتعمد فأجابها بقوله أترغبين أن تجعلينى اضحوكة عند أحبابى ورفض المعمدة بوجه مقطب وما كان معارضا للذين لهم رغبة فى الدخول فى الدين الجديد ثم ان سفياتوسلاف انتصر نصرة جديدة على الخزر ومن هذا الوقت لم يظهر لهم حسب فى التاريخ الروسى ثم أخضع أيضا البطشنيغ والبلغار ومد مملكته الى بحر أذوف وفى سنة ٩٧٠ قسم ممالكه بين أولاده الثلاث فأعطى كيغ الى ياروبلك الاول وأراضى الدرفليان الى أوليغ ونوفغورود الى فلاديمير وبعد مدة قليلة شرع فى حرب جديد ضد البلغاريين وانتصر مع العجلة عليهم فانزعج امبراطور الجريقى من اقتراب الروسيين الى القسطنطينية وأعلن البرنس الكبير بأن يخلى فتوحاته فرفض طلبه واشتعل الحرب فانهزم الروسيون عند كل مصادمة وانجبروا على عقد صلح أكيد وانسحبوا من بلغاريا وساروا الى كيغ وبينما هم فى طريقهم وقت عبورهم من بلاد البطشنيغ اذهم بسفياتوسلاف قوة من هؤلاء الامة فذبحوه بالقرب من شلالات الدانيبر سنة ٩٧٢

وأعقب موت سفياتوسلاف حرب بين أولاده الثلاثة فذبح فيه أوليغ وهرب فلاديمير عابرا البحر الى القرنغيانيين وانضمت المملكة جميعها تحت سلطة ياروبلك الاول ومع ما فيه فان فلاديمير لم يترك ما هو عليه من الرأى فى استرداد مملكته الضائعة وفى سنة ٩٨٠ بعد ان غاب سنتين عاد بقوة من القرنغيانيين مخاطرا بنفسه ففتح نوفغورود وكيغ وقتل أخاه وصار بهذه الحالة حاكم مملكة روسيا بأجمعها

ثم ان فلاديمير الاول لقب نفسه بلقب الاكبر لانه مع ما كان عليه من القبائح كان أحد الملوك الروسية العظيمة وكان من مساعيه الابتدائية ان دبر التدابير اللازمة فى اخراج وطرد القرنغيانيين الحربيين التابعين له لانه شاهد منهم حصول ما يقع من الاضطرابات وأثبت نفوذه فى مملكته ونال مقصوده فى كل من المشروعين وكان وثنيا فى أعماله وعنده جميع الالتفات الكبيرة الى آلهته ومع ذلك كان مختل الدين والعقيدة وكان عنده ست زوجات خلف منهن اثنى عشر ولدا فقسم مملكته بينهم ووضع فى عدة من مدائنه عدة سرارى حتى بلغ تعداد هؤلاء السرارى ثمانمائة ولم تسلم امرأة فى مملكته من فاحشته وفظائعه

ومع ذلك كان هذا الخاطئ فلاديمير حائزا الشجاعة والسياسة وفتح روسيا الحمراء وايثونيانه وجعل ليفونية خراجية ولما تمم فتوحاته صمم على ان يظهر شكره وثناءه لآلهته بان يقرب لها قربانا من البشر فأمر بالمحبوسين الذين أخذهم أسرى فى الحرب أن يقرب منهم القربان ومع هذا فان أحد

اغوانه

أعوانه وعظمه ان الآلهة تحب انشراح صدورها بتقريب واحد من رعيته قربانا وعلى هذا اختار شابا فرنغيانيا ابن واحد نصرانى ورده الى دينه فرفض الاب تسليم ابنه فغضب الاهالى وقامت حميتهم فى رؤسهم وعدوا ذلك وقاحة فى دينهم وفى أميرهم فقاموا على الاب والولد وقتلوهما وجوزت الكنيسة الروسية بتقديس الاثنين اشبه بموتهما شهداء

واشتهر صيت فلاديمير اشبه بكونه فاتحا مسددا ما فى هذا الوقت وانتشر فى سائر الممالك المحيطة بمملكته وسعت رجال الديانات الاربع الكبيرة الموجودة فى عالم الدنيا اليهودية والدين الذى كل منهم يرغب ان يدخل فيه هذا الشجاع فالديانة المحمدية الفاتحة عرضت عليه بواسطة البلغار بين الشرقيين ووصف جناتها والتمتع بأوقات ساعاتها أضرم تصوراته الشهوانية الا انه لا يمكنه ان يفعل ما يكرهه وهو الختان ولا يمكنه ان يمتنع عن العرقى والخمر وقال ان العرقى هو مفرح للروسيين ونحن لا يمكننا ان نفعل شيأ بغيره وعرضت له الديانة الكاتوليكية بواسطة الجرمانيين فلم يقبلها لان البابا (اله أرضى) ظهر له على هيئة شئ مفزع وكذا لا يحب ديانة اليهود لانه لا يوجد لهم بلاد وفكر فى نفسه أن الصواب عدم قبول نصائح من الداخلين تحت أمر السماء كما أنه لا ينبغى التهاون فى أخذ نصيب من جزا آتهم ثم ان الديانة الجريقية التى كان تدخلت فيها أولغا صارتدريسها وتفسيرها له بواسطة رجل عالم من القسطنطينية وبعد تأمل وتبصر كبير دخل فيها وتعمد فالغى فى الحال الاصنام وعبادتها وقفل هياكلها وخربها وتبعه قومه مع الفور والعجلة لا ثمن له وقالوا انه لم يكن من الصواب ان تتعمد فان الامير والاولاد لا يمكنهم أبدا ان ينقادوا لها وبهذا انتشرت وتوطدت الديانة المسيحية فى الروسية سنة ٩٨٨ بعد الميلاد وأسس فلاديمير فى مدة باقى سلطنته كنائس ومدارس ومدائن جديدة وشجع نفسه مع الشهامة فى نظارة الاشغال اللازمة لتمدن قومه وادخال أمته فى الديانة المسيحية وفى مدة السنين الاخيرة من سلطنته أشعل عدة حروبات مع البطشنيغ وحصل له الظفر فى جميعها وكان ختام حياته مشتغلا بالاختلالات الداخلية المنزلية لانه قسم مملكته بين أولاده الاثنى عشر وأشعلوا نيران الحروب بين بعضهم فقتل بعضهم بعضا فاما ابنه ياروسلاف الذى كان أعطاه نوفغورود فانه رفض ان يدفع الخراج المطلوب منه أشبه بكونه عبده واستغاث بالفرنغيانيين للمساعدة ضد أبيه وكان فلاديمير فى ذلك الوقت رجلا مسنا فبرز الى ميدان الحرب ضد ابنه العاصى عليه لكنه مات من الحزن والاسف على ما كان جبر على ان يفعله وكان ذلك فى سنة ١٠١٥ ب م

وقال (كلى) ان هذا التمثال الكبير حصل منه فوائد عظيمة لانه لما لم يكن له طاقة على اخماد مشاغب جيرانه كان يبطل غزواتهم وأمر بتنظيف الصحارى بواسطة تشييده مستعمرات عليها وأنشأ المدائن وبينما هو ساع فى بناعة بلاده بالازهار الفاخرة تفكر انه من الواجب عليه تحليتها بأنواع الحلى العظيمة فطلب من الجريس أرباب الهندسة والعمارات وأرباب الصنائع التى لا تحصى بالنسبة لما هم عليه من المهارة ان يشيدوا الكنائس المحكمة البنيان والسرايات ومبانى أخر ظريفة وصار يطلب شبان الاشراف الى المدارس وصار يقف على طرف البرنس ورتب احسانات على معلمين وأساتذة يجلبها من بلاد الجريس للتعليم ورأى آباء هؤلاء الشبان مع الخوف الفظيع ان هذه الضربات مصايد الجهل وان الاكرام الواجب يكون عائدا على الخدامات الاجنبية فمن الضرورى استعمال الشدة فى أخذ أولادهم ووضعهم فى المحلات التى صار تشييدها جديدا وفيها يتعلمون القراءة والكتابة

وجميع الحرف والصنائع حتى الكهانة والسحر ونال فلاديمير الذى لبد نفسه بدم أخيه بخصوص تخت كييغ من قومه لقب الاكبر وارتقى بواسطتهم الى درجة قديس واعترف له فى الكنائس الروسية انه مقارن مع الرسل

ثم ان الحرب بين أولاد فلاديمير الذى كان ابتدئ فى حياته استمر بعد مماته وكانت نتيجته أن (سفياتو بلك) ابن أخى فلاديمير يارو بلك الاول الذى كان رضيه فلاديمير أن يكون ابن خاصة نفسه ضبط التخت بعد قتل ثلاثة من اخوته واما ياروسلاف وهو أخ آخر فانه عقد معاهدة مع الامبراطور هنرى الثانى ملك جرمانيا ضد سفياتو بلك وجماه (أبوامرأة سفياتو بلك بولسلاس) ملك بولندة وانتهى هذا الحرب فى سنة ١٠١٩ بعد الميلاد بواقعة مكثت ثلاثة أيام ظفر فيها ياروسلاف وحليفه فهرب سفياتو بلك الى بولندة الا أنه مات أثناء سفره الى تلك الجهة

وصار ياروسلاف الحاكم على المملكة بغير منازع فخرب البطشنيغ فى حرب عنيفة وجعل شوكته مرهبة فى فنلنده ـ وليفونيا ـ وايشويانيا ـ وبلغاريا وفى سنة ١٠٢٦ عزم على إشعال حرب على أخيه مسطيسلاف ملك (طموطركان) فانكسر فى هذا الحرب وفتح هذا البرنس فى سنة ١٠١٦ القرعين وهى بوا فى المملكة القديمة الخزرية وفى سنة ١٠٢٢ أخضع قبائل الجراكسة لطاعته وعامل أخاه بالجود والكرم وترك له نصف مملكته وبعد موت مسطيسلاف فى سنة ١٠٣٦ صار ياروسلاف الحاكم الفريد على المملكة مرة أخرى ولما أوطد حكومته اشتغل بما يكسبه شهرة فكان صديقا للتهذيب والتربية وأمر بترجمة كتب كثيرة جريقية الى اللسان الروسى وبنى المدارس والكنائس وزاد فى عدد المدائن وأمر بتعمير النواحى الواسعة بالشعوب والقبائل وأمر بترجمة الكتب المقدسة الى اللسان الروسى ونقل بيده عدة نسخ منها وحفظ الكنيسة الروسية مستقلة بالكلية عن الكنيسة المقامة فى القسطنطينية ووظف أساقفتها من غير مراعاة للبطريرق الجريقى وزوج بناته الثلاث بملوك نرويج وهنكاريا وفرانسا وأولاده تزوجوا برنسيسات جريقية وجرمانية وانكليزية وكانت أخته ملكة بولنده وبهذه المخالفات صارت روسيا مرتبطة بالارتباطات الودية والحبية مع أوروبا

وأعظم شغل صار فى مدة سلطنة ياروسلاف هو تحضير القوانين المدنية الروسية الابتدائية فكان قانونا همجيا ومن أى جهة تنظر فيه تراه وحشيا الا انه سعى فى اقامة سلطنة العدل فى المملكة وجعل للضعيف حماية ضد القوى وعرفه حقوق أخذ الثار الا انه رخص ذلك لاولياء الدم فان لم يظهر ولى للمقتول يكفر القاتل عن جريمته بان يدفع الى الحكومة مبلغا معينا يترتب عليه بواسطة القانون بالنسبة لدرجة المقتول وكان توظيف القضاة والناس محيطة بهم ويحاكمونهم ويبرؤن ذمتهم بواسطة تحليف اثنى عشر شخصا عدلا

وقبل موته بقليل فى سنة ١٠٥٤ قسم ياروسلاف مملكته بين أولاده الاربعة على شرط أن الاصاغر يكونون منقادين لاخيهم الاكبر (اظاسلاف) وأعطاه نوفغورود وكييغ ولكن هذا النظام لم يقع موقع الرضا والقبول لان الاولاد الصغار رفضوا الانقياد لأخيهم وبناء عليه انتشب حرب داخلى كانت نتيجته ان صار تقسيم المملكة الروسية الى عدة ممالك حتى المجموعة تحت اتحاد واحد الا أنهم كانوا على الدوام فى شقاق ومحاربات بينهم وفى أثناء مدة هذه الاختلاطات والنزاع استحوذ (البوليون ـ

والليشويانيون

والليتويانيون - والدانيون - والفوارس الطوطانيقية) على أقسام واسعة من روسيا الغربية وفى سنة ١١١٤ جلس فلاديمير الثانى على كرسى كيغ ونوفغورود وكان أميرا عظيما حازما حازت الروسية تحت حكمه تقدمات عظيمة ومات فى سنة ١١٢٥ وخلفه ميسطيسلاف ابنه الاكبر فتسلطن مدة ست سنوات وعند موته عادت روسيا الى حكومة مطلقة ملوكية وفى أواسط القرن الثانى عشر انحطت المملكة العظيمة الى مملكة صغيرة أقل من مدينة كيغ وفى سنة ١١٥٥ تال يغوروجا كم سوظدال السلطة ونفوذ الشوكة وفى وقت ما رأى انه يمكنه ان يجمع روسيا تحت حكومة واحدة جمعت مملكته سوظدال الحكومات الوقتية ليار وسلاف - وكوسطرومه - وفلاديمير - وموسكو - وقسم نوفغورود - وطفير - وترنى نوفغورود - وطولا - وكالوغه - أو على وجه التقريب جميع روسيا الوسطى وفى سنة ١١٤٧ أسس مدينة موسكو وأفاض عليها امتيازات مهمة وجعل كيغ عاصمته وحصل لها التقدم الزائد تحت حكمه فى الثروة والفلاح ومات فى سنة ١١٥٧ وبموته صار تجديد الحرب مباشرة بين برنساته المختلفة

ولم يتداخل أندرو بن يغور فى الابتداء فى هذه الحروب بل توجه الى مملكته سوظدال وجعل عاصمته فى فلاديمير وخصص نفسه مع الشهامة لتمدن ممالكه وتقدمها وأصلح موسكو واعتنى فيها وأسس مدائن أخرى أسكنها بلغار بين الولغا وأقام التمدن الجميل فى روسيا الوسطى وفى سنة ١١٦٨ شرع فى أخذ نوفغورود الا انه صدعنها فسار قاصدا كيغ وهجم عليها هجومات بالقوة والاقتدار فنهبها وألزمها الاعتراف بسلطة وسيادة فلاديمير وفى سنة ١١٦٩ أرسل جيشا تحت قيادة ابنه لمحاربة نوفغورود التى صارت فى أقصى درجة من القوة وكانت دخلت جديدا فى المحالفة الهانصيطيقية ولو أن الهجومات التى أجريت على نوفغورود صار صدها الا انه حصل اجبار نوفغورود على الاعتراف بسيادة فلاديمير وكان المقصد الاصلى لاندرو هو خراب الاقاليم الصغيرة العديدة الموجودة فى روسيا وتقرير جميع شوكة المملكة فى أيدى البرنس الاكبر فهؤلاء اتحدوا جميعهم عليه وهزموا جيوشه وأوقفوا عزمه فى تحويل شوكة المملكة عن يديه وأخيرا فى سنة ١١٧٤ ذبحته رعيته خاف خليفته أن مملكة سوظدال الواسعة تنقسم الى ممالك صغيرة وأخذ البرنس الاكبر الذى جاء بعده كل شئ يحدث عنه ترجيع وجود ممالك صغيرة

ثم ان الشقاق والنزاع الداخلى الذى حصل منه تقسيم روسيا وضعفها صيرها صيدة سهلة لكل عدو أجنبى فان قبائل التتار تحت قيادة جنكيزخان بعد ان تغلبوا على هنكاريا وبولنده انتشروا فى روسيا سنة ١٢٢١ وهزموا القوى المتحدة للبرنسات الروسية فى واقعة دموية فى كالكا وخربوا جميع روسية الجنوبية وانسحبوا عائدين الى آسيا وعند انسحابهم انتشبت الحروب الداخلية ثانيا فى روسيا وحصل فى هذا الوقت قحط وطاعون وفى سنة ١٢٣٠ انتشر الطاعون فى صمولنسك ونوفغورود فمات من المدينة الاولى ٣٠,٠٠٠ نفس ومات من المدينة الثانية ٤٢,٠٠٠ نفس وفى سنة ١٢٣٧ عاد التتار وكانوا فى هذا الوقت تحت قيادة (باطو) حفيد جنكيز ورئيس القبيلة الذهبية وتغلبوا على روسيا جميعها وأخرب التتار البلاد من ابتداء مدينة قزان الموجودة الآن الى فلاديمير ولما فتح التتار البلاد عزموا على أن يقيموا بأنفسهم فيها فأسسوا اسراى وقزان وألزموا البرنسات الروسية أن يدفعوا لهم الخراج وكانوا يجمعون بأنفسهم خراج كل اقليم

وكانوا يتناولون احترام واغاثة كل برنس وعندما يرتكبون خطايا تنصيب برنس كبير يرخصون لجملة من أعدائه بالادعاء على هذه السيادة ويجعلونهم ينتظرون بت الحكم فيها وأحيانا يبقونهم في قبيلتهم مدة سنتين بتمامهما وفي هذا الوقت يصدون فصل أى حكم فيه الفائدة وبالاختصار فانهم جعلوا أنفسهم أساتذة رؤساء حتى في الابتداء يستصوبون رأى عدم التجويز لاى برنس كبيرا كان أو صغيرا ان يدخل في حكومة ممالكه الا بعد أن يسافر الى القبيلة الكبيرة ويتوسل بها في التقليد وحصول هذه الاسفار لتمام ما يجب اجراؤه في سنة فيه كفاية لمعرفة ترك الممالك من غير رؤساء روسية تحت ادارة حكام التتار وذلك لتأكيد سيادة وساطة الخانات الكبيرة ويعرضون لهؤلاء المغول مقدارا أصناف الناس الذين عندهم للاشغال ويهلكون المنازعين بالعوائد الحالية وصار من العار والفضيحة عند البرنسات فيما هم فيه بين أقاربهم وأعدائهم ان يكونوا تحت العنف الشديد لهؤلاء الخانات وصاروا يذمون أنفسهم ويراعون بعين الاستقلالية لممالكهم فطلب عدة برنسات منهم الى القبيلة العظمى وحاكوهم وقتلوهم الا أن هؤلاء التتار الذين كانوا يعاقبون بالقساوة العاصين من الاقاليم الروسية كانوا يتحدون معهم في حروباتهم الخارجية وكانوا يستخدمونهم في حروباتهم الداخلية وكانت هذه الطريقة هي الجارى العمل على موجبها وسافر أحد البرنسات الروسية الى القبيلة الكبرى لاجل أن يكون هو الرئيس الاكبر وترجى ان يكون هو ذلك في محله فعاد مع جيش تاتارى صرح له أن يتسلط على الرماد والدم

وفي مدة سيادة التتار جلس اسكندر نفسكي على تخت نوفغورود وكان رجلا سياسيا عظيما وحربيا عاتيا واكتسب عدة نصرات على أعدائه الاور وباويين وهم الفرسان الطوطونيقية والليثوبانيون واسترد نيفا من الاسوجيين ومن هذا الظفر اشتق اسمه وحقق صدق المحبة للتتار وأخيرا أنعم عليه الخان بمملكتى كيغ وفلاديمير اللتين انقرض برنساتهما الوطنية من التخت ومات فجأة في سنة ١٢٦٢ مسموما والصحيح أن الخان أمر بالسم له لانه ارتاب فيه القيام والاستقلال وصار ايفان الاول الملقب كليطة برنس موسكو في سنة ١٣٢٨ فجمع مملكة طفير مع موسكو وزخرف عاصمته بعدة كنائس جديدة وفي سنة ١٣٣٩ ابتدأ في عمارة القرملين وحرض رئيس الكنيسة الروسية على الانتقال من فلاديمير وان يوطن مقامه في موسكو وبما كان فيه من سعة الثروة اشترى حماية التتار ووقارهم له وكان رجلا سياسيا من حزب (الماشيافليانيين) ونتج من سياسته المعوجة تشييد حكومته وسلطنه على البرنسات الروسية فاستذلهم بيد قوية مساعدا في نفوذه بالتتار اسياده ووطد في روسيا الهدو والراحة التى كانت غريبة عنها من مدة طويلة وصار لها قدرة على حياة نفسها وزيادة نجاح تجارتها وكان لها في المستقبل تمام المقاومة على ظالميها المتبربرين ومات في سنة ١٣٤٠ وحيث كان له قدرة على أن يترك لابنه سيمون قيمة مشترى تخته من القبيلة فعل ما في وسعه لان يكون خليفة على تخته من بعده

ثم ان سيمون أبطل بالكلية سياسة أبيه مع العنف والشدة ومات بعد ان تسلطن اثنتى عشرة سنة في سنة ١٣٥٣ وخلفه أخوه ايفان الثانى وهذا الخبر أيضا على مشترى مصادقة لقبيلة على بلوغ مراده ثم ان دوام انتظام ترتيب الخلافة أكسب روسيا نجاحا عظيما تمتعت به نحو الخمسين سنة في الراحة والنجاح في أحوالها ونتائج أشغالها وصار تخت البرنس الاكبر مركزا للشاردين الروسيين

وقوته ومتانته نفخت فيهم حب الوطن والبسالة وتمكنت فيهم حتى آل أمرهم فى أنفسهم ان أول كل شئ يجتهدون فيه هو استرداد حرية بلادهم

وفى سنة ١٣٥٩ جلس دمترى بن ايفان الثانى على التخت وكان من أعماله الاولية ان وطد ترتيب الخلافة على التخت من الاب الى الابن وان الامراء الذين عرفوا أن فوائد طريقة هذه الخلافة تكون عائدة على خلعهم من وظائفهم اتفقوا على الاجراء على موجبها فحينئذ وطد دمترى شوكته على الممالك الصغيرة الروسية وصيرهم عبيداله وصارت موسكو عاصمة روسيا فى انتظام حقيقى ما رأته قط قبل ذلك وظهر للناس أن الشوكة الحافظة الفريدة هى فى موسكو فقط وان أجراء المعاملات فى معاضدتها هو من المواد الضرورية وان البرنسات الصغيرة لا يمكنهم الحصول على ذلك الا بأن يقربوا استقلاليتهم قربانا لها وبهذا صار كل منهم رقيقا للبرنس الاكبر دمترى ومن سنة ١٣٦٢ الى سنة ١٣٨٠ وقع الشقاق بين التتار فجزأهم قبائل منفردة فصار لدمترى قدرة على أن يبرز تصميماته وأغراضه بدون خوف منهم وصار أيضا له قدرة على طرد الليثوانيين الذين حاصروا موسكو ثلاث مرات وهددوها بخراب سلطنتها

ولما أحس دمترى فى نفسه بان عنده القوة الكافية لطرد هؤلاء الاعداء وصارت شوكته موطدة وسالمة فى بلاده شرع فى رمى أعباء التتار عن كاهله ففى سنة ١٣٧٨ رفض تقديم الخراج المعتاد دفعه سنويا الى الخان وقتل المرسلين فى طلبه فانفجرت مجارى الغيظ والغضب فى وجه الخان لما سمع بموت نوابه فطلب أشد القبائل من المحاربين لمساعدته فى فتح موسكو وخرابها

وفى هذا الوقت صارت الاخطار المرهبة فى روسيا كثيرة جدا واتحد جميع البرنسات تحت قيادة دمترى لاجل أخذ الاحتياطات اللازمة فى المدافعة العامة وفى سنة ١٣٨٠ تقدم الخان داخل روسيا رئيس جميع المحاربين التابعين له فقابل البرنس الاكبر وجيشه على شاطئ نهر الدون فانهزم الخان شر هزيمة وتشتتت قبائله هربا وقتلا وقيل من هلك فى هذه الوقعة من التتار نحو مائة ألف نفس وفى سنة ١٣٨٢ عاد التتار وأخذوا فلاديمير وموسكو وحرقوهما وقتلوا من موسكو نحوا من ٢٤،٠٠٠ نفس بالسيف وانجبر دمترى على أن يصطلح معهم بدفع نفائس باهظة ثقيلة جدا وتسبب من هزيمته هذه ابتعاد وارتداد البرنسات الروسية عنه فسار بسيرة الانتقام منهم وقهرهم مرة أخرى فوضعهم موضع الرق والعبودية وصرف آخر سنى حياته فى توطيد شوكته فى ممالكه ومات فى سنة ١٣٨٩

ثم ان فسيلى الثالث خلف أباه أشبه ببرنس كبير فى موسكو فعامل البرنسات تبعته بالشدة والقساوة الا أنه بواسطة الخضوع الوقتى والهدايا اكتسب الالتفات العظيم من الخان وأنعم عليه بممالك (سوظدال – وطشير ينغوف – وترنى نوفغورود) فصار أهلها من ابتداء هذا الوقت مرتبطين ارتباطا تاما مع موسكو واجتهد فى جعل نوفغورود خراجية لموسكو الا أنه لم ينجح فى ذلك ومات فى سنة ١٤٢٥ تاركا لابنه أقوى مملكة وأعظمها عمرانا فى روسيا وفى مدة سلطنته ضرب كثير من النقود فى روسيا

ثم جلس فسيلى الرابع ابن فسيلى الثالث على التخت وعمره خمس سنوات فانتهز الفرصة عمه يغور (أو يورى) بالنسبة لصغر البرنس الاكبر واغتصب التخت فاستغاث بالقبيلة فصدر الامر للغاصب بالتنازل عن التخت فحشد (يغور) جيشا وأخذ موسكو بالهجوم ونفى فسيلى الى القسم القاصى من

مملكته ومع ذلك فان الغاصب أثناء نصرته وجد نفسه متروكا وحده وذلك أن جميع سكان موسكو تبعوا أميرهم الشاب الى دار منفاه وتركوا (يغور) وحده مع عساكره فى المدينة ولما خبطه هذا الانعزال نزل عن تخته الوحيد وأعاده الى وارثه الشرعى ثم ان فسيلى الرابع زاد كثيرا فى ممالك موسكو بان أضاف (هاليظ — وموظهيسك — وبوروسك) الى مملكته وفى مدة هذه السلطنة اشترك (ايسيدور) حاكم كيبغ فى المجلس العمومى (بفلورنسه) سنة ١٤٣٩ ورضيت بحصول الاتحاد مع الكنائس الجريقية واللاتينية ولما لم يقبل فسيلى هذا الفعل وضع ايسيدور فى الحبس فنجا منه بعد بضع سنين وهرب الى ايطاليا ثم ان عزم فسيلى على حرب التتار حرمه من تخته الا انه عاد اليه وبعد مضى مدة سجنه ابن عمه ابن يغور وقلع عينيه وضبط تخته فالتأم الاشراف لمعاضدة أميرهم الاعمى وخلعوا الغاصب وسموه وأعادوا فسيلى الى تخته فمات فى سنة ١٤٦٢ ميلادية

ثم ان ايفان الثالث الملقب بالاكبر خلف أباه وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وتسلطن ثلاثا وأربعين سنة وكان مقصده العظيم فى حياته تحرير مملكته من سلطة الاغراب وأن يجعل نفسه سلطانا مطلقا على جميع ممالكه وقد نجح فى كل من هذين العزمين ففى سنة ١٤٦٩ فتح قزان الخان وجعله خراجياله وفى مدة العشر سنوات التى جاءت بعد ذلك فتح جمهورية نوفقورود — وبرم — وبسكوف وأضافها الى مملكته وكان هذا الفتح عاقبة لنوفقورود فأخذت فى الاضمحلال وزال فلاحها وقيل انه قبل فتحها كان بها من السكان ٤٠٠,٠٠٠ نفس وهى الآن مدينة ثانوية تجارية فى المملكة الروسية ثم أعلن ايفان الى مبعوثى التتار بأن روسيا ما عادت تدفع خراجا مطلقا الى الخانات فنتج من ذلك تجدد الحرب مع التتار الا أن ايفان ظفر فيه وردهم على أعقابهم ومن هذا الوقت انفصل البرنس الاكبر من دفع الخراج الى الخان وبعد ذلك صارا خضاع ظفر وعدة ممالك أخرى روسية وأضيفت الى الممالك الموسكوبية وفتح ايفان أيضا أقساما من بلاد سبيريا فى سنة ١٤٩٩ الا انه فى حرب مع (الليفونيانيين) ومحالفيهم انهزم الفرسان الطوطونيقية شر هزيمة وانجبروا على الصلح فى سنة ١٥٠١ ولما وقعت القسطنطينية فى يد الترك اشتاق ايفان أن يثبت لنفسه أنه خليفة الامبراطورات الجريقية ولاجل تمام هذا الغرض تزوج بالبرنسيسة صوفية وارثة البيت الملوكى البزانطيومى وكانت زوجته ماتت قبل ذلك ببضع سنين وفى الحال بمجرد زواجه الثانى قبل ايفان لنفسه صورة تاج الامبراطورات البزانطينية المصور عليها رأس انسر مضاعفة

وكان ايفان أستاذ المكر والخديعة اكتسب بهما او بالقوة السلاحية بعض مظفرات مهمة وكان عبوس الوجه فى ادارته الداخلية وكسر سلطة البرنسات الصغيرة والاشراف وحولهم الى ما يحبه ويختاره وكان أول من لقب بالحاكم المستبد أو المطلق فى جميع الروسيين الذين خلفوه من ابتداء ولادته وعمل عدة نظامات خطيرة وأصلح القوانين ونظم الضرائب العمومية وغير عوائد القسيس الى أحسن الاحوال وكان وارثه الحقيقى دمترى ابنه الاكبر من زوجته الاولى الا أنه أبعده عن ذلك باختياره ثم رماه فى السجن ثم أثبت لابنه من زوجته الثانية صوفية وراثة التاج ولما أنذر بتغيير الخلافة صرخ مع الغضب قائلا ألم أكن فى وقت حريتى أعمل ما أشتهى انى سأعطى روسيا للذى أظن أنه صالح لها وانا آمركم بالطاعة والانقياد ووضع الذين أنذروه فى السجن ومات فى سنة ١٥٠٥ بعد أن بلغ من العمر سبعا وستين سنة تاركا لخليفته من بعده مملكة قوية كثيرة العمران لم يحكمها أحد قبله

وجلس فسيلي الخامس ابن صوفيه على تخت أبيه وتبع سياسة أبيه مع الثبات والنجاح وفي سنة ١٥١٠ أضاف بسكوف الى ممالكه وأخضع الممالك الموجودة في روسيا تحت نصف استقلال ولما دخل في تتارقزان حاقة العصيان تشتتوا بالكلية في سنتي ١٥٢٤ و ١٥٣٠ وصاروا خراجيين للروسيين ثم ان فسيلي أنشب حروبا على الليتوانيين والپولنيين الا أنها كانت على غير ثمرة مهمة ومات في سنة ١٥٣٣ بعد أن تسلطن ثمانيا وعشرين سنة تاركا المملكة في زيادة الاتساع والمتانة بواسطة اجرا آته المدبرة

ثم ان ايفان الرابع الملقب بالعنيف لما كان طفلا وقت موت أبيه جعلت أمه هلانه نفسها نائبة عنه وهذا مغاير لعوائد الروسيين وضبطت موقعها أربع سنوات وأخذت المعارضين لها مع العسف القاسي وفي سنة ١٥٣٧ ماتت مسمومة وصار ضبط النيابة بواسطة (شوسكي) رجل قوي الشوكة من عائلة كبيرة وكان رئيس هذه العائلة رئيس المجلس العالي للاشراف (البويار) وحصل لهذه العائلة ذل عظيم ومعاملات قبيحة من أيادي الملوك الكبيرة فشرعت هذه العائلة في أخذ ثارها بكونها حولت جميع غضبها على ايفان الشاب حتى صارت حياته على خطر من هذه العائلة فنهبوا الخزائن وسلبوا الاهالي وظهر من النائب القبيح أنه يرمي نفسه على فرش القيصر الشاب وأثبت قدمه مع الفظاظة في حضن سلطنة روسيا وعامل (الاشويسكيون) جميع المعارضين لشوكتهم بالقسوة ورأى ايفان أحبابه جاريا قتلهم وعذابهم تطر الالتفاته اليهم وفي سنة ١٥٤٣ لما بلغ عمر القيصر أربع عشرة سنة صار عزل الشويسكيين بالغلنسكيين وهي عائلة كبيرة أيضا ضبطت النيابة وسارت السير الاول من القساوة والسلطة المستبدة التي كانت في مدة أمرائهم وكانوا يخالفونهم في كونهم جعلوا القيصر سترا أمام أفعالهم فنهبوا وقتلوا وسلبوا على اسمه وأعلموا القيصر أن الاشراف هم ألد الاعداء له بدل أن يكونوا أكبر المعاضدين لتخته وأنه يمكنه بقاء شوكته بتة طيب الوجه وقساوة الاعمال فزادوا وقووا انتشار فظائعه الطبيعية ومدحوه عندما يشرح نفسه بتعذيب الحيوانات الوحشية ورمي الاليف منها من فوق قمة سرايته وفي حال جريه وهيامه يصدم الناس الاختيارية الى الارض ويدوسهم تحت أقدام خيله نساء وأطفال موسكو ومكثت معيشة ايفان أربع عشرة سنة من ثلاث سنوات الى سبع عشرة سنة بين هذه المناظر المهولة وصار التحفظ عليه مع الثبات الزائد مدة هذه الاحوال المرعبة حتى صار عقله الآخذ في الصلابة معوجا وأحب القساوة والفظاعة وظن أن خلاصه ونجاته في تعذيب أمته واحتقارها

ومكثت سلطنة الغلنسكيين ثلاث سنوات وفي سنة ١٥٤٧ لما قطع أهالي موسكو اليأس وقنطوا من حصول العدل قاموا عليهم وذبحوهم وحرقوا المدينة وفي أواسط هذه المناظر المهولة التي حصلت دخل ناسك اسمه (سيلفستر) السراي حاملا على يديه الاناجيل في هيئة مرعبة وأعلن القيصر بان الهياج والفتن لم تكن ناشئة الا انتقاما من الله على الذنوب التي اكتسبها ونصحه وأنذره أن يحكم قومه بالعدل والانصاف وأخذ الناسك على ايفان العهد بما قاله له ووعده باجراء الاحكام العادلة وفعل مافيه صلاح الرعية وساعد (الكسيس أداشيف) وهو قائد شريف بتضرعاته انذارات سيلفستر فحصل من ذلك تغييرات كبيرة في الاعمال

وأخضع ايفان نفسه الى (سيلفستر وأداشيف) ووثق لاداشيف بالعدل في حكومة المملكة فكثت

روسيا الثلاث عشرة سنة التي أنت عقب ذلك بصلح مبرور وحكومة عظيمة ورجع النظام بالسرعة في الحكومة وأجريت الادارات والاحكام بالعدل وصار تنظيم جيش ثابت لحفظ قواعد المملكة وأعيدت النظامات العسكرية مرة أخرى وفي مدة صغر ايفان استقل حاكم قزان بنفسه وفي سنة ١٥٥٢ ساق القيصر جيشا كثيفا على قزان وفتحها وكسر شوكة تتار هذا الاقليم حتى قنطوا من رجوع شوكتهم اليهم ثانيا وفي سنة ١٥٥٣ فتحت طريقة تجارية الى أرخنجل على البحر الابيض وهي المينا الوحيدة للروسيا وفي سنة ١٥٥٤ صار أخذ (اصطراخان) وامتدت حدود المملكة الى بحر قازبين وشيدت معاقل في طول الثغور لصد غارات التتار واتحدت قوزاق الدون مع المملكة في سنة ١٥٧٠ وفي سنتي ١٥٨١ و ١٥٨٢ فتح يرماك وهو قوزاقي قاطع طريق سيبريا للقيصر ثم ان ايفان اشتغل كثيرا بتمهيد سبل التجارات وترقيها في بلاده وعقد معاهدات تجارية مع انكلتره وحرض كثيرا من الجرمانيين وأهل انكلتره على الاقامة في مملكته وفي سنة ١٥٦٩ رتب مصلحة المطبعة في موسكو وأنشب حروبا مع اسوج وبولنده كان فيها الظفر تارة لهذا وتارة لذاك وشرع في طرد الفرسان الطوطونيقية خارج ليفونيا الا أنه لم ينجح في مقصده وفي سنة ١٥٨٢ انجبر على ايقاف الحرب بتسليم ليفونيا الى اسوج

وفي سنة ١٥٦٠ مات (الكسيس اداشيف) وبعده بقليل ماتت أيضا (القيصرة انسطاسية) التي كان ايفان متعلقا بها وفي هذا الوقت أصيب ايفان بمرض شديد كاد يعدمه الحياة ولما عادت اليه صحته ظهرت عليه علامات الجنون والخبل حتى صار سجية له وصار من ابتداء هذا الوقت مغموما مرتابا يثور عليه الغضب المزعج حتى لا يمكن أي أحد اطفاء هذه الحالة الا ويعتقد أنه يبغضه وكان في عذاب أليم من خوفه من تعصب أمرائه وثورانهم وأحاط نفسه بقوة من العساكر لعمل طريقة في طرد الاهالي الموجودين في الشوارع الملاصقة لسرايته وكان يبتهج بوقوع الاكدار على رعيته حتى صار ما عاملهم به من الظلم أحد الاعمال المشهورة التاريخية وذلك انه قتل في مدينة نوفغورود التي كان يبغضها بالنسبة لعلو حريتها وشماختها نحوا من ٦٠,٠٠٠ في سنة ١٥٧٠ وجز بيده كثيرا من الاهالي العديمة السعادة وجمعهم في الميادين الواسعة وأضاف الباقي الى حراسه المنتخبين وعبيده وكلابه فمكثت هذه الحالة زيادة عن شهر يغرق في تيارها يوميا مئات من هذه المخلوقات المنحوسة ثم قال الآن تم العدل وعادوا أخضع نفسه بشدة للذين يتوسلون ويتضرعون للاحياء فأخذوا الحذر منه في كونه لا ينسى الانقياد لاوامر آلهتهم الارضية وظهر في (طيفر وبسكوف) فظائع مشابهة لذلك وقتل في موسكو من أشرافها المشهورين نحوا من خمسمائة ولم تنج امرأة فضلا عن رجل من أوامر ايفان القاضية بشنقهم على أبواب دورهم وأمر بأن أزواجهم لا يخرجون ولا يدخلون الامن تحت رمم موتاهم حتى ان الاجسام عفنت وسقطت عليهم قطعا قطعا وفي جهة أخرى أسرع الازواج والاولاد الى المحلات التي أعدت لموتهم على موائد أهلية وجبروا أزواجهم وأمهاتهم على الجلوس بعض أيام مقابلين لاعزائهم المدة الباقية من حياتهم وجبرهم القيصر بجنونه أن الابناء يقتلون الآباء وأن الاخوان يهلكون بعضهم ورمى أسرى الحرب في قزانات تغلي مياهها أو بطعنهم بالرماح ويشويهم على نيران هادئة ويحركهم فوقها بنفسه وامتلأت جميع المملكة بالرعب من سفك الدماء وأخيرا تجاسر مقدار من الوجوه الصادقين مترئسين عليهم الابن الاكبر للقيصر وحضروا لطلب الرحمة مع

التذلل والخضوع فأمسك ايفان مع الجنون ابنه وضربه ضربة واحدة بعصاه الملبسة بالحديد فرماه قتيلا تحت أقدامه ووقع فى تأسفه وتوبيخ نفسه على هذا الفعل الجنونى حتى مات فى سنة ١٥٨٤ ومع ما كان فيه من الجنون والظلم عمل أعمالا فى ارتقاء روسيا الى أعظم درجة زيادة عن أى واحد قبله وجعلت فتوحاته روسيا مملكة قوية فى الاراضى والمحصولات ومع ذلك ما كانت لحد هذا الوقت تتداخل فى الاعمال الاوروباوية وانفصلت عن الامم الاخر لهذه القارة بواسطة البولنديين والاسوجيين الذين بيدهم زمام الولاية الغربية لروسيا وسواحل بحر بلطيق وفى الجهة الجنوبية تتارالقرم واقعة بين روسيا والبحر الاسود وكانت ميناها على بحر قزبين والبحر الابيض فقط وكانت مينا ارقنجل المؤسسة فى مدة هذه السلطنة هى المركز الذى منه تجارة المملكة مع انكلتره والممالك الاخر الاوروباوية كانت تتصدر فى هذا الوقت

ثم ان (فيودور الاول) الابن الثانى لايفان كان عمره سبعا وعشرين سنة لما جلس على التخت عند موت أبيه وكان ضعيفا متمرضا وكان أعظم ابتهاجه ملازمة الكنائس ودق النواقيس وما كان فيه لياقة لان يكون ملكا وكان أبوه متيقظا من عجزه وضعفه فتركه تحت محافظة مجلس من الاعيان (البويار) وكان القائد صاحب الشهامة لهذا المجلس (بوريس جودينوف) وهو رجل تتارى الاصل وصهر فيودور فجعل بوريس نفسه فى الحال أستاذا الشوكة العالية للمملكة ودبر الحكومة على حسب أغراضه ولم يكن الضعيف فيودور الاعبارة عن خارة فى يده وأمر بنفى دمترى الابن الآخر لايفان وكان طفلا صغيرا بالحالة التى تركه أبوه عليها وقتل فى محل نفيه بأمر بوريس ولم يحصل من بوريس ازعاجات ولا آلام تمس احترام أهل موسكو ولما اشتاق الى التخت عند موت فيودور جعله عظيم بسالته وشجاعته قادرا على أن يبرز أغراضه مع النجاح التام وفى سنة ١٥٩١ غزا خان القرم روسيا وتقدم الى موسكو التى كانت غير محصنة بالاستحكامات فكانت الاهالى فى يأس وقنوط الا أن بوريس أمر بشهامة خارقة للعادة برسم خط استحكامات يدور حول المدينة واستعد بقوة من المشاة والطوبجية وصد هجوم التتار عن المدينة فتقهقر جيشهم بعد أن ابتدأت فيه التلفيات وفى سنة ١٥٩٨ مات فيودور الاول وبه انقطعت سلسلة روريك بعد أن جلست على التخت ٧٣٦ سنة

ثم دعى (بوريس جودنوف) الى الجلوس على التخت بواسطة الاشراف والاهالى بعد مناقضات عديدة تمت حسب مرغوبهم وأول حادثة كبيرة حصلت فى مدة سلطنته اقامة العبودية الا أن جميع حكمه كان عائدا بالنفع على روسيا وأمر بأن ادارة المملكة تكون على حسب القوانين من غير أغراض ولا محاباة وشجع على الفنون والتجارة وحرض كثيرا من عقلاء الاغراب على الاقامة فى ممالكه ورقى مملكته الى أعلى درجات التمدن وعامل الامراء والوجوه بالشدة الزائدة وبهذا تجنبوه واستقبح فلاحو البلاد اقامة العبودية ونشأ من ذلك فظائع سافكة للدماء صار اخمادها بكل صعوبة وفى سنة ١٦٠١ حصل قحط مهول فى روسيا استمر ثلاث سنوات حتى انه مات من موسكو فقط نحو من مائة ألف وبذل بوريس طاقته فى جلب ما تحتاج اليه الاهالى الا أنه لم يتيسر له الحصول على اتمام شئ كثير فى وسط هذه الاكدار العظيمة

وفى وسط هذه المصائب المتسببة من القحط ظهر فى بولنده كذاب ادعى أنه دمترى بن ايفان الذى أمر بوريس بقتله لما كان طفلا صغيرا وعضده كثير من أشراف البولنديين ونجح فى كونه جمع قوة غزا بها

روسيا فى سنة ١٦٠٣ وصار كل من كان غير راض عن بوريس يندرج تحت بيرقه ووجد نفسه فى مدة قليلة فى رأس جيش عظيم وانتصر على قوى القيصر الا أنه انهزم أخيرا شرهزيمة

وفى ١٣ ابريل سنة ١٦٠٥ مات بوريس بغأة فخلفه ابنه فيودور الثانى وعمره ست عشرة سنة وفى ٧ مايو بعد مضى ستة أسابيع تعصب الجيش وقام وأعلن دعترى الكذاب بانه قيصر وفى غرة يونيه تبع سكان موسكو ما عليه الجيش وأعلنوا بدعترى وقبضوا على فيودور وطرحوه فى سجن ثم قتلوه بعد مدة قليلة وفى ٢٠ يونيه دخل دعترى فى وسط ابتهاج وسرور الاهالى وبعد بضع أسابيع توجوه مع التأكيد قيصرا على جميع روسيا فحصلت منه براهين خارقة للعادة فى شهامة الملك وكان رجلا مفصالا لم يكن لروسيا معرفة بمثله وكان معضدا لاكبر اتحاد جميع قوى الجنس الاسلاف وطرد التتار والترك من أوروبا قاطبة وابتدأ فى الحال بالاستعداد لهذا الحرب وأمر القسس أن يتحملوا نصيبا من المصاريف الحربية وضرب عليهم ضرائب وهذه الطريقة أوقعته فى شر أعماله لان القسس لم يكن عندهم أدنى تصور فى تحمل أى ثقل من أثقال المملكة فأظهروا سلطتهم القوية ضد القيصر وثاروا فى خلعه وانضم اليهم كثير من الامراء والوجوه وكان من ضمنهم بعض الذين ثاروا على بوريس وكان رئيس الثورة (فسيلى شويسكى) وهو شريف مقدام أغدق عليه دعترى بالخير والاكرام وفى ١٨ مايو سنة ١٦٠٦ تزوج القيصر مع الاحتفال العظيم برنسيسة بولندية جاءت بعدد عظيم من خدمها من أهل بلادها وكان زواج القيصر بها ليس على دين الاورثودكس فغضب الاهالى غضبا كبيرا وأدت أفكار البولنديين الذين يكرهون احترام الدين الجريقى الى زيادة هذا الشعور كثيرا وفى ليلة ١٨ انتهز أرباب الثورة فرصة غضب الاهالى وأخذوا السلاح وانضموا الى أهالى موسكو وتقدموا مع الشهامة الى القرملين وهجموا على السراى وقتلوا دعترى ومن كان معه جالسا ونجت القيصرة بنفسها مع أشق الاحوال

وبمجرد قتل دعترى أعلن الامراء والوجوه فسيلى شويسكى بانه قيصر أشبه بفسيلى السادس وتتوج فى غرة يونيه سنة ١٦٠٦ وكانت سلطنته غير مقبولة عند الامة فانفجرت عليه ثورة مهولة وقالوا ان القيصر دعترى لم يمت بل نجا بنفسه الى بولنده وأوعز معاضديه الى الهجوم على شويسكى وظهر فى الحال دعترى كذاب مساعدا بجيش بولندى فتقدم نحو موسكو وعمل فسيلى السادس معاهدة مع الاسوجيين ليقاوموا هذه الغزوة فهذه الفعلة حرضت (سيغيسموند الثالث) ملك بولنده على المحاماة على أمر دعترى الكذاب ووجد شويسكى أن معاهدة الاسوجيين لا اعتماد عليها بالكلية فانهم توجهوا مع السرعة الى البولنديين وانجبرت موسكو على التسليم فى سنة ١٦١٠ وأسر القيصر وأرسل الى احدى قلاع بولنده ومات فى السنة التالية وفى سنة ١٦١١ هجم الاهالى على البولنديين فى موسكو وحرقوا المدينة وقتل ألوف من الاهالى بالسيف وانقضت مدة الحكم المطلق وصارت روسيا من غير ملك وعاصمتها فى أيادى البولنديين وكان العزم الظاهر للبولنديين جعل روسيا اقليما من مملكتهم لاحياء السلطة الداخلية وفى سنة ١٦١٢ نجح بوظهارسكى وقواد آخرون من الاهالى فى جبر البولنديين على الانسحاب الى بلادهم

ولما حرر الروسيون بلادهم استعدوا لانتخاب ملك جديد للتخت الخالى فوقع الانتخاب على ميخائيل رومانوف وهو من سلالة النساء لسلسلة روريك مؤسس المملكة وكان ابن فيودور رئيس أساقفة

روستوف

روستوف وبعد ذلك صار بطريق موسكو فاعلن له بالقيصرية وتتوج فى سنة ١٦١٣ وصار مؤسسا للعائلة الملوكية الحالية فى روسيا وكان عمر ميخائيل وقت انتخابه ١٦ سنة وتسلطن ٣٢ سنة ونجح فى اعادة النظام لمملكته وعقد فى سنة ١٦١٧ معاهدة سلمية مع اسوج و بولنده وبذل جهده فيما يعود منه زيادة نجاح مملكته ودخل فى معاهدات تجارية مع انكلترة وفرانسا والصين وفارس وأحيا ميت التجارة الروسية وفى سنة ١٦٣٩ دفع حدود أقاليمه الآسيوية الى البحر المحيط الباسيفيكى وكان ميخائيل بصيرا بالامور حاكما مقداما وقبل انتشاب الحروب مع اسوج و بولنده نال حفظ الامان فى مملكته وأعادها الى أرقى درجة من الفلاح بعد أن كانت هوت الى الحضيض ومات سنة ١٦٤٥

ثم ان الكسيس الابن الاكبر لميخائيل استخلف على التخت من غير معارضة فسعى هذا القيصر الجديد بعقل تام على حسب سياسة أبيه فى تمدن روسيا واكسبها ذكرا جميلا بين أمم أوروبا وفى سنة ١٦٥٤ وطد شوكته على قوزاق الدون وحيث ان هذه القبيلة كانت رعية بولنده انتشب حرب مع هذه المملكة وانتهى بان استرد الى روسيا (طشير نجوف) و (صمولنسك) و (كيغ) و (الاقرين) ومات الكسيس سنة ١٦٧٦ وخلفه ابنه (فيودور الثالث) الذى مات فى سنة ١٦٨٢ والله أعلم

(الباب الثانى)

من سلطنة بطرس الاكبر الى الايام الحاضرة

أولاد فيودور الثالث – البرنسيسة صوفيا – صيرورتها نائبة – جلوس بطرس الاكبر – عزمه على صيرورة روسيا مملكة أوروباوية قوية – فتح أزوف – زيارته للممالك الغربية الاوروباوية لمعرفة صنائع التمدن – عوده الى روسيا – اخماده ثورة الاستريلطز – اجرا آت بطرس فى اصلاحات مملكته – الحرب مع اسوج – ضبط انغريا وكرليا – تأسيس سنت بطرسبورغ – الحرب مع تركية – ضياع أزوف – سرعة تقدم روسيا تحت حكم بطرس – موته – كاترينه الاولى – صيرورة بطرس الثانى قيصرا – الامبراطورة حانه – الحرب مع تركية – استرداد أزوف – صيرورة اليزابث امبراطورة – حرب السبع سنوات – دخول روسيا فى معاهدة مع أوستريا – موت اليزابث – ترجيح بطرس الثالث بروسيا – كاترينه الكبرى – سلطنتها – ارتباطها مع اسوج – تداخل روسيا فى أعمال بولنده – الحروب مع تركية – التقسيم الاول لبولنده – نصيب روسيا – مظفراتها على الترك – سواروف – أخذ اسماعيل – معاهدة ياسى – موت كاترينه الكبرى – بول الاول – اشتراك الروسيا فى حروب عصيان فرانسا – قتل بول – اسكندر الاول – حروبه مع نابليون – معاهدة طلزيط – صحبة اسكندر لنابليون – تجديد الحرب – غزو فرانسا روسيا – مصيبتها الاخيرة – السنين الاخيرة لاسكندر – موته – نيقولا – الحرب مع تركية – ثوران بولنده فى سنة ١٨٣٠ – اخمادها – حرب القرم – موت نيقولا – اسكندر الثانى – ابطال العبودية – معاملة اسكندر لبولنده – عصيان سنة ١٨٦٣ – اخماد هذا العصيان – اندراج بولنده فى المملكة – بيع الاملاك الروسية الامريكانية – فسخ معاهدة باريس – تقدم الروسيا فى الشرق

ـ فتح خيفا ـ ثورات الاقاليم التركية سنة ١٨٧٥ ـ عزم روسيا على التداخل فى مساعدة الحزبين المسيحيين ـ المذابح البلغارية ـ الهيجان فى الروسيا ـ اجتهادات فى فصل هذه المشاكل ـ استعداد روسيا للحرب ـ صدور الاوامر للجيش بالبروز لميادين الحروب ـ اعلان روسيا بالحرب على تركية ـ حوادث الحرب فى ارمينية ـ سقوط قارس ـ حوادث الحرب فى بلغاريا

قد صار تتويج بطرس وايفان ابنى القيصر الكسيس ملكين على روسيا وكان ايفان أبله قليل العقل وكان قيصرا اسما فقط وكان بطرس غلاما فنابت عنه أخته صوفيه وهى امرأة جميلة ذات جسارة وبسالة وعزمت على أن تجعل التاج لنفسها فخيب بطرس مشروعها فى سنة ١٦٨٩ وضبط التخت وجعل نفسه قيصرا وكان عمره سبع عشرة سنة طويل القامة نحيف البدن متعودا على الملاهى والشرب الا أنه قوى ذو عزم مرعب حتى صار بذلك أكبر انسان عالى الهمة فى التاريخ البشرى وأكسبه اللقب العظيم المحفوظ عليه وهو أكبر وابتدأت سلطنة بطرس الاول الملقب بالاكبر بعزم ثابت فى جعل روسيا احدى الممالك الرئيسة الاوروباوية وكانت قبل مملكة قوية الا أنها منفصلة عن كافة العلاقات مع الممالك الاوروباوية وجبر بولنده على أن تعطى مبلغا وافرا فى نظير الاراضى الروسية الموجودة تحت يدها والتفت التفاتا جيدا الاصلاح مينته الوحيدة ارقنجل وصمم على أن يجعل لمملكته الاهمية والاعتبار المستحق لها بين الممالك الاوروباوية وأنه يجب أن يكون لها ساحل بحرى زائد الامتداد لضرورة لوازمها ففى سنة ١٦٩٦ فتح أراضى أزوف وأضافها الى ممالكه وكانت هذه الاراضى تحت حكومة الترك فبهذا صار له قدم على البحر الاسود وعزم على انشاء أسطول يكون له بواسطته القدرة على اجراء فتوحاته ويجعله أعظم من أسطول تركيا ولاجل الشروع فى عمل هذا الاسطول وتعليم الصنائع التمدنية الواجب عليه نشرها بين رعيته جعل الحكومة فى يد أحد شيوخ الاشراف وسافر الى الممالك الاجنبية لممارسة نظاماتها ومعرفة أشغالها الصناعية التى بواسطتها اكتسب فوزها فزار اسوبج وبرندنبورغ ووطد اقامته فى ساردام فى الفلمنك واشتغل فيها أشبه بنجار مراكبى وكان يأخذ أجرته كل ليلة أحد وعاش مع الاحترام مثل الشغالين وبهذا تعلم فن انشاء المراكب بالنسبة للعالات والتجاريب الوقتية وعرف بدقة النظر والتأمل طرق السير والمعاملات الحاصل منها للفلمنك النجاح والصلاح وفى هذه المدة وضع جواسيس يراقبون أعمال روسيا ويباشرون حكومتها وفى سنة ١٦٩٨ زار انكلتره على حسب طلب غيليوم الثالث فتلقاه بالاحتفال الزائد الا أنه بدل أن يقعد فى قيعان الضيافة صرف وقته فى الفرجة على الترساخانات وتمم معرفة انشاء المراكب وعمارتها وبهذا أعد نفسه لان يكون ممدنا لاهل بلاده ثم فارطم مع أحد الاشراف وذلك أن الاخبار وصلت اليه بعصيان الاستريلطز فعاد بطرس الى روسيا سنة ١٦٩٨ فوصل الى موسكو فى شهر سبتمبر مباشرة بعد اطفاء ثورة العصيان بواسطة قواده وأخذ ٧٠٠٠ أسير من أرباب الثورة وأمر بقتلهم ولما أعاد القيصر الانتظام ابتدأ فى وضع أعماله فى الميدان مع القوة والنباهة وبهاته شم أن يجلب روسيا الى معاملات مستقيمة مع أوروبا وأن تستحسن منه الوضع الذى يرجو أن يجعلها فيه فابطل الملبوس القديم الملى واستحسن هيئة ملبوس أوروبا الغربية وطلب من جميع الروسيين ماعدا القسس والفلاحين أن يحذوا حذوه ووضع ضرائب ثقيلة على أرباب اللحى بقصد أن يتركوا ماهم عليه وغير

ألقاب الاشراف وأضعف شوكتهم وصرح بانتشار التوراة مع الحرية داخل ممالكه كما أنه سمح بذلك لجميع المذاهب القديمة

ثم استيقظ بطرس وافتكر أن منفذه على بحر بلطيق يكون موافقا لنوال مطلوبانه وحيث ان اسويج التى هى ضابطة للاراضى الموجودة بين مملكته وذلك البحر انتقلت ليد شارلس الثانى عشر الصغير رأى أن الاحسن انتهاز الفرصة فى اتمام مقصوده وبناء على ذلك عقد اتحاده مع دانيمارقه وبولنده فى تقسيم ممالك اسويج فتعجب شارلس من عداوته له وأسرع فى الاجرا آت اللازمة لمقاومته ولما عاقب شارلس دانيمارقه على ما وقع منها عاد على الجيش الروسى الذى كان محاصرا مدينة نرفه فى الاراضى الاسويجية الكائنة فى شرق خليج فنلند وهزم شارلس بقوة قليلة الروسيين فى ١٣ نوفمبر سنة ١٧٠٠ وأسر كثيرا منهم بعهماتهم وطوبجيتهم ولم يكن بطرس موجودا فى ميدان الواقعة الا انه سمع ما حصل للجيش الروسى من الهزيمة وكانت جيوشه كثيرة العدد على قدر الكفاية الا أنها كانت على غير قواعد نظامية ولاجل مداواة ما وقع بهم من الهزيمة أرسل ٢٠٠٠٠ من عساكره الجيدة ليستخدموا تحت ادارة ملك بولنده الذى كان الغرض الثانى لبطش شارلس والانتقام منه

أما حوادث فوز شارلس فى طرد أغسطس الثانى عن تخت بولنده وجلوس ستانيسلاوس فسنذكرها ان شاء الله فى تاريخ اسويج وقضى بطرس سنى أشغال شارلس فى اصلاح جيشه ودونمته وضبط اقليمى انغريه وكرليه اللذين اغتصبهما الاسويجيون من الاراضى الروسية سنة ١٦١٢ فاستحواذه على هذه الاراضى صيرله قدما على بحر بلطيق وعزم أن لا يتنازل عن ذلك أبدا وفى سنة ١٧١٤ أخذ (دوربات ـ ونرفه) واحتلت القوى الروسية (كورلند ـ وليثوبانية) وفى هذه السنة أيضا أسس بطرس الذى كان واثقا بانه لا يمكن جبره أبدا على التنازل عن فتوحاته مدينة جديدة على جزيرة بالقرب من مجمع نيفه بخليج فنلند وسماها سنت بطرسبورغ تعظيما للقديس بطرس الرسول وكان مقصده أن هذه المدينة الجديدة يلزم أن تكون عاصمة مملكته وشيد لحمايتها قلعة كرونسطاد فى رأس خليج فنلند وموقع هذين المحلين كان منسوبا فى الوقت لاسويج بواسطة معاهدة وبمجرد ما علم بمعاهدة الطرنسطاد التى قبل بها أغسطس الثانى التغييرات فى بولنده أسرع بطرس الى بولنده ونجح فى تحريض المجلس الملى على التجنب عن المعاهدة وأعلن بخلو التخت البولندى

وفى سنة ١٧٠٨ غزا شارلس الثانى عشر الروسيا عازما أن يسير الى موسكو وقد ذكرنا هذه الغزوة وما حصل فيها من المصائب والاهوال وفى سنة ١٧١١ بينما كان شارلس فى تركية كان بطرس يحرض على غزو اقليم ملداويه ووجد نفسه على حين غفلة محاطا بجيش تركى قوى ورأى أنه وقع فى شر أعماله فخلص من هذا الموقع الخطر بنباهة زوجته القيصرة كاترينه وبواسطتها عقدت معاهدة صلحية مع تركية وسلم بطرس أذوف للسلطان وسحب جيشه من بولنده وصرح له بعبور نهر البروس من غير حصول أدنى خسارة وفى سنة ١٧٢١ انقفل الحرب بين روسيا واسويج بصلح عمل فى نسطاد وفى هذه المعاهدة ردت روسيا فنلندا ما عدا الاقليمين الاسويجيين الموجودين فى شرق بحر بلطيق

ثم ان بطرس صار له فكر ثاقب فى أشغاله ففى مدة الاحدى وعشرين سنة التى مضت من ابتداء فتوح القرن نظم جيشه وأدخله تحت القوانين النظامية العسكرية وأنشأ عمارة بحرية وأقام نفسه

على بحر بلطيق وشيد مدينة مزخرفة بين مستنقعات نيفه وأصلح الادارات العدلية وضاعف التجارات الاجنبية الروسية وأمر بانشاء الفوريقات فى مملكته وأنشأ الطرق وحفر الخلجان وأنشأ المطابع وجلب لها الآلات اللازمة وبالجملة فانه هذب روسيا ومدنها ووضعها فى أول درجة من درجات الممالك الاوروباوية ولقبه مجلس الاعيان ومجلس الديانة بلقب امبراطور جميع الروسيين وكان يلقب عند جميع رعيته من كافة الاجناس بطرس الاكبر وهو لقب السعادة وبعد مضى بضع سنين مد بطرس حدود مملكته الى بحر قزبين على مصاريف فارس

وفى سنة ١٧١٨ قام الكسيس الابن الاكبر لبطرس الذى اتحد مع الحزب القديم الروسى فى معارضة نظامات أبيه فى ثورة ضد القيصر فقتله أبوه وترك ابنا عمره ثلاث سنوات وبنتا أكبر منه عمرها أربع سنوات ومات بطرس الاكبر فى سنة ١٧٢٥ فخلفته أرملته الامبراطورة كاترينه التى صارت تتوجها مدة حياة زوجها ثم تعضدت بالحزب الجديد الروسى واستمرت على سياسة بطرس الاول الى أن ماتت سنة ١٧٢٧ وتركت التاج لحفيدها بطرس الثانى ابن الكسيس وتزوج القيصر الجديد بنت البرنس منشيكوف وزيره الاول لكن وقاحة هذا الوزير جعلته بشع المنظر قبيح الهيئة عند زوج ابنته فنفاه الى سيبريا

ومات بطرس الثانى فى سنة ١٧٣٠ وخلفته (عانه ايڤانوفنه) دوقة كورلند وهى بنت أخت بطرس الاكبر فكان أحد مبادى أعمالها أنها عقدت صلحا مع فارس وأرجعت القسم العريض من الاراضى التى أخذت من تلك المملكة بواسطة بطرس الاول وفى سنة ١٧٣٥ شرعت فى حرب مع تتار القرم وبعد مدة قليلة مدت الحرب الى المملكة التركية ففتح مونيخ القائد الروسى أذوف ثانيا وهزم الاتراك فى عدة وقائع وعقد أمبراطور أوستريا محالفة مع روسيا ضد تركية سنة ١٧٣٧ الا أن الاوستريانيين لم يحصلوا على فائدة وفى سنة ١٧٣٩ عقدت معاهدة مع تركية انجبرت روسيا على قبولها وعلى التنازل عن بلغراد وساباطش والقسم الاوسترياني من صربية للسلطان وأبقت روسيا أذوف الا أنه لم يكن لها أسطول فى البحر الاسود

وفى سنة ١٧٣٩ قامت ثورة وضعت اليزابث بنت بطرس الاكبر من كاترينه على التخت الروسى فتسلطنت اثنتين وعشرين سنة ولم تشترك فى الحروب الوراثية الاوستريانية لانها كانت مشغولة فى مملكتها بالحرب مع اسوج وهى دولة كما ذكرنا فعزمت على استرداد أراضيها الضائعة الموجودة فى شرقى بحر بلطيق وكانت نتيجة هذا الحرب انهزام اسوج وأخذ أقاليمها الموجودة فى شرقى خليج بوسينه واضافتها الى المملكة الروسية

وعند فتوح حرب السبع سنوات عاهدت روسيا نفسها مع أوستريا وفرانسا واسوج وصكسونيا على تقسيم مملكة بروسيا والاجراآت التى أجراها الجيش الروسى فى هذا الحرب ذكرناها فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة فلا لزوم لاعادتها هنا ثانيا ومن سعادة فريدريق الاكبر أن الامبراطوره اليزابث ماتت فى ينايرسنة ١٧٦٢ وخلفها ابن أخيها بطرس الثالث وكان صديقا للفريدريق فانسحب القيصر من التحشد ضد بروسيا كما ذكرنا وعقد معاهدة مع فريدريق وفى بضعة أشهر صار قتله بأمر زوجته الامبراطوره كاترينه وجلست على التخت أشبه بكاترينه الثانية ورفضت استمرار المعاهدة مع فريدريق وانسحب الاثنان من الحرب وكان ذلك مكسبا عظيما للفريدريق وكانت كاترينه الثانية

الملقبة

الملقبة بالكبرى بعد بطرس الاكبر فى شهرة الملوك الروسية وكانت مشهورة بالفجور والطبع الذميم وما كانت تتردد فى النزول عن الذنب والكبيرة حتى تتم أغراضها وكان ايفان الرابع الوارث الحقيقى للتخت الروسى صار عزله بواسطة الامبراطورة اليزابث سنة ١٧٤١ ومن ابتداء هذا الوقت كان مسجونا وصار معاملته بكل قسوة حتى اختل عقله وتمكن منه الجنون ثم ان كاترينه لاجل أن تزيح هذا البرنس من طريقها أدخلت أحد أخلائها الاولين المسمى (ميرووبطش) وكان شديد البغض لها فى طريقة تخليصه من السجن وأمرت بقتل الاثنين البرنس وميروو بطش

وكانت كاترينه حاذقة شديدة الحكم على مملكتها واستمرت على سياسة بطرس الاكبر وخصصت نفسها التمدن مملكتها وتقدمها الى أرقى درجة بين ممالك أوروبا وجعلت الجيش والعمارة البحرية فى حالة كبيرة من القوة وقسمت المملكة لموافقة الاحكام والادارة الى عدة حكومات لم يزل العمل عليها الحد الآن وفتحت عدة قوانين رسمية فى الخدمات البلدية المدنية حصل منها تأثير عظيم وتقدمت سلطة روسيا ونفوذها فى الخارج مع الثبات والتمكين

ثم ان ضعف حالة اسوج جعل لكاترينه فرصة فى البحث على امتداد سلطتها على تلك المملكة وفى هذه الحالة فازت بمطلوبها لحد جلوس (غوسطافوس الثالث) على كرسى هذه المملكة ورجوع استقلالية اسوج مرة ثانية تحت هذا الملك أدى الى حرب مع الروسيا واستمر حتى انقفل بواسطة معاهدة وربلا كما ذكرنا ذلك وعقدت معاهدة تحالفية ودية بين المملكتين فى (دروطننغلم) وفى المدة الباقية من القرن كانت الارتباطات والعلاقات بين روسيا واسوج ودادية مخلصة

ثم ان پولنده شغلت خاطر كاترينه وقد ذكرنا فى محل آخر حروب هذه المملكة من ابتداء افتتاح القرن الى جلوس أوغسطوس الثالث فى سنة ١٧٣٣ وثبت امتيازها بواسطة معاهدة فيانه سنة ١٧٣٨ ومكث بغير منازعات فى التخت لحد سنة ١٧٦٣ وبعد موته فى هذه السنة صارت پولنده مستبدة فى الاحكام ودخلت فيها الاحكام القبيحة حتى نتج عنها اتلاف نظامها ووقع التخت بين حزبين متنازعين أحدهما كان معضدا بواسطة روسيا وبروسيا والآخر بواسطة فرانسا وظفر المنازع المعضد بواسطة روسيا وبروسيا وجلس على التخت (سطانيسلوس پونياطوسكى) وهو برنس ضعيف قاصر العقل ليس كفؤا للتخت وحيث كان من أقدم عشاق كاترينه فلا يصعب عليها شئ سوى أن جعلته آلة لتقدم أغراضها ومقاصدها

وصار موقع پولنده فى أسوء حال الى الغاية وأخيرا صار ثلثا الاهالى أرقاء وكانوا جهلة فى غاية الحقارة والفقر المهين وكانوا لا يقدرون على الحصول على ملك ولا على اكتساب مؤنتهم بأى شغل يكون الواحد منهم حرا فيه وكانوا متكلين فى تيسر مؤنتهم على الحصاد والمزارع السنوية التى عند خيبتها أدت الى القحط وموت الناس من الجوع وكان باقى الناس مركبا من ثلاثة أصناف من الاشراف ـ القسس ـ والمشرعين ـ وسكان المدن والقرى ـ واليهود ـ والطائفة المدنية فى الاصل عبارة عن ٤٠٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠٠ نفس شغالين منتشرين فى القرى والمدن وكانت حالتهم زيادة عن حالة العبودية بدرجة أو درجتين وكانوا يعاملون فى أى مملكة بمعاملات لا تطاق وكان المدنيون والقسس واليهود فقط هم السكان المضروب عليهم العوائد والضرائب وكانت أحمالهم ثقيلة فى نفس الامر وكانت ادارة بيوت الاموال فى غاية الاختلال وكانت الواردات غير كافية لاحتياجات

الاهالى وكان الاشراف منقسمين الى ثلاث طوائف الطائفة الاولى يبلغ عددها نحو ١٢٠ نفس وكانوا هم البرنسات الكبار وكانوا رؤس المنازعين المختلفين الذين بواسطتهم كانت المملكة منقسمة الى أحزاب الطائفة الثانية يبلغ عددها من ٢٠،٠٠٠ الى ٣٠،٠٠٠ شخص والطائفة الثالثة يبلغ عددها نحو نصف مليون وكان أغلبهم أشرافا بالاسم فقط وكانوا جهلة فقراء كسالى أرباب مشاغب وفتن وكان نظام المملكة مصرحا لهم بامتياز مضادة الاسلحة اذا رأوا أى فعل يكرهونه من الملك وكان أعظم المحتقرين من الاشراف يرى أنه يمكنه أن يلغى أى عمل استقر عليه رأى الجمعية بمجرد رفع صوته الذى لا عبرة به وكان القانون النظامى غير معمول به وصارت الاهالى فى درجة الخراب والحقارة التى لا يمكن تصورها

ورأت كاترينه فى أثناء هذه الاعمال سنوح فرصة لها فى كسر المملكة البولندية وجلبها تحت أحكامها الشديدة ولهذا الغرض أثبتت انتخاب سطانيسلوس للتخت وكان قسم عظيم من أهالى بولنده بروتستانت الا أن الحكومة كانت كاثوليكية رومانية فضايق حزب الكاثوليك حزب البروتستانت مضايقة شديدة واغتنمت كاترينه الفرصة وقت حصول هذا الجور وتداخلت فى أعمال بولنده بحجة تسوية العدل واطمئنان الادارة بخصوص البروتستانت وفى سنة ١٧٦٥ غضب مؤتمر البرنسات وسخط على هذا التداخل فى أعمالهم وأعادوا جميع القوانين الماحقة لكل بدعة وضلالة وكان سطانيسلوس ليس له مقدرة على معارضة هذه الاجراآت وبواسطة الاذعان لها صار عند كاترينه ممقوتا مبغوضا فاكتسبت لمنافعها محبة البرنس (شارلس رادظقيل) القائد الذى يكره سطانيسلوس فى المملكة وجعلته آلة للانتقام من ملك البولنديين

ثم ان رادظقيل أجاب مع الكرم (الذهبة الروسية) وفاز فى كونه شكل حزبا بين الاشراف خاضعا لنفسه وازداد عدد هذا الحزب حتى صار ٨٠،٠٠٠ نفس وعلى حسب عوائد المملكة صار له قوى مستبدة ونجحوا فى صيرورة الملك على الاطلاق تحت حكمهم حتى ان الملة اعتقدت أن سطانيسلوس لم يكن الا عبارة عن آلة روسية وأن تعاضده للاجراآت الوطنية لم يكن الا للحصول على مقاصده فتشكل جمع من الاشراف فى مدينة بار باغواء فرانسا لاجل اعلان خلع سطانيسلوس وطرد الروسيا من بولنده وأبرز هذا الاتحاد جيشا الى ميدان المحاربة فأسرعت كاترينه وأرسلت قوة لمقابلتهم تحت قيادة (القائد سوواروف) فأخذ فى سنة ١٧٦٨ (كراكو) وهزم جيش المتحدين فى بار

ثم انتشب حرب مع تركية ومضت مدة والحركات واقفة ضد بولنده فانقض تتار القرم على الاقاليم الجنوبية الروسية وأباحوا خرابها فصار ارسال (البرنس غليطظين) لمقابلتهم سنة ١٧٦٩ الا أنه لم ينجح فى أعماله وفى سنة ١٧٧٠ تقلد البرنس (رومانزوف) قيادة الجيش الروسى وطرد الاتراك والتتار على أعقابهم وأسرع فى جعل نفسه أستاذ ملداويا - وولاخيا وفى هذه السنة هزم الاسطول الروسى تحت قيادة (الكسيس أورلوف) الاتراك فى واقعة كبيرة فى (خيو) وحرق أسطولهم فى مينة ازمير وصارت كاترينه عقب نجاح أورلوف تفتش على الطريقة التى بها تحرر الجريس وتجعلها أشبه بمملكة مستقلة نجاة مساعيها فى غير أوقاتها وبالنسبة لانسحاب عساكرها وقواها عاقب الاتراك الجريقيين بأشد القساوة

ثم ان نجاح كاترينه فى المعاملة مع بولنده شجع عزم أوستريا وروسيا على أن يكتسبا قسما من تلك

المملكة

المملكة وقت تقسيمها الذى رأيا أنه لابد منه وفى صيف سنة ١٧٧٠ احتلت أوستريا ولاية (ذيب) والقسم الاعظم من غليسيه مع عساكرها وأعلنت أن هذه الاقاليم انضمت ثانيا الى هنكاريا ورتبت فيها حكاما أوستريانيين واحتل الجيش البروسيانى بولندة بروسيا بحجة تشكيل كردون على الطاعون وكانت روسيا مشتبكة فى الحرب مع تركية وليس لها قدرة على الاستعداد لمصادمة هذه الحركات فأدت الحالة الى كاترينه أن تأخذ نصيبها من السلب مع جيرانها الاقوياء أولى من المنازعة معهم وفى سنة ١٧٧٢ عقدت معاهدة وصار التوقيع عليها بين روسيا وأوستريا وبروسيا فى تقسيم القسم الاعظم للاراضى البولندية بينهم فخص روسيا (بولنده ليفونيا) والاراضى المحصورة بين المياه العليا لنهر دونيا ونهر الدانيبر وخص أوستريا امارة غليسية ولودوميريا وخص بروسيا بولندة بروسيا ماعدا الدنطيزيق والثورن وقسما عظيما من بولنده الكبرى ولما انهزم المتحدون فى (بار) صار لا يوجد تشويش ولا عائق للثلاث دول فيما حازوه وأرسلوا جيشا مركبا من ٣٠،٠٠٠ نفس فى داخل ما بقى من أراضى بولنده لارعاب حكومة تلك البلاد وإجبار سطانيسلوس على عقد مجلس من البرنسات لاجل تأييد هؤلاء اللصوص والامم الاخرى الاوروباوية فلم تبد أدنى حركة فى خلاص أهل بولنده المنحوسين وهذه احدى الجرائم العظيمة التاريخية التى تم اجراؤها بغير معارضة ثم ان بولنده عرضت جريمة خبيثة مسعاها فى التقدم مع الدنيا المحيطة بها الا أن الامم الذين نهبوها لم يكن عندهم سبب فى التشكى ضدها أو فى العفو عن اجرا آتهم وأعمالهم

واستمر الحرب بين روسيا وتركية الى شهر يوليه سنة ١٧٧٤ حتى انقفل بمعاهدة صلحية فى (كوجك قينارجى) وبواسطة هذه المعاهدة استرد السلطان لنفسه (ملداويا - وولاخيا - وجورجستان - ومنغرليا) وبعض أقاليم أخر وحفظت روسيا لنفسها حق التداخل فى أعمالهم وبدل هذه الاقاليم اعترف السلطان باستقلالية تتار الكورة الشمالية للبحر الاسود وصارت روسيا فى حرية تامة من الملاحة فى البحر الاسود وسائر المياه التركية وهذه المعاهدة كانت درجة للغرض الحقيقى لكاترينه لانه حصل مخالفات فى ترجيح استقلالية التتار وفى سنة ١٧٨٣ خلعت روسيا على استقلاليتهم بضبط القرم والتتار الصغيرة وأضافتهما الى مملكتها فقام الاهالى لمقاومة هذا الانضمام فاندفعوا بالقوى الحربية للروسيا وهلك فى هذه الثورة ٣٠،٠٠٠ نفس من التتار

وفى سنة ١٧٨٧ انتشب حرب بين روسيا وتركية فشرع السلطان ابتداء فى الهجوم على قلعة كنبرن على ساحل البحر الاسود فى شهر سبتمبر الا أنه صار صد هذا الهجوم وفى يونيه سنة ١٧٨٨ حصلت واقعة كبيرة بين الاسطولين الروسى والتركى بالقرب من (أوكزاقوف) انهزم فيها الاسطول التركى وتبدد شمله وكانت أوكزاقوف محصورة بالجيش الروسى تحت قيادة البرنس (بوطمكين) فأخذها بالهجوم عليها عنوة بعد أن حاصرها ستة أشهر وكانت تلفيات الانفس تقشعر منها الابدان ثم ان الامبراطور يوسف الثانى أعلن بالحرب على السلطان أشبه بأنه حليف للروسيا فخابت مساعيه ولم يظفر بشئ وانسحب من الحرب وهاجمت اسويج روسيا معاضدة لمحالفتها القديمة تركية ثم ان الاسطول الروسى الذى كان على قدم الاقلاع الى البحر الابيض المتوسط صار ابقاؤه فى بحر بلطيق لمقابلة هذا الخطر الجديد واستعدت دانيمارقه أشبه بحليفة للروسيا للاغارة على اسويج الا أنه صار ارغامها بواسطة انكلتره والفلمنك وبروسيا على ابقائها فى الحيادة واحتجت بروسيا بحجة تركية

وأغارت على روسيا وبسبب استعداد هذه الدول الكبيرة لمقاومة السلطان فقد أراضى كثيرة وأخذ الروسيون قلاعه قلعة بعد قلعة وفى سنة ١٧٩٠ جبرت الاعمال الداخلية أوستريا على الانسحاب من الحرب وعقدت صلحا مع بروسيا بالاتفاق الذى حصل فى ريشنباخ فى يونيه سنة ١٧٩٠ ومع تركية بواسطة معاهدة حصلت فى زيشتوفه فى أغسطس سنة ١٧٩١ وفى حرب سنة ١٧٩٠ اكتسبت القوى الروسية مظفرات عظيمة وكان أهمها الهجوم على قلعة اسماعيل الحصينة بواسطة القوى الروسية تحت قيادة سواروف وأخذها وابادة الاسطول التركى بالقرب من سواستبول فى البحر الاسود فلمعت المظفرات الروسية بهاتين النصرتين فى فصل صيف سنة ١٧٨٩ فانزعجت بروسيا وبريطانيا الكبرى بخصوص ماتؤل اليه عاقبة تركية وخافوا من تغلب الروسيا على القسطنطينية فتداخلوا اشدة وأرغموا الروسيا على عقد الصلح وبهذا كانت معاهدة ياسى غلاق الحرب فى ينايرسنة ١٧٩٢ ومن شروط هذه المعاهدة تقدم الحد الروسى الى نهر الدانيستر وجعل هذا النهر حدا فاصلا بين المملكتين

وماتت كاترينه الكبرى فى ٧ نوفمبر سنة ١٧٩٦ وخلفها ابنها بول الاول وكان مختل العقل ضعيف التصرف ولذا وقفت روسيا فى تقدم أشغالها وصارت على شفا جرف من الاختلاط والاختلال مع أنها لم تزل فى درجة كبيرة مدبرة بالرجال الذين وظفتهم كاترينه ثم ان بول الاول انفرد على حدته من الاعمال الاوروباوية مدة من الزمن وبمجرد انعدام لويز السادس عشر انضمت كاترينه الى التعصب ضد فرانسا وفى سنة ١٧٩٨ صار الامبراطور بول قسما من التعصب الثانى الذى هو عبارة عن روسيا وبريطانيا الكبرى وأوستريا ومملكتى سيسيليا وتركية وأرسل جيش روسى تحت قيادة سواروف الى ايطاليا للمساعدة على طرد الفرنساوية ولكن حصل فى اجرا آته تأخير من الابتداء ولما لم يكن بيد سواروف قيادة الجيش الاتحادى حصل له ارتباكات بواسطة الاوامر التى صدرت له من مجلس أوليق فى فيانه وصار لاقدرة له على طرد الموريان وفى سنة ١٧٩٩ أرسل جيش ثان روسى تحت قيادة قورسقوف الى بلاد السويس وسار سواروف الى تلك المملكة لمساعدته فانهزم قورسقوف بواسطة المسينه كما ذكرنا وانجبر سواروف على أن يعود ثانيا الى روسيا بعد أن انهزم شرهزيمة

وفى غلاق القرن الثامن عشر شوهدت روسيا فى أعلى درجات التمدن ومواد الثروة وانتصبت مثل احدى الممالك الاوروباوية العظيمة وما كان لها فى افتتاح القرن الامينا واحدة وهى مينا ارقنجل وفى غلاقه صارت سيدة الساحل الشرقى لبحر بلطيق والساحل الشمالى للبحر الاسود ولم تجر فى افتتاح القرن الاحربا بحرية بغاية المكابدة وفى غلاقه كان لها قوة بحرية قوية باسطولين فى بحر بلطيق والبحر الاسود وكانت عمارتها البحرية تمتاز سنويا عن غيرها بكثير من المظفرات العظيمة وبواسطة انهزام جيوشها فى ايطاليا والسويس انسلخ الامبراطور بول من الاتحاد ضد نابليون ولقب نفسه بالاستاذ الاعظم لفرسان القديس يوحنا وطلب من الانكليز تسليم مالطة لذلك الحزب وفى ديسمبر سنة ١٨٠٠ أحيا الحيادة التسلحية لسنة ١٧٨٠ بواسطة انضمام روسيا واسويج ودانيمارقه وبروسيا بقصد المدافعة عن حقوق الحائدين ولخبل بول الاول ما أمكن لروسيا أن تجرى سياسة ثابتة ثم ان جنونه أعد له جماعة من أقوياء الروسيين الاشراف قاموا ضده وفى ٢٣ مارث سنة ١٨٠١ ذبحوه وصار بعده ابنه البكرى اسكندر الاول قيصرا وكان عمره خمسا وعشرين سنة وهو شاب مأمول

فيه

فيه النجاح فبقى فى صلح مع فرانسا الى سنة ١٨٠٥ ولما سلم فيما أقنعته به انكلترة انضاف الى معاهدة أوستريا وبريطانيا الكبرى ضد فرانسا ولما ظفر نابليون بالجيش الاوستريانى الروسى فى واقعة أوسترليطز أرغم القيصر على أن ينسحب الى ممالكه وبعد واقعة جنه وفتح بروسيا تقدم نابليون على الروسيين وأغار عليهم فى ايلو فى ٣ فبراير سنة ١٨٠٧ فلم يظفر بطائل وأكتسب نصرة عظيمة عليهم فى فريدلند فى ١٤ مايو

فطلب القيصر الصلح وحصلت المخابرات بين الملكين على صال وروموس مربوط بجناز برعلى نيمن فى طلسيط وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدة فى تاريخ فرانسا فى هذه المدة ونال اسكندر سجايا نابليون الظريفة وانقلبت عداوته لفرانسا بمحبة صادقة ورجا الامبراطوران أن يقتسما قارة أوروبا بينهما ووثق اسكندر بما ناله من مساعدة فرانسا من اجتهاداته وابراز الوصية السياسية لبيته فى طرد الترك من أوروبا

ومكثت روسيا وفرانسا ست سنوات فى سلم تام مع بعضهما وفى أثناء هذه المدة عزمت روسيا على انتشاب حرب مع اسويج واغتصبت منها جميع أراضى فنلندسنة ١٨٠٨ وأعقب هذا الهياج حربا مع تركية تقدم فيه الحد الروسى الى مصب الدانوب وفى نفس هذا الوقت انتشب حرب مع فارس نالت فيه روسيا الظفر التام وانجبرت فارس على أن تسلم الى روسيا مساحة واسعة من أراضيها الواقعة بين البحر الاسود وبحر قزبين

ثم ان عزم نابليون على تقوية طريقة بلاده من غير مراعاة منافع الامم وحقوق الملوك الاخر الاوروباوية نزع أخيرا كما شاهدنا المحبة من بين فرانسا وروسيا ونشأ من اجرا آته عدة منازعات مكدرة وأخيرا لما ضبط نابليون اسويج وبوميرانيا تحرك اسكندر سنة ١٨١٢ لاغاثة الاسويجيين باعلان حرب على فرانسا وقد ذكرنا وقائع غزو الروسيا بواسطة نابليون ومصيبة رجعته ومشاركة روسيا فى عزله فلا حاجة لاعادته هنا وفى تنظيم الصلح العام الذى أعقبه سقوط نابليون كان نفوذ الروسيا شديدا جدا وأعادت حكمها المستبد والفضل لها على سائر أوروبا من أولها الى آخرها وفى مدة القيصر صار تنظيم الاتحاد المعروف بالتحالف المقدس بواسطة روسيا وأوستريا وبروسيا فى منع أى تغيير يحصل فى الاحكام النهائية التى صار ترتيبها بواسطة مجلس فيانه وكان القيصر هو الرابح الاعظم فى هذا الفصل واندوقية ورسو الكبيرة التى أخرجها نابليون من أقاليم بولنده البروسيانية وأضافها الى الاراضى البولندية وأخذتها أوستريا فى التقسيم الاخير صار أخذها من ملك صكسونيا بعد أن أضافها اليه نابليون وصار استرداد دوقية بوسن الكبيرة الى بروسيا وما بقى صار اضافته الى مملكة بولنده وجعل لهذه المملكة نظام الاستقلال وأضيفت الى روسيا أشبه بمملكة ممتازة تحت حكم القيصر

وكان اسكندر مشوش البال كثيرا فى سنيه الاخيرة من أرباب الفتن والثورات الذين يرغبون فى ادخال زيادة طرائق الحرية فى روسيا ومات فى أثناء زيارته بجيث جزيرة القرم فى غرة ديسمبر سنة ١٨٢٥ بعد أن بلغ من العمر تسعا وأربعين سنة

وبمجرد موت اسكندر أرسل الدوق قسطنطين الاكبر وهو الابن الثانى للقيصر بول الاول والخليفة الشرعى لأخيه اسكندر ولده الاصغر ميخائيل من ورسو الى أخيه الدوق الاكبر نيقولا بجواب يتضمن تأييد عمل سنة ١٨٢٢ وبهذا تنازل قسطنطين عن طلبه التخت الى مكارم نيقولا فأعلن فى

الحال نيقولا بامبراطوريته فانفجرت ثورات فى سنت بطرسبورغ فى الحال بسبب خوف الاهالى من أن قسطنطين ربما يكون تنازله عن التخت الوارث له بالحقوق الوراثية الشرعية بغير حق شرعى فرتب نيقولا نفسه فى رأس عساكره وفى بضع ساعات أزاح هذا الهياج والشغب وأعاد النظام على ما كان عليه وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٢٥ صار تتويجه قيصرا على عموم الروسيين وكان جميل الصورة والطلعة ومكث مدة حياته القوى الاكبر فى الحكومة المطلقة فى أوروبا

وفى سنة ١٨٢٨ اشتعل حرب بين روسيا وتركية اكتسبت فيه الروسيا بعض منافع فى جهة مصب الدانوب وجبرت الترك على سن بعض نظامات صالحة للمسيحيين

وكان انضمام بولنده مع روسيا عبارة عن افتتاح خراب استقلاليتها بواسطة روسيا فانه صار معاملة حقوق بولنده بقليل من الاعتبار بواسطة حكومة مستبدة عنيفة لكى تصير مرتبطة بها فان الدوق قسطنطين المدبر للحكومة البولندية لاخويه اسكندر ونيقولا عامل البولنديين بالشدة والقسوة حتى عيل صبرهم وفى نوفمبر سنة ١٨٣٠ قام البولنديون فى ثورة وانضمت اليهم الالايات البولندية الموجودة فى الجيش الروسى وعدة من الاشراف الكبار وقاد البرنس (آدم كزارطوريسكى) المتناسل من الدوقات القديمة فى ليثوانيه هذه الحركة وكان زعمه أن يجعل نفسه ملكا فى ظفر هذه الثورة وبعشم توافق الدول المعظمة الاوروباوية عزمت الثورة على اقامة نظام ملوكى وراثى وامتد الحرب عدة أشهر واكتسب فيه البولنديون الشجاعة التى استغربتها كافة الدنيا ومع ذلك كان بلا طائل وصبت دولة الروسيا الهلاك على البولنديين وانهشمت العصبة وآلت مملكة بولنده الى الدمار وانتهت ملوكيتها وصارت البلاد قسما من المملكة الروسية فقط فتتبع القيصر عقاب البولنديين مع العنفوان الشديد ونفى منهم فى سنة واحدة نحوا من ثمانين ألف رجل وامرأة الى سيبريا وقبض على الاولاد العاقين أهاليهم وأرسلهم الى المستعمرات الحربية وأدرجت العساكر البولندية ضمن الالايات الروسية وصار استبدال الديانة الكاثوليكية الرومانية التى كانت الدين الداخلى لبولنده بالديانة الجريقية الروسية وألغيت جمعية ورسو وصار ارسال السجلات الداخلية والكتب والمجامع العلمية الى سنت بطرسبورغ وصار بذل المجهود فى ازالة الجنس البولندى

وفى سنة ١٨٣٩ ساعدت روسيا تركية فى توقيف تقدم محمد على باشا والى مصر الجسور وابنه ابراهيم باشا الذى تغلب على سوريا وهدد الممالك التركية الاوروباوية وما كان للروسيا أدنى فائدة فى تنصيب حكومة عنيفة فى القسطنطينية

ثم ان ثورة سنة ١٨٤٨ أرعبت الامبراطور نيقولا جدا واعترف أنها تكسير للحكومة المستبدة الاوروباوية فسأل أوستريا مساعدته على رعاياها المجر المتعصبين عليها وأرسل كاذكرنا جيشا قويا الى المجر سنة ١٨٤٩ وأخمد الثورة ثم طلب تسليم القواد المجر الذين نجوا بأنفسهم الى الاراضى التركية فرفض السلطان طلبه

وفى سنة ١٨٥١ ابتدأت القلاقل بين الجريقيين المسيحيين فى سوريا وبين حكومة السلطان وفى هذه المملكة كان البطريق الجريقى متمتعا بكثير من الالتزامات والاحتكارات وكان له الافضلية على المسيحيين اللاتينيين فنيقولا الذى كانت أفكاره على الدوام فى خراب المملكة التركية فى أوروبا واضافة ممالكها الى مملكته عزم على أن يجعل هذه الارتباكات وسيلة للتداخل فى أعمال تركية ليكون له

نفوذ

نفوذ على المملكة العثمانية الا أنه لسعادة تركية انغرس السفير الانكليزى (اللورد ستراتفورد ريدكليف) وكان رجلا سياسيا خارق العادة فى بسالته وخرم مقاصد القيصر ووطد نفسه على منع وقوع أى حركة تحدث الشقاق بين الدولتين وانفصلت القلاقل فى مدة قليلة من الزمن

وفى سنة ١٨٥٣ جدد نيقولا ثانيا تداخله فى الاعمال التركية وأرسل فى هذا الوقت مخابرات سرية الى بريطانيا الكبرى فى الاتحاد معه فى قسمة غنائم سلطان تركية الضعيف فخابت مساعيه بالكلية عند بريطانيا الكبرى الا أنه تشجيعا لذلك طلب القيصر من السلطان طلبات خارقة للعادة وهى أن يمنح لامبراطور الروسيا أن يكون السلطان الحقيقى للجريقيين المسيحيين الموجودين فى المملكة التركية من أولها الى آخرها وهذه تشمل غالب سكان تركية أوروبا وقال انه ان لم يقدر أن يوطد حكمه عليهم يكون معاضدا لهم قلبا ولسانا ضد الباب العالى ويساعدونه على أغراضه فى تركية فانزعجت الحكومة التركية انزعاجا شديدا من هذا الطلب الا أن تشجيع (اللورد ستراتفورد ريدكليف) حرض الباب العالى على المقاومة وعضدا كتساب السلطان بمساعدة بريطانيا الكبرى وأعقب رفض تركية الطلب الروسى غزو الاقاليم الدانوبية بواسطة جيش روسى فعقدت بريطانيا الكبرى وفرانسا معاهدة مع تركية وأعلنوا الحرب ضد الروسيا وقد ذكرنا وقائع حرب القرم فى تاريخ فرانسا فى هذه المدة وكانت المدافعة العظيمة لسواستبول لم تكن شيأ بالنسبة للاهوال الحربية فغرق تحت تيارها الامبراطور نيقولا وفى ٢ مارث سنة ١٨٥٥ مات بغتة بعد أن بلغ من العمر تسعا وخمسين سنة ثم ان اسكندر الثانى الابن الاكبر لنيقولا خلف أباه على التخت ولم يزل محتله عند غلاق السنة لما وقعت سواستبول ابتدأ فى مخابرات الصلح وفى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ انتهى الحرب بمعاهدة باريس وقد ذكرت شروط هذه المعاهدة حال الكلام على حرب القرم وتبع اسكندر الثانى أساليب مختلفة من أساليب أبيه وابتدأت سلطنته بعزم اتمام التمدن والحضارة التى كان بطرس الاكبر ابتدأ فى اجرائها وكانت مساعيه لاجل ارجاع الطريقة القديمة الروسية ولاقى من هذه الاجتهادات مقاومة قدماء الروسيين أو حزب المحافظين الا أنه حفظ من ذلك ودخلت روسيا تحت حكمه فى عصر جديد من سياقها وكانت أكبر واقعة حصلت فى مدة سلطنته الغاء العبودية أو العبودية البيضاء فى الممالك الروسية وكان ابتداء هذا التحرير من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٣ وفيها خرج نحو عشرين مليونا من الرق الى الحرية وقوى الامبراطور مع السرعة أحرار الرق بالاغداق عليهم بالاملاك ومساعدتهم فى الاستحواذ على ما يلزم لهم وسعى فى تشييد المدارس بينهم راجيا أنه بأى وقت تتغير فيه طباعهم وعوائدهم الى ما هو الاحسن ويكون لروسيا من أذكياء الفلاحين المكدين فى الاشغال النافعة بدل ما كانوا فيه من الرق وعدم المساواة بينهم ونشر اسكندر نظاما عظيما آخر يسمح لليهود بالامتيازات المدنية والمساواة على حسب قانون سنة ١٨٦٢ •

ولم يكن للقيصر ميل فى حصول المصاعب التى لاقتها بولنده وصارت أشبه بضحية فى مدة سلطنة أبيه ورغب أن يجعل هذا الاقليم تحت نظاماته ففى سنتى ١٨٦١ و ١٨٦٢ سن جملة نظامات فى بولنده بقصد أن يجعل هذا الاقليم فى حالة مرضية مع القانون الروسى لكن القسوة العنيفة التى عامل بها نيقولا البولنديين صيرتهم فى ريب شديد من ابنه وصار البغض يزداد فانزعج اسكندر من ذلك وأوقف نظاماته وأعاد الضغط القاسى عليهم وفى ينايرسنة ١٨٦٣ عزم على درج الاقوياء من البولنديين فى

الجيش الروسى ليصدهم عن الاشتراك فيما عساه يقع من الثورة والشغب وهذه الاجرا آت الوعرة سببت الحرب الذى كان العزم على منعه واشتعل الحرب فى الحال وتدبرت الثورة بالحكومة السرية فى (ورسو) التى كانت رغبتها فى ابعاد اجتهادات روسيا بخصوص استردادها وكانت أوامرها مطاعة عند البولنديين لكن مع التردد فيها وكانوا متفوّقين فى اجتهادهم فى تحرير أنفسهم بواسطة ميل الدنيا المتمدنة اليهم ففى شهر فبراير سنة ١٨٦٣ حصل اتفاق بين روسيا وبروسيا على أن تساعد فى اخماد المتعصبين وصار اخماد الثورة بعد مقاومة شديدة مكثت بضعة شهور وسعت فرانسا فى أن تجعل للبولنديين تسهيلا فى صعوبة أعمالهم الا أن روسيا رفضت أن تسمح بأى تداخل يختص بهم واستصوبت الاجرا آت الشديدة فى فصل الاختلال واسكانه وفى سنة ١٨٦٤ و١٨٦٥ و ١٨٦٦ محقت هذه الاجرا آت الشديدة استعمال اللسان البولندى من مدارس تلك المملكة واستعمل بدله اللسان الروسى وصممت روسيا أن تمحو من الخريطة الجغرافية الاسم الاصلى لبولنده وفى سنة ١٨٦٨ انمحق وجود بولنده وابتلعتها المملكة الروسية وفى سنة ١٨٦٧ باعت روسيا أملاكها الامريكانية للممالك المتحدة بأمريقه وبقيت روسيا على الحيادة عن الحرب الذى وقع بين فرانسا وجرمانيا سنة ١٨٧٠ لكنها انتهزت فرصة لنفسها فى تكسيح حالة فرانسا وطلبت من الدول المعظمة اصلاح معاهدة باريس المنعقدة فى سنة ١٨٥٦ التى لم يصرح فيها للروسيا بتشييد عسكرية أو ترسخانات بحرية على البحر الاسود أو يكون لها أسطول فى هذه المياه ودققت فى طلبها مع الثبات الكلى كما ذكرنا ذلك فى تاريخ تركية وفى سنة ١٨٧١ ألغيت معاهدة باريس بواسطة مجلس من الدول المعظمة عقد فى لوندره وبهذا اكتسبت روسيا احدى الضيعات التى كانت متروكة من مدة حرب القرم ومن ابتداء خراب دولة التتار بواسطة قياصرة الروسيا فى موسكو دفعت روسيا فتوحاتها الى الجهة الشرقية وكان قصدها الابتدائى هو أخذ الثأر من الامة التى مكثت روسيا مدة طويلة تحت ذلها وزيادة أراضيها وأخيرا صارت هذه الفتوحات ضرورية لتيسر الحصول على سوق مصنوعات ومشغولات روسيا القليلة القيمة فى الصناعة والاثمان وليس لها محل لبيعها فى أسواق أوروبا وكانت المفازات والصحارى الواقعة بين أورال والوارطيش مسكونة بشعوب صغيرة رحالة نزالة من (الكرغيز) ولما كانت هذه الشعوب فى صلح بين بعضها كانوا يتجمعون للاغارة على حدود الروسيا ويجبرون الروسيين على صدهم ثانيا الى داخل الصحارى وامتدت هذه الغارات بواسطة هؤلاء الحربيين مدة قرنين وأخيرا فى مدة سلطنة القيصر نيقولا دخلت الصحارى الموجودة خلف أورال فى الاراضى الروسية وأقيم فى حدودها معاقل لاقامة الحرس والمراقبة وما أقيمت هذه المحلات فى الصحارى فقط بل أقيمت خلفها أيضا على شواطئ نهر (سيردريا) وكان أعظم هذه المعاقل وأهمها قلعة بروفسكى على ساحل بحر آرال وبالنسبة لحماية هذه القلعة قدرت روسيا على أن تنزل فى بحر آرال مركبين بخاريين يسيران فى هذا البحر وبحر سيردريا فعارض (خان خوقن ــ وأمير بخارى) هذه التقدمات وصدها مع الثبات القوى وجمعوا القوى وكرروا الغارة على المعاقل الروسية الاكثر تقدما الى جهتهم فعزمت الحكومة الروسية لاجل تقوية هذه المعاقل وتوقيف هذه الغارات أن تنشئ خطا جديدا من القلاع فى طول سيردريا الى ذيل جبال (ثيانشان) والى بحيرة (اصيك كول) فمنع حرب القرم اجراء هذه الاعمال الا أنه تيسر اجراؤها فى سنة ١٨٦٠ وقت انشاء قلعتى (قرنوبه ــ وكسطك) فى ذيل سلسلة ثيانشان وفى سنة ١٨٦٣

اندفع

اندفع فرقتان قوبتان الى قدام بعيدا فى داخل آسيا الوسطى واحتل هاتان الفرقتان قلعة (خوقن بشيق) وقلعة طوقاق وبكى قورغان (قورغان الجديدة) وفى يونيه سنة ١٨٦٤ أخذت الفرقة الموجودة تحت قيادة أميرالالاى فرفكين مدينة (حاضرتى) تركستان وفى نحو هذا الوقت تغلبت الفرقة الغربية الموجودة تحت قيادة أميرالالاى طشيرنيايف على قلعة أوليط وفى اكتوبر اجتمع الفرقتان تحت قيادة الميرالاى طشيرنيايف ودخلتا (طشمقند)

ثم ان روسيا دفعت حدودها بعيدا الى الجهة الشرقية حسبما عزمت فى الحالة الراهنة وصدرت الاوامر للقائد الروسى بالاكتفاء بما صار فتحه مع توطيد الامن فى الاراضى التى تغلب عليها ومع ذلك ما أمكن توطيد الراحة من سير أعمال خانات بخارا وخوقن وبعده ما بعدة قليلة خان خيوا لان هؤلاء السلاطين انزعجوا من تقدم المعاقل الامامية الروسية الى ممالكهم وابتدؤا فى اجراء غارات عديدة على هؤلاء المعاقل الامامية فانجبرت القواد الروسية لاجل حفظ سلامتهم ان يتقدموا فى سيرهم الى الامام نحو الشرق ونتج من ذلك فتح أراضى الخانات ففى سنة ١٨٦٥ أخذ الروسيون طشقند وفى سنة ١٨٦٦ وقعت خوبند فى أيدى الروسيين أيضا وفى سنة ١٨٦٨ تغلب القائد كوفمان على سمرقند وفى سنة ١٨٧٣ هزم خان خيوا وأخذ جزأ عظيما من ممالكه وفى سبتمبر سنة ١٨٧٥ هزم خان خيوا ثانية وأخذ منه مدينة خوقن وجبره على التنازل لروسيا عن جميع الساحل الشرقى لبحر قزبين وهو موقع عسكرى مهم اكتسبته روسيا وبواسطته لها قدرة على اجراء مواصلات ثابتة دائمية مع مواقعها الامامية بالانهار وسكك الحديد والبحر من بطرسبورغ وفى مبادى سنة ١٨٧٦ تغلبت القوى الروسية على خوقن وأضيفت أراضى هذا الخان الى روسيا بموجب أمر ملوكى وانتظمت فى سلك الاقاليم الروسية باسم اقليم فرغانه وبهذه الاضافة اكتسبت روسيا نحو ٢٨,٢٧٠ ميل مسطح زيادة على أراضيها ونحو ٩٦٠,٠٠٠ نفس على أهاليها

ومن ابتداء حرب القرم صار الجريق المسيحيون بالاقاليم الدانوبية التركية يعتبرون ان روسيا هى الحافظة لحقوقهم الديانية وان الاهالى الروسية مالوا كل الميل لهم كأنهم أقاربهم وعلى هذا لما قام أهل هرسك فى ثورة ضد ظالميهم الاتراك فى فصل صيف سنة ١٨٧٥ مالت الاهالى الروسية اليهم وزمجروا فى كلامهم واحتدوا من الاجرا آت الوحشية التى فعلتها الترك لمداركة اطفاء هذه الثورة ولم يحصل منها الا زيادة النفور وانجبرت الحكومة على ان تجرى ما فيه ايقاف هذا العصيان بطريقة فاصلة فالقيصر كما ذكرنا فى الكلام على تاريخ تركية دخل بطريقة مستبدة فى الاجتهادات التى صار اعمالها لتوطيد السلم وحماية حقوق الرعايا المسيحيين بتركية فأخذت حكومته مع مذكرات اندراسى وبرلين فى تكرار المخابرات والانذارات من وزرائهم فى القسطنطينية لاستجلاب النتيجة المرغوبة الا أن كل حالة كانوا يشرعون فيها كانت بلا طائل من عدم قبولها فى الباب العالى فاجتهدت الروسيا فى تحريض الدول الاوروباوية على عمل سبب عام فى ارغام الباب العالى على منح النظامات المطلوبة بحيث لا تعود منها المنفعة العظيمة على المملكة العثمانية فقط بل وبأعظم فرائض العدل والانسانية غير انها أعلنت فى هذا الوقت عزمها على انها تفعل ذلك مستقلة بنفسها عن الدول اذا اقتضت الحالة ذلك وان الحالة التى أخذتها الروسية والدول الاخرى

هذا الاتحاد صار ذكرها فى كلامنا على تاريخ تركية فى هذه المدة ولا احتياج للاعادة هنا

وحصل من المذابح البلغارية رجفات مرهبة وغيظ شديد فى انحاء أوروبا وحصل اللغط فى جميع جهات المملكة الروسية بأن القيصر يجب أن يدخل نفسه فى هذا المهم وينظر فيما فيه المسيحيون من العذاب والآلام فقاومت الحكومة مع الشدة هذه المضايقة عليها حتى نشرت الجرائد العديدة ما تفوهوا به من الضغط الشديد ومع ذلك كانت حاسية الاهالى السكوت وانجبرت الحكومة على ترك توالى الضغط وكان الهياج فى الروسيا عنيفا جدا حتى ان الحكومة انجبرت على الرضا بدرج عدد عظيم من الضباط والمتطوعين فى الجيش الصربى وعملت هذه العملية على شرط انهم يتركون خدمة الروسيا

وفى سبتمبر سنة ١٨٧٦ زار القيصر القرم وأقام بها شهرين وفى هذه المدة أمر بتقوية استحكامات سواحل القرم من ابتداء سواستبول الى كرطش وتشييد قلاع زيادة على القديمة وعند عوده من القرم زار موسكو زيارة خفيفة وكان ينتظره فيها نواب المدائن وجاوبهم على ما عرضوه والتمسوه منه بهذا الجواب (أنا أشكركم على ما أنتم عليه من احساسات احترام الموقع السياسى الذى هو الآن فى ظهور بين عن ذى قبل وأنتم تعلمون ان تركية أذعنت لطالبى فى متاركة الحرب صونا عن المذابح الجارية فى صربية والجبل الاسود وفى هذا الحرب الغير عادل أظهر الجبليون شجاعة أنفسهم فى محارباتهم ومن سوء البخت لا نقدر ان نقول ان صربية مثلهم ولوان كثيرا من عساكرنا المتطوعين المساعدين سفكوا دماءهم فى السبيل السلافينى وأنا أعلم علم اليقين ان روسيا تصدمعى فى الميل القوى فيما يختص بتحمل المصاعب والآلام التى فيها اخواننا وأهل ديننا ومع ذلك فان الفوائد الحقيقية لروسيا هى معزتها الى عن كل شئ ومقصدى هو نجاة روسيا من سفك الدماء فحينئذ أنا اجتهدت وسأجتهد فى الحصول على اصلاح حقيقى لموقع المسيحيين بواسطة طرق الصلح وبعد مضى أيام قليلة ستبدأ المخابرات فى القسطنطينية وان مرغوبى المتوقد بالنار هو انه ربما أمكننا ان نصل الى اتفاق عام لكن لا يجب اتمام ذلك وأنا أرى انه ما أمكنا تيسر الحصول على تكفلات لازمة لابراز ما عزمنا على طلبه من الباب العالى فأنا أنهى هذا العمل مع التأكيد مستقلا بنفسى وأنا معتقد بأن عموم روسيا تجيب ندائى عندما أرى ضرورة ذلك وان شرف روسيا يطلب ذلك أيضا وان موسكو تكون منساقة طليعة الجيش مثالا لروسيا والله سبحانه وتعالى يساعدنا على فعل واتمام مأموريتنا المقدسة)

وصار قبول هذا الكلام بغاية الحمية والحماسة فى روسيا من أولها الى آخرها ومجالس المدائن ومجالس الامراء والشركات التجارية والمجامع التجارية والقسس والرهبان وجميع الطوائف والاصناف أظهروا حميتهم لتعضيد القيصر فى جميع المواد التى يتراءى له ضرورة اجرائها لشرف البلاد ونفع اخوان دينهم واعتبر هذا الكلام أيضا فى كافة انحاء أوروبا بانه جيد السياسة والشماخة وشوهد انه جواب تهديد للحكومة الانكليزية على حسب ما ذكر فى محل آخر

ومع أن القيصر كان مشتاقا للصلح الا انه رأى ان الحرب مع تركية لابد منه وفى مبادى شهر نوفمبر أصدر الاوامر باستعداد الجيش وعين يوما لجمع العساكر من جميع أقسام المملكة ماعدا (سيبريا وارقنجل وأورنبورغ) وصدر الامر بجمع ستة جيوش تكون مستعدة فى أقاليم (أودسا وخركوف

وكيف

ـ كيف) وهى الكورة الاقرب للحد التركى وفى هذا الوقت نشر (البرنس غورچاقوف) الوزير الاول الروسى منشورا الى نواب الدولة الروسية فى دواوين الممالك الاجنبية مبينا لهم فيه سياسة حكومته وهى ان القيصر قال انه لا يرغب الحرب وعلى قدر الامكان هو متجانب عنه ومع ذلك فانه صمم على ان القواعد العادلة المعروفة عند كافة أوروبا لابد من ابرازها فى تركية تحت كفالات قوية ولو ان القيصر ساع فى تجهيز عساكره مع الشدة فان ذلك لا يضعف مساعيه فى حفظ الصلح وتعد هذه الاجتهادات والمساعى الى عجز المجلس الدولى فى القسطنطينية ورفض اللائحة بواسطة الباب العالى ذكرناها فى تاريخ تركية

وفى غضون ذلك انتقل تجمع العساكر على حدود تركية أوروبا مع الشدة والعنف وجعلت المحطة العمومية لهذا الجيش فى كشنيف وأحيلت قيادته العامة على الدوق الاكبر نيقولا أخى القيصر وتجمعت قوة أخرى على حدود أرمينية وجعلت تحت قيادة الدوق الاكبر ميخائيل الاخ الآخر للقيصر وكانت المحطة العمومية لهذا الجيش فى تفليس فى جورجستان ولما رفض الباب العالى جميع المساعى التى يتيسر منها الحصول على الاحوال السلمية وخابت الاجراآت التى كانت جارية فى ذلك أعلن القيصر الحرب فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ ضد تركية وأمر جيوشه بعبور الحدود وخرج هذا الامر من كشنيف وهو محل أعده الامبراطور ليكون نقطة ابتدائية لتقدمات عساكره فى تركية

وفى مبادى الحرب مع تركية كانت روسيا واثقة بالكلية من عساكرها وماليتها محصولاتها فى أشغالها وحركاتها ومن الضرورى ذكر ذلك بوجه الاختصار حسب اللازم وقد ذكرت بعض الجرائد فى مبادى سنة ١٨٧٧ القوة الحقيقية للجيش الروسى حسبما هو مدون أدناه

عدد			
٦٧٩,٠٠٠	عساكر بياده أعنى	٦٨٢	أورطه
١٦٨,٠٠٠	عساكر احتياطية أعنى	١٦٨	أورطه
١٢٨,٠٠٠	عساكر سوارى أعنى	٩٣٢	أورطه
٨٧,٠٠٠	عساكر طوبجيه أعنى	٣٤٦	بطريه و ٢,٦٧٢ مدفع
١٤٣٤٠	بلطه جيه ومهندسون وغيرهم	١٧	أورطه
١٠٧٦٣٤٠			
١٠٠٠٠٠	عساكر غير منتظمة من القوزاق		
١١٧٦٣٤٠	المجموع الكلى		

واذا أضيف الى هذه القوى العساكر الاحتياطية الموجودة فى الاقاليم المختلفة فيمكن ان تصل الى مليونين لانه من غير شك أن العدد المذكور أعلاه الكثير النفوس كان ضروريا فى باقى الاقاليم المختلفة للمملكة وخصوصا فى الجهات النافرة مثل بولنده وقوقازه وللمحافظة وادارة الضبط فترك من أجل ذلك ٥٠٠,٠٠٠ او ٦٠٠,٠٠٠ بخصوص خدمات الحرب وكان هذا الجيش فى غاية من التنظيم والملبس وكان مسلحا بالبنادق المشخخنة ولما كانت معاهدة باريس قاضية بعدم

بقاء قوة بحرية فى البحر الاسود لم يمكن لروسيا أن تشرع فى اجرا آت بحرية فى هذا البحر وقررت أن يكون مواقع قوتها البحرية فى بحر بلطيق والبحر الابيض وبحر قزبين وفى مارث سنة ١٨٧٦ صار حصر دونتمتها فكانت سبعا وسبعين سفينة منها خمس وعشرون سفينة مزرخة وفى أول يناير سنة ١٨٧٦ كان الدين العمومى لروسيا ٢,٥١٥,٣٩٣,٤٥٠ روبل (ريال مسكوفى) عبارة عن ١,٨٥٢,٢٠٨,٩١٥ دولر وكانت الحكومة الروسية مطلوبة بسداد قرضين أحدهما قرض أجنبى ومقداره غير معلوم والآخر القرض الاهلى ومقداره ٥٤,٧٥٠,٠٠٠ دولر وكان الجيش التركى شرع فى تنظيمه وقت اشتعال الحرب وهو عبارة عن ٧٢٠,٠٠٠ نفس مقسومة الى جيشين منتظمين كل جيش ٢٢٠,٠٠٠ نفس واحتياط درجة أولى ٨٠,٠٠٠ نفس واحتياط درجة ثانية وجيش ثابت ملازم لنواحى جرمانيا وكان يوجد أيضا قوة غير منتظمة مقدارها ٥٠,٠٠٠ نفس من عساكر الجندرمه والباشبوزق والارناؤوط والبدو وجنود أخرى متطوعة وجهزت الممالك الخراجية والاقاليم نحو من ٨٠,٠٠٠ نفس وبالنسبة للعساكر المطلوبة للخدامات اللازمة لم يمكن تركية أن تبرز الى الميادين الجارى فيها الحروبات سوى ٤٠٠,٠٠٠ نفس وكان ملبسهم وغذاؤهم أشبه بحالة فقرية الا أنهم كانوا مسلحين بالبنادق الامريكانية المشخخنة وكانت الطوابى مشتملة على كثير من مدافع كروب المشخخنة

وكانت العمارة البحرية التركية أعظم بكثير من العمارة الروسية وهى عبارة عن مائة وخمسين سفينة بخارية منها عشرون سفينة مزرخة منها سبع فرقاطات ولما كان البحر الاسود محكوما بهذه الدونتمة تمتعت تركية بمنافع مفيدة لها على أخصامها فى طول سواحله

وكانت المالية التركية كما شاهدنا فى حالة رديئة لارجاء فيها وكان الدين الداخلى يزيد عن ١,٠٧٥,٠٠٠,٠٠٠ دولر منها ما بين سبعمائة مليون أو ثمانمائة مليون لبريطانيا الكبرى وبالنسبة لهذا الدين أوقف الباب العالى دفع الارباح كما ذكرنا ذلك فى اقطوبر سنة ١٨٧٥ وكان للسلطان شوكة فى زيادة محصولاته بكونه أعلن أن الحرب حرب مقدس ودعا الناس فى المساجد للاعانة فى معاضدته وقومت خزائن الكعبة فى مكة بما يزيد عن خمسين مليون دولر

وكان الشغل امام القواد الروسية فى ابتداء الحرب أحد الاشياء المهمة الخارقة للعادة فى العظم وان المملكة التركية يجب الغارة عليها من جهتين من خط الدانوب فى أوروبا ومن جهة قوقازه فى آسيا الصغرى وان الغارتين يجب أن يساعد بعضهما بعضا على قدر الامكان كما اذا كانا قريبين من بعضهما ولنذكر لمطالعى تاريخنا هذا ابتداء الوقائع الحربية فى آسيا الصغرى فنقول

ان جيش القوقازه تحت قيادة الدوق الاكبر ميخائيل كان مقداره ١٥٠,٠٠٠ نفس و ١٦٨ مدفع وكان معسكرا فى طول سواحل أرمينية من ابتداء تفليس الى اربقان وكانت الاراضى الجارى فيها عمليات المحاربة جبلية وكانت قابلة لان تعطى تصورا واضحا لهيئتها الاصلية فعلى هذا صار من الممكن معرفة الحركات العمومية للحرب ومن ابتداء نقطة على البحر الاسود فى جنوب بوطى تبتدئ سلسلة جبال تمتد قليلا الى الجنوب شرقى ضواحى (اخالطزيق) ومنها تمتد الى الشمال الشرقى حافظة خطها حتى تجتمع مع سلسلة جبال قوقازه الاصلية عند جبل (ولقطى) والنهر الاصلى للحوض المشكل بهذه المثابة هو نهر ريون الذى يصب فى البحر الاسود عند بوطى بالقرب منها

ومنها

ومنها تبتدئ سكة حديدية الى تفليس وتسير هذه السكة فى وادى النهر وتعبر السلسلة الجبلية المتقدمة الذكر بالقرب من محل صغير اسمه صورام أوشاروبان والمدينة المشهورة فى هذا الحوض هى مدينة قوطاى وهى كائنة على فرع من نهر ريون وفى شمال هذا النهر نهر انجور وهو بعيد فى شمال كور وبالقرب من هذه الجهة تلتف السلسلة المذكورة أخيرا الى الشمال الشرقى فى ضواحى اخالطزيق وتنفصل منها وادى كور وتبتدئ سلسلة جبال اللاغز وتمتد فى الجهة الجنوبية الشرقية الى البحيرة الزرقا وتجتمع أخيرا خلفها مع سلسلة عراره أوالجودى فى جنوب أراكس وبين السلسلة القوقازية وسلسلة اللاغز يوجد الوادى الكبير لكور والواقع فيه مدينة تفليس وتبتدئ السلسلة الجودية من البحر الاسود بالقرب من قلعة القديس نيقولا وتمتد تقريبا الى جهة الشرق حتى تصل الى نقطة بعيدة بقدر عشرين ميلا غربى (أخالطزيق) وهذه تشكل فيها خط الحد بين روسية وتركية ثم تتجه السلسلة الى الجنوب حتى تصل الى نقطة بعيدة بقدر أربعين ميلا فى جنوب ارضروم ومن هنالك تتجه تقريبا شمالا شرقيا الى ضواحى (الغاظمين) ثم الى الجنوب الشرقى الى جبال الجودى ثم تتبع الشاطئ الايمن لنهر اراكس على مسافة ما ثم تسير الى بحر قزبين والكورة الواقعة بين سلسلتى جبال اللاغز وعراره مع السفوح الغربية للسلسلة الجودية تشكل ميادين الاعمال التى سنذكرها

وسلوك هذه الكورة له أهمية عظيمة وضرورى معرفتها لاجل فهم مواقع الحوادث الحربية وقد روينا من وصف (الجنرال مكليلان) أن السكة الساحلية من قلعة القديس نيقولا الى باطوم هى قابلة لسير عربات الحمائل والنقل ومن بعد باطوم الى طرابزون مجرد سكة مرور فقط والسكة من أخالطزيق الى اردهان طولها خمسة وستون ميلا تتماوج فيها الرياح والجبال ذات الآجام الى وصولها الى معبر أولغار وفى نصف الطريق الى اردهان يوجد مصعد واقف ومن هذا المكان الى اردهان وبعدها يكون النزول فى غاية السهولة ومن اردهان الى ارضروم من طريق (دادطشين - ومعبر قرطشلى - وأولطى - ونورعان) مائة واثنان وعشرون ميلا ويوصل معبر قرطشلى على السلسلة الاصلية لجبال عراره ومن وادى (كورالى) ووادى (طشروخ) توجد بعض محلات واقفة فى هذه الطريق الا أنها أعظم موصل الى ارضروم وان السير فيها معتاد بواسطة الاهالى الى سغنلى ويمكن أن يقال ان قطعة سلسلة جبال عراره بالقرب من طريق قرطشلى يعطى لها أحيانا اسم جبال قرطشلى وان طريق سغنلى أوطرق أخرى تعطى أسماءها الى القسم المقابل لها من سلسلة عراره أوفروعها وهذه السكك مع الجبال القريبة منها مغطاة بالغابات الكثيفة من شجر البلوط أوالسنديان والصنوبر وكثافتها هذه تجعل الثلوج باقية عليها الى فصل الصيف وهى مقطعة بالوديان الصخرية والاعماق المائية

ومن الكسندربول الى قارص ثلاثة وأربعون ميلا تقريبا من طريق كينس ومن قارص الى قوطانلى سبعة عشر ميلا ومن قوطانلى يسير طريقان يعبران سغنلى ويجتمعان ثانيا بالقرب من قنطرة قديمة مصنوعة من الحجر على نهر أراكس فى (كربى كيف) أوكوبرى كوى وهذه القنطرة الباقية فى غاية المتانة لهذا الوقت المركبة من سبع عيون تنسب على حسب الروايات المتتالية الى داراهستاسب

والآجام السنغلوغية التي ذكرناها تمتد من ذيل قوطانلي الى معقل ظبون ومن سبعة أميال الى خمسة عشرة ميلا على الجهة الاخرى من الطريقين وتوجد مجاري سيول عميقة وصعبة ينشأ عنها مواقع تحفظية عظيمة في أي حالة من الاحوال

والسكة الموجودة على اليسار المسماة طريق (مجينغرت) تمر ابتداء من اسبوغه وحلوق (دلي موسى بيرون) ومن هذا المحل تتبع شاطئ مجرى خامي وتمر من قرى (سرقيش) وحلوق (ميلدوز) ومعقل (مجينغرت) وقرية (خورسان) الى كوبري كوي بطول أربعة وأربعين ميلا والسكة اليمنى أو ظيون تمر (من قرى كيكوطاش - وطشيربكلي - وقزل كليسه - وقلعة ظيون - وظفين - وقرية أردوست) بطول سبعين ميلا

ومن كوبري كوي الى حسن كالي عشرة أميال ومن هذا المحل الى ارضروم سبعة وعشرون ميلا فيكون من قارص الى ارضروم ١٠٨ ميل من طريق مجينغرت و ١٢٤ ميل من طريق ظيون ومن قارص الى ذيل سغنلي ليست الاراضي صعبة السير وعلى السكك الجبلية كانت المشاق في الازمان الاولية أقل في منحدرات السفوغ من المستنقعات والبرك في الوديان وفي الصخور والاحجار التي يحصل منها ضيق الطريق وهذه المشاق والمصاعب صار تخفيفها في بعض جهات في السنين الاخيرة ومن (اهلفلاشي) توجد طريق جبلية الى قارص على غيلي طاغ بطول اثنين وخمسين ميلا ومن اردهان الى قارص توجد طريق عظيمة بطول خمسين ميلا

ومن (سرداراباد) بالقرب من اريوان يوجد طريقان عظيمان يوصلان الى قارص احداهما من (قطشيرزنه - وصوبطن) بطول ثمانين ميلا والاخرى من (كاغيزمان) بطول ثلاثة وتسعين ميلا ومن كاغيزمان توجد طريق جبلية من (عشطوان) الى (حسن كالي)

ومن أريقان يوجد طريق واحد من (قطشي غيدوف) بطول ثلاثة وأربعين ميلا وآخر من (زيرغيدوف) بطول اثنين وستين ميلا يجتمعان في بايزيد وهذه الطرق عظيمة الا أنها تحتاج الى الاخشاب والمطلوبات ومن سكك بايزيد أعظم طريق من تبريز الى القسطنطينية تمر من (ديادين - وطبراق كالي) على رأس كوش طاغ ومن دالي بابا الى حسن كالي وارضروم بطول ١٠٧ ميل من بايزيد ويوجد أيضا طريق من طبراق كالي تمر من (ميليسغرد - وكينس - وجبل بريغول - وكولي) الى ارضروم ومن كينس يوجد فرع يوصل الى موتش وهذه طرق عظيمة فيها كثير من الاخشاب والمياه ومواد العلف

ومن ارضروم الى طرابزون من (بايبورت - وجيش خان) نحو من ١٨٠ ميل وكانت هذه الطريق من أعظم الطرق وأجودها الى بايبورت لكن من بعدها كانت صعبة السير جدا في الابتداء حتى على الحيوانات المحملة ويحتمل انها صارت في حالة جيدة الآن ومن ارضروم من (بايبورت - وقره حصار) الى سيواس ٢٦٦ ميل أو من ارضروم ٢٠٠ ميل وهذه الطرق طرق عربات حمل عظيمة وتمر من أراض معمورة وجيدة الخصوبة وتمر سكة القافلة الى سيواس من (اج كالي - وكلكيل طشيفليس) الا أنها أصغر من الطرق الاخر وعلى نحو ثمانين ميلا من سيواس عند قرية أندواس تتجه طريق الى طوقات بطول سبعة وثمانين ميلا ومن هذا المكان الى سمسون بطول ١١٥ ميل وهذه الطريق صالحة لسير العربات ويوجد أيضا طريق يوصل الى وادي طشير وخ من باطوم من أرطوين

وكسكين

وكسكين واسپوره الى بايبورت و بالقرب من كسكين يخرج من هذه الطريق فرع الى أولطى وفوق الوادى بقليل يتجه فرعان الى الجهة الجنوبية الشرقية بقطعهان بالقرب من غرطوم السكة المستقيمة من أردهان وأولطى الى ارضروم و بواسطة فرع آخر موازللاك يتوصل الى ارضروم والشاطئ الجنوبي للبحر الاسود محدود بسلسلة جبال أو عدة سلاسل موازية له والداخل مركب من جبال و وديان وهضاب كثيرة الا أنه لا يوجد غرب ارضروم صعوبات فى الطريق لاى جيش مهما كان عظمته مثل شرق هذه النقطة وان الاراضى يتيسر الحصول منها على مطالب كثيرة والمحلات المحصنة فى أرمينية هى (قارص - و باطوم - واردهان - و بايزيد - وارضروم وطبراق كالى - وحسن كالى - وارطوين - وأولطى) وكان مفتاح كافة الولاية والمقصد الاصلى لنقطة الحركات الروسية هو مدينة قارص الحصينة

ولاجل مقابلة الحملة الروسية جمع الترك جيشا الا أنه كان أقل عددا من جيش أعدائهم المجاور لحدودهم وحفظت قارص واردهان باعظم المحافظين والباقى من القوى التركية ترتب لحماية قارص وارضروم وعهدت القيادة العظمى لاحمد مختار باشا وهو قائد نبيل ومتدرب على الاعمال العسكرية وكان ابتداء تقدم الجيش الروسى قبل اعلان الحرب بيوم ففى ٢٣ ابريل تجاوزت ثلاثة قولات روسية الحدود وتحرك الجناح الايمن من بوطى على باطوم والقلب أو اصل الجيش من الكسندربول على قارص والجناح الايسر من اريقان على بايزيد وكان الشغل الذى تعين على الجناح الايمن هو قطع المواصلة بين باطوم وداخل المملكة وصد التقويات والامدادات التى تأتى الى قارص من البحر من تلك الناحية وتمم هذا القول ما تعين له مع غاية النجاح وكان الجناح الايسر أيضا مظفرا فيما رسم عليه من الاجراآت وتحت قيادة (الجنرال طيرغوكاسوف) تغلب على بايزيد بدون أدنى طلقة خرجت منها ولما تعطلت حركة قول القلب بواسطة قول القلب التركى كان تقدمه مع بطء الحركة الا أنه تغلب على جميع الموانع الموجودة أمامه عند حركته على قارص ولما خاف مختار باشا من انه ربما يصير قطع خط رجعته الى ارضروم ترك قوة مقدارها تسع وعشرون أورطة وثمان بطريات فى قارص وتأخر مع الانتظام والروسيون تابعون لحركته القهقرية وقريبون منه الى هضبة (هورنكيارو ز) على سلسلة جبال سنغلى ولما أنهى الجنرال موليكوف قائد جيش القلب تتبع الترك سار الى قارص ولما رتب غالب ما معه من القوى أمام هذه القلعة أسرع الى اردهان بمن بقى معه وفى ١٤ مايو ابتدأ باطلاق النار على تلك المدينة وفى ١٦ منه تغلب عليها بالهجوم ولما وضع قوة عظيمة فى القلعة المفتوحة عاد الى قارص وابتدأ فى اقامة الحصار عليها بالبطريات وتقدمت هذه الى الامام مع السرعة وفى نحو ٢٦ مايو صار الشروع فى اطلاق النار على قارص

وفى آخر مايو صار موقع الجيشين كما هو آت وهو ان الجناح الايمن الروسى المنفصل من الجيش السريع بالنسبة لما هو متعين عليه من الاشغال هدد باطوم وأزعجها وكان الجناح الايمن للجيش السريع قوة صغيرة عند أولطى وكان القلب أمام قارص وبواسطة خيالته تقدم الى (وزينوبسن) وكان الجناح الايسر فى (افرج كليا) مع تقدم خفره الى قريب (طبراق كالى) وعسكر الجناح الايسر للترك فى مواجهة دالى بابا مع تقدم خفرهم الى طبراق كالى وكان القلب معسكرا فى موقع حصين فى جبال سنغلى بالقرب من ظيون والجناح الايسر كان فى خلف أولطى

وفى مبادى يونيه تقدم الجناح الايسر الروسى وأمر مختار باشا محمد باشا قائد الجناح الايمن التركى بان يردم المتاريس ويضبط طريق دالى بابا وفى هذا الوقت كان الجيش التركى فى غاية من القوة

ثم عرف مختار باشا ان الجناح الايمن والايسر الروسى صارا فى غاية من الضعف زيادة عما كان يعرف وعزم على الهجوم عليهما على التعاقب وأسرع فى تقوية جناحه الايسر وجعله مركبا من احد عشر طابورا من الاقوياء المشاة وثلاثة آلايات من الخيالة وستة مدافع جبلية وتقدم به نحو أولطى وكانت القوة الروسية المقابلة للجناح الايسر التركى عبارة عن ثلاث أورط بياده وقوة قليلة من الخيالة والطوبجية فتقهقرت هذه القوة من غير حصول أدنى مقاومة الى جبال قانلى وفى ٧ يونيه احتل الترك أولطى

وأما الجناح الايسر الروسى وكان تحت قيادة (الجنرال طيرغو كاسوف) فانه استمر فى التقدم واحتل فى ٩ يونيه (زيدخان) فى ذيل معابر كوش ولما تشجع مختار بتقهقر اليمين الروسى من أولطى قوى يمينه فى دالى بابا حتى بلغ سبع عشرة أورطة من البيادة وثلاث بطريات طوبجية و ٨٠٠ من الخيالة وأمر محمد باشا بطرد الروسيين من زيدخان فأخبر الجنرال طيرغو كاسوف فى الحال باجراء هذه الحركة عليه فأسرع فى الخروج من زيدخان لمقابلة العدو وكانت قوته أقل عددا من قوة خصمه فى العساكر المشاة الا ان خيالته وطوبجيته أكثر عددا وفى ١٦ هجم الروسيون على الترك فى طاغير فهزموهم وشتتوا شملهم واقتحم المنصورون فى الحال وتغلبوا على سكك المرور وانجبر الروسيون هنا على الوقوف حيث لم يكن لهم قوة كافية للاستمرار فى تعقبهم بعيدا وقال أحد المؤرخين ان فرقة أخرى ساعدتهم حتى قدروا على التغلب على كوبرى كوى واشتركوا فى الهجوم الذى عمل على ظيوين بواسطة القلب قبل ذلك بقليل

وبينما كانت هذه الحركات آخذة فى التقدم اذ تغلبت القوة التركية على بايزيد بالتقرب اليها من بحيرة وان والقوة القليلة الروسية التى كانت محافظة لها تقهقرت الى القلعة وهذه صار الاحاطة بها فى الحال بالقوة التركية

وفى أثناء ذلك لما عرف مختار باشا بهزيمة جناحه الايمن فى طاغير أسرع فى تقويته هذا الجناح وجعله فى قوة قوية مركبة من تسعة عشر طابورا وعشرين مدفعا طوبجيا وألفين وخمسمائة من الخيالة ثم جعل نفسه فى رأس هذه القوة وتقدم للهجوم على يسار الروسية الذى كان عبارة عن عشر أورط ونحو خمسة عشر مدفعا وقوة قليلة من السوارى وفى ٢١ يونيه هجم مختار باشا على موقع الروسيين بشدة الا انه صدم مع تلفيات جسيمة وفى أثناء الليل رجع الروسيون الى زيدخان ومنها استمروا فى القهقرة من غير تكدير وضجر شديد الى اغدير وهى مدينة داخل أراضيهم على مسافة ثلاثين ميلا فى الجهة الجنوبية الشرقية من اريفان ولما استعد الجنرال طيرغو كاسوف سار فى الحال قاصدا بايزيد وفى ١٢ يوليه هجم على القوة التركية المحيطة بالقلعة وكانت ثلاثة عشر ألفا فهزمها وشتتها وخلص المحافظين الجسورين القليلى العدد وتقهقر الروسيون ر وبدار وبدا الى اغدير

وفى أثناء كل هذه المدة كان جيش القلب الروسى تحت قيادة الجنرال ميليكوف يطلق النيران

على

على قارص الا أنه بدون ثمرة يعود نفعها عليـه وفى آخر يونيـه ترك قوة عظيمة لاجل استمرار الحصار وتحرك ميليكوف مع باقى جيشه الى نحو سنغلى فاذا تم له ذلك بقصد التغلب على ذلك الموقع بشكل مواصلة مع الجنرال طيرغوكاسوف فى كو برى كوى ويتقدم على أرضروم وفى ٢٥ يونيه وجد طريق تقدمانه مسدودة بالقوة التركية تحت قيادة فيضى باشا فى (طيون دوز) فهجم فى الحال على الترك مع غاية العنف والشدة الا أنه بعد محاربة مكثت من الصباح الى الساعـة الثامنة من الغروب طرد بخسارات وتلفيات جسيمة فحينئـذ رجع ميليكوف رو يدار و يدا و جمع ما تحت يده مع القوة المحاصرة لقارص والموجودة فى مواجهتها ثم ان مختار باشا تبعـه رو يدار و يدا وفى ٨ يوليه فتحت المواصـلة مع المـدينة التى كانت محصورة وقبـل وصوله عزم القائد الروسى على رفع الحصار ثم بعد ذلك تأخر الروسيون على التدريج الى معسكرهم المحصن فى زايم على مسافة ثمانية أميال فى الجهـة الشمالية الغربية من قارص فاحتلوا هـذا الموقع مدة كافيـة حتى تيسر لهم الحصول على جلب جميع موادالحصار الى موقعهـم مع الامن والسـلامة ثم رجعوا رو يدار و يدا بغـير تعقيب الى مرتفـعات كوروكدير فى نصف المسافة بين قارص والكسـندر بول وعسكر وا فى هـذه الجهة وانتظروا الامداد الذى يأتيهم

وفى ٢٤ يونيه هجم الترك على القوة الروسية الموجودة فى مواجهة باطوم فحصلت للجهتين النصرة الا أنه نتج من هـذا الهجوم ان الروسـيين تقهقروا من موقعهم الموجود امام باطوم واحتـلوا خطا جديدا فى طول الحد الكائن بين قلعة سنت نقولا وأوزو رغيطى

وفى ٢٦ يوليـه كانت المواقع الجـديدة التى احتلها جيش الجنرال ميليكوف هى (كوروكديرـ وغولوبرن ـ وطشكه) ولم يزل الجناح الايسر الموجود تحت قيادة (الجنرال طيرغوكاسوف) معسكرا فى اغـدير و تبع مختار باشا الروسـيين فى تقهقرهم واحتل موقعا جديدا فى غاية التحصين مقابلا لخط ميليكوف وعلى مسـافة متوسطة منه ثم انه صار تقوية الجيشين بالامدادات الكثيرة وكان يحصل بين الجيشين مناوشات لا أهمية لها وكانت على غير طائل وفى ١٨ أغسطس صمم ميليكوف على اجراء الهجوم على الموقع التركى الا انه ارتد بخسارات جسيمـة ونجح مختار باشا لكونه أعقب هـذا الظفر بتغلبه على (قزل تبه) المرتفع أحد المواقع الامامية للروسية فى ٢٥ أغسطس ثم ان الروسيين كرروا الهجوم وصمموا على الاجتهـاد فى التغلب ثانيا على الجبـل المـذكور فى اثناء اليوم الا أن كلا من الجيشين رجع الى موقعه مع تلفيات حصلت عنده

ويمتـد الموقع التركى فى ذلك الوقت من (ألجه طاغ) الى قارص و يمر من (وزن كوى) وكان يوجد فى مواجهة الخط الاصـلى التلال المنعزلة لقزل تبه ومخارجى تبه وأوليا تبه ويكى تبه وكانت جميع هـذه التلال فى غاية من التحصـين ومعمورة بمحافظين ماهرين ولاجل التحفظ على هذا الخط الطويل المهم انجبر القومندان التركى على تقليل محافظى قارص وجعـل فيها قوة ما وكان تعـداد جيشه نحو من ٤٠,٠٠٠ نفس وأربعة وخمسين مدفعا وكان الجيش الروسى صار امداده بكثرة حتى بلغ تعداده ٧٠,٠٠٠ نفس ومعه مائتا مدفع تحت قيادة الدوق الاكبر ميخائيـل بنفسه فانتشب حرب شـديد فى ٢ و ٣ و ٤ أكتوبر بين الجيشين وكانت هذه الواقعة بدون طائل للروسـيين على العموم وفى ١٥ اكتوبر عمـل الدوق الاكبر هجوما عاما على الموقع التركى وكان مفتاح هـذا

الموقع أوليانيه وكان هذا الموقع مستكابار بعة طوابير وبطريه مدافع وتعين أمر التغلب على هذا التل على فرقة الجنرال هيمان وافتتحت نارطوبجية مرهبة على الموقع التركى وامتد سقوط قنابر فرقة هيمان مدة ثلاث ساعات منتظرين أمر الحملة وأرسل مختار باشا طابورا قويا من البيادة التركية لاجل مساعدة النقطة المهجوم عليها الا انه صار طرد هذا الطابور بعساكر الروسيا ثم تحركت فرقة هيمان تحت حماية النار القوية الخارجة من البطريات الطوبجية الروسية الى جهة التل لاجل عمل الهجوم فحصل من الترك مقاومة جسورية مع البسالة الا أن ذلك لم يفد شيأ من توالى رمى القنابل الروسية التى كانت تستطف خطوط نيران المتاريس وكثيرة الوقوع فى البالنقات وطردت المدافعين خلف الجهة المقابلة للتل وبهذا تغلب الروسيون على أوليانيه ثم أجروا هجوما ثانيا تغلبوا فيه على الهضبة الموجودة فى مواجهة (وزن كوى) وكانت هذه أيضا فى غاية التحصين وفى أقل من أربع ساعات من بعد الظهر شالت القنابل المكوفية الموقع التركى فى أليجه طاغ فهرب الترك تاركين معسكرهم وكافة ما يحتوى به ومنها اثنان وثلاثون مدفعا فى يد المنصورين ومكثوا فى الجبال لغاية الساعة الثامنة مساء ولما قطع خط رجعتهم بواسطة الروسيين من الجيش الاصلى وصاروا بغير غذاء ولا مأوى يلتجئون اليه سلموا أنفسهم للروسيين وعمت الهزيمة وتجهز الروسيون للحصول على ما يعود عليهم بالنفع بالشدة والشهامة

ثم ان مختار باشا أرسل قوة عظيمة من المحافظين الى قارص وأخذ ما بقى من جيشه وتقهقر الى نحو أرضروم وسار الروسيون تابعين له وبعد أيام قليلة من واقعة اليجه طاغ ابتدأت الاحاطة مرة ثانية بقارص وتوجهت قوة عظيمة جهة أرضروم وسار الجناح الايسر الروسى وهى تحت قيادة الجنرال طيرغوكاسوف مع السرعة الى هذه الجهة وفى ٤ نوفمبر هجم الروسيون على جيش مختار باشا فى دوى بيون فانهزم الترك وتقهقروا الى أرضروم

وفى هذا الوقت اشتد الحصار على قارص وعمل الترك عدة طلائع قوية من القلعة على عساكر الاحاطة الا أن الروسيين صدوهم بشدة الى القلعة وفى ليلة ١٧ نوفمبر صمم الروسيون على الهجوم بقوة على استحكامات المدينة فامتدت الواقعة من الساعة الثامنة من هذه الليلة الى الساعة ٨ صباح يوم ١٨ منه وكانت هذه الواقعة بمعرفة الجنرال ميليكوف ونتج منها التغلب على المدينة واستحكاماتها وعلى ١٠,٠٠٠ أسير و ٣٠٠ مدفع ومقادير وافرة من الذخائر والاسلحة وكانت هذه غنيمة حقيرة ونشروا الأمن على أهل المدينة والنساء والاولاد وفى الساعة ١١ من صباح يوم ١٨ منه دخل الدوق الاكبر ميخائيل المدينة واستحوذ عليها

ولما وقعت قارص مفتاح أرمينية شدد الروسيون فى التوجه للاحاطة بأرضروم مع الشدة وكان حصار هذه المدينة آخذا فى التقدم وفى مدة تقدم الحرب فى أرمينية كان الاسطول التركى مجريا الشغل فى البحر الاسود مع غاية التأثير وخرب المين المحصنة الروسية الا أنه لم تحصل أدنى فائدة من هذه الهجومات ثم ان تركيا اجتهدت فى عمل ثورة بين الجراكسة وبهذا قام عدو مهول خلف الجيش الروسى فى أرمينية ووقع بعض اختلالات واضطرابات بين الجراكسة الا أن الترك خابت فى اتمام مقصودها

ولنشرع الآن فى شرح الحرب الذى كان جاريا فى أوربا ونبتدئ بذكر الهيئة الاصلية الطبوغرافيا

لتركية

لتركية أو روبا ناظرين فى أى خريطة عظيمة للاقليم فنقول ان أول شئ يلوح للعين هو نهر الدانوب ويختص ذلك بالقطعة النهرية التى تحت المياه الساقطة من الجبال عند الابواب الحديدية فى أورصوفا وهذا النهر هو الخط التدافعى الاول التركى وتحت الابواب الحديدية ماعدا محل انقسامه بالجزائر الى عدة فروع لا يكون عرضه أقل من تسعمائة خطوة وفى محلات أخر يتضاعف هذا القدر وعمقه فى بعض محلات من سبعين الى ثمانين قدما ولا يقل ماؤه أبدا فى الغالب بل هو نهر عميق على الدوام لا يكون قابلا للخوض ويوجد محل واحد فى (طولجه) فيه السدود الرملية تنقص عمقه كثيرا حتى يمكن عمل كوبرى من محالات يمكن العبور عليه وفى جميع النقط الاخر يلزم أن تكون الكوبريات أو الجسور مصنوعة على مراكب أو طوموبازات وسرعة تياره المتوسطة عبارة عن ميلين أو ميل ونصف فى الساعة الواحدة ويشبه أن الشاطئ الايمن التركى حاكم على الشاطئ الايسر الذى هو فى الغالب أراض مستنقعة بالقرب من مجرى المياه وأما النقط الصالحة لعبور جيش عظيم من العساكر فانها قليلة جدا وهى على العموم مغطاة باستحكامات على الشاطئ التركى ومن هذه الاعمال كانت مدينة ودين هى الاكثر أهمية نحو الغرب وهى مدينة عظيمة السعة ذات أهمية كبيرة على الشاطئ الايمن للنهر وفى غاية من التحصين والرصانة وتشتمل على كثير من المبانى العسكرية وقلافاط على الشاطئ المقابل وكان يستعمل لها فى الابتداء أشبه برأس قنطرة وقعت فى أيدى العساكر الروسية وهى فائدة عظيمة للروسيين ويوجد تحت ودين أشغال قليلة فى (لوم - وأورخوفا) ونيقوبوليس قلعة من قلاع الدرجة الاولى وفى هذه الجهة يصب فى الداونب نهر أوصمه من الجهة الجنوبية ونهر الوطه من الجهة الشمالية وفى (زيشتوفا) يوجد شغل آخر صغير وتحت ذلك قلعة روشجق العظيمة التحصين ويقابل هذه القلعة (جيورجيف) وفى روشجق تنتهى السكة الحديد الواصلة اليها من وارنه وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلا من تحت روشجق توجد طورطوكوى التى صار تحصينها ورصانتها فى السنى الاخيرة تحت هذه القلعة القوية والمعسكر المحصن لمدينة سلسترا وهى معروفة من تحصيناتها الابتدائية فى سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٣٥ وفى هرسوفا شغل قليل حافظ للنقطة المهمة بخصوص عبور النهر وعلى مسافة أربعين ميلا تحتها توجد بريلوف وعلى مسافة قليلة منها على الجهة التركية توجد استحكامات (ماجين - وقلاطز - وريى - واسمعيل) جميعها فى أيدى الروسيين

وفى جنوب الداونب وعلى بعد مسافة متوسطة قدرها ستون ميلا تمتد سلسلة جبال البلقان الى الجهة الشرقية من البانيا الى رأس أمينة على البحر الاسود وهذا هو الخط التدافعى الثانى للترك وبينه وبين الداونب واقعة بلغاريا والداونب فى راسوفه فى أثناء جريانه الى البحر ينعطف مع الحدة الى الشمال ومن هذه النقطة يبتدئ سور طراجان الذى كان يمتد من كوستنجه على ساحل البحر الاسود

والبحث جزيرة الواقعة فى شمال سور طراجان وبين الداونب والبحر الاسود تعرف باسم (الدوبروجه) والقسم الشمالى من هذه الكورة مغلق بجبال ماجين وبطشبطه وباباطاغ وفى الجهة الجنوبية يكون السطح تلالا ذات تموجات أرضية بغير ارتفاعات كبيرة والاراضى مرملة مختلطة بالاحجار الجبسية وأما الوديان الداخلة فانها محتاجة للمنابع ومجارى المياه فعلى هذا لا يمكن الحصول على مياه الا من بعض آبار عميقة جدا وهى قليلة العمران وبهذا كان الاقليم عبارة عن قفر قحل لا يصلح الا للمراعى

ثم ان هذه المراعى تنشف فى وسط الصيف

ولاجل ضبط بلغار يا يلزم التغلب على مسالك البلقان والتحفظ عليها ولاجل حصول الامن فى أدرنه أوفى القسطنطينية يلزم التغلب على هذه المعابر ولذا لما تغلب الروسيون على جميع المصاعب الدانوبية وجدوا بعدها مصاعب البلقان معرضة فى طريقهم ويجتمع البلقان فى نهايته الغربية مع السلاسل الجبلية العابرة من البانيا ودلماطيه ويتصل مع جبال هرسك وصربية ويخرج منه بالقرب من صوفية الى نحو الجهة الشمالية فروع توصله بسلسلة جبال الكربات ومن هذه الفروع ينبع الدانوب بقوته طريقة عند الابواب الحديدية وأعظم ارتفاع لسلسلة البلقان الاصلى الجهة الغربية لمنابع (زانطر - وطنديشه) يعنى غربى (فسانايق - وطرنوه) وفى هذه الجهة رؤس الجبال تكون مغطاة بالثلوج لحد نصف الصيف ومن هذه الجهات الى منابع قمجيق يزيد العلو عن ٥٠٠٠ قدم وبعيدا عنه فى الجهة الشرقية لا يزيد عن ٤٠٠٠ قدم وثروة هذه السلسلة من أشجار الاورمانات المحيطة بالتلال ويوجد فى الوديان صخور حجرية والسفح الجنوبى كثير الميل جدا وفى الجهة الشمالية توجد سلسلة من تلال السفوح موازية لبعضها تختلف كثيرا من السلسلة الاصلية وهذه التلال التحتية مركبة من أحجار جيرية بقممات عريضة وتشكل فى بعض الجهات أسوارا عمودية بارتفاع ١٠٠ أو ٢٠٠ قدم وتشكل مضايق أودربندات وفى نحو قاع الوديان سطح الصخر يأخذ فى الميل تدريجا كلما أخذ فى النزول وليست رؤس الجبال وقاتها سهلة الارتقاء وهى مستورة بالاشجار الطريفة للسلسلة الاصلية والاشجار الصغيرة المتكاثفة وعلى مسافات عظيمة من ذيل السلسلة الواطية تجد السهول مغطاة بواسطة شجر البلوط الذى يجعل حركات طوابير العساكر الكثيرة العدد فى عبور الاراضى صعبة جدا بل قد يكون السير مستحيلا وكان المفهوم فى الازمان الاولية أن البلقان يستحيل نهوضه بالنسبة لعلوه ومافيه من المصاعب التى تنشأ من السلسلة ومن الحوادث اذ لا توجد طرق حقيقية جيدة وعلى مسافة مقدارها خمس أوست مراحل توجد مصاعب صغيرة باجتماعها مع بعضها يحصل منها للعساكر عند نجاحهم مشاق كبيرة ثم انه مماقدم يجوز أن نذكر الطرق والمعابر المهمة القاطعة لسلسلة البلقان فنقول

ان أهم الطرق الغربية وأجودها فى ضواحى صوفية طريقان أصليان يعبران الجبال احداهما تأتى من (أوسكوب) وفيها تجتمع الطرق من الجبل الاسود وهرسك وبوسنه وصربية وتمر من روبنطزه الى تتربزارجق والاخرى تأتى من صوفية وهناك تجتمع الطريق الآتية من بلغراد ونيش مع الطريق الآتية من ودين وتوصل أيضا الى تتربزارجق ومن هذا المحل يوصل اتحاد الطرق الى أدرنه والقسطنطينية وأما (صارمبرغ) الموجودة على مسافة ١٢ ميلا من غرب تتربزارجق فهى منتهى السكة الحديدية من أدرنه الى القسطنطينية بفرع يوصل الى انيوس على بحر ايجيا (الارخبيل) وهذا المعابر ينشأ منها مصاعب قليلة طبيعية وقد صار تصليح هذين الطريقين وتحصينهما فى السنين الاخيرة والمعبر الثانى المهم هو الموصل بالطريق الآتى من طرنوه الى قزانلق وأدرنه الذى صار انشاؤه ويوجد طريق آخر يوصل من طرنوه بواسطة صلدينو ويناولى الى أدرنه وهذا الطريق متصل بفرع مع كسن وكرناباد كما أنه موصل الى ايدوس وهذان الطريقان الاخيران مهمان فى نقط سوق الجيوش وكرناباد تتصل من الجهة الشمالية بسلك من كسن مع طرنوه من جهة ومن عثمان بازار

مع

مع روشجق فى جهـة اليسار ومن راسغراد مع تاتاركوى فى الجهة اليمنى وفى جهة الجنوب توصـل السكك الى أدرنه والى بورغاس والى القسطنطينية وايدوس متصلة فى نحو الجهة الشمالية لها من جهة برووادى مع شملة وعثمان بازار على جهة اليسار ومع وارنه وبزارجق وسلستر على جهة اليمين ومتصـلة من الجهة الجنوبية مع بورغاس والقسطنطينية وأدرنه وكثير من الطرق من كرناباد وايدوس الى وارنه وشملة صار تصليحها وجعلها قابلة لسير الطوبجية وعربات الحمل وصار تحصينها من نواحى الجبال

وقبل اعلان الحرب ببضعة شهور كما ذكر فى محل آخر صار انتخاب مدينـة كسينوه فى بسارابيا الاقليم الروسى الاقرب جـداً للولايات الدانوبية نقطة لحركات العساكر والذخائر للحرب المتقـدم وكسينوه متصـلة بجميع سكك الحديد الروسية وهى فى غاية الصلاحية للحصول على الفائدة المرغوبة فاجريت أشغال المنقولات الهامة الشدة واجتمع فيها جيش تحت قيادة الدوق الاكبر نيقوله يبلغ عدده نحو ٣٢٥،٠٠٠ نفس والجيش التركى المقابل لهذه القوة موجود خلف الدانوب ومقداره نحو ٢٥٠،٠٠٠ نفس وكان تحت قيادة عبد الكريم باشا الذى اكتسب الامتياز العظيم من قيادة القوى التركية فى حرب صربية التى أعقبها الحرب مع روسيا

وفى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ أعلنت روسيا بالحرب ضد تركية كما سبق ذكره وفى ٢٤ منه عبر الخفر الامامى للجيش الروسى الحدود ودخل رومانيا وعملت اصـلاحات دخلت فى ذلك مع الحكومة الرومانية بواسطتها يكون جيش هذه الولاية مشتركا ومأمون العاقبة بواسطة الروسيا وهذه الطريقة جعلت للروسيا قوة اضافيـة الى قوتها نحو ٦٠،٠٠٠ نفس الا أن هذه العساكر لم تجر واجباتها العسكرية حتى احتلت القوى القيصرية بلغاريا

وكان تقدم العرضى الروسى عبارة عن أربع عشرة فرقة وسارت الاربع عشرة فرقة بسرعة مسافة أربعين ميلا فى ظرف ست وثلاثين ساعة واحتلت غلاتز وابرائيل على شاطئ الدانوب وصار التحفظ على قنطرة السكة الحديد المهمة الموجودة على نهر سيريس فى باربوشى بين المدائن المذكورة وسار باقى الجيش مع السرعة الى داخـل رومانيا واحتـل النقط الاكثر أهمية لسوق الجيوش وقال الجنرال مكليلان انه لاجـل تصور رهبنة هـذا الشغل العظيم يلزم أن ننبه على أن المسافة من نقطة عبور الحد القريب لكشنيوه الى بكريش هى زيادة عن ٣٣٠ ميـل بواسطة لف السكة الحديد وزيادة عن ٢٥٠ ميل بواسطة الطرق العمومية ومن بكريش الى زيشتوفه نحو خمسة وستين ميلا والى قلفاط نحو ٢٠٠ ميل على وجه التقريب وبتبع السكك فى طول الشاطئ الشمالى للدانوب زيادة عن ٤٠٠ ميل من قلفاط الى اساطشكى وكان ذلك المعبر الاول للروسيا فى سنة ١٨٢٨ وكان الشغل الروسى الابتدائى هو تقوية احتـلال الولايات والشاطئ الايسر للدانوب وجمع الرجال والمهمات والذخائر وتخريب المراكب الحربية التركية الموجودة فى النهر بواسطة بطريات طوبجيـة برية وألغام بحرية وعمل الاستعدادات اللازمة لعبور النهر ثم ان الروسيا نظرا لحروبها الاولية مع تركية فى هذا القرن تمنعت بالتقدم فى عمل أسطول قوى فى البحر الاسود يقلل أتعاب أشغالها فى طلبات جيوشها وامدادها وحيث ان الترك ضبطوا البحر الاسود نجبر الروسيون على أن يعملوا خطا داخليا للمواصلة وأن يكون هذا الخط هو مطلق سكة حديد فقط من بسارابيا الى الولايات والاقاليم بخلاف السكك المهولة الموصلة من

رومانيا الى الدانوب نشأ منها جمع الرجال والمهمات على هذا النهر فى حالتى الصعوبة والتطويل وتبقى مياه الدانوب عالية فى نقط غير معتادة عدة أسابيع بعد الزمن المعتاد ويحصل منها منع الاسعافات الابتدائية فى عبور النهر فهذا التأخير أوجب الروسيين على الاستعداد لجمع الرجال والذخائر أمامهم وأخيرا لما هبطت مياه النهر وصارت جميع المهمات مستعدة للتقدم بالقوة أعطيت الاوامر بعبور النهر وكانت الاجتهادات الروسية الابتدائية فى الحصول على دوبريجه وبهذا يكتسبون قيادة الدانوب الاسفل ويضبطون القلاع القوية الموجودة فى هذه الكورة وفى ٢٠ يونيه عبر عشرة بلوكات من البيادة الداوب من جهة غلاتز وهجموا على القوة التركية الموجودة فى الشاطئ المقابل وبعد لحظة من الحرب تغلبوا على المحلات العالية التى كانت محتلة بالترك وضبطوها حتى عادت القوارب بالامدادات والتقوية وبهذا صار طرد الترك عن النهر وضبط الروسيون الموقع

ولما صار ضبط معبر غلاتز والتحفظ عليه نصب كوبرى على الدانوب فى ابرائيل وأرسلت قوة عظيمة روسية عبرت الى الشاطئ المقابل ونصب كوبرى آخر عند هيرسوفه فوق النهر وفى ٢٥ يونيه عبر عليه قول مركب من ١٨,٠٠٠ نفس من العساكر وعمل هذا القول مواصلات من القوى التى عبرت من النقط الموجودة فى أسفل الداوب وفى مساء ٢٥ منه صار للروسيا قوة مقدارها ٦٠,٠٠٠ نفس بالطوبجية والخيالة فى دوبريجه وتغلبوا على ماجين والمحلات الاخر المحصنة الموجودة فى دوبريجه العليا وانتقلت البحث جزيرة الى أيدى الروسيين من غلاتز الى سليستر وصارت تهديد قلعة سليسترا بغاية الشدة ومنع محافظوها من الشروع فى أى حركة خلف استحكاماتها وبينما كان الاحتلال فى دوبريجه آخذا فى التقدم كان الضرب الثقيل بالمدافع واقعا على روشجق ونيقوبولى وغيرهما من المحلات المحصنة الموجودة فى أعالى النهر وتعطلت المراكب الحربية التركية رغما عنها بواسطة بطريات الطوبجية والالغام البحرية الروسية

ولما شرع الترك فى الالتفات لما هو جار من احتلال دوبريجه ابتدأ الروسيون فى مساعيهم الاصلية فوق النهر وذلك أن المهمات اللازمة لعمل الكوبرى فوق النهر صار جمعها فى سمنتره وأرسلت قوة عظيمة الى هذه النقطة بقصد التغلب على معبر النهر وفى ٢٦ يونيه بعد غروب الشمس بقليل تحركت العساكر من سمنتره الى جهة النهر وفى هذا الوقت أطلق الطوبجية نيرانهم الى الامام فوق سطوح المياه لاجل منع عبور الناس وكان العبور الاول مدبرا بواسطة (الجنرال دراغوميروف) وأسرع فى الساعة الاولى من صباح ٢٧ منه الالاى الثالث والثلاثون مع ثمانية مدافع جبلية ونزل فى القوارب وابتدأ فى حركة صعبة جدا ولما وصلت القوارب الى منتصف النهر وكشف الترك الموجودون فى الشاطئ المقابل تقدمها صبوا عليها نيرانا ثقيلة وكانوا ٦,٠٠٠ عسكرى بياده وثمانية مدافع أو عشرة وكانت الحركة أمام القوة الروسية مشكلة للغاية

وبمجرد نزول البلوكات الروسية الاولية من القوارب رقد الرجال فى الوحل والطين على هيئة خط تناوشى ورجعت القوارب لجلب الامدادات واستمروا طول الليل فى عبور النهر ولما عبر نحو أورطتين صدر لهم الامر بالهجوم على المرتفعات المحتلة بالترك فمن ثم قام الرجال ملطخين بالوحل وتوجهوا ناحية العدو مع الاشتياق الزائد فأطلقت نيران مهولة من الخط التركى الا أنها كانت عالية جدا لم يحصل منها تلفيات لاعدائهم الهاجمين عليهم ولما استعملوا البونكى طرد الروسيون المسلمين من

مواقعهم

مواقعهم الاولى وقووها أكثر مما كانت وصاروا يكتسبون كل ساعة أرضا وفى نحو الساعة الاولى بعد ظهر يوم ٢٧ ابتدأ الطوبجية البرية الروسية فى التعدية وفى ظرف ساعتين صار طرد الترك خارج زيشتوفه ثم بعد ذلك صار التغلب على المرتفعات الحاكمة على هذه المدينة وضبط معبر التعدية ضبطا تاما وعند مساء هذا اليوم تم تعدية ثمان فرق من فوق النهر واستوطنوا الشاطئ البلغارى مع الثبات وكانت التعدية جارية فى غاية من النباهة والدقة حتى ان تلفيات الروسيين لم تزد عن ألف نفس وفى ٢٨ شرعوا فى عمل الكوبرى واستمرت تعدية العساكر فى القوارب لكن تعطل نصب الكوبرى بواسطة العواصف حتى تم فى ٢ يوليه ثم ان المشاة والطوبجية والسوارى الروسية انصبوا فى التعدية من فوق الكوبرى كنهر جار وسارت العساكر بسرعة الى الامام عند النهر وفى ٣ يوليه أقيمت القره قولات الخارجة على مسافة عشرين ميلا من الجهة الجنوبية للدانوب وسارت دوريات هم الخيالة حتى قربوا من البلقانات وصار عبور الدنواب مأمونا واستوطن الجيش الروسى أراضى بلغاريا ومع ذلك كانت القوة الموجودة فى دوبريجه مفصولة من الجيش الاصلى بواسطة شكل مربع مكون من قلاع روشجق وسيليسترا ووارنه وشوملة وكان يكفى التغلب على هذه القلاع لمنع الترك من توجيه قوة من ساحل البحر الاسود على الجناح الايسر للجيش الاصلى الروسى فى بلغاريا وفى ٢ يوليه ابتدأت محاربة بين الروسيين والترك فى دوبريجه فى طول خط السكة الحديد من كوستنجه الى بوغاز كوى (تشرناوودء) للفائدة العامة الروسية وفى ١٥ احتل الروسيون كوستنجه ثم ان الجنرال غوركو قائد التقدم الروسى فى بلغاريا تحرك بسرعة الى الجهة الجنوبية بعد تعدية الدانوب وفى ٥ يوليه احتل بيلا ولما صار امداده بعساكر أخر سار الى طرنوه وطرد من هذا المحل قوة عظيمة من الاتراك المشاة والطوبجية واحتل فى الحال المدينة وبعد مضى يوم أو يومين صار امداده بقوة عظيمة

وبعد تعدية الدانوب مباشرة حرك الدوق الاكبر نيقوله قولا من زيشتوفه على نيقوبولى فهجم على ذلك المحل من جهته الجنوبية وفتحت البطريات الطوبجية الموجودة فى طورنه من الشاطئ الشمالى للدانوب نارا على هذا المحل فاذعنت نيقوبولى لهذا الهجوم المزدوج وفى صباح ١٦ سلمت نفسها للروسيين ودخل فى هذا التسليم مركبان تركيتان حربيتان وكان التغلب على نيقوبولى من أعظم المنافع للروسيين حيث يمكنهم منها عمل كوبرى ثان للتعدية على الدانوب ويجعل لهم القدرة على مصادمة الجناح الايسر التركى الآخذ فى التقدم ضدهم من نواحى ودين وبلونه ٠

ولما تم احتلال طرنوه مع الامن والنجاح وحفظت المواصلات الروسية مع الرومانيين شرعوا فى التقدم نحو البلقانات وسارت الفرقة التاسعة من درانوفه على غبروفه فى المدخل الشمالى لمعبر شبكه وفى هذا الوقت اكتشف الجنرال غوركو الذى لم يشترك جيشه فى هذه الحركة المحل الى عثمان بازار بقصد أن يتحقق من الطريق التى عزم على عبور البلقانات منها أهى محفوظة بالجناح الايسر التركى أم لا فقابل فيها مقاومات عظيمة الا أنه تحقق أن الطريق التى انتخبت لعبور الجبال موافقة للسير والحركات وانصب تاركا الترك فى المضايق التى احتلوها لصد هجوم مهول وكانت الطريق التى انتخبها الجنرال غوركو هى بوغاز خاين كوى فى شمال الطريق بين سليفنو وبوغاز شبكه وكانت مستعملة للخلاص الشاسل فى هرب نصارى البلغار بين الذين يجعلون مواطنهم فى داخل البلقانات وبواسطة دلالة أهل

البلاد من البلغار بين أسرع غوركو فى السير الى بوغاز خاين كوى وضبطه فى ١٤ يوليه وعبر الجبال مع السلامة والامن وفى ١٥ منه احتلت طليعته الامامية كترو وصدت هجوم العدو وفى هذا اليوم انصبت خيالة القوزاق فى وادى طندشه وأخذوا (بكى زغره) وأخربوا السكة الحديدية وقطعوا التلغرافات ما بين ينابول والخط الاصلى لسكة حديد أدرنه وفى ١٦ منه استمر الجنرال غوركو فى تقدمه سائرا على قزانلق وقابل فى أويلامى قولاتر كيا قويا مركبا من مشاة وفرسان وطوبجية فهزم هذا القول وأوقع فيه تلفيات جسيمة وفى صباح يوم ١٧ مكث طول النهار فى مناوشات مع العدو واحتل بعد الظهر قزانلق واحتلاله هذا المحل جعل له قدرة على قفل الجهة الجنوبية لبوغاز شبكا المحفوظ بقوة كبيرة تركية وفى ١٧ منه هجم قسم من الفرقة التاسعة الروسية على البوغاز من الجهة الشمالية وبعد محاربة مهولة تغلبوا على الخط الخارج للتاريس فمكثوا فيه تحت الطل مدة الليل وفى صباح يوم ١٨ تقدم الجنرال غوركو الى البوغاز من الجهة الجنوبية وقت هجوم الفرقة التاسعة من جهة الشمال فرفع الاتراك البيرق الابيض وفتحت المخابرات فى تسليم البوغاز وبينما كان ذلك جاريا اذ هربت القوة التركية تحت ستر الظلام فى ليلة ١٨ تاركين البوغاز ومعسكرهم وطوبجيتهم فى يد الروسيين فاحتل الروسيون فى الحال البوغاز وزادوا فى التحفظ عليه

ولما تقدم (الجنرال كرودنير) من زيشتوفه على نيقوبولى كما تقدم ذكره نسى أن يحل مدينة بلونه المهمة الحاكمة على خط نهر ويد فضبطت مع السرعة بواسطة القوى المتقدمة من جيش عثمان باشا الذى كان سائرا الى الجهة الشرقية من ودين فهذه الحركة التركية استشعر بها كرودنير أنها من خطئه فأرسل قوة مركبة من ثلاثة ألايات لاجل التغلب على بلونه فكان السعى ناجحا الا أن الروسيين استحوذوا على المدينة بكل مشقة وذلك أنه هجمت عليهم قوة عظيمة جاءت من ناحية ودين وأخرجتهم منها مع تلفيات جسيمة فبذل الدوق الاكبر نيقوله قوته فى التغلب على بلونه الا أنه استخف بقوة العدو وكانت استعداداته غير كافية للاشغال الموجودة أمامه لان القوة التركية التى كانت محيطة بمدينة بلونه يبلغ عددها نحو ٠٠٠ ٥ نفس مع عدد من الطوبجية الكافية وكان موقعهم على عدة تلال مرتفعة فى غاية من التحصين بالمتاريس فامد الدوق الاكبر نيقوله الجنرال كرودنير حتى أوصل قوته الى قوة قدرها ٣٢٠٠٠ مشاة و ١٦٠ مدفع وثلاث فرق من السوارى وأجريت حركات الهجوم فى ٣١ يوليه فالجناح الايمن تحت قيادة الجنرال كرودنير نفسه لم يفعل شيأ يعود منه النفع ومكث اليوم بتمامه يرسل نيران طوبجيته على الموقع ولم تجر عساكر المشاة حركة الهجوم وعمل الجناح الايسر تحت قيادة (الجنرال شاكوسكى) هجوما مهولا وتغلب على ثلاثة خطوط تحصينات من خطوط الترك مع مقاومة جسورية ولما رأى الترك ان كرودنير لم يهجم على يسارهم جلبوا قوة لاتغلب على شاكوسكى وبذلوا شجاعتهم فى طرده من متاريس البالنقات التى تغلب عليها وصار لاقدرة له على ضبطها بقوته التى ضعفت ولم تجد معضدا ثم ان الروسيين رجعوا ثانيا الى أوصمه وأخذ الترك فى تقوية مواقعهم فى بلونه وكانت تلفيات الروسيا فى واقعة يوم ٣١ عبارة عن ٠٠٠ ٥ نفس وكانت تلفيات الترك ثقيلة أيضا

وفى أوائل أغسطس كان موقع الجيشين كما هو آت وهو أن شمال الخط الروسى العام عبارة عن

الجيش

الجيش القيصرى (أوولى عهد الروسيا) وكان شماله متكئا على الدانوب فافلافوق روشجق وقاطعا نهر اللوم بالقرب من بساربو ومن هذا المكان يتبع فى الجملة المرتفعات الموجودة على الشاطئ الايمن لنهر قره لوم مع قره قولات خارجة جيدة الانتظام وما كان الجناح الايمن بعيدا عن غربى عثمان بازار بكثير وكانت المحطات العمومية للجيش القيصرى فى قرية بيله ومنها الطريق من طرنوه الى روشجق تمر من فوق نهر ينطره وكان قلب جيش الحركات فى طرنوه تحت قيادة الجنرال رادتسكى مركبا من ثمان فرق والفرقة الرابعة الشتفانه وهذه العساكر كانت معدة للمساعدة فى حماية بوغاز شبكه ومحافظة أيضا على السكك الموصلة الى عثمان بازار ولووطرزه وعلى الممرات المفتوحة بين الينه وطرنوه وفرق أخرى محافظة على درينوفه وغبروفه وسلوى ونقط أخرى لمساعدة العساكر الموجودة فى بوغازى شبكه وخاين كوى والارض الموجودة فى جنوب البلقانات صارت خالية من الجنرال غوركو لانه تقهقر من البوغاز الذى عبر منه وكان الجناح الايسر الروسى حافظا مواقعه فى مواجهة بلونه ومحتلا (برديم - وطرسطنيق) وفرقة من العساكر الرومانية عدت من الدانوب وعسكرت بين نيقو بولى و بلونه وكان مركز القائد العمومى فى (غورنى سطودن) فى منتصف المسافة تقريبا بين بيله و برديم وعلى مسافة مساوية تقريبا من هذه المحلات وطرنوه وكانت الفرقة السادسة فى غورنى سطودن وكان الجناح الايمن التركى محتلا رزوشجق وراسغرادو وعثمان بازار والقلب تحت قيادة سليمان باشا حافظا قزانلق ومستعدا للهجوم على بوغاز شبكه والجناح الايسر التركى تحت قيادة عثمان باشا حافظا بلونه ولوواطرزه

ومكث الروسيون مدة بغير اجراء حركات عسكرية منتظرين الامداد وفى أثناء ذلك بذل جيش القلب مجهوده تحت قيادة سليمان باشا فى استرجاع بوغاز شبكه وكان هذا البوغاز محصنا جيدا بواسطة الترك قبل اشعال الحرب لمقاومة أى هجوم يقع من الجهة الشمالية ولما تغلب عليه الروسيون قووا تحصيناته من الجهة الشمالية التى منها يمكن أن توجه الترك عزمها فى البحث على استرجاعه ثانيا وجعلت السكك الموصلة اليه من الجهة الشمالية قابلة لسير الطوبجية وعربات الحمل وعلو رأس هذا البوغاز عبارة عن ٤٤٠٠ قدم فوق سطح البحر و ٢٣٠٠ قدم فوق قرية شبكه وأعظم نقطة مرتفعة فى البوغاز هى تلال صخرية وضع الروسيا الطابية التى أنشؤها عليه اسم القديس نيقوله وفى الجهة الاخرى قمات جبال موازية تقريبا الطريق غبروفه و ينزل من الرأس نزولا محدودا بالنحو الجهة الجنوبية عدة مجارى سيول أوغدران ووديان واقفة لا يمكن الطوبجية السير فيها لاندفاعها الا أنها لا تجوز للمشاة أن تلف أى موقع كائن بين الرأس وقاعدة الجبال وهذه الاشياء موجودة بعينها فى الجهة الشمالية وحينئذ تكون الرأس أو القمة هى العضو الرئيس فى كلتا الجهتين ثم ان هزيمة القول الروسى فى بلونه فى ٣١ يوليه وتقدم سليمان باشا على قزانلق جعل من الضرورى لقيادة الجنرال غوركو الانسحاب من الاراضى الجنوبية للبلقان وأجريت هذه الحركة فى ٨ أغسطس كما ذكرنا واحتل قلب الجيش التركى قزانلق بالسرعة واستعد سليمان باشا لطرد المحافظين الروسيين خارج بوغاز شبكه وكانت القوة الروسية مركبة من أقل من أربعة أورط وستة عشر مدفعا وكان عدد هذه القوة بالنسبة للترك كنسبة عشرة الى واحد

وفى ٢١ أغسطس هجم سليمان باشا هجوما عنيفا على بوغاز شبكه واستمر هذا الهجوم ثلاثة أيام مع

العنفوان الشديد المجبر فيها المحافظون القليلو العدد على الكد والاجتهاد فى ضبط موقعهم ومن بعد ظهر اليوم الثالث صار الروسيون فى حالة بالية وقلت مؤنتهم جدا وفى هذه المواصلة ضايق الترك مع الشدة المواقع التى على أجناب البوغاز الحاكمة على طريق غبروفه وصاروا على شرف من التغلب عليها ولما سمع تقدمهم مع الطنطنة والانشراح فى الوادى الموجود أسفل البوغاز وبلغ الخبر الى الخفر الامامى من الفرقة الرابعة الششخانه ركب على ظهور السيسيات القوزاقى وسار تحت قيادة الجنرال رادتشكى نفسه وانصبوا على جهة الجبل نحو النقط الجارى عليها الهجوم وفى الحال أنزل رادتشكى رجاله وساقهم الى المحاربة وصد تقدم الترك وحافظ على المواقع التى تغلب عليها حتى جاءته امدادات جديدة طرد بها الترك على أعقابهم الى الجهة الجنوبية للجبل ولم يضعف سليمان باشا من ذلك بل استمر فى حروبه أربعة أيام طويلة وفقد كثيرا من العساكر الماهرة الا أنه لم يتم شئ يعود منه النفع فان الروسيين ضبطوا البوغاز بعزم شديد حتى لا يمكن أحدا التغلب عليه ورمى الترك أنفسهم على صخوره بلا طائل ثم ان سليمان باشا أوقف هجوماته وغير تصميمه فى اجراء عملياته وجمع عساكر جديدة وفى ١٤ سبتمبر فتح نارا قوية على الاشغال الروسية بهوانات قطرها ثمان أصابع واستمرت نار الهوانات الى صباح يوم ١٧ ولما اعتقد أنه أضعف الموقع الروسى أجرى الهجوم بغتة على مواقعهم حتى انه أجرى فى هذا اليوم ست هجومات مهولة فكان الهجوم الاول موجها على طابية القديس نيقوله التى كانت هى الغرض الاصلى لاجتهادات الترك من دون الواقعة وفى الساعة الثالثة صباحا تسلق الترك بغتة جهة الجبل المنحدرة وتغلبوا على حصن كائن على مسافة أمام المعقل الاصلى ولحد الساعة ستة صعدت الامدادات على الجبل الى هذه النقطة ومعهم الادوات اللازمة لتحصين الموقع الذى تغلبوا عليه فضبط الترك هذا الموقع الى الظهر ثم طردهم الروسيون على أعقابهم بقوة عظيمة الى البوغاز الادنى بعد أن أوقعوا فيهم تلفيات جسيمة وقد ترك الترك فى الجبل نحو ثلاثة آلاف عسكرى قتيل وكانت تلفيات الروسيين نحو من ١٠٠٠ قتيل وحارب الترك فى هذه الواقعة مع الشدة والجسارة وكان للروسيين الحق الاعظم فى التعاظم بنصرتهم

وفى شهر أغسطس تكررت الاجتهادات من محمد على باشا فى اجراء أنواع الهجوم اللازمة لاجبار الجيش القيصرى على أن يترك نهر اللوم وفى ٢٩ أغسطس هجم الاتراك على الروسيين فى قره حسن كوى وطردوهم ناحية نهر اللوم فأخذ الروسيون موقعا بالقرب من بوب كوى فلم يتبعهم الترك ولم يطردوهم منه وفى ٤ سبتمبر هجمت قوة تركية من روشجق على الموقع الروسى فى قاضى كوى فصدهم الروسيون وفى ٥ منه هجم الترك على جيش القلب الروسى فى كاسيلوفه بقوة عظيمة وطردوه خلف اللوم فأخذ موقعه فى أوستربتزه وفى هذا اليوم عمل الترك استعدادات قوية لاجل طرد يمين الروسية من بوب كوى وطرد شمالهم من قاضى كوى فكانت هذه المساعى بلا ثمرة وبالنسبة لحصول المصائب التى حلت بجيش القلب ترك ولى عهد الروسيا حذاء قرلوم فوق مصب بانيقه لوم واحتل حذاء جديدا خلف اللوم ممتدا من متقة على الدانوب فوق روشجق بمقدار خمسة عشر ميلا من (أوبرتينى ـ ومونستر ـ وشركوفنه ـ وكوفنى كوى) خلف نهر ينطره وفى ٢٠ منه أجرى محمد على هجوما قويا على الموقع الروسى فى شركوفنه بقصد الحصول على قدم واحد من الشاطئ الغربى لبانيقه لوم الا أنه طرد على أعقابه مع تلفيات جسيمة وفى ٢٤ منه قطع محمد على استمرار حركاته الى جهة الامام

وعاد

وعاد ثانيا الى حذاء قرملوم

وفى هذه الاثناء شرع الروسيون فى زيادة الاجتهاد بشدة فى التحفظ على بلونه وكانت هذه المدينة محفوظة بقوة قوية من الترك وكانت قريبة جدا من خطوط المواصلات الروسية مع عساكر رومانيا وأراضيهم فانجبروا على كونهم اما أن يغتصبوها من الترك أو يحيطوها بجيش قوى حتى لا يقدرون فيما بعد على اجراء أى حركة على البلقانات واختاروا كذلك المشروع الاولى

وقال الجنرال مكليلان ان بلونه ليست على شواطئ نهر الويد مباشرة بل على نحو أربعة أميال من جهة الشرق فى وادى واسع على فرع مشكل من اجتماع غربوطزه ـ ورادبشوه ـ وطوطشنطزه ـ وبوغوط ومجار أخرى صغيرة ووديان هذه المجارى محصورة بينها من جهة أخرى فان الظهور العالية للهضاب الموجودة عليها البلنقات الكبيرة وخطوط الاستحكامات التى أوقفت أنواع الهجوم المهولة الحاصلة من الروسيين ويوجد فى شمال هذه الفروع وعلى بعد منها غربوطزه التى مجراه يصنع مع نهر الويد زوايا قائمة وفى شمال غربوطزه مباشرة ظهر عال يحصر النهر من رأسه الى أوبونطز على نهر الويد وعلى هذا الظهر المقفول برأس المجرى الصغير يوجد ما يقال له البالنقة المركزية لغربوطزه ويوجد فى غرب هذه مباشرة البالنقة الثانية الكبرى ومن هذه يمتد فى طول قمة الظهر خط قلاع حتى يتصل مع أوبونطز وفى جنوب البالنقة الكبرى الموجودة فى بارزة قوة من الحذاء العمومى وعلى الظهر بين غربوطزه ورادبشيوه وطوطشنطزه توجد استحكامات أخرى وهلم جرا والباقى من الحذاء بعد عبوره طوطشنطزه يلتوى مع التربيع الى جهة الغرب حتى يصل من الويد بالقرب من مصب مجرى صغير يتصل معه بالقرب من رونيق وفى داخل قطعة الحذاء هذه حذاء ثان مقابل أيضا لجهة الشرق وهذه تصنع نوع قلعة تاركة بلونه خارجا عنها وعلى الشاطئ الايسر لنهر الويد وبالقرب من النهر توجد ثلاثة أو أربعة قلاع صغيرة ناظرة الى جهة الغرب

وفى نحو منتصف شهر أغسطس صار تقوية الجيش الروسى الموجود أمام بلونه وقبل ذلك بمدة قليلة تحرك قول كبير الى جهة لوواطز وهى مدينة جايلة واقعة فى جنوب بلونه والتغلب على هذا المحل من أهم الامور للروسيين بما أنه يحكم على السكك الموصلة الى الجهة الشمالية من كارول وبوغازات أورشانى ويجعل للترك قدرة على تهديد الجناح الايسر للجيش الروسى الموجود أمام بلونه

وفى ٢٢ أغسطس هجمت قوة كبيرة تركية من لوواطز على الروسيين الموجودين فى سلوى غير أنه صار صدهم ثم دخل شئ جديد فى الحرب وهو أن تفاصيل المعاهدة بين روسيا ورومانيا لما تمت عدى الجيش الاصلى الرومانى الدانوب فى ٢٥ أغسطس وتحرك الى قدام نحو بلونه وفى ٣١ أغسطس خرج عثمان باشا من حذا آته فى بلونه الى الخارج مع ٢٥,٠٠٠ محارب وهجم على الموقع الروسى فى بليصات وكان فى غاية الظفر فى الابتداء لكنه طرد أخيرا الى حذا آته بعد واقعة دموية وتلفيات ثقيلة وفى غرة سبتمبر تعين البرنس شارل أمير رومانيا قائدا للجيش أمام بلونه مؤقتا وتكون أعماله تحت الاوامر العمومية للدوق الاكبر نيقولا القائد العمومى

وفى ٣ سبتمبر هجم القائد الروسى هجوما ظفرا على لوواطزه وذلك أنه صار تشكيل قول مركب من ٢٢,٠٠٠ نفس تحت قيادة البرنس امرطنسكى وتوجه هذا القول الى المدينة وكانت تحت يد قوة تركية تساوى هذه القوة وافتتح الهجوم وقت الصباح بالجناح الايسر تحت قيادة (الجنرال

سكوبليف) فتغلب على موقعين فوق قتين تشاهدان الوادى الواقع فيه لوواطزه وكان الترك فى غاية من التحصين وحافظين كل جهة حتى لا يمكن القرب من المدينة وفى أثناء الليلة الثانية والثالثة من الشهر تحركت العساكر الروسية مع السكون والهدو وعسكروا فى موقع خلف خط رؤس الجبال بالقرب من طريق سلوى وهى النقطة التى استحوذ عليها سكوبليف فكان الجناح الايمن تحت قيادة (الجنرال دوبرولسكى) والايسر تحت قيادة سكوبليف والامدادية تحت قيادة (الجنرال انغمان) وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٣ الشهر افتتح الحرب بواسطة البطريات الروسية وعددها عشر بطريات وقبل ذلك بساعة ابتدأ (الجنرال دوبرولسكى) فى التقدم على الاشغال الموجودة على الشاطئ الايمن لنهر أوصمه فى مواجهته وفى الساعة ١٠ تغلب عليها جميعها ولما تم شغل الجناح الايمن تحرك سكوبليف مع السرعة بالجناح الايسر محميا بنار الطوبجية المهولة وفى ساعة واحدة طرد العدو من جميع المواقع الموجودة فى مواجهته وتغلب على مدينة لوواطزه ولم يكن للترك فى هذه الحالة غير بالنقة قوية كائنة على الظهر الحاكم على الجهة الغربية للمدينة وكان القرب منها اخطر الانها محاطة بنار مهلكة تخرج من المدافع التركية فأسرع الروسيون فى الاستعداد للتغلب على هذا الشغل وفى ثلاث ساعات بعد عمل عدة خدائع وحيل لاجل تغيير نظر الترك من نقطة الهجوم الحقيقية حمل الروسيون عليها بقوة عنيفة وتغلبوا عليها بعد حرب مهول وعلى جميع الموقع التركى وتقهقر مدافعوه جميعهم وترك الترك ٢٢٠٠ قتيل فى ميدان المعركة وفى ٤ الشهر عمل عثمان باشا هجوما مهولا لاجل استرداد لوواطزه الا أنه لم ينجح فى ذلك ورجع الى موقعه

ولما صارت لوواطزه فى أيدى الروسيين صاروا الايضيقون على أنفسهم فى اجراء أعمالهم على بلونه وفى صباح يوم ٧ سبتمبر فتحوا نارا قوية على الحذاآت التركية من بطرياتهم التى صنعوها فى اليومين السابقين وفى ليلة ٨ تقدمت البطريات بالقرب من الحذاآت التركية وحصل ضرب نار المدافع فى صباح اليوم الثانى وبعد ظهر يوم ٨ تغلب الروسيون على المرتفعات الجنوبية من اولكاغاس الى الجهة الجنوبية الغربية لبلونه مع تلفيات خفيفة وهذه الاجرا آت صار اتمامها بواسطة القائدين (إمرطنسكى ـ وسكوبليف) اللذين ضبطا الطرف الايسر للحذاء الروسى وفى أثناء صباح يوم ٩ شرع الترك فى طرد هؤلاء القواد من المرتفعات التى تغلبوا عليها الا أنه صار صدهم مع تلفيات جسيمة وفى هذا اليوم وصل الجيش الرومانى من وربطزه وعسكر فى شمال بلونه من ابتداء نهر الويد الى عين الروسيين وبه تمت احاطة بلونه من الجهة الشرقية لنهر الويد وفى ٩ و ١٠ من الشهر صار عمل بطريات جديدة بواسطة الروسيين بالقرب من الحذاآت التركية وصار يرمى من هذه البطريات نيران شديدة وفى يوم ١١ منه تجهزوا للهجوم على البالنقة الكبرى الموجودة فى غربوطزه وعلى البالنقات الموجودة فى جنوب أولكاغاس التى تحكم على الحذاء التركى بالرجعة من الطريق الموصل الى صوفيه وتعين الهجوم على بالنقات أولكاغاس على فرقة الجنرال سكوبليف التى هى عبارة عن أربعة ألايات من الآلايات الحذاء وأربع أورطة شيشخانة وعشرين قطعة من المدافع ثم ان سكوبليف لاجل أن يضع عساكر فرقته فى موضع للهجوم على البالنقة الموجودة فى مواجهته انجبر على أن يحتل جبلا على مسافة قليلة من الاستحكام وبينما كان جاريا فى هذه الحركة اذ هجم عليه الترك بشدة فصدهم واحتل التل وجلب فوقه طوبجيته وفتح على العدو نيرانا متميلة فى أقرب زمن وبعد الظهر بقليل أمر بتقدم

ألايين من ألايات الحذاء وأورطتين شيشخانة بشرط أن يهجموا على البالنقة حتى بالسونكى فتقدم الحذاء بسرعة باصوات مقلوبة وفرق متماوجة فقابلتها نيران الترك المهولة فابتدؤا فى الزعزعة والتردد فأسرع سكوبليف وأرسل ألايا آخر الى الامام لاجل تقوية القسم الهاجم ومن ذلك أخذ الحذاء فى التقدم وكانت نيران الترك ثقيلة جدا فأخذ الحذاء مرة ثانية فى الترعزع والاضطراب وفى الحال جعل سكوبليف نفسه فى رأس الاورطتين الشيشخانة المتأخرتين وانصب الى قدام مع الجرى ولما رآه الحذاء أخذ فى التقدم مع الشجاعة حتى وصل البالنقة وبعد الواقعة بدا بيد طردوا الباقين على قيد الحياة من المحافظين من البالنقة وكانت تلفيات الروسيين فى هذه الواقعة ألفى قتيل وجريح

وفى هذه الاثناء هجموا على بالنقة غربوطزه وفى الساعة الاولى هجموا بفرقة من الفرقة الرابعة الاأن الترك صدوا هذا الهجوم وفى الساعة الرابعة جرى هجوم ثان بواسطة اثنتى عشرة أورطة ودخلت هذه القوة الاستحكام الاانه بعد محاربة شديدة صار طردها منه ثانيا وفى نحو هذا الوقت هجم الجيش الرومانى ثلاث مرات بغاية الشدة على البالنقة الكبرى المركزية الاانه رجع مخذولا وفى نحو الساعة السابعة حصل هجوم أخير على البالنقة المركزية بواسطة ست أورط روسية وواحدة رومانية وتغلبوا على هذه البالنقة بعد حرب كانوا يئسوا منه وفى ١٢ الشهر كرر عثمان باشا اجتهاده فى الهجوم لاجل استرداد البالنقة المركزية وكان بغير طائل فوجه حينئذ جميع اجتهاداته نحو سكوبليف الذى شوهد أن موقعه محتاج لامداد وطلب سكوبليف أيضا من القائد العمومى أن يمده بقوة بها يمكنه أن يتغلب على الاستحكامات المجاورة له فلم يجب طلبه وبعد أن صد خمس هجومات عليه أيس من موقعه وطرد فى الهجوم السادس من الاستحكام الذى تغلب عليه بجسارة ورجع على أعقابه بسرعة فى صباح يوم ١١ ولم يحصل من الترك أدنى حركة فى تعقيبه

وكانت نتائج هذه الاعمال أن صار اتفاق القواد الروسية على أن بلونه لا يمكن التغلب عليها الا بواسطة حصار منتظم وعزموا فى الابتداء على ذلك فى الحال ثم ان الجنرال المندوب طودلبون الذى ظهرت شجاعته فى حماية سواستبول فى حرب القرم المتقدم الذكر باشر هذه الاعمال ورتبها وأمر بتقويتها وفى هذا الوقت كان للترك الذين يحكمون على سكك أورشانى وصوفية قدرة على جلب الامداد والذخائر الى داخل بلونه من هذه الطرق وقد بلغ جيش عثمان باشا نحوا من ٥٠,٠٠٠ نفس

وفى ٢٤ اكتوبر وصل الخفر الملوكى الى بلونه وصار عدد الجيش نحوا من ١٢٠,٠٠٠ نفس وفى ٢٧ منه ابتدأ الحصار أولا فعبر الخفر الملوكى نهر الويد الى الشاطئ الغربى وتقدم مع العجلة حذاء نحو الفصحة الشمالية للمواصلة مع القوى الرومانية فى (بيوولار) على الشاطئ الشرقى لنهر الويد وتمموا عملية الاحاطة ببلونه وصارت المدينة فى هذه الحالة محاطة بتمامها واندفع الحصار الى الامام مع العنف واستمر الروسيون فى ضرب نيران دائمية على الاستحكامات التركية ويقدمون حذا آتهم يوما فيوما مع قرب الحصار المنتظم وقاد عثمان باشا مدافعته مع الشجاعة ورتب طلائع مهولة الا انه لم يتيسر للترك اكتساب فائدة يعود منها النفع عليهم اللهم الا اذا كان لهم مقدرة على خرق الحذاآت الروسية المحيطة بهم أو صد تقدم متاريسهم وأخيرا ابتدأت الذخائر والمؤنات اللازمة للجيش التركى أن تأخذ فى القلة وظهر المرض فى أصناف العساكر فرأى عثمان باشا بفكرته الوحيدة لاجل السلامة أن يخرق الاحاطة الروسية ويمر منها ويلجئ بعساكره الى جهة ودين وفى مبادى شهر ديسمبر تحرك جيش سليمان باشا

الى جهة الغرب من راسغراد بقصد قهر الروسيين على رفع الحصار عن بلونه وبعد بعض محاربات شديدة نجح الترك فى كونهم احتلوا البنه فقوى القومندان الروسى بسرعة يساره ووقفت تقدمات سليمان باشا عن الحركات الهجومية

وفى أثناء ذلك تكبد محافظو بلونه الآلام الشديدة وكان ضرب القنابر والدانات متواليا عليهم من غير انقطاع وكانت التلفيات التركية الحاصلة من قنابر الروسيين ومن الامراض والفرار زيادة عن ثلثمائة نفس يوميا وأخيرا صمم عثمان باشا على هجوم مهول يخرق به الحذاآت الروسية ويصل الى ودين فاستشعرت القواد الروسية بما عزم عليه عثمان باشا فاستعدوا لأسره وفى ليلة ٩ ديسمبر أخلى عثمان باشا حذاآته مع السكون وجمع جميع قوته على شواطئ نهر الويد فاستكشف هذه الحركة فى الحال الجنرال سكوبليف فأسرع فى سوق عساكره واحتل الاشغال والتحصينات المتروكة الموجودة فى جنوب بلونه وفى الساعة السابعة من صباح يوم ١٠ الشهر عبر الجيش التركى نهر الويد من فوق قنطرتين وهجم على الموقع الروسى الموجود على الشاطئ الغربى من هذا النهر وكان هجومهم بغاية العنف والشدة حتى انهم كانوا فى الابتداء فى غاية من الظفر التام وأخذوا ثمانية مدافع وأتلفوا ألاى الششخانه السيبرسكى وهذه المظفرة جلبتهم تحت نيران مائة مدفع من الحذاء الثانى الروسى وفى هذا الوقت أجرى هجوم ثقيل بعساكر المشاة عليهم (الترك) فارتدوا ثانيا حتى صارت المحاربة يدا بيد وانجبروا على الالتجاء تحت شواطئ النهر وفى أثناء ذلك تقدم الروسيون بسرعة من مواقعهم الكائنة شرق نهر الويد وضبطوا الاشغال التركية واحتلوا مدينة بلونه ووجد عثمان باشا نفسه محاطا من كل جهة بحيث لاخلاص له فى الهرب من هذا الموقع وكان انجرح جرحا بليغا وعمل أعمالا كبيرة مع الجسارة طول النهار وفى نحو الساعة الثانية عشرة ونصف طلب مجلسا للمداولة وفتح المخابرة مع القومندان الروسى وكانت نتيجة هذه المخابرة انه سلم بجميع قوته على غير شرط الى امبراطور الروسيا الذى أعاد له سيفه ثانيا واعترف له بالنباهة والشجاعة

ووقع تسليم بلونه على ثلاثين ألف أسير وجميع الاسلحة الطوبجية النارية والمخازن العسكرية ووقع جيش عثمان باشا فى يد الروسيين وكانت مصيبة عظمى على تركية مدة الحرب وانكسر الجناح الايسر التركى وانفتحت الطريق الى أدرنة والقسطنطينية

ومن سقوط بلونه تشجعت صربية فى تجديد الحرب ضد تركية وفى ١٥ ديسمبر أعلن البرنس ميلان بالحرب ضد تركية وأمر عساكره بعبور الحدود وعلى هذا دخل الجيش الصربى الاراضى التركية فى پيروط وفى ١٦ منه تقدم على فسوه وفى ٢٤ منه بعد ثمانية أيام من محاربة شديدة تغلب الصربيون على (آق بالنقه) على الدانوب فى الجهة الجنوبية الشمالية لودين وفى هذا اليوم ابتدؤا بالضرب بواسطة القنابر على نيش وسلمت هذه القلعة لهم فى ١١ يناير وكان فى هذه القلعة عند أخذها ٨٠٠٠ عسكرى تركى وتسعون مدفعا واثناعشر ألف بندقية ششخانه كل ذلك وقع فى أيدى الصربيين

ولحد سقوط بلونه كان الترك مصرين على المحاربة مع عدم الرجاء والعنف ولما وقعت بلونه ضعفت قوتهم وعجزوا واستغاثت الحكومة التركية بمالكة انكلتره فى كونها تستعمل الطرق الجيدة فى متاركة الحرب فصار عرض الطلب التركى فى الحال بواسطة انكلتره الى القيصر فاجاب الامبراطور اسكندر

بأن السلطان اذا رغب فى المتاركة فليتخابر مع قائد الجيش العمومى فى ذلك
وفى أثناء ذلك أردف الروسيون مظفراتهم مع النجاح فى بلونه وعبر الجنرال غوركو مع قوة قوية فى الحال البلقانات وفى ٣١ ديسمبر أخذ الموقع التركى فى طاشيسان بعد محاربة شديدة وتقهقر الترك الى ناحية صوفيه ثم ان غوركو بعد أن أراح عساكره مدة قليلة اندفع خلفهم وفى ٣ يناير سنة ١٨٧٨ احتل صوفيه وفى ٩ منه تغلب الجنرال رادطزكى على القوة التركية التى كانت حافظة للمنافذ الجنوبية لبوغاز شبكه وعددها احدى وأربعون أورطة وعشر بطريات مدافع وآلاى سوارى وهذه المظفرة الجليلة جعلت للروسيين الحرية التامة فى عبور البلقانات ومع عظم شدة الطقس والتأثير الحاصل من قفل الطرق والممرات بالقار الغزير كان الجيش الروسى يتحرك بسرعة حتى عبر البلقانات ودخل الروملى وصارت أدرنه هى النقطة المهمة التى تحت أبصار كامل القوة
وارتعبت تركية من أولها الى آخرها وشرعت مع الهمة الزائدة فى عمل الاسعافات اللازمة لتوقيف حركة الاعداء وفى ٩ يناير وهو اليوم الذى صار التغلب فيه على جيش شبكه عرض قائد الجيوش التركية العمومى للدوق الاكبر نيقولا أنه صدرت له أوامر بمتاركة الحرب فأجابه الدوق الاكبر بأنه صدر له من سنت بطرسبورغ تلغرافات بهذه التعليمات وفى هذا الوقت كبس على داخل تركية مع العنف والشدة وأرسل السلطان فى الحال سرور باشا ونامق باشا الفتح المخابرات مع الروسيين فوصلا المحطة الكبرى للدوق الاكبر نيقولا فى ١٨ يناير فأخبرهما أنه لا يمكن عمل معاهدة الا فى أدرنه وهى المحل الذى سيحله مع الاحتفال فى ٢٦ يناير وابتدأت المخابرة فى المتاركة الحربية وفى هذا الوقت تقدم الجيش الروسى بسرعة الى جهة القسطنطينية وفى أول فبراير احتل مواقع فى جهة (رودوسطو) على بحر مرمرا واحتلوا اطشرلو وبورغاس وكامل البحيث جزيرة التى فيها القسطنطينية وهددوا العاصمة نفسها وهذه كانت حالة الاعمال حتى صار التوقيع على شروط المتاركة فى ٣ فبراير وانتهت الحروبات الى هنا
وأما فى أرمينية فان احاطة أرضروم صار اجراؤها مع العنف وفى ٥ فبراير نظرا لشروط المتاركة صار تسليم المدينة الى القوة الروسية وفى هذا الوقت نظرت بريطانيا الكبرى تقدمات القوى الروسية بعين الخيانة الشديدة وكان اقتراب الجيش الفاتح من العاصمة التركية حاملا للحكومة البريطانية على التداخل فى الاعمال ناظرة بعين الرأفة الى تركية وصدرت الاوامر الى (الاميرال هورنبى) قومندان الاسطول البريطانى الواقف فى جون بزيقه بالدخول فى الدردانيل والتوجه الى القسطنطينية ولما رأت الحكومة أن هذه الاجراآت لم يقررها البرلمان أعادت الاسطول كما كان وأمرته بعدم الدخول فى الدردانيل وفى مدة قليلة لما اعتمدت بريطانيا دلائل روسيا فى احتلالها القسطنطينية تغيرت حالة البرلمان جميعها ومنحت الحكومة بقرض ٦٠٠٠٠٠٠ ليره وصدرت الاوامر للاسطول بالدخول فى الدردانيل وبناء على هذا أعلنت روسيا أنه اذا كانت المراكب الحربية الانكليزية تظهر أمام القسطنطينية فان روسيا تحتل المدينة بعساكرها وأقام السلطان الحجة على الاسطول البريطانى الا أن ذلك كان على غير طائل وتقدمت القوى الروسية لحد أسوار القسطنطينية وفى ١٣ فبراير مر (الاميرال هورنبى) من الدردانيل ودخل بحر مرمرا وفى هذا الوقت احتلت القوة الروسية قطعة من حاميات القسطنطينية وبهذا اكتسبت الحكم على المدينة وأما الاسطول

الانكليزى فانه لم يسر الى حد القسطنطينية بل رمى مخاطيفه بالقرب من جزيرة البرنسيسة على مسافة ثلاثين ميلا فى جنوب المدينة المذكورة فحينئذ سحب الروسيون عساكرهم من القطعة التى احتلوها وتوجهوا الى مواقعهم الاولية

والظاهر أن أوستريا كان لها من مدة رغبة فى التداخل فى الحرب الا أنه لاجل التجنب عن ذلك عرض امبراطور أوستريا عمل مجلس عام من جميع الدول الاوروباوية لاجل فصل شروط الصلح فقبلت هذه الدعوة وانعقد المجلس فى اليوم الاول من شهر مارث تم تاريخ الروسيا

(الكتاب السادس والعشرون)

﴿تاريخ اسبانيا﴾

(الباب الاول)

﴿من الازمان القديمة الى الايام الحاضرة﴾

الموقع الجغرافى لاسبانيا ـ أصل أهاليها ـ فتحها بالقرطاجنيين ـ الحرب الثانى القرطاجنى ـ الايالة الرومانية ـ اغارة الجرمانيين ـ المملكة الغوطية ـ الملوك القديمة ـ طيودوريق الاول ـ تأسيس مملكة اسبانيا بواسطة عوريق ـ طيودوريق الثانى ـ خلفاؤه ـ سلطنة ليوفيغيلد ـ قانون وامبه النبيل ـ سلطنة رودريق ـ الكونت يوليان ـ فتح اسبانيا بواسطة العرب ـ طرد المسيحيين الى الجهة الشمالية ـ العمال ـ تأسيس مملكة قرطبة بواسطة عبد الرحمن ـ حالة اسبانيا تحت حكم المسلمين ـ الخلافة الغربية ـ سقوط مملكة قرطبة ـ تشييد ايالات صغيرة اسلامية ـ تأسيس مملكة غرناطه ـ مملكة أوستورياس المسيحية ـ بيلايو وخلفاؤه ـ تشييد ليون وقسطيلة وارغون ونفاره ـ حروب مع المسلمين ـ الصيد ـ تأسيس البورتكيز مملكة ملوكية ـ طرد المسلمين فى الجهة الجنوبية ـ واقعة نفاس طولوزه ـ سرعة تقدم المملكة المسيحية ـ بدرو الوحشى ـ فردينند وازابلا ـ تأسيس المملكة الاخيرة الاسبانية ـ الاستقصاء ـ فتح غرناطه ـ كشف أمريقه ـ شارلس الاول ـ موت الكردينال اكسيمنس ـ انتخاب شارلس امبراطورا ـ تقوية الشوكة المطلقة للتاج الاسبانيولى ـ تعدى المسلمين ـ معاقبة شارلس العصبة المشعلة ـ خلع شارلس ـ فيليب الثانى ـ الحرب مع فرانسا ـ ثروة اسبانيا ـ هشم فيليب الاصلاح الانجيلى فى اسبانيا ـ ابادة المسلمين ـ فقد اسبانيا أقاليمها الداتشية ـ ضبط فيليب البرتغال ـ الاسطول الذى لا يقهر ـ آخرته ـ موت فيليب ـ صيرورة فيليب الثالث ملكا ـ طرد اليهود من اسبانيا ـ فيليب الرابع ـ الحرب مع فرانسا ـ صلح البرنات ـ ثورة البرتغال ـ اعتراف اسبانيا باستقلالية الجمهورية الداتشية ـ شارلس الثانى ـ الحرب الاسبانى الوراثى ـ خسارات اسبانيا ـ ثروتها الكبيرة ـ فيليب الخامس ـ الحروبات البولندية والاوسترياوية الوراثية ـ الحروب مع انكلتره ـ تعضيدات اسبانيا فى استقلالية الممالك المتحدة بأمريقه ـ شارلس الرابع ـ الحرب مع الجمهورية الفرنساوية ـ معاهدة صان الدفونسو ـ الحرب مع نابليون ـ فردينند

السابع

السابع ـ اضاعة اسبانيا مستعمراتها الامريكانية ـ ثورة سنة ١٨٢٠ ـ موت فردينند ـ ازابلا الثانية ـ الحرب الكارلسطى ـ تزوج الملكة ـ ثورة سنة ١٨٦٨ ـ الحكومة الوقتية ـ صيرورة أماديو ملكا ـ الثورة الكارلسطية ـ خلع أماديو ـ اعلان الملك لالفنسو الثانى عشر ـ الثورة القوبانية

تشمل مملكة اسبانيا القسم الاعظم من الثلاث بحيث جزائر أوروبا الموجودة فى الجهة الغربية وتشكل مع البرتغال بحيث جزيرة برينان أوابريان وهى واقعة بين ٣٦° ٤٨ َ ٤٣° عرضا شماليا وطوليا ٣° ٢٠ َ شرقيا ٢١ َ ١٣° غربيا وطولها الاعظم الممتد من الشمال الى الجنوب هو من رأس بناس الى سن طاريفة وبوغاز جبل طارق ومقداره ٥٤٠ ميل وطولها الاعظم الممتد من الشرق الى الغرب هو من رأس كروس الى رأس فينستره ومقداره ٦٣٠ ميل على وجه التقريب واذا أضيفت اليها جزائر كارى بلغت مساحتها ٧٧٤ َ ١٦٥ ميل مسطح ومقدار سكانها ٥٠٦ َ ٨٣٥ َ ١٦ نفس

وقد زار الفينيقيون بحيث جزيرة اسبانيا فى الايام الاولية كما ذكرنا ذلك فى محل آخر وشيدوا فيها مستعمرات يانعة على سواحلها وبقوافيها يكدون فى الاعمال والمنافع التجاريه معها وكان اشهر هذه المستعمرات مستعمرات الطارطيسوس على نهر الوادى الكبير وغاديز المسماة الآن قاديس وأسس الجريق فى المدة الاخيرة عدة مستعمرات فى البحيث جزيرة وكان الجريق فى الابتداء يسمون الساحل الشرقى إبريا بعد نهر ابروس المسمى الآن (ابرو) وهو القسم الصلطيقى الوسطانى والقسم الغربى الطارطيسيى الا انهم أخيرا أطلقوا الاسماء على جميع البحيث جزيرة وغير الرومانيون هذا الاسم باسم هسبانيا الذى اشتق منه الاسم الاخير اسبانيا وكان السكان الاصلية لاسبانيا الصلطبريانيون وهم جنس نشؤا من الصلط والابريانيين والصحيح ان الابريانيين كانوا هم السكان الاصلية لاسبانيا وان الصلط عبروا جبال البرنات ووطنوا أنفسهم فى الاراضى وكانوا رثين الملبس أهل سكر معتدلين فى عوائدهم لايذعنون فى تصميمهم قويين العزم والشجاعة فى الحرب وكانوا أهل فلاحة وزراعة ولهم دراية تامة فى اقتناء الاغنام واستخراج الزيوت والنبيذ ومع هذا كانت الثروة الاصلية للبلاد محصورة فى معادن الذهب والفضة ومعادن أخر كان يعملها الفينيقيون والقرطاجنيون

وبعد الحرب القرطاجنى الاول ابتدأت قرطاجنة فى زيادة امتداد التوطن فى اسبانيا وفتح حاظدروبال عدة قبائل على الساحل الجنوبى والشرقى وأقام الشوكة القرطاجنية مع التمكين فى البحيث جزيرة وأسس القرطاجنيون عدة مدائن جديدة من ضمنها قرطاجنة الجديدة المسماة الى الآن باسم قرطاجنة وكانت اسبانيا كما ذكرنا فى محل آخر منبعا للثروة العظيمة لقرطاجنة وكانت حكومة الاقليم مدبرة على حسب طريقة منتظمة مع الاعتناء الزائد ولم تمض مدة طويلة على القرطاجنيين فى إجراء مساعيهم فى امتداد أملاكهم فى البحيث جزيرة حتى زاحمهم فيها الجريق وخاصموهم عليها وضايقت القوى القرطاجنية المستعمرات الجريقية الموجودة فى سغونطوم وأمبوريا حتى طلبوا المساعدة من الرومانيين فأجابوهم بالمساعدة وأرغموا القرطاجنيين بالاعتراف فى استقلالية سغونطوم ودخلوا معهم فى اتفاق هو كونهم لايمدون أراضيهم خلف نهر (الابرو) ولما استلم حنبال زمام القومانده فى اسبانيا عزم على عدم ملاحظة هذا الاتفاق وفى سنة ٢١٩ قبل الميلاد تغلب على سغونطوم وأخربها وهذا

العمل جلب على قرطاجنة الانتقام الرومى واشتعال نار الحرب الثانى القرطاجنى وفى أثناء هذا الحرب طرد اسكيبو القرطاجنيين من اسبانيا سنة ٢٠٦ قبل الميلاد

ولما وطن الرومانيون أنفسهم أساتذة على الممالك القرطاجنيسة شرعوا فى فتح كامل البحيث جزيرة وهذه الحالة جعلتهم فى حرب مستمر مكث مائتى سنة تقريبا وأشهر وقائع هذه الحروب ذكرناها فى تاريخ رومه ولا احتياج لاعادتها هنا وفى سنة ١٩ قبل الميلاد تم خضوع كامل البحيث جزيرة ماعدا جهة الباسق

وقسم اغسطوس البحيث جزيرة الى ثلاثة أقاليم (هسبانياطرا كونينسيس) وهى الاولى تشمل على الشمال والشرق والوسط و(هسبانيا بوو بطيقة) وهى الثانية تشمل على جنوب اسبانيا وعاصمتها قرطبة ولوسيطانيه والثالثة كانت تقريبا هى نفس مملكة البرتغال الجديدة وأدخل فيها النظامات الرومية وصارت البحيث جزيرة تحت حكم اغسطوس وخلفائه احدى المحطات المشهورة الاصلية للتمدن وتلقى التعليم والعلوم فى المملكة وفى أثناء هذه المدة دخلت الديانة المسيحية فى اسبانيا بواسطة الرسل وفى مدة قسطنطين الاكبر تم انتشار الديانة المسيحية فى كامل البحيث جزيرة

ثم ان سرعة اضمحلال المملكة الرومية صرح للقبائل الجرمانية أن يعبروا حواجز الرين و يتغلبوا على الغلية ومن هذا الاقليم عبروا جبال البرنات ودخلوا اسبانيا فكان السويقيون تحت قيادة ملكهم (هرمريق) والعلنس تحت قيادة آطاس والوندال تحت امارة غوندريق انتشروا على الجبال ونزلوا على البحيث جزيرة فى سنة ٤٠٩ بعد الميلاد وهذه القبائل المتبربرة أخربت البحيث جزيرة بالنار والسيف ونشروا المصاعب والاكدار فى كل جهة من جهاتها وبينما هم كانوا حاسين فى البلاد وقلبوها الى صحارى اذ وقفوا على حين غفلة وقسموها بينهم بالقرعة فوقع للسويقيين قسم غلنشيا وجزء عريض من ليوم وقسطيلة وشيدوا فيها مملكة قوية ووقعت لوسيطانيا الى آكوس و بيوطيقا أو اسبانيا الجنوبية الى الوندال

وفى سنة ٤١١ بعد الميلاد ظهرت أمة رابعة فى اسبانيا وليتذكر القارئ ان الامبراطور هونوريوس لما أراد خلاص ايطاليا من يد الغوطيين قدم لهم الطمع فى أقاليم جنوب غلية واسبانيا فقبلوا هذه التقدمة ولما شيدوا حكومتهم فى جنوب غلية انجروا من البرنات تحت رعاية ملكهم أطوافوس ووطنوا أنفسهم فى الناحية الشمالية الشرقية لاسبانيا ومن هذه الجهة شرعوا فى عدة محاربات مع الوندال ثم ان أطولفوس تزوج بلاصيد أخت هنوريوس ورأى ان الاحسن له أن يدخل فى معاهدة مع الرومانيين فهذه الحالة أوقعت العداوة بينه و بين قواده بالنسبة لكراهتهم مع الرومانيين فقتلوه بعد سنة من دخوله اسبانيا وكان خليفته صغريق خبيثا وحشى الطبع فغضب عليه رعيته وقتلوه مع السرعة الزائدة

ثم ان انتخاب الغوطيين وقع على (واليا) الذى رأى نفسه انه يستحق لهذه الوظيفة بأى حالة كانت فشرع فى الغارة على الاملاك الرومانية فى افريقة الا أن العواصف نزلت على أسطوله فأخربته وهذه المصيبة حرضت قسطنطيوس القائد الملوكى فى الغلية على التقدم نحو جبال البرنات فاستعد (واليا) لمقابلته الا أنه صرف النظر عن هذه المبارزة بواسطة تسليم بلاصيد أرملة أطولفوس الى قسطنطيوس بما انه كان مغرما بعشقه اياها ولما تم ذلك عقد واليا معاهدة مع الرومانيين ضد القبائل الاخر المتبربرة فى اسبانيا

سنة ٤١٧ وصار طرد الوندال من الاراضى التى كانوا محتلين بها وجبروهم على أن يفتشوا لهم على ملجا فى غلينيا بين السويڤيين وصار تدميروابادة العلنس الموجودين فى لوسيطانيه وماترك من بقاياهم انضم الى الوندال ومن هذا الوقت اختفى اسمهم من تاريخ اسبانيا ثم ان السويڤيين بعد واعن أعدائهم بجعل أنفسهم تحت حماية الرومانيين وان (واليا) الذى لحد الآن لم يستعد للدخول فى حرب مع رومة صرح لهم بان يقيموا بغير فتن واضطرابات وبدون احتكار أملاك فى أراضيهم ثم ان الامبراطور هورنيوس أعطى مكافأة لواليا المعتبره انه حليفه أشبه بهدية قطعة أرض من جنوب فرانسا من ابتداء طولوز الى البحر الابيض المتوسط فذهب واليا فى الحال الى مملكته الجديدة ومن هذا الوقت الى حد سلطنة عوريق تعتبر الملوك الغوطية ان اسبانيا قسم من ممالكهم وفضلوا فى جنوب فرانسا ثم ان (ثيودوريد) خلف واليا فى نحو سنة ٤٢٠ بعد الميلاد وفى سلطنة هذا الملك اشعل الوندال حربا على السويڤيين الذين تلقوهم مع غاية الشفقة والمرحمة فى السلطنة الاخيرة وطردوهم الى جبال (استوريان) ولم يكن لهم مقدرة على ازالتهم منها ثم ان الوندال تركوا الاستوريان وأجروا الحروبات فى نحو الجهة الجنوبية لاراضيهم القديمة فى (بيوطيقة) وفيها وطنوا أنفسهم رغما عن الاجتهادات التى أجراها قواد السلطنة فى طردهم من هذه الجهات وأطلقوا على الاراضى التى تغلبوا عليها اسم وندالينيا التى صار قلب اسمها بعد ذلك الزمن الى اسم اندلوسيا أو الاندلس ولما كانت هذه الاراضى تحكم على البحر نشرت أساطيلهم الرعب والخوف فى طول السواحل الاسبانية وجزائر البحر الابيض المتوسط وفى سنة ٤٢٧ بعد الميلاد شرعوا فى فتح الايالة الرومية فى افريقة كما ذكرنا ذلك ولما سمع السويڤيون هذه الحركة نزلوا من جبلهم بغاية السرعة وأرجعوا غالينيا لانفسهم ومدوا ممالكهم مع الثبات التام وفى سنة ٤٣٨ بعد الميلاد دفعوا فتوحاتهم الى اسبانيا الجنوبية وهزموا الرومانيين على شواطئ نهر كسنيل وضبطوا ماريده وسويلى وفى مدة العشر سنوات التى أعقبت ذلك ساس ريشلان ملك السويڤيين هذه المملكة الشاسعة بيد قوية

وفى أثناء ذلك شرع (ثيودوريد) فى أن يخضع لنفسه الشوكة الرومانية فى جنوب غالية ولما تم له ذلك استعد للسير على السويڤيين فى اسبانيا وبينما هو فى ذلك اذ أخبروه بالعود ليأخذ نصيبا فى الحرب المقام على الهونس تحت قيادة أطيلة فقتل فى واقعة شالوس الكبيرة كما ذكرنا ذلك وألبس الغوطيون تاجهم لولده (ثورسموند) وفى ظرف سنة قتل الملك الجديد بواسطة أخويه الاثنين وخلفه الاكبر منهما تحت اسم طيودوريق الاول فأخضع هذا الملك السويڤيين الا أنه لما انجبر على العود الى فرانسا صار تقطيع جيشه قطعا بواسطة أهالى ليون منتقمين منه بما جناه من افراط الجرائم ووقعت البلاد بسرعة فى حالة استبدادية وصارت الاهالى فى عناء زائد جدا وصدت حالة الاعمال فى فرانسا طيودوريق من العود ثانيا الى اسبانيا فشرع فى تسكين ممالكه الغليقيه واستعد للعود الى البحث جزيرة وعلى ماقيل ان أخاه عوريق ذبحه فى سنة ٤٦٦ بعد الميلاد

وكان عوريق ملكا كبيرا أخضع السويڤيين وأقام شوكته وحكمه فى الاندلس وجلب كامل اسبانيا الوسطانيه واسبانيا الشمالية الشرقية تحت حكمه وصرح للسويڤيين بالبقاء فى غالينيا وقسم من ليون الشمالية والبرتغال وأن يكونوا تحت أحكام ملوكهم الا أنه صير ملك السويڤيين أشبه برقله وفى مدة المائة سنة التى أعقبت ذلك انقادت السويڤيون فى السلم الى الحكم الغوطى ثم ان عوريق

طرد الرومانيين واغتصب منهم طراغونه التى هى آخر معقل لهم وجعل نفسه استاذا على كافة الجزيرة ثم بعد ذلك وسع ممالكه فى فرنسا على مصاريف الرومانيين والبورغنديين وجبر أوداسير الملك الغوطى حاكم ايطاليا على أن يسلم له جميع الاملاك الرومانية فى فرانسا الموجودة خلف نهر الالب وحد نهر الرين الى البحر ومن هذا الوقت صار الغوطيون يعتبرون الغاليه واسبانيا مملكتهم الاصلية الحقيقية وأقام عوريق عاصمته فى أرل وفيها مات سنة ٤٨٣ بعد الميلاد وهو المعتبر فى الحقيقة أنه هو المؤسس للملكة الغوطية فى اسبانيا وكان أسلافه حكاما فى الغلية الا أن حكمهم كان فى الجزيرة ضعيفا جدا وقد كان عوريق ضبط اسبانيا بقبضة متينة ورتب فيها قوانينها المدنية الابتدائية والعار الاكبر الذى ارتكبه هو عنفه وغلظته التى قابل بها الرومانيين الكاثوليكيين بحيث قابلهم باكبر المعارضات أشبه بكونه أريانى

وخلف عوريق ابنه علاريق وهو ملك ضعيف الرأى والتدبير فتسلطن ثلاثة وعشرين سنة وفى المدة الاخيرة من سلطنته عزم على عمل حرب مع كلوفيس ملك الافرنك فأخذ منه ملك الافرنك القسم الاعظم من ممالكه فى فرنسا ومات فى سنة ٥٠٦ بعد الميلاد تاركا ولدا صغيرا جدا لتقليد زمام الحكومة وبالنظر لذلك البس الغوطيون التاج لغنساليق أخى علاريق من الزنا فضايقه الافرنكيون والبورغنديون مضايقة شديدة وحصروه فى قارقسونه ثم ان (طيودوريق) الملك الاكبر (للاسطروغوطيين) وأبا زوجة علاريق برز الى الميدان ليس ضد كلوفيس فقط بل وضد ملك الويسيغوطيين أيضا حيث رماه بأنه اغتصب بغير قانون مرعى تخت ابن بنته أى حفيده فجبر كلوفيس على عقد الصلح وهزم غنساليق وقتله ثم انه صرف النظر عن مراعاة حقوق حفيده وجعل نفسه ملك اسبانيا تحت اسم طيودوريق الثانى ولم يشيد لنفسه ديوانا فى اسبانيا مطلقا بل قلد زمام الحكومة الى طيوديس أحد شجعان قواده وفتح رسميا قانون العدل والنظام ومع أنه كان أريانيا دافع وحفظ الكاثوليك فى اجراء أعمالهم الديانية وفى سنة ٥٢٢ تنازل عن التاج الاسبانيولى الى حفيده عملاريق ومات بعد مضى أربع سنوات

فشيد عملاريق ديوانه فى سويلى وكان أول ملك غوطى سكن البلاد فى اسبانيا وتنازل لاطالاريق خليفة طيودوريق عن أراضيه الغليقية الموجودة بين نهر الرون والالب وتزوج كلوطيلده بنت كلوفيس الا أن هذه البرنسيسة التى صارت كاثوليكية جلبت الزعازع على زوجها الاريانى وكانت منازعاتهم بخصوص دينهم مهولة جدا حتى ان عملاريق هدد زوجته بالسب والاحتقار الزائد فاستغاثت باخيها شلدبرت ملك الافرنك فى حمايتها فأغار شلدبرت على اسبانيا وهزم عملاريق وقتله فى واقعة عظيمة حصلت فى قطالونيا وعاد الى فرانسا مثقلا بالغنائم والمنهوبات التى سلبها من الكنائس الاريانية سنة ٥٣١ بعد الميلاد ثم ان التاج الغوطى صار منحه الى طيوديس الذى كان حاكما على اسبانيا من قبل طيودوريق الثانى فانجبر على العدول عن أملاكه فى الغلية الا أنه نجح فى حماية الجزيرة من غارات ملوك الافرنك وقتل فى سنة ٥٤٨ بعد الميلاد وخلفه (طيودوسديل) الذى كان أحد قواده الا أن هذا الملك عامل رعيته مع غاية القباحة حتى انهم قاموا عليه وقتلوه فى السنة التى بعد سنة توليته ووقع اغيلان خليفته فى سلطنة مزعزعة مدة خمس سنوات وان القسم الجنوبى من اسبانيا رفض الاعتراف له بانه ملك فهزم وقتل فى سنة ٥٥٤ بعد الميلاد

ثم ان (أتانغيلد) قائد العصاة صار ملك اسبانيا بعده وكان ذعا لاجل مساعدته فى الثورة دخول عساكر الامبراطور يوسطنيان فطلب بعد تولينه انسحابهم من البلاد فرفضوا أن يتركوها ووطدوا أنفسهم فى اقليم قرطاجنة ومنه صاروا يغيرون على الاقاليم المجاورة لهم ولما كان ملك الغوطيين غير قادر على طردهم ضبطوا المحلات التى كانوا أمسكوها الى أن جاء زمن بلعوافيه الامة الغوطية وفى أثناء هذه السلطنة ترك السويقيون الذين كانوا دخلوا فى الديانة الاريانية قبل ذلك بقرن هذا الدين ودخلوا فى الديانة الكاثوليكية فى سنة ٥٦٠ بعد الميلاد وفى سنة ٥٦٧ بعد الميلاد مات أتانغيلد بعد ان مضى أربع عشرة سنة فى سلطنة سلمية وذات منافع عائدة على الرعية وخلفه ليوفانغا بعد مضى ثلاث سنوات

وجاء (ليوفيغيلد) أخو ليوفا الى التخت فى سنة ٥٧٠ بعد الميلاد وكان أحد كبار ملوك الغوطيين فطرد الاحزاب الملوكية خارج غرناطة وأخمد عدة ثورات كانت قامت ضد أحكامه وهذه الحالة احتاجت لمساع قوية مدة عشر سنوات الا أنه أخيرا صارت حكومته مشيدة مع الثبات فى كامل اسبانيا وفى سنة ٥٨٢ أشرك ابنه الاكبر (ارمينغيلد) معه فى الحكومة ووطد له يد انغونده البرنسيسه الافرنكية وكانت هذه البرنسيسة كاثوليكية المذهب فاختار دين زوجته على دينه فأسرع ارمينغيلد وقام بالسلاح على أبيه الا أنه انغلب بعد حرب مقطوعة اليأس وانجبر على الانقياد وسامحه أبوه غير أنه جرده من الشرف الملوكى فعاد الى العصيان ثانيا فغلب وخضع وصدرت أوامر أبيه بقتله فراعته الكنيسة الكاثوليكية على الدوام أنه شهيد بخصوص دينه وصرحت الكنيسة بتقديسه وبمجرد موت ارمينغيلد قام ملك الافرنك أخو أرملته وحمل السلاح طالبا بأخذ ثاره ونكث السويقيون طاعتهم والتحقوا بالافرنك لاجل مساعدة ابنه الثانى (ريكاريد) فضرب ليوفيغيلد الافرنك وصدهم وأخضع السويقيين وأخرب المملكة السويقية وأضاف أملاكها الى مملكة اسبانيا وكان ليوفيغيلد ظالما جبارا على الحزب الكاثوليكى ونهب كنائسهم وبما جمعه من كنوزها وذخائرها شيد لنفسه سراية فاخرة وعمل أعمالا كثيرة فى اصلاح مملكته وهو أول الملوك الويسيغوطيين الذين شوهدوا فى الدراهم القديمة بالتاج الملوكى على رؤسهم ومات سنة ٥٨٧ بعد الميلاد

وخلف ريكاريد الاول أباه أشبه بالملك الغوطى الوحيد ووقعت المبايعة له فى كافة المحيط جزيرة وفى سنة ٥٨٩ ترك الدين الاريانى وحضن الدين الكاثوليكى فتبعته جميع الامة الغوطية وهذه الحالة أخمدت الشقاقات الدينية فى اسبانيا وفيها انضم الغوطيون واللاتينيون وأهالى اسبانيا الاصلية وصاروا ملة واحدة اسبانية بامتياز عام من العضو اللاتينى وكسر مساعى الافرنك من غاراتهم على اسبانيا وأخضع الباسق وأدب الاحزاب الملوكية وألزمهم بالاقامة فى معاقلهم على الساحل وكان ذلك أحد الحالات غير الموافقة فى التاريخ الاسبانى حتى ان هذه الشرذمة يكون لها مقدرة على توطين أنفسهم على ساحل مملكة قوية بهذه الصورة مبارزين الملك ذى شوكة وأمة حربية وكانت سلطنة ريكاريد ذات منافع عظيمة لرعيته وكان لهم ملكا سخيا خبيرا بالاموروما ت فى سنة ٦٠١ بعد الميلاد وكانت سلطنة الاحد عشر ملكا الذين جاؤا بعد ريكاريد خالية من الحوادث والوقائع ولم يعرف عنهم الا القليل وهاك أسماءهم وتواريخ سلطنتهم وهم (ليوفا) من ٦٠١ الى ٦٠٣ و(وطريق) من ٦٠٣ الى ٦١٠ و(غونديمار) من ٦١٠ الى ٦١٢ و(سيسبرت) من ٦١٢ الى ٦٢١ وريكاريد

الثانى) تسلطن ثلاثة أشهر و (سونطيله) من ٦٢١ الى ٦٣١ و (سيسيننذ) من ٦٣١ الى ٦٣٦ و (شنطيله) من ٦٣٦ الى ٦٤٠ و (طولغا) من ٦٤٠ الى ٦٤٢ و (شينداسوند) من ٦٤٢ الى ٦٤٩ و (ريسسوند) من ٦٤٩ الى ٦٧٢ وكان الاكثر ذكرا من هؤلاء الملوك هو سيسبرت فانه امتاز بظفرات تامة على الباسقيين واغتصب معاقل كثيرة من الامبرياليست و جار على اليهود وظلمهم وسونطيله وهو الذى أخضع كافة المعاقل والقلاع الامبرياليستية وقطع دابر شوكتهم من اسبانيا وريسسوند وهو الذى ساس مملكته بيد ثابتة قوية وأخمد جميع مايعارضه فى أحكامه مع الشدة والسرعة وكان سببا فى سن قانون بواسطته جميع الملوك التى تأتى بعده يتنازلون عن جميع مايملكونه من الثروة لخلفائهم على التخت وليس لاولادهم

ولما مات رسيسوند وقع الانتخاب الغوطى على وامبا عا أن فضائله وتبصراته فى الامور كانت معلومة عند كافة الامة فامتنع مدة طويلة من قبول التاج الغوطى الا أنه أخيرا انجبر على قبوله بأن صار تهديده بالموت فى حالة مااذا استمر على عدم القبول وبعد لبسه التاج فى سنة ٦٧٣ انفجرت ثورات فى أقسام مختلفة من المملكة ثم ان وامبا الذى قبل التاج مع الكراهة الزائدة أسرع بعد ان لبس التاج فى توطيد حكومته فأخمد الفتن والثورات مع العجلة والثبات وأرغم العصاة على الانقياد لرحمته والدخول تحتها وانفى جميع اليهود الذين رفضوا المعمدة من مملكته وجبر كثيرا من الناس على المعمدة اسميا فقط لاجل خلاصهم من النفى الا أنه تركهم ساخطين عليه وكسر عزم العرب الذين قصدوا الساحل الشمالى لافريقية من أن يغزوا اسبانيا وفاز بواسطة ملوك مساوين له فى العنف والشدة حتى جعل فتح اسبانيا بواسطة العرب غير ممكن وكان عادلا شديدا غير مفسد فى تدبير مملكته جامعا اليها حواسه مع الفطانة والنباهة وكان محبوبا جدا عند رعيته وفى ١٤ اكتوبر سنة ٦٨٠ وقع الملك فى مرض شديد حتى صيره بجملة فى حالة الغيبوبة فظن حواشيه انه مات وأخذوا فى تجهيز دفنه على حسب عوائد تلك الازمان بأن حلقوا رأسه وأدرجوه فى لباس التوبة وبقول آخر نقلوه من حالة الانسان العامى الى الاعتراف الكنائسى وصيروه بهذه الحالة غير صالح للجلوس على تخت المملكة فاستفاق من غشوته فى ظرف أربعة وعشرين ساعة الا أن حالته قضت عليه بذلك بدون نقض ولا ابرام فانجبر على التوجه الى أحد الديورومات فيه بعد بضع سنين وجاء بعد (وامبا) خليفة له (ارفيغيوس) ابن أخى الملك شنداسوند وكانت سلطنته خالية من الوقائع والحوادث ومات فى سنة ٦٨٧ وخلفه اغيقا أخو وامبا فكانت سلطنته جديرة خصوصا بالقوانين الشديدة على اليهود فما حصل لهم من الجور والظلم بحثوا على طريقة يحرضون بها عرب شمال افريقة على غزو اسبانيا ثم جاء ويطيزه بن أغيقا الى التخت فى سنة ٧٠١ فظهر على المدة الاولى من سلطنته العدل والفلاح الا أنه فى اخر المدة صار وحشيا جبارا قاسيا ودخلت أواخر سنيه فى أوقات غامضة غير حقيقية الاحوال الا أنه يظهر أن جبروت قساوته فتح عليه باب العصيان وقيام الثورات فقطع رأسه رودريق الشريف القوى الشوكة وكل ذلك معلوم بالحقيقة وهو أنه فى سنة ٧٠٩ انتهت سلطنة ويطيزه بواسطة رودريق الذى خلفه على التخت الغوطى

ولم يظهر على رودريق انه أعظم بكثير من سلفه وقامت عليه فى الحال مصادمة شديدة وهو ان أقارب ويطيزه وكان فى رأسهم الكونت يوليان رفضوا الاعتراف بحكمه وعلى حسب ماذكر بعض المؤرخين أن

الكونت

الكونت يوليان كان حاكم قلاع طنجه وصوطا على السواحل الافريقية تجاه جبل الطارق فلما احتقر الملك ودريق الست فلورنده بنت الكونت يوليان الوحيدة صمم أبوها على الاخذ بالثار من الملك الغوطى ودعا العرب لغزو اسبانيا وسلم فى أيديهم القلاع الافريقية التى تحكم على الدهليز أو المدخل الى البلاد وبعض المؤرخين أنكر واقعة فلورنده وقالوا ان يوليان كان متعاظم النفس فى تقديم خضوعه الى يت و يطيزه فبغضه رودريق واعتبره انه غاصب لاملاكه ومن المحتمل وقوع هذه الحالة لانه من المحقق ان يوليان كان أحد القواد المضادين لرودريق فجعل القلاع الافريقية فى يد القائد العربى موسى بن نصير ويمكن أن يقال ان عدم رضا الغوطيين عما هم فيه من المتاعب رغبهم فى فتح الجيث جزيرة بواسطة العرب أى التغاب عليها أو انهم يرون شيأ يماثل هذه الحالة فى خلاصهم مما هم فيه من الجور وان المؤرخين الاسبانيين يقولون عموما ان الكونت يوليان له مدخل قليل فى هذا الهول الذى وقع للاسبانيين

ثم ان موسى بن نصير القائد الاسلامى فى افريقة اشتغل أشغاله مع الاحتراس التام بعد أن صارت القلاع الافريقية فى يده وأخيرا ما تيقن فى نفسه ان المملكة السامية الغوطية صارت فى حالة فاسدة القلب استعد لغزو اسبانيا وهوانه فى ٣٠ ابريل سنة ٧١١ (سنة ٩٢ هجريه) نزلت قوة شديدة تحت قيادة طارق وهو قائد شجاع نبيل على جبل طارق المسمى على اسمه وانتصرت على أول مقاومة حصلت من الغوطيين ثم تقدم طارق بسرعة الى نحو الشمال وجمع رودريق كافة قوته لمقابلته فانهزم رودريق وذبح فى واقعة عظيمة فى (اكسيريس فرنطيره) على الشاطئ الغربى لنهر (غوداليطه) وأعقب هذه النصرة سرعة فتح اسبانيا الجنوبية وأخذت قرطبة ومالقه وطوليدو ولما اتصل طارق بموسى رئيسه بقوة جديدة صار فتح سوبلى وماريده ومع ما كان فيه موسى وطارق من الشقاق الواقع بينهما دفعت العرب فتوحاتها الى الجهة الشمالية وجبروا الغوطيين على التقهقر الى الخلف امامهم وفى ظرف عشر سنوات من نزول طارق تغلب المسلمون على جميع اسبانيا ماعدا الاقاليم الجبلية للاستوريانيين وكانطبريا ونفارة وفى هذه الكورة تقهقر المسيحيون تحت قيادة ملكهم (بلايو) الذى صار انتخابه أشبه بخليفة رودريق فبذل مجهوده ونجح فيما أجرام من مساعى المقاومات فى صد تقدم العرب عن جهتهم الجبلية

وكان فتح العرب اسبانيا مصحوبا بقساوات عظيمة على المغلوبين وكانت البلاد فى الابتداء ممسوكة أشبه بايالة تابعة للخلافة الشرقية وكانت محكومة بعمال من طرفها وفى سنة ٧٣٢ (سنة ١١٤ هجريه) استشعر العرب فى أنفسهم القوة الكافية فى العزم على فتح أوروبا الغربية كما ذكرنا ذلك فجمعوا الملك جيشا لا يحصر من جميع أقسام أسيا وأفريقا وعبروا جبال البرنات ودخلوا فى جنوب فرانسا فانهزم هذا الجيش بالكلية وتشتت شمله بواسطة الافرنك تحت قيادة شارلس مارتل فى واقعة طورد الكبيرة وصار طرد العرب على أعقابهم بالثانى الى اسبانيا

وامتدت سلطنة العمال نحوا من أربعين سنة وكان يوجد فى جميع هذه المدة حروبات صغيرة داخلية بين طوائف المسلمين وبناء على هذه المنازعات حصل تغيير فى الحكومة حتى ان عشرين أميرا مختلفة صار ردعوهم أو اقامتهم أنفسهم لاجل تدبيرها وكانت غيرة الكراهة والبغضاء واقعة بين بعضهم فانفجر من ذلك ثورات ونال بعض العصاة جبر الناس على الانقياد والطاعة واستمر الانتقام بين العمال

من بعضهم بعضا مدة طويلة وبين الشقاق ما عليه العرب من الادارة والتدبير وكان الخلفاء بعيدين جدا ومشغولين كثيرا عما يعود منه النفع الناجح ليستعملوه سببا فى مداواة هذه الشرور والمصائب وفقد حكام المغرب نفوذهم على نوابهم كما انه فى هذا الوقت صار لا شيخ ولا والى يقر بالطاعة لكبيره وبينما كانت الجمعية الاسلامية فى الجيث جزيرة فى عدم انتظام مخيف وطد المسيحيون الاستريانيون تقدمهم الطفلى وأحيوا أنفسهم بالطبع لكل فائدة يمكنهم تيسر الحصول عليها للانتقام من الاغراب ذات السير القبيح فعرف رؤساء العرب بالفكر الصائب الضرر الذى حل بهم وجعلهم عرضة للاهوال فى فتوحاتهم وصمموا على ازالته بان جعلوا اسبانيه فى حالة حكومة مطلقة مستقلة فعلى حسب هذا اجتمع منهم نحو من ثمانين شخصا فى مدينة قرطبة واتفقوا على أن يقدموا تاج المملكة الجديدة الى عبد الرحمن آخر ولد عائش من أولاد آخر خليفة من السلسلة الاموية أو من نسل عمر بن عبد العزيز وكان هو الذى هرب من مذبحة عائلته عندما ذبحهم الخلفاء العباسية وكان مختفيا من هذا الرعب الشديد فى شمال افريقة ومع ذلك كان هذا الفعل جاريا فى السر خشية من أن يبلغ مسامع يوسف بن عبد الرحمن الفهرى العامل المتولى من قبل خليفة دمشق وأرسلوا اتباعهم الى افريقه وصار تقدمة التاج الى عبد الرحمن فقبله وأسرع فى الرحلة الى اسبانيا معه وبابقوة مقدارها سبعمائة وخمسون خيالا فى غاية الجودة من التطقيم ونزل على ساحل الاندلس فى مبادى سنة ٧٥٥ (سنة ١٣٨ هجريه) فقابله الاهالى مع غاية الشوق والترحاب فأسرع فى ان جعل نفسه فى رأس جيش كثيف وفى ظرف سنة واحدة كسر قوى العامل فى عدة وقائع مهولة وجبره أخيرا على التسليم ودخلت كافة الجيث جزيرة تحت رياسة عبد الرحمن واعترفوا له بالملك ماعدا الجبال الشمالية المسوكة بالمسيحيين فقرر عاصمته فى قرطبة وأدخل فيها الاصلاحات النافعة وجعلها فى غاية من التحصين ومع أن أكثر جماهير المسلمين فى اسبانيا انضموا مع الحمية والحماسة الى عبد الرحمن لم يزل يوجد للبيت العباسى أحزاب فى اسبانيا ومن هذه الاحزاب حصل اختلالات واضطرابات فى سلطنة الملك احتاج لاطفائها بطلب أشغال عظيمة ووقائع حربية صعبة وفى أثناء أحد هذه الحروب اجرى شرلمانيا غزوة فى اسبانيا بمساعدة العصاة كما ذكرنا ذلك وكانت نتائج هذه الغزوة ان أضاف قطعة من اسبانيا الى حكومة مملكة الافرنك وبعد رجوع شرلمانيا بقليل استرد عبد الرحمن الارض التى كانت فقدت منه الى ممالكه ثانيا واجرى ملك العرب عدة حروبات مع مملكة استوريا المسيحية الا أنه لم ينل غرضا منها وفى سنة ٧٨٧ بعد الميلاد (سنة ١٧١ هجريه) مات عبد الرحمن وكان ملكا عادلا سخيا موفر امع الثبات فى جميع أعماله محبا للعدل رافعا للديانة وأسس المدارس وشجع على تعليم العلوم والآداب فى مملكته واحتاجت اسبانيا المحمدية لواحد شجيع ومشرع لاجل أن يضع أول حجر فى فلاحها فوجدت فيه الصفتين

واستخلف بدل عبد الرحمن ابنه الاصغر هشام الطيب فاجتهد هذا الملك فى فتح مملكة استوريا المسيحية الا أنه لم ينجح فى مشروعه وصار هزمه ومات فى سنة ٧٩٦ (سنة ١٨٠ هجريه) وخلفه ابنه الحكم وكان ذا لهو واعجاب وظالما غشوما وفى سنة ٨٠٧ (سنة ١٩٢ هجريه) غزا لويز بن شرلمانيا اسبانيا وأخذ عددا من محلاتها المحصنة ثم ان الاراضى التى صار التغلب عليها جعلها شرلمانيا تحت اسم بطيحه اسبانيا وعين لها حاكما كان محل اقامته فى برسلونه

وامتدت المملكة الاسلامية فى اسبانيا ثلاثة قرون وكانت فى الابتداء تحت الطاعة القوية للخلافة

البغدادية

البغدادية (كان انتقال الخلافة الشرقية من دمشق الى بغداد فى مدة سلطنة عبد الرحمن الاول) الا أنه فى سنة ٩١٢ (٣٠٠ هجريه) تلقب عبد الرحمن الثالث باسم خليفة ومن هذا الوقت الى اضمحلال المملكة الاسلامية كان يوجد خليفة فى قرطبة كما يوجد خليفة فى بغداد وفى مدة الملوك الاسلامية فى اسبانيا بلغت البحيث جزيرة الى أقصى درجات النجاح والفلاح فى الزراعة والتجارة والعلوم والفنون الزاهرة ووصلت المدارس الاسلامية الاسبانية الى شهرة عظيمة حتى انها جذبت اليها كثيرا من المعلمين والمطلعين من كافة جهات أوروبا المسيحية وفى مدة هؤلاء الملوك انتقل اليهود الى أيام سعادتهم فى أوروبا وفى مدة هذا العصر وصلت الآداب العبرانية الى غايتها القصوى فى القرون الوسطى ومنع المسلمون المسيحيين القاطنين بينهم فى مدائنهم من أن يكون لهم حقوق فى المدينة لكنهم على حريتهم فى اجراء شعائرهم الديانية وصارت العوائد والعادات الاسلامية ممتازة فى القسم الاعظم من اسبانيا وفى هذه القرون صار عموم البحيث جزيرة عربيا مثل سواحل افريقية المقابلة لها

وفى مبادى القرن الحادى عشر صارت خلافة قرطبة صيدا للمنازعات الداخلية فهذه المنازعات عصرت نفوذها وشوكتها مع السرعة وفى سنة ١٠٣١ (سنة ٤٢٣ هجريه) أى بعد ثلاثين سنة من سلطنة المنصور الذى كان أقوى خليفة وأعظمهم أعاد اليها نفوذها وشوكتها بعد أن كانت آخذة فى الاضمحلال على ما قيل وفى الحقيقة كان لبعض الممالك نفوذ كبير كما كان لقرطبة مع العجلة وحرموا من استقلاليتهم لكنهم حيث خضعوا بواسطة أعداء محاربين لهم وصلت رفعتهم وشماختهم الى درجة معلومة ثم جاءتهم مدة طويلة أفقدت هذا الجدو وصارت قرطبة بعد أن كانت مشحونة بالنفوذ الاكبر والسلطة ممزقة الى قطع بواسطة أولادها الواقعين فى الشقاق والنزاع

وبنيت على أطلال خلافة قرطبة جملة ممالك صغيرة كانت دائما فى مخاصمات ومحاربات بين بعضها وجعلوا للمسيحيين الموجودين فى الجهة الشمالية فرصة فى امتداد ممالكهم على نفقة العرب واستمرت اسبانيا الاسلامية مقسمة بهذه المثابة مدة قرنين أى من سنة ١٠٣١ الى سنة ١٢٣٨ بعد الميلاد وبالجملة فانه فى سنة ١٢٣٨ (سنة ٦٣٦ هجريه) صار تأسيس مملكة غرناطة بواسطة محمد بن الحمار وكان ملكا شاخا ذا شجاعة باهرة جمع فى مملكته الجديدة الجم الغفير من أهل بلاده الذين طردهم المسيحيون عند تقدمهم وتمكنهم من بلادهم الى الجهة الجنوبية واستمرت غرناطة قرنين مملكة ذات شوكة وفلاح معمورة بعالم كثير العدد واشتهرت بزراعتها وتهذيبها ومنها بقيت آثار سراية الحمرة لهذا الوقت دلالة على ما كانت عليه من السيادة والابهة والصنائع والعلوم الزاهرة وكانت مزخرفة بعدة من الاشغال العمومية العظيمة القدر النافعة

وفى غضون ذلك أخذت المملكة المسيحية لاستوريا وليون التى أسسها (بلايو) فى الزهو والرونق مع ما كانت عليه مساعى العرب من هشمها وخرابها وكانت محددة فى الابتداء الى مقاطعة (أو ييدو) وهى ايالة كانت فى حرب مستمر مع العرب وفى مجارى الزمن صار للمسيحيين قدرة على امتداد أراضيهم نحو الجهة الجنوبية وفى سنة ٧٣٩ جلس على التخت الفونسو الاول الملقب بالكاثوليكى وهو صهر بلايو أى زوج ابنته وفتح غاليثيا و بعض قطع من ليون وقسطيلة وأضافها الى ممالكه وتلقب بملك أوستوريا ولما صار الفونسو الثالث ملكا فى سنة ٨٦٦ فتح باقى ليون ونقل عاصمته الى مدينة ليون

وفى مدة سلطنته أى فى سنة ٨٧٣ استقلت نقاره من أوستريا وأخذت فى التقدم بسرعة حتى صارت مملكة ذات شوكة وفى نحو سنة ٩٨٢ استقلت قسطيلة التى كانت خاضعة الى ليون وفى مبادى القرن الثانى صار تشييدها بواسطة حكامها الى مملكة وفى سنة ١٠٣٧ ضم فرديننـد الاول الملقب بالاكبر مملكة ليون مع قسطيلة وصارت هـذه المملكة الجديدة من ابتداء هـذا الوقت أقوى شوكة فى اسبانيا وفى سنة ١٠٣٥ صارت مملكة نقاره مملكة مستقلة تحت حكم (راميرو الاول) وعند موت فرديننـد الاول فى سنة ١٠٦٥ أعطى مملكته أوستريا وليون الى ابنه الفونسو السادس وأعطى قسطيلة الى (صانكو الثانى) ابنـه الاكبر وفى سنة ١٠٧١ عنـد موت صانكو الذى كان بينه وبين أخيه حرب مستمر أخذ الفونسو السادس مملكة قسطيلة وضمها للمملكتين ثانيا وعند موته قسم ممالكه بين أولاده

وفى أثناء هـذه المدة ضايق الملوك المسيحيون الموجودون فى الجهـة الشمالية المسلمين الى أقصى الجهة الجنوبية وذلك أن ضعف خلافة قرطبة وتجزيها صير لهم القدرة على اجراء هذه الاحوال وكذا الاعمال التى أعقبت سقوط هـذه المملكة جعلت لهم الفرصة فى زيادة ممالكهم كثيرا وانتفعوا بها مع العجلة حتى ان الفونسو السادس ملك ليون وقسطيلة تغلب ثانيا على عاصمة (طوليدو) القديمة وقرب وقته فى طرد المسلمين من اسبانيا والى هذه السلطنة تنسب المشروعات الخرافية لسيدها (سيد) وهو الشجاع الاكبر لتاريخ الاسبانيين وينسبون ميادين مسابقتـه الى دولة الخرافات زيادة عن مملكة التاريخ الحقيقى وخرب الفونسو المملكة الاسلامية لطوليدو وجعل هذه المدينة مقر ملكه وأعطى للاراضى التى فتحها اسم قسطيلة الجديدة وفى نحو سنة ١٠٩٥ قرر الفونسو البرتغال مملكة منفصلة وفى سنة ١١٣٩ رفضت طاعتها الى ليون وقسطيلة وصارت مملكة على حدتها وفى القرن الثانى عشر تقدمت مملكة ارغون مع السرعـة فى القوة والاهمية وفى سـنة ١١١٨ تغلب الفونسو الاول ملك ارغون على سر ياقوسه من المسلمين وهى أكبر مدينة وأعظمها فى اسبانيا الشرقية

ثم ان المسيحيين طردوا المسلمين تدريجا الى الجهات الجنوبية وجعلوا أنفسهم ملوك اسبانيا وفى نحو أواسط القرن الثانى عشر صارت البحث جزيرة مشتملة على مملكتين اسلاميتين وهما قرطبة وغرناطة وخمس ممالك مسيحية وهى ارغون ونقاره وقسطيلة وليون وبرتغال وتحزبت الممالك المسيحية على بعضها خصوصا بعد موت الفونسو الثامن وفى سنة ١١٥٩ جاء العرب من الجهة الاخرى وان كانوا منقسمين فيما بينهم فى مواجهـة المسيحيين مع الصلابة والثبات بمساعدة جموع جسيمة من افريقية وضبطوا الاندلس وجعلوها تحت أيديهم وعند غلاق القرن الثانى عشر غزا اسبانيا الشيعة المرابطون المسلمون الذين وطدوا عائلاتهم فى مراكش وتغلبوا على مملكة سو بلى وأسرعوا فى فتح الاراضى الاخر الاسلامية فى اسبانيا وجعلوها تحت أحكامهم وصار لخلفاء هـذا البيت مقدرة تامة بمساعدة ما هو حاصل من الشقاق والمنازعات فى الممالك المسيحية على استرداد بعض الاراضى التى فقدها المسلمون ولما مات الخليفة يعقوب بن يوسف المهدى وهو من أعاظم سلاطينه تخلص المسيحيون من عدو مهول كان لهـم وانحطت المنازعات التى كانت بينهم وأوقعوا بالمسلمين هزيمة مهولة فى الواقعة الكبيرة التى حصلت فى (نقاس طولوزه) سنة ١٢١٢ وهذه الضربة الشديدة كانت نهاية الشوكة الاسلامية فى اسبانيا وسبب ضعفها وعجزها من هذا الوقت

وفى

وفى سنة ١٢١٧ جلس فرديننداالثالث الملقب بالقديس فردينند على تخت قسطيلة وامتدت سلطنته الى سنة ١٢٥٢ بعد الميلاد ففى سنة ١٢٣٠ ضم مملكة قسطيلة وليون ببعضهما ولم ينفصلا بعد ذلك ومد أراضيه الى الجهة الجنوبية على نفقة المسلمين وتغلب على قسم عظيم من البحيث جزيرة أدخل فيه مدينتى سويلى وقرطبة وكانت ارغون كما ذكرنا فى تاريخ الولايات الاخر هى المملكة الاسبانية التى خصت نفسها بالاعمال الاوروباوية فى هذا الوقت وكان أعظم ملوك ارغون جمس الفاتح الذى تسلطن من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢٧٦ وتزوج ابنه بدرو بنت منفريد ملك سيسليا وبهذا حصلت المواصلة بين أهل أرغونه وأهل سيسليا وكانت قسطيلة والبرتغال هما المملكتين الاصليتين اللتين اشتغلتا بخلاص البحيث جزيرة من المسلمين وطردوهم فى آخر المدة الى القسم الجنوبى لاسبانيا وشيدوا فى هذه الجهة سنة ١٢٣٨ مملكة غرناطة وكان الحد الشمالى لهذه المملكة محدودا بسلسلة الجبال الشامخة الحافظة لها مثل سور وهذه السلسلة جعلت لهذه المملكة قدرة على أن تقاوم هجومات المسيحيين مدة قرنين

وكان تاريخ الممالك الاسبانية مدة القرن الرابع عشر قليل الاهمية جدا ثم ان المسلمين وطدوا مملكتهم غرناطة ولو أنه وقع بينهم وبين مملكة قسطيلة وليون التى هى أقوى مملكة فى اسبانيا حروب عديدة لكنهم انجبروا على البقاء فى خط الجبال الجنوبية ومكثت الممالك المسيحية فى حروب بين بعضهم وفى سنة ١٣٥٠ جلس على التخت فى قسطيلة بدرو والوحشى فصيرته قساوته قبيحا عند رعيته وقتله زوجته بلانش (البيضاء) البربونية أخت ملكة فرانسا أوقع عليه غضب ملك فرانسا وأخيرا حل أخوه عليه هنرى حاكم (طرسطمارا) السلاح لكنه طرد من خارج المملكة فهرب الى ديوان فرانسا وطلب المساعدة من شارلس الخامس فأرسل (غسقلين) مع جيش لمساعدته وكانت هذه الغزوة فى غاية الظفر كما ذكرنا سابقا فانجبر (بدرو) على الهرب من المملكة وصعد هنرى على التخت ولما هرب بدرو الى (بوردو) وطلب مساعدة البرنس الاسود سار الى اسبانيا وهزم هنرى وغسقلين فى نفاريطه فى ابريل سنة ١٣٦٧ وعاد (بدرو) الى تخته وكان بدرو تعهد بدفع المصاريف الحربية الا أنه بعد أن عاد الى تخته ثانيا أخلف وعده وترك البرنس الاسود يتقلى تحت حمل المصاريف وحده وبهذا تجنب صديقه الوحيد وفى السنة التالية أرسل ملك فرانسا غسقلين ثانيا الى اسبانيا وطرد (بدرو) من تخت قسطيلة ثم بعد ذلك بمدة قليلة ذبح بواسطة هنرى وفى القرن الخامس عشر وصلت اسبانيا الى أقصى درجات المعالى وصارت أشبه باحدى الدول العظيمة الاوروباوية وفى مدة صغر يوحنا الثانى كانت مملكة قسطيلة وليون محكومة بالمأمور (الوارودولونا) أكبر شريف فى المملكة أشبه بوصى ونائب عن القاصر وكان حكمه فى غاية الظلم حتى ان الاشراف مع يوحنا قاموا ضده وأمروا بقتله فى (فلادوليد) وجاء بعد يوحنا ابنه هنرى الرابع الذى مات فى سنة ١٤٧٤ وحيث ان هنرى لم يترك ولدا ذكرا ورثت أخته ازابلا تاج المملكة بعد موته وكانت أرغون التى أضيفت اليها مملكة قطلونيا من ابتداء سنة ١١٣٧ ثالث مملكة بحرية فى أوروبا وهى بعد فنيزه وجنوه فى الدرجة وكان ملك أرغون ملك نابولى وصقلية أيضا ثم ان الفنسو الخامس استقر فى مملكته الايطاليانية وأخوه يوحنا الثانى ملك أرغون حكم مملكته الاسبانية أشبه بعامل له وتزوج يوحنا بالبيضاء ملكة نفاره فخلف منها شارلس وصار الوارث الشرعى الحقيقى لتاج نفاره الا أن أباه رفض جلوسه على التخت فهرب شارلس

والتجأ مع خاله الفنسو الى نابولى و بعد موت الفنسو عاد الى اسبانيا معتقداً أنه معارض له فى الجلوس
على تخت نقاره فمات بعد وصوله اسبانيا بمدة قليلة والصحيح أن امرأة أبيه المسماة بوانه سمته وهى
زوجة أبيه الثانية وصارت أخت شارلس وهى البيضاء الوارث الحقيقى الآن لتخت نقاره الا أن المملكة
وعدت بواسطة معاهدة عقدت للكونت فواكس الذى تزوج علينورا الشابة أخت شارلس ووقعت
علينور تحت يد أختها فسمتها فى سنة ١٤٦٤ ثم جاء بعد يوحنا الثانى ابنه فرديننند خليفة على التخت
لكن رفض القطلانيون عين المبايعة لاعتقادهم أن الملكة بوانه أم فرديننند هى المنشئة للجرائم التى
ذكرت سابقا فاشتعل من ذلك حرب داخلى مكث احدى عشرة سنة وانجبر القطلانيون أخيرا على
الانقياد وصار فرديننند الملك بغير منازع فى أرغون سنة ١٤٧٩ وقبل هذا تزوج فرديننند الملكة
ازابلا ملكة قسطيلة وليون سنة ١٤٧١ ومن هذا الوقت ما عدا مدة قليلة انضمت مملكة أرغون
وقسطيلة معا وشكلا المملكة الشمالية لاسبانيا

وامتاز فرديننند وازابلا فى سلطنتهما المتحدة بالخدمة التى أجروها فى الكنيسة وصاروا بهذه الحالة
معروفين فى التاريخ بالاسم الممتاز الكاثوليكى وكانت سلطنة فى غاية النجاح والظفر الشائع كما أنها
كانت مظلمة سيئة البخت وقد شاهدت هذه السلطنة مبادى الشوكة والسطوة الاسبانية لان قسطيلة
وأرغون وان لم يكونا غير منضمين ببعضهما الا أنهما فى الحقيقة واحد وأزعج المملكة وشوشها وجود
مناسر اللصوص ثم خمد ذلك وانقطع دابر اللصوص وانتهت الحروب الداخلية وسقطت اليد القوية
للحكومة الوسطانية من كامل البحث جزيرة الا أنها شاهدت أيضا اقامة الفحص وسب وفضيحة اسبانيا
ثم ان الملوك الاسبانيولية لم يتركوا الاشغال الدنيئة فى ظلم رعاياهم والتعدى عليهم فأخذتهم الحمية
والغيرة فى الشروع فى الاشغال السامية وقد قرر المسلمون فى مملكة غرناطه من مدة قرون الصنائع
والعلوم حتى فاقوا أعداءهم المسيحيين وقد بلغوا خصوصا فى فن المبانى والعمارات أقصى درجة من
الظرافة والرونقة ولم يزل الى الآن تستغرب السياح من صناعتها عند مشاهدة آثارها الباقية لهذا
العصر ومع ذلك لم يخلص المسلمون من عواقب الامم الاخر مع ما كان عندهم من هذه الصنائع والاعمال
ووقع الشقاق بينهم حتى أضعفهم وأخيرا غرقت المملكة من عصيان أبى عبد الله لابيه الملك فى
حرب داخلى فانتهز ملوك اسبانيا فرصة حصول هذا الحرب وابتدؤا فى دفع فتوحاتهم خلف الجبال
وفى سنة ١٤٨٧ تغلب فرديننند وازابلا على ملقة بعد أن حاصراها ثلاثة أشهر وأعقبها التغلب على
محلات أخر وأخيرا فى سنة ١٤٩٢ صار تسليم غرناطه عاصمة المملكة الاسلامية بعد مدافعة شديدة
كانت بغير طائل الى فرديننند وازابلا وانجلى المسلمون الى الساحل الافريقى للالتحاق بأهل بلادهم
وصار جميع اسبانيا مضمومة ببعضها تحت حكومة فرديننند وازابلا وكان فتوح المملكة الاسلامية
أشبه بسبب لضياع القسطنطينية ومن سوء بخت فرديننند وازابلا أنهم أشهروا نصرتهم بطرد جميع
اليهود من ممالكهم وانجبر عدة مئات ألوف من اليهود على ترك المملكة وتساقطت عليهم الآلام
والمصاعب فى الوقت الضيق الذى صار التصريح لهم فيه بالتجهز للانجلاء من الممالك الاسبانية وبهذا
فقدت اسبانيا احدى منافعها العظيمة وأحد أصناف أمتهاذات الثروة فاستوطن المنفيون على
الخصوص الممالك الاسلامية وفيها قابلوهم بالشفقة والمرحمة وقال بايزيد الثانى ما أقبح من يفقر مملكته
من وجود معادن عظيمة وقوله هذا جعله فى غاية النباهة من الاحوال التاريخية

وقد

وقد حصل فى مدة هذه السلطنة أن كولمب استكشف أمريقه تحت نفقة قسطيلة وليون وقصة سياحته منسوبة الى قسم آخر من هذا الكتاب ثم ان اجتماع الممالك الاسبانية بواسطة زواج فرد بنند وازابلا كان مبدأ تعاظم اسبانيا حتى وجب أن تكون من هذا الوقت معدودة من الدول الكبيرة فى أوروبا ثم ان طرد الفرنساوية من نابولى بواسطة (غونسالوو) حاكم قرطبة فى سنة ١٥٠٣ جعل تاج السيسيليتين الى فرد بنند وصار له فيهما نفوذ وشوكة زائدة وفى سنة ١٥٠٤ بعد الميلاد ماتت الملكة ازابلا وأزيل غطاء حب النفس والازدراء من فرد بنند وتزوجت بوانه بنت فرد بنند وتزوجت ازابلا فيليب ارشيدوق أوستريا ابن الامبراطور مكسميليان ومريم البورغندية فاستخلف فيليب بوانه بدل ازابلا فى قسطيلة وليون وبقى فرد بنند فى سلطنة ارغون والسيسيليتين ثم مات فيليب سنة ١٥٠٦ ولما اختل عقل بوانه صار فرد بنند مرة أخرى الحاكم الحالى على جميع اسبانيا وبقى شارلس بن بوانه تحت كفالة جده مكسميليان ثم ان الاجراآت التى أجراها فرد بنند من الاعمال فى ايطاليا وفرانسا اذ كرناها فى تاريخ هاتين المملكتين وفى نحو غلاق سلطنته كان له القدرة الكافية على زيادة ممالكه بواسطة فتحه مملكة نفاره الصغيرة وجعلها قسما من مملكة قسطيله واقتصر ملوك نفارة فى عيشهم من ابتداء هذا الوقت على مملكة بيرن فى الجهة الفرنساوية لجبال البرنات ومات فرد بنند فى سنة ١٥١٦ بعد الميلاد ثم ان شارلس بن فيليب الاوسترياني من بوانه الاسبانيولية تقلد فى سنة ١٥١٥ بعد الميلاد زمام حكومة الاقاليم الواطية التى ورثها عن أبيه وبمجرد موت جده فرد بنند ورث تاج اسبانيا والسيسيليتين لان أمه كان مقنوطا منها لخلل عقلها وفى سنة ١٥٢٠ لما مات جده مكسميليان (أبو أبيه) انتخب امبراطورا كما ذكرنا ذلك وحيث كان شارلس الاول ملك اسبانيا امبراطورا كان شارلس الخامس امبراطور جرمانيا وكان يعرف فى التاريخ بهذا الاسم وقد ذكرنا الوقائع والحوادث التى حصلت فى سلطنته سابقا فى الممالك المختصة بها ولم يبق علينا الا ذكر الحوادث المختصة بتاريخ اسبانيا

وذلك انه عند موت فرد بنند كان شارلس فى البلاد الواطية (الفلمنك) فأعلن فى الحال الوزير الاول الكردينال اكسمين علوكيته فى مدريد وبواسطة شهامة وصداقة هذا الوزير النبيل بلغ شارلس نواله بغير منازع ومع ذلك لم يزر شارلس اسبانيا الا فى فصل خريف سنة ١٥١٧ وأخذ معه جما غفيرا من الفلمنكيين فجعلوا أنفسهم معززين فى تلك البلاد بواسطة وقاحتهم وسلبهم أموال الناس فتجاسر الكردينال اكسمين وعرض للملك ماهم عليه من الاحوال فعزله من وظيفته وأمر هذا الملك الخائن بقتله وقدم شارلس أخلاءه الفلمنكيين فى الوظائف والدرجات السامية فى المملكة بغير تبصر حتى ان المدائن القسطيلية عرضت له انذارا بخصوص هذا المعنى فعاملهم بالغضب والحنق الشديد ثم ان أهالى اسبانيا تضرروا كثيرا من حصول التاج الملوكى لشارلس الا أن الاشراف اضطروا مع الجهد على أن ينحوا معانى بقاء سيادته الجديدة

وفى مدة غياب شارلس فى جرمانيا غزا (اندرو فووا كس) أحد أقارب ملك نفارة المخلوع قسما كبيرا من هذه المملكة وجعل نفسه سيدا عليه وفى هذا الوقت حصل للاسبانيين غضب من غياب شارلس عن اسبانيا وقاموا فى ثورة كبيرة واستحوذوا على الملكة بوانه المجنونة واجتهدوا فى أن يستعملوا حكمها على حسب أغراضهم فى طرد النواب المعينين من طرف الملك ثم ان مجلس سن القوانين عرض مذكرة على شارلس يطلب فيها أنه ينبغى له أن يستقر فى اسبانيا ويقيم فيها ولا يجوز له أن يعين فى أى

وظيفة مدنية كانت أوديانية أحدا من الاغراب وطلبوا منه أيضا أن يدعو جمعية أشراف نواب فى كل ثلاث سنوات مرة بالاقل ولا يجوز لأى عضو من هذه الجمعية أن يتناول أى مكافأة أو معاش من الملك وطلبوا اجراآت أخر مثل هذه الا أن الملك رفض جميع هذه الطلبات وانتشب من ذلك حرب داخلى كانت نتيجته ظفر الملك ونصرته وتم توطيد الحكومة الملوكية بعد تزعزعها

وانتفع شارلس من انمحاق هذه الفتنة باستقراره الدائمى فى اسبانيا وبمعاملته للعصاة باللين والحلم الزائد أكسب نفسه معزة عند رعيته واستحسن ملبوس ولغة وعوائد البلاد وأخرج الاغراب من الوظائف الكنائسية ووظائف الحكومة . وفى أثناء تكملته هذه الاجراآت على حسب المرغوب الاصلى لرعيته كان متحفظا على نفوذه وشوكته على حساب نفقتهم ومنع ثلاثة بيوت المجالس الاسبانية مجتمعين فى ثلاثة محلات منفصلة عن بعضها حتى منعهم من أن يحصل بينهم شغل مضادّله وأمر بعدم المعارضة والمجادلة الا بحضور ضابط نائب معين بمعرفته . وفى حالة التباين والمخالفة كان يعامل أهل اسبانيا بالتعطف . وكذا كانت معاملته للمسلمين الذين بقى منهم عدد عظيم فى اسبانيا وهؤلاء كانوا وعدوا وقت فتح غرناطه بالحرية فى اقامة شعائر ديانتهم ثم ان شارلس أخلف مواعيد وكفالة أسلافه وأمر المسلمين بأن يغيروا دينهم أو يتركوا المملكة وقفلت مساجدهم وضبطت مصاحفهم ولاجل حرمانهم من الوصول الى أفريقه قفل عليهم جميع المين ما عدا مينا فورونه الموجودة فى الطرف الشمالى لاسبانيا ثم بعد ذلك بقليل أصدر أمرا بان جميع الذين لم يبدلوا دينهم يجرى بيعهم بصفة الرقيق . وكان المسلمون مهذبين الاخلاق وأهل زراعة فكان أسيادهم الاسبانيون يحترمونهم . وهذا الامر الغير الموافق للانسانية أوقعهم فى اليأس وقطع العشم ونجح منهم فى الوصول الى افريقه نحو من مائة ألف نفس الا أن آخرين منهم استعدوا بالاسلحة فقتل منهم عدد عظيم والبعض منهم اختار ديانة المملكة ولسانها الا أنهم بعد هذا وصلوا الى أقصى درجات الذل مدة حياتهم ثم ان عنف وقسوة الملك ضربت نجاح مملكته ضربة شديدة وصل فيها فوز المسلمين الى درجة ممتازة

وفضل شارلس فى اسبانيا ثمان سنوات وفى أثناء هذه المدة كانت حروبه مع فرانسا فى ايطاليا جارية تدبيرها بواسطة قواده الماهرين . وفى سنة ١٥٢٩ توجه الى ايطاليا لفصل الاعمال فى تلك المملكة ولاجل تناول التاج الملوكى من البابا شرع بعد عوده من ايطاليا فى غزوة على الشهير باربروسه ملك الجزائر الذى تغلب على تونس وغمر جميع كورة البحر الابيض المتوسط بالخلوف والارعابات من لصوصه فطرد باربروسه من تونس وأعاد الملك الحقيقى لهذه المملكة الى محله وضايق لصوص البحر وسمح للمسيحيين فى اجراء شعائر ديانتهم وخلص الامبراطور ألوفا من الاسرى وأطعمهم وكساهم وأرسلهم ثانيا الى أوروبا وهذه الغزوة السامية رفعت درجة الامبراطور الى أقصى حالة فى أنحاء أوروبا وفى سنة ١٥٣٩ دخل أهالى البلاد الواطية الذين كان لهم قسم من الاملاك الاسبانية وكانوا ورثوها بواسطة شارلس من أبيه فى العصيان من كثرة زيادة الضرائب التى ضربت عليهم واستغاثوا بفرنسيس الاول فى مساعدتهم الا أن ملك الفرنساوية غشهم وأحالهم على الامبراطور وجعل لشارلس معبرا من ممالكه الى فلندره كما ذكرنا ذلك ودخل شارلس غنط مدينته الوطنية فى أول يناير سنة ١٥٤٠ فقابله أكابر المدينة وجثوا على ركبهم أمامه وسألوا الصفح عنهم فوجدوا أنهم باعوا أنفسهم لاستاذ لم يكن فى قلبه أدنى محل فيه صفح أو كرم فأمر الامبراطور بقطع رؤس عشرين من أكابر النواب وأما القسيس

القديم

القديم الموجود في سنت باوون المعلق في برجه الجرس الكبير ولاموا بيدت كافة التذكرات التى غام بها الفلامنكيون للمدافعة عن حقوقهم وألغيت الامتيازات التى كان يعود منها النفع على غنط وحولها الى امتيازات أنطورب

وفي أثناء هذه المدة أرعب أسطول باربارو سه مياه البحر الابيض المتوسط حتى ان الامبراطور في سنة ١٥٤١ شرع في غزوة ثانية على افريقة فغرق أسطوله وهزم بواسطة العواصف والطاعون وفي ديسمبر سنة ١٥٤١ عاد الى اسبانيا مع مابقي من آثار قوته الكبيرة فرفض أهالى اسبانيا بسبب انزعاجهم وتضررهم من قطاع البحر في بلادهم أن يمحوا شارلس مطاليب غزوته وعند رجوع الامبراطور صرف النظر عن جمع مجلس الاعيان وحيث انه لا يمكن الملك ولا النواب أن يرخصوا في أى عمل على الجهة الاخرى لاحدهم ابتدأ مرغوب الملك أن يكون قانونا فقط عاما في المملكة

ثم ان حوادث المدة الاخيرة من سلطنة شارلس المخصوصة بايطاليا وجرمانيا زيادة عن اسبانيا صار ذكرها في التاريخ المختص بهاتين المملكتين وفي سنة ١٥٥٥ ابتدأ نفوذ الامبراطور الذى كان متعبا من مدة طويلة لأن ينسحب من الحياة العمومية بسبب ما كابده من المصاعب فيما كان يلزمه التحفظ عليه والاعتناء به ومن تراكم الخذلان عليه ضعف حاله وتبلبل باله فدعا في هذه السنة ابنه فيليب الذى تزوج مريم ملكة انكلترة وأحسن عليه في جمعية عقدت في بروكسيل بملوكية البلاد الواطية والسبع عشرة ايالة التى أعطيت لفيليب تشمل دوقية (برابنط ـ ولمبورغ ـ ولوكسنبورغ وجلدير) وكونتات (ارطواز ـ وفلندره ـ وهينولط ـ ونامور ـ وظوطفين ـ وهولنده ـ وزيلنده ـ ومرغراوت انطوريب ـ وبارونيات مشلين ـ وأوطريخت ـ وفريسلند ـ وغرونغين) وقبل ذلك ببضعة أسابيع تنازل الامبراطور لولده فيليب عن تاج اسبانيا والسيسيليتين مع المستعمرات الاسبانية في آسيا وافريقة وأمريقة ثم سلمه التاج الملوكى بتعضيد أخيه فرديناندو وسافر شارلس من فلوشنغه الى اسبانيا وفيها دخل في ديرسنت يوسطى في اسطرامادوره ومات فيه في ٢١ سبتمبر سنة ١٥٥٨

وابتدأت سلطنة فيليب الثانى بحرب مع البابا كما تقدم ذكر ذلك وتشوش خاطره بالالام الشديدة بخصوص هذا الحرب حيث اعتبر أنه مجبور والحال وكان له تشوق كبير في الصلح وتزوج مريم ملكة انكلترة وقطن بضع سنين في تلك المملكة حتى صار فيها ممقوتا مبغوضا وكان الفرح له في عوده الى عالمه وقت ما دعاه أبوه اليه ولما دعته زوجته عزم على فراقها وفي سنة ١٥٥٧ زار انكلترة بقصد ادخالها معه في معاهدة في حربه مع فرانسا وطدز وجته على مقصده بكونه هددها بفراقها ان رفضت مساعدته وكان قائد جيشه (منو يل فيليبرت) دوق سافوى وكانت فائدة الحرب له وخسارته على انكلترة كما تقدم ذكره وفي أثناء حروب الامبراطور شارلس وكذا الحروب التى أجريت في مبادى سلطنة فيليب ظهرت عساكر المشاة الاسبانية في تنظامات جديدة بها صار واصر عين أنهم لا يغلبون ولا يقهرون وصارت الفتوحات الاسبانية في أمريقة ذات محصولات كبيرة تأتى الى المملكة والصحيح أنه كان يأتى منها الى اسبانيا محصولات وافرة وبهذه الثروة وقوة عساكرها صارت اسبانيا أقوى مملكة في أوروبا بمدة هذا القرن

وفي معاهدة (كاطوكبرى) تعهد ملكا فرانسا واسبانيا بواسطة مادة سرية بينهما في أخذ الاجراآت

الشديدة فى ازالة البدع الموجودة فى ممالكهما وكان فيليب رجلا عبوسا مقطب الوجه متكبرا وحشى الطباع عنده تعصب زائد كاثوليكيا وجعل أهالى اسبانيا لا تقرب ولا تمس النظامات السامية التى جعلت أوروبا فى شوكة قوية ثم ان المعاملات الدائمية التى كانت حاصلة بين اسبانيا وجرمانيا مدة سلطنة شارلس الخامس صيرت العقائد اللوثيرية معروفة جدا فى اسبانيا واختارها كثير من الناس وكانت التوراة مترجمة باللسان القسطيلى وموجودة على العموم فى بيوت الاشراف والمتوسطين من الاهالى فارتعب فيليب من ظهور هذه البدع وفى الحال اشتغل بهمة زائدة فى خلاص مملكته من هذه الضلالات وبواسطة ما أجراه من الظلم القاسى نجح فى ازالة التوراة والعقائد البروتستانتية من اسبانيا ثم حصل فى مخه ضربة فكر بها أعاد مملكته ثانيا الى الحالة الهمجية التى لم تعرها قبل ذلك أبدا وفى هذا الوقت جدد فيليب القسوة الشديدة التى كان يفعلها أبوه ضد المسلمين الذين تنصروا وبقوا فى اسبانيا وكانوا قاطنين فى (ألبوبارا) ويعرفون باسم موريسكوس ومع أنهم كانوا نصارى الا أنهم لم يزالوا على دينهم القديم وهو الاسلام وفى سنة ١٥٦٦ أصدر فيليب أمرا رسميا يختص بهم وهو أن لا يستعملوا السانهم الاصلى فيما بينهم من المخاطبات وأن لا يسموا ذراريهم مسلمين وان يرسلوا جميع أولادهم من عمر ثلاث سنوات الى خمس عشرة سنة الى المدارس الاسبانية وفى سنة ١٥٦٧ قطع المسلمون اليأس وحملوا السلاح وقتلوا جميع المسيحيين القاطنين معهم فى الكورة فاشتعل الحرب على فيليب بهذه الصورة ومكث أربع سنوات فى غاية من الفظاعة وأخيرا أباد جميع المسلمين وفى سنة ١٥٧١ انتهت حالة هذه الثورة ولم يحصل لفيليب فى البلاد الواطية نجاح تام فان مساعيه بخصوص تقوية الديانة الرومانية الكاثوليكية على الاهالى تكافأت عليه مصاريف جسيمة كما سنذكر ذلك فى باب آخر من هذا الكتاب ومعظم المبلغ المتحصل من ثروة المملكة جار صرفه على اسبانيا وبواسطته حصل الخراب والمتاعب على الاقاليم حتى بقيت فى حوزة المملكة الاسبانية وسنذكر حوادث الحروب بين اسبانيا والبلاد الواطية فى تاريخها

وفى سنة ١٥٨٠ خلا تخت البرتغال وادعاه عدة طلاب لانفسهم وكان أقوى هؤلاء شوكة فيليب ملك اسبانيا ثم صار تتويج (الدوم انطونيو) ابن أخى سبسطيان الملك الاخير بواسطة الحزب البورتكيزى فأرسل فيليب جيشا الى البرتغال تحت قيادة (دوق ألفا) فطرد الدوم انطونيو خارج المملكة وفتح البلاد وأرغم البورتكيز على الاعتراف لفيليب أنه ملكهم وساس الحرب بالعنف والقسوة كما كان يسوسه فى الاراضى الواطية وانتقلت المملكة مع المستعمرات البرتغالية فى برزيله وافريقه والهند الى يد فيليب

وفى صيف سنة ١٥٨٨ وجه فيليب ضد انكلتره الغزوة المعروفة باسم الاسطول الذى لا يقهر وقد ذكرنا عاقبة هذه الغزوة وكان يعتقد أن فتح انكلتره هو أول شئ يجب على هولنده السعى فيه وصرف مبالغ جسيمة فى استعداد الاسطول وتجهيزه وسببت له مساعيه الخائبة آلاما شديدة بما أنفقه من النقود وفى سنة ١٥٨٩ هجم الانكليز على لسبون وكسروا عددا عظيما من المراكب المشحونة بلوازم الارمادة الجديدة وفى سنة ١٥٩٥ اتحد الاسطول الانكليزى والاسطول الداتشى وهجموا على الاسطول الاسبانيولى فى مينة قاديس وكسروه وتغلبوا على المدينة وفى سنة ١٥٩٦ جمع فيليب ارمادة ثانية على الانكليز فتبدد شمل هذه الارمادة بواسطة الرياح العاصفة

وفى ١٣ سبتمبر سنة ١٥٩٨ مات فيليب الثانى بعد أن تسلطن اثنتين وأربعين سنة وورث من أبيه أعظم مملكة قوية فى الدنيا المسيحية وكان حاكما ماهرا الا أنه لم يفعل شيأ عادت منه المنفعة على مماليكه بل أوقع المصائب على رعيته وأزال الحرية والتمدن من اسبانيا وأعاد هذه البلاد وأغرقها فى أعماق بحور الجهالات التى كانت تبحث فى التخلص منها وخرب البرتغال وضيع الاقاليم الواطية بتشكيل جمهورية الدائش فيها وترك الذين يخلفونه فى حالة الفقر وما استحوذ عليه من الاموال الهندية والخزائن الاسبانيولية صارت عند موته مفلسة وبواسطة قسوته وفظاعته صار قبيحا ممقوتا عند عموم الدنيا ومن ضمن هذا بجه ابنه الاكبر (دون كارلوس) الذى أوقعه فى حالة الجنون وقتله والظاهر أنه كان ينشرح لضرر الناس واجتمع فيه التحزب الديانى والقسوة القلبية الا أنه كان النتيجة الشرعية لسياسة الفحص والتفتيش وخلفه ابنه الاصغر وجلس على التخت باسم فيليب الثالث وقد ذكرنا قسما عظيما من تاريخ اسبانيا مدة القرن السابع عشر فى تاريخ جرمانيا وفرانسا وانكلتره فلا نعيده هنا وفى مبادى سلطنة فيليب الثالث دخلت اسبانيا فى حالة الضعف بعد أن كانت فى يد الامبراطور شارلس الخامس فى أقصى درجات المجد والشوكة فان السياسة التعصبية التى أجراها فيليب الثانى نزعت منها منافعها العظيمة ووضعت فيها أساس خرابها ومع ذلك لم تزل عند موته مملكة شاسعة عظيمة وبقيت لخلفائه لاجل اتمام ماعمله فيها من الاشغال

واستمر فيليب الثالث على سياسة أبيه من الخراب والدمار وبعد مضى سنتين من جلوسه على التخت جلب المظالم على الموريسكوس التى كانت مستمرة فى سلطنة فيليب الثانى الى أن انتهت بكونه أصدر أوامر للموجودين على قيد الحياة بأن يسافروا من اسبانيا ومنع تصدير الذهب من المملكة وبذلك أرغم الاهالى المنحوسة على أن يتركوا القسم الاعظم من أملاكهم الذى امتلكوه بواسطة الحكومة وكان نفيهم جاريا مع الفظاعة العظمى وسافر الى نحو افريقة زيادة عن ١٣٠,٠٠٠ نفس ومات منهم زيادة عن ٩٥,٠٠٠ نفس فى الطريق من الجوع والعجز و ١٠٠,٠٠٠ آخرون توجهوا الى فرانسا الا أنه طلب منهم أن يبقوا فى المملكة على شرط أن يتدينوا بالديانة الرومانية الكاثوليكية فرفضوا أن يفعلوا ذلك فأمروا بالانسحاب من المملكة وبينما كانوا يبحثون عن الطريقة التى بها يتركون فرانسا مات منهم كثير على مين هذه المملكة ولم يخلص من هذا العدد الكبير الذى دخل فرانسا الا القليل وخساراتهم كانت شديدة جدا فى اسبانيا وجميع النواحى التى كان يتيسر الحصول منها على محصولات زراعية عظيمة فى المملكة صارت خامدة من الزراعة والمزارعين وضرب فلاحى المملكة ضربة قوية أماتته فى شهر مارث سنة ١٦٢١ وخلفه ابنه فيليب الرابع وكان عمره ست عشرة سنة وفى مدة هذا الملك الجديد الذى كان أعظم من أبيه وأفضل منه بكثير أسرع الاضمحلال والعجز فى اسبانيا والنصيب الذى أخذته اسبانيا فى حرب الثلاثين سنة قد ذكرناه آنفا ولم تكتسب شيأ من هذا الحرب فان جميع فوائدها القديمة أخذت منها غصبا كلما ثار الحرب وفى مدة القسم الاخير من الحرب انجبرت القوى الاسبانية على اخماد عصبة فى بلادهم وفى أثناء حرب سنة ١٦٣٩ و ١٦٤٠ سرت فتنة الجيش الاسبانى فى ناحية بسكى وقطالونيا وأوقعت هذين الايالتين فى الثورة فأرسل جيش مؤلف من ٢٠,٠٠٠ اسبانى لاطفائها وصار اجراء ذلك مع عدم الرحمة حتى ان العصاة بايعوا طاعتهم لفرنسا سنة ١٦٤١ وكانت بسكى وقطالونيا فى الابتداء تابعة لمملكة فرانسا فاشتعل الحرب

مع فرانسا الى سنة ١٦٥٩ وانقفل بالصلح المسمى صلح البرنات وانجبرت اسبانيا على أن تتنازل لفرانسا عن روسيلون وعملكة اوطواز ولم تزل مستحوذة على مملكة السيسيليتين ودوقية ميلان ومملكة برغندى والجهة الجنوبية من البلاد الواطية وصار الاتفاق فى هذه المعاهدة على زواج مريم تريسة الصغيرة للويز الرابع عشر ملك فرانسا

ولحد مبادى الحرب مع فرانسا لم تزل اسبانيا مستحوذة على البرتغال الذى تغلب عليه فيليب الثانى فى القرن المتقدم كما ذكرنا وفى ظرف ستين سنة انهشمت هذه المملكة الصغيرة بما حصل لها من ظلم اسبانيا وجبروتها ابتداء قيام ثورة القطلونيانيين صدر أمر العساكر البورتكيزية بالاغارة على الثائرين وبدل أن يحصل من العساكر الطاعة فيما أمروا به هجموا على القوى الاسبانية فى بلادهم وهزموهم وأعلن دوق براغنزه بانه ملك تحت اسم يوحنا الرابع سنة ١٦٤٠ بعد الميلاد ثم ان جميع المستعمرات البورتكيزية ماعدا مستعمرة سبتة فى افريقة طردوا المحافظين الاسبانيين من عندهم وجددوا بيعتهم لأمير بلادهم وبهذا كان توطيد استقلالية البرتغال ثانيا ولحد الآن لم تزل بيت براغنزه على تخت هذه المملكة وفرع منه هو العائلة المتسلطنة فى برزيله

وفى سنة ١٦٤٧ ثارت نابولى الا أنها أرغمت على الانقياد لاسبانيا فى السنة التالية وبهذه الثورة وما حصل من الجد والسعى العظيم كانت النتيجة بما حصل من حروب مكثت ثلاثين سنة ارغام فيليب الرابع على عمل صلح مع اتحاد البلاد الواطية وفى يناير سنة ١٦٤٨ وقعت اسبانيا على معاهدة مع السبعة أقاليم الشمالية للبلاد الواطية تتضمن جمهورية الداتش وفيها اعترفت لهم بالحرية والاستقلال وأعطتهم مدائن داتش فلندره وفتوحات هولنده فى آسيا وافريقة وأمريقة ولم يعد من معاهدة وستفاليا منفعة على استتباب الامن والصلح بين اسبانيا وفرانسا وصار الحرب بين هاتين المملكتين على ما كان عليه كما ذكرنا ذلك الى سنة ١٦٥٩ وقفل بصلح البرنات وأدرجت وقائع هذه الحرب جميعها فى تاريخ فرانسا وبهذه المعاهدة سلبت اسبانيا الرسوم الاخيرة لسيادتها التى كانت متمتعة بها فى الاعمال الاوروباوية من أيام شارلس الخامس

ومات فيليب الرابع فى سنة ١٦٦٥ وخلفه ابنه شارلس الثانى وحيث ان شارلس هو ابن فيليب الرابع وبواسطة زواج لويز الرابع عشر ملك فرانسا بابنت فيليب طلبت الاراضى الواطية الاسبانية من حقوقها وبهذا اشتعل حرب جديد بين فرانسا واسبانيا يعرف بالحرب الاسبانى الوراثى وقد ذكرت وقائعه فى تاريخ فرانسا فى هذه المدة وفيما عدا هذا الحرب كانت سلطنة شارلس خالية الوقائع

ثم ان معاهدة أوطريخت سلبت من اسبانيا مستعمراتها الايطاليانية والاراضى الواطية الاسبانية وانتقلت الى البيت الاوستريانى وتنازلت عن جبل طارق ومينورقه الى الانكليز وبقيت اسبانيا والبرتغال فى حدودهما الاصلية ثم ان اسبانيا وان انسلب منها اعظمها الا أنها لم تزل مرعية أنها دولة عظيمة القوة ومستعمراتها الامريكانية تصب فى داخل خزائنها أنهارا من الاموال بغير انقطاع ومعادن نفيسة تبلغ قيمتها نحو من ٢٠٠٠٠٠٠٠ دولار تصدر سنويا الى اسبانيا من أمريكا ومحصولات أمريكة الوسطى والهند الغربى والمكسيكو وأمريكة الجنوبية تجد طريقها الى أسواق أوروبا من المين الاسبانية فقط ويرسل فى كل سنة مرة واحدة أسطول من اسبانيا الى مين (قرطاجنه — وبورت بلو — وفيرا كروز) ويعود محملا بمحصولات المستعمرات وتوجد بيوت تجارية قليلة فى

أما المملكة تضبط هذه التجارة العريضة وعلى حسب قوانين المملكة لايمكن لمركب أجنبية أن تدخل في مينة أي مستعمرة اسبانية بقصد التجارة ماعدا مرة واحدة في السنة فانه يصرح فيها المركب انكليزية أن تأتي في مينة بلو وهذه الاجرا آت الحاصل منها حصر التجارة والمضايقة عليها تسبب منها تهريب بضاعات وتجارات شاسعة وتحت مياه الهند الغربي باللصوص وقطاع طرق البحر

وكان فيليب الخامس ضيق الفكر متعصبا بامثل سلفه ووضع نفسه تحت أيدي اليسوعيين (الجزويت) وفي مدة سلطنته مات ٢٣٤٦ شخص بالحرق محبة في دينهم وكان فيليب يؤمل خلافة مملكة فرانسا عند موت لويز الخامس عشر بما أن صحته كانت في غاية الضعف وفي سنة ١٧٢٣ اعتقد أن حياته انتهت فتنازل عن التاج الاسباني لابنه الاكبر الدون لويز فنشي ملك فرانسا على حين غفلة من مرضه ومات الدون لويز فاستحصل فيليب على التاج الاسباني وكانت خطبت بنته الى لويز الخامس عشر وأرسلت الى فرانسا للاقامة بها كما ذكرنا ذلك ثم صار ارسالها ثانيا الى مدريد وتزوج لويز الخامس عشر (مريم اليزبكسينية)

وفي الحرب البولندي الوراثي ضبط فيليب نابولي وسيسليا وبهذا صار مبغوضا عند ملك أوستريا وأحسن بهما على الدون كرلوس ابنه الاكبر من زوجته الثانية اليزابث صاحبة بارمة وصار ملكا تحت اسم شارلس الثالث وبه ابتدأت السلطنة البوربونية الاسبانية في نابولي

وفي الحرب الاوستريانى الوراثي كان فيليب محالفا لفرانسا كما ذكرنا ذلك ولم يحصل لاسبانيا ظفر في هذا الحرب ومات فيليب فجأة في سنة ١٧٤٥ وخلفه ابنه فرديننذ السادس فانسحب من المعاهدة وترك ايطاليا الشمالية الى الاوستريانيين ولم تكتسب اسبانيا أدنى فائدة من هذا الحرب ولم يتداخل فرديننذ في الاعمال الاوروباوية مدة سلطنته ومات في سنة ١٧٥٩ وخلفه أخوه شارلس الثالث فتنازل عن تاج السيسيليتين لابنه الثالث الذي تلقب باسم فرديننذ الرابع وجدد شارلس المعاهدة مع فرانسا وعائلة ثانية ربطت وثاق فرانسا واسبانيا ببعضهما فاتفقت اسبانيا على اعلان الحرب ضد انكلترة في مايو سنة ١٧٦٢ مالم يصر عقد صلح بينهم وصار ارسال جيش اسبانى الى الحد البورتكيزى وأمروا هذه المملكة برفض المعاهدة الانكليزية من أجل المعاهدة البوربونية فأعلن ملك البورتكيز في الحال بالحرب على اسبانيا وفرانسا ودعا انكلترة لمساعدته فأرسل أسطول انكليزى وجيش جرمانى وانكليزى لمساعدته فطرد العساكر الاسبانية من البرتغال ثم أغار المتحالفون على اسبانيا وتغلبوا على عدة مدائن لاخذ الثار وعلى الجهات المقابلة لذلك من الدنيا وتغلب الاسطول الانكليزى على هفانه في (كوبا – ومانلا – وجزائر فيليبين)

وفي سنة ١٧٧٩ أعلنت اسبانيا بالحرب على الانكليز بالمعاهدة مع فرانسا واجتهدت اجتهادات كبيرة في استرداد جبل طارق وهذا الموقع محفوظ من مدة ثلاث سنوات وسبعة أشهر بعساكر محافظين انكليزية تحت قيادة (الجنرال اليوط) ضد مايجرى من أنواع الهجوم ومواجهة الاحوال الصعبة الخارقة للعادة وفي أثناء هذه المدة هزم الاميرال رودنى أسطولا اسبانيا ذا قوة كبيرة في نواحي رأس سنت فنسنت ثم عقد الصلح بين اسبانيا وفرانسا والممالك المتحدة وانكلترة وصار التوقيع على شروطه في باريس في ٣ سبتمبر سنة ١٧٨٣ فأخذت اسبانيا مينورقه وفلوريدا الا أنها لم يمكنها أن تسترد جبل طارق ولو بالنقود ومات شارلس الثالث في سنة ١٧٨٨ وخلفه ابنه شارلس الرابع وفي سنة ١٧٩١ انضم ملك

اسبانيا الى الحركة العمومية الاوروباوية فى مساعدة خلع العائلة الملوكية الفرنساوية ورجوع الحكومة البوربونية لهذه المملكة وفى سنة ١٧٩٣ أعلن الاتحاد بالحرب على اسبانيا الا أنه بعوت سىء البخت الشاب لويز السابع عشر فتح طريق الصلح بين اسبانيا وفرانسا وصار التوقيع على معاهدة بين هاتين المملكتين فى يوليه سنة ١٧٩٥ كما تقدم ذكر ذلك وجرت هذه المعاهدة بسعى انجل غودوى وكان خسيسا فاجرا منهمكا فى المحارم وأخذ اللقب العالى وهو برنس الصلح وفى أغسطس سنة ١٧٩٦ صار التوقيع على معاهدة (صان الدفونسو) بين فرانسا واسبانيا وجعلت واردات اسبانيا لمصالح دولة فرانسا فى الحرب مع الانكليز ثم ان غودوى لأجل توطيد المعروف الذى حصل له منه زيادة راتب معاشه جعل جميع أعمال اسبانيا فى مصالح فرانسا ونال النفوذ الاسبانى بحب البرتغال من التحزب ضد فرانسا وصار غلاق القرن بما حصل من هذه الاجراآت والمواد وقد ذكرنا تاريخ اسبانيا من ابتداء فتوح القرن الى سقوط نابليون فى سنة ١٨١٥ فى تاريخ فرانسا فلا لزوم لاعادته هنا وبمجرد عود الصلح فى سنة ١٨١٥ عاد فرديناند السابع الى تخت أبيه فأعاد فى الحال الفحص والاديرة التى أبطلتها فرانسا وأعاد الظلم والجور فى صورته القبيحة ورأت أهالى اسبانيا أن جميع ما أجروه من الحروب ضد نابليون عاد عليهم بضياع حريتهم ووقوع الظلم عليهم

ثم ان المستعمرات الاسبانية فى أمريقه تشجعت بالاقاليم المتحدة وجرت على مثالها ورفضت طاعتها لاسبانيا سنة ١٨١٠ بمجرد سقوط فرديناند وأعلنت هذه المستعمرات باستقلاليتها وبمجرد عود فرديناند الى تخته اشتغل باسترداد هذه المستعمرات فاجتهد كثيرا وصرف النقود الجمة لاجل التغلب عليها ثانيا الا أنه ضاع سعيه وخاب أمله وانتهت حالة المملكة الاسبانية الموجودة فى القارة الامريكانية وأضعف الحرب مع المستعمرات الخزائن الاسبانية وترك الجيوش بغير صرف رواتب وجعلهم على شرف العصيان وأغضب الاهالى وكانت نتيجة ذلك حصول التعصب فى سنة ١٨٢٠ فاتجبر فرديناند على ابطال الفحص والاديرة وأعاد نظام الحرية لسنة ١٨١٢ ثم تداخل الاتحاد المقدس وطلب ابطال هذا النظام ورجوع الحكم المطلق المستبد فرفض مجلس اسبانيا تتمة هذا الطلب فصار غزو اسبانيا سنة ١٨٢٣ بواسطة جيش فرنساوى تحت قيادة (الدوق انغوليم) فهزموا أحزاب الحرية فى كل جهة وتغلبوا على قاديس وهى معقلهم الاخير فى سنة ١٨٢٣ وأعيد فرديناند السابع الى حكمه المطلق فتتبع طريقة الانتقام من أعدائه واجتهد القواد الفرنساوية فى أن يحولوه الى معاملة حرية فلم يسمع لهم وأصم أذنه عن كلامهم وعاقب زعماء حرب الحرية خين وقعوا فى شوكته مع القسوة الوحشية وبهذا حصل الغضب والالم الزائد لرجال اسبانيا حتى ان فرديناند كان جلوسه على التخت بمساعدة العساكر الفرنساوية الذين بقوا فى اسبانيا سبع سنوات

ومات فرديناند فى سنة ١٨٣٣ تاركا بنتين كان عمر الكبرى منهما ثلاث سنوات فقط وفى سبتمبر سنة ١٨٣٠ عمل رخصة فسخ بها القانون المصرح للنساء بالتخت الاسبانى وعند موته أبرز أخوه الدون كرلوس ورقة موقعا عليها من فرديناند بالرخصة المتقدمة وقدمها الدون كرلوس لمساعدته فى طلب التاج لنفسه فانقسمت اسبانيا فى الحال الى حزبين وهما حزب الاحرار الذين عضدوا نيابة أم الملكة (كرستينا نابولى) والكارليست أو حزب الدون كرلوس واختارت انكلترة وفرانسا الحزب الاول واختار البابا والدول الشمالية توطيد الدون كرلوس واشتبك من ذلك حرب داخلى انتصر فيه حزب الاحرار

اخيرا

أخيرا وبايعوا الملكة الشابة ازابلا الثانية واعترفوا بطاعتها ومع ذلك استمر الدون كرلوس فى الحرب الى سنة ١٨٤٠ وأخيرا انكسر وانجبر على ترك الحرب

وتشكل حزب كبير يرغب فى تزوج الملكة الشابة بابن عمها (الكونت منطمولين) بن الدون كرلوس ووارثه وهو اتحاد اجتمع فيه طلاب التاج وأعيد الصلح والامن فى اسبانيا ومع ذلك عارضت فرانسا وانكلترة هذا الجمع وعزم لويز فيليب كما ذكرنا على أن يجعل زواج الملكة ازابلا طريقة لتقوية عائلته ونجح فى تحريضها على زواج ابن عمها الدون فرنسيسكو دا كم أسيس وفى هذا الوقت زوج ابنه الاصغر وهو (الدوق مونطبنسيير) بالبرنسيسة مريم لويزة أخت الملكة ازابلا التى من شدة خداعها أضمرت أن تقتل أختها وهذا المشروع الخداعى المخصوص بحب ملك فرانسا نفسه نتج منه كما شاهدنا مضار أكثر من النفع للملك أوراليان

وفى سنة ١٨٤٣ بلغت الملكة ازابلا حالة النساء ومن هذا الوقت صارت اسبانيا محكومة أشبه بمملكة نظامية ثم ان هذه الملكة التى صارت امرأة بحالة قبيحة اشتهرت بها وفضحتها ما كان لها الا اشتراك قليل فى تعاطى أشغال الحكومة وكان تدبير أشغال الحكومة بواسطة أخلائها وقوادها المكرمين عندها وكانت نتيجة ذلك أن صارت المملكة فى حروب داخلية على الدوام وفى سنة ١٨٦٨ صار (غونزاليس براقو) رئيس الوزارة فأمر بالقبض على سبعة من زعماء قواد الجيش ونفيهم وعلى الدوق ودوقة مونطبنسيير وليتذكر القارئ أن الدوقة الاخيرة هى أخت الملكة وكان لكل واحد من القواد المنفيين أحباب فى الجيش فنشأ من ذلك قيام فتنة فى الحال فانهزمت جيوش الملكة وطردت هى نفسها من اسبانيا فالتجأت الى فرانسا وكانت آخر العائلة البربونية فى اسبانيا وصار تنصيب حكومة مؤقتة فى مدريد مع (المارشال سرانو) أحد القواد المنفيين رئيسا على هذه الحكومة الوقتية

وانقسمت المملكة المنحوسة الطالع مرة أخرى على حسب هيئة الحكومة المختارة وهو صنف صغير زراعى أراد تنصيب جمهورية ورغب معظم الامة فى تنصيب ملوكية نظامية ثم ان الدوق كرلوس حفيد خال الملكة المسمى الدون كرلوس أيضا أعلن نفسه بالملك باسم شارلس السابع وعضده جم غفير من الامة وفى شهر يونيه سنة ١٨٧٠ تنازلت الملكة ازابلا عن التاج لابنها برنس أوستريا وكان عمره احدى عشرة سنة وعضدته الحكومة الفرنساوية بقصد أن يجعل لها نفوذا فى اسبانيا ومع ذلك رفضت الامة الاسبانية قبوله ثم عرض التاج على ملك البرتغال فعجز عنه لنفسه ولاخيه ثم ان (الجنرال بريم) الذى صار حاكما ذا شهامة فى الحكومة الاسبانية انتخب البرنس (فريدريق حوحنزولرن سيمارنغين) وهو قريب ملك البروسيا من مسافة بعيدة فضعف هذا الانتخاب بواسطة البرنس فريدريق فى صيف سنة ١٨٧٠ فانتقل الانتخاب الى أخيه الاصغر البرنس ليوبولد فجعلت الحكومة الفرنساوية هذا الانتخاب كما شاهدنا سابقا حجة فى الحرب مع بروسيا وبناء على ذلك رفض البرنس ليوبولد الدعوة الاسبانية ثم بعد هذا عرض التاج الاسبانى على (أماديو دوق أووسطه) بن الفكتور منويل ملك ايطاليا فقبله لنفسه وكان انتخابه فى الابتداء بواسطة المجلس الاسبانى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٠ وبعد مضى أيام قليلة سافر الى اسبانيا ونزل فى قرطاجنه ثم ان الاعياد والمسرات المنتظرة حضوره انتهت بذبح الجنرال بريم أعقل وأحسن رجال السياسة الاسبانية فى ذلك الوقت وكان ذلك فى ٢٩ ديسمبر وفى ٣٠ الشهر صار تتويج الملك (أماديو) ورغب فى وضع القوانين والشرائع الحرة الكافلة

بالحكومة المدنيـة والديانة الحرة فى المملكة للامة ولم يجد أماد يوتحته شيأ الافرشامن الورد فأما حزب الحرية فانه لم يزل يرغب فى تغيـيرات كبيرة وأما أتباع الدون كرلوس فانهم بواسطة الدسائس القبيحة التى كانت تجـريها القسس كانوا يدبرون فى قلب الملوكيـة الحرة وفى ابريل سـنة ١٨٧٢ قام الكارليست وفتحوا باب العصيان فى الاقاليم الشمالية وفى ١٩ يوليه من هذه السنة عزموا على ذبح الملك والملكة فغضب غضبا شـديدا على رعيته وتنازل امادیو عن تاجـه فى ١١ فبراير سنة ١٨٧٣ وأعقبـ خلعه الاعلان بتنصيب جمهورية وفى سنة ١٨٧٥ دخلت المملكة بواسطة هذه الجمهورية فى حكومة ملوكية تحت الفنسو البرنس الاصغر لاوسترياوهو الملك الحالى المتولى

وفى سنة ١٨٦٨ انفجرت ثورة فى كوبا وأعلن الحزب الوطنى باستقلاليته من اسبانيا ورتب جمهورية ومازال الحرب الى سنة ١٨٧٧ سائرا مع البطء وخاب الوطنيون فى مسعاهم ولم ينالوا الاجزأ صغيرا من الجزيرة ﴿ والى هنا تم تاريخ اسبانيا ﴾

(الكتاب السابع والعشرون)

﴿ تاريخ البرتغـال ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتـداء الازمنة القـديمة الى الايام الحاضرة ﴾

الوضع الجغرافى للبرتغـال ـ سكانها القديمة ـ فتحها بالرومانيين ـ فتحها بالعرب ـ استردادها بالمسيحيين ـ قيامها الى مملكة ـ أصل اسم البرتغال ـ صانكو الاول وجعلـه البرتغال مملكة ـ سلطنة الفنسو الثانى ودنيس الاول ـ الفنسو الرابـع ـ ذبح انيس كسترو ـ غضب الدوم بدرو ـ سلطنة بدرو الاول ـ فرنندو الاول ـ سلطنة يوام الاول ـ فتوحاته فى افريقه ـ المشروعات البحرية والاستـكشافات البرتـكيزية ـ سلطنة الفنسو الخامس ـ قيام الدوم بدرو الى العصيان ـ يوام الثانى ـ سلطنته الكبرى ـ نظاماته وقوانينه ـ خيبة الثورات ضـده ـ نجاح البرتغال ـ تضاعف رأس عشم الخير ـ منويل ـ وجود البورتـكيز فى الهنـد ـ أملاكهـم وشوكتهم فى الشرق ـ استكشاف برزيله ـ يوام الثالث ـ استعمار برزيله ـ سبصطيان ـ غزوه أفريقه ـ هزيمته وذبحه ـ سلطنة الدوم هنرى ـ تغلب فيليب الثانى ملك اسبانيا على البرتغال ـ ضعف المملكة تحت الحكم الاسـبانى ـ ثورة سنة ١٦٤٠ ـ تنصيب الدوق براغنزه ملكا ـ الحرب مع اسبانيا ـ الفنسو السادس ـ واقعة فيلاو يـبوزه ـ المعاهدة مع انكلتره ـ سلطنة بدرو الثانى ويوام الخامس ـ سلطنة مريا ـ نيابة الدوم يوام ـ اعلانه بالحرب ضـد الجمهورية الفرنساوية ـ هجوم نابليون على البرتغـال ـ هربه من ديوان المدينة الى برزيله ـ حرب البحيث جزيرة ـ يوام السادس ـ ثورة سنة ١٨٢٠ ـ رجوع الملك ـ مريا جلوريا ـ استقلال برزيله ـ سلطنة بدرو الخامس ولويز الاول

البرتغال منحصرة فى القطعة الموجودة فى آخر الجهة الغربية من بحيث الجزيرة الايريانية الاوروباوية وهى محـدودة من جهـة الشمـال ومن جهـة الشرق باسبانيا ومن جهـة الجنوب والغرب بالمحيط

الاطلنطيقى

الاطلنطيق وواقعة بين عرض ٥٧َ و ٣٦° وكذا ٨َ و ٤٢° شمالا وطولا من ٢َ ١ و ٦° الى ٣٢َ و ٩° غربا وطولها الاعظم من الشمال الى الجنوب ٣٦٦ ميلا وعرضها الاكبر من الشرق الى الغرب ١٣٧ ميلا وعرضها العمومى ١٠٠ ميل فتكون مساحتها ٣٤,٥٠٠ ميل مسطح ومساحة جزيرة أسورة وجزيرة مادره المشكلين قسما من المملكة مساحتهما ١,٢٣٦ ميل مسطح بضم ذلك الى المساحة الكلية للمملكة وعدد سكان البرتغال الاصلية ٤,٢٩٨,٨٨١ نفس واذا أضيف الى ذلك عدد سكان جزيرة أسورة وجزيرة مادره كان عدد سكان المملكة ٤,٦٧٧,٥٦٢ وكانت البرتغال مسكونة فى الاصل بقبائل الصلط وكانت تنقل بواسطتهم فى الازمان القديمة التجارات النافعة الى الفنيقيين والقرطاجنيين والجريق ويعرف الرومانيون هذه المملكة باسم لوسيطانيا من اسم قبيلتها الكبرى المسماة لوسيطانى وقد ذكرنا فيما سبق فى تاريخ رومة قهر لوسيطانيا بواسطة الرومانيين ولم يتم هذا الخضوع الا فى نحو سنة ١٤٠ بعد الميلاد وبقيت كما ذكرنا اقليما رومانيا الى القرن الخامس من التاريخ المسيحى حتى ضبطها العلنس وقت اغارة الجرمان المتبربرين فى بحيث جزيرة اسبانيا وبناء عليه انتقلت الى يد الويسيغوطيين فجعلوها قسما من مملكتهم ولما سقطت المملكة الغوطية فى القرن الثامن فتح العرب لوسيطانيا ومكثت تحت أيديهم زيادة عن مائتى سنة وحيث ان مملكة ليون وقسطيله أخذت فى القوة ضايق المسيحيون كما شاهدنا المسلمين وجبروهم على التقهقر خلفهم وقريبا من غلاق القرن الحادى عشر استرد الفنسو السادس ملك ليون وقسطيله قسما عظيما من لوسيطانيه من يد المسلمين وضبطه ضبطا محكما ضدهم وفى سنة ١٠٩٥ بعد الميلاد أعطى الفنسو المملكة المحصورة بين المنهو والدور لهنرى بورغندى زوج بنته ولقبه بلقب كونت برتغال من (برتوقال) وهو الاسم القديم لمدينة أوبورتو ثم ان هنرى جعل (غيمريانه) عاصمته ومد مملكته بواسطة حروب شديدة عنيفة الى الجهة الجنوبية على نفقة العرب

ومات هنرى فى سنة ١١١٢ وخلفه ابنه (الفنسو هنريقيط) فاكتسب هو أيضا مظفرات عظيمة على المسلمين وفى سنة ١١٣٩ هزمهم فى واقعة أوريق الكبيرة بالقرب من طاغوس ثم لقب نفسه باللقب الملوكى وصعد على التخت باسم الفنسو الاول وبهذا صار تأسيس مملكة البرتغال واعترف بلقب الفنسو ملك ليون وقسطيله وتأيد بواسطة البابا واستمر فى حروباته ضد المسلمين وفى ٢٥ اقطوبر سنة ١١٤٧ تغلب على لسبون بواسطة الهجوم بالقوة ومد حكمه على نصف المملكة الاخيرة البرتغالية ووضع مع الظفر التام أساسات عظم وشماخة مملكته وفى سنة ١١٤٣ جمع مجلس الامرى فى (لاميغو) فنشر قانون الشرائع الابتدائى فى المملكة ومات سنة ١١٨٥

وصار صانكو الاول ملكا بعد موت أبيه واستمر فى حروباته مع المسلمين وفاز بامتداد مملكته الى ما هى عليه الآن من السعة ونقل عاصمته فى قومبره وأوصل البرتغال الى أقصى درجة من الفلاح والشوكة ولما مات فى سنة ١٢١١ خلفه ابنه الفنسو الثانى وأعظم الوقائع التى حصلت فى سلطنته الحرب مع ليون وقسطيله وحصل له فيه مصاعب مختلفة ومات فى سنة ١٢٢٣ وخلفه ابنه صانكو الثانى فبعد أن اكتسب عدة مظفرات على المسلمين وفتح قسما عظيما من الفرقى وهو الطرف الاخير من البرتغال اشتبك فى منازعة مع الكنيسة ولم يتردد أبدا فى أخذه وعطائه مع القسيس الاكليريق وضبط محصولاتهم وأملاكهم من غير تأسف وعين أخلاء فى الوظائف الخالية فى الكنيسة وعزل

بواسطة مجلس ليون فى سنة ١٢٤٥ فتوجه الى قسطيله ومات فيها وخلفه أخوه الفنسو الثالث ففتح الغرفى وأضافه الى ممالكه وجلب على نفسه توبيخ الكنيسة بزواجه امرأة ثانية مع وجود زوجته الاولى على قيد الحياة ونشر البابا اسكندر الرابع اعلانا بان الزواج الثانى غير شرعى ولما ماتت الملكة استحصل على منشور من البابا بان الزواج الثانى شرعى وخلص مما حل به ومات الفنسو فى سنة ١٢٧٩

ثم ان دنيس الاول ابن الفنسو ورث التاج وفى الحال صار مثل أسلافه فاشتبك فى منازعة مع الكنيسة الا أنه قوى أشغاله مع البابا على شروط نافعة له وكان أحد ملوك البورتكيز الكبار وأسس زيادة عن أربعين مدينة وكان صديقا للمعارف والمكابدة على الاعمال والتجارات والصنائع وابتدأ للبرتغال فى تجهيزات سير الملاحة والمشروعات التجارية التى صيرتها فى غاية من الشهرة والثروة مع الغيرة التامة فى نشر العدل وجمع بين السخاء والكرم الملوكى الحقيقى وسعة العقل الحقيقى للفهم والادراك ولقبته رعيته بأنه أبو مملكته ومات فى سنة ١٣٢٥ وخلفه ابنه الفنسو الرابع ولقب بالشجاع وكانت سلطنته غير مهمة الا بخصوص الحرب فانه أجراها مع الفنسو ملك قسطيله لاجل البطش باخته بما فعلته من الخطايا وكانت زوجة ملك قسطيلة

وفعل (بدرو) بن ملك البورتكيز ووارثه جريمة تختص (باينس كسترو) وهى ست من سراياته ولما خاف الفنسو من أن بدرو ربما يتزوج اينس بعد موت زوجته أمر اينس أن تشيد جرن المعمودية لابن بدرو وبهذا جبرها على أن تدعى أنها قريبة جد البدرو وأنه لا يجوز له زواجها فلم يلتفت بدرو الى ذلك وبعد موت زوجته تزوج اينس فى السر فى أول ينار سنة ١٣٥٤ فولدت له أربعة أولاد ولما سأله أبوه عن ذلك جحد (بدرو) الزواج الا انه رفض أن يترك اينس أو يتزوج بها ثانيا فخشى الفنسو من أن ولوع بدرو باينس ربما ينسبب منه ترك ابنه من زوجته الاولى الوارث له فى الحقيقة من أجل خاطر أحد أولاده من اينس فشاور حواشيه فى ذلك وكان فى قلوبهم غيرة من اكرام بدرو للكستروبين فأشار وابقتلها فرضى بذلك كرها فعلمت الملكة ورئيس أساقفة براغة بما يحصل من الشناعة وأنذرا بدرو بذلك الا أنه لم ينظر لما قالاه لانه لا يعتقد أن أباه يتصور مثل هذه الجرائم الشنيعة وبعد مضى عدة شهور بينما كان بدرو غائبا فى الصيد والقنص اذ توجه الفنسو الى دير سنت كلير فى قوامبره وكانت اينس قاطنة فيه لاجل أن يضع عزمه المهول موضع العمل الا ان انسكاب عبرات الشابة الجميلة اينس ونظره الى أولادها الصغار وهم أولاد ابنه حركاه الى الرجوع عن أذاها وبعد ذهابه من عندها لامه حواشيه على ما حصل منه من الرجوع عما عزم عليه وأخذوا منه أمرا بتنفيذ هذا العمل بأنفسهم فذهبوا فى الحال الى الدير وقتلوا اسيئة البخت اينس بخناجرهم ورجع بدرو من صيده بعد وقوع الذبح بمدة قليلة فتكدر لما علم بهذا القتل الوحشى الهمجى الذى حصل لزوجته وحيث انه لا يمكنه أخذ الثار من القاتلين بما أنهم كانوا تحت حماية أبيه خرب بالنار والسيف الاقاليم التى كانت فيها أملاكهم فارتعب الفنسو من هذه الفتنة واجتهد فى مصالحة ابنه ومع أنه رفض عدم خلاص قاتلى اينس لكن اتفق معه على نفيهم من المملكة فى مقابلة الصلح ثم ان بدرو رضى بالصلح والمسالمة وأبقى تتميم أخذ ثاره الى أن يصير ملكا ومات الفنسو فى سنة ١٣٥٧

بعد

بعد قتل اينس بسنتين وكان سبب موته السريع على ما قيل كثرة حزنه من كونه أخذ نصيبا من هذه الحادثة المشؤمة المهلكة للانفس

وجلس بدرو الاول على التخت وطلب فى الحال من سميه بدرو الفظيع ملك قسطيلة أن يسلمه قاتلى اينس الذين التجؤا الى مملكته فى مقابلة تسليمه بعض الاشراف القسطيليانيين الذين التجؤا الى البرتغال وكان بدرو الفظيع متلهفا على وقوعهم فى قبضته وصار قبول ذلك بين الاثنين فهرب واحد من قاتلى اينس ونجا بنفسه وقبض على الاثنين الآخرين وسلما الى ملك البرتغال الذى قبض على الفارين القسطيليانيين وسلمهم الى ملكهم . واما ما حصل بدرو على ذبائحه قتلهم شر قتلة بعد العذاب الشديد الذى أوقعه عليهم بيده حتى شفى ما فى قلبه من الغل ثم أمر الملك أن يشهر زواجه باينس فأعلن جميع أقاليم المملكة مع التأكيد بان اينس كانت مستحقة الشرف والتعظيم الجارى عادة لنساء ملوك البرتغال ثم بعد ذلك أمر بدرو باخراج جثة زوجته من قبرها وادراجها فى الملابس الفاخرة الملوكية مع التاج والقضيب وأن توضع على تخت مزخرف شامخ فى كنيسة سنت كلير فى قوامبره ثم جلس الى جانب الجثة وجمل نوابه وقسسه على السجود لها وصار ينظر لكل أحد يقرب من الجثة ليرى هل وفى بما يجب عليه للملكة أم لا ثم بعد ذلك دفن اينس مع الطنطنة والابهة الملوكية فى كنيسة القوباسة

وامتدت سلطنة بدرو عشر سنوات أجرى فيها قوانين الادارة مع العبوس وعدم الرحمة وكان غيظه الاكبر متجها نحو هؤلاء الذين أسرفوا فى تجاوز الحدود التى عكرت على شبوبيته ومات فى سنة ١٣٦٧

وخلف فرنندو الاول أباه بدرو من زوجته الاولى وكان فظيعا فاجرا جبر أحد أشرافه على طلاق زوجته ثم تزوجها وكان فى سلطنته تحت سطوة هذه المرأة المنافقة فكان هذا الزواج سببا لبغض الامة له ثم إن سلطنة فرنندو وان كانت جميعها لاعبرة بها الا انه عمل أشياء طيبة مثل أحد الملوك وهو أنه قطع دابر اللصوص الذين يتسبب من وجودهم الاختلالات والاضطرابات فى بعض الاقاليم ومنع القسس والرهبان من وراثة الاراضى والاملاك بالوصايا التى كانت بينهم ونظم الحكومة المدنية وأصلحها وجعل للاسطول أعظم درجة مؤثرة فى القوة وأعاد أسوار قوامبره ولسبون وكان له بنت واحدة متزوجة بملك قسطيلة .

وأعقب موت فرنندو فى سنة ١٣٨٣ فترة خلا فيها التخت مدة سنتين وتمزقت فيهما المملكة بواسطة عنفوان الاحزاب المتنازعة وكانت نتيجة ذلك أن يوام (أويوحنا) الابن الغير شرعى لبدرو الاول من ست غالينيا التى كانت جعلت نفسها نائبة الحكومة ضبط الكرسى فى ٦ ابريل سنة ١٣٨٥ وأعلن بملوكيته تحت اسم يوام الاول

وكان يوام الاول رجلا عظيم المهارة مكار الارتياب فى شغله وأبطل اجتهادات ملك قسطيلة فى فتح البرتغال بدعوى أن التخت حق زوجته بما أنها ابنة فرنندو الاول ودبر مملكته بالعدل والنعمة التامة وعمل أعمالا بها قطع دابر اللصوص وتزوج فيليبه بنت دوق لانكستر الانكليزية فولدت له خمسة أولاد وعدة بنات ولاجل أن يجعل لهؤلاء الاولاد الفرصة فى امتيازهم شرع فى حرب على المسلمين الموجودين فى جهة أفريقة على بوغاز جبل طارق فأخذ مدينة (سبتة) الحصينة فى سنة ١٤١٥ . وكرر المسلمون اجتهاداتهم التى كانت على غير طائل فى استرداد المدينة فحال بينهم وبينها

المحافظون البورتكيزيون و بقيت هذه المدينة فى يد البرتغال حتى تغلب على المملكة فيليب الثانى ملك اسبانيا ولما صارت البرتغال من أملاك اسبانيا كانت مدينة سبتة كذلك ومات يوام الاول سنة ١٤٣٣

وفى سلطنة يوام الاول ابتدأ البورتكيز فى اجراآتهم المشهورة بالاستكشافات البحرية فان البرنس هنريق أوهنرى الابن الرابع للملك يوام فرغ نفسه للتقدم فى علم الملاحة وبنى رصدخانة بالقرب من رأس سنت فنسنت وجمع فيها رجاله الماهرين فى فن الهندسة والفلك من جميع الولايات وتخابر معهم فيما يختص بطريقة ايجاد مسلك الى الهند الشرقى بالسفر حول أعظم نقطة موجودة فى الجهة الجنوبية من افريقية وساعد مع الكرم الواسع الاجتهادات المتباينة التى عملت بخصوص الاستكشافات البحرية وأخيرا توجهت جميته الى اجراء ذلك بواسطة كونه كشف فى سنة ١٤١٩ جزائر مادره وأخيرا جزائر أسوره ورأس جزائر الورد وسواحل غينيا وقبل موته فى سنة ١٤٦٣ اندفعت الاستكشافات البورتكيزية الى خمس درجات من خط الاستواء ثم ان البابات بصفة أنهم ورثة القياصرة ادعوا أحقية التصرف فى جميع الجزائر والاراضى المستكشفة قريبا حتى ان أوغينيوس الرابع أنعم على ملك البرتغال بجميع الممالك الموجودة بين رأس نن والانديس

ثم جاء (ادوارد) بن يوام الى التخت بعد موت أبيه سنة ١٤٣٣ وكانت سلطنته خمس سنوات وشرع فيها فى حرب لاطائل تحته مع المسلمين فى افريقية وانكسر جيشه وأخذ أخوه الدوم فرنند وأسيرا وعامله المسلمون بالشدة والقسوة ومات بعد أن مكث فى الاسر سبع سنوات مما حل به من الآلام والمصاعب ومات ادوارد بالطاعون

وأعلن الفنسو الخامس ملوكيته عند موت أبيه فى سنة ١٤٣٨ وحيث كان قاصرا أعلنت أمه الملكة عليئورد بالنيابة عنه والوصاية عليه فطردها من هذه الوظيفة عم الملك الدوم بدرو وجبرها على التوجه الى قسطيلة وحكم بدرو المملكة مع العقل والنباهة مدة الثمان سنوات التى كان نائبا فيها ثم ان أهل اسبون أرادوا أن يقيموا تمثالا له شهرة شكرا على ما أجراه فأمرهم أن لا يفعلوا ذلك وفى سنة ١٤٤٦ لما بلغ الفنسو أربع عشرة سنة أشهر بلوغه مبالغ الرجال وأبقى عمه بدرو قائد زمام حكومة مملكته مدة تامن الزمن وتزوج بابنته ازابلا ثم ان أخلاء أفسدوا بينه وبين بدرو ونجحوا فى ذلك حتى صار الفنسو ينظر لابى زوجته بانه ألد الاعداء اليه ولما علم بدرو بذلك طلب الاستعفاء من منصبه والتوجه الى قوامبره بما أنها كانت دوقيته فنجح طلبه الا انه انزعج مما حصل من الوشاية عند الملك والملكة فعظم ذلك عند الملك وأمر بابقاء بدرو فى مقاطعاته وأمر رعيته بعدم مخاطبته والوصول اليه بأى حالة كانت وكان الدوق المشار اليه خاضعا الاشياء أخر قبيحة فانجبر أخيرا على حمل السلاح حيث تبين له من أعمال الملك معه أن مآل أمره اما الموت فى ميدان المحاربة أو صلبه وقطع رقبته فانهزم ما كان معه من القوة بواسطة الجيش الملوكى وصار قتله فى ميدان الواقعة وأمر الفنسو مع الغضب الشديد بعدم دفن جثته لكنها دفنت سرا بواسطة بعض الفلاحين و بعد مضى خمس سنوات صار انذار الفنسو بانذارات شديدة نشأت من حنق الاهالى مما هو حاصل لهم من الرذائل وكذا من ملوك أوروبا وعرف براءة الدوم بدرو فدفن عظامه مع

الاحتفال

الاحتفال الزائد فى مدفن الملوك البرتغالية ولاجل أخذ ثار المحروس (الدوم فرنندو) جدد الفنسو الحرب مع المسلمين وغزا افريقية فى نحو سنة ١٤٧١ فأخذ طنجة وبقيت فى يد البرتكيز الى سنة ١٦٦٢ حتى تنازلت عنها للانكليز فى نظير بعض مهر عروس شارلس الثانى ثم بعد ذلك اشتبك الفنسو فى حرب مع قسطيلة بقصد الحصول على تاج تلك المملكة بزواجه بوانة المعدودة انها بنت ازيقى الرابع فانجبر أن يعقد صلحا سنة ١٤٧٩ ولم ينطف مابه من غلة زعمه فى التاج القسطليانى ومات فى سنة ١٤٨١

ثم ان يوام أو يوحنا الثانى خلف أباه وكان أعظم ملوك البرتغال وكانت سلطنته فى غاية من الزهو والسيادة فى تاريخ تلك المملكة وكان رجلا عالى الهمة مفضالا شديد السطوة فى تنفيذ مقاصده سياسيا على غاية من الحذر والحرص محبا للعدل صادق التلهف والشوق الى اصعاد أمته الى أعلى درجات السعادة والفلاح وبمجرد وصوله الى تخت المملكة وجدان المصاريف الملوكية فى غاية من الزيادة الخارقة للعادة وكانت هذه جارية بواسطة أبيه حتى ان المملكة أشرفت على التفليس فشرع فى الحال فى عمل النظامات وأصدر بها الاوامر حتى امتلأت خزائنه بدون أن يحصل للرعية أدنى مضايقة ثم بعد ذلك أدخل فى مملكته عدة من النظامات والقوانين كسر بها شوكة أرباب المقاطعات وجعلهم جميعهم تحت حكم التاج الملوكى وأخذ منهم شوكتهم التى كانت نافذة على حياة أرقائهم وعبيدهم وكذا موتهم وأحالها على نفسه وعلى المحاكم الملوكية وهى فائدة جليلة للامة وأرغم الذين أخذوا انعامات أوعطايا سواء كانت أراضى أوشرفا أن يظهروا ألقاب أعمالهم والوسائط الاخر الضرورية لينظر ان كان المدعى لايستحق اللقب فيحرم منه أو يستحق زيادة عما ناله من اللقب فيزاد عليه وأخذ أيضا من الاشراف حق تسميتهم فى النيابات المدنية الذين كانوا الى هذا الوقت ينتخبون من هذا الصنف ومنح هذا التوجيه الى التاج وجعل أبواب المصالح مفتوحة لمن كان فيه قابلية اللياقة والادراك من جميع الطوائف وهذه النظامات الضرورية جدا لسعادة العوام بل وعموم المملكة نشأ منها الحقد والبغض فى صدور الاشراف وبهذا تشكل منهم عدة ثورات ضد الملك فالاولى من هذه الثورات كان رئيسها (دوق براغنزه) فاخمدها يوام وقطع رأس الدوق وتشكلت ثورة أخرى مركبة من عدد من زعماء الاشراف وكان مقصدها علو دوق فسيوعم الملك على التخت وكان حصول هذه الحركة بغش من ريس أساقفة ايفوره وهو أحد زعماء الثائرين فانه أفشى سرها الى الملك فذبح يوام بيده دوق فسيو وأرسل زعماء الثورة الى السجون والحبوس الشديدة ولازم يوام الحرب مع مسلمى افريقية بغاية الشدة وظفر قواده عليهم فى عدة محال وأدخل فى مملكته الفنون والصنائع النافعة وزاد كثيرا فى ثروة مملكته ومدخولاتها

وفى هذه السلطنة تقدمت المشروعات البورتكيزية البحرية مع علو الهمة وكان يوام نبيلا وأخا كريما لهذه المشروعات حيث زاد فى توسعتها الفلاح مملكته ونجاحها وشيد علائق التجارة الكثيرة الارباح بين مملكته والقبائل الموجودة على سواحل غينيا وكانت المملكة تكتسب من هذه التجارة مدخولات كبيرة من الذهب وسن الفيل وأرسل رسالات استكشافية فى طول الساحل الافريقى فكشفوا الممالك الافريقية وهما بنين وكونغو وأقيمت بين هاتين المملكتين علاقات تجارية نافعة جدا وشيد البورتكيز فى كل جهة قلعة ومحطة تجارية فى المملكة التى استكشفوها وفى سنة

١٤٨٧ وصل (بانولوميودياز) الى الرأس الكائن فى آخر جنوب افريقية ووجدان الساحل الشرقى لهذه القارة ممتد من هذا الرأس الى جهة الشمال وبناء على ماحصل من شدة هول الطقس سماه باسم رأس العواصف ومن وجود هذه الاستكشافات تشجع ملك البورتكيز فى عشم الوصول الى الهند من البحر فغير الاسم الى اسم رأس عشم الخير

ثم ان السنى الاخيرة من سلطنة يوام فاجأته بموت ابنه الوحيد فى سنة ١٤٩١ فلم يطق ماحصل له من الآلام فمات فى سنة ١٤٩٥ فلبست عليه جميع طوائف رعيته ملابس الحداد مع الصداقة التامة

وخلفه على التخت منو يل أخودوق فسيو وهو عم يوام فأثبت لنفسه شماخة الملك واستمر على فلاح مملكته فى بلاده وفى مجددتها البرانية وتبع سياسة يوام مع الشهامة فى تأييد شوكة البرتغال وسيادتها فى الشرق وفى سنة ١٤٩٧ سافر الاميرال الاكبر (واسكوراغاما) من اسبون حتى وصل رأس عشم الخير ومنه وصل الى كاليكوت فى المليبار أو فى الهند الغربى فى شهر مايو سنة ١٤٩٨ ومهما كان من العداوة الحاصلة من الحكام المسلمين فى الهند فان البورتكيز فى هذه وفى سياحات أخر نجحوا فى توطيد أنفسهم فى الجاوه وفى بعض محلات أخر على الساحل الهندى ومنها فى القرن السادس عشر أقاموا علاقات تجارية عريضة عظيمة الفائدة مع أهالى تلك البلاد وبها صارت البرتغال احدى الممالك الغنية فى أوروبا وتيسر لها الحصول على الجهات الهندية لاوروبا من اسكندرية بواسطة التجارات القنسيانية ثم ان نجاح البورتكيز حول تجارة البحر الابيض المتوسط الى المحيط الاطلنطيق وحصل منها زيادة عن أى سبب يقع ضعف حال القنسيين وابتعد البورتكيز مع العقل الزائد عن سياسة التغلب على الاراضى ووطنوا أنفسهم على العلاقات والمكاسب التجارية على الساحل وفى ظرف نحو قرن تقريبا صار واأساتذة البحر المحيط الهندى وكانت أملاكهم فى هذه الناحية محكومة بعدة من العمال كان منهم (الدون الفنسود البوقرق) أكثر امتيازا وفى سنة ١٥٠٠ انفتح مشروع ميدان جديد للبورتكيز بواسطة كشف بريزيله بواسطة قبرال وهو أميرال الملك منو يل ومات منو يل فى سنة ١٥٢١ وخلفه يوام أو يوحنا الثالث وفى مبادى سلطنة هذا الملك صار حلول واستعمار بريزيله بواسطة البرتغال وقضى مدة سلطنته فى انتشار شوكته فى آسيا الا أنه فقد الاراضى الموجودة فى شمال أفريقية ثم أدخل مسئلة الفحص فى البرتغال ضد اقامة الحج والتضرع والتوسل لرعيته الا أن سلطنته كانت سلطنة عظيمة على كافة الرعية والبلاد ومات فى سنة ١٥٥٧

ثم ان سبسطيان حفيد يوام خلف جده فى التخت وكان عمره ثلاث سنوات فقط فصار تدبير الحكومة مدة من الزمن بواسطة جدته زوجة يوام وكانت أخت الامبراطور شارلس الخامس وتنازلت عن النيابة بعد مضى بضع سنين الى الكردينال هنريق فى سنة ١٥٦٨ ولما وصل الملك الى أربع عشرة سنة تقلد بنفسه زمام الحكومة ودخل فى الحال فى حرب مع مملكة مراكش وذلك بسبب المساعدات التى وضع أحمالها الثقيلة على رعيته وكان الحرب غير مقبول عند العموم فالتمس من الملك أرباب مجلسه ترك هذا الحرب الا أن الملك أصر عليه وفى سنة ١٥٧٨ أغار على مراكش فى جيش مقداره ١٥,٠٠٠ مقاتل وفى ١٤ أغسطس هزمه المسلمون وذبحوه فى واقعة (القاذاربصير)

وجلس

وجلس الدوم هنرى عم سبسطيان على كرسى البرتغال بمجرد أخذ الاخبار بموت الملك وكانت سلطنته قصيرة فمات فى سنة ١٥٨٠ بغير وارث رتبه

فظهر جملة من الناس يطلبون تاج البرتغال وكان الاقوى شوكة من هؤلاء فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى كانت أمه بنت الملك منويل وكانت زوجته الاولى مريا البنت الكبرى ليوام الثالث وقوة فيليب جعلت له مقدرة كما ذكرنا فى تاريخ اسبانيا على ضبط المملكة البرتغالية والنصر على أعدائه وأعلن ملوكيته على البرتغال فى سنة ١٥٨٠ ومن هذا مكثت المملكة ستين عاما قسما من المملكة الاسبانية واضمحل عظم وسيادة الدولة البرتغالية تحت حكم ملك اسبانيا وانتقلت أملاكها الموجودة فى شمال أفريقية الى أيادى اسبانيا وخرجت عنها الى الابد وصار الداتش فى الساحل الغربى لافريقية ألد الاعداء الى البرتغال وأخذوا كثيرا من متاجرها واكتسبوا أيضا فى آسيا مكاسب جمة وكان الداتش سببا لانحطاط السيادة البورتكيزية فى هذه الناحية وفى نهاية السطوة الاسبانية نقصت الاملاك البورتكيزية فى المشرق حتى وصلت الى نصف عددها الاولى وصار الباقى منها تحت الاخطار المهولة وابتدأ الانكليز أيضا فى وضع أساسات مملكتهم الشرقية التى صارت بعد قليل من الايام مخيمة على شوكة المملكتين البورتكيزية والداتش

ثم ان البورتكيز نفروا عموما من رجال اسبانيا وكانت أحمال أحكامهم ثقيلة جدا على البلاد حتى ان غضب الاهالى وصل الى درجة عالية وفى سنة ١٦٤٠ قامت الامة جميعها فى ثورة واحدة وأعلنوا أن دوق براغنزه ملك تحت اسم يوام الرابع واعترف للملك الجديد هذا بالملوكية انكلتره وفرانسا وهولنده وكلهم كانوا أعداء لاسبانيا ومع ذلك فان يوام لم يتعزز بالدول الاخر بل استعد لملاقاة الاجتهادات التى يعرف أن اسبانيا تجريها لاجل استرداد نفوذها الذى فقدته واشتدت الحرب على حين غفلة مع هذه المملكة فى سنة ١٦٤١ واستمرت الى موت يوام فى سنة ١٦٥٦

وخلفه الفنسو السادس على التخت وهو الابن الثانى ليوام بما أن أخاه الاكبر مات قبل ذلك بمدة قليلة وكان ملكا ضعيف الرأى محتقر الذات والافعال حتى ان الاسبانيين حملوا أنفسهم على حرب ضد البرتغال مع زيادة العنف والجبروت فظفرت المملكة الصغيرة بالنجاة والنصرات الكبيرة وانهزم الاسبانيول الهزيمة الفاصلة للحرب فى واقعة (فيلاو يسيوسه) سنة ١٦٦٦ ومن هذا الوقت صار استقلال البرتغال مأمونا ولو ان اسبانيا لم تقر عليه وفى سنة ١٦٦١ عملت معاهدة تحالفية مع انكلتره وتزوجت كاترينه بنت الفنسو بشارلس الثانى ملك انكلتره وصار التنازل عن طنجة وبمباى الى الانكليز أشبه بمهر البرنسيسة كاترينه وهذه المعاهدة كانت مبادى الاتصال الطويل بين البرتغال وانكلتره الذى حصل منه التأثير الظاهر على سعادة مملكة البرتغال وفى سنة ١٦٦٧ لما ضاق البورتكيز ذرعا من أفعال الفنسو أوقفوه من منصبه بصفة كونه عديم الادراك وجعلوا أخاه بدرو نائبا عنه وصار الاستحصال على رخصة من البابا بها ألغى الزواج بين الفنسو وملكته وتزوجت الملكة فى الحال بدرو وصار الفنسو مسجونا الى سنة ١٦٨٣ حتى مات

ثم جلس النائب على التخت تحت اسم بدرو الثانى وكان القسم الاعظم من سلطنته سلميا خالى الحوادث والوقائع وفى سنة ١٧٠٣ عقدت محالفة تعرضية وتدافعية مع انكلتره وبهذا اشتبكت

البرتغال في الحرب الاسبانى الوراثى وبعد مضى ثلاث سنوات فى أثناء تقدم الحرب مات بدرو
وجاء يوام الخامس ابن بدرو الثانى الى التخت عند موت أبيه فى سنة ١٧٠٦ وكان أشهر واقعة فى
سلطنته هى عقد معاهدة مع اسبانيا فى سنة ١٧٣٧ بواسطتها اعترفت مملكة اسبانيا باستقلال
البرتغال ومات يوام فى سنة ١٧٥٠ وخلفه ابنه يوسى أو يوسف
وكان يوسف أحد ملوك البرتغال العالية الشأن الا أن سلطنته حدث فيها كثير من المصائب لمملكته
وأكثر هذه المصائب أهمية هو الزلزلة المهولة التى حصلت فى نوفمبر سنة ١٧٥٥ فأخربت
وأسقطت نصف لسبون وتسبب عنها تلف كثير من السكان وكانت المساعى العظيمة للملك
هى استرداد الاحوال الزراعية والتجارية العائدة بالنفع على مملكته وبواسطة عقد معاهدات
مختلفة مع انكلترة بها تيسر الحصول لدولة البرتغال على عدة منح وصارت الايدى الانكليزية
تتلقى التجارة البرتغالية وعزم يوسف على خراب العاصمة الانكليزية ولم يحصل له نجاح تام واستعان
بحذاقة وزيره الاول الشهير (الماركيز بنبال) فطرد اليسوعيين من البرتغال حيث رأى ان
شوكتهم مضرة بأهل بلاده ومات فى سنة ١٧٧٧ تاركا بنتا ترث تاجه
وكان عمر مريا اثنتين وأربعين سنة فى وقت وصولها الى التخت فظهر بعض معارضات لها بما انها
كانت أول أنثى صارت ملكة فى البرتغال الا انه صار اخماد واطفاء هذه المعارضات وأقر على حكومتها
العموم وحيث ان الملك يوسف لم يكن له ولد فلاجل أن يطمئن أبوها على أن تكون هى خليفة له
زوجها الاخ عمها الطفل الدوم بدرو فتسلطن الاثنان معا الى أن مات (بدرو) فى سنة ١٧٨٦
وفى سنة ١٧٩٢ أخذت فى اختلال العقل والجنون فصار تحريض وحث ابنها الكبير الموجود
على قيد الحياة وهو الدوم يوام أن يستلم قيادزمام الحكومة وأجرى ادارة الحكومة وتدبيرها باسمها
الحسنة ١٧٩٩ حتى أعلن يوام نيابة المملكة وفى سنة ١٧٩٣ صار تحريضه بواسطة الحكومة
الانكليزية على اعلان الحرب ضد الجمهورية الفرنساوية وهذه الحالة أدت الى اضطراب تجارى
شديد وتفليس عام فى البرتغال فاصطلح يوام مع فرانسا فى سنة ١٧٩٧ وفى سنة ١٧٩٩
أذعن النائب ثانيا الى طريقة الانكليز واتحد مع هذه المملكة ومع الروسيا فى حرب ثان مع
فرانسا وتسبب من ذلك خسارات ومصاعب وقعت على البرتغال كما حصل فى الحرب الاول وفى سنة
١٨٠١ تعاهدت اسبانيا مع فرانسا وصارت البرتغال عرضة الى اضطهاد مجاورتيها القويتين
فصار التوقيع على معاهدة بدجوزه فى سنة ١٨٠٢ فى مدة قليلة من عقد صلح اميانس
وانجبرت فيه البرتغال على أن تتنازل عن أوليونصه لاسبانيا وأن تدفع الى تلك المملكة غرامة كبيرة
ومكثت البرتغال بعد ذلك فى حالة سلمية مدة خمس سنوات وجلبت عليها العلاقات التجارية الموجودة
بينها وبين بريطانيا الكبرى فى الحال غضب نابليون حيث كان جل مقصده ضبط مملكتى اسبانيا
والبرتغال وأن يجعلهما اقليمين من مملكته وفى سنة ١٨٠٧ أمر النائب البورتكيزى أن يقفل
مينا الدولة البورتكيزية فى وجوه المراكب الانكليزية لاجل ضبط جميع الرعايا الانكليزية وضبط
جميع الاملاك الانكليزية الداخلة فى ممالكه وهدده اما بالحرب أو باجراء ما سبق صدور الامر به
ثم ان النائب أطاع مع التردد وتحت اقامة الحجة وبهذا أبغض نابليون بما انه ادعى ان بيت براغنزه
انفصلت سلطنته من أوروبا وأرسل (القائد يونوط) مع ٣٠,٠٠٠ لاجل التغلب على مدينة

لسبون

لسبون ولما لم يقدر النائب على مقاومة الفرنساوية ركب هو والعائلة الملوكية فى مركب من الاسطول وسافروا الى افريقية الجنوبية لاجل ثبات مقر الحكومة البورتكيزية فى برزيله وفى نفس هذا اليوم ٣٠ نوفبر سنة ١٨٠٧ دخل الفرنساوية لسبون وكان وجود الفرنساوية عند البورتكيز فى أشد الكراهة وفى سنة ١٨٠٨ قاموا عليهم فهزمهم الفرنساوية جملة مرار الا أنهم لم يزالوا فى غاية المدافعة واستغاثوا بانكلتره فى مساعدتها اياهم فأرسلت الحكومة الانكليزية قوة تحت قيادة السير ارثر ولسلى (الذى صار بعد ذلك دوق ولنغطون) الى البرتغال فكسر الفرنساويين فى واقعة ومييره ٢١ أغسطس سنة ١٨٠٨ وفى ٣٠ أغسطس صار جبر يونوط على أن يوقع على الاتفاق الذى حصل فى سنطره المشتمل على الرضا بأن يخلى البرتغال من عموم جيشه وفى ١٢ سبتمبر دخل الانكليز لسبون مع الطنطنة وعلى حسب ما ذكرنا فى موضع آخر تغلب الفرنساوية تحت قيادة المارشال صولط على البرتغال فى سنة ١٨٠٩ ثم ان السير ارثر ولسلى صار تقويته من انكلتره بقوة عظيمة وفى مدة أسابيع قليلة جبر الفرنساوية على الخروج الى اسبانيا وقد ذكرنا حوادث حرب البجيث جزيره فى محل آخر ولا لزوم لتكراره هنا وصارت البرتغال محفوظة فى مدة هذا الحرب بواسطة الجيوش الانكليزية ولم يعد للفرنساوية أدنى نجاح فى كونها تكتسب منها ثانيا قدما واحدة وعند سقوط نابليون وصيرورة البرتغال خالصة من أخطار الفتح انسحبت القوى الانكليزية منها وتركت هى ونفسها لاجراء أشغالها اللازمة لها بما يتراءى لها

وكان جميع ذلك فى المدة التى وطنت فيها مقرهم وحكومتهم فى (ريوجزو) فى برزيله وفى سنة ١٨١٥ صارت برزيله مملكة وفى سنة ١٨١٦ ماتت مريا وصار ابنها الذى كان نائبا عنها ملكا على البرتغال وبرزيله باسم يوام السادس واستمر الملك مستقرا فى برزيله فحصل من ذلك الغضب الشديد والكراهة عند البورتكيز وفى سنة ١٨٢٠ تشكلت ثورة اجتمع فيها الجيش والامة وأجريا الشغل سوية وبهذا تجنبوا سفك الدماء وصار استحسان نظام عادل حر وطلبوا العرض الى الملك فى عوده الى البرتغال فأجاب يوام لما ترغبه الامة وترك ابنه (بدرو) فى برزيله نائبا عنه وعاد الى البرتغال فى سنة ١٨٢١ وقبل أن يرخص له بالنزول فى لسبون حلفوه يمينا وانقيادا باعتباره النظام والقانون الجديد المقلل كثيرا الشوكة الملوكية والحافظ للاهالى الحرية الشخصية والاملاك وحرية المطبوعات وتساوى كافة الرعية أمام القانون والغاء الامتيازات وأن يكون للبورتكيز حق الانتخاب الى المصالح وفى سنة ١٨٢٢ نشأت ثورة فى برزيله أعلنت فيه هذه المملكة نفسها بانها مملكة مستقلة وصار الاعلان بأن النائب هو امبراطور تحت اسم بدرو الاول ولم يكن للبورتكيز قدرة على ابطال هذا الفعل فانفصلت المملكتان أخيرا عن بعضهما

ومات يوام السادس فى سنة ١٨٢٦ وكان الدوم بدرو امبراطور برزيله هو الخليفة الشرعى له فوصى بالتاج البورتكيزى لاخته (ماريا جلوريا) وعمل قانونا متوسط الحرية لهذه المملكة فسافرت ماريا مباشرة الى البرتغال الا أنه قبل وصولها أعلن عمها (الدوم ميغيول) نفسه ملكا وهو الاخ الاصغر لبدرو والذى كان تقلد زمام النيابة فشرع فى الحكم بغير مراعاة القانون فنشأ من ذلك حرب داخلى فتوجه بدرو الى البرتغال بجيش وأسطول لتعضيد طلبات بنته فتغلب على (أوپورتو) فى ٨ يوليه

سنة ١٨٣٢ واحتل لسبون فى سنة ١٨٣٣ وفى ٢٩ مايو سنة ١٨٣٤ خضع له الدوم ميغيول وفى ١٥ سبتمبر دخلت ماريا الثانية فى حالة العمر وفى ٢٤ منه مات الدوم بدرو وتجرعت سلطنة ماريا الغصص بواسطة عدة ثورات حصلت فى سنة ١٨٤٦ وسنة ١٨٤٧ وما كان لها مقدرة على تدبير تختها ولا رجه بواسطة تداخل انكلتره وفرانسا واسبانيا وماتت ماريا فى سنة ١٨٥٣ وخلف بدرو الخامس أمه فى سنة ١٨٥٥ ولما كان صغير السن كانت المملكة محكومة بواسطة أبيه (فرديننده صاكصكو بورغ) مثل نائب وكان فرديننده صادقا محبا بالنظام الحرية ورغب ابنه وحرضه على ذلك ولما جلس بدرو على التخت أجهد نفسه فى ترميم ماخربته الثورات وحروب السلاطين القديمة وزاد فى ترقية نجاح المملكة وفى سنة ١٨٦١ زار لسبون طاعون الحمى الصفراء ولما لم توجد الاسعافات اللازمة لمداواة هذا الملك الشاب من الآلام التى عرضت له مات فى ١١ نوفمبر سنة ١٨٦١ وصار لويز الاول ملكا عند موت أخيه وأشهر أعمال سلطنته ابطال الرق من المستعمرات البورتكيزية فى سنة ١٨٦٨ وإقامة المعارض التجارية فى أو بورتو سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٢ وتسوية الديون السائرة فى سنة ١٨٧٣ ومد خطوط السكك الحديد والتلغرافات فى كافة أنحاء المملكة

(الى هنا تم تاريخ البرتغال)

الكتاب الثامن والعشرون

﴿ تاريخ البلاد الواطية ﴾

(الهولند أو الفلمنك)

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى الايام الحاضرة ﴾

الوضع الجغرافى لهولانده ـ تشكيل المملكة ـ السكان الاصلية ـ البلاد الواطية تحت حكومة الرومانيين والافرنك ـ استرجاع الاراضى ـ تقدم المدائن ـ قيام الفلندريين ـ عوائد الاهالى ـ أشغالهم وحرفهم ـ حب الحرية ـ تعصب الفلمنكيين ـ واقعة قورطرى ـ جمس وان أرطو يلد ـ فيليب الجسور ـ مريم البورغنديه ـ صيرورة شارلس حاكم البلاد الواطية ـ معاملته لهم ـ فيليب الثانى ملك اسبانيا ـ سياسته فى البلاد الواطية ـ نجاح المملكة مدة فيليب ـ تعيين مرغريطه بارمه نائبة ـ مبادى تعدى البروتستانت ـ ارسال دوق ألفا الى البلاد الواطية ـ فظاعاته ومظالمه ـ عود برنس أورنجه ـ عصيان البلاد الواطية ـ حرب الاستقلال ـ تنصيب جمهورية الدانش ـ حصار هارليم ـ الدون لويز دوركيسن ـ نهاية ليدين ـ كسر الارصفة والسدود ـ خلاص ليدين ـ فظائع أهل اسبانيا ـ حصول الامن فى غنط ـ توظيف برنس بارمة نائبا ـ انتخاب الفلمنكيين شارلس صاحب انجو قائدا لهم ـ موت غليوم الصامت ـ أخذ أنطوريب ـ خراب بلجيقه ـ البرنس موريس ـ الشقاقات الداخلية ـ قتل وصلب بارنو يلد ـ حرب الثلاثين

سنة

سنة ـ اقرار اسبانيا على استقلالية الجمهورية الدانشية ـ الحرب مع انكلتره ـ غليوم أورنجه ـ صيرورته سطادطهولدر ـ صيرورته ملك انكلتره ـ التجاء الفرنساوية البروتستانت الى هولنده ـ الحروب مع فرانسا ـ حرب السبع سنوات ـ اقرار هولنده على استقلالية الممالك المتحدة بامريكه ـ الحرب مع انكلتره ـ القلاقل الداخلية ـ فتح هولنده بواسطة قوى الجمهورية الفرنساوية ـ معاهدة فيانه ـ تنظيم مملكة البلاد الواطية ـ عصيان أهل بلجيقا ـ انفصال بلجيقا من هولنده ـ نتائج تاريخية

مملكة البلاد الواطية أو هولنده واقعة بين عرض ٤٥َ ٥٠° و ٣٥َ ٥٣° شمالا و بين طول ٢٤َ ٣° و ١٢َ ٧° شرقيا وهى محدودة من الجهة الشمالية والغربية بالبحر الشمالى ومن الجهة الشرقية بجرمانيا ومن الجهة الجنوبية ببلجيقه وطولها الاعظم من الشمال الى الجنوب نحو من ١٩٠ ميلا ويختلف عرضها من ٦٠ ميلا الى ١٢٠ ميل وتبلغ مساحتها ١٢٫٦٨٠ ميل مسطح وعدد أهلها ٣٫٨٠٩٫٥٢٧ نفس وهذه المملكة حائزة مستعمرات شاسعة ذات قيمة فى الجهة الشرقية والغربية من الهند وتحتوى على عدد من السكان يزيد عن أربعة وعشرين مليونا وكانت هولنده فى الاصل مستنقع مياه والجزء الاعظم منها كان عرضة للمد الكبير الحاصل من البحر وكانت مياهه تسيح فوقه فاجتهد الاهالى فى استرداد الاراضى من الامواج باقامتهم أرصفة وسدودا فى طول الساحل وطول شواطئ الانهر حفظت الاراضى من غمرها بمياه البحر وثبتت الانهر فى مجاريها الاصلية ولم تزل المملكة محفوظة من مياه البحر بواسطة حواجز من الارصفة الى الآن وهذه الارصفة بعضها مبنى بالصخور الصوانية المجلوبة اليها من نرويج وبعضها بالاخشاب والحزم المصنوعة من فروع الاشجار والجذور النباتية والطين وارتفاعها المعتاد ثلاثون قدما وعرضها سبعون قدما فى قاعدتها السفلى وعرضا كافيا فى قاعدتها العليا يتشكل عليه طريق عام للمارين وهى شغل قرون كثيرة ومع ذلك فهى محفوظة بغاية الاعتناء والترميمات جارية فيها على الدوام وكانت هولنده فى الاصل مشحونة بالبحيرات والبرك فصار ردم نحو من تسعين بركة منها وتحويلها الى أراض زراعية وسطح المملكة مستو تقريبا يشقه قليل من التلال الرملية

وكان داخلا فى الاراضى الواطية أيضا الى سنة ١٨٣٠ المملكة المعروفة باسم بلجيقه وابتدئ تاريخها بمعرفة القيصر يوليوس فى كلامه على فتح الغلية وكانت بلجيقه مغطاة بأو رمانات كثيفة وجهات مستنقعة وكانت مسكونة بعدة من القبائل تنسب جميعها الى الجنس الغاليقى مع انه كان يوجد فى بعض جهات هذه المملكة قبائل من أصل الجنس الجرمانى بلغت درجة السيادة وكان أشهر هذه القبائل وأعظمها قبيلة البطاويين ففتح القيصر بلجيقه الا أنه جعل البطاويين حلفاءله ولم يجعلهم رعية الحرومة فكانوا على الدوام يمدون جيشا عظيما من العساكر الى الجيش الرومانى من ابتداء هذا الوقت وكان هؤلاء العساكر معتبرين عند الامبراطورات الرومانية من أوثق العساكر وآمنها ثم ان المملكة المعروفة الآن باسم هولنده كانت عبارة عن عدة أنصاف جزائر غرقى بانتشار مياه البحر الشمالى على أراضيها بكثرة وكانت مسكونة بجنس حربى مستقل عن الامم وفى القرن الاول من التاريخ المسيحى زار (بلينى) العالم الطبيعى هذا الاقليم وترك لنا بعد مونه العبارة الآتى ذكرها

وهى قوله ان البحر المحيط يسيل فيضانه مرتين كل يوم ويجعل الاراضى على الدوام فى صور غير حقيقية فتارة يمكن اعتبارها قسما من أرض قارة وتارة من بحر محيط فالاهالى الذين هم فى أسوإ حالة يلتجئون الى التلال الرملية أو الى أخصاص صغيرة منشأة على رؤس جذوع من أشجار ارتفاعها عال عن أعلى مياه مد البحر فعند قيام البحر يتراءى للناظر أنهم ملاحون وعند نزوله يتراءى أنهم أشبه بمراكب غرقى ويتغذون من الاسماك التى تتركها المياه حال جزرها ويصطادونها بواسطة شبك مصنوع من الحلفاء أو البردى أو من أغصان الطرفاء ولا توجد أشجار ولا نجوم نابتة على هذه الشواطئ ومشروب الاهالى من مياه الامطار ويعتنون كثيرا بخزنها لشربهم ووقودهم من نوع من الجذور يجمعونها ويصنعونها بايديهم وفى آخر القرن الثالث ذكر أومينوس أن هذه كانت حالة البلاد وكان يظهر للاهالى عدم الميل للامتزاج مع الاغراب واختاروا لانفسهم بلادهم المستنقعة وتكرار حرب البحر لهم على المنافع التى تعود عليهم من الانضمام مع رومة والتى تمتعت بها البطاويون وكانوا يعرفون بالفريسيانيين وكانوا مشهورين بحب التمتع بالحرية وبشجاعتهم على الصبر وكدهم فى الاعمال والاشغال وابتدؤا فى نحو القرن الثالث من التاريخ المسيحى بزراعة اللوبيا على التدريج فكانت تنمو بكثرة بين بطائحهم وفى تربية بعض الحيوانات ذات القرن ومن هذه الحالة الاولية للتمدن انتقلوا لاشغال المحافظة على أراضيهم من أهوال البحر بواسطة الارصفة وأخذوا فى التقدم على التدريج ولم يتأخروا الى الخلف عن أى حالة شرعوا فيها وابتدأ أيضا الفريسيانيون شيأ فشيأ فى عبور البحر وعمل التجارة مع انكلترا التى كانت فى ذلك الوقت قسما رومانيا

وفى مدة الحرب الداخلى بين فسباسيان وويطيليوس شكل (كلوديوس ثيفيليس) وهو رجل بطاوى بانى تلقى التهذيبات الرومانية وخدم فى الجيش الرومانى مع الشرف اتحادا عاما من قبائل البلاد الواطية ضد الرومانيين وكان ذلك فى سنة ٦٩ بعد الميلاد فانهزم شر هزيمة بعد أن أجرى حربا مع الجسارة وبقيت الاراضى الواطية قسما من المملكة حتى صار التغلب عليهم بواسطة القبائل الجرمانية فى القرن الخامس من التاريخ المسيحى وصارت الاراضى الواطية فى القرن السادس والسابع قسما من مملكة الافرنك وفى القرن الثامن عصى الفريسيانيون الا أن (شارلس مارتيل) أخضعهم وقهرهم واجتهد شارلس فى اقامة الديانة المسيحية بين الفريسيانيين وتوجه القديس (ويلبرود) اليهم أشبه بمبعوث لهم وفى أواسط هذا القرن كملت هدايتهم ودخولهم فى الديانة المسيحية وشكلت البلاد الواطية قسما من مملكة شرلمانيا واكتسبت من حسن معاملته لاهلها منافع عظيمة وكان المخصوص من هذه البلاد بالمنافع الجمة الجزء المسمى الآن بهولنده وعند موت شرلمانيا دخلت هذه الايالة فى مجارى فلاحها مع الهمة العالية وأزيلت المستنقعات والاورمانات المستنقعة التى أوقفت تقدم المملكة الرومية من كل جهة فى داخلية المملكة ونهر الموز ونهر الشلد ليسا متصلان كثيرا عند منافذهما الخارجة لتدمير الاراضى المجاورة فمهما كان هذا التغيير حاصلا بواسطة الشغالين أو بواسطة تراكم الرمل الجارى ورسوبه بالانهر وتشكيل حواجز لكل منهما فان مدائن (قورطرى ـ وبروغه ـ وغنط ـ وانطورب ـ وبرغن أوبظوم ـ وثيل) جميعها صارت يانعة التجارة وصارت مدينة ثيل محتوية فى القرن التالى على خمس وخمسين كنيسة وهو عمل غاب عنه دلالة البرهان ويمكن أن يكون انتشار وزيادة الاهالى من الاحوال التخمينية وتشكيل الارصفة

المعدة لحماية الاراضى وحفظها من الغرق الذى كان يحصل لها فى الابتداء عملت بمشروعات وتصميمات جيدة وتظمت بأحسن الهيئات وصار تقسيم السهول التى صار التغلب عليها من الامواج الى أجزاء وقطع على حسب الاشغال اللازمة لها بواسطة الذين طلبوها ماعدا الاقسام المحفوظة للاكابر والرؤساء والكنيسة والفقراء وهذه الحاجة الضرورية المنوطة بالمعيشة الدنيوية وهى انشاء الارصفة جعلت للفريسيانيين والفلمنكيين خاصية الاجتماع والاتحاد وحسن النية وترادف العدل بسبب أنه من الضرورى تشكيل سبب مشترك فى هذا الشغل الكبير لادامة التحفظ على أنفسهم وعلى أى حالة قد حدث من مفصلات نواميس وعوائد اتحاد هاتين الامتين صورة مشابهة لهيئة صكصون انكلتره الا أن أهالى البلاد الواطية كانوا ذوى لين وخفة زيادة عن الجنس الصكصونى الاصلى واعتياد هاتين الامتين على الكد فى الاشغال أورثهم السعادة فى السطوات العسكرية الاصلية وتقدمت فنون المصنوعات فى هذا القسم من القارة زيادة عن بريطانيا الكبرى فان الفريسيانيين كانوا هم الامة التى لانظير لها فى شغل الملبوسات المكلفة الغالية القيمة وكانت هذه الملابس تستعمل بين أغنياء الافرنك

وبعد سقوط مملكة شرلمانيا تجزأت الاراضى الواطية الى عدة امارات صغيرة بعضها انقاد الى طاعة مملكة جرمانيا وبعضها انقاد الى ملوك الافرنك وفى نحو سنة ٨٦٤ بعد الميلاد اتحدت وديث بنت شارلس الاصلع ملك فرانسا وأرملة (اثلولف) ملك انكلتره مع رئيس فلمنكى ذى قوة وبطش يسمى بالدوين فعارض أبوها هذا الاتحاد فحملها بالدوين الى جهة بعيدة وتزوج بها فالجبر شارلس على المصادقة على هذا الفعل خوفا من أن بالدوين تصير له قوة مهولة وتسول له نفسه أن يكون العدو الاكبر له فجعل زوج ابنته كونت فلندره ووطد له توريث حكومة الاقليم المحصور بين نهر الشلد ونهر الصوم وكان ذلك فى مبادى مملكة فلندره المشهورة وكان يعرف مؤسسها فى التاريخ باسم (بالدوين ذراع الحديد) وفى سنة ٩٢٢ شكل شارلس مملكة هولنده بمكاتيب منحها بها فانتظمت المملكة بسرعة فى أثناء هذه القرون فى الثروة والسكان وزرع ما كان فى يد هولنده من الاراضى الواسعة وشيدت فيها مدائن جديدة وفى القرن الثالث عشر تقسمت الاراضى الواطية الى دوقيات وكونتات محكومة بامراء مستقلين الا أنهم معترفون بالطاعة الاسمية للامبراطور أو ملك فرانسا

وكان الاقوى شوكة من هذه الامارات هى امارة فلندره وهذه تقدمت بسرعة تحت حكومة ذرارى (بالدوين ذراع الحديد) فى العمران والثروة والاهمية وكانت تشتمل على مدائن (غنط - وبروغه - وانطوربه - وبركسيل) وكل منها كان مركز التجارات مهمة وفى الحقيقة كان نصيب البلاد الواطية من هذا التقدم أحد المنابع الرئيسة وهو صناعة حياكة الصوف والكتان والقطن فكان يصنع من ذلك كميات وافرة فى عموم أقسام البلاد الواطية تجلب الى أسواق كل ولاية من ولايات أوروبا وتقدم فيها نقل البضائع والتجارات الوافرة ذات المكاسب النافعة وكانت المراكب الكبيرة الحربية الدانيشية والمراكب التجارية الفلمنكية تتوجه بهذه البضائع الى سواحل اسبانيا وتنعيدون وصارت فلندره السوق الاكبر لانكلتره وأوروبا الشمالية ثم ان ازدياد السكان جبر جميع أقسام المملكة على الشروع فى الزراعة ومن ذلك صارت الاراضى التى تركت الآن من القحط المتوالى تباع فى تلك الايام باغلى القيمة وكان للمدائن التجارية امتياز نفوذ الحكم فى الحكومة وفى داخل أسوارها

كان أولاد البلد هم المتمتعين فقط بالجمهورية الحرة وكان أهالي البلاد الواطية من الابتداء مشهورين بحب الحرية واستعدادهم للمدافعة عن حقوقهم بالاسلحة وكان أهالي المدن محافظين على بقاء هذه الحقوق ضد الاشراف فكانوا يعينون قضاتهم المخصوصين بهم ونوابهم ويربطون أحكامهم وسياستهم بالعوائد القديمة من أمر جميع أهل المدينة بالتجمع أو المشي اذا سمعوا صوت اللورد الملتزم يدعوهم بالاشارة لتجمعهم أو اجراء ماهو واجب عليهم من الخدمة وبهذه الاحوال كان لكل ادارة بلدية نيابية قوة تحت أمرها زيادة عن قوى الاشراف لان أهالي المدائن كانت تزيد في العدد والانتظام عن أرقاء أراضي السيادة وهذه الشرذمات المتمرنة على مكابدة الاعمال الموجودة في المدائن كانت تجرى الحرب بطريقة مخالفة للطريقة الجارى عليها العمل لان فرسان المملكة يتخذون تجارة الاسلحة صنعة لمعيشتهم ومخاصمات الامراء هي منازعات وراثية الا أنها مع البطء وهي مصيبة على الطرفين وكان رجال المدائن يبعدون عن أي مشاركة تختص بالوطن ولم يخشوا من أخطار حرب يطول عليهم وفي سنة ١٣٠٠ كما بيناه في كلامنا على تاريخ فرانسا ترك الفلمنكيون طاعة ملكهم الكونت غوى ونقلوا طاعتهم الى فيليب الجميل ملك فرانسا ثم أسرعوا في أسباب تكدير خطيئة هذه الحركة وفي سنة ١٣٠٢ قام أهل بروغه تحت قيادة (بطرس دوكوننغ) وهو رجل حيالك (ويوحنا بريدل) وهو رجل جزار وأخرجوا المحافظين الفرنساوية من مدينتهم وقتلوا منهم ٣٠٠٠ نفس وسار أهل المدائن الاخر على منوال بروغه فأرسل فيليب جيشا جرارا الى فلندره لاجل اخماد ثورة أولاد البلد فهزموا هذا الجيش تحت أسوار مدينة قورطري في ١١ يوليه سنة ١٣٠٢ التي صار فيها ابادة الفرسان الفرنساوية المعجبة بنفسها وكان غلاق هذا الحرب في ٥ يونيه سنة ١٣٠٥ بواسطة معاهدة عقدت بين فيليب وبين الفلمنكيين ثم ان ملك فرانسا أعتق الابن الاكبر للكونت غوى الاخير وأثبت له أنه كونت فلندره واتفق البرنس الشاب من جهته على أن يضبط كونتيته أشبه بواحد من أهل المقاطعات الفرنساوية فأظهر الكونت الجديد ادارة الظلم والجور التي كان جاريا عليها أبوه فعصى عليه الفلمنكيون فطلب مساعدة سيده صاحب المقاطعة فيليب السادس ملك فرانسا فنجح ماطلب وانهزم الفلمنكيون في واقعة كاسيل في ٢٣ أغسطس سنة ١٣٢٨ وانجبروا على الخضوع والطاعة وبهذا أعطى الكونت حرية الزمام الى جوره وظلمه وفي سنة ١٣٣٨ عصى الفلمنكيون ثانيا وكان هذا العصيان في هذا الوقت تحت قيادة (جمس فان أرطويلد) المشهور باضمار السوء وابتداع الشر في غنط وعند نصيحته لهم أقر الفلمنكيون على أن طلب ادوارد الثالث ملك انكلتره للتاج الفرنساوي هو حق صحيح شرعي ونقلوا طاعتهم اليه وألحقوه بجيش مقداره ٦٠,٠٠٠ نفس وفصل الاسطول الفلمنكي الواقعة البحرية الكبيرة التي كانت جارية في (هلوطسلوى) مع الاسطول الانكليزي في ٢٣ يونيه سنة ١٣٤٠ واسترد الجيش الفلمنكي حصار كاليس وهزم ولي عهد فرانسا الذي كان سائرا لخلاص هذه القلعة سنة ١٣٤٨ وبعد سقوط مدينة كاليس بقليل عقدت هدنة بين فرانسا وانكلتره ثم ان ادوارد ترك محالفيه الفلمنكيين الى ملك فرانسا الا أن أولاد البلد أهل العزم والشدة الذين تركوا لينظروا أشغالهم بنفسهم جبروا ملك فرانسا مع الشاب لويز دومالي وارث كونتيتهم وجبروهما على الاقرار بحقوق حكومة أنفسهم على موجب شروط امتيازاتهم القديمة وفي سنة ١٣٨٤ مات الكونت لويز حاكم فلندره وحيث لم يكن له أولاد انتقلت كونتيته الصغيرة فلندره مع الاقليم نفسه الى فيليب

الجسور

الجسور ملك بورغندى وتزوج باخت لو برا الوارثة له فى كونتته وفى السنة التى أعقبت ذلك عمل طريقة فاصلة مع الفلمنكيين أقروا عليها وفى هذه السنة ماتت دوقة برابنط وكان فيليب وارثا لها فاستحوذ على أملاك هذه الدوقة وأضافها الى أملاكه الاخر فى بورغندى وفلندره وبهذا صار من أكبر الملوك شوكة فى أوروبا فكان من أجود الحكام على الفلمنكيين وصاروا من هذا الوقت خاضعين الى البيت البورغندى وفى سنة ١٤٣٧ صار فيليب الطيب ملك بورغندى ملك هينولط وهولنده وزيلنده وبذلك صار مستحوذا على جميع أنحاء البلاد الواطية

وفى سنة ١٤٧٧ تزوجت مريم البورغندية بنت شارلس الجسور مكسيمليان ارشيدوق أوستريا وبهذا الزواج صارت البلاد الواطية أعظم قسم فى أوروبا من جهة الغنية والعمران ودخلت فى حوزة بيت حبسبورغ وعند موتها استحوذ ابنها فيليب على أملاك البلاد الواطية وكانت مدة سلطنته خالية من الوقائع والحوادث وليس مذكورا فى التاريخ الا أنه أبو الامبراطور شارلس الخامس ومات فيليب سنة ١٥٠٦ فتحولت نيابة البلاد الواطية على الامبراطور مكسيمليان فعين هذا الملك ابنته مرغريطة لحكومة تلك المملكة وكانت امرأة ذات قريحة واسعة وشجاعة فائقة ونالت التمكن فى موقعها رغما عن دسائس فرانسا وفى سنة ١٥١٥ لما بلغ عمر شارلس بن فيليب وهو انه ملك اسبانيا خمس عشرة سنة استلم ميراثه الاراضى الواطية وصار الاقرار له فى السنة التالية على أنه وارث التاج الاسبانى والاندلسى وفى سنة ١٥١٩ صار انتخابه امبراطور جرمانيا وبهذا صار أعظم الملوك شوكة على ظهر الكرة الارضية وتحت القبة السماوية ثم ان الحركات التى أجريت بواسطة الاراضى الواطية فى الحرب بين شارلس وفرنسيس الاول ملك فرانسا ذكرناها فيما سبق وتضررت البلاد الواطية جدا من تخريب المراكب الحربية الفرنساوية وما أجرته فى نواحيها خصوصا تخريبها محلات صيد السردين فى نواحى هولنده وزيلنده وقد ذكرنا أيضا ثورة الفلمنكيين على شارلس وعقابه العصاة بغير مرحمة فى سنة ١٥٣٩ وسنة ١٥٤٠ وسنة ١٥٥٥ وتنازل شارلس على حسب ماذكرنا عن ملوكية البلاد الواطية لابنه فيليب وفى السنة التالية نقل له تاجه الاسبانى والاندلسى

وفى وقت سلطنة فيليب الثانى ملك اسبانيا كانت البلاد الواطية تشتمل على مقاطعات (برابنط ــ وليمبورغ ــ ولوكسنبورغ ــ وغلدرلنده) ومقاطعات (ارطواز ــ وهينولط ــ وفلندره ــ ونامور ــ وظوطفين ــ وهولنده ــ وزيلنده ــ وبارونات فريسلنده ــ وميشلين ــ وأوطريخت ــ وأوريسيل ــ وجرونِنغين ــ ومرغرافت انطويرب) جميعها سبعة عشر اقليما وكانت هذه الاقاليم محتوية على ٢٠٠ مدينة محصنة و ١٥٠ مدينة ممتازة و ٦٣٠٠ مدينة صغيرة وقرية و ٦٠ قلعة مستحكمة وكثير من العزب والكفور الزراعية وصار النجاح الاعظم للمملكة التى هى الآن فى أعلى درجات الفلاح مستحقا لاهل البصيرة والخبرة كما هو مستحق لاهل الكد والسعى من الامة لان سكان الاقاليم الواطية كانوا أمة ذوى خبرة عالية فى أوروبا ونور فى الذهن وكان الشخص الذى لا تمكنه الكتابة ولا القراءة مستثنى بينهم وارتفع عندهم فن الزراعة الى أقصى درجات الكمال وصار للاهالى حركات كبيرة فى التجارة والمشغولات وكانت مدائن (انطويرب ــ وامستردام ــ وروطردام) أشهر المراكز التجارية فى شمال أوروبا وكانت الاقاليم المختلفة تختلف عن بعضها فى اللغات والقوانين والعوائد وكانت الاربعة أقاليم المسورة الواقعة بالقرب من فرانسا تتكلم بلغة

فرانساويه غير صحيحة والاقاليم الوسطانية تتكلم باللغة الفلمنكية وهى فرع من اللسان الجرمانى وأما الاقاليم الشمالية فكانوا يتكلمون بلسان الداتش وبينهم ارتباط مشترك فى الكد فى الاشغال وما يعود عليهم منه النفع والاعتبار فكانوا مجتمعين ومتحدين الاتحاد الكلى بواسطة انقيادهم وطاعتهم لسلطان واحد وهو ملك اسبانيا وكان لهم أيضا مجالس نواب عام يجتمع فى أوقات غير معلومة

وكانت أهالى البلاد الواطية كما شاهدنا من العالم الاكثر حرية فى أوروبا وحيث كانوا من أعظم أرباب البصائر قبلوا عقائد القوانين والشرائع مع غاية الاعتناء والاعتبار وصار تدوين هذه النظامات وتقريرها بواسطة جمعية كبيرة من الامة فانزعج الامبراطور شارلس من ذلك واجتهد فى عمل وسائط شديدة لابطال تقدم المذهب البروتستانتى من هذا الاقليم ولما اجاب أمله فيما أجراه من الوسائط أزيلت مسئلة الفحص من البلاد الواطية فشدد الامبراطور بما أجراه من سطواته واجتهد فى منعه عما أجراه من الصور القطيعة التى حصلت فى اسبانيا ومع ذلك فانه استحال عليه تغيير عوائد النظام وفى مدة سلطنة شارلس قتل ألوف من البيوت البروتستانتية فى البلاد الواطية بامره وفى سنة ١٥٥٩ عين فيليب أخته من أحد أبويه دوقة بارمه نائبة عنه فى البلاد الواطية ولما عاد الى اسبانيا استعد لان يجرى مشروعه المتفكر فيه من مدة طويلة وهو ابادة الخوارج من هذه الاقاليم بالقوة فاخبر هنرى الثانى ملك فرانسا بعد معاهدة (قطوقمبريسيس) غيليوم الناسانى أمير أورنجه بهذا العزم وما عليه أهل البلاد الواطية من الشهامة والعزم وكان غيليوم كاثوليكيا الا أنه متباعد عن هذه المكيدة القطيعة وشرع فى الحال فيليب فى اجراء ما اتفق عليه من جهته بكونه أمر باتباع طريقة الفحص مع العنف الزائد ضد الخوارج فقام فى الحال برنس أورنجه الذى كان حاكما على هولنده وزيلنده أشبه بمدافع عن بلاده ورفض قبول خرق رعيته فى أقاليمه وسار على منواله حكام بعض أقاليم أخر فالفلمنكيون أهل الحمية والشدة تركوا المملكة حاملين معهم صنائعهم ومشغولاتهم النفيسة والذين بقوا صاروا فى هول شديد مخل بالعقل وقدموا عرضحالا الى النائبة بازالة ماهم فيه من الغم والكدر ولما رأت ماهو حاصل فى المملكة من الاختلالات لم يكن عليها سوى أن بدلت عذاب الخارجين بالحرق الى الشنق ثم ان شدة جور الفحص والقساوة الناشئة منه وكذا ما فعله الملك من ارغام رعيته على استحسان دينه حصل منه الخراب والتدمير الشديد وأخيرا انفجرت ينابيع الظلم وفى ظرف أربعة أيام صار هدم أربعمائة كنيسة بجميع مشتملاتها فاجبرت النائبة بعد ذلك بقليل على أن ترخص للبروتستانت أن يتعبدوا حسب عوائدهم فى محلاتهم العمومية سنة ١٥٦٦

فازداد غضب فيليب كثيرا لما وصلت اليه هذه الاخبار فاستعد فى الحال لمعاقبة البلاد الواطية بخصوص مقاومتهم أوامره فهى برنس أورنجه الذى كانت حركاته الديانية فى غاية من الصلاح وكان داخلا فى المذهب البروتستانتى فى التوسط بين الملك وبين رعيته ولما خابت مساعيه توجه الى جرمانيا فى عدد كبير من أشراف الفلمنكيين وصار ارسال دوق ألفا وهو رجل لا تنثنى أغراضه غليظ الطبع الى بروكسيله مع قوة عظيمة من العساكر الاسبانية لاخماد الخارجين عن الطاعة وكان ذلك فى سنة ١٥٦٧ فأجرى ألفا أوامره حسبما أمر ورتب محكمة تعرف بمجلس الدم فى بروكسيله وبواسطة أوامر هذه المحكمة صار قتل مئات من الفلمنكيين من جميع الطوائف فكانت تقطع رؤس الاشراف وأرباب الجرائم يضربون بالرصاص أو يشنقون والمرتكبون عصيان الخروج يحرقون وتباهى ألفا فى مدة

ست سنوات من ادارته بكونه أرسل الى المشانق والجلاد نحو امن ١٨٫٠٠٠ نفس
وفى سنة ١٥٦٨ صار الفحص محكوما به على كامل أهالى البلاد الواطية بالموت بسبب خروجهم ماعدا قليلا منهم وهذا الحكم المهول صار تأييده بأمر ملوكى قبل الحكم بعشرة أيام وأعلن فيليب مجاهرة بأن رؤيته البلاد فى حالة الخراب أحسن له من أن يراها مبتدعة خوارج ومع أن الحاكم الاسبانى لم يقو هذا الامر برغبته الا أنه اجتهد فى جلب أنواع المضايقات وعدم الرحمة وصار ضبط أملاك وعقارات المذبوحين وقد قيل انه فى مدة بضع سنين كانت أموال وعقارات المنفيين والمقتولين من البر وتستانت فى الاراضى الواطية تجلب الى خزينة فيليب عشرين مليون دولر سنويا ووقفت التجارات وخربت المدائن وهرب الناس من المملكة وازدحمت الاورمانات والغابات بالفارين فانجبروا على أن يكونوا مناسر للسلب والنهب لاجل اكتسابهم القوت الدنيوى واستتر البحر بسفن قطاع الطرق البحرية .
وفى أثناء هذه الحالة الكئيبة الحاصلة جمع برنس أورنجه جيشا فى جرمانيا وسار الى البلاد الواطية لمساعدة أهل بلاده وانقسمت قواه العسكرية الى ثلاثة جيوش انكسر اثنان منها بواسطة العساكر الاسبانية والثالث كان تحت قيادة الكونت (ناسو) اكتسبت نصرة عظيمة على العدو فى جرونغين ثم ان ألفا لاجل أن يدخل الرعب على أهل الوطن أمر بقطع رأسى الكونت اغمونت والكونت هورن وهما من أعظم أشراف الفلمنكيين نظر الفسخ حقوقهم وقوانين الارض ثم سار الى قوى برنس أورنجه وأرغمه على تعريف من معه من الشرذمات وتوجه الى فرانسا ودخل فى الخدمة مع الهوغينوط .
ثم ان اللصوص البحرية الفلمنكيين استمروا على سلبهم التجارات الاسبانية وحمل أثمانها الى المين الانكليزية وفيها كان يتيسر لهم ما يحتاجون اليه من مطلوبهم وأخيرا لما وجدت اليزابث أن استمرار هذه المساعدة ربما يشبكها فى حرب مع اسبانيا أمرت رعاياها بعدم بيع أى شئ يطلب للفلمنكيين وعلى هذا ترك (دولامارك) وهو قبطان فلمنكى انكليزى مع أربعة وعشرين مركبا وسار الى أقصى شمال جزيرة زيلنده وتغلب على بريل غاصبها وجعلها ملتقى لسفن سلب العدو فقام فى الحال (والشرين) وعدة من المدائن الموجودة فى شمال الاقاليم وصاروا عصبة واحدة ضد الاسبانيين وفى ١٥ يوليه سنة ١٥٧٢ عقدت جمعية فى دورت وصار ترتيب الجمهورية الداتشية وأعلن غيليوم أورنجه أنه النائب الاصلى لهولنده وزيلنده وفريسلنده وأوطريخت مع لقب (سناد هولدر) رئيس نواب الاقاليم المجتمعة بهولنده
ثم ان ألفا شجع نفسه مع العنف ونجح فى قهر الاقاليم الجنوبية الى الطاعة والانقياد وتغلب على برابنط وفلنده وأوقع فى ميشلين الاهوال والمخاوف والمصائب واستمرت فيها المذابح ثلاثة أيام ومع ذلك فان الاقاليم الشمالية ثبتت فى مواقعها الا ترتج من هذه الاهوال وتقلد غيليوم زمام الحكومة ونجح فى اجراآته بخصوص استقلالية الجمهورية
وفى فصل شتاء سنة ١٥٧٢ و ١٥٧٣ عزم ألفا على التغلب على أسطول الداتش المصفح بالحديد الذى كان راسيا فى مينة امستردام الا أن قوة الداتش هزمت عساكره على تصفيح المراكب فوضع الحصار بعد ذلك على (هارليم) فأخذها بعد مدافعة كبيرة وقتل من أهل هذه المدينة بعد تسليمها ما بين ألفين الى ثلاثة آلاف ثم حاصر مدينة الكمار وأنذرهم بما حصل لهارليم وأهلها فسلموا من غير عناد فانجبر

على رفع الحصار ثم ظهر له من غضب وصبر الداتش أن يستحل اذلالهم وقهرهم فطلب عوده ورجوعه الى بلاده وخلفه (الدون لو يزدور كسن) وهو رجل عالى السجية فاخذ أحوال السرقات والقتل التى كانت من ضمن الاشغال الواجبة يوميا على العساكر الاسبانية الا أنه جعل مجلس الدم مستمرا على أشغاله وشدد على الحرب بالعنف

ثم صار احاطة ليدين بالعساكر الاسبانية وكان محافظوها قليلى العدد الا أن شجاعة أهلها أحوجتهم للدخول فى خدمة محافظتها وفى يونيه سنة ١٥٧٤ ابتدأت الذخائر فى القلة والعجز وبعد مدة قليلة وقع القحط ولم تزل المدينة محفوظة بأهلها حتى مضى يوليه وأغسطس وسبتمبر وصار توجع السكان مهولا وكان غيليوم يراقب حركات العدو ويتلهف من (دلفط ـ وامستردام) حتى انه صار لا يقدر على خلاص ليدين وانقطع عشم الاهالى عما هو جار من الحصار فانقطعت السدود والارصفة وسالت مياه المحيط الجرمانى فى داخل المملكة وعام المعسكر الاسبانى وصار للاسطول الداتشى مقدرة على توريد اللوازم داخل ليدين وفى اليوم التالى حصلت عاصفة شديدة شمالية شرقية طردت المياه الى البحر وفى الحال صار ترميم السدود والارصفة

وفى مارث سنة ١٥٧٦ مات ركسن وقام العساكر الاسبانية فى ثورة عظيمة جهارا بالنظر لعدم صرف مرتباتهم مدة مديدة وأوقعوا المضار الزائدة على الاقاليم بالسلب وتخريب كل ما وجدوه أمامهم وتغلبوا على (آلوسط ـ وغنط ـ وأوطريخت ـ وولشيانه ـ ومسطريشط) وكان التغلب على حسب الترتيب المتقدم بالسلب والنهب وكذلك مكث النهب فى انطو رب ثلاثة أيام وكابدت من آلام الخسائر نحو من ٨٠٠٠ من أهلها و ١٠٠٠ منزل وهذه الفظائع جبرت عموم الاقاليم على الاتحاد المعروف بمسالمة غنط وصار الاتفاق فيه على اعلان عموم الممالك بأخذ الاستعدادات اللازمة لطرد الاسبانيين وتوطيد رخصة عمومية فى الاعمال الديانية وكان ذلك فى سنة ١٥٧٦ بعد الميلاد

ثم ان فيليب أرسل أخاه الدون يوحنا صاحب أوستريا (فارس ليبانطو) لادارة حركات الحرب فى البلاد الواطية ولما وجد أنه لا يمكنه تتميم شئ أرسل على الفور ابن أخيه (اسكندر فارنس) برنس پارمه أكبر قائد فى عصره مع تقويات وامدادات لاجراء الاعمال الحربية وفى فصل خريف سنة ١٥٧٨ مات الدون يوحنا صاحب أوستريا وخلفه البرنس پارمه أشبه بنائب وقبل هذا وطن الحزب المقبول (الارشيدوق مثياس) أخا الامبراطور أشبه بحاكم عموم البلاد الواطية ولما وجدوه ضعيف الحركة قبيح الذات أبعدوه عن وظيفته وعينوا دوق انجو أخا شارلس التاسع وبعده هنرى الثالث ملك فرانسا مدافعا عن حريات البلاد الواطية ثم ان السير القبيح الحاصل من الحزب المقبول أحدث منازعة حادة بين الوطنيين وكانت مضارها عليهم زيادة عما أجراه الاسبانيون من المضار فانسحبت الاقاليم الكاثوليكية من المعاهدة الاتحادية ورتب السبع ايالات البروتستانتية وهى (هولنده ـ وزيلنده ـ وأوطريخت ـ وغيلدر ـ وأووريسيل ـ وفريسلند ـ وجرونتغين) أنفسها فى اتحاد واحد بواسطة اتفاق يعرف باتحاد أوطريخت وبهذا تأكد وجود الجمهورية الداتشية فى الحقيقة سنة ١٥٧٩

ثم ان فيليب قدم مكافأة على قتل البرنس أورنجه الذى هو أصل الحركة الوطنية فقابل البرنس هذه التقدمة بجواب عال كلف فيه فيليب بما ناله سابقا من امكانه الحصول على ذبحه وفى ٢٦ اكتوبر سنة ١٥٨١ أعلنت الاقاليم بأن دوق انجو يصير ملك البلاد الواطية بعد أن تركوا طاعة فيليب ملك

اسبانيا وأما هولنده وزيلنده الثنان حفظتا من أمل البرنس أورنجه فاستثنيتا من حكمه وأرغم انجو البرنس بارمه برفع الحصار عن كبرى ودخل انطوربر بموكب حافل وكان غير راض بسلطنته المحدودة وحصل له الغيرة من علو سلطة البرنس أورنجه وفى سنة ١٥٨٣ عزم على ضبط مدينة انطوربر الا أنه طرد خارج البلاد بواسطة الفلمنكيين الساخطين عليه

ثم ان فيليب الذى تيقن عدم اتمام أشغاله كما ذكرنا ذلك سابقا قدم مكافأة بخصوص ذبح البرنس أورنجه وفى ظرف سنتين عمل خمس تصميمات على حياة غيليوم بواسطة نواب ملك اسبانيا ونجح فى التصميم السادس وفى يوليه سنة ١٥٨٤ ضربه (بالتذار غيرارد) البورغندى برصاصة فقتله فقتل الداتش قاتله الا أن فيليب كافأ والديه بهدايا جزيلة حتى أغناهما وكان موت غيليوم ضربة شديدة على الوطنيين وكان رجلا سياسيا وأحد القواد العسكرية ذوى البسالة والشجاعة فى وقته وكان لا يحيد أبدا عن الحق محبا للوطن معززا له وتعلم قومه دروس الفضائل المدنية حتى خربت بما أصابها من عظيم المصائب واستمر الحرب على ما كان ثم انه صار توظيف البرنس موريس بن غيليوم الثانى خليفة بدل أبيه وبما أن عمره كان ثمان عشرة سنة وكان ابنه الاكبر مسجونا فى اسبانيا صار توظيفه خليفة بدله وفى سنة ١٥٨٥ تغلب البرنس بارمه على انطوربر بعد أن دافع عنها أهلها المدافعة الواجب تسجيلها فى التاريخ وكانت محفوظة بعساكر اسبانية ورجع اليسوعيون الى ما كان لهم من الشوكة وخربت انطوربر ثم ان قواد فيليب نجحوا فى بقاء الاقاليم الموجودة فى جنوب البلاد وطردوا البروتستانت من هذا الاقليم الا أنهم دمروا فى هذا الوقت صناعات فلندره وتجارتها وصيروا البروتستانت فى غاية من الفقر وازدحمت بروغه وغنط باللصوص والصعاليك والشحاذين وتركت أشغال أرصفة انطوربر وهرب أرباب الصنائع والتجار والباعة من جهاتهم وتركوا أملاكهم وراءهم صيد النهابين وشاهد فيليب خراب أقاليمه العظيمة مع الرضا والقبول ثم ان عتو الاسبانيين أرغم الاهالى على أن ينقادوا فى آخر الامر انقيادا اسميا الى الكنيسة الرومانية وكتب الملك الى بارمه يبين له رضاه عليه مما آل اليه الحرب

ثم ان اليزابث عملت معاهدة جهارا مع البلاد الواطية الا أن مساعدتها لم تفد فائدة تيسر الحصول منها على شئ كثير ومع ذلك كان كل ما تيسر الحصول عليه مستحقا للمساعى البرنس موريس عند القومندان الانكليزى ارل لستر الذى كان عاجزا عن الاعمال وضعفت حالة الاسبانيين بواسطة فقد ما يحتاجونه من الاقوات وعدم صرف استحقاق عساكرهم وهذه الاشياء أضعفت أيضا الاعمال النبيلة التى كان البرنس بارمه عازما على اجرائها وجعلت للبرنس موريس قدرة على ضم السبع ممالك الجمهورية الداتشية الى مملكة واحدة كثيرة السكان وعلى أن يمد أراضيه الى نهر الموز والشلد ثم ان تمكن هنرى الرابع من تخت المملكة الفرنساوية أرغم فيليب على أن يرسل البرنس بارمه وجيشه الى فرانسا وقد شاهدنا فيما سبق نتائج هذا الحرب وفى سنة ١٥٩٢ مات بارمه وكان الحرب الداتشى بخصوص الاستقلال مستمرا تحت قيادة البرنس موريس بن غيليوم الصامت وخليفته وأخيرا صار عقد هدنة لمدة اثنتى عشرة سنة بالمخابرة مع اسبانيا وعند ختام هذه المعاهدة عقد ريشيليو الذى كانت سياسته ثابتة فى الخضوع لبيت أوستريا محالفة بين فرانسا وهولنده سنة ١٦٢٤ وبناء على هذه المعاهدة أرسل الداتش أسطولا حربيا للمساعدة فرانسا فى حصار روشيل وكانت سلطنة البرنس

موريس صالحة لاهل بلاده وكان أقبح شئ فيها تحزبه فى المناقضات والمجادلات المشؤمة الديانية التى انفجرت فى مبادى القرن بين (الكالفنسطيانيين) وأرمنيان هولنده وكان من ضمن أرمن هولنده (أولدن بارنولد) صاحب المعاشات الوافرة وكان صديق غيليوم الصامت وبلديه وهو (غروطيوس) الفقيه الكبير فراعى بارنولد أن مطامع موريس خطرة مضرة بالبلاد فقد تدارك الامر بصد هذا الطمع وانتهت المجادلات بالغاء الارمنيان وصارت معاقبتهم بدون سماع شئ بواسطة (سينود دورط الكالفنسطيانى) وحرموا قسيسهم من واجباتهم أو نفوهم وجلبوا بارنولد وغروطيوس الى المحاكمة أمام مجلس أعدائهم فحكم المجلس على غروطيوس بحبسه مدة حياته والاول الذى عمل الاعمال الكبيرة بخصوص حرية هولنده زيادة عن أى انسان ماعدا غيليوم المقتول صار الحكم عليه بالموت وقطعت رأسه فى ١٤ مايو سنة ١٦١٩ ثم ان (موريس ناصو) ما أمكنه خلاصه ولم يحصل منه أدنى مداخلة وعجز عن ذلك وكذا لم يخضع بارنولد ليترجى فى نجاة نفسه

ومات موريس فى ابريل سنة ١٦٢٥ وصار انتخاب أخيه البرنس فريدريق هنرى خليفة بعده واستمر الحرب مع اسبانيا على ما كان عليه الى سنة ١٦٣٤ حتى انقفل معاهدة بين هولنده وفرانسا فى اتحاد الغارة على الفلمنك الاسبانية من الجهة الشمالية والجنوبية لاجل ازالة النافر الاسبانى وتشكيل مملكة مستقلة وأن يتنازلوا مكافأة لخلاصهم عن منطقة من أراضيهم فى كل جهة لمخلصيهم واذا رفضوا هذه الغزوة يجب فتح بلادهم وتقسيمها بين فرانسا وهولنده

ثم ان هولنده اشتغلت أشغالا عظيمة فى المدة الاخيرة من حرب الثلاثين سنة واجتهدت فى مساعدة المنتخب بلاطين لاجل استرداد أرضه الا أن الجيش الذى أرسل لمساعدته تشتت شمله بواسطة الجنرال الامبراطورى (هاتطفلد) وفى سنة ١٦٤٤ تيسر الحصول للفرنساويه من نصرات (انغيلنه ـ وكوندى) على جميع وادى الرين من ابتدائها سافل الى (كوبلنطز) وفتحوا طريقا بحروب مظفرة فى جهة الداتش وقد ذكرنا هذه الوقائع ولم يبق علينا الا أن نقول ان الفتوحات التى كانت جارية باتحاد قوى فرانسا وهولنده صار توقيفها فى منتصف جريانها بما حصل من المصائب الى البرنس أورنجه فانه اختل عقله وصار لا قدرة له على الاشتراك المؤثر مع فرانسا وأخذت اسبانيا فى الضعف على التدريج وكبس عليها أعداؤها مع الشدة والقوة حتى انه صار لها من الضرورى عقد صلح مع هولنده وفى يناير سنة ١٦٤٨ أمضيت معاهدة بين الدولتين قررت فيها اسبانيا أن السبعة أقاليم جمهورية الداتش صاروا ممالك حرة مستقلة وسلمت لهم المدائن الموجودة فى فلندره الداتشية وأقرت على حقوقهم لاملاكهم فى اسيا وافريقه وأمريقه

وبذلك انقفلت مدة حرب الثمانين سنة بخصوص الاستقلال بغلاق مظفر وأخذت هولنده محلها بين الامم وقامت شجاعة وشهامة أهلها الكبيرة مقام صغر أراضيها وصارت دولة مرغوبة لجميع قواد ممالك أوروبا ثم ان الداتش لم يهملوا منافعهم والآن تنافست هولنده مع انكلتره من جهة درجة أول دولة بحرية فى الدنيا فكان أسطولها قويا ماطقما بضباط ورجال متدربة على النبالة والشجاعة وأسست مصنوعاتها تجارات فاخرة مع جميع أقسام الدنيا وتيسر لها الحصول على وضع قدمها فى اسيا وأفريقه بأن غرست فيهما مستعمرات تجارية من أهلها وابتدأت فى أمريقة الشمالية أن تأخذ مستيطان فى الاقليم الخصب المعمور الذى يرويه نهرا (هودسون ـ ودلوار)

وهذه

وهذه الاشغال المهمة التى أجرتها الداتش فى المشروعات التجارية أوقعت المنازعة مع الانكليز الذين هم الآن أقوى شوكة بحرية منها وفى سنة ١٦٥١ أصدر البرلمان الانكليزى لائحة التجارة المشهورة وهى أنه لا يجوز لاى مركب أجنبية أن تجلب محصولات من أى مملكة الى المين الانكليزية ماعدا مراكبها وكانت هولنده مشغولة بتحميل البضائع وكانت انكلتره سوقها الاعظم فحدث من هذا الفعل ضربة شديدة على تجارتها وبضائعها وانقذف الجمهوريتان فى الحال الى الحرب وكانت حوادثه فى البحر وقد ذكرناها فى تاريخ انكلتره ثم أمضيت شروط الصلح فى ابريل سنة ١٦٥٤.

ثم ان لويز الرابع عشر لاجل أن يتقوى على مرغوبه ضد الاراضى الواطية الاسپانية عمل معاهدة مع هولنده وربط معها علاقات ودية وكان شارلس الثانى ملك انكلتره له رغبة شديدة فى تعيين ابن أخيه البرنس أورنجه رئيسا على الجمهورية الداتشية الا أن صاحب الرتب الجليلة دوويط ضد هذا المشروع بشدة فأعقب ذلك فى الحال حربا بين انكلتره وهولنده فيه ضبطت الانكليز الاملاك الداتشية الموجودة على نهرى (هودسون ـ ودلوار) وفى يونيه سنة ١٦٦٥ هزم دوق يورقه الاسطول الداتشى من لووسطوف وخرب رئيس أساقفة مونستير وهو حليف الانكليز أراضى الجمهورية الموجودة فى الجهة الشرقية ولما كانت هذه الاعمال ضد أغراض لويز الرابع عشر أجبر على أن يرسل مساعدة للداتش والتحق بالمعاهدات الجرمانية الهولندية لاجل ارغام رئيس الاساقفة على ترك العداوة وقد حصلت عدة محاربات بحرية بين قوى الداتش والانكليز ودخل الاسطول الداتشى (مدنواى) وحاصر التيمس كما ذكرنا ذلك وانقفل الحرب بعقد صلح بريده فى ١٣ يوليه سنة ١٦٦٧ وتنازل الداتش عن مستعمراتها فى أمريقه للانكليز

وعلى ما كانت عليه هولنده من الخسائر كانت فى أعلى درجة من شوكتها ومجدها فانها ضبطت نفسها ضد انكلتره وخلصت الدانيمارقة من اسويج كما سنذكره بعد ودبرت فى جمع التحزب اللازم لمداركة ضد طمع لويز الرابع عشر وأزالت ما كان عنده من الطمع فى الاراضى والبلاد وبفعلها هذا صيرت نفسها عرضة لانتقام ملك فرانسا فابتدأ هذا الملك فى بغض الجمهورية لانها أعطت للفارين من ظلمه ملجأ أمينا وفى ابريل سنة ١٦٧٢ غزا الجيش الفرنساوى الاراضى الداتشية وتغلب عليها فتعين الشاب البرنس غيليوم أورنجه قومندان عمومى لاجل تدبير الحرب وفى الارتباك العام الذى أدخل الداتش فى هذا الحرب كان هو الشخص الوحيد الذى ضبط سكينته وشجاعته ثم ان الحكومة لاجل التخويف عرضت بواسطة صاحب الرواتب الجليلة دوويط على لويز شروطا حقيرة فأجاب عنها لويز بالسب واللعن الكبير وقامت جمية الداتش فى أم رأسها فقتل العوام صاحب الرواتب الجليلة دوويط وأخاه الاميرال وجعلوا غيليوم أورنجه رئيس الاعمال مع الشوكة المطلقة وقد ذكرنا تاريخ مدافعاته الجسورية الجليلة لبلاده وتخليص هولنده على التدريج مما كانت فيه من القلاقل والاضطرابات مفصلا متصلا مع تاريخ فرانسا هذه المدة فليطالعه المطالع وفى فبراير سنة ١٦٧٤ عقدت انكلتره حليفة هذه المملكة التى باعها شارلس الثانى الى لويز صلحا مع هولنده وصارت فرانسا لا حليف لها الا اسويج وفى سنة ١٦٧٧ جبر البرلمان الانكليزى شارلس الثانى باعلان الحرب ضد فرانسا تعضيدا لهولنده واتصلت المعاهدة بزواج برنس أورنجه بمريم البنت الكبرى لدوق يورقه وبنت أخى الملك ثم انقفل الحرب بواسطة معاهدة نيموغين فى ١٤ أغسطس سنة ١٦٧٨ وبواسطة هذه المعاهدة

تنازلت هولنده لفرانسا عن أملاكها فى سنغال وغينا اللتين فتحهما الفرنساوية

ومع ما كانت عليه هولنده من ارتباك الحروب كانت فى غاية النجاح تحت سلطنة النبيل الشجاع ثابت العزم البرنس غيليوم أورنجه ثم ان سياسة غيليوم مدة حياته حجزت مطامع لويز الرابع عشر وصدته وأرغمته على مراعاة حقوق جيرانه ولاحظ أن لويز لم ينجح فى جعل جميع أوروبا الغربية خاضعة لفرانسا وفى مبادى الجوز والتعدى على الهوغينوط هرب عدد كبير من البروتستانت والتجؤا الى هولنده وفيها صاروا محفوظين وبهذا أخذت سياسة لويز القطيعة فى زيادة تقويته وثبات عداوته فتشكل ثانيا أحزاب على ملك فرانسا بواسطة نباهة غيليوم وعزمه فاكتسب غيليوم فائدة أخرى على عدوه فى سنة ١٦٨٨ بواسطة انضمامه الى التاج الانكليزى والنتائج التى حصلت من ذلك قد ذكرناها فيما سبق وبعد هذه الحادثة صارت هولنده حكومة مستقلة واكتسبت مكاسب لاحد لها حتى صارت قادرة على صد مطامع لويز بواسطة تعضيد المملكة الانكليزية القوية الشوكة وكان الحرب مع فرانسا الذى أعقب هذه الحادثة جاريا خارج حدود الجمهورية وانقفل فى شهر مايو سنة ١٦٩٧ بواسطة عقد صلح ريصويك وفى سنة ١٦٩٨ دخلت هولنده فى معاهدة سرية مع فرانسا وانكلترة فى تقسيم الاملاك الاسبانية بمجرد موت شارلس الثانى ملك اسبانيا وبهذا صارت مشتركة فى الحرب الاسبانى الوراثى وقد ذكرنا حصتها فى ذلك ولم تكتسب هولنده شيأ من هذا الحرب وكانت خساراتها مادة وجودة فائقة الحد وفى الحرب الاوستريانى الوراثى حامت هولنده عن حقوق مريم تريسة وفى سنة ١٧٤٧ غزا الجيش الفرنساوى أراضيها تحت قيادة (الكونت لووندال) وأهم ناتج حصل فى هذا الحرب هو جلوس الوارث رئيس النواب غيليوم الرابع صاحب ناسو ديطز على التخت الداتشى وكان زوج بنت ملك انكلترة وهلك فى هذا الحرب كثير من أهل هولنده واكتسبت منه قليلا أو خرجت منه بخفى حنين وانقفل بصلح عكس الكنيسة فى اقطوبر سنة ١٧٤٨

ولم تشترك الجمهورية فى حرب السبع سنوات وبقيت فى حالة سلمية الى سنة ١٧٨٠ حتى عقدت معاهدة تجارية سرية بالمخابرة مع الاقاليم المتحدة فى أمريقه التى كانت جارية فى المنازعات والمخاصمات لاجل توطيد استقلاليتها واكتشفت بريطانيا الكبرى هذه المعاهدة ولما حصل الاقرار على استقلالية الاقاليم المتحدة كانت هذه المعاهدة سببا فى العداوة فاعلنت بريطانيا الكبرى بالحرب ضد هولنده وأوقع الاسطول الانكليزى خسارات مهولة على الداتش وأخذت الانكليز عدة من الجزائر الداتشية الواقعة فى غرب الهند وكذا فى سنة ١٧٨١ أخذ الانكليز أسطولا مركبا من ثلاثين سفينة حاملا بضاعات ومتاجر داتشية ثم أخذها الاسطول الفرنساوى ثانيا وأرسلت الى بريست وأخذوا (داميرا - واصكيبو) الا أنه أرسل الاسطول الانكليزى ضد رأس عشم الخير فهزمه الاسطول الفرنساوى وانقفل الحرب فى سنة ١٧٨٣

ثم ان الداتش وضعوا فى أملاكهم على حسب معاهدة أوطريخت صف قلاع حدودية بين فرانسا والاراضى الواطية الاوستريانية واستمرت الى سلطنة الامبراطور يوسف الثانى فأجبر الداتش بالانسحاب من هذه القلاع وهدمها عن آخرها وامتنع الحرب بواسطة مداخلة فرانسا ووطدت نتائج معاهدة فونتينبلو

ثم ان هولنده انقسمت فى الداخل بين حزبين كل منهما عدو للآخر وحصل بينهما شقاق جهارا مدة ... لية غيليوم الخامس وارث نيابة النواب ثم ان أهل الجمهورية أهل الحزب الوطنى تقوى بواسطة

فرانسا

فرانسا ورغبت أن يكون لهذا الحزب مجد رياسة النيابة وعلو الامبرالية والقومندان العام المنتخب وبهذا يضعف بيت أورنجه وأما حزب أورنجه فانه بقي على وراثة هذه الاحوال الشريفة وتعضد بواسطة انكلتره وبروسيا وأخيرا اكتسب الحزب الوطني السيادة وأما غيليوم الخامس وارث رياسة النيابة فانه طرد من قلعة هاجو وعوملت زوجته معاملة المسجون وكانت البرنسيسة أورنجه أخت فريدريق غيليوم الثاني ملك بروسيا فغزا في الحال هولنده في رأس جيش مقداره ٣٠،٠٠٠ نفس وأعاد رئيس النيابة الهولندية ثم ان هولنده تركت معاهدة فرانسا بمعاهدة انكلتره وبروسيا وتمت هذه الحالة بواسطة معاهدة (لوو) في شهر يونيه سنة ١٧٨٨

وعند قتل لويز السادس عشر ملك فرانسا عملت هولنده سيباعاما مع محالفيها ضد فرانسا وفي سنة ١٧٩٢ أعلن الاتفاق الفرنساوي بالحرب على هولنده وقبل ذلك بسنة كان الجيش الفرنساوي أغار على أراضي الداتش تحت قيادة (الجنرال دوموريز) وضبط (بريده - وكلوندرط - وغرطريدنبرغ) ثم وقفت المشروعات وهربت بغتة من القومندان الفرنساوي الى المعسكر الاوستريانى وجعلت للداتش فترة قليلة واشتبك الحرب في الهنة التالية بواسطة (پيشغرو) كما تقدم ذكره ورحب الحزب الجمهوري جهارا بالفرنساوية الذين تيسر لهم الحصول على استحواذ المملكة بحروب قليلة وهرب برنس أورنجه الى انكلتره وألغت الاقاليم وظيفة رياسة النيابة وأعلنوا الجمهورية البطافيانية وصار أنموذج الحكومة على حسب حكومة جمهورية فرانسا وعملت هولنده معاهدة محالفة مع فرانسا ثم اشتبكت هولنده في حرب مع بريطانيا الكبرى خسرت فيه مستعمراتها في غرب الهند وشرقيه ورأس عشم الخير وما يحويه كل ذلك اغتصبه منها الانكليز وكان لها الذهب الابريز

ثم ان تاريخ هولنده من ابتداء القرن التاسع عشر الى سقوط نابليون الاول ذكرناه في تاريخ فرانسا وعند عود السلم في سنة ١٨١٥ تشكلت الاراضي الواطية بما فيها من الاقاليم الاوستريانية ما عدا الجهات التي فتحها لويز الرابع عشر ورخصت فرانسا في ابقائها على ذمتها مملكة وأحسن بتاجها على غيليوم برنس أورنجه وأمسك أيضا دوقة لكسمبورغ الكبيرة وشكل جزءا من الاتحاد الجرماني ومع ذلك لم تتفق الاقاليم الشمالية والجنوبية على هذه الاجرا آت وبعد منازعات طالت مدتها عصت الاقاليم الجنوبية التي كانت داخلة في نظام البلاد الواطية الاوستريانية على حاكم الداتش بما أنهم مخالفون لهم في الدين واللسان والعوائد وابتدأت هذه الارتباكات في مدرسة لوين وأخذت في المشاغبة ثم أن الثورة الفرنساوية التي حصلت في سنة ١٨٣٠ شجعت البلجيان وانضمت جميع مدائن الاقاليم الجنوبية الى الثورة وصار طرد جميع عساكر الداتش من كل الجهات وأقيمت حكومة مؤقتة في بروكسيله وأعلن باستقلال البلجيان وأقر عليه الخمس دول المعظمة وصار عقد مجلس من نواب هذه الدول في لوندره واتفقوا فيما بينهم على انفصال البلجيقا من هولنده وتصرح الى هولنده بابقاء لكسمبورغ وبهذا الاستثناء تقررت حدودها الى الحدود التي كانت مستحوذة عليها في سنة ١٧٩٠ وفي يونيه سنة ١٨٣١ عقد مجلس بلجيقي في بروكسيله وتقرر التاج للبرنس ليوپولد الصاكصكوبورغ

ثم ان ملك هولنده رفض أن يكون مربوطا بهذه الترتيبات وضبط انطويرب مع محافظين مقدارهم ٤٠٠٠ نفس تحت قيادة الجنرال شاسي واحتل محافظو الداتش محلات أخرى في طول نهر الشلد

وفى نوفمبر سنة ١٨٣١ حاصر جيش فرنساوى مقداره ٥٠٠٠٠ نفس انطوربر فاستمرت فى مدافعة شديدة عن نفسها الى ٢٣ ديسمبر حتى سلمت نفسها حيث ان الفرنساوية عزموا على الهجوم عليها بالقوة وحينئذ انسحبت العساكر الداتشية من جهة نهر الشلد وصارت ملاحته حرة لاهل بلجيقا وأقرت هولنده فى سنة ١٨٣٩ باستقلالية البلجيقا ومن ابتداء هذه المدة صار تاريخ هولنده فى حالة سلمية خالى الوقائع وفى سنة ١٨٤١ تنازل الملك غيليوم الاول عن تاجه لابنه غيليوم الثانى فمات فى سنة ١٨٤٩ وخلفه ولده غيليوم الثالث (وهو الملك الحالى) وفى سنة ١٨٦٢ بطلت أحوال الرق والعبوذية فى الاملاك الغربية الهندية الداتشية وفى سنة ١٨٦٦ بمجرد تمزق الاتحاد الجرمانى بت الدوقيتان الكبيرتان (ليمبورغ ـ ولكسمبورغ) الامر فى أن يكونا من أعضاء الاتحاد الجرمانى وفى السنة التالية احتاج ملك هولنده للنقود فعرض بيع لكسمبورغ على فرانسا فحدث من ذلك اختلاطات كبيرة فى أوروبا كما شاهدناه ذلك ومنع هذا البيع كلية بتداخل بروسيا وفى سنة ١٨٧٠ بطل العقاب الاصلى من المملكة ومن هذا الوقت صار تاريخ المملكة خالى الوقائع وفى أمن زائد

﴿ الى هنا تم تاريخ البلاد الواطية ﴾

(الكتاب التاسع والعشرون)

﴿ تاريخ بلجيقا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء تشكيل المملكة الى الايام الحاضرة ﴾

الوضع الجغرافى لبلجيقا ـ السكان ـ بقاء بلجيقا بواسطة اسبانيا بعد الحرب الداتشى الاستقلالى ـ صيرورتها من أملاك أوستريا ـ تاريخها تحت السلطة الاوستريانية ـ فتحها بواسطة الجمهورية الفرنساوية ـ صيرورتها قسما من فرانسا ـ صيرورتها قسما من مملكة الاراضى الواطية بواسطة معاهدة فيانه ـ عدم رضا أهالى بلجيقا ـ ثورة سنة ١٨٣٠ ـ كتابة عريضة للملك ـ عدم مراعاتها ـ وجود البرنس فريدريق فى بروكسيله ـ انتشار الثورة ـ طرد جيوش الداتش من بروكسيله ـ حرق الجنرال شاسى مدينة انطوربر ـ تعيين حكومة مؤقتة بواسطة الوطنيين ـ المجلس الملى ـ اعلان استقلال مملكة بلجيقا ـ تداخل الدول المعظمة ـ الاقرار على استقلال بلجيقا ـ انتخاب ليوبولد صاكس كوبورغ ملكا ـ تجديد هولنده الحرب ـ مساعدة فرانسا لبلجيقا ـ حصار انطوربر وتسليمها ـ نتائج تاريخ بلجيقا

مملكة بلجيقا واقعة فى جنوب البلاد الواطية بين عرض ٣٠َ ٤٩° و ٥° شمالا وطول ٣٣َ و ٢° و ٦َ و ٦° شرقيا وهى محدودة من جهة الشمال بالبلاد الواطية ومن جهة الشرق بجرمانيا ومن جهة الجنوب بفرانسا ومن جهة الغرب بفرانسا والبحر الشمالى وطولها الاكبر من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى هو ١٨٠ ميلا وعرضها الاكبر من الحد الشمالى لاقليم انطوربر الى الطرف

الجنوبى

الجنوبى لهينولط هو ١٢٤ ميلا فتكون مساحة أرضها ١١٫٣٧٢ ميل مسطح وعدد أهلها فى سنة ١٨٧٤ هو ٥٫٣٣٦٫٦٣٤ نفس

وتاريخ بلجيقا من وقت فتحها بواسطة يوليوس قيصر الى اقامة استقلالية الجمهورية الداتشية قد صار ذكره فى القطع المتقدمة من هذا الكتاب فلا حاجة لذكره هنا وفى مدة القسم الاول من الحرب الداتشى الاستقلالى كانت الاقاليم الجنوبية للبلاد الواطية الحاضرة الآن مملكة بلجيقا تابعة لاسبانيا وفى سنة ١٦٤٨ أقرت اسبانيا على استقلال الجمهورية الداتشية وصار القطعتان من الاراضى الواطية منفصلتين بالكلية وبقيت اسبانيا ضابطة للاقاليم الموجودة فى جنوب الشلد وقررت هولنده استحواذها على الاقاليم الموجودة فى شمال هذا النهر وبعد مضى قرن صارت الاقاليم الشمالية ميدان حروب لاوروبا وحصلت منازلات كثيرة مكث الحرب فيها ثلاثين سنة بين لويز الرابع عشر واسپانيا وسار الحرب الاسبانى الوراثى فى أقاليم مختلفة ثم ان معاهدات عكس الكنيسة فى سنة ١٦٦٨ ونمويغن فى سنة ١٦٧٨ وريصويك فى سنة ١٦٩٧ نقلت الاقاليم من دولة الى أخرى وكذا معاهدة أوطريخت فى سنة ١٧١٣ التى بواسطتها انقفل الحرب الوراثى الاسپانى صيرت الاراضى الواطية الاسبانية الى أوستريا وفى سنة ١٧١٥ عقدت معاهدة متممة طلب فيها عمل خط قلاع حدودية من ابتداء فورن على الساحل الى (شارلروا ـ ونامور) وأن تكون هذه القلاع محفوظة بالداتش أشبه بسد ودائمية بين فرانسا والبلاد الواطية وقبل ذلك بمدة قليلة قفلت هولندة الشلد على عموم المراكب ما عدا مراكبها وحولت الى استردام تجارة انطوريب التى صار البدء فى خلاصها مما كان واقعا بها من أذى السياسة التعصبية الحاصل من فيليب الثانى ملك اسبانيا ثم تعين شارلس دوق الورين من طرف الامبراطوره مريم تريسة نائب البلاد الواطية الاوسترپانية حسب ما تقرر عندهم فكان حكمه عدلا فاصلا وتمتعت الاهالى تحت حكمه ببعض درجات من فلاحهم الاول ثم ان يوسف الثانى خرب القلاع والمعاقل التى احتلها الداتش وأرغمهم على الانسحاب الى بلادهم وسعى فى فتح الملاحة الشلدية ثانيا الا أنه لم يتم له ذلك وكانت مساعيه فى اصلاح القدر الموجود فى حكومة البلاد الواطية وقامت عليه مصادمات قوية مقبولة عند العموم وأخذت هذه المصادمات فى القوة والشدة بمساعدات حصلت من الثورة الفرنساوية وفى ١١ ديسمبر سنة ١٧٨٩ قام أهالى بروكسليه ضد المحافظين الاوستريانيين وجبروهم على التسليم فعرض يوسف وخليفته ليوبولد الثانى شروطا عادلة على الاقاليم وقصدهم بذلك فصل الاختلافات الحاصلة الا أن زعماء البلجيقانيين رفضوا قبولها وأعلنوا بقصدهم تنصيب جمهورية بلجيقانية مستقلة وأعقب الخلاف الذى حصل أن القوى الاوسترپانية أعادت توطيد سلطة الامبراطور ثانيا فى الاقاليم وفى سنة ١٧٩٥ صدر الامر للجنرال پيشغرو بواسطة المرشدين بالدخول فى بلجيقا مع جيش فرانساوى لمساعدة أرباب الجمهورية وصار طرد الاوستريانيين من كل جهة وصدر اعلان من الحكومة الفرنساوية بأن بلجيقا (البلاد الواطية الاوسترپانية حسب اسمها الاصلى) صارت قسما أصليا من الجمهورية الفرنساوية ولما تشكلت المملكة صارت بلجيقا قسما من هذه المملكة وبمجرد خلع ناپليون فى سنة ١٨١٤ أبدت أوستريا طلبها للمملكة فوضعت تحت يد نائب أوسترپانى وفى معاهدة ڤيانه سنة ١٨١٥ صارت بلجيقا متحدة مع هولنده وشكلا مملكة البلاد الواطية وصارت محكومة بالملك (غليلوم فريدريق أورنجه ناسو) الذى

هو أول ملك لهذه المملكة الجديدة وشكلت بواسطة مجالفيها أحد الحصون الحصينة ضد مملكة فرانسا وكان هذا الاتحاد لا طعم له عند البلجيقانيين على الخصوص ولم يتغابروا مع المعاهدين في تشكيل المملكة المستجدة وكان انفصال البلجيقانيين من الداتش بالنسبة لمزايا الاختلافات الملية في اللسان والديانة والطرق التجارية وكان في هولند من السكان ما ينوف عن ٢٥٠٠٠٠٠ الا أنها في الاحوال العمومية كانت مساوية لحالة بلجيقا التي بها من السكان ما ينوف عن ٤٠٠٠٠٠٠ وكان دينها العمومي ٤٠٠٠٠٠٠ فلورينه وكان دين هولنده ١٢٠٠٠٠٠٠٠٠ فلورينه وكانت بلجيقا لها دخل في هذا الدين وكان استعمال اللسان الفرنساوي في الاحكام العدلية وأشغال الحكومة غير مستمر ويوجد كثير من مواد أخر كانت مضروبة على أهل بلجيقا تقع لهم أن يجعلوا أنفسهم تحت أحكام غير راضين بها وحصلت المناقضات في هذه المواد في ما يو سنة ١٨٣٠ وكتب في ذلك ٦٤٠ عريضة وبناء على هذه العرائض اختارت الحكومة قانونا عنيفا قامعا وفي هذا الوقت ضاقت صدور البلجيقانيين مما هم فيه وامتلأت عقولهم بالافكار في الاحوال الموافقة لهم فانفتح لذلك حزب مشترك من زعماء وقواد البلجيقانيين فيما يختص بمنافع عتقهم وتعضد هذا الحزب بكثرة وصار ضبط بوطير والذين معه وطيلمان وبرطل ودنيو قواد الحزب البلجيقي بالنظر لما هو حاصل منهم من المعاند ولما وجدوا مجرمين بهذه الذنوب صار نفيهم من المملكة فكان هذا الحكم على أهل بلجيقا من أعظم المصائب وحصل لهم الغضب الاكبر وفي وسط هذا الهول وردت الاخبار بنجاح ثورة يوليه في باريس وهرب شارلس العاشر وانتشر الهيجان بسرعة وفي ليلة ٢٥ أغسطس سنة ١٨٣٠ في أثناء تشخيص رواية ماشانيلو في الاوبره الكبير في بروكسيلة قام المحفل في كثير من الناس وأعطى اشارة للثورة فخرج المهيجون المتفرجون من التياتر ونهبوا مصلحة الجرائد الوطنية التي هي احدى آلات الحكومة ونهبوا دكاكين السلاح ونصبوا حواجز ومتاريس في الشوارع وفي اليوم الثاني خمدت الفتنة بواسطة الخفر المدني الا أن الثورة انتشرت وحصل في جميع المدائن الاصلية البلجيقية هذا المشروع أيضا على مثال بروكسيله

وفي ٢٨ أغسطس انعقد مجلس مدني في ميدان مدينة بروكسيلة واختار أن يعرض على الملك أنه يرغب في الاسعاف بعمل اصلاحات تختص بالحكومة وتسمح لهم بالمحاكمة بواسطة وكلاء مدافعين في القضايا الجنائية وازالة الاجراآت المهيجة وأن يصير عزل النواب الغير المقبولين في ادارتهم وصار تعيين مبعوثين ليتوجهوا الى هاغو ويعرضوا هذه المطالب وقد علم مما أجراه الملك حيث رفض أن لا يوعد بشئ حتى يخضع البلجيقانيون لحكمه وقال انه رغب اعتبار المسئلة في أوائل الوقت وهذا الجواب لم يحصل منه الا زيادة الرعب في بلجيقا وأخيرا عزم ولي العهد البرنس فريدريق على زيارة بروكسيلة واجتهد في الحصول على اخماد هذه الاختلالات وعقد مجلسا من زعماء رجال هذه المدينة الا أنه لم يتم له شئ وأوضح له نائب من ليبغ وقال له ان أهالي بلجيقا لا يرضون الا بانفصالهم من هولنده وفي ١٣ ديسمبر عقدت جلسة عامة من عموم الاقاليم وتعين فيها وزارة جديدة بواسطة الملك وأرسل جيش مؤلف من ١٤٠٠٠ نفس تحت البرنس فريدريق لاطفاء الثورة في بروكسيله وبعد محاربة شديدة مكثت ثلاثة أيام تغلب على النصف الاصلي للمدينة في ٢٣ و ٢٦ ديسمبر وصار تقوية أرباب الثورة في الحال من ليبغ ومن مدائن أخر فانجبر البرنس فريدريق على التقهقر من بروكسيله وسار قواد المدائن الاخر على

منهاج بروكسيله وفى ٢٠ اكتوبر سلم محافظو الداتش الموجودون فى ليبنغ وبقيت انطوبرب وحدها تبعا لهولنده واحتل الجنرال شاسى قلعة هذه المدينة مع ألوف من عساكر الداتش وعقد نوابها متاركة حربية معه يرجون بها سلامة المدينة ثم ان قواد العاصين رفضوا هذه الترتيبات فأعلنت القوى الداتشية بالتسليم فجاوبهم الجنرال شاسى بضرب نار على الجهة التى فيها مساكن العاصين فحصل تلف عظيم للمدينة وتلفت عقارات بمبالغ جسيمة وهدمت بواسطة نيران المدافع .

وصار تنصيب حكومة مؤقتة بواسطة زعماء الثورة فى بروكسيله وشرعوا فى عمل قانون لتنظيم بلجيقا أشبه بكونها مملكة مستقلة ثم ان البرنس فريدريق الموجود الآن فى انطوبرب رضى بهذا الترتيب على شرط أن يكون هو الملك الا أن أهل بلجيقا عجزوا عما قدمه لهم فبناء على ذلك ترك انطوبرب وفى ٢٥ اكتوبر أطلق الجنرال شاسى نارا على المدينة يومين وأوقع بها خسائر جمة وبهذه الاعمال الوحشية التى ما أفادت فائدة يعود منها النفع له قطع العشم من صداقة هولنده وفى ١٠ نوفمبر انعقد مجلس ملى فى بروكسيله وهذا المجلس أعلن باستقلالية مملكة بلجيقا وصدق على أشغال الحكومة الوقتية بتنصيب هيئة حكومة ملوكية وأعلنوا أن بيت أورنجه محروم الى الابد من التخت البلجيقى

ثم ان غليوم ملك هولنده استغاث بالدول المعظمة الذين أخذهو واسطتهم بلجيقا الجبروا أهالى بلجيقا على مراعاة الترتيبات والاصلاحات وعلى حسب طلبه انعقد مجلس فى لونده مركب من نواب هذه الدول وصدر النظام بان الداتش والبلجيقيين يسحبون عساكرهم الى حدودهم الاصلية وأن لا يكون بينهم وبين بعض عداوة ولا منازعة حتى تعلم نتائج ما يقرر عليه المجلس وفى ٢٠ يناير سنة ١٨٣١ أقر المجلس باستقلالية بلجيقا وربط على هذه المملكة جزأ من الدين الاهلى الواجب على البلاد الواطية دفعه على تقاسيط شهرية

ثم ان المجلس الملى البلجيقى عرض تاج المملكة الجديدة على (دوق نيمور) ابن لويز فيليب ملك فرانسا فلم يقبله عما أن الدول الاوروباوية معارضون له فى قبوله فتعينت نيابة والبارون (سرليت دوشوكبير) رئيسها بدل الحكومة الوقتية ثم عرض التاج على البرنس (ليوبولد صاكس كوبورغ) زوج بنت جورج الخامس ملك انكلتره فقبله وفى ٢١ يوليه سنة ١٨٣١ صار تتويجه ملك البلجيقيين ولم تمض مدة طويلة الا والجيش الداتشى أغار على الاملاك البلجيقية عند ختام المتاركة وكانت المملكة لم تستقر حالتها المقابلة هذا الخطر فاستغاث ليوبولد بفرانسا فدخل جيش فرنساوى تحت قيادة (المارشال غيرارد) داخل بلجيقا وطرد القوى الداتشية خارجا عنها وأرغم الجنرال شاسى على تسليم قلعة انطوبرب فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٢ وبهذا انتهت العداوات الحالية الا أن معاهدة الصلح الاخيرة بين بلجيقا وهولنده لم يحصل التوقيع عليها الا فى ١٩ ابريل سنة ١٨٣٩ وكانت تحت أمر الدول الاوروباوية وبهذه المعاهدة قسمت لكسمبورغ وليمبورغ بين الحزبين المتراضيين فكان نصيب هولنده القطعة الشرقية من هذين الاقليمين مع قلاع (ميسطريشط ـ وونلو ـ ولكسمبورغ) وفى ٩ أغسطس سنة ١٨٣٢ تزوج الملك ليوبولد البرنسيسة لويزه بنت لويز فيليب وخلف منها جملة أولاد

ثم ان ليوبولد خصص نفسه لعلو نجاح مملكته وحريتها مع الهمة العالية وقرر فيها انتظامات المساواة فى

الحرية والاصلاح وأدخل بلجيقا في مجارى الصناعات والكد في الاعمال الناجحة حتى صيرها احدى الامم الغنية في أوروبا ولما تم لفرانسا أن المملكة لاتخلص جميعها من الاهوال المتسببة من ثورة سنة ١٨٤٨ الا أن هذه الحركة بعيدة جدا حيث كانت بلجيقا رغبت في نتائج تظامات في الطريقة المنتخبة ومحو جريدة الاخبار ثم ان حالة نابليون في سنة ١٨٥١ طردت عددا عظيما من الفرنساوية التجؤا الى داخل بلجيقا وبهذا حصل في الحكومة مضايقة عظيمة ثم ان الجرائد الحرة أخذت في تهديدهم بسبب معاملة نابليون وانجبرت الحكومة على مضايقة بعض الا كثر لوما في ذلك وعلى أن تطرد قليلا من الفارين وأن تجرى قانون المعاقبات على الذين يضادون معيشة الملوك الاجنبية ومات ليوبولد في ٩ ديسمبر سنة ١٨٦٥ بعد أن تسلطن أربعا وثلاثين سنة في سلم ونجاح

ثم ان ليوبولد الثانى الابن الاكبر للملك الاول خلف أباه وكانت سلطنته فالحة وفي أمن وسلم وفي مدة الحرب الفرنكو الجرمانى سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ دخلت بلجيقا في حيادة شديدة بين المتحاربين ومنعت تصدير المهمات اللازمة للحرب وفي ٩ أغسطس سنة ١٨٧٠ عقدت انكلتره التى هى من ابتداء تشكيل المملكة مقرة بأنها هى المدافعة الخاصة لبلجيقا معاهدة مع فرانسا وبروسيا وبواسطة هذه الدول حصل الاتفاق على احترام حيادة بلجيقا ومن ابتداء غلاق هذا الحرب صار تاريخ المملكة خالى الحوادث والوقائع ﴿ والى هنا تم تاريخ بلجيقا ﴾

(الكتاب الثلاثون)

﴿ تاريخ دانيمارقه ﴾

(الباب الاول)

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى الوقت الحالى ﴾

الموقع الجغرافى لدانيمارقه ـ التاريخ القديم الخرافى ـ أصل الاسم ـ غورم العجوز ـ المملكة ثيره ـ تشييد الدانيبورك ـ هرالد أزرق السنة ـ سوند ـ فتحه قسما من انكلتره ـ كانوت الاكبر ـ ابطال الديانة الوثنية ـ ادخال الدانيون في الديانة المسيحية ـ الحاق دانيمارقه بنرويج ـ مغنوس الطيب ـ تقسيم المملكة ـ سلطنة سوند الثانى ـ خلفاؤه ـ والدمار الاول ـ والدمار الثانى ـ هداية اثيان ـ أسره ـ خلفاؤه ـ قيام العوام ـ كريستوفر الاول ـ ضعف الشوكة الملوكية ـ الحرب مع شلصويغ ـ والدمار الثالث ـ أولاف ـ مرغريطة ـ سلطنتها العظيمة ـ صيرورة كريستيان أولدنبورغ ملكا ـ كريستيان الثانى ـ خسارة اسويج ـ خلعه ـ فريدريق الاول ـ صيرورة الدانيمارقه بروتستانت ـ حروب القرن السابع عشر ـ كريستيان السابع ـ الحرب مع انكلتره ـ هزيمة الاسطول الدانيمارقى بواسطة اللورد نيلسون ـ ضرب كونبهاغن بالمدافع ـ التحاق دانيمارقه بالتحزب ضد نابليون ـ خسارة نرويج ـ فريدريق السابع ـ حروب شلصويغ حولصطين ـ ضياع دانيمارقة الدوقيات ـ احتفال عيد الالف سنة من التوطن في جزيرة الثلج (ايسلند)

مملكة دانيمارقه موضوعة في شمال أوروبا وواقعة بين عرض ٣٠َ ٥٤° و ٤٥َ و ٥٧° شمالا وطولا ٥َ ٨° و ٤٥َ ١٢° شرقا ويدخل فيها أيضا جزيرة بورنهولم الصغيرة الموجودة في بحر بلطيق الواقعة في طول ١٥° شرقيا وهذه المملكة محدودة من جهة الشمال ببحر سكاغر ومن جهة الشمال الشرقي والشرقي ببحر كتغات وبوغاز السند وبحر بلطيق ومن جهة الجنوب ببوغاز فيمرن وبلطه الصغير وشلصويغ ومن جهة الغرب ببحر الشمال وتشتمل المملكة على بحيث جزيرة جوتلنده وجزائر (سيلنده ـ وفونين ـ ولالنده ـ وفلسطير ـ ولنغلند ـ وموين ـ وصامصو ـ ولاصو ـ وأرو ـ وبورنهولم) وبعض جزائر أخرى صغيرة ومن أملاكها أيضا جزائر فروه ـ وجزيرة الثلج ـ والجزيرة الخضراء ـ وجزائر سنطه كرور ـ والقديس توما ـ والقديس يوحنا في الهند الغربي ومساحة المملكة الاصلية ١٤٫٧٥٢ ميل مسطح وسكانها ١٫٩٠٣٫٠٠٠ وبادخال مساحة المستعمرات تكون المساحة ٨٧٫١٦١ ميل مسطح والسكان ٢٫٠٣٢٫٠٠٠ نفس

وتاريخ دانيمارقه القديم غير محقق بالكلية وعلى حسب روايات أهلها أن اسم المملكة مأخوذ من دان ميكيلاطي أودان المشهور أحد الملوك القديمة جدا الذي علم قومه كثيرا من الصنائع النافعة وجعل جميع ما جاوره من الامارات خراجية له وتاريخ سلطنته وحوادثها غير معلوم وجاء بعده سلسلة طويلة من الملوك أحدهم (سطوركودر) هو هيرقول الشمالي وروي في شجاعته القوية وصولته كثير من الخرافات والصحيح أنه تسلطن في سنة ٦٠٠ بعد الميلاد وفي رواية من هذه الخرافات المذكورة في حق الشجعان كانت سلطنة سيغورد الذي ابنه (رغنرلودبرغ) حاز كمال الشجاعة وعلو المقام والمقدار وفي أواخر القرن التاسع صارت مملكة دانيمارقه مجموعة في مملكة واحدة بعد أن كانت مقسمة بين عدة حكام صغيرة وكانت قبل تقسيمها متحدة اتحادا واحدا وكان أول ملك من ملوك المملكة المتحدة غورم العجوز الذي كانت سلطنته واقعة بين سنة ٨٦٠ و ٩٣٦ بعد الميلاد وفي هذا الوقت أوقع الاهالي الشمالية الذين كان الدانيون أولهم بتقدمهم الرعب والانزعاج في السواحل الاوروباوية وبواسطة زوارقهم السريعة السباحة في البحر نزلوا على جميع النقط المعرضة من الساحل وأشهروا تقدماتهم بعنفوانهم وقد ذكرنا ما حصل منهم من التخريبات في محل آخر وكان غورم أحد القواد المشهورين في هذه الشرذمات النهابة السلابة فغزا جرمانيا ودمر ساحلها الشمالي بالنار والسيف وسار بجيشه حتى وصل الى جنوب اكسلاشبل (عكس الكنيسة) فنهب الكنيسة المدفون فيها شرلمانيا واشترك أيضا فيما صار اجراؤه من الحصار الاول لبارنس وبواسطة الاهالي الشمالية في سنة ٨٨٥ وفي سنة ٨٩١ كان قائد عساكر في واقعة لوين التي فيها انكسر أهالي الشمال كسرة مهولة بواسطة ارنولف ملك جرمانيا وفي أثناء غياب غورم العجوز في غزوته اللصوصية في البحر كانت دانيمارقه محكومة بواسطة الملكة زوجته المسماة تيره وهي امرأة عاقلة جدا وكان زوجها متعصبا بالدين الوثنية وكانت هي مائلة الى الديانة المسيحية وأمرت بتشييد المتراس المهول المعروف باسم الدانيوويرك الذي سار في تشغيله قاطعا لبحيث جزيرة الى النهاية الجنوبية لشلصويغ وكان ارتفاعه من خمسة وسبعين قدما الى سبعين قدما وطوله ثمانية أميال وكان المقصود من هذا المتراس حماية دانيمارقه من اغارة الجرمانيين

ومات غورم العجوز في سنة ٩٣٦ وجلس بعده على التخت ابنه هرالد أزرق السنة وكان ملكا جبارا مكارا نجح بمكره في جعل نرويج خراجية له مدة من الزمن لكنها أسرعت في استرداد استقلاليتها ثم ان

هرالد تلقى الديانة المسيحيــة وتعمد مع زوجتــه وابنه ســوند أوسـقن بواســطة عابد جرمانى اسمه يوبا وبواسطته أيضا دخل معظم أهالى دانيمارقه فى الديانة المسيحية وشرع هرالد فى عدة حروب مع فرانسا بمساعدة الشاب الجسور الدوق ريشارد حاكم نورمنديا وماث فى واقعة سنة ٩٨٥

ثم ان سوند بن هرالد ـ خلف أباه على تخت دانيمارقه وغزا كاذكرنا فى محل آخر انكلتره فى سنة ٩٩٤ مدة سلطنة عثلريد الغير حاضر وفتح جزأ عظيما من تلك المملكة ومكث هذا الفتح عدة سنين وفى سنة ١٠١٤ مات سوند بغتة فى غينسبروغ ثم انه وان تعمد فى صغره الا أنه لما بلغ السن ارتد من النصرانية الى الوثنية وترك (سوند) ولدين هرالد ـ وكنود أوكما هو معروف فى التاريخ الانكليزى باسم كانوت وصار انتخاب هرالد ملك دانيمارقه وأعطى كانوت الذى كان عمره فى هذا الوقت أربع عشرة سـنة فتوحات أبيه فى انكلتره فأعقب ذلك كانوت بقوة شـديدة وفى الحال تغلب على كامل أنحاء انكلتره ومات هرالد فى سنة ١٠١٨ وصار انتخاب كانوت خليفتـه على التخت الدانيمارقى وحيث كان نصرانيا أبطل الوثنيـة فى دانيمارقه وجعل ديانة المملكة الديانة النصرانية وآثر أن تكون انكلتره مقره وسلطنته منسوبة الى التاريخ الانكليزى أكثر من التاريخ الدانيمارقى وجعل نفسه ملكا على اسوج ونرويج كما أنه جعل نفســه أستاذا على كمبرلنـد وأقسام من اسكوطلنده ومع أن عمره كان ستا وثلاثين سنة عند موته كان أحد الملوك الاوروباوية الكبيرة المقدار

ثم ان هرالد هارفوت ـ بن كانوت من زوجته الاولى استخلف على التخت الانكليزى وحارديكانوت ابنه من الزوجة الثانية جلس على التخت الدانيمارقى ومات هرالد سنة ١٠٣٩ وخلفه حارديكانوت أشبه بملك انكلتره فتسـلطن ثلاث سـنوات وقضى أغلب وقتـه فى انكلتره وكانت سـلطنته فى التاريخ الدانيمارقى خالية الوقائع والحوادث .

ولما مات حارديكانوت سنة ١٠٤٢ انتقلت دانيمارقه الى نرويج باتفاق بين حارديكانوت ومغنوس الطيب ملك نرويج وكان ذلك مكسبا عظيما لدانيمارقه لان الدانيمارقيين تمتعوا خمس سنوات بفوائد الحاكم النبيل البهير الملك مغنوس وعند موته فى سنة ١٠٤٧ تنازل عن التاج الدانيمارقى الى سوند ابن أخى كانوت وبهـذا انفصلت مملكة نرويج من مملكة دانيمارقه مرة ثانيـة ثم ان الملك هرالد ملك نرويج اجتهد فى فسخ هذا الانتظام ومكث سبع عشرة سنة فى حرب مستمر مع دانيمارقه حتى حصلت مضار عظيمة لهذه المملكة ولما أراد أن يقيم حربا على انكلتره عقد صلحا مع سوند سنة ١٠٦٤ وكان سوند حاكما عظيما ورجلا طيبا وكانت سلطنته فى مشروع النجاح والفلاح لرعيته وفى سنة ١٠٦٩ عزم على اغتصاب انكلتره من غيليوم الفاتح الا أنه لم يطب له ذلك وكان ذلك آخر عزم الدانيمارقيين على انكلتره وكان سوند صادقا جيدا للبابا جريجورى السابع وبقيت بينهما مخابرات مستمرة لكن لما أمره جريجورى بأن يعترف بأنه عبد لدار القسوسية رفض أن يفعل ذلك وجعل مع البسالة مملكته فى حالة مستقلة وعلى ما قيل انه كان قبيح الصورة جبانا لكنه كان ملكا طيبا لاهل مملكته وهو المؤسس للبيت المتسلطن الآن فى دانيمارقه ومات فى سـنة ١٠٧٦ وترك أربعة عشر ولدا خمسـة منهم تعاقبوا ملوكية دانيمارقه فمنهم هرالد الابن الاكبر تسلطن من سنة ١٠٧٦ الى سنة ١٠٨٠ وكنود الى سنة ١٠٨٦ وأولاف من سنة ١٠٨٦ الى ١٠٩٥ وأريك من ١٠٩٥ الى ١١٠٣ ونيلس من ١١٠٣ الى ١١٣٤ وكانت سلطنة هؤلاء الملوك مشحونة بالارتباكات الداخلية ثم أعقب موت نيلس مدة مرتبكة الاحوال انتهت بجلوس والدمار الاول الملقب بالاكبر على تخت دانيمارقه وجده ـ ذا

الامير

الامير مملكته فقيرة خالية عن الجيوش وفي أهوال ومصاعب شاقة فتركها في فلاح وحماية تامة وأشغال متراكمة واكتسب مظفرات كثيرة على (الوند - والاونيانيين) الوثنيين الموجودين على بحر بلطيق وجبرهم على الدخول في الدين المسيحي ومات في سنة ١١٨٢ وخلفه ابنه كنود السادس فجلب بوميرانيا وبعضا من بروسيا الشرقية تحت الشوكة الدانيمارقية ومات في سنة ١٢٠٢ وخلفه أخوه والدمار الثاني وهو أحد كبار الملوك الدانيمارقية فأخضع كافة بوميرانيا وأضافها الى مملكته وفي سنة ١٢١٧ منحه امبراطور جرمانيا هو ومن يخلفه الاراضي الموجودة في شمال (إلب - والالد) وبهذا جعله أستاذا في الوقت الحالي على القسم الاعظم من شمال جرمانيا وفي سنة ١٢١٩ شرع والدمار مع قداسة البابا في ادخال الاونيانيين في الديانة المسيحية فدخل في هذا المشروع مع جيش مقداره ٦٠،٠٠٠ نفس وأسطول مركب من ١٤٠٠ سفينة فتغلب على كامل اونيا وأرغم كثيرا من السكان على الانقياد للمعمدة فقام فرسان الليوونيانيين وهم فرسان السيف مضادين مع الكراهة لدخول الاونيانيين في الديانة المسيحية بما أنهم أعلنوا بأن لهم الحق في أن يدخلوا كافة وثنيي هذا الاقليم في الديانة المسيحية وحاولوا السلاح لطرد الدانيمارقيين من البلاد ووقع بين القوى المتحاربة عدة وقائع كان النصر فيها للدانيمارقيين ولما عاد والدمار الى دانيمارقه من اونيا ترا آي عليه أنه في أعظم درجة من شوكته ومع ذلك فانه في سنة ١٢٢٣ بينما هو نائم في خيمته أثناء خروجه للصيد اذ سطا عليه (الكونت هنري شورين) وقبض عليه وسدفه وكتفه مع ابنه الاكبر وحملهما في مركب سريعة السير الى جرمانيا وطرحهما في سجن في قلعة دانبرغ في هانوفر واستمر في هذا الأسر القبيح عدة من السنين ولم يخلص منه الا من بعد أن دفع فداء مقداره خمسة وأربعون ألف مارك من الفضة وما بقي من هذه السلطنة كان خالي الحوادث والوقائع وما كان له قدرة على أن يأخذ بثاره من الكونت هنري وخصص مساعيه لاصلاح مملكته وفي سنة ١٢٤١ رتب في دانيمارقه قوانينها ونظاماتها الاولية ومكث العمل جاريا على مقتضى هذا القانون أربعمائة وخمسين سنة ولم يصر الغاؤه بالكلية وبعد مضي ثلاثة أيام من قبول الممالك الدانيمارقية هذا القانون مات (والدمار) بعد أن بلغ من العمر احدى وسبعين سنة ولما مات البرنس والدمار قبل أبيه جلس الابن الثاني للملك وهو اريق على التخت عند موت والدمار وتسلطن الى سنة ١٢٥١ وقتل بأمر أخيه أبل دوق شلسويغ ولبس التاج وتسلطن أبل سنتين فقط وقتل في سنة ١٢٥٢ بواسطة رجل أخطأ وسلطنته مشهورة على الخصوص بما كان فيها من المبادي من التصريح لطوائف البورغير بامتيازهم في أن يرسلوا نوابا عنهم في المجلس الملي الجاري عقده سنويا وصار منحهم أيضا بامتيازات مهمة بلدية لم يحصل تمتعهم بها فيما سبق وبعد موت أبل خلفه أخوه كريستوفر وكان رجلا في عنفوان شبابه وتسلطن لحد سنة ١٢٥٩ وكانت مدته خالية الحوادث والوقائع وخلف كريستوفر الاول ابنه (أريق غليبنغ) وهو طفل عمره عشر سنوات وتسلطن لحد سنة ١٢٨٦ الا أن سلطنته كانت خالية الوقائع وكان ابنه اريق منويد أيضا طفلا عمره عشر سنوات فخلفه وتسلطن الى سنة ١٣١٩ وأخذت الشوكة الملوكية في الضعف مع العجلة في مدة سلطنة هذين الملكين وصار للمدائن الحانسية مقدرة على سن الشروط التي تجري الدانيمارقيون العمل بموجبها في محلات صيد الاسماك أو مغاص اللؤلؤ وجلس كريستوفر الثاني أخو اريق على التخت في سنة ١٣١٩ وحيث كان التاج انتخابيا فقبل أن يقرر له أرغمه أشراف الدانيمارقيين على أن يمضي لهم على ورقة شروط تجعلهم مستقلين من الملك وأن يكونوا في غاية من الحرية في عدم دفعهم العوائد والضرائب

المخصصة بواسطة المملكة وبهذا يحصل نقص كبير فى مدخولات الخزينة الملوكية فاجتهد كريستوفر فى أن يخلص نفسه من هذه الشروط الصعبة واشتبكت المملكة فى حروب داخلية عديدة وفى سنة ١٣٢٥ دعيت الاشراف لمساعدة الكونت غيرهارد كونت حولسطين بما أنه هزم الملك واستمال الدانيماركيين فى كونهم يعلنون بخلو التخت وأجلس ابن أخيه (والدمارشلصويغ) أشبه بملك الا أنه من بعد أربع عشرة سنة صار هو الحاكم الحقيقى لدانيماركه ثم ان كريستوفر بعد أن سعى مساعى عظيمة فى استرداد تخته مات فى سنة ١٣٣٢ واستمر (غيرهارد) على حكمه دانيماركه وأتعب الاهالى كثيرا حتى كرهوه وفى سنة ١٣٤٠ صار قتله فى وسط أشرافه وعساكره بواسطة رجل من أرباب المناصب من جوتلنده اسمه (نيلس ابصون) واجتمع الجوتلنديون فى الحال تحت أمر هذا الرجل الجسور وطردوا الجيش الجرمانى خارج البلاد وحمل الكونت هنرى بن غيرهارد السلاح لاجل الاخذ بثار أبيه فهزم الدانيماركيين فى واقعة (سكندرسبورغ) وفيها قتل نيلس ثم ان هنرى سحب عساكره وترك الدانيماركيين يفعلون كيف شاؤا

ثم ان البرنسات الدانيماركية انتخبوا (والدمار أطرداغ) وهو الابن الاصغر لكريستوفر فى أن يكون ملكا عليهم فأحيا الشوكة الملوكية الدانيماركية وسطوتها وساق حربا مظفرة على المدائن (الحانسية) ولما كان فى غاية الشوق لتوطيد زواج أخته مرغريطة بولى العهد برنس اسويج ونرويج قبض على البرنسيسة (اليزابث حولصطين غوطورب) التى كانت مخطوبة لهذا البرنس وحبسها حتى تم زواج أخته بولى عهد التخت الاسويجى فأوقعه هذا الشغل فى حرب مع كونت حولصطين الذى عقد معاهدة ضده مع المدائن الحانسية وبعض الامراء الجرمانية فانهزم والدمار وخسر قسما عظيما من مملكته والجبر على الهرب من دانيماركه سنة ١٣٦٨ واستمرت أعمال مملكة دانيماركة تحت أنظار الحانسين أربع سنوات الا أنه فى سنة ١٣٧٢ صار التصريح الى والدمار بالعود الى تخته على شرط أن يكون للمدائن الحانسية فى المستقبل صوت فى انتخاب ملوك دانيماركه وفى سنة ١٣٧٥ مات والدمار فأعلن الاشراف الدانيماركية فى الحال أن يكون ملك دانيماركه أولاف بن مرغريطة ملكة اسويج ونرويج بنت والدمار ومات أولاف فى سنة ١٣٨٧ وعمره سبع عشرة سنة فانتخب الدانيماركيون مرغريطة أم أولاف لان تكون ملكتهم وبعد ذلك بمدة قليلة صار تتويج مرغريطة ملكة نرويج وبهذا صارت دانيماركه ونرويج متحدتين مع بعضهما تحت سلطنة واحدة

وكانت مرغريطة احدى النساء الاكثر اعتبارا فى التاريخ فكانت حاكمة بصيرة جيدة العقل فى مملكتيها وضمت رعيتها اليها واستحسنت أن يكون الوارث لها اريتى حاكم بوميرانيا وهو حفيد أختها انغبورغ واجتهدت كثيرا فى أن تجعله مستحقا لذلك وقال المؤرخ الاكبر لويك فى حقها انها عقدت مسالمة مع أعدائها القديمة ورتبت النظامات العادلة على رعيتها وجذبت قلوب الاشراف والفلاحين الى محبتها وكانت تنتقل من قصر الى قصر مع احترام الاكابر وخدمتهم لها بصدق وتسافر من اقليم الى اقليم وتنظر بالعدل فى مواد القانون والحقوق حتى أطاعها الجميع وخدموها وقررت العدل فى ممالكها وامتنعت اللصوص البرية والبحرية التى كانت مضرة بالمملكة من مدة طويلة وصارت الاهالى فى راحة تامة وسرور زائد فى تقدمهم وتوطيدهم فى المعاملات وجودة سيرهم فى المستقبل ولم تكتف مرغريطة بمملكتيها بل طلبت التاج الاسويجى أيضا لانه حق زوجها وفى سنة ١٣٨٩ غزت مملكة اسويج وهزمت الملك المتسلطن ألبرت الاكبر مكلمبورغ وحبسته ست سنوات وبعد

نصرتها

نصرتها أضافت لنفسها فى الحال مملكة اسويج وفى سنة ١٣٩٨ أمرت بتتويج ابن أختها إريق بوميرانيا مع الاحتفال فى (كلمار) أشبه بملك دانيمارقه ونرويج واسويج وبهذا السبب أجريت الترتيبات المعروفة باشغال الاتحاد الكلمارى وفيه صارت الثلاث ممالك مجموعة فى حكومة واحدة وانتخاب الملك يكون باتحاد الثلاث ممالك فأغضب هذا الفعل أهل اسويج الا أنهم استمروا فى الاتحاد الى القرن السادس عشر ينظرون ان أعقب مرغريطة على التخت حكام مثلها فى العدل عاد شغل الاتحاد الكلمارى على الممالك الثلاث بالطيب لانه من المحقق كما قالت الملكة ان كل واحدة على حدتها تكون فقيرة ضعيفة الحال عرضة للأخطار من كل جهة وباتحاد تلك الثلاث ممالك يمكن تشكيل حكومة ملوكية قوية على قدر الكفاية لتحفظ من الغارات ومشروعات التجار الحانسية ومن جميع الأعداء الذين يأتون من جهة جرمانيا وتقدر على ازالة الاخطار والمضار من بحر بلطيق وتنظيفه من الاغراب ومع ذلك فاوجد حاكم جاء بعد مرغريطة مساويا لها ولا قبلها مقارنا لها وماتت مرغريطة بغتة فى سنة ١٤١٢ وبقى إريق الحاكم الفريد على الثلاث ممالك

وكان إريق ضعيف العقل قبيح السير وفى السنى الاخيرة من حياة مرغريطة ظهر عليه علامات خلل العقل الا أن نبالتها خلصته من خطئه وزلله وخصص عظيم شهامته بفتح حولصطين الا أنه لم ينجح فى أعماله عموما وتزوج فيليبه بنت هنرى الرابع ملك انكلتره فأمدت بحذاقتها مدة سلطنته وفى سنة ١٤٣٥ قام الاسويجيون ضد إريق بسبب معاملته الطاغونية لهم وفى سنة ١٤٣٩ أعلن مجلس المملكة بخلعه فسار الدانيمارقيون على منوالهم وخلعوه أيضا وكان غائبا فى جزيرة غوتلند فى هذا الوقت فعاد الى دانيمارقه لمداركة أمره فلم يصرح له بالنزول فى أى مينة من مينها ومات فى سنة ١٤٥٩ فقيرا متروكا .

وصار انتخاب كريستوفر بن دوق باقاريه وابن أخى إريق ملك دانيمارقة وتتوج سنة ١٤٣٩ وبعد مضى ثلاث سنوات طلب تاج اسويج ونرويج أيضا ومات فى سنة ١٤٤٨ ولم يعقب خلفا ثم ان أشراف دانيمارقه منحوا تاجهم للكونت كريستيان أولدنبورغ وهو من نسل الملوك الدانيمارقية وتزوج بارملة كريستوفر وصار توطيده على التخت بواسطة الدانيمارقيين وبهذا صار هو المؤسس لبيت أولدنبورغ الذى ضبط التخت الدانيمارقى من ابتداء هذا الوقت وفى سنة ١٤٥٠ صار تتويجه ملك نرويج لكنه وان طلب التاج الاسويجى واجتهد فى تحصيله الا أنه لم ينجح فى استحصاله على قدم ثابت فى هذه المملكة وفى سنة ١٤٦٩ زوج بنته مرغريطة بالملك الشاب جمس الثالث ملك اسكوطلنده وتنازل لهذه المملكة عن جزائر اركاده وشطلنده فى صداق بنته ومات فى سنة ١٤٨١ ثم ان حانس الابن الاكبر لكريستيان خلف أباه على التخت ومع أنه لم يعمل شيأ شاقا على الاشراف كان مبغوضا عندهم وشرع أيضا فى فتح المملكة الاسويجية الا أن أعماله كانت بغير طائل وهزم تجار لوبيك وأعاد الفظائع والوقاحة على المدائن الحانسية ومات فى سنة ١٥١٥

ثم ان كريستيان الثانى الابن الوحيد للملك حانس جلس على تخت دانيمارقه ونرويج وأسرع فى طلبه لاسويج وتغلب على القوة المعارضة له فى تلك المملكة وفى سنة ١٥٢٠ تتوج ملكا فى استخلم (اصطوكهولم) وبهذا صار اجتماع الممالك الثلاثة السكندنياوية مرة أخرى تحت حاكم واحد ثم ان حكومته الجورية أسرعت فى قيام أهل اسويج الى الثورة تحت قيادة (غوسطاوس واسا) وبهذا خرجت اسويج من دانيمارقه الى الابد وفى سنة ١٥٢٣ عزل بواسطة ما حصل منه من الظلم وانتقل

التاج لعمه فريدريق دوق حواصطين وتلقب بلقب فريدريق الاول وفى مدة سلطنته توطدت ديانة اللوثيرانيين فى دانيمارقة ومات فى سنة ١٥٣٣ وخلفه ابنه كريستيان الثالث وكان أعظم ملوك عصره وتمت النظامات والقوانين المدنية تحت حكمه ومات فى سنة ١٥٥٩ وجلس على التخت فريدريق الثانى فنشر سلطة دانيمارقه على الاهالى الحرة لبلاد (الديطمارسن) وكانوا فى مقاومة عظيمة مضادين عدة قرون لهذه المملكة وخلف كريستيان الرابع بن فريدريق أباه على التخت فى سنة ١٥٨٨ وكانت المملكة المتسلطن فيها مشتملة على كامل دانيمارقه ونرويج والسبعة أقاليم الجنوبية من اسويج وفى سنة ١٦١١ أشعل حربا جنوبيا بالاطائل تحته مع اسويج استمر سنتين حتى انتهى بواسطة اجراآت فعلتها انكلتره وفى مدة مبادى القسم الاول من حرب الثلاثين سنة شرع كريستيان فى المداخلة فى أعمال جرمانيا أشبه برئيس الاتحاد البروتستانى فاجتهد فى اتحاد الامم البروتستانتية ضد الامبراطور فرديننـد ولما خاب فى هذا السعى أغار على جرمانيا فى سنة ١٦٢٥ فانهزم فى لوطر سنة ١٦٢٧ وطرد من جرمانيا وبعد أن خسر خسارات ثقيلة انجبر على عقد صلح سنة ١٦٢٩ واستمر فى سلطنته الى سنة ١٦٤٨ حتى مات وخلفه ابنه فريدريق الثالث فاشتبك فى حرب مع شارلس العاشر ملك اسويج سنة ١٦٥٧ وسنذكر ما حصل من الوقائع ملحقا بتاريخ تلك المملكة ثم أعيد الصلح بواسطة معاهدة روسكيلد فى شهر مارث سنة ١٦٥٨ وانجبرت دانيمارقة على أن تتنازل لاسويج عن بعض جزائرها العظيمة القيمة وأن تترك معاهداتها التعرضية وبحجة أن شروط هذه المعاهدة ليست موفية لاغراض دانيمارقه جدد الاسويجيون الحرب ثانيا فى أغسطس سنة ١٦٥٨ وحاصروا (كوبنهاغن) الا أنه بسبب تداخل الداتش فى كونهم أرسلوا أسطولا حربيا لمساعدة الدانيماركيين انجبر شارلس العاشر على أن يخمد أغراضه من جهة دانيمارقه وفى سنة ١٦٧٠ جلس كريستيان الخامس على التخت الدانيمارقى وفى سنة ١٦٧٥ تجدد الحرب مع اسويج وبالتحالف مع منتخب براندنبورغ وجمهورية الداتش انقفل الحرب فى سنة ١٦٧٩ بأمر لويز الرابع عشر ملك فرانسا وأرغم المخالفين على أن يردوا الى اسويج جميع الاراضى التى أخذوها منها وفى أثناء ذلك حصل فى المملكة الدانيمارقية تغيير بواسطة ثورة سلمية حصلت فى سنة ١٦٦٧ وذلك أنهم بدل أن يجروا طريقة انتخاب الملك جعلوا الملوكية وراثية وبهذا التغيير ضعفت شوكة الاشراف للغاية وتسلطن كريستيان الخامس الى سنة ١٦٩٩ وخلفه بعد موته ابنه فريدريق الرابع وفى المدة الاخيرة من القرن السابع عشر نقصت الاراضى الدانيمارقية كثيرا وبواسطة معاهدة كوبنهاغن فى سنة ١٦٦٠ تنازلت دانيمارقه الى اسويج عن كامل القسم من أراضيها الواقع فى داخل البحيث جزيرة وهو السبعة أقاليم الجنوبية الاسويجية وأبقت جوتلنده والجزائر فقط

وسنذكر الاعمال التى أجرتها دانيمارقه ضد شارلس الثانى عشر ملك اسويج فى تاريخ مملكة اسويج وبواسطة هذه الحروب صارت حدود دانيمارقه فى حوزة شلصويغ ولم تشترك دانيمارقه فى الحروب الاوروباوية التى وقعت فى النصف الاول من هذا القرن وفى سنة ١٧٥٩ دخلت فى معاهدة مع روسيا واسويج لاجل المحافظة من الطرفين وأبقت الحيادة التجارية لبحر بلطيق وفى سنة ١٧٨٧ لما اشتبكت اسويج فى حرب مع روسيا أرسل كريستيان السابع ملك دانيمارقه وكان حليف الروسيا جيشا لاجل الاغارة على أراضى اسويج الا أن انكلتره وبروسيا وهولنده دخلوا فى ذلك وأرغموه على البقاء فى الحيادة

وفى سنة ١٧٨٠ التحقت دانيمارقه باتحاد الدول الشمالية روسيا واسويج وبروسيا وهولنده على جبر انكلتره على احترام حقوق حيادة المراكب كما شاهدنا ذلك ولم تشترك دانيمارقه فى حروب الثورة الفرنساوية واستمرت فى سلم الى غلاق القرن

وقد ذكرنا فيما سبق الطريقة التى تبعتها دانيمارقه فى حروب نابليون وفى أثناء مبادى سنى القرن تكررت مساع بواسطة الدول الشمالية لتوقيف تداخل المراكب الانكليزية الحربية مع حيادة المراكب على الابحر العالية على زعم تفتيشها بخصوص التجارات الحربية المهربة وصار تشكيل الاجتماع الاول المعد لهذا الخصوص فى سنة ١٨٠٠ بين روسيا واسويج ودانيمارقه وبروسيا وكانت دانيمارقه وحدها هى التى حصلت لها الآلام والمتاعب بواسطته فان الاسطول الانكليزى تحت قيادة الاميرال نيلسون عبر بوغاز السوند وهزم الاسطول الدانيمارقى أمام كوبنهاغن سنة ١٨٠١ وأرغم الدانيمارقيين على فسخهم هذا الاجتماع وانسحابهم منه

ومن هذا الوقت الى سنة ١٨٠٧ التزمت دانيمارقه بالحيادة عن الاعمال الاوروباوية الا أنه فى صيف هذه السنة انزعجت انكلتره مما حل بها من الاتحاد الشمالى الجديد وأرسلت على حين غفلة أسطولا الى كوبنهاغن وطلبت استلام الاسطول الدانيمارقى متعهدة برجوعه ثانيا اليها بعد انتهاء الحرب فرفضت الحكومة الدانيمارقية هذا الطلب المذل لحياتهم فضرب الاسطول الانكليزى نيرانه على كوبنهاغن ثلاثة أيام وجبرها على التسليم بعد تخريبها ووقع الاسطول الدانيمارقى وكثير من مراكب الحائل فى يد الانكليز وسافروا بها الى انكلتره وبعد مضى شهرين من هذا الفعل الخارق للعادة أعلنت انكلتره الحرب على دانيمارقه حتى جبرتها على الاتحاد مع نابليون واستحسنت طريقته الوطنية فخسرت دانيمارقه مستعمراتها الموجودة فى غرب الهند وهى سنت توما وسنت كروا التى وقعت فى أيدى الانكليز والست سنوات التى أعقبت ذلك صارت فيها دانيمارقه معضدة لامر فرانسا

وفى سنة ١٨١٣ بعد كسر نابليون فى ليبزيغ التحقت دانيمارقه بالاتحاد المشكل ضده فتنازلت دانيمارقه عن نرويج التى هى الى الآن مشكلة قسما من مملكة دانيمارقه الى اسويج واستبدلت بوميرانيا الاسويجية وجزيرة روغن واتفقت بريطانيا الكبرى على أن تدفع لدانيمارقه اعانة مالية عظيمة حتى يكون لها قدرة كافية على تشكيل قوة عسكرية مقدارها ١٠,٠٠٠ نفس ولما سقطت المملكة الفرنساوية ضمت دانيمارقه دوقية حولصطين الجرمانية مع المملكة وبعد ذلك بقليل صار التنازل عن بوميرانيا الاسويجية الى بروسيا بقصد استبدالها بدوقة (لوونبورغ) وصار دوق حولصطين ولوونبورغ ملك دانيمارقه عضوا من الاتحاد الجرمانى وعمل لذلك صلح فى سنة ١٨١٥ بحيث لا يكون فيه تغيير فى قواعد المملكة الدانيمارقية التى صارت بعد مطلقة الحكومة

وفى سنة ١٨٤٨ جلس فريدريق السابع على التخت ورتب لرعيته نظاما بواسطته صارت دانيمارقه محكومة أشبه بمملكة تحت قوانين فيها وفى هذه السنة تساعدت دوقيتا شلسويغ وحولصطين بواسطة بروسيا وهانوفر وعصتا على دانيمارقه وقد ذكرنا فيما سبق سبب حوادث هذا الحرب المتعب فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة فليراجعه المطالع هنالك اذا أراد ثم انفصلت المنازعة وقتيا فى سنة ١٨٥٢ ومات فريدريق السابع فى نوفمبر سنة ١٨٦٣ وخلفه البرنس كريستيان صاحب (شلسويغ وحولصطين وغلوكسبورغ) وكان متزوجا بحفيدة أخى فريدريق وبمجرد وصول كريستيان التاسع للتخت طلب دوقية أوغسطينورغ رأس الفرع الاكبر لعائلته الدوقيات شلسويغ وحولصطين الموجودين

وهذا الطلب جلب عليه حربا من أوستريا و بروسيا فى سنة ١٨٦٤ كما ذكرنا فيما سبق وفى هذا الحرب انكسرت دانيمارقه شر كسرة و تنازلت عن الدوقيات الى أوستريا و بروسيا وأخيرا فى سنة ١٨٦٦ صار التسليم الى بروسيا وحدها

وفى سنة ١٨٦٦ استحسن الدانيمارقيون نظاما جديدا يجرون أعمالهم على مقتضاه ومن ابتداء هذا الوقت صار تاريخ دانيمارقه فى حالة سلمية خالى الحوادث والوقائع

وفى صيف سنة ١٨٧٤ زار الملك كريستيان ملك دانيمارقه والبرنس ولى العهد جزيرة الثلج (ايسلند) واشتركا فى احتفال تذكار الالف سنة من تاريخ التوطن بالجزيرة ﴿ الى هنا تم تاريخ دانيمارقه ﴾

(الكتاب الحادى والثلاثون)

﴿ تاريخ اسوج ونرويج ﴾

(الباب الاول)

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى الايام الحاضرة ﴾

الموقع الجغرافى لنرويج ـ السكان الاصلية ـ احتلال الرجال الشمالية الولاية ـ هرالد هرفاغر ـ هاكو الطيب ـ القوانين المدنية الاولية ـ خلفاءها كو ـ موت الملك أولاف الاول ـ سنت أولاف ـ دخول نرويج فى الديانة المسيحية ـ مغنوس الاول ـ فتوحات مغنوس برفوت ـ سيغورد الاول ـ صورى ـ خلفاؤه ـ إريق مبغض القسيس ـ مرغريطه ـ اتحاد نرويج مع دانيمارقه ـ الاتحاد الكلمارى ـ ضعف نرويج ـ خلفاء مرغريطة ـ كريستيان الرابع ـ سلطنته الطيبة ـ صيرورة نرويج مجرد اقليم دانيمارقى ـ فريدريق السادس ـ انفصال نرويج من دانيمارقه وانضمامها الى اسويج ـ أحوال الاتحاد ـ الموقع الجغرافى لاسويج ـ السكان الاصلية ـ حضور أودين والسويجيين ـ خلفاء أودين ـ أولاف الملك ـ دخول الديانة المسيحية ـ سنت إريق ـ خلفاؤه ـ والدمار الاول ـ مغنوس بارنلوك ـ مرغريطة ـ اتحاد كلمار ـ خلفاء مرغريطة ـ كريستيان الثانى ـ ثورة الاسويجيين تحت قيادة غوسطاووس واسا ـ سلطنتا صغيصموند وشارلس التاسع ـ غسطاووس ادولفوس ـ حروبه ـ عزل كريستينه ـ شارلس العاشر ـ حروبه مع الممالك الشمالية لاوروبا ـ شارلس الحادى عشر ـ شارلس الثانى عشر ـ حروبه مع روسيا ـ هربه الى تركية ـ اضمحلال سطوة اسويج وسيادتها فى جهة الشمال ـ ضياع اسويج ممالكها ـ حالة اسويج مدة القرن الثامن عشر ـ غسطاووس الثالث ـ الحرب مع فرانسا ـ شارلس الثالث عشر ـ برنادوط ـ اعطاء اسويج نرويج بواسطة المحالفين ـ الإتحاد ـ نتائج تاريخية

(أولا تاريخ نرويج)

نرويج عبارة عن القطعة الغربية لجبيث جزيرة اسكندنياوه وهى واقعة بين عرض ٥٧° ٥٧َ و ١١َ ٧١° شمالا و بين طول ٤٥َ ٤° و ١٥َ ٣١° شرقيا وهى محدودة من الجهة الشمالية بالمحيط المتجمد الشمالى ومن جهة الشرق ببلاد بلند الروسية واسويج ومن جهة الجنوب ببحر (اسكاغراك) ومن جهة الغرب ببحر الشمال والمحيط الاطلنطيقى وطولها الاكبر من الشمال الى الجنوب ١٠٨٠ ميلا

ميلا وعرضها الاكبر من الشرق الى الغرب ٢٧٥ ميلا فتكون مساحتها ١٢٢٫٢٧٩ ميل مسطح وعدد أهلها ١٫٨٠٢٫٨٨٢ نفس وهى مشكلة قسما من مملكة اسويج ونرويج ومع أنها محكومة بملك واحد مع اسويج الا أنها مستقلة بالكلية فى أعمالها الداخلية عن مملكة اسويج

والتاريخ القديم لمملكة نرويج مغطى عن الحقائق الاكيدة وسكانها الاصليون هم الفنس وهؤلاء الناس الشماليون وجدوا مواطنهم فى البلاد بجردا حتلالهم فيها وهم أمة جرمانية أصولهم من الغوطيين الذين هم قبل أن يتكلم أحد على الاحوال التاريخية ضايقهم أمم أخرى وطردوهم من مواطنهم القديمة حتى وصلوا الى سواحل بحر بلطيق والبحر المحيط الجرمانى وهذه الامة الغوطية طردوا من أراضى نرويج سكان الفنس ووطنوا أنفسهم فى البلاد

ويبتدئ التاريخ الحقيقى لنرويج بواسطة (هرالدهرفاغر أوهر) والذى الشعر الابيض الذى تسلطن على ماقيل فى نحو سنة ٨٦٣ الى سنة ٩٣٣ بعد الميلاد فأخضع الامارات الصغيرة السكندنياوية وجمع السكان تحت أمة واحدة ولما لم تحتمل الرؤساء أرباب الشهامة العالية ذلة نزلوا مع أتباعهم فى مراكب لقطع سلك البحر بغاراتهم على من فيه وتعرضوا للسواحل الاوروباوية وخلف هرالد ابنه إريق الفظيع فتسلطن هذا خمس سنوات وفى سنة ٩٣٨ اختلت عقول رعيته من ظلمه فقاموا عليه وطردوه من البلاد وتوجوا (هاكون ـ أوهاكو) الاول الملقب بالطيب ابن هرالدهرفاغر الا أنه تعلم وتهذب فى ديوان ملك الانكليز (اثلصطان) وبهذا كان يعرف بابن اثلصطان المتبنى وكان ملكا عاقلا طيب السيرة معززا عند رعيته ونشر فى نرويج القوانين المدنية واجتهد أيضا فى ادخال الديانة المسيحية فى مملكته الا أن الاهالى كانوا عاكفين على الديانة الوثنية فمكثوا ثلاثة قرون حتى تم دخولهم جميعا فى ديانة المسيح وفى مدة سلطنته تساعد أولاد إريق بواسطة دانيمارقه واجتهدوا حتى أعادوا الانفسهم تخت أبيهم وتاجه وفى سنة ٩٦٣ صار قتله فى واقعة حصلت بينه وبينهم ثم ان إريق غرافيل بن إريق الفظيع وعمه هاكون بازل قسموا المملكة بينهم الى موت هاكون بارل وفى سنة ٩٩٥ ثار أهل نرويج فى ثورة كبيرة ووضعوا أولاف الاول على التخت وكان أحد الشجعان العظيمة الشأن فى الروايات النرويجية وكان نظامه لهذه الروايات بواسطة الالحان والمغانى الشعرية فخرب الهياكل والمعابد الوثنية وأسس مدينة (درونثيم) ثم هزمه الدانيمارقيون فى واقعة بحرية كبيرة فى سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ولما خسر ماكان معه قفز فى مركب وهو لابس طقمه الحربى لينجو من الاسر فغرق فى البحر وبعد ذلك صارت نرويج خمس عشرة سنة صيدا لغارات دانيمارقه واسويج وحل بها منهم المتاعب والاكدار الشديدة وفى سنة ١٠١٥ طرد أولاف الثانى الملقب بالقديس ظالمى بلاده من البلاد وأعاد استقلالية نرويج واتحادها ثانيا وتمم دخول سكان البلاد فى الديانة المسيحية الا أنه أجرى هذه الاجراآت بالقساوة والفظاعة حتى ان جميع طوائف رعيته صاروا ضده وفى سنة ١٠٣٠ غزا كانوت الاكبر ملك دانيمارقه نرويج وهزم أولاف وطرده من المملكة وأضافها الى ممالكه وبناء على هذا رجع أولاف ثانيا وبذل جهده فى استرداد تاجه الا أنه هزم وقتل فى واقعة (ستيكلصطاد) ثم ان كانوت أنعم بحكومة نرويج على ولده (سوند) غير أنه بعد موت الملك الاكبر طرد (سوند) من المملكة بواسطة مغنوس الاول ابن القديس أولاف وتسلطن مغنوس من سنة ١٠٣٥ الى سنة ١٠٤٧ وقتل فى واقعة مع الدانيمارقيين وخلفه عمه هرالد الثانى أو (هردراد) وتسلطن هذا الى سنة ١٠٦٦ وفى السنة الاخيرة

من سلطنته عزم على اغتصاب انكلتره من هرولد آخر الملوك الصكصونية فانهزم وقتل فى واقعة قنطرة سطامفورد فى يورقشير فى ١٠ سبتمبر سنة ١٠٦٦ وجلس أولاف الثالث وهو الابن الاكبر للملك هرالد على التخت بعد موت أبيه وكانت سلطنته فى أمن وفلاح وكان معززا عند رعيته واجتهد فى ادخال التمدن الاوروباوى فى مملكته ومات فى سنة ١٠٩٣ وخلفه ابنه مغنوس الثانى الملقب برفوت فغزا وفتح جزيرة مان وهبريده وشتلنده واركاده وغزا ارلنده لكنه انهزم وقتل فى واقعة بواسطة أهالى هذه الجزيرة سنة ١١٠٣ ولما مات مغنوس جعل أهل نرويج أولاده الثلاثة اغسطين وسيغورد وأولاف ملوك نرويج بالاتحاد فمات أولاف وهو طفل وبعده اغسطين فى سنة ١١٢٣ وصار سيغورد الاول ملكا بمفرده وكان أحد الشجعان الكبيرة فى نرويج فحارب محاربات مع المسلمين وحج بيت المقدس (أورشليم) وفيها ألحق عساكره بعساكر بالدوين وتغلبوا على صيدة ونهبوها ومات فى سنة ١١٣٠ ومكثت بعده نرويج أربعا وخمسين سنة فى حكومة مختلة وحروب داخلية تحارب فيها عدة برنسات مختلفة طلبا للتاج ثم أعاد النظام ثانيا سورى وجلس على التخت فى سنة ١١٨٤ وأعلن أنه ابن سيغورد الثانى الا أن الصحيح انه كان ابن رجل مساح جزم وبعد موته خلفه ابنه هاكون الثالث فى سنة ١٢٠٢ ومات هذا البرنس فى سنة ١٢٠٤ لما صار غوطورم حفيد سورى ملكا وكان طفلا ومات بعد أن تسلطن بضع شهور فانتقل التاج الى (انغى بعاردسن) وهو ابن أخى سورى الاكبر فحكم الى سنة ١٢١٧ ومضت سلطنته فى حروب مع أخصام كانوا يدعون التاج لانفسهم ولما مات انغى جلس هاكون الرابع (على ماقيل انه ابن هاكون الثالث) على التخت وكان ملكا عاقلا ذا سطوة وشوكة وأخضع فى سنة ١٢٦١ جزيرة الثلج وفى سنة ١٢٦٢ عزم على فتح اسكوطلنده الا أنه انهزم فى واقعة عند فم نهر كليد ومات بعد ذلك بمدة قليلة فى اركاده

وخلفه هاكون ابنه مغنوس الخامس فتسلطن الى سنة ١٢٨٠ وباع جزيرة هبريدة الى اسكوطلنده وتزوج ابنه اريق بابنة ملك اسكوطلنده اسكندر الثالث وكان ملكا كريما أدخل الاصلاحات الجليلة فى قوانين نرويج ثم ان اريق مبغض القسيس جلس على التخت فى سنة ١٢٨٠ بعد موت أبيه وتسلطن الى سنة ١٢٩٩ وكانت سلطنته خالية الوقائع والحوادث وبما انه لم يترك بعد موته ولدا خلفه أخوه الذى ليس له غيره هاكون الخامس وكان حاكما جيدا وكان محبوبا عند رعيته حتى انه عند موته فى سنة ١٣١٩ أنعموا بتاج نرويج على البرنس الشاب مغنوس الاسوجى ابن بنت الملك هاكون انغيبورغ من زوجها اريق أخى ملك اسوج

وفى سنة ١٣٥٠ تنازل الملك مغنوس عن تاج نرويج لابنه الثانى هاكون السادس الذى تزوج مرغريطة الدانيمارقية ولما مات هاكون فى سنة ١٣٨٠ صار ابنه أولاف ملكا تحت وصاية ونيابة أمه مرغريطة ومات أولاف فى سنة ١٣٨٧ وصارت مرغريطة ملكة نرويج

ومن ابتداء موت هاكون الرابع أخذت نرويج فى الضعف بالكلية فان الحروب المستمرة مع دانيمارقه أعجزت المملكة وحجز احتكار التجارة المتمتعة بها المدائن الحانسية الاجراآت الاصلية لصناعات الامة وفى سنة ١٣٤٨ ظهر وباء يعرف بالموت الاسود وأنزل بالمملكة المصائب والبلايا سنتين فأهلك زيادة عن ثلثى الاهالى ومكثت نرويج عدة قرون لم تتخلص من هذا المضار فجمعت مرغريطة كما شاهدنا مملكة دانيمارقه واسوج ونرويج تحت حكومة واحدة بواسطة الاتحاد الكلمارى سنة ١٣٩٧ ومن ابتداء هذا الوقت ضاعت الاستقلالية النرويجية جميعها وصارت السطوة

الدانيمارقية فى المملكة واضمحل حال الاشراف النرويجية وانجبروا على أن يخلوا طريقا للمهاجرين الدانيمارقيين وبعد مرغريطة بعدة قرون لم تجد نرويج ملجأ للخلاص من دانيمارقه وكانت أفل بكثير من اقليم دانيمارقه وتنازل كريستيان الاول عن جزيرتى شتلنده وأوركنى اللتين كانتا متحدتين مع نرويج الى اسكوطلنده نظير صداق بنته وان ثورة اسويج تحت قيادة (غسطاووس واسا) سنة ١٥٢٣ لم تستفد نرويج فائدة يعود منها النفع عليها وتركت تلك المملكة خاضعة لمملكة دانيمارقه ومات كريستيان الاول فى سنة ١٤٨١ واستمرت نرويج تخور تحت خلفاء حانس من سنة ١٤٨١ الى ١٥١٣ وكريستيان الثانى من سنة ١٥١٣ الى سنة ١٥٢٣ وكريستيان الثالث من سنة ١٥٢٣ الى سنة ١٥٥٩ وفريدريق الثانى من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٥٨٨ وفى أثناء هذه المدة انتشرت عقائد الانتظام فى نرويج وابتدأت الحركة فى سنة ١٥٣٦ ومع ما كان من مساعى القسس والحكومة فى ردعها فانه حصل تقدم فى الاهالى حتى انه فى مدة العشرين سنة التى جاءت عقب ذلك صارت المملكة جميعها پروتستانت

وجلس كريستيان الرابع على التخت الدانيمارقى فى سنة ١٥٨٨ فمال اليه أهل نرويج زيادة عن أى واحد من ملوك دانيمارقه وصرف مدة عظيمة من زمانه فى نرويج وأعاد بناء كريستيانه فى سنة ١٦٢٤ ونشر فى المملكة قوانين جليلة ولم يزل كثير من هذه القوانين موجودا وفى سنة ١٦٤١ أسس مدينة كريستيانسند ولم تستمر خلفاؤه على العمل بسياسته العظيمة بل عاملوا نرويج معاملة البلاد المفتوحة لا معاملة الممالك المتحدة واستمرت هذه الاعمال جارية مدة القرن الثامن عشر وفى أثناء هذه المدة ما أمكن لنرويج أن تجعل تاريخها مستقلا

وفى سنة ١٨٠٨ جلس فريدريق السادس على التخت وابتدأ فى معاملة نرويج بالعدل والاصلاح وفى سنة ١٨١١ أسس جمعية كريستيانه وأحيا كثيرا من الامتيازات القديمة للمملكة وفى سنة ١٨١٢ التحقت اسويج بالتحزب ضد نابليون وعرض للروسيا سببا يوجب لها التغلب على نرويج والتحقت انكلترة مع روسيا فى هذه الكفالة ولم توجد دولة من الدول لها حق تحب تنظيم نرويج ثم ان التوافق أخذ قبل الاستحسان السرى للاحزاب الاخر فى التعصب وبناء على ذلك أرسلت اسويج جيشا الى جرمانيا تحت قيادة برنادوط البرنس ولى العهد وبعد واقعة ليبزيغ فى اكتوبر سنة ١٨١٣ سار برنادوط الى حولصطين مع الجيش الاسويجى ليرغم الدانيمارقيين على اخلاء سبيل نرويج وأخذ لوبيك وأنزل على الدانيمارقيين عدة كسرات شديدة حتى انجبروا على الدخول فى معاهدة كيل فى ١٤ ينايرسنة ١٨١٤ بها انتقلت نرويج الى اسويج

وحصل لاهل نرويج غيظ شديد من هذا الانتقال الذى لم يخابروهم فيه عن أغراضهم ثم ان البرنس كريستيان ولى عهد الدانيمارقه أسرع فى المسير الى نرويج وجمع جمعية من البرنسات الوطنية فى (ادسولد) بالقرب من كريستيانه فى مايو سنة ١٨١٤ وهذه الجمعية وهبت له تاج نرويج وأدخلوا المملكة فى نظام مملكة مستقلة وفى يوليه غزا برنادوط نرويج بجيش قوى وصارت محاصرة مين هذه المملكة بواسطة أسطول انكليزى فانجبر أهل نرويج على الخضوع وتنازل البرنس الدانيمارقى عن تاجه وفى ١٤ أغسطس صار التوقيع على متاركة حربية صار الاقرار فيها على أن نرويج حكومة منعزلة مستقلة تحت حكم ملك اسويج ووارثيه وصدق على هذا التدبير أهل نرويج أولا فى ٢٠ اكتوبر وفى ٤ نوفمبر حضر استصواب ملك اسويج ونرويج ومن ابتداء هذا الوقت صارت المملكتان

منفصلتين فى الحكومة الا أنهما متحدتان تحت حكومة ملك واحد

(ثانيا تاريخ اسويج)

اسويج عبارة عن الجزء الشرقى لبجيث جزيرة اسكندنياويه أوروبا وهى واقعة بين عرض ٢٠َ ٥٥° و ٦٩° شماليا وبين طول ١٠َ ١١° و ١٠َ ٢٤° شرقيا ومحدودة من جهة الشمال والغرب بمملكة نرويج ومن جهة الشرق ببحر بلطيق وخليج بوثنيا ومن الشمال الشرقى بخليج فنلانده ومن جهة الجنوب ببحر بلطيق ومن جهة الجنوب الغربى ببحر (اسكاغرراك) وبوغاز كتغات وبوغاز السوند والطول الاكبر لمملكة اسويج من الشمال الى الجنوب ٩٧٠ ميلا وعرضها الاكبر من الشرق الى الغرب نحو من ٢٠٠ ميل فتكون مساحتها عبارة عن ١٧١،٧٥٠ ميلا مسطحا وعدد أهلها فى سنة ١٨٧٥ عبارة عن ٤،٣٨٣،٢٩١ نفس وتنقسم اسويج من نرويج بالسلسلة الاصلية لجبال اسكندنياويه ويوجد فى طول هذه السلسلة درب مقطوع فى وسط الغابات شامل على وجه الانتظام مسافات مبنية بالاحجار تبين الحدود بين المملكتين وصار صنع هذا الدرب مع الاعتناء بواسطة النرويجيين وكان السكان الاصليون لاسويج هم اللاب والفنس وفى مدة غير معلومة طرد هؤلاء الامم من القسم الجنوبى للمملكة بواسطة الغوط وهؤلاء قطنوا فى الاقليم المعروف الآن باسم غوطلنده أى أرض الغوطيين وعلى حسب ماذكر مؤرخو اسويج غزا أودين فى رأس الجنس الاسويجى وكان أيضا جرمانى الاصل المملكة فى أثناء هذه المدة الغير الحقيقية ولما وجد أن القسم الجنوبى فى حوزة الغوطيين المعروفين بانهم أمة قريبة له ابتعد عنهم الى جهة الشمال وطرد أمتى اللاب والفنس ووطن نفسه فى الاقليم المعروف الآن باسم سويلند وهو القسم الوسطى من المملكة الحالية وكان الاسويجيون محكومين بعد موت أودين بواسطة أحباره أى كبار القسس الذين كانوا متوطنين بمعبده فى بسغطونا وأخذت هذه القبيلة فى التقدم حتى صارت ذات شوكة عظيمة زيادة عن الغوطيين الذين كانوا مصرحا لهم بالقيادة فى المواد العمومية وكانت حكامهم منظورا لهم بكونهم أشبه برؤسا ملوك عند الملوك الصغيرة من الغوطيين والاسويجيين ومن هذه الخرافات وما شاكلها لا يمكن أن يعرف أكان قدماء الاسويجيين يعتبرون أودين أشبه باله أو يعتبرونه مجرد بشر رئيسا من جنسهم الا أن بعض المؤرخين قال انه من بعد مدة طويلة جلب المحاربون الغوطيون الاولون عبادته الى اسويج ويمكن أن تكون شرذمة ثانية من نفس هذه القبيلة جاءت الى هذه البلاد تحت قيادة رجل آخر اسمه أودين نشر صورة دين جديد وأسكنه فى عقول الاهالى حتى صاروا فى وقت من الاوقات يعبدون الاثنين أودين تحت ديانة واحدة

وكان خليفة أودين الحبر (نيغورد) الذى كان ابنه (فرى انغوى) أصلا للسلسلة الملوكية المسماة (انغلنغار) وعلى ما قيل انه بنى معبدا جديدا على أطلال المعبد القديم الذى كان موجودا فى سغطونا وسماه (الدهاليز الشامخة) وكان محبوبا جدا عند رعيته حتى انه عند موته وضعوه ضمن آلهتهم والصحيح أن سلسلة الانغلنغيين انقرضت قبل القرن الثامن بواسطة انغيلد الحاكم القبيح وهو برنس فاجر قطيع الطباع

وفى سنة ٩٩٣ جلس أولاف الملك اللابى (وسمى بهذا الاسم لانه كان يقبل احترامات أمرائه وهو فى المهد على الاذرعة) على التخت ومنه ابتدأ التاريخ الحقيقى لاسويج وكان دخول الديانة المسيحية فى اسويج سنة ٨٢٩ بواسطة أونسغار وهو عابد من كوربى الا أنه أجرى أشغاله مع البطء والرزانة ودخل

أولاف فى الدين الجديد وأسس رياسة أساقفة فى سكاراومع ذلك لم يقدر على اقناع رعيته فى قبولهم الديانة المسيحية وبقوا معتكفين على الديانة الوثنية مدة قرن ومات فى سنة ١٠٢٤ وخلفه ابنه اتندفتسلطن الى سنة ١٠٥٢ عندما جاء أخوه ادموند العجوز للتخت ومات هذا الملك الذى هو آخر سلسلة ملوك الدها ابزالشامخة فى سنة ١٠٥٥ وكانت سلطنته مشهورة بجوره وتعديه على المسيحيين وبعد موت ادموند اشتعل حرب مهول بين الغوطيين والاسوجيين ونال الغوطيون بوضعهم سطنكيل وهو أحد كبارهم على التخت أشبه بملك على الامتين وكان مسيحى الدين وفى القرن التالى غلب الملك وانشحنت المدة بحروب بين الاسوجيين والغوطيين وفى سنة ١١٣٥ جلس على التخت (صوبركرالاول) وهو مسيحى الدين فأجهد نفسه فى تشييد الديانة المسيحية فى مملكته وبنى عدة كنائس وديورة وأعاد النظام والفلاح الى مملكته وأدخل فيها اصلاحات الادارة العدلية ومات فى سنة ١١٥٥ وخلفه ابن عمه إريق الملقب بالقديس فأصلح قوانين مملكته وزاد فى انتشار الديانة المسيحية وفتح قسما كبيرا من فنلند وجبره على قبول الديانة المسيحية ومات فى سنة ١١٦٠ وكانت سلطنة الذين خلفوه وهم (كرل سوركرسن) من سنة ١١٦٠ الى ١١٦٧ و (كنودار كسون) من سنة ١١٦٧ الى ١١٩٥ و (صوركرالثانى) من سنة ١١٩٥ الى ١٢١٠ و (إريق كنودسن) من سنة ١٢١٠ الى ١٢١٦ و (يوهان صوركرسن) من سنة ١٢١٦ الى ١٢٢٢ و (إريق ليسب) من سنة ١٢٢٢ الى ١٢٥٠ خالية الحوادث والوقائع وفى أثناء هذه المدة كان انتشار الديانة المسيحية آخذا فى السرعة وصار القسس الحزب الاكثر شوكة فى المملكة وفى جميع هذه المدة لم يوجد شئ من الاعمال الاسوجية قابلا لادرجه فى الاحوال التاريخية الا المنازعات والحروب وقتل كثير من الملوك وعدم انتظام المملكة وكانت الطوائف الذين لا يتداخلون فى هذه المضار هم الزهاد الذين جاء منهم كثير الى هذه البلاد من انكلتره وهؤلاء الناس أهل الحمية والغيرة علموا فى الابتداء أهل اسوج كيفية فلاحة الارض وغرس البساتين واستحضار الملح وبناء المعامل المائية وعمل الطرق والقناطر

وفى سنة ١٢٥٠ ابتدأت مدة التاريخ الحقيقى الاكيد لاسوج زيادة عن المتقدم وذلك أن والدمار ابن أحد رؤساء الجنس الفولكنغارى الاكثر شوكة صار انتخابه ملك اسوج وبواسطته ابتدأت السلسلة الفولكنغارى ومات فى سنة ١٣٠٢ وخلفه أخوه مغنوس وكان ملكا نبيلا وزاد كثيرا فى نفوذ الشوكة الملوكية وكان يلقب (مغنوس لادولعاس) أو (بارنلولك) بسبب أنه كان حافظا أشوان غلال الاهالى من سلب الاشراف ومات فى سنة ١٢٩٠ وحصلت منازعة طويلة بين أولاده الثلاثة وفى سنة ١٣١٩ جلس على التخت (مغنوس سميك) حفيد (مغنوس لادولعاس) وكان عمره فى هذا الوقت ثلاث سنوات فقط وفى سنة ١٣٢٠ استخلف بحق أمه على تخت نرويج وقبل ذلك كان زوج ابنته هاكون مرغريطة الدانيمارقية كما تقدم ذكر ذلك فأجلسه على تخت نرويج وبهذا صار اتحاد هذه الثلاث ممالك ثم ان مغنوس شرع فى ابطال مجلس المبعوثان الاسوجى فخلع عن التخت وفى سنة ١٣٦٣ صار انتخاب (ألبرت مكلنبورغ) ملك اسوج فعلى حسب ما تقدم من أن مرغريطة بمجرد دخلانها لتاج دانيمارقه ونرويج عند موت زوجها أشعلت حربا على اسوج وهزمت ألبرت وجعلت نفسها ملكة اسوج ثم بعد ذلك نشرت الاتحاد الكلمارى فى سنة ١٣٩٧ الذى به صارت دانيمارقه ونرويج واسوج متحدة فى حكومة واحدة مطلقة

وماتت مرغريطة فى سنة ١٤١٢ وخلفها ابن أختها إريق پوميرانيا واستمر بقاء الاتحاد الكلمارى مع

المشـقة والصعوبة زيادة عن قرن ومن سنة ١٤٣٤ الى ١٤٣٦ صارتقريبا ابطاله بواسطة ثورة اسو يج تحت قيادة (انغلبر يشط انغلبر يشطسون) وقتله بواسطة أحد الاشراف الاسو يجيين فى سنة ١٤٣٦ كان سببا النجاة الاتحاد من الابادة والخراب وفى سنة ١٤٣٩ صار خلع إريق وخلفه ابن أخيه (كرل كنودسون) ومن ابتداء هذا الوقت الى جلوس كريستيان الثانى على التخت الدانيمارقى فى سنة ١٥١٣ كانت الاحوال فى اسو يج فى غاية الفوضوية والارتباك

وكان كريستيان الثانى بشع الوجه ظالما فاسرع فى الاعلان على الاسو يجيين بالعصيان وكان الحزب الوطنى تحت قيادة (غسطاووس واسا) وكان أبوه وثلاثة وتسعون من الاشراف قتلوا غدرا بأمر كريستيان بعد جلوسه على التخت مباشرة ونجا غسطاووس بنفسه الى معادن (دالبكارليا) وأقام القيامة فى هذا الاقليم على السعى فى استقلال بلادهم وانتشب من ذلك حرب فى غاية من اليأس وأخيرا صار طرد القوى الدانيمارقية من اسو يج وبهذا صارت مملكة مستقلة وانتخب الاهالى الممنونون من هذا الفعل المبرور (غسطاووس واسا) أن يكون حاكما عليهم وفى ربيع سنة ١٥٢٣ تتوج ملكا على اسو يج فامتدت سلطنته سبعا وثلاثين سنة وحكم المملكة بعقل وأقام الديانة اللوثيريانية فى اسو يج وجعل للمملكة أهم مركز فى أوروبا لم يتيسر لها الحصول عليه قبل ذلك

ومات فى سنة ١٥٦٠ وخلفه ابنه الاكبر إريق الرابع عشر ومات فى سنة ١٥٦٨ بعد أن تسلطن مدة خالية الوقائع والحوادث وفى السنى الاخيرة من سلطنته حصل له اختلال مقنوط منه وخلفه أخوه يوحان الثالث وتسلطن الى سنة ١٥٩٢ ولما مات خلفه ابنه (سيغيصموند) وصار انتخابه فى سنة ١٥٨٧ ملك بولنده وكان هذا الملك تحت سلطة اليسوعيين بالكلية ووقع فى أيديهم فى بولنده فاجتهد فى اعادة الديانة الروسية فى اسو يج وغاب عن المملكة وجعل مقره بولنده وكانت نتيجة ذلك خلعه بواسطة الاسو يجيين وأعلنوا عمه شارلس التاسع بن غسطاووس واسا بأنه ملك اسو يج سنة ١٥٩٩ وكان شارلس نبيلا شهما وكانت سلطنته احدى المدد التى لا حراك فيها وحصل للمملكة تحت حكمه الفوز العظيم

ومات شارلس التاسع فى سنة ١٦١١ وخلفه على التخت ابنه (غسطاووس أدولفوس) وكان عمره سبع عشرة سنة الآثار أبان فيما سبق خدماته فى الحرب مع كريستيان الرابع ملك دانيمارقة وكان معدودا من مشاهير الشجعان الذين كانوا موجودين فى الدنيا القديمة ومخترعا طريقة جديدة فى الاعمال الحربية وعقد صلحا مع دانيمارقة فى سنة ١٦١٣ بواسطة مداخلة انكلتره ثم أشعل هذا الملك الشاب حربا على الروسيا ولما انقرضت سلسلة روريق رغب حزب من الروسيا فى عرض تاج تلك المملكة على أخى غسطاووس ومعظم الامة الروسية أثبت طلبات (ميخائيل رومانوف) وكانت اسو يج لا قدرة لها على صد هذا المانع فى الحرب الذى حصل بخصوص هذه المسئلة ثم انقفل فى سنة ١٦١٧ بواسطة عقد صلح (سطولبوا) وتنازلت روسيا عن أراض كثيرة بما فيها مقر المدينة الحالية سنت بطرسبورغ الى اسو يج وقبل ذلك بقليل اشتبك غسطاووس فى حرب مع بولنده استمر نحو تسع سنوات وكان سببه طلب سيغيصموند ملك بولنده تاج اسو يج وانقفل هذا الحرب فى سنة ١٦٢٩ بواسطة مداخلة (ريشيليوا) بما أنه كان له رغبة فى ادخال غسطاووس فى حرب الثلاثين سنة وقد ذكرنا اشتراك غسطاووس فى هذا الحرب وموته سنة ١٦٣٢ فى تاريخ جرمانيا

وفى سنة ١٦٣٠ لما ترك غسطاووس اسو يج جعل أعمال مملكته فى أيدى مجلس نيابة تحت قيادة

وزيره

وزيره الاول (أوكصانستيرن) وهو رجل فى غاية النباهة والعدل ووثق لهذا المجلس بكفالة ابنته كريستيانه وبمجرد موت أبيها أعلنت بكونها ملكة وصار تدبير الحكومة تحت ادارة (أوكصانستيرن) وجعلت اسويج موضعها فى رأس الاتحاد البروتستانتى ولما وصلت كريستيانه الى حد التدبير تقلدت زمام الحكومة وخلفة عقول رعيتها أثبتوا أنها أقبح بنت لغسطاوس وبعد مضى مدة تركت الانتظارات التى كانت وعدت بها فى سنيها الاولية وفى سنة ١٦٥٤ لما تعبت من احترازات الاحوال خلعت تاجها على عمها شارلس غسطاوس وتركت المملكة وكان عمرها حينئذ ثمانيا وعشرين سنة وبناء على هذا تبعت دين أبيها ودخلت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وبعد أن عاشت فى حظوظ شهواتها وفجورها ماتت فى رومة سنة ١٦٨٠ بعد أن بلغت من العمر ثلاثا وستين سنة

وكان شارلس العاشر الذى جاء بعد كريستيانه طامعا فى أن يصير ملكا مطلق التصرف فى أوروبا الشمالية وكانت مملكته عجزت جدا من مصاريف حرب الثلاثين سنة ومن الاسراف الذى حصل فى السنى الاخيرة من سلطنة كريستيانه ومع هذا فانه صمم على أن يجعل اسويج صاحبة السلطة والشوكة العالية على بحر بلطيق بما أن الحالة الخرابية الموجودة فى بولنده جعلتها عرضة لاول شئ من مطامعه فعقد معاهدة مع الروسيا التى هى عدوة لبولنده بسبب ماحصل لها منها وفى سنة ١٦٥٤ غزا الجيش الروسى بولنده وفى سنة ١٦٥٥ حاصر الاسطول الاسويجى مدينة دانطزيق الحرة وأغار على بولنده جيشان اسويجيان وانتصر شارلس العاشر عدة نصرات جليلة احداها التغلب على المنتخب الاكبر (فريدريق غيليوم برندنبورغ) وجبره على أن يكون عبد الاسويج بدل أن يكون عبد البولنده ثم ان ماترآى لهذا المنتخب من نتائج مضايقات اسويج له صيره قادرا على أن يسترد مافقده بواسطة معاهدة عقدها مع اسويج وكان شارلس العاشر تغلب بنفسه على (وارساو) وقرر نفسه ملك بولنده بواسطة الجيش ومعظم الامة البولندية وظهر لروسيا واسويج حسن الاتفاق فى أن يقتسما بولنده بينهما الا أن القيصر أخذته الغيرة والحمية من انتصار خصمه وظفره بما حصل له من النصرات ورجع بالعداوة عليه فالامبراطور ليوبولد وملك دانيمارقه اتحدا مع بعضهما وأرغما شارلس على أن يتخلى عما فتحه من بولنده فأسرع شارلس فى الحال بسحب نفسه من بولنده وانقض على دانيمارقه وتغلب على دوقيات (بريمن - وحولصطين - وشلصويغ) ولم يقاومه أحد وفى وسط الشتاء فى الاحوال الخارقة للعادة عبر بجيشه مع الطوبجية والبيادة من بوغازى بلطه الكبيرة وبلطه الصغيرة فوق الثلج المتجمد وبواسطة مظفرات عالية صير بها كوبنهاغن تحت رحمته ثم تداخلت فرانسا وانكلتره وأرغمتاه على عقد صلح وصار التوقيع على معاهدة روسكيلد فى مارث سنة ١٦٥٨ وبواسطة هذه المعاهدة سلمت دانيمارقه الجزائر المشهورة لاسويج وبحجة أن فريدريق الثالث ملك دانيمارقه لم يجر المعاهدة حسب الذمة جدد شارلس الحرب ثانية فى شهر أغسطس وصار تهديد كوبنهاغن بالشدة والقسوة الا أنه صار خلاصها بدخول الداتش بما أنهم أرسلوا أسطولا لنجاتها ثم ان منتخب برندنبورغ طرد الاسويجيين من جوتلنده واجبر شارلس على الانسحاب الى بلاده ثم ان الدول البحرية عزمت على توقيف الحرب بما أنه صار تدمير تجاراتها فى بحر بلطيق بالاسباب الناشئة منه وزال بموت شارلس العاشر فى فبراير سنة ١٦٦٠ المانع الحقيقى للصلح ثم صار عقد هذا الصلح بواسطة الملكة النائبة فى مملكة اسويج مع بولنده وروسيا ودانيمارقه

وفى سنة ١٦٧٥ صار تجديد الحرب على اسويج بواسطة منتخب برندنبورغ بمساعدة قوى كريستيان

الخامس ملك دانيمارقه واسطول داتشى واستمر الحرب فى نصرات بين المتحاربين الى سنة ١٦٧٩ عندما دخل لويز الرابع عشر مساعد الاسويج والزم أخصامها بعقد صلح معها وأعاد لها جميع الاراضى التى أخذت منها وبهذا سلمت اسويج من فقد أى قطعة من أراضيها الا أنها خرجت من الحرب فى حالة الرجل المكسح فتكسر أسطولها وخربت ماليتها وبقيت فى ارتباك شديد حيث لاقدرة لها على ابقاء الحكومة فى حالة غير مساعدة من الخارج وفى وسط هذه الاعمال حصلت ثورة سلمية سنة ١٦٨٠ غيرت طبيعة الحكومة وصار قبول نظام جديد تقرر فيه عدم مسؤلية الملك واطلاق التصرف له ونشر ترتيب كامل فى جميع فروع الخدمات العمومية وشدة اجرا آت شارلس الحادى عشر وشهامته ومن سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٩٧ المدة الباقية من القرن استعدت المملكة لاستعمالها على موقعها القديم من حيث السطوة والنفوذ فى بحر بلطيق

ومات شارلس الحادى عشر فى سنة ١٦٩٧ وخلفه ابنه شارلس الثانى عشر وهو شاب عمره خمس عشرة سنة فهذه الحادثة أظهرت للدول المجاورة سنوح الفرصة فى أن يغتصبوا من اسويج أملاكها الموجودة فى شرق بحر بلطيق وفى جنوبه وهى (فنلند ـ وكريليا ـ وانغريا ـ وأونيا ـ وليوونيا وأكثر بوميرانيا ـ والمدائن الحصينة وهى سطيطين ـ وويسمار ـ وسترالسند ـ ودوقيات بريمين ووردين) وانعقد لهذا الغرض اتحاد بواسطة أوغسطس الثانى لبولنده والاول لصكصونيا وفريدريق الرابع ملك دانيمارقه وابتدأ واحد من المتحدين بالعداوة والشرور فى شهر مارث سنة ١٧٠٠ وأغار على أراضى دوق حولصطين غوطورب صهر شارلس وأعز أصدقائه ثم ان الملك الشاب استغرب مما حصل من أحبابه وأعدائه من هذا الظهور فعقد معاهدة مع انكلتره وهولنده ونزل تحت حماية أساطيلهم على دانيمارقه وألزم فريدريق فى عقد صلح وبواسطة معاهدة طرافندال جدد ملك الداتش معاملته الاصلية مع دوق حولصطين واتفق على أن يدفع مبلغا عظيما فى مقابلة ما حصل منه من الخسائر وبهذا جلب الحرب الى غلاق مظفرى من دون أن يحصل له أدنى لطمة ثم ان بطرس الاول ملك روسيا دخل فى القيام ضد اسويج وان الصلح مع دانيمارقه ترك شارلس خالصا للعود للالتفات اليه وحاصر بطرس نرفه فى جيش مقداره ٨٠,٠٠٠ نفس وفى نوفبر سنة ١٧٠٠ هجم عليه شارلس بقوة أقل من قوته وألزمه برفع الحصار ثم رجع شارلس على ملك صكصونيا وبولنده وفى سنة ١٧٠١ هزم الجيوش الصكصونية بالقرب من ريغا واحتل كامل كورلند وفى سنة ١٧٠٢ تغلب على وارسو من غير طعن ولا ضرب وهرب أغسطس الى كراكو وفى يوليه هزم شارلس الجيش المتحد للبولنديين والصكصونيين فى كليسو فى منتصف الطريق بين وارسو وكراكو وفى سنة ١٧٠٣ هزم الصكصونيين فى (بولطوسك) وتغلب على مدينة ثورن وهدم استحكاماتها ثم حصلت حركة بواسطة حزب فى بولنده لاجل اسقاط أغسطس عن تخت هذه المملكة وكان ذلك صالحا لشارلس الثانى عشر حيث بواسطة سلطته أعلن أن الكونت (سطانيسلاوز ليزيتسكى) صار ملك بولنده فى يوليه سنة ١٧٠٤ ووقع على معاهدة صلح وتحالف مع شارلس الثانى عشر وانسحب أغسطس الى تريسنه عاصمة صكصونيا وفى سنة ١٧٠٦ ظهر شارلس أمام تريسنه بجيش مقداره ٢٠,٠٠٠ نفس وألزم أغسطس على امضاء معاهدة (الطرنسطاد) وفيها ترك جميع طلباته ومايدعيه على المملكة البولندية لنفسه وورثائه وترك محالفته مع روسيا

وفى غضون ذلك زاد بطرس الاكبر ملك روسيا فى جيوشه ونظم عساكره وتغلب على اقليمى انغريا

وكاليربه اللتين هما فى أيدى الحكومة الاسوبجية منذسنة ١٦١٧ وفى سنة ١٧٠٤ احتل جيشه ليثو بانيا وكورلند وتغلب على دوربات ونرفه وبمجرد ماسمع بطرس بمعاهدة الطرنسطاد أسرع الى بولنده وأخضع مجلس الامراء ووقف فى (لوبلين) فى يوليه سنة ١٧٠٧ وجدد تلك المعاهدة وأعلن بخلو التخت البولندى من ابتداء خلع أغسطس وطلب المنتخبين لاجل انتخاب ملك فسار فى الحال شارلس الثانى عشر الذى كان فى صكصونيا الى بولنده لاجل كسر هذه الحركة الا أن بطرس تجنب أن يقابله فى واقعة قريبة وأضجره وشتت جيشه باجراء حركاته المدبرة

وفى سنة ١٧٠٨ صمم شارلس على أن يزعج قلب مملكة عدوه وغزا روسيا ظنا منه أنه يتغلب على موسكو فوجد المملكة خالية من الزاد والخيول وكل طريق من الطرق محفور بعساكر من الخيالة الروسية الذين أرعبوه فى سيره عند كل خطوة يخطوها حتى ما أمكنه أن يجرى حركة عمومية وصار ارسال التقويات والامدادات لشارلس وكانت على شرف الالتحاق به الا أنه لم ينتظر حضورهم وسار على حين غفلة الى أراضى قوزاق أوقرين وكان رئيسها مازبة وعده بالانضمام اليه فى جيش مقداره ٣٠٠٠٠ نفس واتصل مع مازبة فى الحقيقة الا أن الرئيس المذكور ما أمكنه أن يجلب معه الا قليلا من أتباعه وجاء يطلب المحافظة على نفسه من شارلس ثم ان الامدادات التى كانت سائرة للالتحاق بشارلس هزمها الروسيون فى هذه المدة بواسطة الروسيين فى ليسنه ورجعوا متقهقرين بعد أن فقد نصفهم ثم ان شارلس بدل أن يرجع من أوقرين الى بولنده من أقرب طريق وضع الحصار على (بولطاوا) فهزمه أيضا الجيش الروسى القوى الحركة وحصلت له جراحات وانجبر على الهرب اطمئنانا على سلامته وترك نصف جيشه تقريبا قتلى فى ميدان الواقعة وصار أسر الضباط المشهورين من الاسوبجيين ونجا الملك بعمره مع غاية الصعوبة وترك الجنرال (لونهمب) رئيسا على ما بقى من جيشه وهرب الى أراضى السلطان وصار الزام لونهمب بالتسليم

ثم ان معاهدات طرافندال والطرنسطاد داس عليها المتحالفون وهرب سطانيسلوس من بولنده واستلم أغسطس تخت تلك المملكة وجدد معاهداته مع روسيا ودانيمارقه ثم ان فريدريق الرابع ملك دانيمارقه غزا اسوبج وتغلب على حلسنبورغ غير أن الجنرال (اسطانبوك) الاسوبجى حرمه من أن يكتسب أدنى مظفرة أو نجاح وصار التغلب على الاقاليم الجرمانية الاسوبجية بواسطة الجيوش المتحدة لبروسيا وصكصونيا وبولنده ثم ان مداخلة الامبراطور وانكلتره وهولنده ألزموا المتعاهدين أن يرخصوا لهذه الاقاليم فى البقاء على الحيادة وصارت اسوبج بغير ملك وبغير جيش وصارت على شرف التجزى بواسطة أعدائها

وأقام شارلس فى تركية نحو خمس سنوات يحرض السلطان على اشعال الحرب ضد روسيا وأخيرا رأى نفسه انه مهزأ ثم طرد بالقوة الجبرية من الممالك التركية بأمر السلطان فاستعد لعمل طريقة تسلمه من جرمانيا بواسطة الامبراطور فعاد الى مملكته فقوبل بغاية الحزن ووصل (سطرالسوند) فى نوفمبر سنة ١٧١٤ ووطد نفسه فى الحال لاغتصاب بوميرانيا من فريدريق غيليوم الاول ملك بروسيا ومع ذلك أبادت واقعة بولطاوا سطوة اسوبج فى الجهة الشمالية ووجد شارلس نفسه عرضة لاتحاد مركب من روسيا وبولنده ودانيمارقه وانكلتره وصار التغلب على (ويسمار - وسطرالسوند) بواسطة القوى المتحدة وتجردت اسوبج من آخر أملاكها الجنوبية فى بحر بلطيق وكانت روسيا تغلبت على جزء عظيم من الاملاك الاسوبجية الموجودة فى شرق بحر بلطيق واكتفت بما تيسر لها التغلب عليه

وبذلك رغبت أن تعقد صلحا على حدتها مع اسويج وصار التوقيع على معاهدة فى هذا المقصد حين قتل شارلس الثانى عشر بواسطة كلة مدفع فى ديسمبر سنة ١٧١٨ فى محاصرة فريدرشال مملكة نرويج وكان شارلس الثانى عشر وجد اسويج فى أعلى حالة من شوكتها وسيادتها فى الجهات الشمالية ثم تركها ذليلة مضمحلة بضياع أملاكها الموجودة فى الجهة الجنوبية والشرقية من بحر بلطيق ومن هذا الوقت صار نصيب اسويج فى الاشغال الاوروباوية لامعنى له

وكان الوارث للتخت الاسويجى بعد شارلس هودوق حولصطين ابن أخى شارلس الثانى عشر الا انه انفجرت ثورة عند موت الملك وعمل للتاج الاسويجى انتخاب واستقر هذا الانتخاب على أولريقه عليمنوره الاخت الثانية لشارلس وكانت زوجة فريدريق (حيس كاسل) الذى كان قومندان الجيش الاسويجى أحيانا وصار الحاكم الحقيقى لاسويج وصارت المخابرة فى الصلح مع روسيا وصار التوقيع على المعاهدات بين اسويج وانكلتره وپولنده وبروسيا ودانيمارقه وتحولت دوقيتا برعين ووردين الى هانوفر وأخذت بروسيا سطسطين والاقليم الواقع بين (أودر ـ وبين) وكذا جزيرتى (أوسيدوم وولين) وأخذت دانيمارقه شلصويغ وفى سنة ١٧٢١ بواسطة توسط فرانسا صار عقد صلح نيسطاد بين اسويج وروسيا وصار التوقيع على معاهدته واستردت دولة الروسيا فنلند الى اسويج وأبقت جميع الاقاليم التى أخذتها منها الموجودة فى شرق بحر بلطيق

وفى أثناء الحرب الوراثى الاوستريانى خاطرت اسويج بنفسها وجددت الحرب ضد الروسيا بتحريض فرانسا وكانت نتيجة هذا الحرب جبر اسويج على تسليم جميع أقاليمها الموجودة على ساحل خليج بوتنيا وصار اضافتها الى المملكة الروسية سنة ١٧٤٣ وفى سنة ١٧٥١ ماتت الملكة أولريقه وخلفها (ادلفوس فريدريق)

وفى سنة ١٧٥٦ وقت فتح حرب السبع سنوات التحقت اسويج بالتحزب ضد بروسيا على أمل استردادها پوميرانيا الا أنها خرجت على غير طائل وفى سنة ١٧٥٩ عملت معاهدة مع دانيمارقه وروسيا فى المدافعة الواقعة بينهم وبقاء الحيادة التجارية فى بحر بلطيق وفى سنة ١٧٦٢ صار عقد صلح بين اسويج وبروسيا وفى سنة ١٧٧١ خلف غسطاووس الثالث بن ادلفوس فريدريق وابن أخى فريدريق الاكبر أباه ملك اسويج

ثم ان مملكة اسويج وان كانت مستقلة اسما الا أنها من مدة سنوات عديدة محكومة فى الحقيقة بحاكم الدول الغربية فان لفرانسا وروسيا فيها أحزابا مخصوصة بهما وهاتان الدولتان بعضدهما هذه الام فى حال فقر المملكة واضمحلالها وبصيران المملكة فى حالة اضطرابية على الدوام ففرض (غطاووس الثالث) هذه الاحزاب وأبادها بحسن سياسته ونجح فى ابتعاد مقاصد الروسيا فى استعباد مملكته وكانت نتيجة ذلك حصول الحرب بين المملكتين وانقفل هذا الحرب بصلح واريلا وفى المدة الباقية من القرن كان بين اسويج والروسيا ارتباطات وثيقة وحصل فى مدة سلطنة غسطاووس الثالث تغيير فى طبيعة الحكومة الاسويجية ومن ابتداء سنة ١٧٢٠ صارت جميعها حكومة ارسطوقراطية (محافظين) الا أنه فى سنة ١٧٧٢ سادت ثانيا الشوكة الملوكية بواسطة المقاصد الحسنة المرغوب الرعية وفى سنة ١٧٨٩ لما اشتبكت الروسيا فى حرب مع تركية أعلنت اسويج الحليفة القديمة للسلطان بالحرب على الروسيا ومنعت اسطول تلك المملكة من السفر فى البحر الابيض المتوسط واستعدت دانيمارقه حليفة الروسيا للاغارة على اسويج الا أن انكلتره وهولنده وبروسيا ألزمتها البقاء على

الحيادة وفى سنة ١٧٨٠ انضمت اسوج الى روسيا وداتيمارقه وهولندة و بروسيا فى الحيادة البحرية بخصوص الزام انكلتره فى ترك ادعائها طلب البحث عن المراكب المهربة البضائع الحربية كما ذكرنا ذلك فيما سبق

وفى سنة ١٧٩٢ جلس غسطاووس الرابع على تخت اسوج وكان صديقا لفرانسا ولزم الحيادة عن الدخول فى التحزب ضد الجمهورية الفرنساوية وكان غسطاووس أشد عداوة لنابليون الا أن أهل اسوج كانوا أصدقاء للمملكة كما أنهم كانوا أصدقاء للجمهورية ومن هذه الاعمال اشتعل حرب مع الروسيا ونجحت هذه الدولة فى التغلب على جميع فنلند من اسوج وفى سنة ١٨٠٩ صار خلع غسطاووس وخلفه شارلس الثالث عشر فجعل لرعيته نظام الحرية وفى سنة ١٨١٠ صار عقد صلح مع فرانسا و بقصد توطيد العلاقات الودية بين الدولتين انتخب مجلس الامراء أن يكون وارث شارلس الثالث عشر الذى ليس له ولد يرثه المارشال برنادوط وهو أحد قواد نابليون الماهرين فتوجه برنادوط فى الحال الى اسوج واستحصل على موضع تاج المملكة فخصص نفسه قلبا ولسانا وفكرا لتعلية شأن المملكة التى اختارته وأجرى بعض اجراآت غير مرغوبة من طريقة نابليون ثم ان مرض أبيه المتبنى له ترك ادارة الحكومة فى يديه وجلب عليه رضاه بدخول البضائع الانكليزية فى بوميرانيا حربا مع فرانسا فاستغاث برنادوط بمساعدة الروسيا وعقد معاهدة بين اسوج وروسيا وانكلتره وفى سنة ١٨١٣ انضمت اسوج تحت قيادة برنادوط فى الحرب المختص بتحرير جرمانيا وبواسطة شروط المعاهدة المنظمة للاعمال الاوروباوية بعد واقعة ليبزيغ تنازلت الدانيمارقه عن أراضيها فى بوميرانيا وأخذت بدلا عنها نرويج التى كانت لحد هذا الوقت مشكلة قسما من مملكة دانيمارقه وصرحت روسيا بابقاء فنلند ومن هذه الترتيبات حصل لاهل نرويج أشد الغضب فقاموا بالسلاح للمدافعة عن هذا العمل وأعلنوا باستقلاليتهم عن اسوج وطلبهم لملك دانيمارقه واختاروا لانفسهم أعظم نظام فى البحر بزيادة عن الموجود فى أى مملكة أوروباوية فاستعدت اسوج لتقوية سلطتها وتغلبت على النرويجيين الا أنها ألزمت نفسها من جهتها بقبول اتحاد نرويج مع اسوج على شروط الاقرار لنرويج بأنها مملكة مستقلة بكافة نظاماتها وأعمالها

(ثالثا - تاريخ اسويج ونرويج)

وفى سنة ١٨١٨ مات شارلس الثالث عشر وتتوج برنادوط ملكا باسم شارلس الرابع عشر يوحنه وحقق لنفسه المقدرة الملوكية وتحت حكمه أخذت اسويج ونرويج فى النجاح والفلاح وتقدمت الصنائع وكرخانات المشغولات وانتشرت التعليمات والتهذيبات مع الانتظام فى المملكتين ومات فى مارث سنة ١٨٤٤ فانتقل التاج لابنه أوسكار الاول وتسلطن الى سنة ١٨٥٩ وفى مدة حرب القرم كانت اسويج ونرويج باقية على الحيادة كما كانت كذلك مدة الحروب التى أجريت فى أوروبا ولما مات الملك أوسكار جلس ابنه شارلس الخامس عشر على التخت وكان آخر من تلقب بهذا اللقب ومات فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ولما لم يوجد له ولد يخلفه خلفه أخوه أوسكار الثانى وصار تاريخ المملكتين من ابتداء الاتحاد فى حالة سلمية خالى الحوادث والوقائع والله أعلم

تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله تاريخ المملكة العربية وأخبار الدول الاسلامية

(فهرست الجزء الرابع من البحر الزاخر)

صحيفة

﴿ تمت ﴾